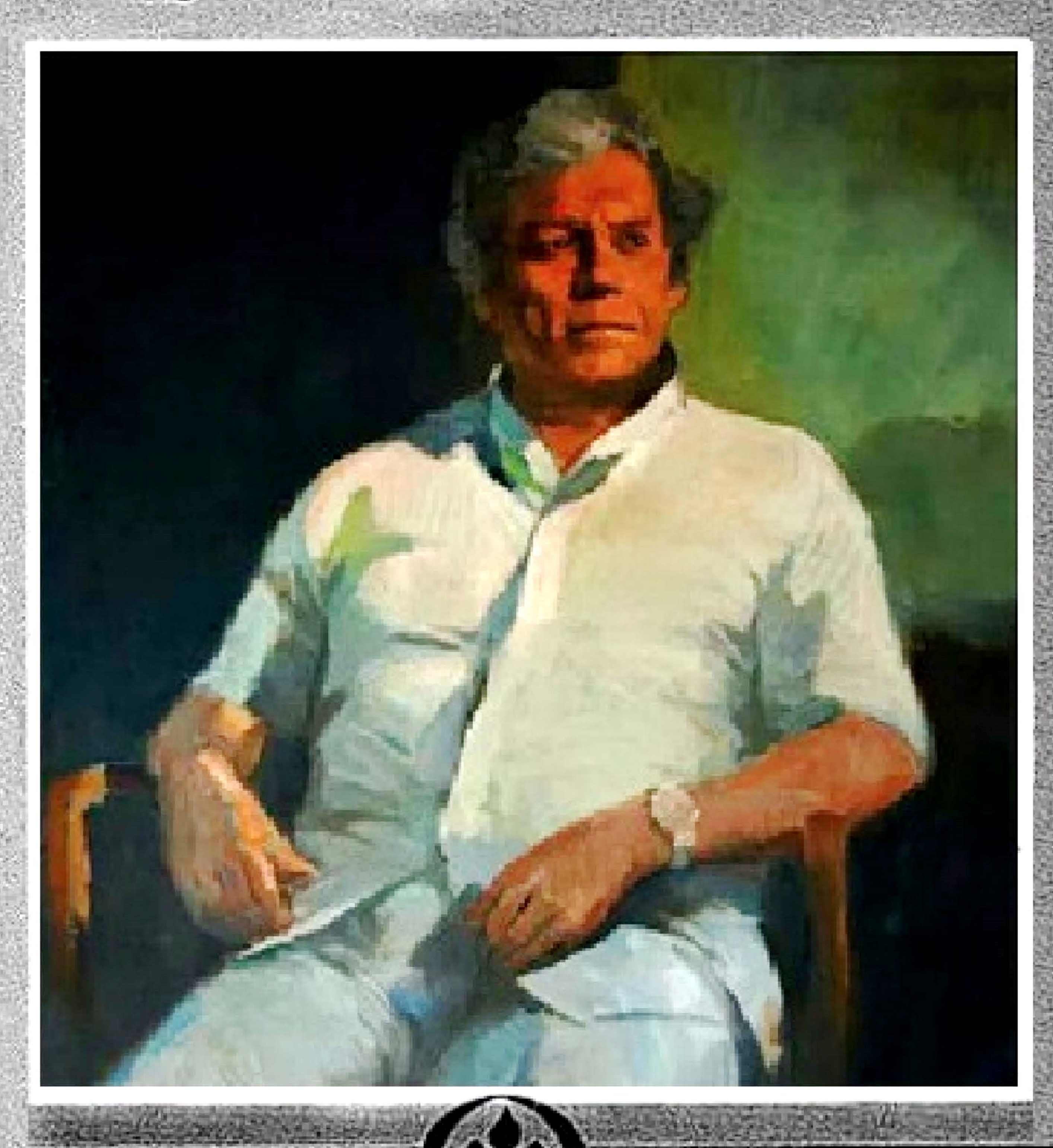
عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الأول



دار الشؤون الثقافية العامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد - ٢٠٠٠





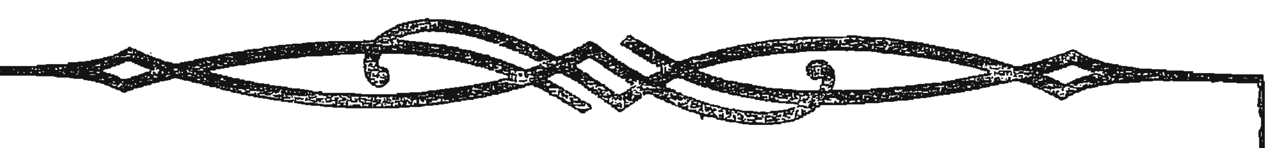
طباعة ونشر

دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان:

العراق - بغداد - اعظمية

ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



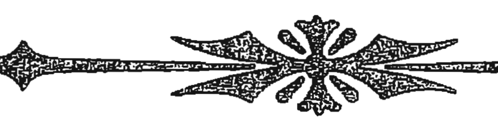
عبد الرزاق عبد الواحد

جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

الأعمال الشعرية

المجلد الأول

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ ٢٠٠٠



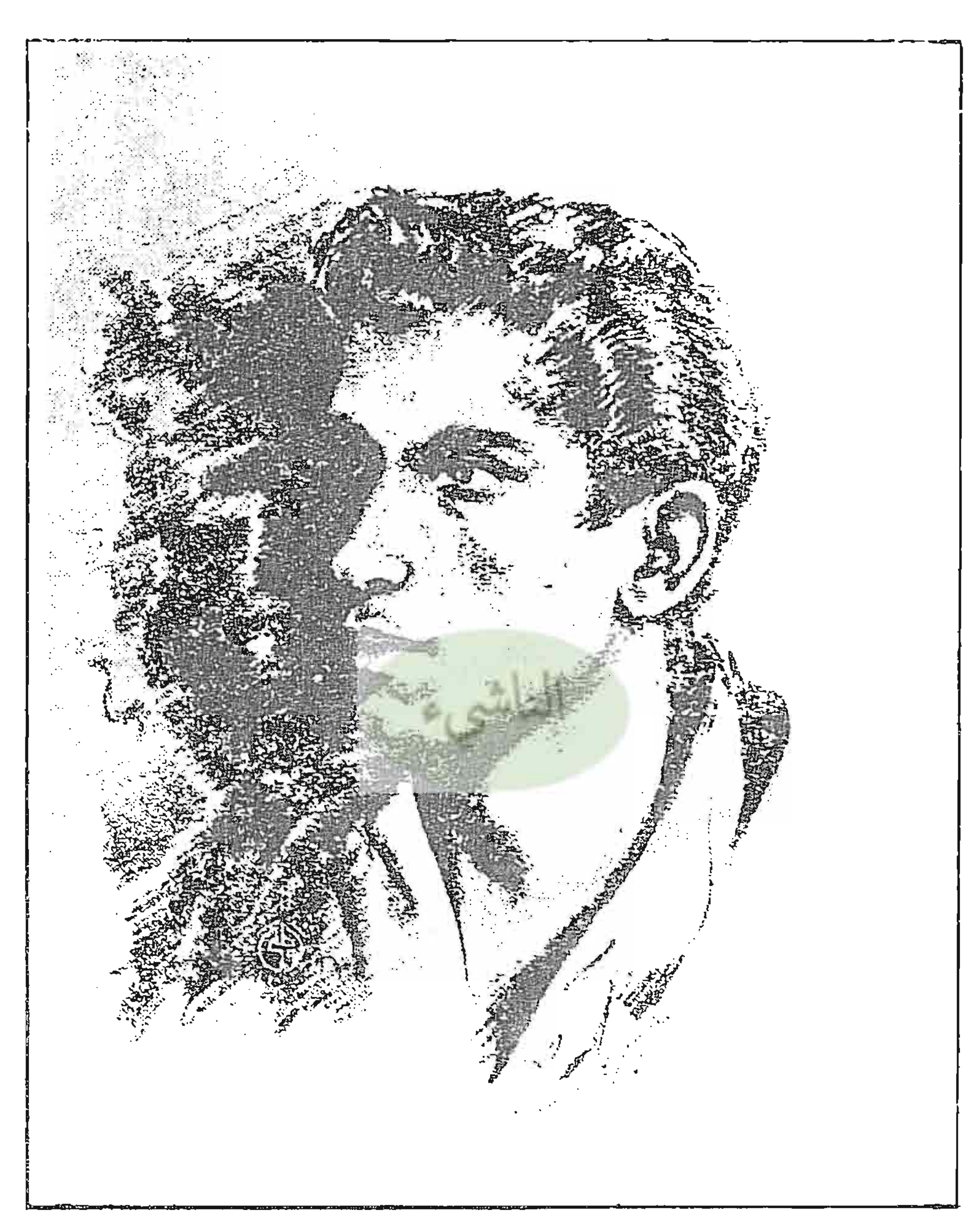
لعنة الشيطان

القصة الشعرية التي فازت بالجائزة الأولى

في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري

لسنة ١٩٥٠

الناشيء



الشاعر سنة ١٩٥٠

بريشة الفنان المبدع يحيى جواد

وكانت الأصـوات تترامى من بعيـد ،
كأنها منبعثة من جوف كهف عميق . .

وعناقُ الأمواجِ في هدأة الليلِ ، وهمسُ النسيمِ فوقَ الضفافِ.
والمصابيحُ باهتاتٌ على الشطِّينِ ، تنسلُّ بالضياء الغافي
من حنايا البيوت ، يُرجفهُ الموجُ فيخبو ، في رعشةٍ ، في ارتجافِ
بين أحضانِهِ ، يُكفِّنهُ الليلُ بظلِّ النخيلِ ، والصَّفصافِ. !

وبقايا الغيومِ في الأفقِ الشاحبِ تنسابُ في ذهولٍ خطاها
يومضُ البرقُ بينها ثمَّ يخبو ، ويهيمُ الظلامُ في منتهاها
برهةً تنطوي ، وينسربُ البدرُ هزيلاً ، يُضيءُ من مسراها
حيثُ تمضي فلا تعود ، وتبقى شاحباتُ الأضواءِ تقفو سُراها. !

*

وارتجافُ الأوراقِ يبعثُ في الصمتِ اختلاجاً ، ورعشةً في الظلالِ
وحفيفاً كأنَّ في شفةِ الليلِ سؤالاً وتنثني بالسؤالِ
ثم ترتدُّ كي تبوحَ فلا تقوى ، فتبقى في حيرةٍ ، وابتهالٍ
كلما هَمَّ صوتُها شَلَّهُ الصمتُ ، فأغفى على غصونِ الدَّوالي. !

*

هكــذا كـانتِ المـدينــةُ يـطويهــا ظــلامٌ داجٍ ، وصمتٌ مُــريبُ
ذلكَ البيت ، كانْ في كلِّ سقفٍ منــهُ عينٌ ، وكــلُّ بــابٍ رقيبُ
حينمـا انســلَّ منهُ طيفـان يقفــو . . وقــعَ خــطوَيهمـا مصيــرٌ رهيبُ
ثمَّ غـابا في حلكـةِ الليـلِ كـالـطُّهرِ بصـدرٍ تعجُّ فيـهِ الـذنـوبُ . . !

*

ذلــكَ البيت . . كــوَّةٌ جَحــفلتْ فيهــا عيــونٌ تلظى بــهــا الآثــامُ
جـمعتْ كــلَّ مجـرمٍ نــاذرٍ لـلشــرِّ نفســاً عفــافُهــا إجــرامُ !
عن أبٍ ميِّــتِ الضـميــرِ ، وأمٍّ ألــهبتْ نــارَ حـقـدِهــا الآلامُ
وأخٍ كــانَ بـؤرةَ الإثـمِ في الـبـيـت ، تُــذكّيــهِ شـهــوةٌ وعــرامُ

*

بينَ تلكَ الشـرور . . في منبعِ الإثـمِ ، وفي معـركِ الريـاحِ السَّوافي
فــاحَ عـطرٌ ، وأينعتْ زهــرةٌ سكـرىٰ بفيضٍ من الغــرامِ الصــافي
مَــزَجَ الحبُّ عـطرهــا بنـدىٰ الـطُّهـر ، ورَوّاهُ بـــالتقى ، والعفــافِ
فـزَهتْ رغمَ ثورة السـافيات الهـوج ، رغمَ الهجيـر ، رغمَ الجفـافِ

*

حلوةٌ كالهُيام ، نشوى كثغرٍ ذابَ في قُبلةِ الغرام الأولى !
كخيالاتِ شاعرٍ في ذهولِ الوحي ، ما زال جفنهُ مسبولا !
طفلةَ المقلتَين ، يندى حياءً كلُّ عضوٍ منها ، تقياً ، خجولا
كمحبٍّ يودُّ لو قالَ : أهواكِ .. ولكنْ يأبى التُّقى أنْ يقولا !

*

أينعتْ والأسى يُكفِّنُ مأواها ، ويقسو جورُ الليالي عليها
كلَّما لاحَ للأماني وميضٌ أطْفأتهُ الأيامُ في مُقلتيها !
كلَّما أترعتْ ، مع البؤسِ ، كأساً « حُطِّمتْ كأسُها على شفتيها » !
وحنانُ الآباء ، يا ليتها تعرفُ معنى الحنانِ من أبويها

*

ما لتلكَ النفوسِ قد ثملتْ بالإثمِ في كأسِ شهوةٍ مجنونهْ
ما لتلكَ الأبصارِ ليستْ ترى البؤسَ المسجَّى في النظرةِ المسكينهْ
ما لتلكَ الأسماعِ سُدَّتْ عن الآهاتِ ، عن صرخةِ القلوب الطَّعينهْ
أعينٌ لا ترى سوى لمعةِ التِّبرِ ، وسمعٌ لمْ يهوَ إلَّا رنينهْ !

*

أجمعـوا كلُّهم على دفنِ ذاكَ النُّبـلِ حيـاً ، في مَيعـةٍ من صبـاهُ
ذاتَ ليـلٍ تـواطـأوا أن يَبيعُـوهـا لشيـخٍ فـانٍ ، يُـزكِّيـهِ جـاهُ
أطفـأ التبرُ ضـوءَ عينيـهِ حتى لم تعـدْ تُبصـرُ الثـرى عينـاهُ !
وتـداعت عـظامُـهُ ، وكـأنَّ المـوتَ فيهـا تمشي حثيثـاً خُـطاهُ !

❊

كانَ ليلٌ ، ورهبةُ الصمتِ تسري في دروبِ المـدينـةِ الخـرسـاءِ
الـظلامُ الـكئيبُ يـرقبُ في يـأسٍ طـلوعَ الـنـهـار بـالأضـواءِ
وصفـاءُ السَّمـاء يعـكسُ دنيـاً من نجـومٍ يرجفنَ فـوقَ الماءِ !
وإذا بـالـظلامِ ينشقُّ عن طَيفَينِ في ذلـكَ الـطريقِ النـائي

❊

مَـنْ يكونان ؟ همسةٌ أرجفَ الليلَ صداها ، وانسابَ في الظلمـاءِ
فتـرامتْ من كـلِّ فـجٍّ تهـاويـلُ سؤالٍ ، مبـحـوحـةُ الأصـداءِ
مَـنْ يكونان ؟ مَـنْ يكـونان ؟.. واصـطكَّتْ شفاهٌ على بقـايا النداءِ
ثُمَّ دَوَّتْ في الليـلِ قهقهـةٌ عـظمى وصـوتٌ يقـولُ بـاستهـزاءِ

❊

أيها الهاربانِ من قدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى ، والدُّخانِ
إضربا حيثما تشاءانِ في الأقطارِ بَحثاً عن رأفةِ الرَّحمنِ
سوفَ لنْ تُبصرا على الأرضِ إلاّ نارَ إبليس ، في دمِ الإنسانِ !
أيها الخارجانِ عن طاعةِ الشيطان ، بُوءا بلعنةِ الشيطانِ !

*

أيُّ ليلٍ كأنَهُ شهوةُ المجرمِ يلظى فيها سعيرُ الشرورِ
قاتمٍ لا يكادُ يومضُ في آفاقِهِ السُّود بارقٌ من نورِ !
وفَحيحُ الرياحِ بينَ الورَيقات ، كأنفاسِ مُجهَدٍ ، مَصدورِ !
وخُطى العابرينَ في كلِّ دربٍ كدبيبِ الفناءِ بين القبورِ !

*

النجومُ المضناةُ تَتّسعُ الأضواءُ فيها ، كأنَّها أحداقُ
جاحظاتٌ تدنو رويداً رويداً في اتّساعٍ يشيعُ فيهِ احتراقُ
ثمَّ تغدو كُوىً من النارِ للصَّمتِ عليها ، وللدُّجى إطباقُ
أينما أوغلا أطلّتْ وفيها مثلَ لون الدّماءِ فَيضٌ يراقُ !

*

وحفيفُ الأوراقِ يعبثُ بـالصَّمت . . وتشتـدُّ فيـهِ هـوجُ الـريـاحِ
فتحيـلُ الـدُّجى عـويـلاً مخيفـاً كـجحيـمٍ يـضـجُّ بـالأرواحِ
وظِـلالُ الأغصانِ تُلوي بهـا الرِّيـحُ ، فتبـدو في الضـوءِ كـالأشبـاحِ
كلَّمـا اشتـدَّتِ الـرِّيـاحُ تلوَّتْ في أنينٍ كمثخَنٍ بـالجـراحِ !

*

كـلُّ شيءٍ يـوحي بلونِ الـدِّمـاءِ بالمُدى ، بالجراحِ ، بـالأشلاءِ
كـلُّ مـا في الـدُّجى كهـوفٌ يُـطلُّ المـوتُ منهـا ، بضحكـةٍ صفـراءِ
المصـابيحُ ، والنجـومُ الدَّوامي وعـويـلُ الـرِّيـاحِ في الـظلمـاءِ
حيثمـا وَجَّهـا العيـونَ تـردَّى شَبـحٌ إثْـرَ طعنـةٍ نجـلاءِ !

*

الصبـاحُ الـولـيـد ينشـرُ في الأفقِ جنـاحينِ مثـلَ لـونِ الـذُّبـالِ
ثمَّ يمتـدُّ ضـوؤهُ ، يغمـرُ الآكـامَ ، والنهــر ، والـرُّبى ، والـدَّوالي
فتـدبُّ الحيـاةُ بين المـويجـات ، وفـوق الغصـون ، فـوقَ التـلالِ
وتفيـقُ الـدّروب تـدفن بُـقيَـا حُلُـم الأمسِ في مَطاوي الليَالي !

*

ثمَّ هـامـا لا يلويـان على شيءٍ ، غـريبَيـنِ في ديـارٍ قصيّـه
وأطـلاّ عـلى قُـرىً آنسَـا فيهـا خُـلوّاً مـن الـعيـونِ الـخفيَّـه
فـاستقرّا ومـلءُ نفسَيهما من فَـزَعِ الأمسِ ما تـزالُ بقيّـه
بين تلكَ الأكـواخِ كـوخٌ صغيـرٌ ضَمَّ جسمين في فراشٍ سويّه !

*

وأفـاقَ الصباحُ ينسـجُ حـولَ الكـوخِ ثـوبـاً ممـوَّجَ الأضـواءِ
فتعـالىٰ صـوتُ العصـافيـرِ في الكـوخِ يُبشِّـرنَـهُ بعـطفِ السّمـاءِ
وأطـلّتْ من الـثقـوبِ عـلى الـزّوجيـنِ بُـقيـا أشـعـةٍ نـعسـاءِ
فـاستفاقـا وفي العيـونِ انكسـارٌ وعلى الـوجنتَينِ لـونُ الحيـاءِ !

*

خُـطواتُ الزمـانِ تطوي الليـالي وتجـوبُ النهـارَ إثْـرَ النهـارِ
الشهـورُ العجلىٰ تمرُّ كـطيفٍ عـابـرٍ من ثـوَينيـاتٍ قصـارِ
وعلى الكـوخِ بسمةٌ مـا طَوَتهـا عـاديـاتُ الأيـامِ والأقـدارِ
وصفـاءٌ في مقلتَيْ كـلِّ مَـنْ فيـهِ ، وعـطفٌ من كـلِّ خـلٍّ وجـارِ

*

ذاتَ فَجْرٍ ، والأُفْقُ ما زالَ لم يلفظْ من الشمسِ غيرَ قوسٍ هزيلِ !
وسَـــوادُ الـدُّجىٰ على حُمــرةِ الضـوءِ دخـــانٌ على بقــايــا فَتيــلِ !
والسكونُ العميقُ غافٍ على الأمواجِ ، والدَّوحُ في انتظارِ الهَديـلِ !
وإذا صَــرخــةٌ يُهــدهـدُهــا الكــوخُ بشيــراً بفجــرِ عهــدٍ جميــلِ

*

كــانَ طفــلاً كــأنَّــهُ بَسْمــةُ الـوَرد ، وطهــرُ النـدىٰ ، وقلبُ العــذارىٰ
كــأماني العشّــاقِ ، كالحُلُمِ المعبـود ، كالشَّـوقِ في قلوبِ الغيـارىٰ
كالهوىٰ المستبدِّ ، كالوحيِ ، كالإيمــانِ ينسابُ في نفـوسِ الحَيارىٰ
رَفــرَفَتْ حــوَلَــهُ سعــادةُ قلبَيــنِ يهيمــانِ حَــولَــهُ حيثُ ســارا !

*

وتمــرُّ الأيــامُ تحتضِــنُ الــطفــلَ ، كــأبهىٰ مــا تحضنُ الأيــامُ
أمــلاً تبســمُ الــطفــولــةُ فيــهِ عن رؤىً مــلءُ طيفِهِنَّ ابتســامُ
شــاعَ في الكــوخِ غنــوةً تَنعسُ النجوىٰ عليهــا ، ويحلمُ الإلهــامُ !
فــإذا الكــوخُ بسمــةٌ ليسَ تفنىٰ وحــيــاةٌ كــأنَّــهــا أحــلامُ

*

في غروب ، والشمسُ تنزعُ في الأفَقِ كما ينْزعُ السِّراجُ الخابي !
كانتِ الأُمُّ في انتظارِ إيابِ الزَّوجِ تلهو بالطفلِ عندَ البابِ
ما الذي عاقَ زوجَها ؟ هوَ ما عوَّدَها قبلَ ذاكَ طولَ الغيابِ
ويعودُ الصوتُ الصغيرُ يناديها لتُرضي فضولَهُ بجوابِ

*

قالَ أُمّاهُ ، كيفَ جئتُ الى الدُّنيا ؟ وفي بيتِ مَنْ عثرتمُ عَليّا ؟
فأجابتْهُ وهي تضحكُ : يا طفلي ! أما قلتُ لستَ تفهمُ شيّا ؟
قالَ أُماهُ لِمْ ؟ لقد قلتِ لي بالأمسِ أصبحتَ كالرجالِ فتيا
ثمَّ أخبرتِني بأنّيَ أذكى مِن أبي حين كانَ مثلي صبيًا !

*

يا لها حجَّةً ، وضمَّتْهُ في عنفٍ إلى صدرِها ، وذابتْ عليهِ
قُبلاً تُدركُ الأُمومةُ معناها ، على ثغْرِهِ ، على مُقلتيهِ
ولدي ، يا خيالَ أمسي ، ويا رؤيا غدٍ لنْ أكفَّ أصبو إليهِ
إسألِ الكوخَ ، لو يُحسُّ جمادٌ لروى كَمْ حواكَ في جانحيهِ

*

سَلْهُ كمْ ليلةً سَهِرتُ أناجيكَ وأنتَ انفلاتَةٌ في خيالي
عن أغانٍ بالأمسِ ساءلتُ عنكَ الليلَ فيها ، وقد أجابَ سؤالي
فتململتَ في دمي ، فاسأل الأعراقَ ، سَلْها عن حيرتي وابتهالي
سَلْ شعورَ الأنثى إذا ما أحسَّتْ أنْ ستغدو أُماً بُعَيدَ ليالٍ !

*

كانَ قلبي يكادُ يَغرقُ في فَيضٍ من الأمنياتِ بين ضلوعي
كمْ تَبَسَّمتُ والبُكا ملءَ عينيَّ ، وغَنَّيتُ والأسىٰ في دموعي !
إعصفي بي كما تشائينَ يا أقدار ، لَنْ تُطْفئي سنىً من شموعي !
أملٌ بينَ أضلعي أتحدَّاكِ بأنْ تُطفئيه... لَنْ تستطيعي..!

*

ثمَّ أشرقتَ ملءَ ظُلمةِ كوخي وتململتَ خلجةً في سكونِهْ
كانَ فيهِ الحنينُ والعطفُ لكنْ أنتَ ذكَّيتَ ما خَبا من حنينهْ
كنتَ في وحدتي سميري ، وسلوىً لأبيكَ الواهي القوى في شجونِهْ
كَمْ لوتْهُ الأيامُ فانفَلتَ الدَّمعُ ، فكفكفتَ دمْعَهُ من عيونِهْ !

*

ولـدي أنتَ ، لم تكنْ قبـلَ هـذا الكـوخ فَتَّحتَ للسُّنى نــاظريكــا
لـمِ يُنبِّهـكَ قبلهُ قـبسُ الفـجـرِ ، ولا أطبقَ الكــرى جـفنيكــا
وتنفَّستَ ، لم يكنْ لـكَ من أهـلٍ ســوانـا. . سَمَّيتَنــا والـدَيكــا !
كــلُّ حَيٍّ يـا ابني لَـهُ مثلنـا أهــلٌ ، يـراهم كمــا تـرى أبـوَيكــا

*

قـالَ أُمَّاه ، إن يكنْ مثلمــا صَوَّرتِ ، كــلُّ امرىءٍ لَــهُ والـدانِ
لـيسَ يـحيـا بـفـقـدِ عَـطفِهـمـا إلاّ حـيـاةً فـي ذِلَّـةٍ وهَــوانِ
أيـنَ أُمــاهُ والــداكِ ؟ لـمــاذا لـم يـكـنْ لـي أبٌ كــبيـرٌ ثــانِ ؟!
لَروىٰ لي في الليلِ أُقصوصةَ السُّعـلاةِ ، والذئب ، وابنـةِ السلطانِ !

*

يا لَذكـرى الماضي ، سؤالٌ بـريءُ القصدِ لم تـدرِ ما حَـواهُ الطفـولَهْ
غيـر شوقِ الـطفلِ المُلحِّ إلى التَّســآلِ عن كـلِّ مـا يُـرَوِّي فضـولَـهْ
وتــراءى طيفٌ من الأمسِ ، الآلام ، والبؤس ، والأمــاني الــذَّليلَهْ
والغــاً في دمــائِهــا شبـحُ الإجــرام يحيــا على رمــامِ الفضيلَهْ !

*

لحظةً لم يُطقْ ، فهَمَّ بأنْ يسألَ لكنْ ، كانتْ يَدٌ فوقَ ثغْرِهْ
لم تُطقْ للسؤالِ صبراً فقد ساءَلَ حتى ضاقَتْ بهِ وبهَذْرِهْ
وأشاحتْ بوجهِها هَرباً من نظرةٍ كانت السؤالَ بأسرِهْ !
فإذا عينُها تَسَمَّرُ في جسمٍ مخيفٍ سدَّ الفضاءَ بصدرِهْ

❊

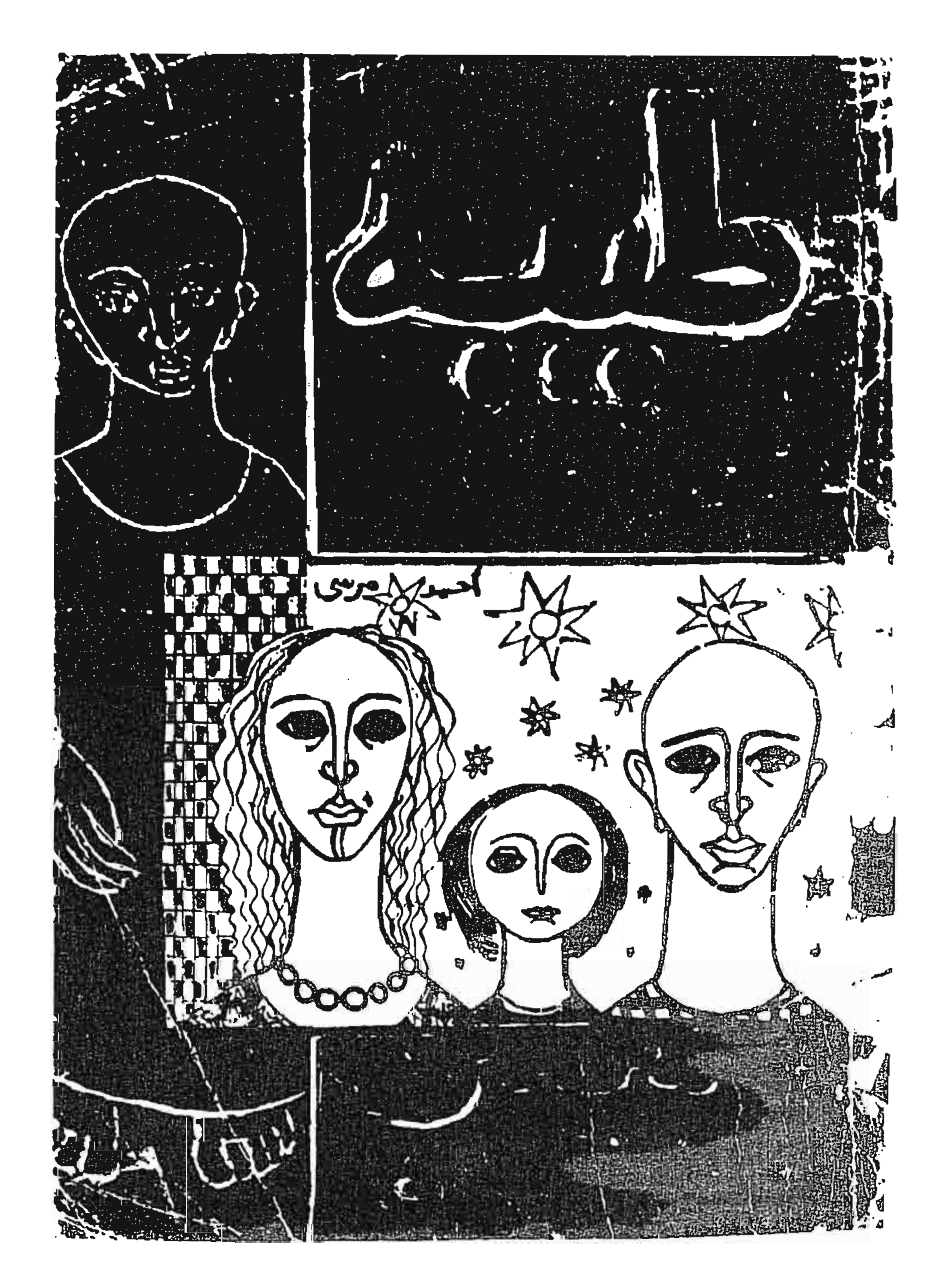
لمعةٌ أبرقتْ ، وأُطلقَ صوتٌ وتوارىٰ نصلٌ خلالَ ضلوعِ
ثمَّ عادَ البريقُ أحمرَ تنسابُ عليهِ دماءُ قلبٍ صَريعِ
ويفيضُ النَّجيعُ من طعنةِ النَّصلِ على وجهِ طفلِها المفجوعِ
فإذا صرخةٌ يُقطِّعها الرُّعبُ تلاشَتْ بينَ الدِّما والدُّموعِ

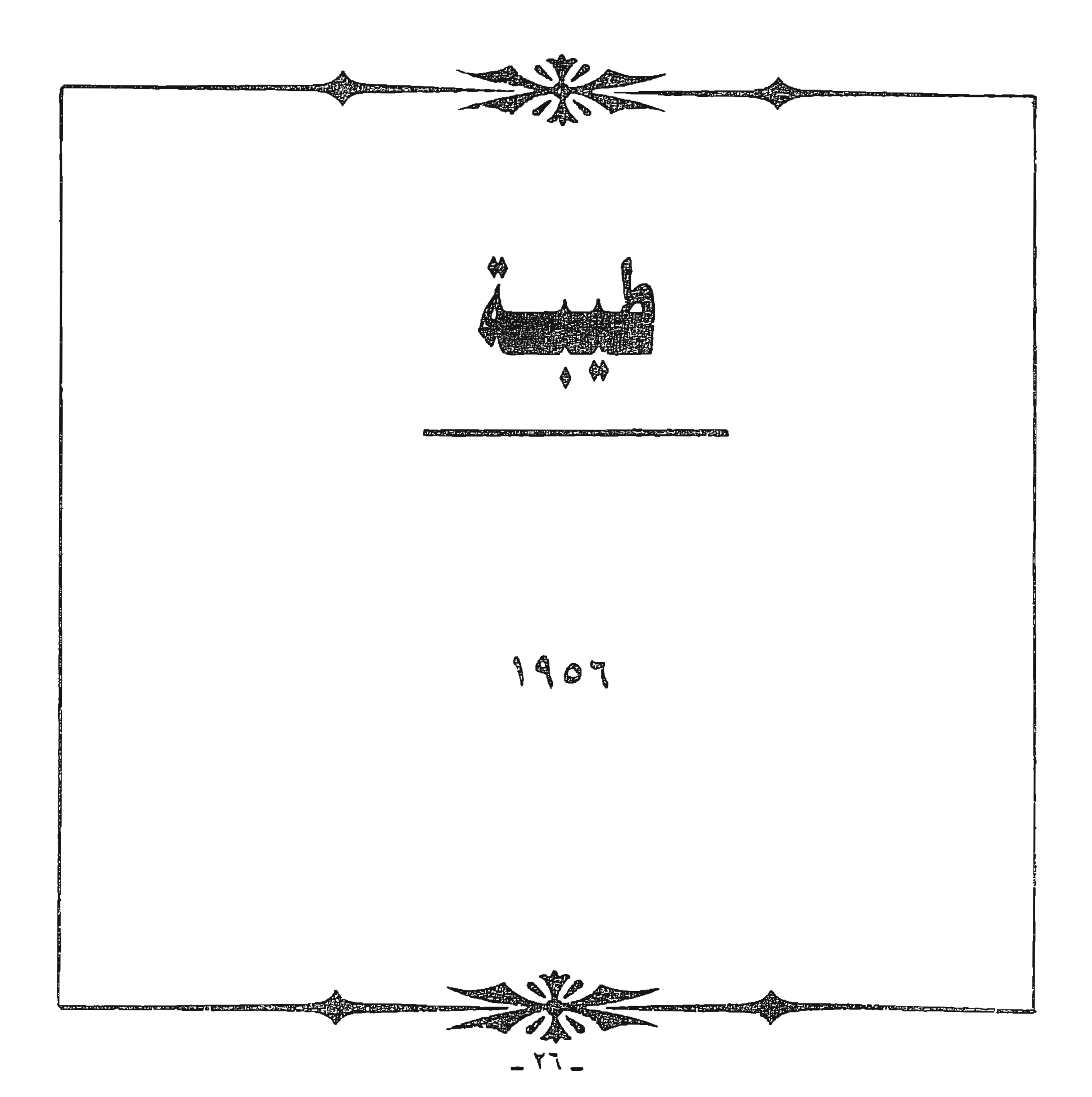
❊

لا تَخَفْ ، لا تخفْ بُنيَّ فهذا جَدُّكَ يرعاكَ مثلما قد رعاني
سوفَ يروي لكَ الأقاصيصَ في الليلِ عن الذئبِ ، وابنةِ السلطانِ
وانطفَتْ روحُها. إذا برجالٍ فوقَ أكتافِهم قتيلٌ ثاني !
ثمَّ دَوَّتْ في الليلِ قهقهةٌ عظمى ، وصوتٌ يَموجُ كالطوفانِ

❊

أيُّها الهاربانِ من قُدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى والدُّخانِ
هذهِ شِرْعةُ العفافِ ،خُذاها واخرُجا من هياكلِ الشيطانِ
أرضُ إبليس لا يُدنِّسْ ثَراها بعد هذا الهوىٰ عفافٌ ثانَ !
سوفَ يبقى الشرُّ العظيمُ عليها ما ثوى الإثمُ في دَمِ الإنسانِ. . !


طيبة
أحمد مرسي



طيبة

١٩٥٦

مقدمة

غمرتني ــ وأنا أكتب هذه المقدمة لديوان صديقي الشاعر الموهوب عبدالرزاق عبدالواحد ــ طيبة ــ ذكريات عزيزة على نفسي ، ذكريات أيامنا في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٩ يوم كان عبدالرزاق يقرأ لي أكثر قصائده التي كان يكتبها ، فكنت أرضى كل الرضا عن بعضها وأسخط بعض السخط على بعضها الآخر ، وكنت أتوسم في شاعرها منذ ذلك الحين الموهبة .

ودارت بنا الأيام وتخرجت من دار المعلمين وتركت صديقي وهو يواجه مصيره وحده أمام الزمن والنقد والنضال (من أجل الحرف الملون والقافية الشرود) وكنت أتتبع أخباره بشوق وأنا ألعن الليل وأغني لمصباحي ولمصابيح أخواني الشعراء في وحشة انتظاري وأعماق أرقي وحبي . ولكن الشيء الذي حدث ان أخبار صديقي الشاعر قد انقطعت أو كادت بعد تخرجه .

نحن الآن في عام ١٩٥٦ وما كان عام ١٩٤٩ وما تلاه من سنوات إلا حلماً أخضر بالنسبة لي ولاخواني الشعراء ، حلماً أخضر بالشمس والسنابل والحصاد . . . .

فأين هو مكان عبدالرزاق في قصائده هذه بين كثيرٍ من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة.

لأجل الحقيقة والتاريخ أقرر هنا ان أكثر هؤلاء الشعراء لم يكونوا بل لم نسمع بأسمائهم أو انهم كانوا في بداية الطريق يوم بدأ شاعرنا في نظم الشعر. فما هي أسباب عدم ذيوع اسمه وانتشار شعره على نطاق واسع مثلما ذاع وانتشر شعر الآخرين إذن ؟؟. . .

أعتقد ان شاعرنا ـ هنا ـ مسؤول بعض المسؤولية أولاً فقد كان باستطاعته أن يدرك ان الشاعر قد كُتِبَ عليه أن يناضل من أجل مكان تحت الشمس وان يصنع مصيره هو بنفسه. ويقع اللوم على مجلاتنا ثانياً ، التي لم تفسح لشعره حيزاً وهي التي اعتادت أن تنشر الكثير من تافه الشعر في أكثر الأحيان. وعلى أيامنا البشعة هذه التي لا تتيح للموهوبين منّا حياة كريمة يستطيعون فيها أن ينتجوا في جوٍ من الأمن والطمأنينة ، متحررين من العوز والفاقة التي كثيراً ما أخمدت مواهبهم.

إن ما استطاع أن يحققه عبدالرزاق في مجموعته هذه انه استطاع أن يعبّر بشيء من الطلاقة واليسر عن هموم البسطاء من الناس ، وعن مخاوفهم وأعيادهم الأرضية وحبهم لكل ما هو جميل ومقتهم لكل ما هو هو قذر وبشع وكريه. . .

وبعبارة أخرى انه استطاع (أن يعبّر عن المضمون الذي يزهر على شفاه البسطاء).

« الحياة أغنية جميلة » رغم ما في كلماتها من لوعة وضياع ودموع هذا ما أوحته لي مجموعة (طيبة).

المجد لشعرائنا الذين يضيئون الدرب من أجل ثقافة عربية إنسانية.

١٩٥٦/٤/١٦ عبدالوهاب البياتي

اهــداء

لا أُومنُ بشيء إيماني بالإنسان.
والى أنبل ما في كل إنسان
الى الطيبة فيه
أهدي هذه القصائد.

عبدالرزاق عبدالواحد

طيبة

في قـريتي ، حيثُ تموتُ البـذورْ
وحـيـثُ لا يُـزرَعُ إلاّ الـقـبـورْ
وحيثُ تـلهـو بـرؤوسِ الـورىٰ
كـلُّ الخـرافـاتِ ، وكـلُّ الشـرورْ
حيثُ يعيشُ الـنـاسُ من دونِ دورْ
أقـواتُهُم مـا في الثَّرىٰ من جُـذورْ
وحيثُ يَقسـو ، ويجفُّ الـشعـورْ
وتَـجـأَرُ الأنـفُسُ حـتـى تـثـورْ

في قـريتي ، وكلُّهـا تَـجْـهَـلُ
بُحيرةً يـؤنـسُـهـا جـدولُ
تَسقي الـورَيْـداتِ التي تُهـمَـلُ
والـطيرَ ، والـوحشَ ، ولا تبخَلُ
لـم يَتَمـوَّجْ حـولَـهـا سُنبـلُ
ولـم يـبـارِكْ أرضَـهـا مِـنْـجَـلُ
لكنَّهـا في صَمْتها تَعمَـلُ...

مندلي ١٩٥١

وأتى المساءْ
كان الصغارُ يُعربدونْ
يتراكضون ويضحكونْ
فَتَفَجَّرتْ يدُ أُمِهِم وهَوَتْ عليهم في جنونْ
ويُتمتمُ الأبُ وهو يَرقُبُهم وهم يَتصايحونْ
يا أشقياءْ
حتى على الضَّحِكِ الرَّخيصِ تُحاسَبون وتُضرَبونْ ؟
أَفَذنبُكُم أنّا نجوعُ وأنَّكُم لا تَفْهَمونْ ؟!

مندلي

١٩٥١

أقرباء

مـا دامَ مَن حـولَنـا
لـم يُبقِ شيئـاً لَنـا
فـإنْ رأيـتَ الـسَّـنا
يـشعُّ رِفقـاً بِـنـا
فـلا تَقُـلْ لي أنـا
يُنيـرُ هـذا الضِّيـاءْ
فـكـلُّنـا أقـرِبـاءْ

إنْ لـم يكـنْ لي وِقـاءْ
يـدفـعُ عني الشتـاءْ
ثـمَّ رأيـتَ الـسَّـمـاءْ

يمـوجُ فيهـا السنىٰ
فـيحضنُ الأشـقيـاءْ
فـلا تـقـلْ لي أنـا
فـكـلُّنـا أقـربـاءْ

إن هَمَّ لَفْـحُ الهَجيـرْ
وأنـتَ مثلي فـقـيـرْ
وكـانَ ظـلٌّ صـغيـرْ
يـلوحُ فـي مُـنـحـنـى
فـلا تـقـلْ لي أنـا
لأنَّـنـا كـلَّنـا
في فقـرِنـا أقـربـاءْ

رأيــتُ أُمّــي تــجــوعْ
حتى تجولَ الـدمــوعْ
في عيـنِهــا الــوادعــةْ
فلم أجــدْ في الضلوعْ
غيــرَ أنينِ الجـمــوعْ*
فــكــلُّهــا جــائــعــةْ

أرى أبــي فــي الــخــيــالْ
يكــدَحُ بين الــرِّمــالْ
كــأنَّــهُ فــي قــتــالْ
أراهُ فــي كــلِّ حيــنْ
فــأذكــرُ الــبــائسيــنْ
الــمُجــهَــدينَ الــذيــنْ

(*) البيتان محذوفان من قبل الرقابة بالأصل.

يُـقَـطِّرونَ الـدِّمـاءْ
فيِ غُـربـةٍ ،في انـزواءْ
أذكــرُ أنّــا سَــواءْ
وأنَّــنـا أقــربـاءْ !

مثلُكَ، مثـلُ الجَـميـعْ
أنـا شـقيٌّ صَـريـعْ
فـإن رأيـتَ النَّجيـعْ
غـداً عـلى المـطلعِ
فلا تقلْ
مصرَعي
لـوَّنَ هـذا الـضيـاءْ
فـكلُّنـا فـي الـدمـاءْ
أقــربـاء

بغداد

١٩٥٠

(*) المقطع بمجموعه حذفته الرقابة في الأصل.

لا بدّ أن نعيش

إن اظلَمَ الطَّريقْ
فلا تَخَفْ ، فكلُّ خطوةٍ لمنتهاهْ
أضاءَها صديقْ
أنظرْ إليهم . . دَمُهُم ما زال في ثراهْ*

سمعتُ مَـنْ يقولْ
« إنَّ فلاناً مُثقَلٌ بسبعةٍ صغارْ
فما لَـهُ يَسيرْ ؟ . . . »

---

*) حذفته الرقابة في الأصل.

ما برِحَتْ تجولْ
ملءَ حياتي كلَّما أُسقِطَ في يدي
عَينا أخي الصغيرْ
يضجُّ فيهما سؤالٌ يسحقُ الضَّميرْ
« أَمَّنتَ لي غدي ؟؟ »
فأنثني ، تكادُ كفّي تَحطِمُ القَلَمْ
لا بدَّ أنْ يَعيشْ
لا بدَّ أن لا يَلتوي مثلي من الألَـمْ
وأقطعُ الطريقْ
ولا أعي أنَّ دمي في دربيَ انتشَرْ
لا بدَّ أنْ يعيش كالبَشرْ
مبتسماً طليقْ
لا يعرفُ الحرمانَ والعذابَ والأنينْ
فما تُريدُ من أبي سبعةِ سائلينْ. . . ؟؟

ما زلتُ حينَ أُمسِكُ القلَـمْ
أُبصرُ أُمّي وأُخيّاتيَ في قَلَقْ
يَنْظُرْنَ للورَقْ
وربَّما يقطعُ هَمسُ أُمّيَ الكئيبْ
سكوتَنا المُريبْ
أسمعُها تقولُ للصِّغارِ في حَذَرْ
كأنَّها تخافُ أنْ أسمعَ ما تقولْ :
« قالَ لَـهُ الطَّبيبْ
ما زلتَ في خطَـرْ
لا بدَّ أن تَهْدأَ أو يستفحلَ المرَضْ »
وإذْ تَراني ساكتاً يعصرُني الألَـمْ
وقبضَتي تَشدُّ في عُنفٍ على القَلَمْ
تَخرجُ بانكسارْ
وتُخرِجُ الصِّغارْ

أفهمُ ما يجولْ
في قلب أُمّي عندَما يخيِّمُ الذّبولْ
في وجهها وهي تراني يأكل المرضْ
جسمي ولا تَقوى على شيءٍ سوى الدموعْ
أفهمُ ما يَروعْ
صغارَها ، ثمَّ يخطُّ الحبرُ في ثَباتْ
مَـنْ استكانَ ماتْ
ومَـنْ أرادَ أن يعيشَ أعجزَ الجحيمْ
عن سَلْبِهِ الحياة !

بغداد

١٩٥٦

دم الآخرين وحق الحياة

«الى المناضلين الأحرار في المغرب العربي»

فرنسا اذكُري ، لمْ يزلْ للطُّغاةْ
طغاتكِ بالأمسِ ، ظلٌّ ثقيلْ
عليكِ ، وما بَرِحَ الباستيل
رُكاماً يذرُّ بوجهِ الحياةْ
ووجهكِ ، من أمسِكِ المُظلمِ
رمالاً مشبَّعةً بالدمِ
دمِ الأبرياءْ

فرنسا اذكُري ، كلُّنا أقرباءْ
وهذي الدماءُ كتلكَ الدِّماءْ
وما هَـدَّ ذاكَ الجدارَ الرَّهيبْ
من الدّمِ فيكِ ، وما زَلزَلَـهْ
وما أنزَلَ المِقْصَلَـهْ

على عُنُقِ الجَورِ فيكِ وما حوَّلَ المهزَلَـهْ
الى ثورةٍ وانتصارْ
فرنسا اذكُري الشَّعبُ ثارُ
وشعبٌ لشعبٍ قريبْ
وفي كلِّ شعبٍ لهيبْ
إذا جُنَّ شَـدَّ العُرىٰ
وهَـزَّ أذَلَّ العبيدْ

فرنسا اذكُري قيصرا
وطغيانَ عبدالحميدْ
وما زالَ وَسْمٌ لهتلرَ في أرضِـكِ المُـثْـقَـلَـهْ
تُرىٰ ما الذي حَـوَّلَـهْ
الى منعةٍ واعتداءْ ؟

تَـعوَّدتِ أن تَغْرَقي بالدماءْ
فرنسا ، إذا كانَ هذا الفِداءْ
وقَـصَّـرَ شعبٌ فما أَبْـخَـلَـهْ !

سيفهَمُ جُندُكِ مَعنى الكفاحْ
ويفهَمُ أنَّ ارتزاقَ السِّلاحْ
جبانٌ أمامَ الدَّمِ
أبيدي ، اسجنِي ، هَـدِّمي
فجيشُكِ ليسَ كجيشِ التَّترْ
ولا فيكِ نيرونُ يهوي البَـشَـرْ
على قدميهِ . . هو ابنُ الإلَـهْ
ولكنْ ، ولكنَّ شيئاً سواهْ
إلهاً سواهْ
أطاحَ بهِ في حضيضٍ مهينْ .
فرنسا اسمَعيها مِنَ الآخرينْ
دمُ الآخرينْ
وحقُّ الحياةْ

بغداد ــ ١٩٥٦

بشير (١)

بشيرْ
يا مَلجأي الأخيرْ
مِنْ تعبِ العيشِ ومن كفاحِـهِ المَريرْ
يا طفليَ الصَّغيرْ
إنَّ أخاكَ مُتعَبٌ مبلبلُ المصيرْ
فاضحَكْ فقد تُريحُـهُ طفولةُ الضَّميرْ

أتَفْهَمُ الجهادْ ؟!
إنَّكَ ما زلتَ صغيراً دونَ ما أرادْ
يُريدُ إفهامَـكَ شيئاً قبلَ أنْ يَزولْ
لو كنتَ تَنمو مسرعاً. حتّامَ لا تَطولْ ؟ !

(١) أخو الشاعر وهو طفل في الثالثة من عمره.

لو كنتَ لا ، لا وقتَ يا طفلي أرى السّيولْ
سَتَجرفُ الدُنيا جميعاً قبلَما يقولْ

الحلة ـ ١٩٥٤

ردّ على رسالة

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُطلِقَ الزَّفيرَ كي نستقبلَ الشَّهيقْ
وأن ننامَ مُثْقَلينَ ثمَّ نستفيقْ
لنجرَعَ الطَّعامْ
ونكدَحَ النَّهارَ كلَّه لكي نَنامْ
في الليلِ صامتينْ
فلا يَندُّ عن شفاهِنا سوى الأَنينْ
فإنَّنا نعيشْ

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُفهِمَ الصِّغارَ أنَّهم إذا شَكَوا
لأنَّهم جياعْ

أو أنَّهم بكَوا
لِلُعبةٍ لا يُدرِكُونَ أنَّها تُباعْ
بغيرِ ما لأهلِهِم مِن طيبةِ القلوبْ
نُفهِمُهُم بأنَّ هذي كلّها ذنوبْ
وأنَّ في الليلِ سعالى تأكُلُ الصِّغارْ
إذا بَكَوا وأنَّهم قد أغضَبُوا الإلَـهْ
إن كانتْ الحياه
كهذِهِ فاننا يا سيدي نعيشْ !

بغداد ــ ١٩٥٦

الطفولة الخائفة

لا تَخْشَ يا طفلي الصَّغيرْ ، إنَّها السَّماءْ
ألا تَرى المطرْ ؟
أنظرْ الى الصغارِ يَلعبُونَ في العَراءْ
شِفاهُهُم زَهَرْ
يستقبلُ الرَّذاذْ
أَنظُرْ إليهم لا يخافونَ من البَريقْ
ولا مِن الرّعودْ
يَجرون في الطريقْ
وتَعلَقُ المياهُ بالثيابِ والشّعورْ
فَيَنسِلونَ كالعصافيرِ ويركضونْ
وهم يُزقزقونْ
ألا تراهُم يَملأونَ الدَّرب بالحبورْ

مثلُكَ هُم صِغارْ
يَنمونَ كالورودِ بالضياءِ والمطَرْ
وطيبةِ البشَرْ
مثلُكَ هُم صغارْ
فَفيمَ تخشى أنتَ بينَما يُصَفِّقونْ
للضوءِ والمياهْ

يا طفليَ الصَّغيرْ
لو كانَ هذا البرقُ ناراً تأكلُ الشِّفاهْ
وتحفرُ العيونْ
لو كانت الرّعودْ
قنابلاً تهوي فيهوي ذلك الجدارْ
فوق رؤوس هؤلاءِ الصِّبيةِ الصِّغارْ
لو قَطَراتُ الغَيثِ كانت كلُّها رَصاصْ
وغَصَّتْ الدّروبْ

بالنارِ ، بالأشلاءِ ، بالحجارِ والدِّماءْ
بالناسِ لا تَدري لأيٍّ وِجهةٍ تَلوبْ
فما الذي تفعلُ يا طفلي بِمَنْ تَلوذْ ؟
يحميكَ هذا الدَّمع ؟؟ ما أضعَفَهُ مَلاذْ
إنْ أُضرِمَتْ حولَكَ حتى اللُّعَبُ الصِّغارْ
يا طفليَ المَروعَ من تَساقُطِ الرَّذاذْ

الحلة ــ ١٩٥٤

سطوح

وَوَشَى عَويلُ بناتِ آوى بالظلامِ وبالسّكونْ
فَتجاوَبَتْ مِن كلٍّ بابْ
أصواتُ آلافِ الكلابْ
وَتَغلغَلَتْ تُلقي السَّلامَ على المَسامعِ والعيونْ

وعلى السطوحِ الواطياتْ
فوقَ الوَسائِدِ والمَفارِشِ ، تحتَ مروَحةِ القَمَرْ
كانتْ أحاديثُ السَّمَرْ
تَجْتَرُّ آلافَ المشاكلِ ، والمَشاهِدِ ، والصُّوَرْ

ــ بالأمسِ ماتَ أبو فلانْ
إسمَعْ الى نَقْرِ الدَّرابكِ إبنُهُ عقَدَ القرانْ
أبناءُ هذا الوَقْتِ هه سُحقاً لهذا مِن زَمانْ !

ـ أَرأيتَ مَدرسةَ البَناتْ ؟
رَوَت ابنتي أنَّ المديرةَ والحَريم الباقياتْ
يَسْألْنَهُنَّ أَيمكثُ الجيلُ الجديدُ مُحَجَّباتْ ؟
سَتَمُوتُ في بيتي الفَتاةْ
لم يَبْقَ إلاّ عِرضُنا ، حتى كلامُ اللّهِ ماتْ !

وتثاءَبَ الأطفالُ ، ثمَّ هَوَتْ رؤوسُهُم الصِّغارْ
فوقَ الوَسائِدِ واستراحوا
وعَلا نُباحُ
فانحازَتْ الصُّغْرىٰ ودَسَّتْ رأسَها بينَ الكِبارْ . .

وَعَلَتْ زَغاريدُ النِّسَاءْ
وتَتابَعَتْ أصداءُ إطلاقِ البنادقِ في الفَضَاءْ

وَهُنا ، على سطحٍ قريبْ
وعلى بَقايا كالأسِرَّةِ ، كانَ تَعليلُ غريبْ
لأمورِ هذي الكائناتْ . . .

ـ نحنُ الشَّبابْ
لا بدَّ أنْ نَمْضي لِنُثْبتَ أنَّ تيَّارَ الحياةْ
أقوىٰ من المُتَعفِّنينْ
أقوىٰ من الخوفِ الحقيرِ ومِن دموعٍ اليائسينْ
لا بدَّ أن نَمْضي ولوْ فوقَ الأسِنَّةِ والحِرابْ(*)
لا بدَّ مِن أن لا نَهابْ
شيءٌ عظيمٌ أنْ تُحاوِلَ . . أن ترى شيئاً عظيمْ
أن تستحيلَ الى دمٍ يغلي وقلبٍ مِن جحيمْ
شيءٌ عظيمْ
أن تُبْصِرَ الخَيرَ المُقدَّسَ في الطريقِ ، وفي البيوتْ
ألّا ترى طفلاً يموتْ !
أو غادةً مثلَ الغُرابِ تَكَفَّنتْ جسماً وَرُوحْ
فكأنَّ ظاهِرَها على ما في سَريرِتها يَنوحْ !

(*) حذفته الرقابة في الأصل.

وتتابعَ الإطلاقُ ، وارتفعَتْ زَغاريدُ النِّساءْ
وتمَلْمَلَتْ أوصالُ إنسانٍ يُغَمْغِمُ في استياءْ
ـ لِـمَ لا دَعيهم يَضْحَكُونْ
أفليسَتْ الدُّنيا لهم يتخيَّرون ويَتركونْ ؟
مَـنْ أنتِ ؟ نامي دونَ ثرثرةٍ غداً يَتَذَكَّرونْ
هذي الحُثالةَ
ـ لا تُعربِدْ . . لستُ أجْهَلُ مـنْ ان أكونْ
إنّي أحاولُ دُونَ جَدْوى أن أقرَّ وأَنْ أنامْ
ـ لِـم تَهْرفينَ إذَنْ ؟؟
ـ ألا تُلقي على هذي العِظامْ
شَيْئاً لِتَسترُها ؟ أيُبقي شَكْلُها في مُقْلَتَيكْ
نوماً ؟ ألا حاوَلْتَ يوماً أنْ تُحِسَّ بما علَيكْ ؟
تَتَزوَّجُونَ وتُنْجِبونْ
وَتُطالبونَ بأنْ نَزيد ، ويأكلونَ فتغْضَبونْ
مَـنْ لي بأنْ أُهديكَ أولاداً وليس لهم بطونْ !
ـ نامي وإلاّ نمتِ مُكْرَهةً غداً يَتَذَلَّلونْ

سيوزّعونَ اللحمَ ، سوفَ نذوقُ مِمّا يأكلونْ
سَنذُوقُ لحماً تَفْهَمينْ ؟
ـ أَجَلْ سَيفْتَحُ ألفَ بابْ
عظمٌ غداً يُلقى إلينا سوفَ لا يَبْقى عَذابْ
عظمٌ سيَجْعلنا نهزُّ ذيولَنا مثلَ الكلابْ !
يَتصدَّقونَ عليك . .
ـ ماذا ؟ إخْرَسي . . يَتصدَّقونْ ؟؟
أأنا ؟ عليٌّ أنا ؟ أنا « علوان » ، هم يَتَصدَّقونْ ؟؟
أنا يا بليدةُ مَـنْ يكدُّ . . أنا أكدُّ ويأكلونْ

وجرى عتابْ
وَتَستَّرَ القَمَرُ البريءُ كأنَّـهُ اسْتَحيى فغابْ
وسرى على كلِّ السطوحْ
طيفُ النُّعاسِ فأغْفَت النَّجوىٰ ، ونامَتْ كلُّ روحْ
وَبَناتُ آوىٰ في السُّكونْ
يُلقينَ أمواجَ السَّلام على المسامعِ والعيونْ .
مندلي ـ ١٩٥١

سل

لِـمَ لا يَقُونْ
أجسامَهُم هذا العَناء ، أَما تراهم يَلْهَثُونْ ؟
عشرونَ يوماً ، لم يَحيدُوا ، كلَّ يومٍ يُقبِلُونْ
يَتَجَمَّعون هناكَ ثمَّ يُحَدِّبونَ ويَحفرونْ
عشرونَ يوماً ، يحْفُرونَ ، ويلْهَثُون ويَسْعلُونْ
تلكَ الجنَازةُ قبلَ يومٍ كانَ صاحبُها هنا
كانوا كما هُم ، يَحْفُرونَ ويَلْهَثُونَ ويَسْعلُونْ
ورَأَيْتُهُ لمّا دَنا
مِنْ فجوةِ القبرِ الصَّغيرةِ قبلَ أن يُحثىٰ التُّرابْ
فيها وتمتمَ إيهِ انَّ أباكَ يقرَعُ كلَّ بابْ
ويدورُ يَسْأَلُ كلَّ مَـنْ يَلْقى ، ويَنْتظرُ الجَوابْ
لا تَكتئِبْ سيجيءُ بعْدَكَ فهوَ يَسعلُ في جنونْ

بل هُم جميعاً يَسْعلُونْ
وَحَثا التُراب   وها هَوَ الأبُ في جموعِ الآخرينْ
يَحْثو الترابَ على الجنازةِ   إنَّه رجلٌ أمينْ
فلقدْ وَفى دَينَ ابنِهِ   وَلَهُ ، لَهُ أيضاً ديونْ
حَسناً   سَيُوفى بعدَ حينْ
فهُمو جميعاً يَسْعلُونْ   !

منذلي ـــ ١٩٥١

من حياتنا

أَدْري بأنَّكِ رغمَ هَوْلِ الدَّاءِ لا تَتَكلَّمينْ
أَدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
وتُغالِطينَ المَوتَ خِشيةَ أن أراكِ   أنا المريضْ
تَتَأَلَّمِينْ
أَدْري بأَنَّكِ تَنْزَعينْ
ويكادُ يَقْتُلُني ، أنا الخاوي اليَدَيْن ، أنا المَهيضْ
مَرْآكِ قُربي تَضْحَكِينْ
كَيْلا تُعذِّبَني شَكاتُكِ   ليتَ أَنَّكِ تَشْتَكينْ

ماذا بوسْعِكِ أنتِ يا أُمّاً لسبعةِ أشقياءْ
طَوَّفْتِ حتى بالحليبِ ، أعزَّ أيامِ الشتاءْ
تَتَخَبَّطينَ مع الشّروقْ

فوقَ الوحولِ ، وَنَعْلُكِ المَهروءُ يَوسِعُ مِنْ شُقوقْ
قَدَمَيْكِ لَنْ أنسى رجوعَكِ ذاتَ يومٍ تَلْهثينْ
كُنّا جميعاً نائمينْ
فَقَبعتِ ، كي لا تُوقِظِينا ، في سكونٍ تَنْشِجينْ
ونَهَضْتُ فانْقَطَعَ البكاءْ
فرأيْتُ بينَ الطينِ في قَدَميكِ آثارَ الدّماءْ

ما زلتُ أذكُرُ كيْفَ قُلْتِ وأنتِ تُخْفينَ الدّموعْ
لم أستطِعْ إخراجَ رِجلي والنِّعال من الوحولْ
وَخَشيْتُ أُبطىءُ في الوصولْ
قد يَغْضبونْ
إنْ أرجَعوا بيَدي الحليبَ فما عَساني أنْ أقولْ
لأولئكَ الأطفالِ إن أخفَقْتُ ماذا يأْكُلونْ
فَتَرَكْتُهُ ومضَيْتُ حافيةً فخَانَتْني قوايْ
ووَقَعتُ فانْسَكَبَ الحليبْ
شُلَّتْ يَداي

ما خَانتاني قبلَ هذا اليوم   أقدامي تَهونْ
لكنْ صِغاري ، والدروسُ تَطولُ ، ماذا يأكُلونْ؟
ما زِلتُ أذكرُ كلَّ شيءٍ   كيفَ كُنتِ تُردِّينْ
الدَمعُ في عيْنَيكِ ، والنَّعلُ العَتيقُ دمٌ وطينْ
وتُرَدِّدينْ
« لا لَنْ أبيعْ
طَوقي فما زالَ المُلَقِّحُ فَوقَ أعناقِ النَّخيلْ
تسعونَ يوماً والبَشيرُ يَلوح   »[1]
والدَّرْبُ الطَّويلْ
تَنْسابُ مِنْ قَدَميْكِ في أطيانِهِ بُقَعُ النَّجيعْ

أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
أدْري   وأَدْري أنَّ أُختي ما تزال على الحَصيرْ
تَرْنُو إلى كلِّ الوجوهِ ، ولا تَئِنُّ ، ولا تَقولْ

---

(١) من أغنية جنوبية باكية

ما بيع طوكي والملكح بالنخل   تسعين ليلة والبشير يلوح

وَتَوَقُّدُ الحُمَّى بأعظُمِها الصَّغيرةِ   والذّبولْ
والضَّعف   الضَّعفُ المخيفُ يَروعُ مَضْجَعَها الصَّغيرْ
لِفَراغِهِ وذبولِها   لكنَّها لا تَسْتَجيرْ
تَتَوَقَّدُ الحمّى بجبْهَتِها وَيَعْصرُها اللهيبْ
وتَجفُّ في صَمْتٍ كئيبْ
كورَيْقَةٍ سَقَطتْ وجَفَّتْ مِنْ ورَيْقاتِ الخَريفْ
« الطفْلُ لا يَتحمَّلُ التَيفو فما بالُ الضَّعيفْ ؟ »
كُنّا نُردِّدُها وتَسْمَعُنا وتنظرُ في ذهولْ
نحو العيونِ المُحدِقاتِ ، ولا تَئِنُّ ، ولا تَقولْ

أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
وبأنَّ طفلَتَكِ الصَّغيرةَ ملءَ عينِكِ تَسْتَحيلْ
شَبَحاً يُلَوِّحُ بالرَّحيلْ
وأخي يُقطِّعُهُ السُّعالْ
سنتانِ   عمرٌ ليس يَدْفَعُ عَنْهُ آلاماً ثِقالْ
وأراكِ قُرْبي تَسْكُتينْ
أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينَ وإنْ تكوني تَضْحَكِينْ

ماذا بوسْعِكِ أنتِ   حتى الشَّيخ   العَوْنُ الأخيرْ
غامَتْ على عَيْنيهِ أهوالُ الحياةِ ، وما يَزالْ
يَسْتَنْزِفُ الضَّوءَ الأخير بِمُقْلَتَيهِ على الرِّمالْ
لِيَمُدَّ شيئاً في حياةِ المُبْصِرينَ   هوَ الضَّريرْ

ما زِلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ رغمَ إيغالِ السِّنينْ
وأكادُ أُبْصِرُهُ ، وأُبْصِرُ صَرْخَةَ الأمَلِ القَتيلْ
أملٍ قَطَعْتِ بهِ السِّنينَ تُكافحينَ وَتَرقبينْ
شَبَحَ المُلقِّحِ في النَّخيلْ
إني أكادُ أراهُ   أبصرُ ذلكَ القلبَ الطَّعينْ
في مُقْلَتَيكِ وأنتِ قربي رغمَ دائِكِ تَضْحَكينْ

أدري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
أدْري بأنَّكِ رُغمَ هَوْلِ الدّاءِ لا تَتَكَلَّمينْ

السعدية ــ ١٩٥٥

ميلاد في الموت

تَمُرُّ بي ثَوانْ
أُحسُّ فيها بفراغٍ يُشْبهُ الضَّياعْ
ها نحنُ لِا أمانْ
لا قوتَ ، لا مصير غير الموتِ والسُّكونْ
أخي ، أُخَيّاتيَ ، أُمّي ، كُلُّهم جِياعْ
أُحِسُّ بينَهم جميعاً أنَّني مُهانْ
مُكَبَّلٌ ، جَبانْ
لُقمَتُهم سَلَبْتُها وقُلْتُ تَسعَدونْ
غداً سَتَسْعَدُونْ
غداً ، غداً يَلوحُ حتى غَدُنا خِداعْ
وَيُجْفِلُ الضَّميرْ

لسْتُ أَعي شيئاً ولكنْ ، أَشْعرُ الدّموعْ
تجولُ في عَيْنَيَّ حتى تهدأَ الضّلوعْ
فلا يعودُ غيرُ شيءٍ مُبْهَمٍ صَغيرْ

وبينما أَسيرْ
ومُقْلتايَ تَرْقُبان النّاسَ في الطَّريقْ
أُحسُّ بالحياهْ
أُحِسُّ أنّني أُحِبُّ كلَّ مَنْ أراهْ

أكادُ أسْتَوقِفُ إنساناً على الطَّريقْ
لكي أُحَيِّيهِ . . يكادُ دونَ أنْ أعي
يَنِدُّ مِن فمي نِداءٌ : أيُّها الصَّديقْ
يا أصدقائي . . إنَّكم . . إنّي . . ولا أقولْ
شيئاً ، وأمشي بينَهم وأدمعي تَجولْ
أُحسُّها تَجولُ في عينيَّ مِن جديدْ
لكنّني سَعيدْ

بغداد ـــ ١٩٥٦

فِي منـدلي

« من ايام المرض »

وتثاءَبَ المقهى ، وأغلَقَ بابَهُ الخَرِبَ العَتيقْ
وخَلا الطريقْ
إلاّ مِن الكاوي يُثَبِّتُ قُفْلَ دكانٍ صَغيرْ
وصديقُهُ الحلاّقُ يَرْمقُهُ . . وشَحّاذٌ ضَريرْ
يَسعى كعادَتِهِ الى المقهى ، بقايا مِن عِظامْ
تَتَسلَّقُ التَّخْتَ العتيقَ وتَسْتَقِرُّ لكي تَنامْ . .

وَ أخَذْتُ دَرْبي في شرودْ
عيناي غارقتانِ في ذاتي ، وذاكِرَتي تَعودْ
بي للوراءْ . .
لي أصدقاءْ
ماذا تُراهُم يَفْعَلُونَ الآن ؟؟ ها هوَ ذا المساءْ
مَعْبودُ دنيانا هناكْ

كم شَدَّ أهواءً إليهِ وكم تَنفَّسَ عن رَجاءْ
وكم التقَتْ فيهِ رَغائبُنا. وكَمْ كنّا نَشاءْ

لي أصدقاءْ
لي جَنَّةٌ ضاعَتْ هناكْ.

وانسَدَّ بابْ
وتَدحرَجَتْ كُرَتان خَلْفَهما أَبٌ وسوادَتانْ
تَتَراطَنانِ وتَبْعُدانْ
وانْسَلَّ صوتُهُما رويداً ثم أبعَدَ ثم غابْ

لي أصدقاءْ
ما زالَ ملءَ دمي خيالُهُمُو ، وما زالَتْ هُناكْ
عينانِ تَلْتقيانِ سهواً بالعيونِ وتَهميانْ
فاتَ الأوانْ
انَّ الذي خِفناهُ كانْ
وارْبَدَّ صوتٌ « لا أُريدْ

خُذْ طفلَكَ الملعونَ واترُكْني أَفِرُّ فلا أراكْ
لا أنتَ ، لا ابنَكَ ، لا أَباكْ »
عُودي فصاحَتْ لا أُريدْ
ما دُمْتَ تُقْسِمُ كلَّ يومٍ ثمَّ تَسْكَرُ مِن جَديدْ ! »

وانْسَدَّ بابْ
وتسابَقَتْ جُثَثٌ وَأَيْدٍ ، والتَقَتْ ، وَعَلا سُبابْ
وَتَهافَتَ الأَعْوالُ شيئاً بعدَ شيءٍ ثمَّ غابْ

سُحْقاً لهم لِــم يَشْرَبُونْ
ما دَامَ هذا الكأسُ يَشْرَبُهُم ويشربُ ما يَعُونْ !

وَمَشَيْتُ في ضَجرٍ وَضِيقْ
رجلٌ صَفيقْ
أدْمى رُؤايَ وما أزالُ أسيرُ في بَدْءِ الطَّريقْ

ومضَيتُ ألْعَنُ كلَّ شَيءْ
قد كِدْتُ أُبصِرُ مُقْلَتَيها
سُحقاً لها مِن بلدةً ولكلِّ مَن يحيا عليها !

وَتَصايَحَتْ بعضُ الكِلابْ
وأَطلَّ وجهٌ ثمَّ غابْ
وَتَساقطَتْ « أهلاً وَسَهْلاً » مِن فَمي مثلَ السُّبابْ . . !

تَبّاً لَهُ ، ما زالَ نَفْسَ الشَّكل الطُّولُ البَغيضْ
والنَّظْرةُ الصَّفْراء ، والأَنْفُ المُقوَّسُ ، والشِّفاهْ
كالقَرْحَةِ الزَّرقاءِ تَدْفعُ للتَّقزُّزِ مَـنْ رآهْ
وَيلُمَّ مَـنْ وَلَدَتْهُ هَل وَجَدَتْ بِمَذْأبةٍ أباهْ ؟!

حَقاً مَريضْ
منذُ الصَّباحِ شَعَرْتُ بالحمَّى فَلَمْ أعبأْ مَريضْ
عَيْشي بِرِمَّتِهِ هُنا مَرَضٌ . . حياةٌ في حَضيضْ

« بيك لاخ تعالْ »
وعَلا سُعالْ
وتَحَشْرَجَ الفَمُ بالشَّهيقْ
ثمَّ استقَرَّتْ بَصْقَةٌ كُبرى بقارعةِ الطَّريقْ

ما زال « جورجُ » هنا . . عجيبٌ أمرُهُ ، لِـمَ لا يَنامْ
أَفَلَمْ يَزَلْ يَرْجو زبائنَ . . أيُّ زِنديقٍ كبيرْ
يأتيهِ في هذا الظَّلامْ ؟؟
ـ « تَفَضَّلْ . . ولو فَـدْ بيك . . » وراسِكَ لا أُفضِّلُ أنْ أسيرْ

ما أضيعَ الإنسانَ في هذي الخرائبِ والقبورْ
حتى الرِّفاق ، مِن المدارسِ ، للمقاهي ، للخمورْ
يسْتَنْزِفونَ بها الضَّميرَ ويقْتُلونَ بها الشّعورْ . .

وأنا ؟ أَلَـمْ أقْبَعْ هناكْ
كالآخرين ؟ أَلَـمْ أُحدِّثْ بالتَّوافِهِ ذا وذاكْ ؟
هيهات . . عَينُكَ أنتَ تُبْصِرُ كلَّ شيءٍ ما عداكْ !

أهلاً « سَعيدْ »
أيُّ امتحانٍ ؟؟. . لا   غداً سيكونُ موضوعٌ جَديدْ

عِندي غداً دَرْسانِ   إيهْ
النَّحوُ قبلَ النَّومِ ما أشهى نعاسَ العينِ فيهْ   !

سُحْقاً لَها من مُعمياتْ
ماذا جنى هذا المراهِقُ   هؤلاءِ اليافعونْ
الصَّاعِدُونَ الى الحياةْ
لِيُكَفِّنوا أسمى عَواطِفِهم بما لا يفقَهونْ ؟

« قَعَدا وقامَ العاقلانْ »
ما ضَرَّ هذا لو تَنازَعَ معمَلٌ لا عاملانْ !
أفهذِهِ لُغةٌ على هذا المراهِقِ أنْ يَعيها ؟
وَ مَـنْ البَليغُ مَـنْ الذي آخى ولو حَرْفَينِ فيها ؟
لكأنَّ درس النَّحوِ يُرجى منهُ إفسادُ اللسانْ !

عندي غداً درْسان وَنْحي ، أيُّ أخْيِلَةٍ تَجوسْ
في جَانحيَّ ؟ أما كفاني أنْ سَأُفني في الدّروسْ
عمري ، وأنّي سوفَ يَجذبُني ويَدفعُ كلَّ يومْ
جَرَسٌ كناقوسِ الوَفاةْ
الوَقتُ فاتْ
وأكادُ أركُضُ ، ما يزالُ بمقلتيَّ لُهاثُ نَومْ
الوَقتُ فاتْ
ويظلُّ يَقْرَعُ ، ثمَّ يُعلنُ أنَّ نِصْفَ اليومِ ماتْ . .

وَتَلفَّتَتْ عينايَ . . ذلكَ ضوءُ مُنْعَطفِ الطَّريقْ
ثمَّ اسْتَدَرْتُ وعُدْتُ أدْراجي أنامُ وأسْتَفيقْ

منذلي ــ ١٩٥٢

صانع الأسلحة

« بعض اجواء المصنع في القصيدة مستمد من كتابات غوركي »

١

. والتفَّ ثُعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقِبُ الوَحشيُّ يَفتحُ النَّهارْ
فَأحَسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طِفْلَيهِ وابنتِهِ ، بسكينٍ تَغورْ
في بَطْنِهِ كالثَّلج فارتَدَّتْ يَداهُ عن الطعامْ
وَتَلَعْثَمَتْ شَفَتاهُ عن شيءٍ ، فَتَمْتَمَ ثمَّ قامْ

كانَ الصَّباحُ كأنَّهُ كَفَنٌ يُلَفِّعُ كلَّ بابْ
وَجَحافلُ العُمّالِ تَزْحَفُ في وُجومٍ واكْتئابْ
كَمسارِبِ الدِّيدانِ ، تَنأىٰ ، ثمَّ تغرَقُ في الضُّبابْ
وَصَفيرُ ثعبانِ البخارْ
ما زالَ يَثْقُبُ كلَّ شيءٍ ، كلَّ سمعٍ ، كلَّ دارْ

فتزمجرُ الأعصابُ في حَنَقٍ ، وَتحتدِمُ الصّدورْ
وتَكادُ تَنْفَجرُ الرؤوسُ ، تَكَادُ عاصفةٌ تثورْ
والمصنعُ المجنون يَفْغَرُ فاهُ كالوَحشِ المُريعْ
فَتَغيبُ في أحشائِهِ السّوداءِ أفواجُ القَطيعْ

وَتَمَلْمَلَ الوَحشُ الكَبيرْ
وتَحرّكَتْ في جوفِهِ الآلاتُ تَمضغُ في هَديرْ
اللحمَ والدَّمَ والضَّميرْ !

وَكَمِثْلِ أجْنحةِ الذُّبابْ
كَرَفيفِ حَشْدٍ مِن ذبابٍ تافهٍ قذرٍ يَموتْ
في كَهْفِ أفظَعِ عنْكبوتْ
تَهتزُّ آلافُ السّواعدِ في هياجٍ واضطرابْ !

وهناكَ في القَعْرِ البَعيدْ
وَبقيّةُ الإنسانِ تَصفَعُها عَمالقَةُ الحديدْ

بهدِيرِها المجْنونِ ، بالصَّخَبِ المُدَمْدِمِ ، بالصَّفيرْ
في ذلكَ الغَورِ المُزَمْجرِ حيثُ يُحْتَضَرُ الضَّميرْ
كانتْ حُشاشةُ آدميٍّ تدفعُ النَّزعَ الأَخيرْ

مثلَ العَصافيرِ الصِّغارْ
لا يَبْرَحونَ العُشَّ حتى يَضْمحِلَّ بهِ النَّهارْ
فَيُفتِّحونَ لأهلِهِم أفواهَهُم ويُزَقزقونْ
مِن حسنِ حظِّي أنَّهم لم يَبْرحُوا لا يَفْهمونْ
لا يَفْهمُونَ مِن الأَنينْ
إلاّ أنينَ المُترَفينْ
لا يَفْهمونَ بأنَّ لُقمَتَهم دماءُ الآخَرينْ !

وأثارَ عملاقَ الحديدْ
فاخْتَضَّ في خَنَقٍ وزمْجَرَ وهوَ يلْفُظُ مِن جديدْ
قِطَعاً مِن المِسْخِ الوَليدْ

لا بُدَّ مِن إحكامِ مِفْتاحِ الرَّصاصِ لكي نَعيشْ
فالموتُ في طَلْقٍ يَطيشْ
الموتُ مَوتُ الجوعِ ، أبشَعُ ما يموتُ المَيِّتونْ
ذاكَ التَّغَوُّرُ في العيونْ
والنَّظْرَةُ الوَحشيَّةُ الزَّرقاءُ تَفْغرُ في جنونْ
فَمَها لتأكلَ كلَّ شيءٍ ، كلَّ شيءٍ ، والبطونْ
تَتَخشَّبُ الأَيْدي عليها ، والصُّراخُ ، والانتحابْ
وَتَكالُبُ الغَرثى على القِطَطِ المَروعةِ والكلابْ
وفِرارُها مِن كلِّ بابْ
والخوفُ ، والهَلَعُ المدمِّرُ ، والتَّنازعُ ، والنِّساءْ
يَنْهَشْنَ مِن أطْفالِهِنَّ ويَرتَجفْنَ مِن الدِّماءْ
لا ، لَنْ يَموتُوا ، لَنْ أُسَلِّمَهُم الى هذا المصيرْ
لا بدَّ مِن إحكامِ مفتاحِ الرَّصاصِ سَنَسْتَجيرْ
بالقَتْلِ مِن هذا السَّعيرْ . . .

بالقَتْلِ ، ما دامَتْ حَياةُ الآخرينَ بأنْ نَموتْ
وتحرَّكَتْ يَدُهُ فأمْسَكَ بعضَ أشلاءِ الحَديدْ
بالقَتْلِ لنْ تَجِدَ البيوتْ
كلباً يعيشُ بها ولحمُ ابنَيَّ في فَكَّيْهِ قُوتْ !

وَبِمِثْلِ آلامِ الذَّبيحْ
كانتْ يَداهُ بكلِّ أشلاءِ البَنادقِ تَعثُرانْ
وَتُرَكِّبانِ .. وكانَ يَشْهقُ ثمَّ يزفرُ في فَحيحْ
وكأنَّهُ يَسعى ليصنَعَ كلَّ شيءٍ في ثَوانْ ...

٢

ها أنتِ جاهزةٌ رَهيبَهْ
تَتَطلَّعينَ إلى يدٍ أخرى تَمُدُّكِ بالرَّصاصْ
لِتُسدِّديهِ الى صدورٍ تكتبينَ لها الخَلاصْ
مِن هذهِ الدُّنيا المُريبَهْ

لصدورِ أوغادٍ محاجرُهُم بألفِ دَمٍ خَضيبهْ

وَتشَنَّجَتْ يَدُهُ بعنفٍ فوقَ مِقبضِها الصَّقيلْ
فَتراعَشَتْ وكأنَّ فيضَ دمٍ بحارَ دمٍ تَسيلْ
مِن لَوْنِهِ ، وتكادُ تَثْقُبُ رأسَهُ عَيْنا قَتيلْ !

لصدورِ أطفالٍ يَتامى لَم يَرَوا في الأرضِ طيبه !
لصدورِ آباءٍ عيونُ صغارِهِم أبَداً كئيبه
يَتطلَّعونَ الى الفمِ المملوءِ في دعَةٍ مُذيبه !

ورأى خيالَ ابْنَيْهِ يَبْتَسِمانِ ، وابنتِهِ الوَديعَهْ
فاختَضَّ في هَلَعٍ وَغطَّى فتحةَ النارِ المُريعَه

لِتُسدِّديهِ الى الصُّدورْ
لصدور مَـنْ لَم يَعرفوا لونَ السَّعادةِ والسّرورْ
لصدورِ كلِّ الأبرياءْ
لصدورِ كلِّ المُتْعَبينَ من الصَّباحِ الى المساءْ

لصدورِ أطفالٍ كأطفالي هُنالكَ آمنينْ
يَتَراكَضُونَ ويضْحَكون لكلِّ شيءٍ في حَنينْ
حتى إليكِ وأنتِ نَحوَ قلوبِهِم تَتوجَّهينْ !

وتَلاحقَتْ أنفاسُهُ رُعباً ، ولاحَ لهُ صِغارُهُ
دَمُهُم يَسيلُ على يَدَيْهْ
يَتَخَبَّطونَ على الثَّرى وَيُحدِّقُونَ بمُقْلَتَيْه !

يا مُجرمونْ
الموتُ يا متوحّشونْ
يا قاتلونَ دماءُ أولادي هنا .. يا قاتلونْ

وجرى الى عَرْضِ الطَّريقْ
يهذي ويَصرخُ وهو يركضُ في الشَّوارعِ في جنونْ
حتى تَقَحَّمَ بابَ منزِلهِ ..
رآهُم يَلْعَبُونْ
فتراكَضُوا ليضُمَّ أسْبَقَهم الى الصَّدرِ الحَنونْ ..!

وَبِمدخَلِ الوَحْشِ الصَّفيقْ
كانَ الرجالُ يُهمهِمونَ ويأسَفونَ على صَديقْ ..

وخلالَ ساعاتٍ عَديده
كانتْ ظلالُ سحابةٍ سوداءَ مُوحشةٍ تَحومْ
فَتُميتُ كلَّ صدىً ، وتغمرُ كلَّ شيءٍ بالوجومْ
حتى خُطى الماشي وَدَمدمةَ العماليق البليده

وخلالَ أيامٍ عَديده
كانت جماعاتُ الرِّجالِ الخارجينَ من البيوتْ
في الصُّبحِ تَصفُرُ، ثمَّ يُسْمَعُ أنَّ أوصالًا جديده
في الوحشِ توشِكُ أن تموتْ ..

٣

والتَفَّ ثعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقبُ الوَحشيُّ يفتتحُ النَّهارْ

فأحسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طفْلَيْهِ وابنتِهِ ويضحكُ في حبورْ
بسعادةٍ عُظمى ، فَقَبَّلَهُم وتَمْتَمَ في انتِشاءْ :
هيّا كُلُوا   سَتَرونَ هذا اليومَ كلَّ الأصدقاءْ
ـ وجَميعُكُم تتحدَّثونْ ؟
ـ لا بأسَ يا طفلي ، وَقَبَّلَهُ   قريباً تكبرونْ
وسَتَفْهمون
وكان ثُعبانُ البُخارِ بلا انتهاءْ
يلتفُّ في حَنَقٍ ، ويَصْفِرُ غاضباً ، والأصدقاءْ
يَتجمَّعُونَ ببيتِ صاحِبِهِم . .
ويبْتَسمُ الصِّغارْ
زهواً لكثرة ما يُداعبُهُم رفاقُهُم الكبارْ . . . !

بغداد ـ ١٩٥٢

الحصاد

. . . وكنتَ ترى فوقَ ذاكَ الحجارْ
ألوفَ المحاريثِ والحارثينْ
تُفَصِّدُ أعراقَها في القفارْ
لِتَجْني السَّعادةَ للآخرينْ
وَمرَّتْ شهورٌ. . وهَلَّ المَطَرْ
ولم تَخْنِ الأرضُ جُهْدَ البَشَرْ. .

وكانت حقولٌ. . وجاءَ الربيعْ
يَشعُّ بِأدْفأِ ما يَسْتطيعْ
عليها بأضواءِ آذارِهِ
فتزْهو كأنفاسِ أزهارِهِ

وَمَرَّتْ شهورْ
وَوَدَّعَت الأرضُ لونَ الزّهورْ
وظلَّ اخضرارُ المراعي يَمورْ. .

وَمَــدَّ حُــزَيْــرانُ نــيــرانَــهُ
إلــيــهِ فَــغَــيَّــرَ ألْــوانَــهُ !
وكـانَ جفـافٌ. جفـافٌ شَـديـدْ
وكـانَ اصفـرارُ المــراعي يَـزيـدْ

وفي كلِّ حينْ
يَحومُ المُرابي على الـزَّارعينْ
وفي مُقْـلَتَيــهِ سَمــاحٌ وَلِيـنْ
فيــرتعـدُ السُّنْبــلُ المُسْتَكينْ

لقــد كــانَ ثَمَّــةَ سِــرٌّ مُــريــعْ
يَشـدُّ الـذئـابَ لِحفْظِ القَـطيـعْ !

وذاتَ مساءْ
وبينــا غَفــا يحـلُمُ السُّنْبــلُ

سَرَتْ هَمْسَةٌ في رحابِ الفَضاءْ
تَنــاقَلَهــا الكــوخُ والجــدْوَلُ
وبــاتَ يُــردّدُهــا المنجَــلُ
غنـاءً على سحْبـةِ انمبــرَدِ

« هم المؤمنــونَ بــخيــرِ الـغَــدِ
هم الزارِعونْ
غــداً يحصِدُونْ
ومَــنْ جَحَــدَ الأرْضَ لم يَحصِدِ ! »

وكــانَ ضــيــاءُ الــقَــمَــرْ
يـمــوجُ عـلى الــسُّنْــبــلِ
عـلى الـكــوخِ والـجــدوَلِ
عـلى الـكــائـنــاتِ الأُخَــرْ
وأروَعُ مــا يَــنْــجـلي
عــلى هــؤلاءِ الــبــشَــرْ !

وكـــانـوا نِيــامــاً بمــلءِ العُيـونْ
بِمَحْصُـــولِهم في غـدٍ يَحْلَمُـــونْ

هُنا قبلَ عامْ
وفي ليلةٍ مثل هذي تموجْ
بآمالها في اصفرارِ المروجْ
وفي مثلِ ، في مثلِ هذا الظلامْ
يُفَضّضُهُ نَفْسُ هذا القَمَرْ
وَنَفْسُ الحُقولِ ، وَنَفْسُ البَشَرْ
هُنا قبلَ عامْ
تَغَنّى لهم مِنْجلٌ بالحصادْ
تَغَنّى وسادْ
وراءَ أغانيهِ صَمْتٌ رَهيبْ

وفي فَجْـرِ يــومِ الـحـصــادْ
وفي فَجْـرِ ذاكَ النهـارِ المُـــريبْ

وَبَيْنا المناجِلُ تَهوي
وتلـــكَ السَّـواعِـدُ تَطــوي
وَبَينـــا تَكَـوَّرَ ذاكَ الأمَـلْ
تِــلالًا تلاقَتْ عليهـا المُقَلْ

وَبَينا الاهازيـــجُ والهازجـونْ
وأفـواهُهُم وهمـو يُنشِـــدونْ
تَكــادُ تُقَبِّلُ مـا يَحْصِـدونْ

وَبَينا يكادُ الغِناءْ
يَسدُّ رِحابَ الفَضاءْ
سَرَتْ فيهِ وَهْوَهةٌ كالفَحيحْ ..

رُويداً عَلَتْ ، كَشَخيرِ الذَّبيحْ ..
وَفي البُعدِ ، لاحَتْ رُؤوسُ النَّخيلُ
بِعُنْفٍ تميلْ ..

وَمَــرَّتْ ثَوانٍ ثَــوانٍ رَهيبــه
تَلَــوَّتْ عَذابــاً وَخوفــاً ورِيبــه

وكنتَ تَــرى أعْيُنــاً تلتقي
ويـومضُ فيهـا بَـــريقٌ شَقي

وكانَ صَدى الرّيحِ يَعلو رويدا
فيشتَـدُّ هَـوْلًا ويَـــزْدادُ كَيْـدا

وكالقاتلينْ
محاجِرُهُم لم تَعُدْ تَسْتَكينْ ..

وراحَتْ ثيــابُهُم الخــائِفَـهْ
يُـداعِبُهـا مَطْلَـعُ العـاصفـهْ !

وَمَرَّتْ ثَوانْ
ولاحَتْ تـوَشْـوِشُ كـالأُفْعـوانْ
طَــلائعُ ليـلٍ ثَقيـلِ الـدُّخـانْ

وضــاعَ بــريــقُ المَـنــاجِــلَ
وفــوقَ تِــلالِ الــسَّـنــابــلْ
تَــرَامَــتْ وحــوشٌ تُـنــاضِــلْ
وكانَ رجاءٌ ويأسٌ ، وحبٌّ ورعبٌ يُقاتِلْ
لقد كانَ أنبَلُ ما في الحياةِ بعنفٍ يُحاولْ

ولكنَّ حُلْمَ الصَّباحْ
تَعاوَتْ عليهِ الرّياحْ .

وكنت تَرى في انتهاءِ النَّهارْ
بقايا المناجِلِ فوقَ الحجارْ
وبِـضْـعَ خُـطىً تَـرْتَـمـي فـي انكسارْ .

ولم يَمْضِ حينْ
وقبلَ امتـدادِ يَـدِ الحـاصِـدِينْ
لِتَجْمَع مـا تَـركَتْ من منـاجِـلْ

وقبلَ جفافِ عُروقِ السَّنابلْ
أطلَّتْ على الزّارعينْ
عيونُ المُرابي الأمينْ !
وفيها سؤالٌ دَفينْ

وكانَ الجوابْ
وكانَ على الأرضِ ، أرضِ الجِنانْ
وأرضِ السَّعادةِ ، أرضِ الأمانْ
يَدا بشرٍ تَخْبزانِ التُّرابْ !

ومَرَّتْ شهورْ
وَجَدَّ على الأرضِ بعضُ القُبورْ
ولكنَّ شيئاً نَما في الصدورْ
ومَرَّتْ شهورْ
وكنتَ تَرى قسوةً في الشعورْ
وحقْداً على كلِّ شيءٍ يثورْ.

وكـانَ سـنَا كـلِّ فجْـرٍ يُعيـدْ
الى الأرضِ هيكلَ مَيْتٍ جديدْ

ومَرَّتْ شهورْ
وكـانَ كـلامٌ غـريـبٌ يَـدورْ

رَوَوا أنَّهم آمـنُـوا بـالـنَشـورْ
فَشَقُّـوا الثَّرى وأزاحُـوا الصّخـورْ
ولَـمْ يَـدَعُـوامَـيِّـتـاً في الـقـبـورْ

وقالَ البَنونْ
لقـد أقسَمُـوا أنَّهـم يَـزْرَعـونْ
وقـد جَمَعُـوا كـلَّ مـا يَمْلِكـونْ
وَأزَّتْ مـحـاريثُـهم فـي جنـونْ
وطَشُّوا البذورْ
ونـامُـوا بـأطفـالِهم يَحْلَمُـونْ !

وَمَرَّ الزَّمانْ
وفي فَجْرِ يومٍ كيومِ النَّشورْ
تصاعَدَ صوتٌ عظيمُ الحَنانْ
تَغَنَّى بهِ منجلٌ في مكانْ
فماجَ الصَّدى فوقَ تلكَ القبورْ
ورَدَّدَهُ كلُّ حيٍّ جَسورْ
بصوتٍ قويٍّ حَنونٍ نَدِي

« هم المؤمنون بخيرِ الغَدِ
هم الزّارعونْ
أتَوا يحْصدونْ
وَمَنْ جحَدَ الأرضَ لَمْ يَحصِدِ ! »

وكنتَ تَرى في الصَّباحْ
أغانيَّهم للبيادِرْ
وأفراحهم والبَشائرْ
وإيمانَهم بالكفاحْ

مندلي ـ ١٩٥٢


عبد الرزاق عبد الواحد
النشيد العظيم

عبدالرزاق عبدالواحد

الشاعر الانساني

بقلم
الدكتور صلاح خالص

يسرني أن أقدم هذا المجموع الشعري لشاعر فذ من شعراء الشعب. شاعر فذ من شعراء الكفاح العنيد من أجل المُثُل الانسانية العليا.. شاعر فذ من شعراء النضال من أجل الحرية والكرامة الوطنية.. شاعر كان دائماً في طليعة الصفوف يتلقى ضربات أعداء الوطن وخصوم البشرية بصبر وعناد شاحذاً قلمه لمقارعة الظلم ومنافحة الاستبداد دون كَلَلٍ أو مَلَلٍ.

وإذا كنا نغمط في أكثر الأحيان حقوق شعرائنا المناضلين الذين نذروا أرواحهم وعصروا نفوسهم ليصوغوا من مشاعر الشعب وآماله وأمانيه أناشيد خالدة تنقلها الأجيال للأجيال، فإننا أكثر غمطاً لحق شاعرنا المبدع عبدالرزاق عبدالواحد.. شاعرنا الصنديد الذي لم يلق

سلاحه أبداً في المعركة الكبرى الدامية التي خاضها شعبنا الجبار ضد أعداء الانسانية وعبيد الاستعمار ودعاة الحرب والدمار. أقول إننا أكثر غمطاً لحقه لم نعطه ما يستحقه من تقدير ولم نضعه في محله الجدير به بين جنود الفكر وأبطال الثقافة.

لقد قيض لي أن أعرف هذا الشاب الأسمر النحيل ذا النظرات الطيبة الوادعة والقلب الكبير الملتهب. قيض لي أن أعرفه مدرساً في المدارس الثانوية تتقاذفه المدن النائية وتلاحقه تقارير الشرطة السرية حتى فُصِلَ من وظيفته وقُطِعَتْ عنه موارد رزقه، وقيض لي أن أعرفه في معسكر السعدية الذي فتحه خونة العهد البائد لأحرار الشعب من المثقفين الذين أبعدوهم عن وظائف الدولة ثم عرفته وهو يقاسي شظف العيش ويعاني مرارة الحاجة بل ويقوم بأعمال يدوية يسد منها حاجاته ويعيل أسرته الكبيرة. عرفته وقد أطبقت عليه الحياة من كل جانب، ولكنه بقي مع ذلك كله شامخ الرأس، أشم الأنف، صلب القناة، لم تهن له عزيمة أو تخبو عنده همة. بقي صامداً بثقة وإعتداد، مؤمناً بالانسانية، مؤمناً بالشعب، بالمستقبل الوضاء الذي

كنا نلمح دائماً أشعته البراقة تلوح خلال شعره فتبرد كلمة اليأس التي كانت تكتنف القلوب الضعيفة وتخيم على الأنظار القصيرة.

ولعل أروع ما في عبدالرزاق عبدالواحد هي إنسانيته العميقة، إنسانيته التي تفيض على كل شيء حوله فإذا هو يشعر ويحس وينطق ويسمو في هذا الشعور والاحساس والنطق الى أسمى درجات النبل الانساني. إن عبدالرزاق عبدالواحد لم يستطع مطلقاً أن ينظر الى نفسه فرداً مستقلاً لا صلة له بما حوله، بل كان دائماً يشعر انه جزء من الانسانية، بل ان الانسانية كلها متمثلة فيه، فهي تغني بلسانه وترقص على أنغامه ويفيض شعورها وإحساسها من قلبه. فيروي شعره ويتدفق من أبياته ليجد طريقه الى نفوس بني الانسان ممتلكاً لشعورهم وإحساساتهم. ولم يكن عبدرزاق عبدالواحد متكلفاً في ذلك أو متصنّعاً له فكل شيء في حياته كان يشحذ إنسانيته وينقّي قلبه من الأدران. فهو من أبناء هذا الشعب الذي أدمت معصميه القيود وأقرحت ظهره السياط ولكنه لم يلن ولم يستكن، انه من أبناء هذا الشعب الذي شاركوه في ضرائه وسرائه، شاركوه في آلامه وآماله، شاركوه في أحلك أيام

بؤسه وأسوأ ساعات ضيقه دون أن يخطر في أذهانهم التنكّر له أو ممالأة أحداثه. إنه من أبناء هذا الشعب الذين رفضوا تسخير أنفسهم لخدمة الاستعمار والتمسح بأذيال أذنابه، بل آمنوا بحقهم وكافحوا من أجله واثقين بالنصر، حتى كانت ثورة ١٤ تموز الجبارة وتناثر نظام الظلم والاستبداد الذي شيده الاستعمار وأذنابه قطعاً ممزقة تحت ضربات الشعب وفي مقدمته جيش العراق الباسل. ولكن عبدالرزاق عبدالواحد لن يكف عن الغناء، فهو شاعر السلام، شاعر السعادة البشرية والرفاه الانساني، لذا سيبقى شعره وغناؤه يردد آمال الانسانية في السلام والسعادة والرفاه.

وفي هاتين القصيدتين الرائعتين اللتين نقدمهما للقراء تتجلى إنسانية عبدالرزاق عبدالواحد بأروع مظاهرها وأجلى وجوهها، كما تتجلى شاعريته وإحساسه الفني.

فموضوع قصيدته الأولى «الحرب» وموضوع الثانية «السلام» القصيدة الأولى حمم مستعرة وضرام ملتهب. والقصيدة الثانية سلسل رقراق ونشيد هادىء رقيق. القصيدة الأولى غضب وحنق وسخط.

موت ودمار وخراب. والقصيدة الثانية حب وحياة. آمال مشرقة وأماني باسمة. ولكن في كِلتا القصيدتين تتجلى إنسانية عبدالرزاق التي سبق الحديث عنها قبل قليل. في كِلتيهما نرى البشرية كلها تنشد فظائع الحرب وتتغنى بنِعَم السلام. أنظر الى هذه الصورة المروعة في قصيدته الأولى من الحرب حيث تثور عوامل الشر وتزمجر شياطين الفناء والدمار !

المـوتُ ، يا حـربُ لا أبْقَيتِ مزرعةً
إلاّ وقـد هَجَـر المحراثَ راعيهـا
إلاّ وقـد حَـرَّثْتهـا النـارُ وانْتَشَـرَتْ
هامُ الضحـايا بـذوراً في نـواحيهـا !
المـوتُ يـا جُثَثَ الأطفـالِ ، إرتـفعـي
قـربانَ لـحـمٍ لـربِّ النـارِ تـأليهـا
ويـا مـدى مـزِّقي الأرحـامَ واقتـلعي
من جـوفِهـا الـطفـل شحمـاً ثم ألقيهـا

وأنتِ يـا نـارُ ،مَـن تـلك الـتـي قـبـعـتْ
الطفلُ أرهق ثـديـيهـا. أريحيهـا
يـا حـربـة اخـترقي أضـلاعهـا وذري
دمـاً يـقـطُرُ فـي ثـغْـرٍ يـنـاغـيـهـا
الموتُ. يا نار ثوري، يا دما انهمـرى
يـا لحمُ كن مِـزَقـاً يـا ريـح ذريهـا
لقـد تـبـرّمـت الـدنـيـا بـهـدأتـهـا
فـقـوّضيـهـا عـلى أشـلاءِ أهـلـيـهـا
يـا جـوع يـا جـوع احـرقْ كـلَّ سنبلةٍ
واجعـل رواهـا دمـاً من قلب سـاقيهـا
من قلبِ مَـنْ نخـر المحـراثُ أيـديَهم
لفـرطِ نخـر الثـرى حتى قضى فيهـا
دود الأراضي اسحقيهـا في أراضيهـا
وقـوّضـي فـوقهـا بـالـى مـاويـهـا

ألا ترى معي روعة هذه الصورة الصاخبة لعوامل الموت والفناء والدمار وهي تنقض على الانسانية بطشاً وتقتيلاً ، ألا تحس برعشة تعتري جسمك من أم رأسك الى أخمص قدميك حين تبصر شياطين الشر تنطلق من عقالها لتنكل بالانسانية أبشع تنكيل وتسحقها سحقاً دون شفقة أو رحمة. ألا تتفق معي أن الذي ينشد هذه الأبيات ليس عبدالرزاق عبدالواحد فقط بل الانسانية كلها ، الانسانية الحريصة على مستقبلها ، والمدركة لبشاعة الحروب.

ثم أنتقل بعد ذلك الى قصيدته الثانية « النشيد العظيم » نشيد السلام يتردد من الكون كله من الطبيعة بجبالها ووهادها وسواقيها ومروجها ، من البشر كلهم ، من الطفل الصغير والأم الرؤوم والكادح المتعب والسجين المصفد بالأغلال ، ومن كل هؤلاء البشر الذين يملأون حنايا وزوايا الطرقات ، ومن كل صورة من صور الكون وكل مظهر من مظاهر الحياة.

مِن خَريرِ المياهْ
وهي تنسابُ فوق سفوحِ الجبالْ
في سواقي الشمالْ

مِن أغاني الرعاهْ
في مروجِ الجنوب
حينَ يَغْفو عليها سكون الغروب
والدجى إذ يؤوب
مِن وميضِ كواكبِهِ في الظلام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالضياءْ
يا نشيد السلامْ

مِن ضياءِ القمر
في ليالي الخريف
واصفرارِ الشجر
بعدَ طولِ الحفيف
مِن تَساقط أوراقهِ في الألق
مِن عَزيفِ النسائمِ بين الورق

ويجيء الشتاء
مدّلَهم السماء
مِن هديرِ الرعودِ ونَقْرِ المطر
مِن عويلِ الرياح ونوح الشجر
وارتجاف الحمام
راجياً أن ينام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالرجاء
يا نشيد السلام .

مِن عيونِ الصغار
وهي تَرنُو الى البابِ عندَ الغروب
في أُنتظار أب في دياجي الحروب
كلّما اهتزَّت البابُ سادَ انتظار
واشرأبَّت قلوب
ثمَّ عادت الى بعضها في انكسار

إنه لن يؤب
مِن بريقِ الرجاءِ بتلكَ العيون
مِن وميضِ الأسى في انطباق الجفون
ترتمي في ارتخاء
وادعاً كالرجاء
حينَ يومض في أعينِ الأبرياء
يا نشيد السلام

لن أقول لك شيئاً أيها القارىء الكريم إذ لا بد أن تقرأ القصيدة كلها لتحلق مع عبدالرزاق في هذا العالم الرائع ، في هذا الكون الذي ينشد من أقصاه الى أقصاه هذا النشيد العظيم ، نشيد السلام ، نشيد المحبة والإخاء وستجد نفسك تنشد مع الشاعر ومع الكون كله هذا النشيد الرائع وتجد نفسك جزءاً لا يتجزأ من هذه الانسانية العظيمة السائرة نحو النور ، الطامحة الى السعادة والرفاه ، وستحتقر أولئك الشعراء الأقزام

الذين انطووا على أنفسهم يعبثون بعُقدهم النفسية فيزيدونها تعقيداً على تعقيد ثم يحاولون أن ينظروا خلال هذه العُقد الى الانسانية فلا يبصرون منها سوى عُقدهم وأزماتهم الشاذة ، وهكذا فلا يعبّرون إلا عن كل صورة شوهاء يستنكرها الشعور الانساني ويمجها الذوق السليم.

لن أطيل عليك أيها القارىء أكثر من ذلك ، بل أتركك مع عبدالرزاق عبدالواحد تنشد معه هذه الأناشيد الرائعة وتتمتع بهذه الصورة الفنية الجميلة ، منهياً كلمتي هذه بتحية تقدير واعجاب للشاعر الانساني عبدالرزاق عبدالواحد. تحية تقدير واعجاب لشاعر الشعب العراقي الذي لم يكل عن النضال من أجل تحقيق أهدافه وأمانيه.
تحية تقدير واعجاب لجندي الفكر العراقي الحر الذي صمد في ميدان المعركة ببسالة وعناء الى جانب إخوانه أبناء الشعب حتى تحقق النصر على أعداء الحرية والانسانية.

ولا أشك في اني لا أعبّر عن شعوري فقط ، بل عن شعور جميع الأحرار المخلصين من أبناء شعبنا الأبي.

بغداد في ٢٥/١١/١٩٥٨ **صلاح خالص**

نُظِمَتْ هاتان القصيدتان في عهد الارهاب السعيدي عام ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ وقد ضاع مع الأسف الكثير من قصيدة النشيد العظيم

الناشر

الحرب*

في قبْضَتَيْكِ اصفرارْ وَمِلءُ عَيْنَيْكِ دَمْ
ثوري فأنتِ الدَّمارْ وأنتِ أنتِ العَدَمْ

تَفَجَّري بالَّلظىٰ واطْبقي بالدُّخانْ
وَرَدِّدي ما انقضى عهدٌ ولا جَدَّ ثانْ !

تلكَ القبورُ انظري ما مادَتْ بأهليها
وازَّلْزَلَتْ وتَشَظَّى كلُّ ما فيها

ألقتْ هياكِلَها للنارِ وانْدَلَعَتْ
فانْهَدَّ سافِلُها وانهارَ عاليها

وقَرْقَعَتْ رِمَمُ الموتى يُدَحرِجُها
صَوتُ النُّشورِ ، وَغِلُّ الموتِ يَلويها

* القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري عام ١٩٥١

فتـــارةً ثـــورةُ الإنـــسـانِ تــدفَـعُـهـــا
وتـــارةً صـــرخـــةُ الـشَّـيـــطانِ تَـثْـنـيـهـــا

تلكَ انظُري قَبْضَةُ التاريخِ ، كيفَ جَرَتْ
فيهـا الـدِّمـــاءُ ، ومـا أبْقَتْ مَجـارِيهـا

وكيفَ لم يَتْـرُكِ الطغيـانُ مِـن دَمِهـــا
عِــرْقـاً بــهِ دَمُ إنـــســانٍ يُـنَــدِّيــهـــا

لم يبقَ إلاّ أنـــابيـبُ العِــظامِ سَــرَتْ
فيهـــا اللّظى حُمَـمـاً حُمْــراً تُــذَكِّـيهـــا

سَيْــلٌ مِن النـارِ مــا يَنْفَــكُّ يــدفَعُهـــا
الى الجحيمِ ، الى نَبْـــعِ اللّظى فيهـــا

فَفَجِّــري الأرضَ واسْتَعْـدي هيــاكِلَها
فــالمـوتُ هــادِمُها والمــوتُ بـانيهــا

المـوتُ ، يـا حَـرْبُ لا أبْقَيْتِ مـزرعـةً
إلّا وقــد هَجَـرَ المـحــراثَ راعيـهــا

إلّا وقــد حــرَثَتْهــا الـنــارُ وانْتَشَـرَتْ
هــامُ الضِّحـايــا بـذوراً في نَــواحيها

المـوتُ . . يا جُثَثَ الأطفـال ، إرتفعِي
قــربــانَ لحمٍ لِــربِّ النّــارِ تَــأليـهــا

ويــا مُــدى مَــزِّقي الأرحــامَ واقْتَـلِعِي
مِن جَـوفِهـا الـطِّفـلَ شَحْماً ثمَّ ألقيهـا

وأنتِ يـا نـارُ ، مَـنْ تلكَ التي قَبَعَـتْ
الـطفـلُ أرهَقَ ثَـدْيَيْهـا. أريحِيهـا

يـا حَـرْبَـةُ اختـرقِي أضـلاعَها وَذَرِي
دَمـاً يُقَـطِّرُ في ثَـغْـرٍ يُنـاغيـهـا !

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمِري
يـا لحمُ كُنْ مِزَقـاً يـا ريـحُ ذَرِّيها !

لـقـد تَبَـرَّمَت الـدُّنيـا بِهَـذْأتِـهـا
فـقَـوِّضيهـا عـلى أشـلاءِ أهـليـهـا

يـا جوعُ ، يـا جـوعُ أحـرِقْ كـلَّ سُنبلةٍ
واجعَـلْ رُواهـا دَمـاً مِن قَلْبِ سـاقيهـا

مِن قلبِ مَنْ نَخر المحراثُ أيديَهُم
لِفَرْطِ تَنْخرِ الثُّرى حتى قَضى فيها

دودُ الأراضي اسحَقيها في أراضيها
وَقوِّضي فوقها بالي مآويها

تَرَصَّدي باللظى أكواخَها وَذَري
شُمَّ القصورِ ، فَلِلجُدْرانِ حاميها

النارُ أدرى بأنَّ الكوخَ مِن قَصَبٍ
يُورى ، وأنَّ صخورَ القَصْرِ تُعييها

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمري
يا لحمُ كُنْ مِزَقاً يا ريحُ ذَرِّيها

ثُوري اعصفِي دَمِّري مـا شِئْتِ واكتَسحِي
انقـاضَـهُ لِتـزيـدي الأرضَ تَشْـويهـا

يـا حربُ ، الأرضُ لَن تنفَكَّ مُجْـدِبـةً
حـتـى يُـهـيَّـأُ طـوفـانٌ يُـرَوِّيـهـا

فَـمَـزِّقي كـلَّ طـفـلٍ في لَـفـائفِـهِ
وَعَـوِّضـي أُمَّـهُ دَمـعـاً يُـعَـزِّيـهـا

وَهَشِّمي كـلَّ شيخٍ ، كـلَّ مُنْهَـدِمٍ
وشَـوِّهـي كـلَّ عـذراءٍ وأَبْـقـيـهـا

أبقِي مُسـوخـاً لأهـلِ الأرضِ مُنْتِنَـةً
فَـرُبَّـمـا تَعِظُ الـدُّنـيـا مَـرائيـهـا !

في قبضَتيــكِ اصفِرارْ ومــلءُ عَــيْـنَــيــكِ دَمْ
ثـوري فـأنتِ الــدَّمارْ وأنــتِ أنــتِ الــعَــدَمْ

تَـفَـجَّــري بــالــلَّظى وأطبِقـي بــالــدُّخــانْ
وَرَدِّدي مــا انقضـى عهـدٌ ، ولا جَـدَّ ثــانْ

فَـلَمْ يَـزَلْ للحــديــدْ والــنَّــارِ مــا يُــوقَــدُ
ومــا يَــزالُ الـعَـبـيــدْ سُــوداً لِيُسْـتَعْـبَــدوا !

ميعــادُ أُسـطورةِ الألــوانِ قــد حــانــا
يا صَرْخـةَ العبدِ ، هِـزِّي الكونَ إيـذانا

وَفَجِّـري في دَمِ الـطاغــوتِ عــاصفــةً
تُــرديــهِ أو يَفهمَ الإنســانَ إنســانــا !

تَفَجَّـري وامـلأي الآفـاقِ مـوجِـدَةً
حـتـى تَـفَـتُّـحَ أبـصـاراً ، وآذانـا

حتى تُحيلي سكـونَ الليـلِ صـاعقـةً
وتُضـرِمي ملءَ جَـوفِ الأرضِ بُـركـانـا

لنْ يفـهَمَ الـسيِّـدُ الـمغـرورُ فـلسفـةً
غيـرَ اللَّظى فامـلأي عينَيـهِ نيـرانـا !

قـولـي لَـهُ إنْ يكنْ يَعلو فـأنَّ دمـاً
يَجري بـأعـراقِـهِ مِن جُـرحِ قَتلانـا

وأنـذريـهِ فَـفـي أَعـراقِـهِ سِـمَـةٌ
منّـا بـأنْ سوفَ لا نَنسى ضَحـايـانـا !

لا تَـرهبي صـرخـةَ العبـدِ الفَنـاءَ فمـا
تفنىٰ الحيـاةُ ، وإنْ خـانَتْـكِ أحيـانـا !

مـا المـوتُ إلاّ بـأنْ نَحيـا ونحنُ نـرى
أنّـا العبيدُ ، وبعضَ النـاسِ مـولانـا !

مـا المـوتُ إلا بـأنْ نَعمى ونحنُ نـرى
مـا المـوتُ إلا بـأنْ نـرضى بمـا كـانـا

ثُـوري انذري دَمنـا ، يا طـالَمـا نـذرَوا
دمَ الشعـوبِ لِـرَبِّ النـارِ قُـربـانـا

إنْ تحَـطِمي قيـدَ رِقٍّ عن مَعـاصِمِنـا
تُحَـطِّمي ألفَ قيـدٍ في حنـايـانـا !

ثُوري فقد جُنَّ في الأرضِ الدَّمارُ فما
يــدري أيَـهــدِمُ أمْ يَبْـني لـمـوتـانـا

مـا عــادَ حتى لِشلْوِ المَيْـتِ حُـرْمَتُهُ
صـارَ اللَّظى جَدَثـاً ، والريـحُ أكفانـا !

يـا صرخـةَ العبدِ ، ما ناديتُ لو حضَنَتْ
روحُ السَّــلامِ وحبُّ النـاسِ دُنيــانــا

ولا تَــمَــرَّدْتُ لــولا أنّ فــيَّ بــحــ
قُ العيشِ لي ولكــلِّ النـاسِ إيمــانــا

فـإنْ حُـرِمْنـا حيـاةَ النـاس ، لا خُلِقَتْ
فينـا الحيـاةُ ، ولا عــاشَتْ بَقـايــانـا !

عَبـدٌ حقيـرٌ يَثـورْ		وَيــلٌ لَــهُ مِن شَقـي
تَـفَـتَّـحي يـا قـبـورْ		لِــلحـمِـهِ الأزْرَقِ !

إسفَـحْ دمـاً يـا حـديـدْ		ودَمــدِمــي يــا نــارْ
لـم يَبـقَ إلا الـعـبـيـدْ		لِيُـصـبـحـوا أحــرارْ

الأرضُ لـن تَسْـتكيـنْ		إلا الــى الــطُّوفــانْ
يـا نارُ ، بِنتَ الجنـونْ		لا تَــرْحَمي الإنسـانْ !

تَسَلَّحي بـالـدِّمـا والصُّلْبِ والنـارِ
وَحَكِّمي في الـبَـرايـا كـلَّ جَـزَّارِ !

وحـارِبي كــلَّ فكـرٍ ، كــلَّ مُعْتَـقَـدٍ
والـويلُ ، ألـويـلُ للمُسْتَنكـرِ الضّـاري

السِّلمُ أنْ يستكينَ الناس: أنْ يَذَروا الفو
ضىٰ ، وأنْ يهدأوا أو فالـدَّمُ الجاري !

الـسِّـلمُ أنَّـكَ إنْ يَـصفَعْـكَ مُـجْـتـرِمٌ
تُـدِرُ لَـهُ الخَـدَّ إغضـاءً عن الثـارِ !

السِّلمُ وَيْحَـكَ أنْ تُغضي وأنـتَ تـرى
لِـصّـاً بـدارِكَ إبقـاءً عـلى الـدارِ !!

فـإنْ تَفُـهْ فَـدَويُّ النـارِ أعـظمُ مِن
لَغْطٍ تُحَشْـرِجُـهُ في صَـدْرِكَ الهـاري

النـارُ ، النـارُ قَـوْلُ الفَصـل لـلنـارِ
فَـحَـكِّـمـيـهـا تُـقَـوِّمْ كـلَّ مـنـهـارِ

وَسَلِّطيها على أرضٍ بآهلِها ·
تُبَعْثِر الناسَ لحماً فوقَ أحجارِ

أو يَفْهمَ الأغبياءُ الصُّفْرُ أنَّكِ لم
يُقدِمْكِ إلّا حنينُ الجارِ للجارِ !

أيْ بِدْعَةَ الظالِمِ المُسْتأسِدِ الضّاري
تَقَايضي دمَ إنسانٍ بدولارِ !

أنجَزْتِ قِصَّةَ كوريّا فهل تركَتْ
كَفّاكِ غيرَ الخَنا والخِزيِ والعارِ

انْجَزْتِها فاسألي هل كنتِ سيِّدةً
أَمْ كانَ جيشُكِ عَبْداً بين أحرارِ !

وهلْ قضَيتِ على صوتِ الشّعوبِ.. بَلى
لــو كـانَ يُـطْفـأُ وَقْـدُ النـارِ بـالنارِ!

هـا تلكَ تـونسُ ثـارَتْ فـاسفَحي دَمَهـا
مـا دامَ سِلْمُـكِ يُملى بـالـدَّمِ الجـاري

هِذّي اسجِني شَرِّدي الأحرارَ، لن تَجِدي
إلا دويّـاً وإعـصـاراً بـأعـصـارِ

قـولي لهـا وهيَ في بُـركـانِ ثـورتهـا
أمـامَكِ المـوتُ والأغلالُ، فـاختـاري

لَـعلَّهـا تَـرعـوي عـن غَيِّهـا فَتـعي
انَّ السَّـلامَ خضـوعُ العبـدِ للبـاري!

أيْ بِدعةَ الظالمِ المسْتأسِدِ الضّاري
أيْ أطبِقي باللَّظى ليلاً على السّاري

ها مصرُ والدَّمُ لم يَبْرَحْ يُعانقُهُ
موجُ القَنالِ فَيُذكي شهوَةَ الثارِ

لا تُخْمِدي النارَ عنها فالقنالُ دَمٌ
يُرغي وَيُزبِدُ تَيّاراً بتيّارِ

لا تُخمدي النارَ حتى يَهدأ الواري
أو يستحيلَ كهوفاً صدرُها العاري

إذ ذاكَ في كلِّ كهفٍ شَيِّدي نَصَباً
للسِّلمِ ، تذكرةً يا شَرَّ تَذكارِ !

لِلسِّلمِ تَذكرَةٌ يا شَرَّ تَذكارِ
سِلْمٌ يَرِفُّ على لَحمٍ وَأطْمارِ

وذلكَ الشَّامخُ الزَّاهي بشُعْلَتِهِ
تمثالُ حُرِّيةٍ أمْ سِجْنُ أحرارِ !

لقد جنَيْتِ على الدُّنيا فلَنْ تَجِدي
في كلِّ أرضٍ سوى جرحٍ وثوّارِ !

وما يَزالُ النِّدا مُغلغِلاً في الفَضاءْ
وما يَزالُ الصَّدى يُعيدُ دونَ انتهاءْ

لا تَسْتَثيروا الضَّرامْ ولا تُريقوا الدِّماءْ
الأرضُ بنتُ السَّلامْ ولِلشعوبِ الإخاءْ
الأرضُ بنتُ السَّلامْ ولِلشعوبِ الإخاءْ !

النشيد العظيم

مِن خَريرِ المياهْ
وهي تَنْسابُ فوقَ سفوحِ الجبالْ
في سواقي الشّمالْ

مِن أغاني الرُّعاهْ
في مروجِ الجَنوبْ
حينَ يغفو عليها سكونُ الغروبْ
والدُّجى إذْ يَؤوبْ
مِن وَميضِ كواكبِهِ في الظَّلامْ
تَرتمي في ارْتِخاءْ
رائعاً كالضياءْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

حينَ يحنو على المهدِ عند المنامْ
قلبُ أُمٍّ رَؤومْ
تَتَغنَّى لطفْلَتِها كي تَنامْ
كانَ كلُّ أمانيّها لو تدومْ
لوحَيدتِها يا نشيدَ السُّلامْ

في الدُّجى إذْ تَعودْ
أرجُلُ الكادحينَ بـأثْقالِهـا
بـالظهـورِ وداثِرِ أسمـالِهـا
في الدُّجى إذْ تعــودْ
النفـوسُ بـظالمِ أتعـابِهـا
والجراحُ بقاتـلِ أوصابِهـا
في الدّجى إذْ تَعودْ
ما الذي تَرتجِي غير ان تَسْتريحْ

أنفُسٌ كالحِطَمْ
غيرَ أنْ تستكينَ كُلومُ الجَريـحْ
بعــدَ طـولِ الألَمْ
غيــرَ أنْ تستكـينْ
بعـدَ طولِ الأنينْ
بينَ أطفــالِهــا أنـفُسُ الكــادحـينْ

في الظلامِ العَميقْ
حين يمضي مع الصَّمتِ ظِلٌ يسيـرْ
وَحـدَهُ في الطريقْ
أيُّ شيءٍ يُحفِّزُهُ للصَّفيرْ
غيرَ هذا الشعورِ بأنَّ الحَدَقْ
تَتَــرصَّـدُهُ مِن خِــلالِ الغُصـونْ
مِن خِـلالِ الوَرَقْ

غير هذا السُّكـونْ
بَعْـدَهُ مـا يكـونْ
رَهْبَـةٌ أمْ سَـلامْ!

مِن ضيـاءِ القَمَـرْ
في ليالي الخَريفْ
واصفـرارِ الشَّجَـرْ
بعدَ طولِ الحَفيفْ
مِـن تَسـاقُطِ أوراقِـهِ فـي الألَقْ
مِن عَـزيفِ النَّسـائمِ بينَ الـورَقْ
وَيـجيءُ الـشتـاءْ
مُـدلَهِمَّ السَّمـاءْ
مِن هَـديرِ الـرُّعـودِ وَنقْـرِ المَـطَرْ
مِن عَويلِ الرِّياحِ وَنَـوْحِ الشَّجَرْ
وارتجـافِ الحَمامْ

راجيـــاً أنْ ينـــامْ
تَرتمي في ارتخاءْ
رائعاً كـالــرَّجـاءْ
يـا نشيـدَ السَّــلامْ

من عيـونِ الصِّغارْ
وهيَ تَـرنو الى البـابِ عندَ الغروبْ
في انتظارِ أبٍ في دياجي الحـروبْ
كلَّما اهتَزَّت البابُ سادَ انتظارْ
واشْــرأبَّـتْ قلوبْ
ثمَّ عـادَتْ الى بعضِهـا في انكسـارْ
إنَّـــهُ لَــنْ يـؤوبْ

من بـــريقِ الـرَّجــاءِ بتلكَ العيـــونْ
مِـن وميضِ الأســى في انــطبــاقِ الجفونَ

تـرتمي في ارتخاءْ
وادعـاً كـالـرَّجـاءْ
حين يُـومضُ في أعيُنِ الأبـريـاءْ
يا نشيدَ السَّـلامْ !

مِن حنايا الدروبْ
حينَ يـمـلأهـا أبـريـاءُ البَـشَـرْ
الصِّغـارُ الـذّنـوبْ
الصِّغـارُ النُّهى ، ألصِّغـارُ القُلوبْ
جيلُنـا المـنـتـظَـرْ. . !
حينمـا يمـلأونَ حنـايـا الـدّروبْ
بعدَ وقتِ الغروبْ
يَسْبَحـون بمـوجِ ضيـاءِ القَـمـرْ
وهُـمـو يَلعبـونْ

يَصْـرَخـون وَيبكــون أو يضحكَـونْ

مِن صدى ضِحْكِهم وهو روحُ السَّلامْ
يَـتفَـجَّـرُ حتـى بـقـلبِ الـرِّجَـامْ
تــرتــمــي فــي الــدّروبْ
ســاذجـاً مثـلَ آمـالِ تلكَ القلوبْ
لِتَقيهــا بشـاعــةَ مـوتِ الحــروبْ
وَتُـبَـقِّـي مــلاعـبـهــا فـي ســلامْ
يــا نــشــيــدَ الــسَّــلامْ !

مِــن جــنــونِ اللصوصْ
اللصــوصِ الكبارْ
حينمــا يسمعــونَ وميضــاً يُـنــارْ
حــولَ سِلْمٍ قريبٍ بـإحدى الـدِّيـارْ
إذْ يحــومُ الكســادْ
حولَ سوقِ الـرَّصاصِ بتلكَ البـلادْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعيِ جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

واحتضارِ الشَّهيدْ
مطمَئناً سَعيدْ
بينَ أحضانِ إخوَتِهِ المُنشدينْ
مِن دَويِّ الهتافِ ورَجْعِ النَّشيدْ
وانتظارِ الجياعِ لفجرٍ جديدْ
لانتصارٍ كبيرْ
مِن شحوبِ الطغاةِ أمامَ الأسيرْ
مِن سؤالِ الجَبابرَةِ الخائفينْ
أيَّ شيءٍ يُريدْ
هؤلاءِ العَبيدْ
مِن تهاويلِ هذا الصّراعِ المُخيفْ
بينَ جَورِ الرَّصاصِ وَجَورِ الرَّغيفْ
تَرتَمي في اندفاعْ
هائلاً كالصِّراعْ
يا نشيدَ السَّلامْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعي جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

من جميعِ الصَّوَرْ
في حيــاةِ البَشَــرْ

فــي ارتعــاشِ الــيَــدَيْنْ
عنـدَمـا تَحضُنـانْ
وارتعـاشِ اليَدَينْ
عنــدمـا تَقْتُــلانْ

في ارتجاف الشِّفاهْ
عـنــدمــا تَلْتَقي
وارتجـاف الشفـاهْ
عـنـدمـا تتَّقي

من جميع الصَّورْ
في حيــاةِ البشــرْ

الحيـاةُ الـتي تـستـحِثُّ الـزَّمـانْ
نحــوَ يوم ٍ تَـرى فيه وَجـهَ الأمـانْ
يــومَ يَحْصـدُ فَـلاّحُنـا مـا بَـذَرْ
يــومَ لا يَقتُـلُ العـاطلين الضَّجَــرْ
يـومَ لا نُطرِقُ الـرأس خـوفَ النَّـظَرْ
في العيونِ الأُخَرْ!

من جميعِ الصُّوَرْ
البَشـاعــةَ في سعيِها لـلجَمــالْ
الخمـولُ الـذي ينتهَي بـالنِّضــالْ
كلُّ ما في الحَيـاه
ضِحْكُـهـا والألَمْ
مـا تقـولُ الشِّفـاهْ
أو يَــخُطُّ الـقَـلَمْ
غيـرَ لَحنٍ صغيـرْ

في صَـداكَ الكبيرْ
في صـداك الـذي ضَمَّ كـلَّ الأنَـامْ
يـا نـشـيـدَ الـسَّـلامْ !

كـلُّ آهٍ تَـلَوَّى بـصـدرٍ يَـضـيـقْ
كـلُّ شِلْوٍ سَحيقْ
حينَ يـلفظُ أنفـاسَـهُ كـي يَـنـامْ
حيثُ لا يَـستـفيـقْ
إنَّمـا يَلتـوي صـدرُهُ بـالفَحيـحْ
لا لكي يَستـريـحْ
بَـل لِيُلقي صَدىً فيـاكَ بينَ الزِّحـامْ
بـا نـشـيـدَ الـسـلامْ !



أوراق
على رصيف الذاكرة

١٩٧٠



حكاية عن البدء

مَرَّ زمانْ
حمَلْنا كلمتنا حجارة ، عصاً ، سكيناً
كانَ على كلماتِنا أن تقاتِلِ وفقَ ستراتيجية عصرِها

ومَرَّ الزمانْ
لبس بعضُنا كلمته درعاً
أثار بعضُنا كلمَتهُ ضباباً
وشَرِبَ بَعْضُنا دموعَ كلمَتِهِ حتى الدوارْ
وَظَلتْ كلماتْ
تقاتلُ دونَ صوتْ
ووفقَ ستراتيجة عصرها ،
لمْ يكنْ يُباح لها أن تُقْتَلْ

وَ بينما كُنّا نَنْسَحِقْ
نَتَعرّى
نَسْتَشْهِدْ
كُنّا نقمعُ كل شهقاتِ كلماتِنا القتيلةْ.
كانتْ كلماتُنا تمارِس قتالاً لا إنسانية فيه

ومر الزمانْ
الكلمةُ الدرعُ تصدّعتْ
الكلمةُ الضبابُ تَبعْثَرَتْ
وبدَت الكلمةُ الدمعةُ قحةً واستغفالاً
وكانَ على الكلماتِ المقاتلة أن تواصل القتالْ
وفقَ ستراتيجية عصرِها
صارت رصاصاً
قنـــابـــلْ
سبقتْنا ستراتيجيةُ العصر

فَوَقَفْنا مشدوهين
كلماتُنا تَنْطَلِق وتتهاوى على بُعد أشبارٍ من أفواهِنا
دونَ أن تَجرحْ
دونَ أن تترك أثراً لحريقْ

كانَ علينا أن نُعيدَ النظر في كلماتِنا المقاتلةْ

ظنَّ بعضُنا أنه خطأ في التكتيكْ
فَضاعَ وهو يصحِّح مواقفَ كلماته.
غَرِقَ آخرون وهم يُضَخِّمون أسلحتَهم القديمةْ
يضاعفون أحجامها
ويزيدون من قابليتها على الاندفاعِ بإطالة أعناق
وسائل اطلاقها

قلَّةٌ لجأوا الى مختبراتهم
هذهِ القِلّة آمنتْ بستراتيجية العصرْ

أنَّ علی الكلمة
لكيِ تكون سِلاحاً عصريّاً
أنْ تملك قابلية الاندفاع الهائل إلى كلٍّ
الجهاتِ في لحظةٍ واحدةْ
وإذن فعليها أن تَتَشظّى
وأن يكون تَشَظّيها ذاتياً محضاً
كالذرَّة تماماً

أنْ تكون الكلمةَ الفعل
الكلمةَ القاتلْ
الكلمةَ القتيلْ
الكلمةَ الملجأْ

تحملُ كل إنسانيتِها
تحملُ كل صراعِها معها

وحينئذٍ تَتَشَظّى
كالذرة تماماً

لستُ أدّعي لهذهِ القصائدِ شيئاً
سوى أنًّها « أنا » في يومٍ من الأيامْ
وأنًّها تلقي ضوءاً على مسيرةِ كل المعادلات
الرياضية لكلماتي
إبتداءاً من أوفرِها بداهةْ

عبدالرزاق عبدالواحد

بغداد ١٩٧٠

شيء لم أفقده

١٩٥٧

أنا لا أزالُ فلا تَظُنِّي
أنّي بغيرِكِ لا أُغنّي
فَعَلىٰ شقائي
أنا لا أزالُ كأصدقائي
للأرضِ ،
للبُسَطاءِ ،
للدُّنيا بأجمَعِها غنائي

لا تَنْدُبي ما ماتَ مِنّي
ما مات إلّا بعضُ ظنّي
أنّي حلمْتُ بطفلَةٍ تلْهو وبيتٍ مطمئنٍّ
فَلَئِن فقدتُكِ فالحياةُ بأسرِها أهلي وداري

وصغارُ إخواني صغاري
سأحبُّهُم حُبّي لأحْلامي بطفْلَتِنا الوَضيئَهْ
حُبّي لِنَظْرتِكِ البريئَهْ
وأظلُّ في ليلي لهم و لطيفِ طفْلتِنا أُغنّي
فإذا سَكَتُّ فلا تَظنّي
أنّي انتَهيتُ لأنَّني أشقى ،
وأنّي لن أُغنّي

مصرع انسان

١٩٥٤

وَكَنَجْمةٍ شقَّ الفضاءْ
وَمضى
وخَلَّفَ في الطريقْ
خيطاً عميقْ

وتساقَطتْ نُقَطُ المَطَرْ

كانتْ بعنُفٍ تَحْفرُ القَطَراتُ دَرْباً في الهواءْ
شيءٌ كثيفْ
شيءٌ كأسفنجٍ مخيفْ
تمْتَصُّهُ مَصّاً
وتَزْفرُهُ الصُّدورُ بلا ارتواءْ

وكأنَّ آلافَ الجِبالْ
تَلْتَفُّ في عُنفٍ على أعناقِ آلافِ الرِّجالْ

وعلى السّطوحْ
وعلى النَّوافِذِ والدّروبْ
كانَتْ تَدُقُّ على القلُوبْ
نُقَطُ المَطَرْ

فقر في نيسان

١٩٥٦

هُنـــا ،
في هذِهِ الوِديانْ
على الأحراجِ ،
بينَ الصَّخرِ
يُولَـدُ
يَنْبُتُ الإنسانْ
تَوائِمُ وَرْدِ كُردستانْ
بلا عِطْرٍ
بلا ألوانْ
وفي صمتٍ وفي نسيانْ
تعيشُ حياتَها وتموتُ والأزهار
في نِيسانْ

وتر وليد

١٩٥٧

وَهَجرْتُ كلَّ سنابُلي
وَهَجرْتُ أزهاري
ونأيْتُ عن داري
عن جدوَلِي الجاري
حتى فَزعتُ منَ الجفافِ ،
فَزعتُ أن أظما
وتجفَّ أوتاري

وَ هُنــا ،
على هذِي الصُّخور ،
تَسمُرَتْ قَدَمي
ألفَيتُ بعض دمي

يا أنتَ

يا أعمى

الجرحُ إمّا جَفَّ لا يَدْمَى

بارِكْــهُ

هذا نَبْعُكَ السَّاقي ؛

وسالَ دَمي

ومَدَدْتُ كفّي نحوَ قيثاري

فإذا به وَتَرٌ وَليدٌ رائعُ النَّغَمِ

خطاب الى بيرمكرون

١٩٥٧

يا صديقي العظيمْ
كمْ هَفَتْ خلفَ هامَتِكَ الفارعهْ
لِتُبارِكَ وديانَكَ الرَّائعَهْ
شمسُ يومٍ عظيمْ

كمْ تَكَسَّرتْ الرَّشَبا في ذُراكْ
واستماتَتْ هُناك
ثمَّ أغفَتْ ونامَت على ساعدَيْكْ

ثمْ على منكِبَيْكْ
دَمْدَمَ الرَّعدُ وانصَبَّ جورُ المَطَرْ
والتَوى وانحدَرْ

جارفاً غيظَهُ المرَّ عنَّ صَخرتَيْكْ
لِصِغار التُّلولْ
كمْ تَشَامَخْتَ فوقَ رِحابِ السّهولْ
باسطاً جَبَروتَكَ مثلَ الأَبِ
فوقَ خُضرِ المُروجْ
عارِضاً جبهَتَكْ
للأعاصيرِ ،
للرَّشَبا ،
للثلوجْ

يا صديقي العجيبْ
كمْ رَنَوتُ إلى مُرتَقاكَ المَهيبْ
قابعاً خَلفَ نافذتي الموصَدَه

كمْ شَعَرْتُ بشوقٍ مُلِحٍّ غَريبْ

يَحتويني إليكْ
فَحَنَنْتُ لو انّيَ أُلقي عليَكْ
أضْلُعي المُجْهَدَه
وأوسِّدُ خَدّي على راحتَيكْ

يا صديقي الوَقورْ
أيُّها المُتَشرِّبُ بالثَّلْجِ حتى قرَارِ الصُّخورْ
أيُّها المُتَلَفِّعُ بالغَيمِ في الزَّمهريرْ
طافياً مثلَ حوتٍ عَجوزٍ كبيرْ
في خِضَمِّ الغيومْ

يا صديقي العَجوزْ
هل تُحِسُّ دَبيبَ الشّتاءِ الرَّهيبْ
في ضِلُوعِكَ ،
هل كانَ فيها لَهيبْ
فانطوى واندَثَرْ

هل تُحسُّ كآبةَ وَقْعِ المَطَرْ
فوقَ ظهرِكَ ،
هل يعتريكَ الوجومْ
مثلَ كلِّ البَشَرْ

هل هَرِمْتَ ،
تَزَعْزَعْتَ ،
أمْ ما تَزالْ
شامخَ الرأسِ ،
عالي الذُّرى ،
لا تُنالْ
هائلَ الكبرياءْ
مثل عهدِكَ حينَ التَقَيْنا فَكنّا على بُعدِنا أصدقاءْ . .

بيرمكرون : جبل سامق في السليمانية

الرَّشَبا : كلمة كردية . ترجمتها العربية « الريح السوداء » وهي ريح عاتية تهب في منطقة السليمانية بشكل أعاصير محمَّلة بالثلوج .

حكاية عن البدء والمنتهى

١٩٥٦

لأهلِي أُغَنِّي
أُغنِّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عني

أُغنّي لأُمّي رَؤاها الخَوالي
أُغنّي لها وحْدَها عن صِبانا
أمانيَّها أن تَرانا
عيونَ الرجالِ

أُغنّي لها كيفَ كانَتْ تُلالي
لنا في اللّيالي
وكَيْفَ كَبِرْنا وظَلَّتْ تُلالي
على مَهْدِنا الفارغِ المُثْقَل

بآمالِها الضَّائعاتْ
بِمولُودِها الأَوَّلِ

لأُختي الصَّغيره
أُغنّي لها أُغنياتي الأثيرَه
عن الحبِّ ،
حُبّي ،
لأُختي أُغنّي
عن الناس ،
عنّي
عن الخيرِ في قلبِها المطمئنِّ
أغنّي لأُختي
أُغنّي ولنْ يَسمعَ الناسُ صَوتي

أُغنّي أخي وهو غافٍ بِحُضني

أُغنّي لهُ غَدَهُ في خيالي
وكيفَ سَأْلقاهُ بينَ الرجالِ
كبير التَّمَنّي
كريماً حبيباً كما أشْتَهيهِ
وقد أزْهَرَتْ كلُّ دنيايَ فيهِ

لأهلي أُغنّي
أُغنّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عنّي

أُغنّي أبي والبَياضَ الوَفيرْ
على وجههِ ،
والغُضونَ العَميقه
أُغنّي حياةَ كفاحٍ عَريقه
تَمَشَّتْ هدوءاً وصَمْتاً كبيرْ
على مُقْلَتيهِ ،
ودُنياً سحيْقه

يعودُ لها حينَ يَخْلُو لِنَفْسِهْ
كَكَنْزٍ ثَمينْ
يُفَتِّحُهُ بيتُ شِعرٍ حزينْ
يُذكِّره كلَّ أيامِ أُنْسِهْ
وأيّامِ بؤسِهْ
وأيامَ غَنّى معَ الآخرينْ

أُغنّي لأهلي
أُغنّي كما غَنَّتْ الناسُ قبلي
ولكنْ أُغنّي
لِوَحدي ،
ولنْ تَسمعَ الناسُ عنّي

ما يحضر في الغياب

١٩٥٦

الى بشير*

حينَ لا أُبْصِرُ عَيْنيْكَ أرى حَدَّ بلادي
وأرى أني غريبٌ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أذكرُ أنأى ذِكرياتي
كلَّ شيءٍ كان يوماً ما حبيباً في حياتي
كلَّ ما رَفَّ بِصَدرِي
السُّوَيْعاتِ التي لم يبقَ منها غيرُ شِعْري
كلَّ ما أسْعَدَني منها ،
وما أسعَدَ غَيري
وطَواها وطَواكْ
كلُّها أذْكرُها في ساعةٍ لستُ أراك

---

* اصغر اخوان الشاعر

حينَ لا أُبصِرُ عَيْنيْكَ أرى خَدَّ عِراقي
وأرى أني غريبْ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أجمعُ أسماءَ رِفاقي
ورؤىٰ أمسي الأثيرَه
كلُّها أجمعُها ،
حتى الحكاياتِ الصَّغيرَه
فأرى أوجُهَ أهْلي
كلٍّ أهلي
أهلَ مثلي
أهلَ مَـنْ في غُربَتي ،
أوجُهَ مَـنْ قاسَوا عذابي
كلُّها تَلْتَمُّ حَوْلي
في اغترابي
وأراها
فأرى كلَّ بلادي وأساها
كلَّ آلام ِ بَنيها

وأرى وجهَكَ فيها
أنت يا أصغرَ مِن أصغرِ شيءٍ في ثَراها
يا كبيراً في فؤادي
حين لا أُبصرُ عيْنَيْكَ أرى بؤسَ بلادي

الخوف والرجال

١٩٦١

يا سيِّدي لَسْنا دِقاقَ الظّهورْ
لقد تَكَوَّمْنا زماناً طويلْ
تحتَ صَليب ثَقيلْ
فأرضُنا ، وأنتَ أدرىٰ ، ليسَ فيها حَطَبْ
غير جذوعِ النَّخيلْ

وليسَ ضِيقُ الصّدورْ
مِن دأبِنا يا سيِّدي ،
فقد مَصَصْنا الهواءْ
لقد مَصَصْناهُ خلالَ الثُّقوبْ
خلالَ كلِّ النُّدوبْ
في جُدُرٍ مُشْبَعةٍ بالدِّماءْ

وَحَقِّ مَـنْ أوهَمَكْ
بأنَّنا قومٌ صِغارُ القلوبْ
لقد مَصَصْناهُ خِلالَ الثُّقوبْ
ولم نَمُتْ ،
لم نختَنِقْ كالسَّمَكْ

وقد تَعَلَّمْنا بتلكَ الكهوفْ
أنَّ لِثُقْبٍ صَغيرْ
ثُقبٍ دقيقٍ سِيَّما في السُّقوفْ
لَمِنَّةً تَعدِلُ كنزاً كبيرْ

إنَّكَ لم تَقْبَعْ شهوراً طِوالْ
في حُجْرةٍ مَليئةٍ بالسُّعالْ
مليئةٍ بالرِّجالْ
بالظلامْ
بكلِّ ما لمْ تَرَهُ من هَوامْ

في حجرةٍ توشِكُ جُدرانُها
أن تَلتقي فوقَكَ حَدَّ العِناقْ
إنَّكَ تدري أنَّ هذا شائعٌ في العِراقْ
وإن تَكُنْ لا تَعيهْ
فأنتَ لم تُلقَ فيه
لكن تَصَوَّرْ مثلَ هذا الحفيرْ
وهذهِ الظُّلْمَةَ والرَّطوبةَ المُزمِنه
والعَفَنْ
وأنتَ في غَيْهَبِهِ مِن سنينْ
تَطوي خيوط الكفَنْ
حولَك في وحدَتِك القاتِلَهْ
مِن سَعْلَةٍ ذابِلَهْ
وأنَّ ثُقْباً صَغيرْ
يَسْكُبُ قِنديلَ ضياءٍ صَغيرْ
عليكَ مِن مَكْمَنِهِ في جِدارْ
تُمَيِّزُ الليلَ بهِ والنَّهارْ
حتى لَتُحصي الشُّهورْ

بِكَمْ إضاءَةٍ لهُ وانطِفاءْ
تُحسُّ أنَّ مثلَ هذا العَزاءْ
شَيءٌ عزيزٌ ثَمينْ
أعزُّ ما تملكُ أنتَ السَّجينْ
في مثلِ هذي الحُفْرَةِ المُوحِشَهْ

تَعْلَمُ ما كانَتْ لَيالي الشِّتاءْ
وأُمسياتُ الشِّتاءْ
تَبعثُ فينا ،
أيَّ حُزنٍ غَريبْ ؟
كنّا بها نَنسى حِسابَ الزَّمانْ
فلمْ يَكُنْ في وِسْعِ أيِّ النّجومْ
نجومِنا في الجدارْ
بأنْ يُرينا مَوعداً للنَّهارْ

كانَتْ معاني الحياةْ
جميعُها ماثلةً في قَطْرَةٍ مِن ضياءْ

تاهَتْ خلالَ الغيومْ
ولم يَعُدْ غيرُ نُقاطِ المَطَرْ
تَنْقُرُ فوقَ السُّطوحْ
كأنَّها تَدُقُّ في كلِّ روحْ
مِسْمارَ نَعشٍ مُثْقَلٍ بالهُمومْ
وَرَغْبةً في البكاءْ

أنتَ ترى يا سيِّدي أنّا عَرَفنا الظَّلامْ
أنّا تَنفَّسْنا وعِشْنا الظلامْ
حتى حَنَنَّا في جنونٍ مُريبْ
لِرَعشةٍ مِن ضياءْ
فلا تَخَفْ أن يُذيبْ
لَهيبُ تَمّوزَ الظهورَ العِجافْ
إنْ هو إلاّ وَفْرَةٌ مِن ضِياء !

تَعلَمُ أنّا نَخافْ ؟
وإنَّنا نُقِرُّ أنّا نَخافْ

لكنّنا لَسنا نخافُ الغَليلْ
لَسنا نخافُ السُّغَبْ
لَسنا نخافُ أن يَدُقَّ التَّعَبْ
أعناقَنا تحتَ صَليبِ النَّخيلْ
لكنّا يا سيِّدي نُقِرُّ أنّا نَخافْ
نخافُ حتى الجنونْ
نَخافُ حتى تَقشعِرُّ العيونْ
مِن شَكْلِنا ،
نخافُ حتى يَسْتحيلَ الزَّفيرْ
في جَوْفِنا مثلَ لُهاثِ السَّعيرْ
نخافُ حتى الرُّعب ،
حتى الموت ،
حتى الـ . .
نخافْ
يا سيِّدي مِن كِلْمَةٍ مِن ثَغْرِكَ الأرجوانْ
نخافُ مِن أن نُهانْ

الغـدر

١٩٥٣

واحْتَرقَتْ بغدادُ في سُكُونْ
لم تُبْصِر العُيونْ
منها سِوى الدُّخانِ والرَّمادْ

دُخانْ
شهرانِ نَسْتَفيقْ
وكلَّ فجرٍ نَسمَعُ استغاثَةَ الحريقْ
ولا نَرى ولا وَمَيضَ نارْ
وكالعَصافيرِ على جَمْرٍ بلا أُوارْ
أطفالُنا الصِّغارْ
يُرَفْرِفُونَ ،
ثمَّ يَرْسبون في القَرارْ

هـــدوءْ
لا صوتَ
لا نَفَـسْ
لا قطَّةٌ تَمُوءْ
لا عينَ ترنو ، لا فمٌ يَهْمسُ ، لا ذِراعْ
تَمْـتَـدُّ ،
لا لِقـــاءَ
لا وَداعْ

دُخانْ
كلُّ الوجوهِ ، كلُّها تنوءُ بالهَوانْ
قَنافذٌ صِغارْ
تَزحَفُ في الدُّروبْ
مُحْتَرِقاتٍ دونَ ضوءٍ ،
دونَ أن يُثارْ
شيءٌ ،

سِوى الدُخانِ والرمادْ

ضيــاعْ
بحــرٌ من الخَـدَرْ
وكلُّ بغدادَ تموتُ دونَ أن تُراع
هذي التي تَزْحَفُ في الدُّروبِ كالبَشَرْ

القمقم

١٩٦١

الثَّـلْـجُ ،
والخدَرُ البَطيءْ
الآنَ يا حَطَباتُ قَرِّي ، فالكواكبُ لا تُضيءْ
والنارُ أبعدُ ما تَكون ،
وأنتِ في هذي الرِّجامْ
من ألفِ عامْ
والثَّلْجُ
فوقَ الثَّلْجِ ،
فوقَ الثَّلْجِ يَهمرُ
والظلامْ
يلتَفُ مثلَ الأخطَبوطْ
يوماً فيوماً حولَ أنفاسي فأرسبُ في القرارْ

يا أُغنياتي للبِحارْ
يا مَوجَ طُوفاني وأشرِعَتي الوَليداتِ الصِّغارْ
فَلْتعصِفَنَّ بكِ العَواصِفُ ، وليُحَطِّمْنَ الصَّواري
ولِتَبْتَلِعَكُنَّ الثّلوجُ ، فَلَسْتُ أملِكُ في احتضاري
نَفَساً يَرِفُّ بكُنَّ بعدَ اليومِ في عَرْضِ البِحارِ

أطفأتُ ناري
يا قُمْقمَ الدَّمِ والعِظامْ
يا أنتِ ،
يا حَطَباتُ قَرِّي
يا ضُلوعاً من رُخامْ
المارِدُ الجبارُ أسْلَمْكِ انتفاضَتَهُ ونامْ
والثَّلْجُ ،
فوقَ الثَّلْجِ ،
يَهمُرُ فوقَهُ
مِن ألفِ عامْ

نداء في مقبرة

١٩٥٥

يا قبــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
قَتَلْتِ ضوءَ النّهارْ
بدَورَةٍ عاتيهْ
حتى حَطْمَتِ المَدارْ
في قلبِ هذي الليلةِ الدّاجيَهْ
فَغصتِ حتى القرارْ
راسخةً في بحرِ هذا الظلامْ
كجُثَّةٍ مِن رُخامْ
لا روحَ ،
لا دفءَ بها ،
لا شعورْ

يا قبــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
هل أنشَبَ الموتُ مَساميرَهُ
فيكِ بأنأىٰ ما تَمدُّ البُذورْ
جذورَها ؟
هل ضاعَ حتى الأمَلْ
في أن تعيشَ وردةٌ واحدهْ
تبعثُ بعضَ الخَجَلْ
بعضَ احمرارِ الخَجَلْ
في هذهِ الصُّفْرَةِ في رمالِكِ الراكدَهْ

يا قبــورْ
يموتُ فيكِ كلُّ شيءٍ نبيلْ
حتى الفراشات ،
وحتى الزهورْ ،
والطيورْ

وكلُّ شيءٍ جميلْ
إلاّ الخفافيش ،
وإلاّ الغُرابْ
يَنْبشُ فوقَ التُرابْ
لِيأكُلَ الحَبَّ الذي لا يَعيشْ

وكلُّ نُبْلٍ صغيرْ
يُنْبِتُهُ فوقَكِ ليلٌ مَطيرْ
ليلٌ طويلٌ مَطيرٌ
بكلِّ ما فيهِ مِن المُوحِشاتْ
يَدُبُّ شيءٌ صَغيرْ
شيءٌ مُميتٌ صَغيرْ
يَسْلُبُ منهُ كلَّ دفءِ الحياة

يا قبــورْ
يا جثّةً هامِدَهْ

أَلَـمْ يَحِنْ لهذهِ المقبرَةِ الخالدَهْ
أنْ تَسْتَحِقَّ وَردةً با ئسه
تُلهي عيونَ الناسِ عن تُربَتِها اليابسَهْ

اعتذار

١٩٥٥

إنّني إذْ أشْتَكيكِ
أشْتَكي الإنسانَ فيكِ
أنتِ ما كُنْتِ طوالَ الدّهرِ أرْضاً مُجدِبَهْ
لستِ أنتِ المُذْنِبَهْ
نحنُ لم نَزْرَعْ ،
ولم نَسْقِ ،
ونَشْكو المَسْغَبَهْ
ونَسُبُّ العُقمَ فيكِ
كم تَحمَّلتِ جَفاءً وعقوقاً من بَنيكِ
يا بلادي الطيِّبه
يا خَرِبَــه

يا خال عوف

القيت في إتحاد الأدباء العراقيين بعد شهر
من نزوح الجواهري مكرهاً عن العراق عام ١٩٦١

مـفـازةٌ هـيَ نَـطويـهـا وتَـطوينـا
جِدّي خُطى فلقد جَدَّ السُّرى فينا

لا غـابـةُ الشَّوكِ أثْرَتْهـا عَـرائشُنـا
ولا الـهَجيـرةُ أغْنَتْهـا سَـواقينـا

ولا السَّـوافي وقد أدْمَتْ مَحـاجِرَنـا
ألـوى بهـا مـا لَـوَينـا من سَـوافينـا

كـأنّنـا لم نُـطامِنْ مِن شَـوامِخِنـا
ولا أذَبْنـا حَشـانـا في تَحـاشينـا

ولا الـرِّجامَ حَـرَثْنـاهـا ، ولا دَمُنـا
رَوَّى ، ولا زَرَعَتْ شيئـاً أيـاديـنـا

جِـدّي خُـطى إنَّـنـا حَرَّى جـوَانِحُنا
حَـرَّى مَـواطِئُنـا ، حَـرَّى مَهـاوينـا

لقـد تَحَمَّلْتِنـا جَـرحى نَـمُـجُّ دَمـاً
تَـحَمَّـلينـا غِـضـابـاً مُسْتَفَـزّينـا

تَـحَمَّـلينـا وَفَـرْطُ الـغَيظِ يَـهـرُسُـنـا
هَـرْسَ الرَّحى ومَهيضُ الجُـرحِ يُطغينا

تَـحمَّـلينـا فـإنَّ الـصَّـبـرَ يَلْفُـظُنـا
وإنَّ ألـفَ دُجىً سُـوداً تُـنـاديـنـا

وإنَّ مَجْمَرةً شَعوا تَرَصَّدُنا
وإنَّنا نحوَها تَسعى سَواعينا

*

جِدّي خُطى ، إنَّ هذا الدّربَ أوعَرُهُ
غُيَيْمةٌ وعُشَيْبٌ يُورِثُ اللّينا

كم مِن خَضيلٍ تَوسَّدْنا ، وَمُنبَجِسٍ
ماءً غَشِيناهُ حتى كادَ يُغوينا

وكم مُظِلٍّ تَفَيَّأْنا عَرائِشَهُ
لم نَدْرِ أنّا تَفَيَّأنا ثعابينا

حتى تَدَلَّتْ علينا كلُّ مُفرِعَةٍ
بألفِ أرْقَطَ ملءَ النّابِ يُصمِينا

فعــادَ يمضَــغُ مِن جَنْبَيــهِ جــائعُنــا
ويـكَتـسي دَمَــهُ الـمُهــراقَ عــارينــا

لقــد زَهِـدْنــا فيـا أحشــاءَنـا انْخَسِفي
حـدَّ الـظهـور ، ويـا أشبــاحَ مـاضينــا

شُـدِّي على كـلِّ عِـرْقٍ من جَـوارحِنــا
حـتى تَـحُـزَّ الشَّــرايـينُ الـشَّــرايينــا

حــتـى نَــعــودَ ولا وَهْــمٌ يــؤرِّقُــنــا
ولا سَــرابٌ عـلى الـبلوى يُـمَـنِّـيـنــا

*

جِــدِّي دَؤوبُ فَكَم من واحـةٍ حفَــرَتْ
لــونَ الـظلالِ على أهــدابِ ســارينــا

إنّا نُذِرْنا لهذا الرّملِ ، نمضَغُهُ
حيناً ، ويَمْضَغُ من آماقِنا حينا

نُشوَى عليه ، فيَسقينا على ظمأٍ
جَمراً ، وتَسقيهِ مدراراً دَوامينا

ونلتقي والرِّياحَ الهوجَ تَصْفَعُنا
فما تُشابِكُ ، أهداباً مآقينا

قد يَقرَبُ الظلُّ حَدَّ اللّمسِ مُجهَدُنا
ويجرَعِ الماءَ حَدَّ الحَلْقِ ظامينا

وقد يَمرُّ بنا دَهرٌ وليس يَرى
ظِلّاً ولو لِجناحِ الطَّيرِ رائينا

وَيمَّحى ظلُّنـا من فَـرْطِ مـا التَصَقتْ
بِهـامِنـا الشَّمسُ نُـدنيهـا وتُـدنينـا

*

جِدِّي حَمولُ ، فمـا أشقى أخـا سَفَـرٍ
للشَّمسِ يَمشي لهـا والـظِّلَّ والـطِّينـا

لقـد بَـذَرْنـا سَناهـا في محـاجِـرِنـا
وقـد سَجَـرْنـا لـظاهـا في مَحـانينـا

وقـد زَحَمْنـاهـا لهـا أمضى قَـوافلنـا
فـأرقَلَتْ ، وَحَـدا بـالنـاسِ حـادينـا

ولم نَـزَلْ مـا استـوى طفـلٌ على قَـدَمٍ
إلاّ لِـيـدرِجَ فـي أعـقـابِ تـالـيـنـا

*

يـا خالَ عَـوفٍ رعـاكَ اللّهُ حيثَ سَـرَتْ
بـكَ الخُـطى ، وسَقى شَـوقُ المُحبِّينـا

وَرَفَّ حــولَـكَ أنــدى مــا بــأضْلُعِنــا
إنْ كــانَ فَضْــلُ نَــدِيٍّ في مَــطاوينــا

وقـبَّـلَتْ فـمَـكَ الـمِـعـطاءَ نـازِعَـةٌ
مِن الحـنيـنِ بنـا تَـطغى فَتَشْجِينـا

إنّـا لَيَحظى هُنـا مَنْ عنكَ يَسْـألنا
بِسـائلٍ عنـكَ مـا غَصَّتْ نَـوادينـا

بِمُـرتَـجٍ نَفْثَـةً حَـرَّى تُـسَـعِّـرُنـا
وَمُـرْتَـجٍ نَـثَّـةً رَيّـا تُـهَـدّيـنـا

فـلا حُـرِمْنـا هَـديـراً منكَ يُـزبِدُنـا
ولا عَــدِمْنــا نميــراً منــكَ يَسقينـا

ولا عَــدَتــكَ وإن شَحَّتْ نـســائمُـنـا
ولا جَـفَـتْـكَ وإن جَـفَّـتْ غَـواديـنـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ وفينـا منـكَ مـأثَـرَةٌ
أنّـا تـجـاوَبُ والبَـلوى قَـوافيـنـا

نـرى التمـاعَ المُـدى قبلَ انفـلاتِتهـا
ويَحضنُ الجُـرْحَ قبـلَ الـطَّعنِ فـادينـا

ونسمـعُ الآهـةَ الخـرسـاءَ مـا انفـرجَتْ
عنهـا الشُّفـاهُ فتَشْـجينـا وتُـورينـا

يـا خـالَ عـوفٍ شـدَدنـا كـلَّ خـالجـةٍ
فينـا بِمُسْـتَقْـتِـلٍ يَـدمى ويُـدمِـينـا

بِـمشخَنٍ مُـسْـتَميـتٍ نـحـو قِـمَّـتِـهِ
يَسْعـى فيَهـوي قَـرابينـاً قَـرابيـنـا

يُـذيبُ في كـلِّ يـومٍ من حُشـاشَتِـهِ
حتى يكـاد.. ويَعلُو صَوتُ نـاعينـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ ألا أُنْبيـكَ مـا خَبـأتْ
لـنـا المـقـاديـرُ ممَّـا كـنتَ تُنْبينـا

أُنْبيـكَ أَنّـا بـعَيـنٍ نِصْفِ مُغْـمَضَـةٍ
نَغْفـو ، ويـالكَفُّ فـوقَ الكَفُّ تَـطمِينا

ومـا بـنـا رَهْبـةٌ ، لـكـنَّ أفـرُخَـنـا
لا يـألـفَـونَ الأفـاعي في مـآويـنـا

فنحـنُ نُسْلِمُهم كفّـاً ، ونُسْلِمُ لـلأ
نيـابِ كفّـاً ، فنَلويهـا ، وَتَلويـنـا

ونكتـمُ الآهَ عُمْـقَ الجُـرحِ نـدفُنُهـا
لِنَحـفَظَ الـزُّغُبَ الـغـافـينَ غـافيـنـا

*

أُنْبيـكَ أنّـا وإنْ قُـصَّتْ قَـوادِمُـنـا
لم نـألُ نشْهَقُ مـا اسـطاعت حـوافيـنـا

وأنَنــا كيـفَـمــا هَبَّتْ مُــزعِــزِعَــةً
هُــوجُ الــرِّيــاحِ تَهــاوَتْ عَن مَــراقينا

فـلمْ تَمِــلْ بِـجَنــاحٍ مِـن شَــواهِقِـنــا
ولا التَــوَتْ ومَجــاريـهــا مَجــاريـنــا

يـا خالَ عـوفٍ وما حُـزَّتْ كمـا وَهِمُـوا
أعنــاقُنــا ، لا ولا جُــزَّتْ نَــواصينــا

إنّــا ضِخامٌ كمــا تَهــوى ، عَمــالقَــةٌ
كمــا عَهِــدْتَ ، مُخيفــاتٌ عَــوادينــا

ســودٌ تَعــاورُهــا البُؤسى فتَسْجُــرُهــا
كمــا تَعــاوَرَتْ الــرِّيــحُ البَــراكينــا

*

إنّــا امتُحِنّــا بــأيّــامٍ بِنــا امتُحِنَتْ
تَعــدو علَينــا وتَشْكــو من تَغــاضينــا

لا صَيْفُهـا كـان ذا زَرعٍ فيُـطْعِمُنـا
ولا شِتـاهـا بـذي ضَـرْعٍ فيُـروينـا

ولا عَـرفنـا بهـا طَـلًّا يُبـاكِـرُنـا
ولا وَجَـدْنـا بـهـا ظِـلًّا يُـغـاديـنـا

بـلى رُزِقْنـا جَـراداً فـي مَـراتِـعِنـا
نَـرُبُّـهُ بـحـصـادٍ مِـن مـآسـيـنـا

وحُـرْقَـةً قَـرِحَتْ أنـدى جـوَانحِنـا
مِن لَفْحِهـا ، وفَـراغـاً مـلءَ أيـدينـا

ولَهفـةً لِقُـطَيْـراتِ النَّـدى جـمعَـتْ
لهـاثَ سَبعين جيـلًا من أضـاحينـا

❋

يـا خـالَ عـوفٍ وقـد ضـاقَتْ مـذاهبُنـا
وانـداحَـتْ الأرضُ أغـواراً أفـانيـنـا

تُـطِلُّ منهـا ذُنـابى مـالَـهـا عَـدَدٌ
يُحصى ، وأنيـابُ أغـوالٍ مـلايينـا

لم نـألُ نـرصُـدُهـا دَهـراً وتَـرصـدُنـا
نـدنـو وتَـدنـو ، ونُحصيهـا وتُحصينـا

حـتى تَـبَيَّـنَ مِـنّـا مـا تُـحـاذِرُهُ
في حينِ أسفَـرَ منهـا مـا يُجَرِّيـنـا

ولـم نَـزَلْ نَـتَـمَـلاّهـا مُـرَوَّعَـةً
ولـم تَـزَلْ تَـتَـمَـلاّنـا مُـريعـينـا

وإنّـنـا لـو أرَدْنـا أن نُـطاحِـنَـهـا
دُرْنـا عليهـا بـأضـراسٍ طَـواحينـا

لـكنّنـا كَـرَمـاً مـنّـا نـرى سَـبَبـاً
لـلخيـر أن يـتَـرَوّى سَـهْـمُ رامينـا

براءة

١٩٥٤

مِن طيبتي ،
مِن كبريائي
مِن أصدقائي
مِن كلٍّ ما قَدَّستُ ،
ما آمنتُ أنَّ بهِ بقائي

مِن ذكرياتي
مِن حاضري ،
مِن كلِّ آتِ

مِن والدي وسحابةُ الستِّينِ في عينيهِ تَهمي
مِنْ إخوتي حتى الصَّغير ،
و مِن أُخَيَّاتي وأُمي

مِن كلٍّ إنسانيَّتي ،
مِن كلٍّ إيثاري لغيري
مِن كلِّ شعري

إني اتُّهِمتُ بكلٍّ هذا
وأنا بَريءٌ منهُ حتى الموت ،
تصويرٌ ،
وطابعْ
نُسَخٌ إلى كلِّ الجرائدْ
صوَرٌ إلى /
بعضِ الجهاتِ
ملفَّةِ الموما إليهْ
بغداد ،
التأريخ مفتوحٌ إلى يومِ القيامه

وقتلت في أعماقي شيئاً

١٩٥٤

كُنْ ما تُريدْ
أنا لا ألومُكَ غيرَ أنّي جئتُ أسألُ أن تُعيدْ
ما كنتُ أكتبُهُ إليكْ

أنا ليس بي كِبْرٌ عليكْ
تدري بأنَّكَ كُنْتَ مِثلَ أخي ، وأكثرَ مِن صديقْ
إني حَبَبْتُكَ منذُ وَقْعتِكَ المُريعةِ في الطريقْ

كُنّا صغارْ
نَلهُو بتلكَ اللُّعبةِ الحمقاءِ في ذاكَ النهارْ
عينانِ في عَينين ،
مَـنْ يَجْهَدْ فيَكْسِرْ مُقْلَتيهْ
كنّا نُلقِّبهُ جبانْ

ونَغيظُهُ ضَحِكاً عليهْ

ما زلتُ أذكرُ رَفسةَ الفَرَسِ العجوزِ على قفاكْ
إني أراهْ
ذاكَ الصَّغير بظَهرِهِ المهدوم ،
لكنْ مُقْلَتاه
في مُقلتيَّ تُحدِّقانْ
لم تَطْرِفا كيْلا يقولَ رفاقُنا عَينا فلانْ
عَينا جبانْ

أنا ليس بي كِبْرٌ عليكْ
لكنْ تَكسُّرُ كلِّ أضلاعي انكسارةُ مُقْلتَيكْ

كُنْ ما تريدْ
أنا لا ألومُكَ ،
غيرَ أني جئتُ أرجو أن تُعيدْ
ما كُنتُ أكتبُهُ إليكْ

الرئة الملتهبة

١٩٥٤

يُقاتلُني دائي ويَعصرُني بُؤسي
وأحلمُ أن أقسو فأقسو على نفسي

وَيُفْزعُني ممَّا أُعانيهِ أنَّني
أجادلُ إيمانيَ لألهوَ عن يأسي

وتَرتَطمُ الأحداثُ بي وتَهزُّني
فأصحو على دارٍ يموتُ بها غَرسي

يَفحُّ بها الأطفالُ بَرْداً وتَلتَظي
محاجرُهم جوعاً فتَنْبتُ في رأسي

تُزعزعُ إنسانيَّتي ، وتُهينُني
وتَسحقُ إيماني ، وتَسْخَرُ من بأسي

وتَتْـركُني عـريـانَ من كـلِّ قـيمـةٍ
تُسَتِّـرُني ، حتى البـقيَّـةِ مـن حِسّـي

فـأخـرجُ لا أدري إلـى أيـن أنتـهَـي
وفي رِئتي حِقـدي ومـلء يـَدي فـأسي

رسالة الى صديق*

١٩٥٤

واللّهِ يـا سَعـدُ مـا مَرَّتْ بيَ الكُـرَبُ
كمـا تَـمـرُّ بـغَمْـرٍ مِلْؤهُ نَـصَـبُ

ولا تـجـرَّأَ يـأْسٌ أو مـسـاومـةٌ
يـومـاً عـليَّ ولا ذُلٌّ ولا رَهَـبُ

لقـد وَقفْتُ بـوَجـهِ الحـادثـاتِ ولم
أنـظرْ إلى مَنْ حيـالي وهي تَـقْتَـربُ

لَئِنْ يكنْ في بقـائي مُـمسكـاً قَلَمـي
هـذا العـذابُ فـإنَّ الميتَـةَ الهـرَبُ

والـلّهِ يـا سعـد لـم اسفْ لـذ هبـةٍ
إلاّ على أنَّ لي صـحبـاً وقـد ذهبـوا

لي كـلَّ يومٍ هنـا قـومٌ أخـالِـطُهم
لـكنَّني بينَـهم يـا سَعـدُ مُغْتَـرِبُ

قـد يضحكـونَ فـأصْغي أو أُشـايعُهم
فـأنتـهـي وكـأنِّي كنتُ أنـتحِـبُ

قـد ننْتَهي من صداقـاتٍ ونـذكـرُهـا
ونَـنْتَـهي مِـن صَـداقـاتٍ فَنَـضْـطَرِبُ

(*) أهديت في وقتها الى صديقي الشاعر الراحل سعد درويش.

اعتداد

١٩٥٤

أَشُقُّ على الإعْصـارِ دَربي إلى غَـدي
فيـا قلبُ لا تَهْدأْ ، ويـا عينيَ اسهَـدي

ويـا رَغـبتـي فـي كـلِّ شـيءٍ أحبُّـهُ
دَعي كـلَّ ما للنّاسِ للنّـاسِ وازهَـدي

فَلَنْ تقـطعي دربـاً جحيمٌ تـرابُـهـا
إذا لـم تَقـعْ عينـاكِ إلاّ عـلى نَـدي

ويـا نفسُ لا تَـرْضَي هَـواني فـأنَّني
بـذَلْتُ دَمي دونَ المـراقي لِتَصْعَـدي

فــإن تَجْهَـد الــدُّنيــا جميعــاً فــإنَّني
أرى حَــرَجــاً في أن تهــوني وتَجهـدي

ولا والــذي أســعى إليــهِ لــو انَّنـي
شَرِبْتُ دَمي ما اهتزَّت الكأسُ في يدي!

بغداد

١٩٦٩

ألقيت في مهرجان الشعر العربي التاسع في بغداد

فَخـرٌ ، وهـل بِسـوى دُنيـاكِ يُفْتَخَـرُ
يـا نَغْمـةً لم يُـلامِسْ غَـورَهـا وتَـرُ

يـا دارةَ الشمسِ يبقى من تَـوهُّجِهـا
على جِبـاهِ الدُّنـا ، عُمْـرَ الدُّنـا ، أثَـرُ

مـا غـامَ ليـلٌ على مَسـرى أشعَّتِهـا
إلّا تَـفَـطَّرَ عـن لألائِـهـا سَـحَـرُ

ويـا بـحـارَ نجـوم مـن مجَـرَّتِـهـا
يُهـدى لكـلِّ دُجىً مُسْتَـوحَشٍ قَمَـرُ

ويـا انهـلالَ الحيـا في كـلِّ مجـدبـةٍ
أشهى وأغـزرَ مـا يُسْتَنْـزَلُ المـطرُ

بغـدادُ يـا صَحـوةَ الـدُّنيـا ولا كَـدَرٌ
ونبـعَ أحـلامِهـا النَّشـوى ولا خَـدَرُ

كمْ مـرَّ من عُصُـرٍ سَكْـرى قَيـاثِـرُهـا
بخَمْـرِ مجـدِكِ أَثَـرَهـا عُصُـرُ

مُـرَنَّحـاتٍ ، نَشـاوى ، أَبعـدَتْ وغَفـا
عـلى ذِراعيـكِ مـنـهـا أنـجـمٌ زُهُـرُ

ألفٌ تَمَخَّضْنَ ، كـلٌّ أنجـبَتْ وَهَـجـاً
فـأيُّ ضـوءٍ مـدى الآفـاقِ يَنْتَشِـرُ

ألفُ تمخَّضْنَ في خمسين ، يـا بسـةً
شفـاهُهـا ، لاهثـاتٍ ، يُحـدِقُ الخـطَرُ

بـكـلِّ لحـظةٍ إعســارٍ شهَـقْنَ بـهـا
فـيـامَصيـرُ تَـأمَّـلْ كيـف تُـنـتَـظَرُ!

*

بغـداد ، هل لجناحي في جِوائـكِ من
مَسـرىً ، وقد [illegible] الأنسارُ والصُّقُـرُ

خَفْقـاً بـأجنحـةٍ مَـرمى قـوادِمهـا
نـائي النجـوم فمنهـا فـوقَهـا كِسَـرُ

مُـشعْـشِعـاتٍ تَـردُّ الـلاحـقينَ بهـا
طَـرْفـاً حَسيـراً ، وأنفـاسـاً بهـا بَهَـرُ

من ابن أوسٍ ، وقـد غاصَتْ مَنـاسِـرُهُ
عُمقَ البحـارِ ، وعـادَت تلمَـعُ الـدُّرَرُ

فيهـا ، وشَـدَّ جنـاحيـهِ فنَشَّـرهـا
عُمقَ السَّمـاواتِ لم يَعلَقْ بهـا بَصَرُ !

وأَجْـدَلُ الكـوفـةِ المُـوفي على حَلَبٍ
وزَعْـزعُ الـرِّيـحِ مَثْنِيـهِ يَنْحَسِـرُ

كـالبـرقِ يَفْتـرِعُ الـدُّنيـا ويَتـرُكُ في الـ
دُّنيـا دَويّـاً ، بـهِ كِبْـرٌ ، بـهِ صَغَـرُ

لم يَـألُ منـه على بغـداد ، في حَلَبٍ
في مصـر ، غيثٌ مَهيبُ الرَّعـدِ مُنهَمِـرُ

تَنحــاشُ عنه بُغـاثُ الـطَّيـرِ واجفـةً
أكبـادُهـا ، كــاتمـاً أنفــاسَهـا الحذَرُ !

والأعمَيــانِ ، أضَــاءَ اللُّبُّ مُختــرقــاً
كُــوى المحــاجِــرِ لـولا أنصَفَ النَّــظَرُ

هــذا يَرى قلبُــهُ مـا لا يـرى بَصَرٌ
ويُــرسـلُ الشِّعْرَ جيَّاشاً رُوحُــهُ الأشِرُ

وذا يَــرى ويُــرِي الــدُّنيـا بـأجمعِهـا
ولـيــلُ عينيـهِ والـجـدرانِ معتـكـرُ

يــا محبسـانِ اشـرأبَّتْ من قيـودِهمـا
وأبعــدَتْ أيَّ بُعــدٍ عنـهـمـا الفِكَـرُ !

وأنتَ يـا واهبَ الأطـلالِ مُـذ خَفيَتْ
تَـلَفُّتَ الـقـلبِ ، والأطـلالُ تـنـدَثـرُ

السّـاتـرُ العينَ طَـرْفٌ مـن عَبـاءَتِـهِ
تـجـمُّـلاً ، وبـكـاءُ الأمِّ مُـغـتـفَـرُ

يـا لـلرَّضـيِّ حـجـازيّـاً جـداوِلُـهُ
تَصفـو ، وتَـطغى [illegible] بـهِ المِـرَرُ

والسَّلسَـلُ السَّمحُ لا تـألـو منـابعُـهُ
دَفّـاقـةً لـم يَـشُـبْ رَقـراقَـهـا كَـدَرُ

بـحـرٌ ولـكـنَّـهُ عَـذْبٌ مَـوارِدُهُ
نـائي الضِّفافِ ، بَعيـدُ الغورِ ، مُزدَخرُ

مُلوَّنٌ مثلَ قوسِ الشَّمسِ ، منعكسٌ
عليهِ من ألفِ أنطاكيَّةٍ صُوَرُ

وثَمَّ مَسْحَبُ زِقٍّ عندَ دجلةَ لم
يبرَحْ نَديّاً ، لو انَّ التُّرْبَ تُعتَصَرُ

لَضاءَ وَجهُ ابنِ هاني ، ثم عاوَدَهُ
نُعاسُه ، ثمَّ عذراً إنّني سَكِرُ !

يا للعماليقِ ، لم تبْرَحْ مجنَّحةً
أصداؤهم ، تَعبرُ الدَّربَ الذي عَبَروا

مُحَوِّماتٍ على بغدادَ ترقُبُها
ما قامَ للشعرِ في بغدادَ مؤتمرُ

*

مـا أروعَ الأرضَ تنمـو جِـدَّ شـامخـةٍ
مـا نـال منهـا سـوى إنضـاجِهـا الكِبَـرُ !

ولا تَـلَوَّتْ غُضـونٌ فـوقَ جَـبـهَـتِـهـا
إلّا تَـفـتَّـحَ فـيـهـا مُـورِقٌ نَـضِـرُ

هي الـوَلـودُ ، فـإن جَفَّتْ مباهجُهـا
فَـمِن مَـصـائبـهـا الجُلّى لها دِرَرُ !

طَـوَتْ حَشـاهـا زمانـاً لا يَـرِفُّ بِـهِ
إلّا الـجـذور ، ولا سـاقٌ ، ولا ثَمَـرُ

حـتـى إذا ظُـنَّ أنَّ الـعُـقـمَ قـاتـلُهـا
ولا صَـدىً غيـرَ مـا جاشَتْ بـه السِّيَـرُ

ضجَّتْ ضَجيجاً ، وشَقَّ الجوَّ منطلقاً
منها عُقابٌ بقُرصِ الشَّمسِ يَعْتمِرُ

ذيَّالكَ الشَّامخُ الزاهي بقِمَّتِهِ
وكلَّ يومٍ لهُ عن قِمَّةٍ سَفَرُ

مُخضَّبٌ بصروفِ الدَّهرِ مِنْسَرُهُ
مُحدَودِبٌ [illegible] حولَهُ نُثِروا

هذا الذي يَرِدُ البحرَ الذي وَرَدوا
رَهواً ، ويَصدرُ عملاقاً كما صَدَروا !

سلْ «دجلةَ الخير» كم مَسَّتْ قَوادِمُهُ
أمواجَها ، فَنزا رَقراقُها الخَصِرُ

علـى جَنـاحَيـهِ قَـطْراً مِـن تـأَلُّـقِـهِ
وشمسِ بغـداد كـانتْ هـذه السُّوَرُ !

فـتـارةً خَـصِـرٌ عَـذبٌ كـدَجـلتِـهِ
وتـارةً مـثـلَ ذوبِ الشَّـمسِ مُسْتَعِـرُ

*

المجدُ مجدُكِ ، مـوصولٌ ومُـدَّكَرُ
مـوَدَّعٌ مـنـهُ لألاءٌ ، ومُـنـتـظَرُ

طـوفـانَ نهـرَيـكِ أجـرى صـانعُـوهُ لَـهُ
دمـاً وفكـراً . . فمـا مَنُّـوا ، ولا جَـأروا

واحـدَودَبـوا يحـرثـون الأرضَ تـأكلُهُم
من ألفِ عـامٍ مَهـاويهـا وهـم صُبُـرُ

وكـانَ محـراثُهـم والصَّخـرُ يثـلمُـهُ
حينـاً ، ويغـرز حينـاً كلَّمـا عَثَـروا

مُعَـوَّداً مثـلَهـم أنْ لـيسَ يَثْـلِمُـهُ
إلّا لـيَشْـحَـذَ من فُـولاذِهِ الـحَجَـرُ !

ألفٌ وهم يـحفـرونَ الأرض لا معـنَةٌ
جبـاهُهم ، فـوقَهـا من طينِهـا غُـرَرُ

ومـا يَـزالـون ، يُـذكي من عَـزائمِهم
أنْ آذنَـتْ بـامتـلاءٍ هـذه الـحُـفَـرُ !

*

بغـداد ، حَسبُكِ أنَّ الأرضَ كم شهقَتْ
لِـدَفـقـةٍ من حَـيـا بغـدادَ تـنـهـمـرُ

هِلِّي رواءً فـإنَّ الـنَّـاسَ قـد بَـذَروا
ومـا سِـواكِ لـهم ضَـوءٌ ، ولا مـطَرُ

ولا ، وأرضُكِ هذي الأرض ، بـارَحَهم
إيـمـانُـهُـم أنَّـهـا تَـنـدى فـتَـنـفـطِرُ

عن ألفِ نَبتـةِ خيـرٍ مـا يَـزالُ لهـا
يُـبـارِكُ الـحُبُّ والآلامُ والـسَّـهَـرُ!

والــرِّيُّ ، بغـدادُ أسبـابٌ لِمُـزدَهَـرِ
من الثـرى ، بعضُهـا الأنهـارُ والغُـدُرُ

وخيـرُهـا الفكـر دَفّـاقـاً ، وأعـظمُهـا
عِـرْقٌ نَـزيفٌ على مـا فيـهِ يَعتـذِرُ !

*

تَبـارَكَ الفِكـرُ حَـرفاً مُثقَـلاً ضَـرِمـاً
تـكـادُ من وَقْـدِهِ الأقـلامُ تـنْـصَـهِـرُ

طـوبى لحـرفٍ يَمُـجُّ النَّـارَ مُشْتعِـلاً
ويَسفـحُ الـدَّمَ مَـطعـونـاً ، ويَعتفِـرُ

مـا قـادَ حَـرفٌ على إبـداعِـهِ بَشَـراً
إن لم يَخُضْ في الجحيمِ خاضهُ البَشرُ !

ومـا انتفـاعٌ بـحـرفٍ متـرَفٍ بَـطِرٍ
في زحمـةِ المـوتِ يـزهـو أنـه عـطِرُ !

*

بغـداد. والكـونُ كـلُّ الكـونِ يَنتـظِرُ
مَن فوقَ أرضِكِ ما قالـوا ، وما سـطَروا

هذي النَّوابغُ ، جيشُ الفكر أجمعِهِ
والفِكرُ عندَ سِوانا صارِمٌ ذَكَرُ

ينقضُّ منهُ على واهي دَعائِمِهم
مُقدَّرٌ ، وعلى أعدائِهِم قَدَرُ

ونحنُ تدهَمُنا الجُلَّى فنَدفعُها
بالعينِ تَهمي ، وبالأكبادِ تَنثغِرُ

وخيرُنا مَنْ جَنى منها لمجلسِهِ
حرفاً يكادُ مِن التَّهذيبِ ينكسِرُ !

اللّهَ من بطِرٍ أزرى به البطَرُ
ومِن حريرِ حُروفٍ ليتَه وَبَرُ !

كـم نَستحِثُّ من الألـفـاظِ أسمَنَهـا
لحمـاً ، وأوهَنَهـا عَـظمـاً ، ونفتخـرُ

فُـرسانَ حـربٍ صغـاراً خيلُهم قَصَبٌ
تـزهـو طِـوالاً وفي مضمـارِهـا قِصَـرُ

نَـلهـو بهـا تَـتـهـادى بـيـنَـنـا زُمَـراً
مـن القَـطا ، تَلتقي ، ثـم تُـؤتَسَـرُ

يـا عِـزَّنـا نصـطفي لفـظاً ونبـتكِـرُ
وخصمُنـا يصـطفي نـاراً ويبتكِـرُ !

أقـولُ لـلبَـطِرِ المُـرخـي أعنَّـتَـهُ
كـأنَّـهُ ، وهـو مَرمى المـوتِ مؤتَجـرُ

يُبدي أساهُ ولا يُخفي شماتَتَهُ
أنْ ادلهمَّتْ على إخوانِهِ الغُمَرُ

لا تَستهِنْ بنذورٍ رُحتَ تَرقبُها
تَهوي ، فثمَّةَ في أعقابِها نُذُرُ

تاللَّهِ إنَّكَ مأخوذٌ بهنَّ غداً
فأيَّ عُذرٍ لما قَدَّمْتَ تعتذِرُ ؟!

وَمُطمئنٌ بأنَّ السَّيلَ يجرفُ مَنْ
حيالَهُ ، ويوافيهِ فينْشَطِرُ

عن مَوطِئَيْ قَدَمَيهِ ، لا يُحرِّكُ مِن
كَفٍّ ، ولا شَفَةٍ إلّا بما أَمَروا

أوفى على زَحْمةِ المَسرى ، وفي يدِهِ
منديلُهُ ، ولهُ في دَمعةٍ وَطَرُ

وذلكَ العائقُ المَسرى به عرَجٌ
يَرقى مع الناسِ شَوطاً ، ثمَّ ينحدِرُ

فلا يَخِفُّ كما خَفُّوا فممُتدَحٌ
ولا يَكفُّ فالمَعذورُ ومُدَّخَرُ

لكنَّهُ ، وَمُريبُ الأمرِ غامضُهُ
مُحَيَّرُ اليدِ لا يأتي ولا يذرُ !

*

والرَّاقبُ الموكب المخضوب ترقبُهُ
من الجراحِ عيونٌ شُخَّصٌ شُزُرُ

أن راحَ يَهدي لأمنٍ لا أمانَ بهِ
وَهَداةٍ مِلؤها من رِيبةٍ غِرَرُ

مُلَوَّحاً بضِمادٍ ، يا له كفَناً
لِرَّفةِ الجُرحِ يُضويها فتَفتقِرُ

حتى تموتَ ، فوا ضِمْداً على تِرَةٍ
كما يَلزُّ إليهِ النَّصلَ مُنتحِرُ !

يا ضامدَ الجُرحِ حَيّاً زاخراً دمُهُ
لا يُضمَدُ الجُرحُ إلّا حين يُحتضَرُ

يا ضامدَ الجُرحِ مُغتالاً مروءَتَهُ
ما رَابَكَ السَّطحَ والأعماقُ تنفجرُ

يا ضامدَ الجرحِ نَصلٌ في قَرارتهِ
فانظُرْ على أيِّ موتٍ تُحكَمُ الإبَرُ !

وَيْكَ ابتعِدْ عن جراحٍ لا يُضمِّدُها
إلّا اللظى ، فَجِراحٌ فوقَها أُخَرُ !

*

صَبراً فلسطين إنّا مَعشرٌ صُبُرُ
نُحصي خُطانا على قَدْرٍ ، ونخْتَبِرُ

وَنذبَحُ الأمر تَميحصاً لِنُحكِمَهُ
شأنَ الحليم ، ويَستعصي ، فنأتَمِرُ

والأمرُ شورى ، ولا شورى بلا جَدَلٍ
ولا تَجادُلَ إلّا ثَمَّ مُشتَجَرُ

مرحى فلسطين ، منّا النَّابُ والظُّفُرُ
ومنكِ مَنْشَبُ صِدْقٍ عندَه الخبَرُ

يا جاعلينَ مَصير الناسِ مُتَّجَراً
أفادَ عَمروٌ ، وأفتى بَعدَهُ عمرُ

دَعوا لهم أمرَهم ما دامَ أمرُكُمُ
لا خير يُرجى ، ولا يُخشى له ضَرَرُ !

وأنتَ يا موكباً للفدي ، مُلتطِماً
والنار ، يزجُرها طوراً وينزَجرُ

يا حامِلينَ لِفَرطِ الغَيظِ من دمِهم
وِزراً يُفتِّشُ عن مُسْتنزِفٍ يَزِرُ !

يا خائضينَ جحيم الموتِ ما التَفتوا
حِيالَهم قَلَّتْ الأنصارُ أو كَثروا

شُدُّوا خُطاكم فلا واللّهِ اقتُحِمتْ
إلّا بمثلِ خُطاكم هذهِ الغُمَرُ

يا مُورِدينَ المنايا صَفوَ أنفُسِهِم
ما طُلَّ يوماً على أرضٍ دَمٌ هَدَرُ

لكنْ يَجرُّ الدَّمُ المسفوحُ ألْفَ دَم
وهكذا ثورةُ الإنسانِ تَنْتَصِرُ !

*

بغدادُ هذا جناحِي ، مثلَ عهدك بي
مُخَضَّبٌ ، بِمَهَبِّ الريحِ مؤتَزِرُ

أعلو بهِ جُهْدَ ما تقوى قوادِمُهُ
فإن أسَفَّ فَمنْ عُقبانِكِ العُذُرُ

*

منابت الضوء

١٩٥٢

يا غيومْ
تَلبَّدي ما شئتِ فوقَ البشرْ
وعندما تعتصرين المَطَرْ
فوق سطوحِ البيوتْ
تَذَكري أنَّ السَّنا لا يموتْ
وأنَّ كلَّ النجومْ
قد نبَتَتْ فيكِ ،
وأنَّ القَمَرْ
يَشقُّ في قلبكِ مجرى حنينْ
ليبعثَ الدفءَ إلى المتعبَينْ

في اعقاب العاصفة

١٩٥٤

الضَّوء ،
والظلالْ
والناسُ يعبرونْ
الناسُ يعبرون في سكونْ
فَتَرْجفُ الظلالْ ،
والضـــوءُ
لا همس
ولا سؤالْ
والمأتمُ الكبيرْ
يجْثمُ في صمتٍ وفي جَلالْ
على الحوانيتِ ،
على ملامحِ الرجالْ
وهم يَمرُّونْ

بلا صوتٍ ،
بلا سؤالْ
فَتَرْجِفُ الظلالْ
والضَّوءُ في الدروب ،
في أكثرَ من سكونْ

حين يأكل الملح كل شيء

١٩٥٥

يا أنيسَ الخريفِ ماذا جَنَينا
ورواءُ الشبابِ هذا ربيعُهُ

خصبَةٌ أرضُنا ، ودَفقٌ سواقينا ،
ولكنْ بذورُنا لا تُطيعُهُ

لَكأنّا ونحنُ في وَضَحِ الفَجرِ
بليلٍ لا يُستبانُ هزيعُهْ

عُمُرٌ كلّما ترقرَقَ ضوءٌ
بين عينيهِ أطفأتْهُ دموعُهْ

يا أخي ، يا أخي الذي هَجَر المحراثَ
ثمَّ انزوى وجفَّتْ ضلوعُهْ

أيَّ شيءٍ يُهديك فلّاحُ أرضٍ
كَفَرَتْ
فانتهى
وماتَتْ زرُوعُهْ

لحظة انكسار

١٩٥٤

كَـمْ نَضَحْنا من دِماءٍ
كَـمْ كَتَمْنا رغابْ
كَـمْ بَنَيْنا ،
كَـمْ فَدَيْنا ،
كَـمْ حَلُمْنا أن نُثابْ
يا بَنينا للترابْ
يا سَقَينا من سَرابْ
يا ذَوَينا
يا تَبعثَرنا
هَوانٌ في هوانْ
كلُّ ما عشنا
وأمَّلْنا ، وأوقَدْنا . دُخانْ

من ظلمة العراق

١٩٥٤

لو اسْتطاعَتْ أنْ تَفرَّ هذهِ السّطورْ
مِن ظُلمةِ العراقْ
فأوصِلوها ،
أوصِلُوها أيُّها الرِّفاق
لأهْلِكم ،
لأصدقائِكُم ،
لكلِّ دارْ
ليُبصِر الصغارْ
إخوانَهم كيفَ يجوعون ويُهْزَلونْ
وكيفَ يَذْبلونْ
في ظُلمةِ العراقْ

لِيسْمعوا أنَّ القبورَ تَملأُ القفارْ

وكلُّها صِغارْ
وأنَّ مَن يعيشُ منِ أطفالِنا صُوَرْ
ليس بها إلّا القليلُ من دِمِ البَشَرْ
وَمِسْحةِ البَشَرْ
أمّا سَنى العيونْ
أما براءةُ الصِّغارِ يضحكونْ
وحينَ يلعبونْ
فليسَ في صغارِنا منها سوى الوجومْ
والصَّمْتِ ،
والهُزالْ
وَنَظرةٍ ما انفَكَّ في انكسارِها سؤالْ

لكنَّنا نعوِّدُ الصِّغارَ في العراقْ
في ظُلمةِ العراقْ
بأنْ يُحبُّوا الوَردَ والغَمامْ
ويُطْعِمُوا الحمَامْ
بأنْ يُحبوا الشَّمسَ والقَمَرْ

نَروي عن الضِّياءِ والظلامْ
حكايةً يفْهَمُها الصِّغارُ في العراقْ

حينَ تُزَفُّ الشَّمسُ للقَمَرْ
سيشْهدُ البَشَرْ
ميلادَ طفلٍ رائعٍ يُحبُّهُ الصِّغارْ
عَيناهُ نجمتانْ
من أُمِّهِ الشَّمسِ لهُ وَضاءةُ النهارْ
ومِن أبيهِ رَوعةُ الهدوءِ والأمانْ
وعندَما يمتَزِجُ الضِّياءُ بالظلامْ
تُرفْرِفُ الحَمائِمُ البيضُ على البَشَرْ
حامِلةً أرجوحةَ آبن الشَّمسِ والقَمَرْ
حِبالُها غصونْ
مِن شَجرِ الزيتون ،
والمُتكأُ الصَّغيرْ
وَرِدٌ وزَيزفونْ
تَحوطُها مَواكبُ الصِّغارْ

آلافُ آلافِ الأراجيحِ
تَغْرَقُ في الرِّيحِ
تطيـــرْ
تَسبحُ في مَجاهلِ العبيرْ
تَتْبَعُها
تَسْبقُها
تحضنُها العيونْ

لو استطاعَتْ أنْ تفرَّ هذهِ السطورْ
من ظُلْمةِ العراقْ
فأَدْخِلوها ،
أدْخِلوها أيُّها الرِّفاقْ
بيوتَكُم ،
وَلْتقْرأوا منها لِأُمَّهات
أطفالِكُم ،
ثمَّ سلوهُنَّ عن العَذابْ

عذابِ أمٍّ طفلُها في حضنِها يموتْ
وتَقرعُ البيوتْ
تَسأَلْ عن شيءٍ لطفلٍ بائسٍ يموتْ
فلا تَرى فيها سوى تأفُّفِ البَشر
البَشَرِ الكِبارْ
والضيقِ والضَّجَرْ
من فَأْلِها البغيضِ في بدايةِ النَّهارْ

قولُوا لأُمَّهاتْ
أطفالِكم ،
هل بينَهُنَّ مَنْ لَها صَغيرْ
وَدَّتْ لو انَّهُ لفرطِ قسوةِ الحياةْ
أراحَها فَماتْ !
قولوا لَهنَّ إنَّ في العراقِ ،
في دُجاه
في كلِّ يومٍ ألفَ صوتٍ يُقلقُ الإلَـهْ

إنْ كُنتُ لا تقيتْ
فَفِيمَ تُعْطي
فِيمَ تبْقي
فِيمَ لا تُميتْ ؟!

لكنَّ أمَّهاتِنا في ظُلْمةِ العراقْ
يَعبُدنَ رغمَ سُخْطِهنَّ أيُّها الرِّفاقْ
أطفالَهُنَّ حينَ يَنْطِقُونَ كالكِبارْ
حينَ يُقلِّدونْ
آباءَهُم ،
يَعْبدنَهم حينَ يحاولونْ
أنْ يُصْبحوا كِبارْ
فأمَّهاتُنا يَرَيْنَ أنَّ في الصَّغيرْ
في عَبْثِهِ الغريرِ
حيْنَ يَقتَفي أباهْ

يَرَيْنَ شيئاً من حياتِهنَّ في الكِبَرْ
تَضمَنُهُ يَداه
حين تُحاولانِ ،
تَعبثانِ باهتمامْ
لِتَصْنعا شيئاً يَلوحُ أنَّه كبيرْ
شيئاً بلا نِظام
لكنَّه كبيرْ !

وَلْيَقرأ الآباءُ منكم أيُّها الرِّفاقْ
إنْ استطاعَ أن يَجوزَ ظُلْمةَ العراقْ
شيءٌ عن العراقِ بينَ هذهِ السّطورْ

لِيَقرأ الآباءُ مِنكم حينَ يَجلسونْ
بينَ صِغارِهم بليلٍ آمنٍ سعيدْ
لِيَقرأوا ،
وإنْ يَكُنْ يُجمِّدُ السّرورْ
هُنَيهةً فوقَ الوجوهِ ما يردِّدونْ

اليومِ يومُ عيدْ
في ظُلمةِ العراقِ يُدعى اليومُ يومَ عيدْ
وحيثُما تَكُنْ
واليومُ يومُ عيدْ
تُشاهد الصِّغارَ في الصباحِ يركُضونْ
لِيملأوا مداخل السّجونْ
فَيلْمَحوا آباءهم في السِّجنِ من بِعيدْ
فاليوم يومُ عيدْ
وقد تَعَوَّدْنا بأن يحتضنَ الصَّغيرْ
في العيدِ والداهْ
وأنْ يُقَبِّلاهْ
لكنَّهم في ظُلمةِ العراقِ يَكتَفونْ
أنْ تَقعَ العيونْ
على صِغارِهم ،
ولو في الدَّربِ مِن بَعيدْ

ثِقوا جميعاً أيُّها الرِّفاقْ
بأنَّ من أنبَلِ ما في ظلمةِ العراقْ
أنبَلِ ما بينَ بيوتِ القَصَبِ الرِّخاصْ
أنبلِ ما أستُغِلَّ ثم اغتيلَ بالرَّصاصْ
أنبلِ ما انحنى على المحراثِ من عِظامْ
أنبلِ ما حَنَّ الى السَّلامْ
هذي الشُّعورَ البِيض ،
هذا الشَّيبَ والغضونْ
وهذهِ العيونْ
عيونُ آباءِ العراقِ أيُّها الرِّفاقْ

هـــلْ ،
هلْ سمعتُم أيُّها الرِّفاقْ
بطفلةٍ تخضَّبَتْ في ظُلْمةِ العراقْ
بما يُغطِّي كلَّ عامَيها من الدِّماء ؟

ثَغرُ أبٍ سجينْ
ثَغْرُ أبٍ ممتلِيءِ الضّلوعِ بالرَّصاصْ
كانَ أعزَّ ما تمنّى قبلَ أنْ يموتْ
أنْ يُبْصِرَ ابنتَهْ
وعندَما دَنَتْ إليهِ لَحظةُ السّكوتْ
جَرَّ إلى أقربِ طِفْلةٍ بَقيَّتَهْ
فأسْلَمَتْها أمُّها إليه
قَبَّلَ فيها كلَّ ما أَحَبَّ في الحياة
قَبَّلَها وماتْ
وكانَ إذْ يَزُولْ
يَرْوي لها وَكَفُّهُ في شَعْرِها تَجولْ
أنَّ الحياةَ كلَّها فَرَحْ
وأَنَّه أفْرَطَ في البُكاءِ فانْجَرَحْ
وسالَتْ الدِماءْ
مِن صَدْرِهِ ،
ولنْ يَعودَ بَعدُ للبكاءْ !

حدَّثَها عن بَيتِهِ الصَّغيرْ
عن طِفلةٍ تَملأهُ بِعَبْثِها الغَريرْ
تُشبِهُها ،
فَشَعْرُها كَشعْرِها حَريرْ
وَوَجهُها ،
كوَجهِها مورَّدٌ خَجُولْ
إذا رأتْ كفَّ غريبٍ هكذا تجولْ
في شَعْرِها الغَزيرْ

رَوى لها أينَ يَكونُ بيتُهُ الصَّغيرْ
ناشَدَ أُمَّها بأنْ تأخذَها إليه
تَلعَبُ وابنتَهْ
ثمَّ تَراخى فَمُهُ ،
وَسَدَّ مُقْلَتَيهْ
فانتزَعَتْها أمُّها مِن بينِ ساعِدَيه
وكلُّها دِماءْ

لو استطاعَتْ أن تَفرَّ هذهِ السّطورْ
من ظُلمةِ العراقْ
فَلْتقَرأوها ،
إقرأوها أيُّها الرِّفاقْ

حنين الى الأحجار المنسية

١٩٥٢

سَأعودُ لها وَحْدي
تلكَ الأحجــارُ الملتهِبــهْ
وثقوبُ الجدرانِ الخَرِبَهْ
مَــنْ يؤنِسُها بَعْدي

سأعودُ وأُحصيها
وأُريقُ دَمي فيها
سأرى قَلَمي
يمتصُّ دَمي
ويَجفُّ ويُرويها

ومَقابِـرُ أهليـهـا
سأســدُّ بها سَمعي
وأُميتُ بها دَمْعي

وسأبقى ألفظُ أنفاسي
بفم قاسي
سأُحَجّرُها نَفَساً نَفَسَا
وسأُطفئُها قَبَساً قَبَساً
وأعودُ فأَبْكيها
أبكي نفسي فيها

سأعودُ لها وَحدي
تلكَ الأحجارُ الملتَهِبَةْ
مَنْ يُؤنِسُها بَعْدي

وأخي وأُخَيَّاتي
وَبقايا مِن ذاتي
ستَظلُّ هناكَ بأوراقي
بحطامِ هَواي ، بأشواقي
في مأوانا أمسِ
نائيةٌ عن بؤسي

سـأعـودُ بَقـاهُم في بُعـدي
سأعـودُ ولـو تَـدمي كَبـدي
وسـأحمـلُ تـابـوتي وَحـدي
وسـأدْفنُ وَجـدي في وَجْـدي
وألوبُ هنا
وأهيـمُ هنا
وسـتُنكرني عينـايَ أنـا

النار والطيبة الصامدة

نَحنُ لا نَزْرَعُ حِقداً
نَحنُ لا نَسْقِي دِماءْ
نَحنُ لا نَحرثُ بالنارِ صدورَ الأبرياءْ
نَحنُ قَومٌ بُسَطاءْ

عنْدَما يُقْسِمُ كلٌ بِبَنيهْ
أننا لا نَسْتفِزُّ الشرَّ ،
أنـا نَتَّقيه
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

عندَما نُبْصِرُ آلافَ البَنادِقْ
تَتَجَمَّعْ
في الدُّجى مثلَ نذيرِ الموتِ ،

يحصي بالدقائق
أهلَنا ،
أطفالَنا ،
كـمْ سَيعيشُونَ
وَنَقْنَعْ
انَّها لنْ تتجاسَرْ
فَلَها دُنيا ودينْ
ولها عِبْرَةُ ما كانَ مصيرُ الآخرينْ
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

غيْرَ أنّا
عنْدَما تَنْتَزِعُ النيرانُ منّا
كلَّ نُبلِ البُسَطاءْ
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا جُبَناءْ

أمومة

١٩٥٥

عاني مِخاضَكِ يا غريْبه		مَحْرومةً مِن كلِّ طيبَهْ
عـاني مخاضَـكِ واحمِلي آلامَ وَحـدتِـكِ الـرَّهيبَـهْ
عاني مخاضَكِ واسمَعي شكواكِ وَحـدَكِ يا جَـديبهْ
يـا طـالَمـا طُـوَيتْ على بَلْواكِ أضلُعُـكِ الـرَّحيبــهْ
ذوبـي مِن الآلامِ وابـتَسِـمي لأوجُـهِـنـا الـكئيبــهْ
إنّـا نُـريـحُ بـراحَـةِ المـوتى ضمـائِـرَنـا المُـريبَــهْ

عاني مخاضَكِ وادْفني		موتاكِ وحدَكِ يا فَقيْرَهْ
يـا ليتَ ثَدْيَـكِ ما غَـذّا		هذي الملايينَ الغَفيـرهْ

عـانِي مخاضَـكِ فـالصِّغـارُ تَفـرَّقـوا في كـلِّ دِيْـرَهْ
كـلٌّ يَئِـنُّ على أسَـاهْ خِـلال أنّـتِـكِ الكَـبيـرَهْ
هُـم يَسمعونَكِ ،

يُبْصِرونَكِ ،
غيرَ أجنحةٍ كسيرَه
يَتَطايرون بها إليكِ تَشدُّها هِمَمٌ صَغيره ..

موعد اللقاء

١٩٥٩

عِندَما تُنْشَرُ كالرَّاياتِ أعوادُ المَشانِقْ
فوقَها هامُ ضَحاياكِ مُطِلَّهْ
كالأهِلَّه
في نِهاياتِ البَيارِقْ

عِندَما تَشْهَقُ بالنِيرانِ أفواهُ البَنادِقْ
ويُرَوِّي دَمُكِ الدّافيءُ حِرمانَكِ كُلَّهْ

عِندَما تُوصَدُ أبوابُكِ دونَ الشَّرقِ أجمَعْ
ويَظَلُّ الطبْلُ يُقْرَعْ
في حَناياكِ مِن الأعماقِ في صَمتٍ ورَهْبَهْ
عِندَما تَلْهَثُ أنيابُ الضَّلالْ
عِندَما تُهْرَسُ في الظُّلْمَةِ أضلاعُ الرِّجالْ

في سجُونكْ

عِندَما تَلْتَمِعُ الماساتُ في تاجِكِ ،
تَعْوي
مِثلَ أحداقِ الأَفاعي
فاعْلَمي أنَّ المَراعي
والعَصافيرَ الصَّغيره
وهُتافاتِ التَّلاقي
كلّها تَرنو إلى تَمّوز يا أُختَ عراقي

وقفة حب للجواهري

في حفل عودته الى العراق

١٩٦٨

شَـدُّوا إليـكَ نيـاطَ القلبِ والعَصبَـا
وَوَطَّأوا خـطوَكَ الأجفـانَ والهُـدُبـا

وسَمَّـروا كـلَّ ضلعٍ من أضـالعِهم
في كـلِّ مُنْعَـطَفٍ جـاوَزْتَـهُ نُصُبـا

وفَتَّحـوا لـكَ أبـوابَ الصَّـدورِ وقـد
كـانَتْ تلوحُ كـأنْ قـد أُوصِـدَتْ حِقَبـا

لـو استطاعـوا أضـاءوا مِن مَحـاجِـرِهم
على طـريقِـكَ في تلكَ الـدُّجى شُهُبـا

وسَيَّروا الرِّيحَ مِن أنفاسِهِم شَرَفاً
أنْ يحْمِلُوكَ على أنفاسِهِم حُدُبا

أنْ يَلْمِسُوا مِنكَ كفّاً باللّظى غُمِستْ
ويَلْثِمُوا مِنكَ وَجْهاً بالسَّنى عُصِبا

ويَحْضِنوا ذلكَ الصَّدْرَ الذي حضَنَتْ
عظامُهُ الكونَ كلَّ الكونِ ما رَحُبا !

أسبابُ أهلِكَ يا أوفاهُمُ رَحِماً
أقاطِعٌ أنتَ مِن أسبابِهم سَبَبا ؟!

أنظُرْ تَجدْ في عُيونِ النّاسِ أيَّ هوًى
جذلانَ تهتِكُ عنهُ النَّظرةُ الحُجُبا

يكادُ مَنْ يَشْهَدُ الأعناقَ مُتلَعَةً
إليك يُبْصِرُ منها منظراً عَجَبا

أَكُلُّ قَلْبٍ لَهُ فيما شَدَوتَ بِهِ
شأنٌ ، فكلٌّ بشيءٍ مِنكَ قد جُذِبا ؟

أمْ أنَّها هالةُ المجدِ التي سَكَبَتْ
على الجبينِ مِن الأضواءِ ما خَلَبا

وأروعُ المجدِ مَرمىً هامةٍ زَحَمَتْ
ذُرىٰ السَّماءِ ، وخَطْوٍ لم يَزَلْ تَرِبا !

ما كانَ مجدُكَ مِزماراً تُرَنِّمُهُ
وقَينةً تتلوَّى حَولَهُ طَرَبا

ولا رَنينَ كؤوسٍ كلَّما امتلأتْ
طَفَتْ حُلومُ ذَويها فوقَها حَبَبا

ولا حَدَوتَ رِكابَ الأرْذَلينَ بِما
يُوحى إليكَ ، ولم تَمسَحْ لهم ذَنَبا

بلى ، رأيتُكَ حَتفاً والجاً أبداً
بيوتهم ، مُكْفَهِراً ، عاصِفاً ، غَضِبا

لم تَخْشَ إذْ كُنتَ صِلَّ الرَّمْلِ مُنْتَصِباً
أنْ يَسْلبُوكَ ، وهلْ مِن مُرمِلٍ سُلِبا ؟

حتى إذا عجَمُوا صُلْبَ القنَاةِ فلم
يُلفوا كما وَهِمُوا بانا ولا قَصَبا

جَرَتْ نُهَيْراتُهم مِن حولِ رَمْلَتِها
تُشَعْشِعُ المالَ ، والألقابَ ، والرُّتَبا

تَوَهَّمُوا هامةَ العِمْلاقِ تُثْقِلُها
تلكَ الثمارُ فتَحني جِذْعَها الصَّلِبا

لكنْ أبَتْ كلُّ ذراتِ الرِّمالِ فلمْ
تَشْربْ ، وظلَّ مهيبُ العودِ مُنْتَصِبا !

وهــلْ يَــقَــرُّ جَــنــاحٌ أنــتَ ناشِرُهُ
إلاّ على مُــرتقىً أو يَفْــرَعُ السُّحُبــا !

*

أبــا فــراتٍ ولــنْ يَــنْــفَــكُّ مُــرْتَــقِبــاً
شــوقُ الجُمــوعِ ، ولنْ تَنْفَــكُّ مُــرتَقَبــا

خمســونَ عــامــاً صَــواريهم يَجيشُ بِهــا
خِضَمُّ شِعْــرِكَ مــا لانَتْ ، ولا نَضَبَــا

أولاءِ والــلّهِ لــو خَيــلُ الفُراتِ كَبــا
طــوفــانُهــا عَــذَروا أنَّ الفــراتَ كَبــا

إلاّكَ يــا حــاديَ الــطُّوفــان ، لا عُــذُرٌ
ولا شَفــاعــةَ إن لمْ تَنْــطَلِقْ خَبَبــا !

هــذا هــو المجــدُ سَبّــاقــاً يُقصِّــرُ عن
أدنى مَــرامِيــهِ سَعيُ المجــدِ مــا وَثَبــا

ذا المجدُ يا فاصِداً أعراقَهُ جَذِلاً
أن يَشْربَ الناسُ منها عَلْقماً عَذِبا !

ذا المجدُ يا مُطعِماً من لَحمِ صِبيَتِهِ
جوعَ الجياعِ وهم أشجى الوَرى سَغَبا !

تَجفُّ كلُّ بحارِ الأرض غيرَ دَمٍ
وَهبْتَ للنّاسِ يبقى دافئاً رَطِباً

وخَيرُه ، وأُحَيلاهُ ، وأَلصَقُهُ
بالرُّوحِ والفِكْرِ والخفّاقِ ما وَجَبا

أَنّا إذا لُحْتَ أومأْنا بألفِ يَدٍ
مُنَبِّهينَ بها أفراخَنا الزُّغُبا !

*

أولاءِ أهلُكَ يا حادي مَواكبِهم
كمْ أُجهِدوا فحَدَوتَ الموكبَ التَّعِبا

تَـرمـي بـهِ الـوَعـرَ لا يَلْوي أعـنَّتَـهُ
وتَـزحـمُ المـوتَ لا يَثْني لـهُ رُكَبـا

*

وأيـنَ تلقى عـظيمـاً قـالَ قـافيـةً
فقـادَ في كـلِّ بيتٍ جحْفَـلاً لَجِبـا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ وأكـرِمْ بـالّتي وَهَبَتْ
مُـخَـلَّدَ الـشِّـعْـرِ أنْـقى دُرَّةٍ وُهِـبـا

سـلْ عنْ أُهَيلِكَ هـل غَصَّتْ محـافِلُهم
ولم تَـكُ القَلْبَ مِمّـا قيـلَ أو كُتِبـا

هــلْ ارتقى مِنبَـراً لـلشِّعْـرِ مُـلْهَمُـهُم
إلّا وكُـنـتَ خَـيـالاً دُونَـهُ انْـتَـصَـبـا

حتـى لَـتَـنْـفَـتـحِ الأجفـانُ مُـثْـقَـلَـةً
ويُنصِتَ السَّمْـعُ لا نَبْـعـاً ولا غَـرَبـا

لـقــدْ قَــرَعْـتَ نَــواقـيـســاً مُــدَوِّيــةً
تَــرَكْتَ كـلَّ قــريضٍ بَعْـدَهــا لَغَبـا !

*

قــالـوا اغْتَــرَبْتَ ، ألا فُضَّتْ مَقـاوِلُهم
متى رأيتَ الأديبَ الفَــرْدَ مُغْتَــرِبــا ؟

مـتى سَـيَفْـهـمُ هــذا الـخَـلْقُ أنَّ لَـنـا
فـي كــلِّ آهِلَةٍ مِـن شِـعْــرِنــا نَـسَـبـا

لقــدْ رَحَلْتَ عــزيــزاً إذْ تَــركْـتَ لنــا
أشقى غــريبَينِ فينـا الفِكْــرَ والأَدَبــا !

سَـلِ العـراقَ الـذي غَنَّيتَ ، مـا وُصِبـا
وما تَحدّى ، وما استَعدى ، ومـا غَضِبا

ألــمْ يَـكُــنْ مــنــهُ أفــواهٌ مُــمــزَّقـةٌ
تمــجُّ والــدَّمَ بيتــاً منــكَ مُلْتَهِبــا ؟!

تــالـلّهِ مـا بــارَكتْ شـمسٌ مــرابِعَــهُ
ولا تَــدلّـى بــهِ غَـيـمٌ ، ولا سَـكَــبـا

ولا سَــرى أيُّ ســارٍ مِــن كــواكــبِــهِ
ولا جَــرَتْ جَـرَيــانً المـاءِ فيــهِ صَبا

علي سُعَيْفةِ نَخْلٍ في الفَلاةِ ، على الـ
شَطّينِ ، والمُنْحنَىٰ ، والجُرفِ مُضْطَرِبا

إلّا سَمِعنــا سَــلامــاً منــكَ تُــرْسِـلُهُ
عَبْـرَ البحـورِ ، وتَـرجيعـاً لـهُ طَـرِبــا !

*

يـا واهبَ الشِّعـر مِن عَينَيـهِ ضَـوءَهمــا
ومِن جــراحٍ يُعــانيهــا دَمــاً سَــرِبــا

ومِـن مَـصــائِـرِ أطــفــالٍ تُــطالـبُــهُ
عيــونُهُـم دونَ أن يُــدني لـهم طَـلَبــا

يُقلِّبونَ على شَعواءَ يُطعِمُها
مِن لحمِ جَنْبَيهِ تلكَ الأوجُهَ النُّجُبا

مؤمِّلاً أن تَهيضَ الرِّيحُ جَذْوَتَها
فتَسْتحيلَ لخيرٍ دائمٍ سببا

آمَنْتُ أنَّكَ أنقى الحاطِبينَ يَداً
أنْ رُحْتَ طَوعاً لنارٍ هجِتَها حَطَبا !

*

يا خالَ عوفٍ وقد أضرَيْتَ جَذوتَها
واحسرَتا إنْ أجِدْ عنها وواحَربا !

نارٌ نَذَرنا لها الأضلاعَ مُضْطَرَباً
حتى تَضرَّتْ على أفراخِنا لَهَبا

ولم يَزَلْ نحْوَها يَسعى بنا خَبَباً
رغمَ الأذى كَونُها أُمّاً لنا وأبا !

*

يـا خـالَ عــوفٍ ولم نَفْـزَعْ لِقــافيــةٍ
مِـمّـا نُعــانيــهِ سُـلوانــاً ولا هَــربـا

وَيْـلُمِّ كَـفِّـي مِـن حَـرفٍ أُسـطِّرُهُ
فـلا أرى بعضَ عمـري فـوقَـهُ صُلِبـا !

فـإن تَـمـزَّقـتُ عـن آهٍ يُـغـالِـبُهـا
صَبري ، فكُنْ عاذِرَ الصَّبر الذي غُلِبا !

يـا خــالَ عــوفٍ أأوراقٌ مُـبـعْـثَـرةٌ
هذي القلوبُ نَأتْ عن بعضِها عُصبَا ؟

تَعــرَّتْ الــدَّوحــةُ المِعــطاءُ مُعــوِلَــةً
وأذبــلَ الخُلْفُ ذاكَ المـرتَـعَ الأشِبـا

وقــطَّعَ الـشَّــكُّ أسبـابـاً نَـلوذُ بـهـا
في عــاصِفٍ لم يَـدعْ مِن خَيمــةٍ طُنُبا

يـا خـالَ عــوفٍ وأشجى مـا يؤرِّقُنـا
أنَّ المصـائِبَ تُـذكي بيننـا الـرِّيَبـا

فـي كـلِّ يـومٍ لنـا جُـرحٌ نُـفـتِّـقُـهُ
لِنلعَقَ الـدَّمَ يـوري الحقـدَ مـا شَخَبـا

قـد يُسْفَحُ الـدَّمُ ، جُذَّتْ كَفُّ سـافِحِـهِ
لكنْ أمـرُّ مِن السَّفّـاحِ مَـنْ شَـربـا !

أمستْ ظَـلامـاً قلوبٌ كـانَ يَعْمُـرُهـا
من المـحبَّـةِ نـورٌ ، لا أقـولُ خَبـا

لكنْ أرى زَمْهـريـرَ الحِقْـدِ يَصْفَعُـهُ
ولا أرى شـاجبـاً مِن بـينِنـا شَجَبـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ أَقِلْني إنْ عَثَرْتُ فقـدْ
ينبـو الصَّقيلُ وإن لم يَنْبُ مَـنْ ضَـرَبا !

أورَيتَ أنتَ زنــادي فــاحتــرَقْتُ بــهِ
عشرينَ عاماً صَبُوراً ، شامخاً ، شَجِبا

وإنّـني مِـنــكَ فَــرْخُ النَّســرِ يحـمِـلُهُ
عـلى جَنــاحَـيــهِ جبّــارَيـنِ إن تَعِـبــا

باريس وجنين الثورة

١٩٥٦

الضوءُ في النّجومْ
والضَّوءُ في القَمَرْ
في الحَطَبِ اليابسِ ،
في الرَّمادِ ،
في الغيومْ
والضوءُ كلُّ الضوءِ بينَ أضْلُعِ البَشَرْ
فَلْتنتَصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تدوسْ
معابِرَ الشموسْ
لِتَنتصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تَرومْ
أن تُطْفيءَ النّجومْ
وَتَقْتُلَ القَمَرْ
لِتَنْتَصِبْ مَشانِقٌ في عَدَدِ البَشَرْ

فالضَّوءُ في كلِّ مكانٍ يُنْبِتُ البَشَرْ

باريسُ

يا باريس : يا مَوتي ويا ضَلالْ
يا سُبَّةً يُخْجِلُ أن تُقالْ
حُرّيةُ الرِّجالْ
كالرِّيحِ يا باريس لا تَني ولا تُنالْ
كالرِّيحِ يا باريس ، لا حَدَّ ولا مَجالْ
لا مَنبَعٌ لَها
كالرِّيحِ يا باريس ،
كالرِّيحِ لَعلَّها
تَهبُّ يَوماً في سمائِكِ التي تَموتْ
تَقْتَحِمُ البيوتْ
تبحَثُ عن جَذْوَتِك القَتيلَهْ
تُوقِظُ روبسبير مِن رَقْدَتِهِ الطَّويلَهْ
تنثرُ عن أحطابِكِ الرَّمادْ

فَربَّما فَهمتِ شيئاً مخلصاً أرادْ
خمسةُ أنبياءْ
أن تَفْهمِيهِ قبلَ أن يَقْتُلَكِ الضِّياءْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي على لِداتِكِ الأُخَـرْ
تِيهِي عليهم أنَّ كلَّ جيشِكِ العظيمْ
تَمكَّنَتْ قوّاتُهُ تَمكُّنَ اللئيمْ
مِن خمسةٍ مِن شُهُبِ الثَّورةِ فانْتَصَرْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي بهذا الغَدْرِ ، والجُبنِ الذي أَسَرْ

لكنَّ لِي رَجاءْ
وأنتِ تروينَ لهذا البائسِ الكبيرْ
هذا الذي يحلُمُ بالجَنّةِ في السَّعيرِ
شَعْبُكِ يا باريسُ يا ثَكْلىٰ

وأنتِ تَروينَ له نَصْرَكِ لا خَجْلىٰ
ولا بكِ انكسارْ
تَروينَ عن قَرْصَنَةٍ سَمَّيتِها انتصارْ

باريسُ لي رَجاءْ
وأنتِ تَسْتَجْدِينَ مِنِ با ئسِكِ الدِّماءْ
لا تُسْمِعيهِ أنَّ ساعةً من الزَّمنْ
في ذلكَ السَّعيرْ
تَنْسُجُ ما يَكفي من الكَفَنْ
تَحْفُرُ ما يكفي من القبورْ
لِيُدْفَنَ المئاتُ مِن أبنائِهِ القَتْلىٰ
باريسُ يا ثَكْلىٰ
لا تُسْمِعي الصِّغارْ
لا تُسْمِعي الأمَّ التي تَقْبَعُ في انْتِظارْ
بأنَّ مَوتاً شامِلاً يَهيمْ
في ذلكَ الجَحِيمْ

سَتُشْرِقُ الشُّموسْ
وأنتِ تَغْرَقينْ
في هذهِ المنابعِ التي تُفَجِّرينْ
سَتُشْرِقُ الشّموسْ
مُضيئةً
مضيئَةً كأنَّها النّفوسْ
نفوسُ خَمْسةٍ مِنَ البَشَرْ
نُفوسُ كلِّ مَنْ أحَسُّوا أنَّهم بَشَرْ

ناعور الدم

١٩٦٠

ألا أيُّ حَـرْثٍ مـن قـبـورِكِ أوجَـعُ
وأيُّ حَـصـادٍ مِـن ضَـحـايـاكِ أفْـجَـعُ

وأيُّ دَمٍ دِيـفَـتْ بـهِ الأرضُ مـثْـلَمـا
يُـداف بِـبحـرٍ مـنـكِ واديـكِ أجـمَـعُ

وهـل تُـربـةٌ مُـذْ أينَـعَ الـزَّرْعُ غـرسُـهـا
كَـغَـرْسِـكِ أعـنـاقٌ وهَـامٌ وأضْـلُعُ

وَلِـلدَّمِ نـاعـورٌ تَـسُـحُّ دِلاؤهُ
ولِـلنـارِ مِـحـراثٌ عـلـيـهـا يُـلَعْـلِعُ

وأيُّ الـذرى إلاّ ذُراكِ سـفـوحُـهـا
جـداوِلُ نـارٍ مِـن فـمِ الـصَّـخْـرِ تَـنْـبـعُ

تَسيـــلُ جَحيـمَــاً يُعشِبُ الـصَّخْرُ تَـحْتَـهُ
وتَـنــدى الثـرى مِـن سحِّهِ وهـي بَـلْقَـعُ

فَـحَبَّـاتُـهـا رَيّـا ، ودَيـجـورُ جَـوفِـهـا
يَـغـوصُ لــهُ ضـوءٌ مِن الـضَّـوءِ أسْـطَعُ

تَـغَـوَّرَ حــتـى ضـاءَ فـي كـلِّ ذرَّةٍ
مِـنَ الـطِّينِ قِـنـديـلٌ نَـديٌّ مُشَعْشِـعُ

يَـمـدُّ لـجـذرٍ بـلَّـةً ، ولآخـرٍ
غِـذاءً ، ولـلـتـاريـخِ عِـطْراً يُـضَـوِّعُ

ألا إنَّ زَرْعــاً هـائــلاً فـيـكِ يُـزْرَعُ
رَنـا بَـصـرُ الـدُّنيـا لـهُ وهـو يُـمـرِعُ

تُـصـلِّبُ عُـوداً مـنـهُ كـلُّ ضَـحـيَّـةٍ
ويُـطْعِـمُ غُـصْنـاً كـلُّ جُـرحٍ فـيُـفْـرِعُ

ويـجـمَـعُـهُ جَـمْـعَ الـبَـيـادرِ خـازِنٌ
مِـن الـوَعـي لا يَـبْـلىٰ ولا يـتَـزَعْـزَعُ

وبـينَ الـتِحـامِ الـخـيـر والـشَّـرِّ مِـديَـةٌ
تـحـزُّ كِـلا الـلّحـمَيـنِ حَـزّاً وتَـكْـرَعُ

ولـكنَّـهـا مَـهـمـا تَـطُلْ نَـزْفَـةُ الـدِّمـا
عـلى عُـنُـقِ الـبـاغـيـنَ يـا أُمِّ أقْـطَعُ !

*

أريـقـي دَمـاً فـالـنَّـصْـرُ ظُـلـمٌ فِـطامُـهُ
إذا كـانَ فـي عَيْـنَيْـهِ لـلمَـجْـدِ مـطْمَـعُ

ومـا يَـفْـطِمُ النَّـصْـر المُـظَـفَّـرَ جـائـعـاً
إلـى الـتَّـمِّ إلاّ رِيـبـةٌ مـنـهُ أجـوَعُ

فـلا تَـمْـنَـعي عـن ثَـغْـرِهِ الـثَّـدْيَ إنَّـهُ
إلـى رَيـعَـانٍ وارِفِ الـظِّلِّ يُـسْـرِعُ

جزائرُ عمري ما دَعوتُ إلى دَمٍ
وإني أبٌ يحنو ، وطِفلٌ يُرَعْرَعُ

وأمٌّ يَكادُ المَهدُ بينَ ضلوعِها
يُهَدهَدُ.. بيتٌ بينَ جَنبيَّ مُودَعُ

وَرُبَّ دِماءٍ مِن دِمائي مَسيلُها
ورُبَّ حياةٍ مِن حياتيَ تُقْطَعُ

وكيفَ ، وإنّي ما أزالُ ابنَ مِحْنَةٍ
أُغَنّي جِراباً فوقَها اللَّحمُ يَضْرَعُ

وها أنذا لا أكتمُ النّاسَ أنَّني
على لَثْغَةٍ تغتالُها النّارُ أهْلَعُ

وكَرْكَرةٍ تذوي ، وتغشى خَواثِرٌ
مِنَ الدَّمِ ثَغْراً كانَ بالأمسِ يَرْضَعُ

لَتُرعِدُني رُعباً وما بي تَهَيُّبٌ
ولكنْ دَمُ الأطفالِ يا أمِّ يُفْزِعُ !

*

أُجِلُّكِ ملأىٰ بالجِراحِ مُغْيرَةً
وليسَ لجرحٍ آخرٍ فيكِ مَوضِعُ !

تَرينَ نَثيرَ الشَّيبِ يُذرى ، وهالَةً
مِن الطُّهرِ في أعلىٰ عذاركِ تُصْرَعُ

وَمَنْثَرَ لحمٍ مِن بَنيكِ عليهِ مِن
وحوشِ الفَلا ، والطيرِ ، والدُّودِ مَجْمَعُ

فَيطْفَحُ في جَنْبَيكِ أعنَفَ موجَةٍ
شُعورُكِ أنَّ الموتَ للنَّصرِ مَهْيَعُ

وأنَّ الرَّدىٰ بالثائرينَ على الرَّدىٰ
أبرُّ مِنَ الأَغلالِ ، والتُّربَ أشْفَعُ !

ثِـقـي أنَّـنـا يـا أُمُّ لا نـوقِـدُ الـلّظىٰ
ولـكـنَّـنـا ، إنْ أوقِـدَتْ ، لا نُـرَوَّعُ

عـرَفْـنـا نـضـالاً دامـيـاً راحَ وَقْـدَهُ
جبـاهٌ تـكـادُ الـشَّـمسُ مِـنـهـنَّ تَـطْلَعُ !

عَـرَفْـنـا محـاريثَ اللّظىٰ كـيفَ حَـرْثُـهـا
وبـذْرَ الـرَّصـاصِ الـبِكْـرِ أيّـانَ يُـزْرَعُ

عـرَفْـنـا لـهـيـبـاً كـلَّ يـومٍ ولـيـلةٍ
يـطوفُ عـليـنـا حـاصِـدَاً ثـمَّ يَـهْـجَـعُ

وتـبـقـى ضـحـايـانـا وهـامُ صـغـارِنـا
بـأيـدي الخَنىٰ جَمْـعَ القُمـامـةِ تُجْمَـعُ

عـرَفنـا ، عـرَفنـا بعضَ مـا تعـرِفـيـنَـهُ
ولـكنْ عـرَفـنـا الـنَّصـرَ والـنَّصْـرُ أروَعُ

وَرُبَّ حـصـادٍ شـامـلٍ نـلـتـقـي غـداً
عـليـهِ وتـمـوزٌ بـعـيـنَـيـكِ يَـلْمَـعُ !

ما يعقد اللسان*

كـذا تَلِدُ الأرضُ التي شَهِقَتْ عُـسـرا
وكـلُّ مِخاضٍ قَـدْرَ نـاتجِـهِ قَـدْرا

كـذا تَـلِدُ الأرضُ التـي تُنْبِتُ الـسَّنـا
ويَـدفُقُ أنهـاراً بهـا دَمُهـا المُجـرى

كـذا تَـلِدُ الـدُّنيـا وتُـتئِـمُ لـلذي
يَشُـدُّ على محـراثـهِ اليَدَ والـظهـرا

ويغـرزُ في الـطّينِ المبـارَكِ أرجُـلاً
تُخلِّفُ في أعقـابِهـا بُقَعـاً حُمـرا

(*) كُتِبَتْ ليلة انتصار الثورة الجزائرية.

ويـمْسَـحُ بـالأجفـانِ غُبْـرَةَ أرضِـهِ
لعـلَّ بهـا عن سـاقِ نبْتَتِـهِ فَـطْرا !

فـإمّـا اشـرأبّتْ . . يـا أضـالـعُ سَيِّجي
ويـا دمُ فتّتْ دونَ مَنْبِتِهـا الـصَّخـرا !

ويـا ضَـوءَ كـلِّ الكـونِ مُـدَّ لهـا السَّنـا
ويـا مُقْلَةَ الفـلاّحِ يقـظَتَـكِ الكبـرى !

كـذا تَلِدُ الـدُّنيـا ، ومـا زَهـوُ مَـولِـدٍ
إذا لم تُـرفـرِفْ حَـولَـهُ كَبِـدٌ حَـرَّى

إذا لم يُخلِّفْ قَبْلَهُ الجَـذْبُ في الحَشـا
حَريقاً ، وفي الأضْلاعِ من غُصَصٍ نَغْرا

وَضَـعتِ غداً حُرّاً جزائرُ فاشمَخي
لقـد عَـظُمَتْ مَـنْ أنجَبَتْ رَجُـلاً حُـرّا

لأهلي ، لأطفالي ، ولي ولكِ البُشرى
وللنّاسِ كلّ الناسِ فَرحتُكِ الكبرى

لكلِّ فَمٍ نادىٰ ، وكلِّ دَمٍ جرىٰ
وكلِّ يدٍ شَدَّتْ رِحالاً إلى مَسْرىٰ

وهَبْتِ انتصاراً واعتزازاً ومَنعَةً
ومفخرةُ الإنسانِ أن يَهَبَ الفخْرا

لقدْ كُنتِ للإنسانِ مَنْ كانَ ثورةً
وكانَ لها نَصْراً ، فَكُنتِ لَهُ النَصْرا

وقدْ يَلِدُ الدَهْرُ الرجالَ وإنَّما
رأيتُ رجالاً ههنا تَلِدُ الدَّهْرا !

حلم طفل

١٩٥٥

في وادٍ مَسحورٍ ناءِ
في الظَّلماءِ
وُلِدَتْ نَجْمَهْ
كالماسَةِ في جوفِ الظُّلْمَهْ

كانتْ تَتَسلَّلُ كاللِّصَّه
مِن أبويَها كلَّ مساءِ
وَتَهيمُ
تَهيمُ على القريَهْ
تَخْتالُ عليها في رِقْصَهْ
ثمَّ تعودُ مع الأضواءِ

وعلى الدُّورِ
يَتَجمَّعُ أطفالُ القريَهْ
رأسٌ ينضَمُّ إلي رأسٍ

وتَهيمُ كَعبّادِ الشمسِ
بالنّجمِ النائي المقرورِ

وعلى سطحٍ ناءٍ ناءِ
غافٍ في جوفِ الظَلْماءِ
كانتْ عَينانِ على الفَرقَدْ
عَينا طفلٍ يُدعى أحمدْ
تَمتَصّانِ ليالي القريَهْ
ليلَه
ليلَه
وتَهيمانِ على اللألاءِ
والفَصُّ الماسيُّ التائي
طولَ الليلِ
يتراقَصُ في وجهِ الطفَلِ
يغْرَقْ
يَطْفو
لا يبرَحُهُ حتى يَغْفو

ليلةُ قدْرِ
وصغارُ القريَة لا تَدْري
هَبَطَ الفَرقَدْ
فِي السَّطْحِ المُنعَزِلِ النائي
فتصاعَدَ هَمْسُ اللألاءِ
أحمَدْ
أحمَدْ

رَفْرَفَ جفنُ الطِّفلِ النائمْ
فَرأى الكَوكبْ
بخيوطِ وسادَتِهِ يَلعَبْ
فَغَفا مبْتَسِماً كالحالِم !

أحمَدْ
أحمَدْ

وأحَسَّ بِدَغْدَغَةٍ حُلْوَهْ
عَبَرَتْ جِسمَهْ

فأفاقَ
أفاقَ
رأى النَّجمهْ !
فطواها في يَدِهِ الطِّفلَهْ
وغَفَا يحضنُها في نَشْوَه
ويقبّلُها
قُبلَه
قُبلَه
والضَّوءُ يُشَعْشِعُ في جَفْنِهْ
والنَّجْمَةُ تَكبرُ في حُضنِهْ
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
وأفاقَ لِصوتٍ يَدعوهُ
كانَ أبوهُ
فرأى كفَّيهِ على فِيهِ
وضياءَ الشَّمسِ يُغَطّيهِ . !

مقدمة قصيدة

١٩٥٦

كُتِبَتْ هذه الأبيات لتكون مقدمة
لقصيدة طويلة عن معركة بورسعيد

الأرضُ أبقىٰ ، وبــاقٍ يَنْحَــتُ البَـشَــرُ
تــأريخَهُم فــوقَهــا نَحتــاً بمــا بَــذَروا

الـخَيــرُ يُـعْشِـبُ فيـهــا فهــو مـؤتَلَفٌ
والشَّــرُّ يلظىٰ عليهــا فــهــوَ مُشْـتَجَـرُ

والــزَّارِعــونَ بـهــا عَــدلاً مَــزارِعُهُـم
تَـزهــو ، وينضــجُ في أعــوادِهــا الثَّمَـرُ

والــزَّارِعــونَ بهــا شَــوكــاً تَــرُدُّ لَهم
شــوكــاً تجمَّــدَ في أعــراقِــهِ المـطَرُ !

والـجـامِعـونَ قـلوبَ النّـاسِ آمـنـةً
والـنـائِـرونَ قلوب الـنّـاسِ تَسْتَعِـرُ

هـذي تَسيـلُ يَنـابيعـاً مُـرَوِّيـةً
وتلكَ تصَـخبُ طـوفـانـاً فـلا تَـذَرُ

والحـادبـون على الـدُّنيـا وأضلعُهُم
تـكـادُ مـن أنّـةِ الـمَكْـلومِ تَـنْـفَـطِرُ

والحـادبـون على صَـرعى خنـاجـرِهم
والحقـدُ يَعْصُـرُ منهم فـوقَ مـا عَصَـروا

والأرضُ تَنمـو فيَنمـو فـوق جَبهتِـهـا
بعضُ الغضـونِ ، وشيءُ مورِقٌ نَضِـرُ !

*

الأرضُ أبقى ، وبـاقٍ يَنحـتُ البَشَـرُ
تـأريخَهُم فـوقَهـا نَحتـاً ، فتَـدَّخِـرُ

مِن عهـدِ آدمَ تُحصى كـلَّ مـا وَضَعـوا
فيهـا ، وما أخَـذوا منهـا ، ومـا نَـذَروا

مـا زالَ من نـارِ رومـا فـوقَهـا نَصَبٌ
يـذرو الـرَّمـادَ عليهـا وهـوَ يَنْـدَثِـرُ

ومـا يـزال زَفيـرُ النّـاسِ يَلْهَثُ فـي
مَـدَارجِ الـطّاقِ والأهـرامِ والحُجَـرُ

بـاقٍ جَـبـابِـرُهـا لكنْ ضَحيَّتُـهُـم
طالَتْ فضجَّتْ بها الـدُّنيا وهم صَغُـروا !

وقلبُ بـاريس مـا انفَكَّتْ تَـدفُّ بـهِ
سَحـابـةٌ من لُهـاثِ النّـاسِ تعتَكِـرُ

تَنْشَقُّ عن صَـرْخَـةٍ ثَـكْلى ويَـتبَـعُهـا
عُـواءُ ذِئـبٍ مِن الـبستيـل يَـنْحَـدِرُ

ومـا تَـزالُ عـلى بَغـدادَ نـائِـحـةً
تلكَ المَـواويل ، مـلأى بالـذي زَفَـروا

مِن ألفِ عـام بُكـاءً مـا تَـزالُ بـهِ
تَلْهـو ، وتَشْحَـذُ من أسيـافِهـا التَّتـرُ !

وَقـادَةُ القاتِـلِ المجنونِ ، هـلْ سطَرتْ
كَفُّ امريءٍ في أديمِ الأرضِ ماسَطَروا؟

تَـوقيـعُ هِتـلرَ يكـفي أن تَنـوحَ بـهِ
مِن مَشرقِ الأرضِ حتى المَغربِ الأَسَرُ

عَفَّى مِـدادُ التَّـواقيـعِ التي هَـدَرَتْ
تلكَ الـدِّمـاء ، ولكنْ ظَلَّتْ الحُفَـرُ !

الأرضُ أبقى ، هي الأحـداثُ والـذِّكَـرُ
هيَ الأمينُ على مـا يَصْنَـعُ البَشَـرُ

هي التي حضَنَتْ سقــراطَ حينَ هــوىٰ
والسُّمُّ في فَمِــهِ المَــزْمُــوم يعتــذِرُ !

وهي التي أمسَكَتْ جِـذعَ الصَّليبِ وقد
ألــوى بــهِ ثِقْــلُ عيسى وهــوَ يَنْهَمِــرُ

وهي التي شَهِـدَتْ جسمَ الحسين على
تُــرابِهـا شـائِهـاً من فَــرطِ مـا بَتَــروا

أقــداسُهـا هكــذا تَهـوي ، وصــامتَـةً
تبقى ، ولكنَّهــا هــيهــاتَ تَـغْتَـفِــرُ . .

الأرضُ لا تَذَرُ
لا تَسْتَكينُ ولا يَغْفو لها بَصَرُ

كانت مَحانيها
قِدْراً تعرَّتْ بهِ روما وما فيها
تغلي ونيرونُ يَعْوي في فَيافِيها
يَعْوي وتَعرى ،
ويَعْوي ،
وهي تَسْتَعِرُ
حتى تَشَظَّتْ ،
فأَلْقَتْ كلَّ مَوتاها
في وجهِ تأريخِها الدَّامي ،
فواراها
وازَّحزَحَ الحَجَرُ
وانْشَقَّ تأريخُ كلِّ الأرض ،
وابتلَعَتْ
أغوارُه قاتلي روما وقتلاها !

لكنَّهم نُشِروا
الأرضُ أخصَبُ ما ينمو بها البَشَرُ !

روما التي قَبَروا
كانتْ سَماداً لروما سوفَ تزدَهِرُ
لكنَّ مَغناها
من فرطِ ما ازدَحَمَتْ أجسادُ صَرعاها
ما عادَ يَنفَطِرُ
عن رأسِ أفعىً لها في وَردِ آذارِ
عَينانِ مِن نارِ
تَسْتَعجلانِ اصفرارَ الجدولِ الجاري
كي تَشْرَئِبّا على كُومٍ مِنَ الحَطَبِ
فَصّينِ مِن لَهبِ
لنْ يُبقيا مرَّةً أخرى على دارِ

الأرضُ والبَشَرُ
الأرضُ والنارُ
الأرضُ أقسى إذا شبَّتْ بها النارُ
تكبو وَتَخْتَنِقُ
لكنْ بأسْرَعَ ممَّا تَنهَضُ الحُرَقُ

فِي جسمِها العاري
تَقْسو ،
تُلَمْلِمُ بُقياها
وتَنْطَلِقُ

الأرضُ أقسى أديماً حين تَحْتَرِقُ
يَخبو اللّظى ، ثمَّ يَبقى فوقَها الأَلَقُ

مُسْتَمطِرُ النارِ فيها لا يَرى حطَباً
وصانِعُ اللّيلِ يَغْشاها فيَختَنِقُ

والسّارِقون صِغاراً من بِراعِمها
تَنشَقُّ أضواؤها عنهم وما سَرَقوا

حتى يـرى بعضُهم بَعْضـاً ، فَيُنْكِـرَهُ
من عُرْيِهِ ، وهـو أعرى ، يَلْهَثُ الفَـرَقُ

في عُـريِ هذا وهـذا. والضِّيـاءُ وَهُم
مثـلُ الخَفافيشِ تَعمى حيثُ تَنْـطَلِقُ !

*

الأرضُ أقسى أديمـاً حيـن تحْـتَـرِقُ
أقسى بها العُودُ ، أنـدى فوقَـهُ الوَرَقُ !

أقسى بهـا كـلُّ مـا ضُمَّتْ بـراعمُـهُ
عـلى حيـاةٍ ، وأنـدى حينَ تـنـفَـتِقُ

أقسى على كـلِّ مـا يُـدمى أَجِنَّتَـهـا
أنـدى لـكـلِّ جنـينٍ عُـرْيُـهُ عَـبِقُ

تَبقى الثَّعابينُ تُشوَى تحتَ صَخْرَتِها
حتى تُجَنَّ ، ولا خَرْمٌ ، ولا نَفَقُ

حتى إذا امتلأتْ يأساً وموجِدَةً
زَمَّتْ ملاسِعَها واستاقَها الحَنَقُ

تَنْسابُ ما انسابَ رَخوُ الأرضِ كاتمةً
أنفاسَها ، أيُّ صَدعٍ منهُ تَنْزَلِقُ

لم يَأْلُ يَلْهثُ ألفٌ مِن مَفاوِزِها
عن شَفْرَتَي سيفِ هولاكو. فتَمَّحِقُ

طَراوةُ الطِّينِ رُعباً. ثمَّ تَنْغَلِقُ
ويَلْمَعُ السَّيفُ ، من غَمْدَيْه يُمتَشَقُ

حتى إذا حَزَّها قامَتْ خَرائبُها
قَبراً يُمَجِّدُ ما غالوا ، وما فَسَقوا

تَسْتَنْكِرُ الأرضُ لا عاشَتْ ، ولا وَضعَتْ
هـذا الجنين ، ويستعـطي ، ويَلْتَصِقُ

يَمتَصُّها عَلَقاً ، يَـطغى ، فتفتَحُ في
أحشـائِهـا قَبـرَهُ الثـاني وتنـطَبِـقُ !

*

تَعـالَتْ الأرضُ عَـرَّافـاً بمـا سَبَقُـوا
خَيـراً وشـرَّاً ، ووَهّـاباً بمـا صَدَقُـوا

تُعـطي الحيـاةَ لِمَنْ يحيـا ، وَتَسْلُبها
مِـمَّنْ يـمـوتُ فـلا يَبـقى بـهـا خَلَقُ

والخُلدُ في جَـوهَـرِ الأشيـاءِ ، ممتليءٌ
ضـوءاً. وممتليءُ ليـلاً. ومُـختَـنِقُ

هـذا يَعيشُ ، وذا يَفنـى ، وذاك بـمـا
يَسعى ، ولـلأرضِ آذانٌ لمـا نَـطَقـوا

ومـا أضاءوا ، ومـا غـامـوا ، فتمْـلأُهم
كـلاً بمـا فيــه ، إنْ فجـرٌ وإن غَسَقُ !

*

تَعـالَت الأرضُ ، كم تَعفـو ، وكم تَثِقُ
وكم تجــودُ ومــا فـي صــدرِهــا رَمَقُ

وكـم تَـحَـمَّـلُـنـا ، حتـى إذا رُزِئَــتْ
مِنّــا بنـا ، وتــلاقَتْ فـوقهــا الحُــرَقُ

هِيضَتْ فهـاضَتْ فشبَّتْ كـلُّ جــارحــةٍ
فيهـا ، فتَـدمى وتُـدمي وهي تَنْصَعِقُ !

يا بذرَةَ الخيرِ في أهلي وفي وطني
أفْديكِ لا تَهِني
صارَعْتِ خَمسةَ أجيالٍ مِن المِحَنِ

حتى ارتوَتْ فيكِ
هذي الورَيقاتُ مِن آلامِ أهلِيكِ

أدري بأنَّكِ لم تَبرَحْ على فيكِ
تَهويمةُ اللَّبَنِ
وأنَّ جذرَكِ ما امتدَّتْ يَـدُ الساقي
إليهِ إلاّ بشيءٍ بعضُهُ باقي
لم تَشْرَب التُّرَبُ

لم تَشْرَب الأرضُ إلاّ بعضَ ما وَهَبوا
والشَّوكُ والحَطَبُ

يا نبلُ يا وطَني
يا طِفلَ خيرٍ نما في شَرٍّ مُمتَحَنِ

تطلع في المرآة

١٩٥١

قَبَسٌ شَعَّ في دَياجي حياتي
فاض عنّي وسالَ في خُطُواتي

نَغَمٌ ما وَعَتْ خَفاياهُ روحي
خَفَتَتْ في سمائِهِ نَغَماتي

حُلُمٌ فوقَ ما تُصوِّرُ أوهامي ، وما تَسْتثيرُ بي أُمنياتي

أنتِ روحٌ عَبَدتُهُ راهب العَينينِ
أتلو في قُدسهِ صَلَواتي

وَتَــجــرَّأتُ فــاسـتَـرَقْـتُ إلــيـهِ
نَــظرةً لَـجْـلَجَـتْ صَــدى كـلـمــاتــي

أنتِ يــا مَــنْ صَــوَّرتُهــا قَبَســاً أسمى
يُشيــعُ الــضِّيــاءَ فــي ظُـلُـمــاتي

أنتِ يــا مَــنْ تــوَهَّمَتْ أُذُني الـصَّمــاءُ
فـيـهــا لَـحنــاً سَـبى أُغــنـيــاتــي

أنــتِ يــا حُلْمـيَ المنــوَّرَ يــا طَـيفَ
ابـتـســامــي ، ويــا بَقــايــا شَـكــاتي

لم تكــونـي إلاّ خيــالاتِ حِــرمــانـي
وطيشي ، سَجَدْتُ فيهــا لِــذاتــي !

أغنية حزينة

١٩٥٠

سَحَقتَني.. اللّهَ ما أظلَمَكْ !
مَنْ كانَ للأرضِ فَلَنْ يَفْهَمَكْ

يا حُبُّ ، يا أقتَلَ ما في دمي
ما أضْعَفَ القلبَ ، وما أجْرَمَكْ

أغرَيتَني بالقيدِ حتى إذا
قيَّدتَني تقولُ مَنْ أرْغَمَكْ ؟!

يا قَلبُ ، يا قلبي الذَّليلَ استَفِقْ
ويحَكَ إنّي عُدتُ أُسقى دَمَكْ

رَضِيتَ حرماني ، رَضِيت الأسى
رَضِيتَ ذُلّيَ معَ مَنْ حَطَّمَكْ

فكيفَ ترضى بهواني مع النّاس ،
معَ الأغراب ، ما أَيْتَمَكْ

كَرَّهْتَني نفسي فيا لَيتَ مَنْ
هَدَّمَني يا قلبُ قد هَدَّمَكْ !

النعاس الأبدي

١٩٤٩

يا مُنى قلبيَ المعَذَّبِ ،
يا دُنيا رَجائي في وحدَتي واغْترابي
يا عزائي والداءُ يعصِرُ أنفاسي ،
ويَغْتالُ ذاوياً مِن شَبابي
عَلّليني ، فقد دَجا كلُّ ما حولي ،
ورانَ النُعاسُ في أهدابي
عَلّليني فقد يَئِستُ مِن الدُّنيا
ومالي مِن مأمَلٍ بالإيابِ
يا أعَزَّ الآمالِ ،
مَـنْ لي بأن أغرَقَ في مُقْلَتَيكِ قبلَ غيابي

هاجسٌ بالذَّهابِ يَهجسُ في نفسي ،
فَهلّا أراكِ قبل ذَهابي
مَـنْ شَفيعي إليكِ يا كلُّ آمالي ،
إذا لم يَكنْ شَفيعاً عذابي

مَـنْ شَفيعي وقد نأى كلُّ مَـنْ حولي ،
فلا إخوَتي
ولا أصحابي

بعد الصحو

١٩٥٠

يَكـادُ يُقتَـلِ يَـأسـاً ، لا تَـزيـديـهِ
يـكـفيـهِ أنَّ لَـهُ قـلبـاً لـتَـبـكيـهِ !

وأنَّ وَخْـزَ ضَـمـيـرٍ فـي جَـوانـحِـهِ
مـا انفَـكَّ يـطفـو دمـوعـاً في مـآقيـهِ

مـا كانَ يَهـواكِ كي يَلْهـو ، ولا شَـرَقَتْ
عينـاهُ بـالـدَّمـعِ كي تُـروى قَـوافيـهِ

لـكنَّـهُ كـانَ يَـهـوَى فيـكِ طِـفْـلَتَـه
وبـيـتَـهُ ، وسَـرابـاً مِـن أمـانيـهِ

حُلمٌ تَـلاشى ، وماتَتْ طفلةٌ ، وَصَحـا
فـعــادَ يـخــبطُ فـي دُنــيــا مــآسـيــهِ

لا تَــظْلِمي حُبَّـهُ ، لــو شِئتِ أنتِ لَـهُ
ضَحَّى لِنَيلكِ بـالمــاضـي ومــا فيــهِ!

وعــاشَ يَـهـفــو إلــى آتٍ يُـقــدِّسُــهُ
مِن أجـلِ عينَيـكِ لكنْ.. ضــاعَ آتيـهِ

أنتِ التي شِئتِ أن يهـوى فكـان هَـوىً
وشئتِ أن ينتهي
واليــوم يُنهيــهِ !

الخطيئة الأولى

١٩٥٠

رَبَّاهُ غُفرانَكَ فالجاني أنا يا رَبّي
إغْفِرْ لها فكلُّ ذَنْبٍ كانَ منها ذَنبي
أحبَبتُها وكانَ أوَّلَ الخَطايا حُبّي
وقلبُها كانَ بَريءَ الخَفْقِ.. لكنْ قلبي
قلبي أنا.. رَبَّاهُ خُذْ منّي أنا يا رَبّي

ولكن...

١٩٥٠

قلتُ يا قَلب سوفَ ننسى هواها
فاتَّئِدْ رُبَّما عَشِقْنا سِواها

كلَّما خِلْتُ أنَّني كِذْتُ أنأى
بكَ عنها لَجَجْتَ في ذِكراها

دونَ جدوى أشقَيْتَ نفسَكَ يا قلبي
وأشقيتَني ومَنْ تَهواها

دونَ جدوى ، وكنتَ تملكُ أن تَنسى
ولكنْ أبَيْتَ أنْ تَنساها !

النسغ

١٩٥٠

لقـد عُدتُ أهـوى فيكِ يـأسي وحَيْـرَتي
وأهْـــواكِ إعــراضـــاً بـــهِ طَيفُ مُلتقى

عَشِقْتُــكِ سِـــرّاً مُبْهَمـــاً لـــو عــرَفـتُـهُ
لمـــا كـــانَ شَيءٌ بـين عَـينيـك يُتّـقى

ومـا كنتُ ظمـآنـاً فـأروي بـك الـظَّمـا
ولا كنتُ أرجـــو فيـــكِ للوَحيِ مُـــرتَقى

ولكنَّني قَــدَّستُ فيكِ الهــوَى الــذي
يَـمُـــدُّ لـــزَرعي أيَّ نـــارٍ إذا سَـقــى !

يوماً ما ..

١٩٥٢

وعَينَيكِ يا سَلْوى أُحِسُّ دَمي يَجري
وأبسِمُ للدُّنيا كأنيَ لا أدري

طَعينٌ وكفّي فوقَ جُرحي تَشُدُّهُ
وأضحَك حتى لا يَرى ألَمي غَيري

وأعلَمُ يا سَلْوى بأنَّ هَواجِسي
ثِقالٌ على كلِّ الصُّدورِ سوى صَدري

فأُودِعُها في أضلُعي كلَّما قَسَتْ
تَمَلْمَلَ في الأوراقِ حَرفٌ على سَطرِ

سأضْحَكُ يا سَلْوى وإن كانَ في دَمي
سَعيرٌ أقاسي منهُ فوقَ مدى صَبْري

وماذا تَبقَّى لي لآسفَ بعدَما
رأيتُ أعزَّ النّاسِ أدنى إلى غَدْري !

على حافة الصحو

١٩٥٠

شَبابُكَ سوفَ يعصرُهُ الذُّبولُ
وَشِعرُكَ قد يَحولُ كما تَحولُ

فإن يَكُ شَعَّ في عَينَيكِ ضَوءٌ
فقد يأتي عليهِ غَداً أُفولُ

وأنتَ على الشَّبابَ تَنوحُ يأساً
فَمنْ يدري غداً ماذا تقولُ !

تُحدِّقُ في العيونِ كأنَّ سِرّاً
تُحاوِلُهُ فيُغْرِقُكَ الذُّهولُ

على شفَتَيـك يَـرجُفُ صَـوتُ نـاعٍ
وفـي عَـيـنَـيـكَ فـاجـعـةٌ تَـجـولُ

فـإن تَـكُ عِشْتَ فـيِ حُلُمٍ جـمـيـلٍ
يُـلوِّنُ لـيـلَهُ ضَـوءٌ ضَـئـيـلُ

فـإنَّكَ قـد صَحـوتَ فمـاتَ ضَـوءٌ
حـبـيـبٌ وانـطوى حُـلُمٌ جَـمـيـلُ !

تأسية

١٩٥٢

وعَينَيكِ ما في الكونِ أقلَقُ مِن قلبي
وأقتلُ مِن صَبْري ، وأطوَلُ مِن دَربي

رأيتُ مِن الأيامِ ما لو شَكَوتُهُ
لكانَتْ شَكاتي منهُ أثْقَلَ مِن كَرْبي !

وماذا أُرَجّي مِن شكاتي وإنَّني
أرى صَفْوَ شُربِ النّاسِ أكدَرَ من شُرْبي

لن ترجعي ما كان

١٩٥٢

عينانِ تَنْطَفئانِ ، تَنزَعُ فيهما الأحلامْ
وَهَوىً تناءى ، ثمَّ غابَ. كأنَّهُ أوهامْ
وَوَجيبُ قلبٍ نامْ
لا تَبْحَثي فيً مُقْلَتَيهِ فليس ما تَرجينْ
هوَ لا يُريدُكِ أنْ تَرَي في وجهِهِ مِسكينْ
أحلامُهُ مِن طينْ

لا تُتعِبي جَفْنَيكِ ، غَلَّفَ يأسُهُ جَفْنَيهْ
هوَ لن يراكِ وإن تَكُنْ عَيناكِ في عَيْنَيهْ !
لنْ تَرجِعي ما كانَ مِن إيمانْ
بالحُبِّ ، بالوجدانْ
لنْ تَرجِعي ما كانْ

عَيناكِ يَطفحُ فيهما أَلَقُ الهوى المَحمومْ
هو حبُّكِ المزعومْ
أمسِ استقَرَّ بجانحَيهِ كخِنْجَرٍ مسمومْ
واليومِ ، عُدْتِ لِتَسألِي عَينيه عمّا فاتْ
هل غَير حُبٍّ ماتْ ؟!
يا خَيبةَ الوجدانْ
لنْ تَبعثي إلاّ الأسى في ذلكَ الإنسانْ
لنْ تُرجِعي ما كانْ

مراجعة لخطأ قديم

١٩٥٤

يا طِفلَتي لا تَعتِبي ،
أنا ما وَهَبْتُ سِواكِ شِعري
إنْ كنت قد أبصَرتِني أناى ويَدنو مِنكِ غَيري
فلأنَّني أحسسْتُ أنّي ما ضَمَمْتُكِ نحو صدري
إلّا لأنيِ كنتُ غِرّاً ،
لستُ أعبدُ مِن حياتي
إلّايَ ،
إلّا ما يُلامُسني ،
ويوقِظُ فيَّ ذاتي

إلّا لأني كنتُ أعمى
ما كنتُ أُبْصِرُ غيرَ ما يحتَكُّ بي جِلداً وعَظمْاً

يا طِفْلَتي
أنا ما وَهَبْتُ سِواك نفسي ،
غيرَ أني
أصبَحْتُ أملِكُ أن أَراكِ وإن نَأتْ شَفَتاكِ عنّي !

رسالة حب من موسكو

١٩٥٩

حبيبتي
مِن قلبِ هذا العالمِ الكبيرْ
حيثُ الشّتاءُ يَنْثرُ القُطْنَ على البَشَرْ
ويحملُ الشَّجَرْ
شموعَهُ مثلَ الشّمعداناتِ في الدروبْ

حيثُ الزُّلاقاتُ تَجُرُّها على الثّلوجْ
أجنِحَةُ الأطفالِ ،
يا حمائِماً تَموجْ

تَنضحُ بالعبيرْ
تَكاد أن تَطيرْ
تركضُ كالكُراتِ ،
كالبلّلورِ ،
كالضّياءْ

مثلَ الأرانب الصغارِ
كلُّها فِراءْ
أَوَدُّ لو ،
أحِنُّ لو أضمُّها إلَيّ
أملأ أنفاسي ومقلَتيّ
بدفئِها ، لكنّها تُفلِتُ من يَدَيّ
فتملأ الفَضَاءْ
بكَركَراتِها ، وأبقى مُرهَفَ الحنينْ
أُنصِتُ للرَّنينْ
ينأى بها وهي تَجرُّ عِبأها الثَّمينْ

حبيبتي ،
أيُّ جَناحٍ سَكِرٍ مَشوقْ
أطلَقَهُ في قلبيَ الخَفوقْ
إليكِ يا حبيبتي ،
لطفْلِنا البَعيدْ
أطفالُ هذا العالم السَّعيدْ !

اللّه
لو وسَّدْتُ قلبي مَوجةً في نهرِ دَجله !

موسكو
١٩٥٩

رسالة حب من تاجيكستان

١٩٥٩

حبيبتي
مِن هذهِ الدُّنا
مِن بَلَدِ الشَّمسِ ومِن مَضارب السَّنا
حيثُ تَلاشى ضَوءُ عينيَ « رودَكي » هُنا
لِيُبْصِر التاجيكُ أجمَعينْ

حبيبتي
حيثُ التقي برودَكي لنين
في هذهِ الدُّنا

مِن وَهَجِ الشَّرقِ ومِن ذُراه
مِن كلِ وَجهٍ تُشرِقُ الحَياه
في صوتِهِ المُرَنّمِ
في ثَغْرِهِ المُبْتَسِمِ
في كَفِّهِ تَشُدُّ كفّي وَتُحيّي مَقدَمي
أُحسُّ أنَّ في دَمي
شيئاً إليه يَنتمي
شَيئاً هو الحياه !

مِن وجهِ طفلةٍ تمنّيتُ لها السّلامْ
حبيبتي لأنَّها شيءٌ مِن السَّلامْ

مِن هذهِ الدُّنا
وكنتُ أدري أنَّ فيها إخوةً لَنا
للنَّاسِ أجمَعينْ
لكنَّني لم أَكُ أدري أنَّ للحَنينْ

عُمقاً كهذا ،
أنَّ للنَّظرَةِ في العُيونْ
دِفئاً كهذا ،
أنَّ في تَشابُكِ اليَدَيْنْ
شَيئاً يكادُ يَنْطِقُ
شيئاً يَكادُ أن ،
يَكادُ .
يا لِساناً يَغْرَقُ !
إن كنتَ في بَحرٍ عميقٍ فَبحاري أعمَقُ
حَمَلتُ للشّرقِ سَنىً ملءَ ضلوعي يُشْرِقُ
حَمَلتُ قلبي يَخفِقُ
وكنتُ غَنَّيتُ لكلِّ هذهِ القلوبْ
كانَ فمي يَحتَرِقُ
وأضلُعي تَذوبْ
كان العراقُ في ليالي سُهْدِهِ الرَّهيبْ
كنتُ أُغنّي للعراقِ والظّلامُ فيهْ

يكادُ ساري ليلهِ يَتيهْ
الشَّمسُ لا تموتْ
الشَّمسُ لا تُطفأ ،
لا تُقْتَلُ ،
لا تموتْ
كنتُ أغنّي للعراقِ ،
أقرَعُ البيوتْ
أوقِظُ فيها الشَّمسْ

لها على عُيوننا الأَنجُمُ والأَهِلَّه
وفي قلوبِنا لها
نوافِذٌ مُطِلَّهْ

الشَّمسُ في قلوبِنا
والشَّرقُ ينشرُ السَّنا
وفي غَدٍ نلقاهُ في مَرابعِ الضَّوءِ هُنا

هذا هو الشَّرقُ وهذا موعِدُ اللقاءْ
إنّا لَقيناهُ وفي عيونِنا الضياءْ !

حبيبتي
إنَّ بقلبي هالَتَيْ سَنا
مِن العراقِ هالَةٌ
وهالةٌ هُنا
وفي غدٍ سَنَلْتَقي
أسْكبُ في سَلْسَلِ عَينَيكِ الذي يُراق
أسْكُبُ كلَّ ما جَمَعْتُ من ضِياءِ المَشْرِقِ
ومِن سَنا العراقْ !

المغضبة

١٩٦٩

بَلَى غَضَبي نَـزْرٌ ، وإنِّي لَغاضِبُ
ألـوكُ حَصاةَ الصَّبْـرِ والصَّبْرُ عـازِبُ

بَلَى خَـطَبٌ هذي الضّلوعُ عَـدِمتُها
يَصُولُ عليها مِن لَظى الغَيظِ حاطِبُ

بَلَى رئتي تَـنْشَـقُّ عن أيِّ جـاحِـمٍ
لـهُ ألَقٌ مـا بيـنَ جَـفـنَـيَّ راعِـبُ

لُعِنْتُنَّ نـيـرانـاً تَشَظّى شُـواظُـهـا
يني لاهِـبٌ منهـا فَـيـوريـهِ لاهِـبُ

لُعِنْتَ دَمـاً لَـزَّ العــروقَ ، وخــافقـاً
تَـضُــجُّ بــهِ الأنيــاطُ منَّــا يـجــاذبُ

*

ثَـكَلْتُــكَ دَهــراً دارِعــاً ســاقَ خيـلَهُ
إلـيَّ ، وســاقَتني إليــه المَعــاطِبُ

يَــطيــحُ بِــرَكبي حيثُ سِــرْتُ عِثــارُهُ
وَتَـنْشِــبُ بـي أنيــابُــهُ والـمَخــالِبُ

وأُخفي جِــراحــاتي . وأرفَــعُ هــامتي
وما غيرَ فَيضِ الجُرْحِ للجُرحِ عاصِبُ !

ثَـكَلْتُــكَ إنّـي منــذُ عِـشــريـنَ نــاذرٌ
دَمي ، فــأنــا ممَّــا أُزَكيِّــهِ شــاحبُ !

لِبيتيَ شَيءٌ منهُ ، والنّاسِ جُلُّهُ
ولي منهُ خَفْقُ القلبِ والقَلبُ لاغِبُ

ولا غُرْمَ أنّي باذِلٌ منهُ خَيْرَهُ
ولكنَّ غُرماً أنَّ مثلَكَ شارِبُ

وأنَّ دَبيَّ جَيَّشتَها وَلَغَتْ بِهِ
عناكِبُها مَسعورَةً والعقارِبُ

وأفدحُ ما يَشجي الكريمَ قتالُهُ
صِغارَ ذُنابى جَرّأتها النَّوائِبُ !

تَرَبَّصُ حتى يَلتقي اللَّحمُ بالمِدى
فتُغرَزَ حيثُ الجرحُ والجرحُ شاخِبُ

*

وقَومٍ ذَخَرناهم على الدَّهرِ واثباً
سَعى بِهِمُ غُنْمٌ مَعَ الدَّهرِ واثِبُ !

وكـانـوا الـذي نهوى إذْ الجَـدُّ مُقْبِـلُ
فصاروا الذي نخشى إذ الجَدُّ ذاهِبُ !

لَئِنْ أخـطأتْنـا الأبـعَـدون فلم تَـزَلْ
مَـقـاتـلُنـا أدرى بِـهِـنَّ الأقـارِبُ !

ولـم نَـدْرِ إذْ كـانَتْ تَـسـحُّ دمـاؤنـا
لـهم أنَّ شـأنَيْنـا حَلوبٌ وحـالِـبُ

كَبِـرْنا ، وضَـاءَ الشَّيبُ في ليلِ شَعْـرِنا
فهَـلْ ضَـوَّأَتْ لَيـلَ الحيـاةِ التَّجارِبُ !

*

بَـلَىٰ غضَـبي نَـزْرٌ ، وإنِّـي لَغـاضِـبُ
ألـوكُ حَصـاةَ الصَّبْـرِ والصَّبرُ عـازِبُ

تَـزمَّلْتُ مَحْمـومـاً بغَيـظي فلم يَلُحْ
لِـراءٍ كَـمِـثْـلِينـا مَـنُـوبٌ ونـائِـبُ

نُـغـالِبُ بَـعضـاً تـارةً ، ويَـفيئُـنـا
إلـى هَـدأةٍ أنَّ الـزَّمـانَ الـمُـغـالِـبُ!

وأنّـا نَـرى مِـن أَمْـرِهِ كـلَّ سـاعـةٍ
عَجيبـاً. ومـا تَفنى لـديـهِ العَجـائِبُ

*

رأيْـتُ مَـوازينَ الـمـواهِبِ أُتْـخِـمَـتْ
وأنـدَرٌ مـا في كفَّتَيـهـا الـمـواهِـبُ !

ومُـشْـتَـجَـراً لـلفَـنِّ طـاحَ بِـسُـوحِـهِ
مِـن الفَـنِّ مَـخْـذولاً سَـنـامٌ وغـارِبُ

إذا جَـذَمَتْ أسيافُهُم منـهُ جـذمَـةً
أُقيمَتْ عليهـا للنّبـوغِ المـآدِبُ !

رأيْتُ معـايـيـر الأديبِ مَـنُـوطـةً
بـأفْئِـدَةٍ مِـعـيـارُهُـنَّ الـمـآرِب !

فَـذو بِـطْنـةٍ لا يُحسِنُ السَّجعَ شـاعِـرٌ!
وذو لبـدَةٍ لا يَقـرأ الـسَّـطرَ كـاتِبُ !

وحـاملُ سيفَ النَّقْـدِ مَـنْ مـلءَ جَـوفِـهِ
مَعـاجِمُ ثَلْبٍ أحْكَمَتْـهُ المَكـاسِـبُ !

إذا ذادَ عـن قـومٍ لأمـرٍ فـمـانـعٌ
وإن جـالَ في قـومٍ لأمـرٍ فعـاطِـبُ

فَنـاءَتْ بـهِ حَـدَّ العَيـاءِ الضَّـرائِبُ
وَحَفَّتْ بـهِ حَـدَّ اللُّصـوقِ الحَبـائِبُ

فهُم حشوُ سوقٍ ، لا عكاظَ فتَحْتَمي
بنابغَةٍ فيها ، ولا مَنْ تُخاطِبُ

ولكنْ كَسوقٍ في الرّصافةِ تَلتَقي
على هَرَجٍ أوساطُها والجوانِبُ !

فإنْ كنتُ ذا قَولٍ فأينَ أقولُهُ
وإن كنتُ ذا عَتْبٍ فمَنْ ذا أعاتِبُ !

*

بَلَىٰ يا جَهاماً يَمنعُ العَينَ أن تَرى
ضياءً ، فلا تَسري ، ولا أنتَ ساكِبُ

أَخِلْتَ السَّما غِيضَتْ وظهرُكَ مُلْهَبٌ
بما تَتَلظَّى شمسُها والكواكِبُ

أَخِـلْتَ بـحـاراً بـيـنِ يـومٍ ولـيـلةٍ
تَجِفُّ بـمـا أرجَفْـتَ إذْ أنتَ نَـاضِـبُ

بَعيـدُ مَنـالٍ عنـكَ ضَـوءُ حَـجَبْتَـهُ
وأبـعَـدُ منـهُ شـأْوُهُ لا الـعـواقِبُ !

*

عَـجيبـةُ أمـرِ هـذهِ الأرضُ لا تَـنـي
مَـراهبُهـا مِـعيـارُهـا والـرَّغـائِـبُ

رأيـتُ مُـروءاتِ الـرِّجـالِ مقَـيسـةً
بمقـدارِ مـا تُحصى عليهـا المثـالِبُ !

وخيـرَ عبـادِ الـلّهِ مَـنْ لا يَـشـوبُـهُ
لـدَى النّاسِ ممَّـا يَشغلُ النّـاسَ شائِبُ !

فـلا هـوَ فـي غُـرْمٍ يـؤدُّون غـارِمٌ
ولا هـوَ في كَسْبٍ يُـرَجُّـون كـاسِبُ

رأيتُ جسـومـاً عُمِّـرَتْ فهيَ فِتْنَـةٌ
وهُـدِّمَـتْ الأرواحُ فـهـيَ خـرائِـبُ !

يُـزَغـرِدُ بـاديـهِنَّ تِـيهـاً وبَـهْجَـةً
وتُـسْمَـعُ مِن أعـمـاقِـهِنَّ النَّـوادِبُ

ولـو مَضَغَتْ أنيـابُهـا مَحضَ روحِهـا
إذن هَلكَتْ والـشَّـرُّ لـلشَّـرِّ قـاضِـبُ

ولـكـنَّ صَـيـداً أتـقَـنَـتْـهُ يَـرُبُّـهـا
كمـا أتقَنَتْ صَيدَ الـذُّبـابِ العَنـاكِبُ

لَئِنْ كـانَ صَـيـدٌ والتَّـسـتُّـرُ دائِبٌ
فهـل ثمَّ صَيـدٌ والتَّـرصُّـدُ دائِبُ ؟!

*

بلى غضَبي نَزرٌ ، وإنّي لغاضِبُ
ومَركبُهُ وَعرٌ ، وإنّي لَراكِبُ

وأعلَمُ أنّي ليسَ لي مَنْ يُقيلُني
إذا عَثرَتْ بالرّاكبينَ الرَّكائِبُ

ولو لم يَكُنْ لي ما أَريشُ سِهامَهُ
سَكَتُّ وغَيظي بين جَنبَيَّ ناشِبُ

وكيفَ ، وَحَدّي في يدي قد خبرتُهُ
وموغَرُ أحشائي ، ودَهرٌ مُناصِبُ

وإنْ هيَ إلاّ لَحظَةُ الحَزمِ بينَنا
يُرى بعدَها منّا خَضيبٌ وخاضِبُ

تَوَقَّ شَباتي لا أبالَكَ مَضرَباً
فإني لَمُنقَضٌ ، وإنّي لَضارِبُ !

إذا لم تَكـوني يـا قَـوافيَّ عـاصِفـاً
إذا لم تَكُنْ منـكِ الـرُّجـومُ الـلواهِبُ

إذا لم يُجَـرَّدْ منـكِ ، مِن كـلِّ لَفـظَةٍ
شِهـابٌ مـدى مـا تُبْصِرُ العينُ ثـاقِبُ

فَفِيـمَ ادِّعـائي الـشِّعـرَ أحـمـلُ وِزْرَهُ
ويحمِـلُ منّي وِزْرَ مَـنْ لا يُـحـارِبُ ؟!



خيمة على مشارف الأربعين

١٩٧١



قطرة حزن

وطنٌ لمخاوِف هذا العالم قلبي
مَـنْ يعرفُ أين حدودُكَ يا عصفورَ الخوفْ ؟
يا مملكة الخوفْ
وطنٌ للآلامِ ،
ويحملني حبي
أرحَلُ منكَ
وأرحَلُ فيك
أيُّ صليبٍ يمتدُّ إلى أطرافِ الأرضِ رحيلي
يا قلبي
يا طيراً أنهَكَهُ الطَّوف

ولم يبرح يسحبُ في كلٍّ جهاتِ الأرضِ جناحَيْهِ المَسْحُوقَينْ
يا كنزَ الخوفْ
يا قطرةَ حزنٍ
تنبضُ فوق صليبِ العالمِ
يا قلبي

غرق الطوفان

شهقة على جثمان العالِم العراقي الكبير

الدكتور عبدالجبار عبدالله



وانسابَ في صمتٍ وفي جلالْ
تَلَفَّتَتْ تسألُ عن مَنْبَعِهِ الجبال
أيُّ ذراها ؟
رفعتْ رؤوسَها الأهوارْ
وابتسمتْ ،
رنَتْ إليهِ في اعتزازٍ
أجهَشَتْ
وظلَّ ينسابُ مهيبَ الموج
في صمتٍ ،
وفي جلالْ
معمِّقاً مجراهْ
مغالِبَاً مجراه
متَّسِعاً فاضَ على مجراه
ثم استقرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ
وحيثُ لا تختلفُ المياه

ماءٌ ولا جفافْ
لم تَثِب العيونُ عبرَهُ إلى ضفاف
الأرضُ كلُّها غذَتهُ ،
احتضَنَتْ مَسارَهْ
ترصَّدَتْ مَدارَهْ
أعطتْهُ
لم يأخذْ ،
وأعطى كلَّ ما لديهْ
لم يَسْبِرُوا قرارَهْ
لكِنَّما روائحُ العماره.

حياتُـهُ . . كأنَّما ضياءْ
أنجبَهُ احتراقْ
أرضَعَهُ احتراقٌ
وَهَّجَهُ احتراقْ
أطْفَأَهُ احتراقْ

أغفى
تعَرَّتْ شهقَةٌ تملأُ عينيه
تلوبُ
تطرقُ الأبوابْ
تَسْتَصْرِخُ الوجوه ،
تَسْتَشْهِدُ ،
تبكي ،
تذبحُ الأهدابْ
وأفلتَتْ مروعةً تحملُ عينيهِ ،
تكادُ تشربُ العراقْ
تطوي المسافات ،
تذودُ الموت ،
تَعْدُو
تشربُ العراقْ
وانكَفَأَتْ
تَدَحْرَجَتْ عيناهُ رطبتَيْنْ

واستقرَّتا في تربةِ العراقْ

وطَأْطَأَتْ رؤوسها الأهوارْ
وأجْهَشَتْ على ضِفافِها حناجِرُ القصبْ

تأمَّلَتهُ وهو ينسابُ بلا شطآنْ
يدفُّ حولَهُ ضبابٌ هائلُ الأكفانْ
وتابَعتـهُ .
غامَ في أحداقِها الأمس ،
خيوطُ الضوءِ تنسابُ ،
تَناءىٰ
تابَعَتْ أحداقُها المجرىٰ
همى الأمسُ رذاذاً
عينُها مشدودةٌ عبر رذاذ الأمس
ألمجرى ضبابٌ هائلُ الأكفانِ ينأى
انهمَـرَ الغيثُ عنيفاً

غرِقَتْ أحداقُها في الأمس ،
غامتْ
تابَعَتْهُ
تابَعَتْهُ
تابَعَتْـ ـهُ

جدولٌ صغير
يوَشوِشُ الأمواجَ في شواطيءِ العماره
مستوحداً نحيلْ
منسَرِباً بين جذورِ العشبِ والنخيل
يؤنِسهُ خريرهُ
وتابَعَتْهُ
تابَعَتْهُ
تابَعَتْـ .

تذكرتْ طفلاً يتيماً حافيَ الأقدامْ
على يدَيها نام
يرتعشُ الشتاءُ كلهُ بركْبَتَيهْ
يندَسُّ في عظامِهِ
يجمدُ في يديه
فينحني عوداً على كتابِهِ الصغيرْ

وزَخَّتْ الأمطار

تذكَّرَتْهُ يافِعاً صامتةً خطاهُ
واسعةً خطاه
تذكرتْ كم شربَتْ عيونُها خطاهُ
حتى غابَ في الضياءْ
وحولها حناجرُ القصَبْ
تشهَقُ بالدعاء

وانسابَ نحوَها ينابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وِدْيانِها سماء
عادَ إلى شطْآنِها سماء

عادَ إلى أحضانِها بحراً من الضياء
وادعةً خطاهْ
ثابتةً خطاه
هائلةً خطاه



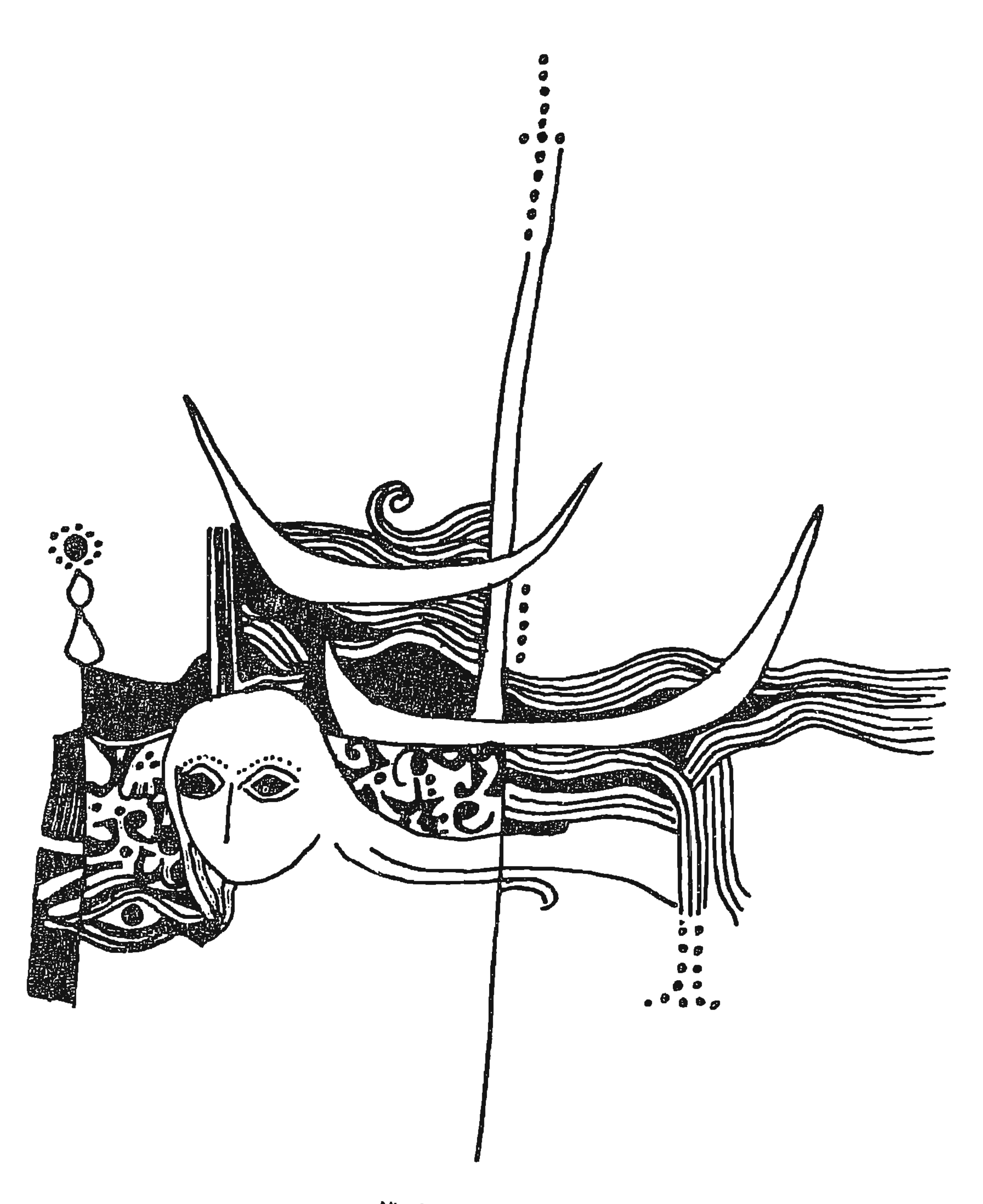
فزغردتْ كلُّ شفاهِ القصبْ
واحتضَنَتْهُ ،
قَبَّلَتْ خطاه

وَزَخَّتْ الأمطار
عنيفةً
ثم تلاشى الغيمُ
شَفَّ
اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضوء
ذاب الأمسُ
شفَّ
ابتلَعَتْ دموعَها الأهوارْ
ثم أفاقتْ
كان ينسابُ بلا شطآنْ
يَدفُّ حوله ضبابُ هائلُ الأكفان
أمواجُهُ تعثرُ بالضبابْ
أضواؤه يشربُها الضباب

ينسابُ في الضبابْ
ينسابُ
لا شيء سوى الضبابْ

حينَ تمرُّ الريحُ في شواطيءِ العماره
يصعدُ من حناجرِ القَصَبْ
ينثالُ من ذوائِبِ النخيلْ
صوتُ نداءٍ يشبهُ العويل

أوحَشْتَ عبدَالله
صوَّحتَ عبدَالله
يا والدَ الطوفانْ
قد غَرق الطوفان
لا نِمْتَ عيناً غرقَ الطوفان
لا نمتَ عبدالله
لا نمتَ عبدالله
لا نمتْ



المناحيف

تعرَّت الأهوارْ
صَعدتْ من أحضانِها غَيمَهْ
أرعَدتْ ،
أبرَقتْ ،
تبَعثَرتْ كما أشاءْ
وكلَّما لَمْلَمَ أطرافيَ بردُ الشتاء
عدتُ رذاذاً
مَطَراً
حالُوبْ
أنقُرُ في السقوفِ والأبوابْ

أركُضُ في الدروبْ
ألصَقُ بالأوجهِ
بالشفاهِ
بالـ

اللّـهْ

يا دفءَ أحضانِ المَشاحيفِ!

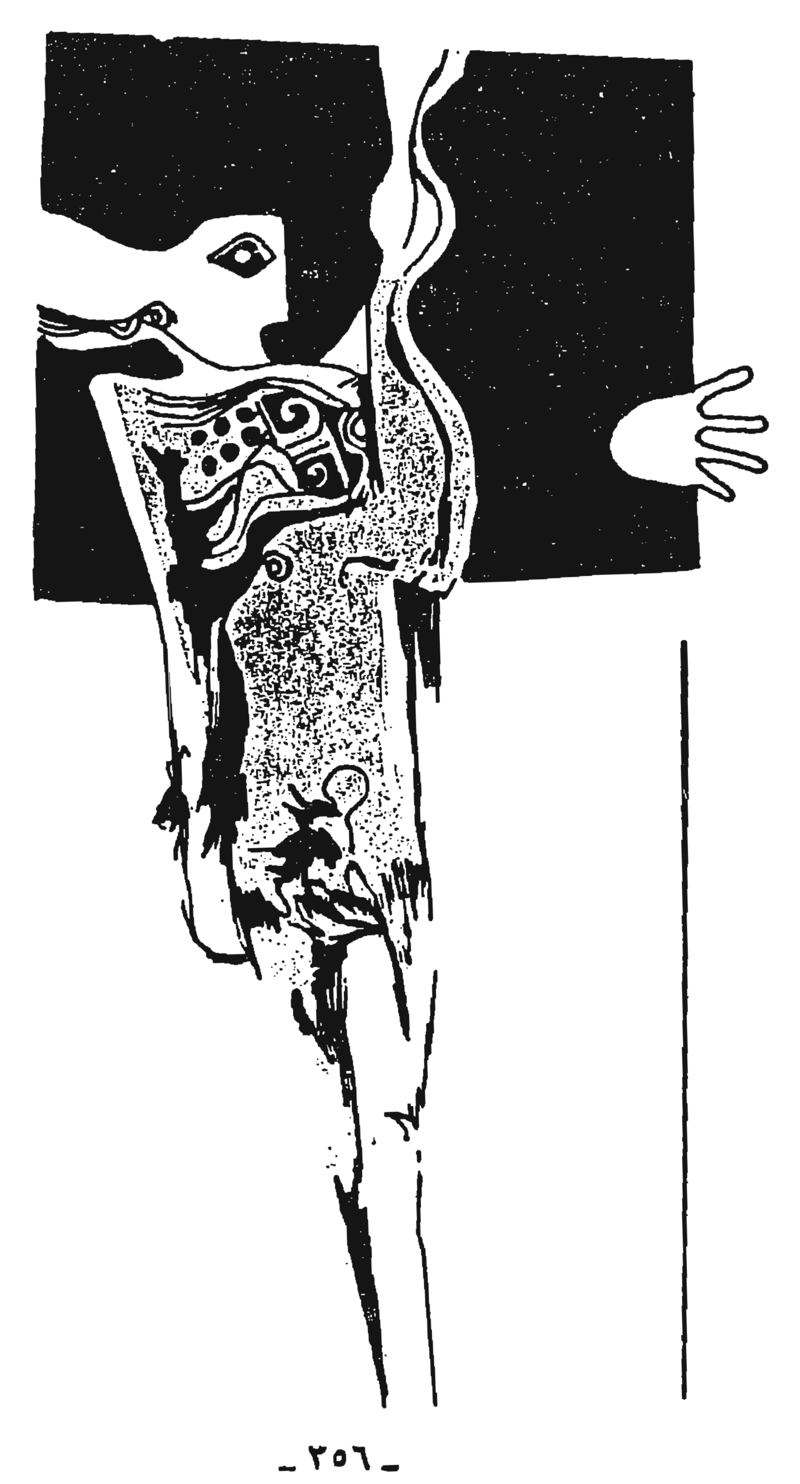
فروسية في عصر صغير

لابساً جلدَ « أخيلْ »

لنْ أقاتِلْ

إنني أفرشُ من لَحْمي مشاتِلْ

لنبالٍ مزّقتْ جسمَ الحسينْ



لحـاق

أبْحَرْتُ في عيونِكُم شراعْ
لُهاثكُم يعدو ورائي ،
يَسْحَبُ الجراحْ
سَحْباً
يكادُ .
ثمَّ تطغَى ثورةُ الرياحْ

سَفَحْتُ صدري لِزَّني الموجُ تشظَّيتُ صراخاً
صوتيَ استبسلَ في العبورْ

أدرَكتُكُم بكلِّ عُنفي ،
رئتي تُراقْ
قلبيَ يشرَئِبُّ

عيناىَ تُقاتلانِ
صوتي يثقبُ الإعصارْ
يَداي
أيديكم
يدي
يا خيبةَ اللُّحاقْ
جراحُكم تعلَقُ بالصخورْ
أقدامُكم تغوصُ في الموج ،
وأنا رايةَ انتصار
ما مسَّ من لهاثِكُم صاريَتي في صَخَبِ الريح
سوى الوداعْ
يا رُغوةَ الضياع

عَبْرَ دُجاكم انجرَدتُ شفْرَتَيْ شعاعْ
غطستُ في قلوبِكُم نصلاً إلى القرارْ
فَجّرتُ فيكم دُمَّلَ الحسرةِ والدوار

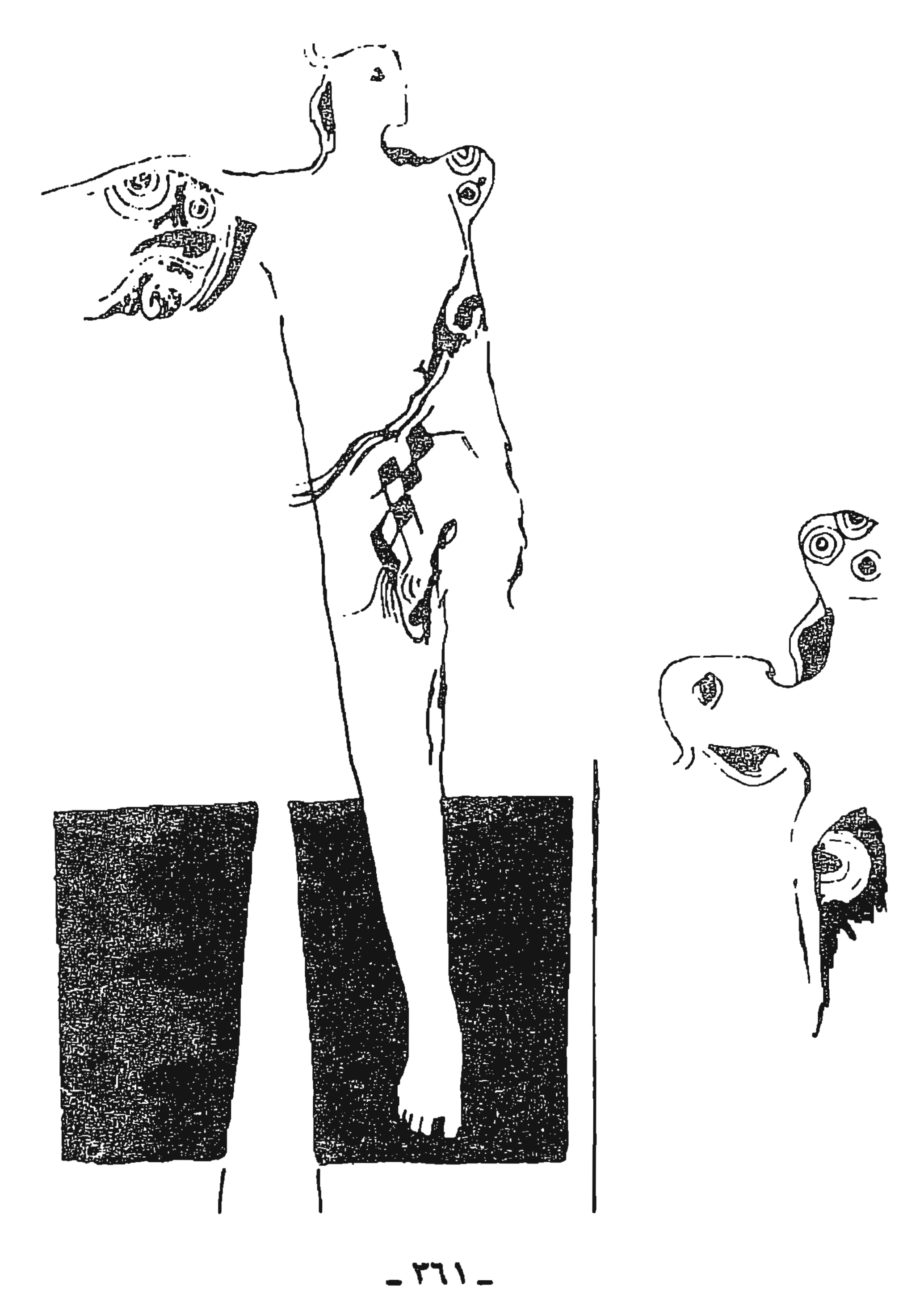
ها أنذا أصعدُ من قبورِكُم ذراعْ
أُكوِّرُ السماءْ
أعتصرُ الغيمَ على ترابِكُم دماءْ
يا أيُّها العطاشُ حدَّ الموتِ تَهلكونْ
يا أيُّها العطاشُ لا ماءَ تَشربونْ
في هذهِ المفازةِ الجرداءْ
الشمسُ فيها ماء
قبورُكم ينبعُ منها الماء
طوبى لِمنْ فجّرَ بئرَ الشمسِ فاحترقْ
طوبى لِمنْ شقَّ وريدَ الأرض ،
مَنْ أحسنَ في ترابِها الغرَقْ
طوبى لِمنْ تنبعُ من سلاحِهِ المياه

لعبة شطرنج مهداة الى شاعر

وكنْتَ كالملكْ
تحفُّهُ البيادقْ
باسلةً صغيره
تُقْتَلُ لكنْ أبداً تمضي إلى الأمامْ

وأنتَ كالملكْ
خطوتُكَ الصغيره
تجفلُ في كلِّ اتجاهٍ وسَطَ الزحامْ

لو كُنْتَ يوماً قلعةً صارمةَ الوضوحْ
لو فرَساً جَموح
لو بيدَقاً يُقتَلُ في الأمامْ
يا أيُّها الباحثُ في الزِّحام



عن مَخبأٍ
ولو وراءَ بيدَقٍ صغيرْ
يا أيُّها الملكْ

باسلةً تعرَّت البيَادقْ
وأُكلتْ باسلةً أمام كلِّ الناسْ
نبيلةً كبَتْ على وجوهِها الأفراسْ
عاتيةً تهاوَتْ القلاعُ
قلعةً
قلعه
ولمْ تَزَلْ وحدَكَ في الرُّقعه
تُساقُ للمربَّعِ الأخيرْ
لكي تموتَ دونَما نأمهْ

•

كشْ أيُّها المهرِّجُ الكبيرْ

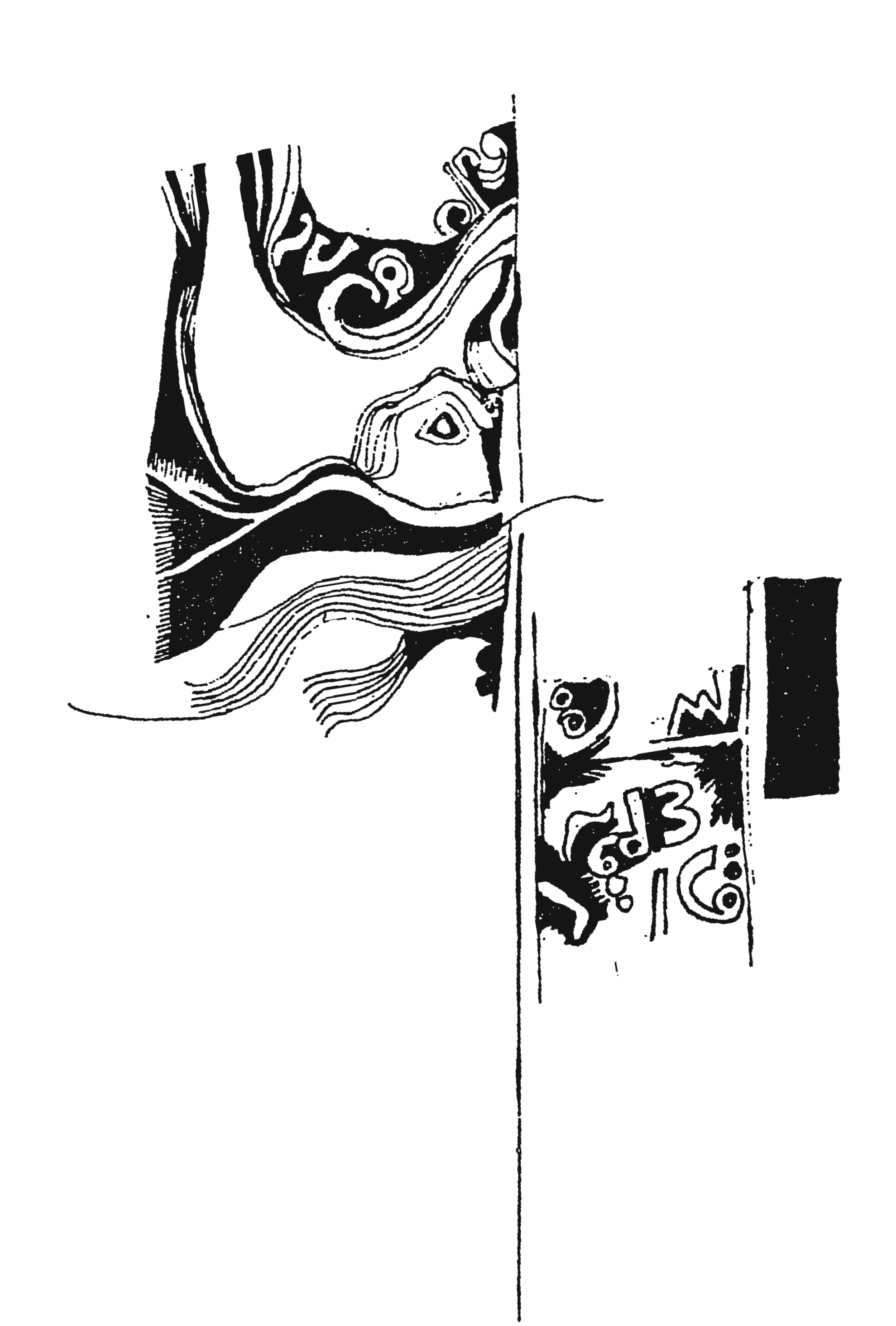
الورد القاتل

فَرَشْنا تساؤلَنا لاهثاً
رفعنا الصَّلاه
إلى الغيمِ
لم تَهمِ قطره

أَنَخْنا الجباه
حفَرْنا الثرى بالأنوفْ
فلمْ تَنزُ قطره
عَصَرنا جميعَ الجباه
فلمْ تَجرِ قطره

فَصَدنا العيونْ
جرَتْ ألفَ مرَّه

فأورَدَ كلُّ ضميرَهْ
وأغفى
وشمسُ الظهيره
تُشَعْشِعُ نيرانها فوقَ قبرٍ مِنَ الملحِ
نامَ التّساؤلُ تَحْتَهْ



مسائل في الاعراب

مسألة رقم ١

هذا عصرُ اللحنْ
مَنْ يَجرؤ أن يُنصَبَ نعتاً مقطوعاً لعذابِ العالَم ؟

مسألة رقم ٢

حضورُنا مبتدأْ
تجاوزُ انكسارِنا
مبتدأْ
مسألةُ انتصارِنا
مبتدأْ
وكلُها تبحثُ عن خبرْ !

مسألة رقم ٣

أنا فاعلْ
أنتَ فاعلْ
هوِ فاعلْ
كلُّنا في مهرجانِ الرَّفعِ يَزْهو في مَحلٍّ
فاعلاً
مِنْ دونِ فعلِ
ولِيُمزِّقْ سيبويه
بطنَه غيظاً



مسالة رقم ٤

إختبأ العصر ،
وأُوصِدَتْ الأقفالْ
بُنيَتْ للمجهولِ جميعُ الأفعال . !



مسامير الصمت

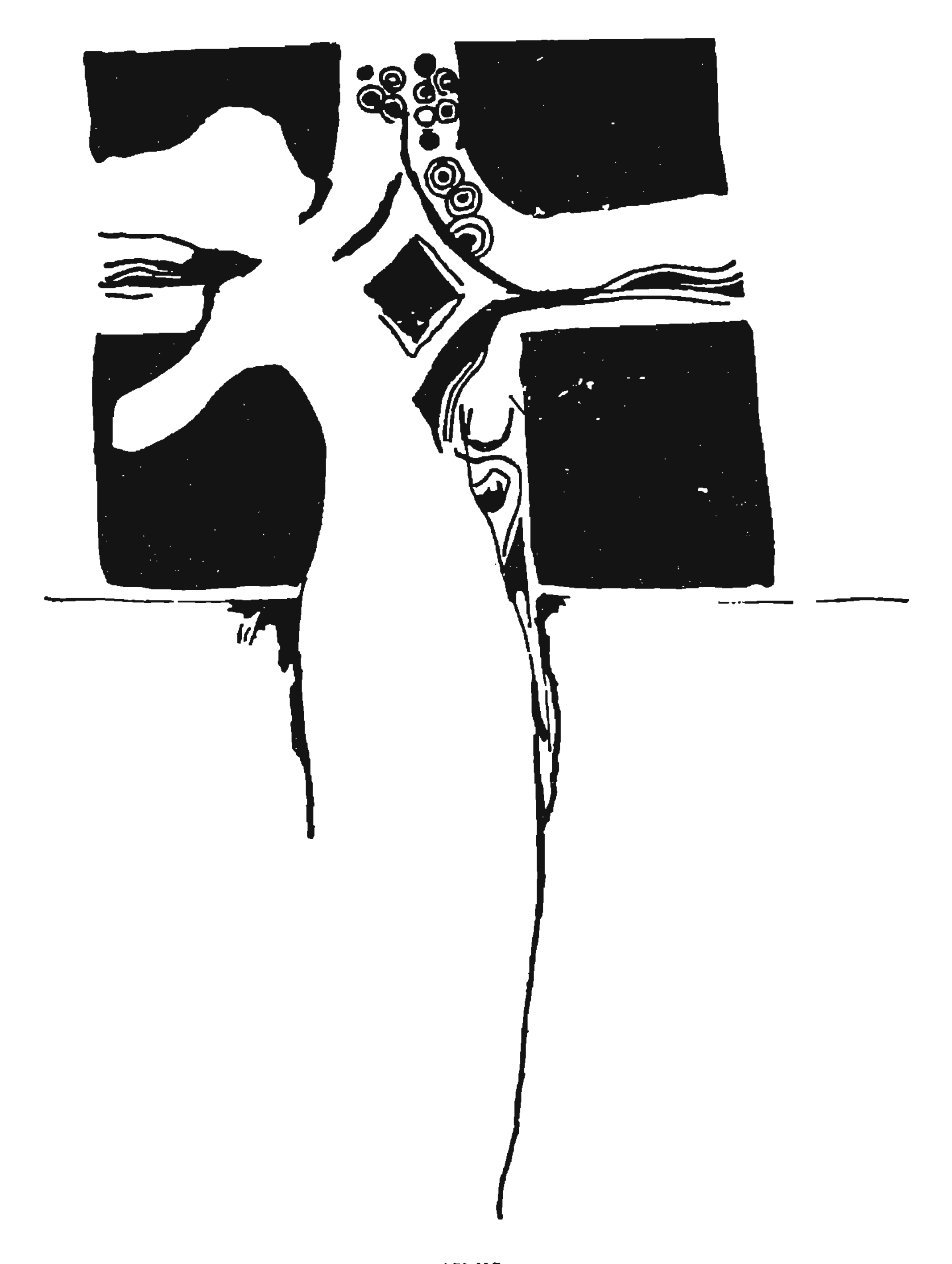
الصَّمتُ يُغلغلُ في الآذانِ مساميراً
يثْقبُها
يَنبتُ
يَندَقُّ
نُخاعُ الناسِ المُنخوبُ يَنزُّ
يَلفُّ
يَدور
يَصُكُّ الحيطانْ

الصَّمتُ يدغدغُ قَعْرَ المُخّ
يُخدِّرُهُ
يَهوي
يَهوي
يَرسبُ في قاعِ القاعْ

انتَفضِي يا أصواتُ صراخاً
لَغواً
موسيقى
سدّي مُنخَرقاتِ الدَمِ
سدّي الدَمْ

ينسابُ الدمُ
ينسابُ بطيئاً. ينسابُ بطيئاً
تَختلطُ الألوانُ
الكونُ الدائرُ يشحَبُ
يَصفَرُّ
مساميرُ الصَّمتِ تغوص
خيوطُ الدم تَنسلُّ من الآذانِ
الكونُ يجفُّ. يجفُّ
يموتْ

انصَبِّي يا أصواتُ رصاصاً
هَولاً
قرآناً
إستَلِّي كلَّ مسامير الصَّمتِ
دَعي الدمَ ينصَبُّ من الآذانِ الأفواهِ الأعيُنِ
موتاً
يُسْمَعْ يُبصَرُ يُستبسَلُ فيهِ
يُعاش.



حفلة صيد

المشهد الأول

تصاعَدوا بَيارقْ
تهَنْدَسوا فيالق
وانطلَقوا للصَّيد
البنادقْ
مُتخَمةُ الأعناق
البيادقْ
تقدَّمَت ملوكَها
وأطلَقتْ
وأطبقَ السكونْ

المشهد الثاني

البيادقْ
مبقورةُ الأعيُنِ والبطونْ
البنادقْ
يَلعقُها الذُّبابْ
الملوكْ
مَنفوخةُ الرِّقابْ
البيارقْ
ترفسُ في الترابْ
وكلُّها حرائقْ

موقف جديد

بيرَقْ
يشقُّ في النيرانْ
درباً إلى النيران
مخضَّبَ الأجنحَه
تتبعُه غابَـهْ
قلوبُها تنبضُ في حَناجرِ الأسلحَه

بيرق فوق هامة بيره مكرون

نَزفتَ ألفَ غيمةٍ من دمْ
شهَرْتَ في ليلِكَ ألفَ شَفرةٍ من بَرقْ
أرعَدتَ حتى قلبُ كلِّ الصَّخر فيكَ انشَقْ
أجنحَةً
أجنحَهْ
تساقَطتْ مِن حولِكَ النســورْ
ترفعُ موتَها إلى ذَوائبِ الصخورْ
يا بَيرقاً ظلَّ على هامةِ پيره‌مگرون
منتفِضاً
ينشرُ عُنفَ الرَّشَبا جناحَهُ المطعونْ

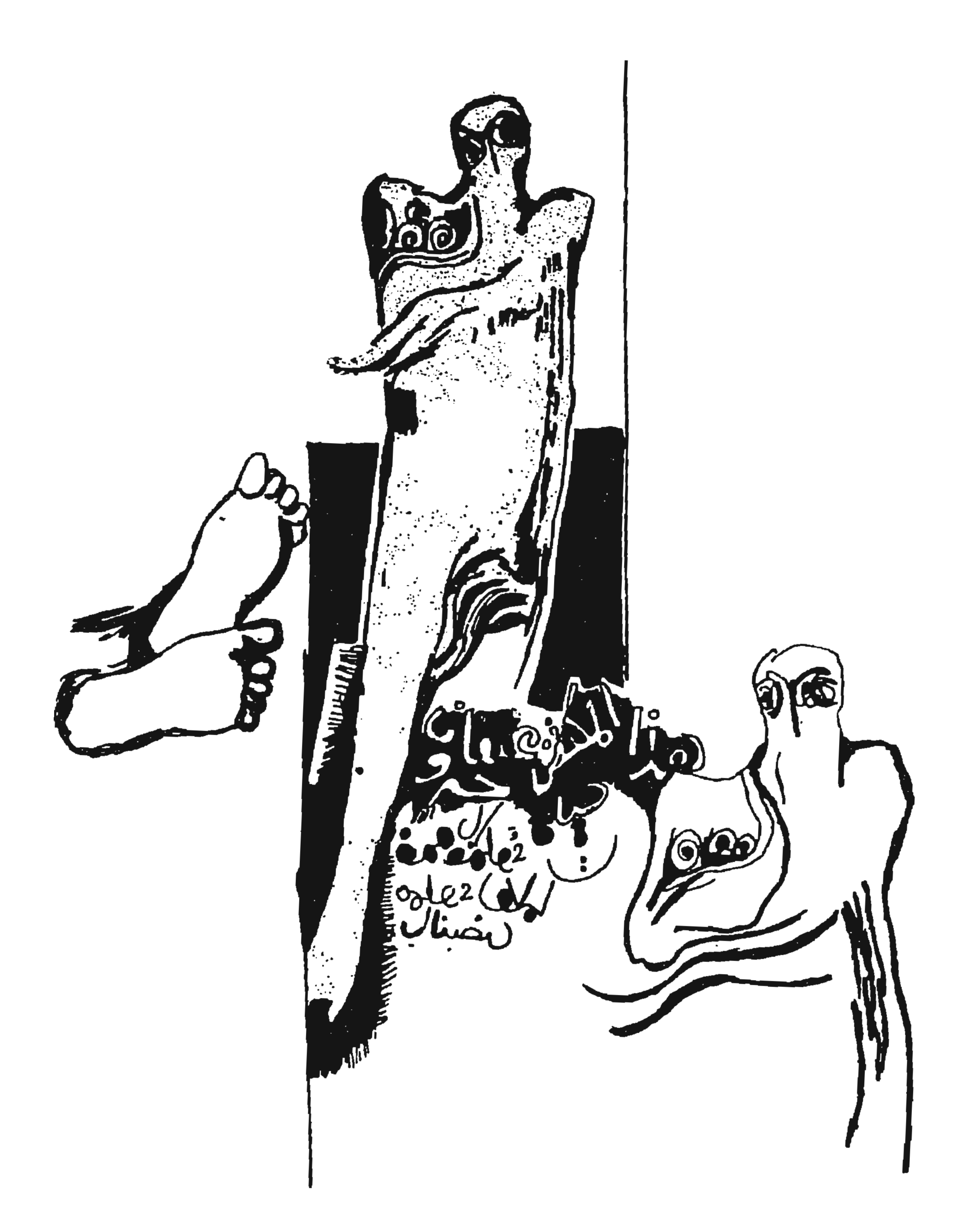
اليوم ،
عالياً   على ذروَتِكَ المَهيبه

يطلعُ قوسُ الشمسِ من صخورِكَ الخضيبه
أهدابُ بغدادَ ترفُ اليومَ في جناحِكُ
اليوم كلُّ نخلةٍ في الفاو
تنثرُ طلْعَها على جراحِكْ
يا بيرَقاً ظلَّ على هامة پيره‌مگرونْ
منتفضاً
ينشرُ عنفَ الرَّشبا جناحَهُ المطعونْ
خُذْ ألَقَ العيونْ
مَحبَّةً
نُخرجُ من أعماقِنا عَرائِسَ الجمّارْ
محبةً
نصعدُ دِفءَ نَفَسِ الأهوارْ
محبةً
ونلتقي بوجْهِكَ الحبيبْ
يا بيرَقاً
يَنشرُ مِلءَ الرَّشَبا جناحه المهيبْ

محاولة لاختراق الموت

جَسَدي مُلقى
مَبهوراً كنتُ أُحَملِقُ فيه .
هذا المكتظُّ حياةً عُنفاً جُبروتاً
مبهوراً كنتُ أحملِقُ في كَمٍّ الموتِ الهائلِ فيه .

فَمُهُ مملوءٌ بالكلماتْ
تنسابُ إلى بئرَي أُذُنيهِ ملايينُ الأصواتْ
تترَسَّبُ أصداءً ،
تُلغى
تنثالُ على عينيَهِ حشودٌ من ألوانٍ أشكالٍ كُتَلٍ
تغطسُ في قاعِهما
تُلغى .



مملوءٌ بالنَّبضْ
منخرُهُ يَستنشِقُ حتى جذر الأرضْ
هذا المنفوخُ حياةً ،
يلصقُ بي لوناً
يلصقُ بي صوتاً
يلصقُ بي رائحةً
لحماً
عصَباً
يَنصَبُّ دماً فيَّ
يُكثِّفني
أثقُلُ
أسحبُهُ
أدفَعُهُ
يَتعلّقُ بي
يسحَقُني

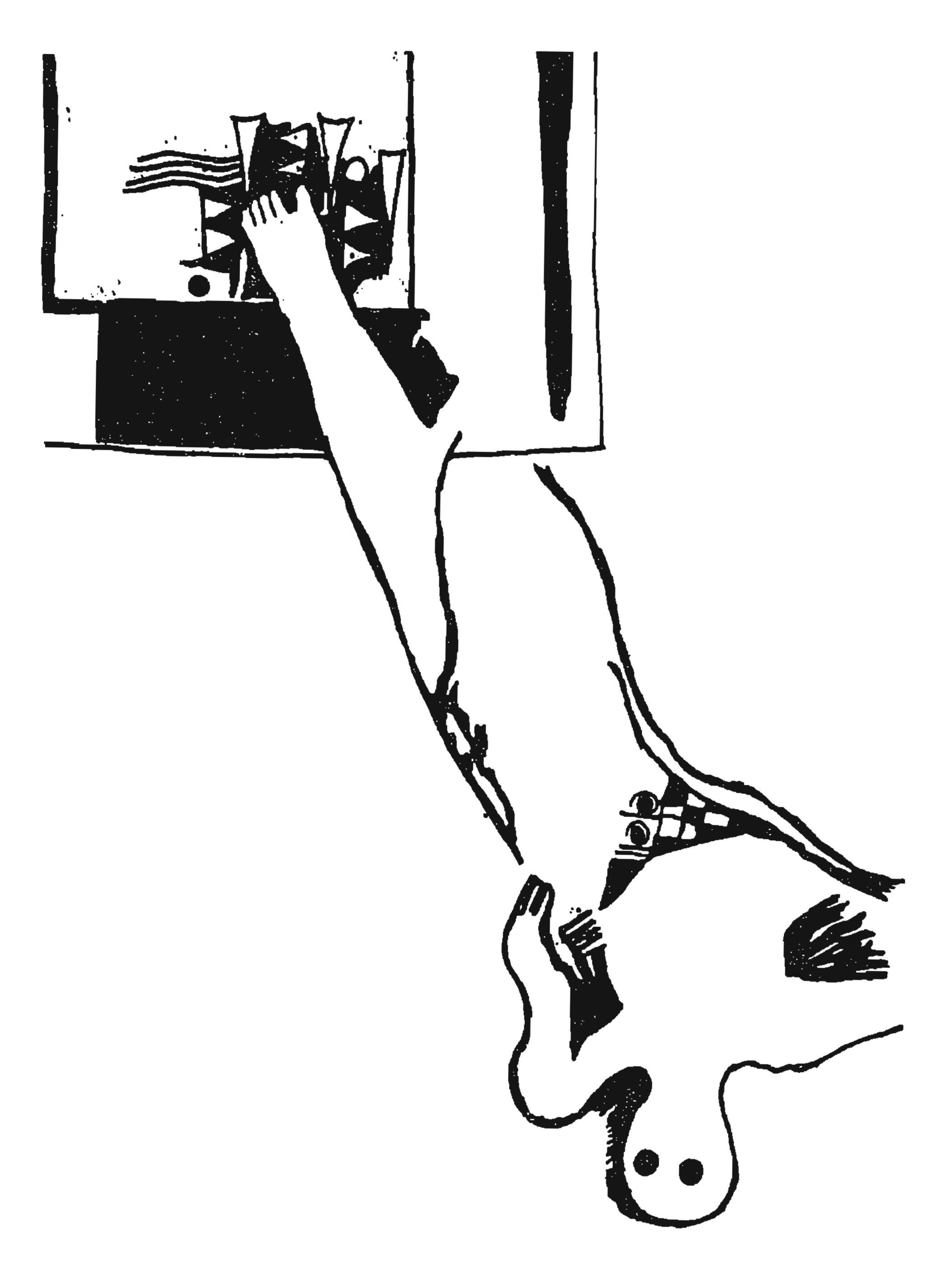
يطويني فيهِ
أموت .

هذا المُلتَفُّ عليَّ حياةً

في مواسم التعب

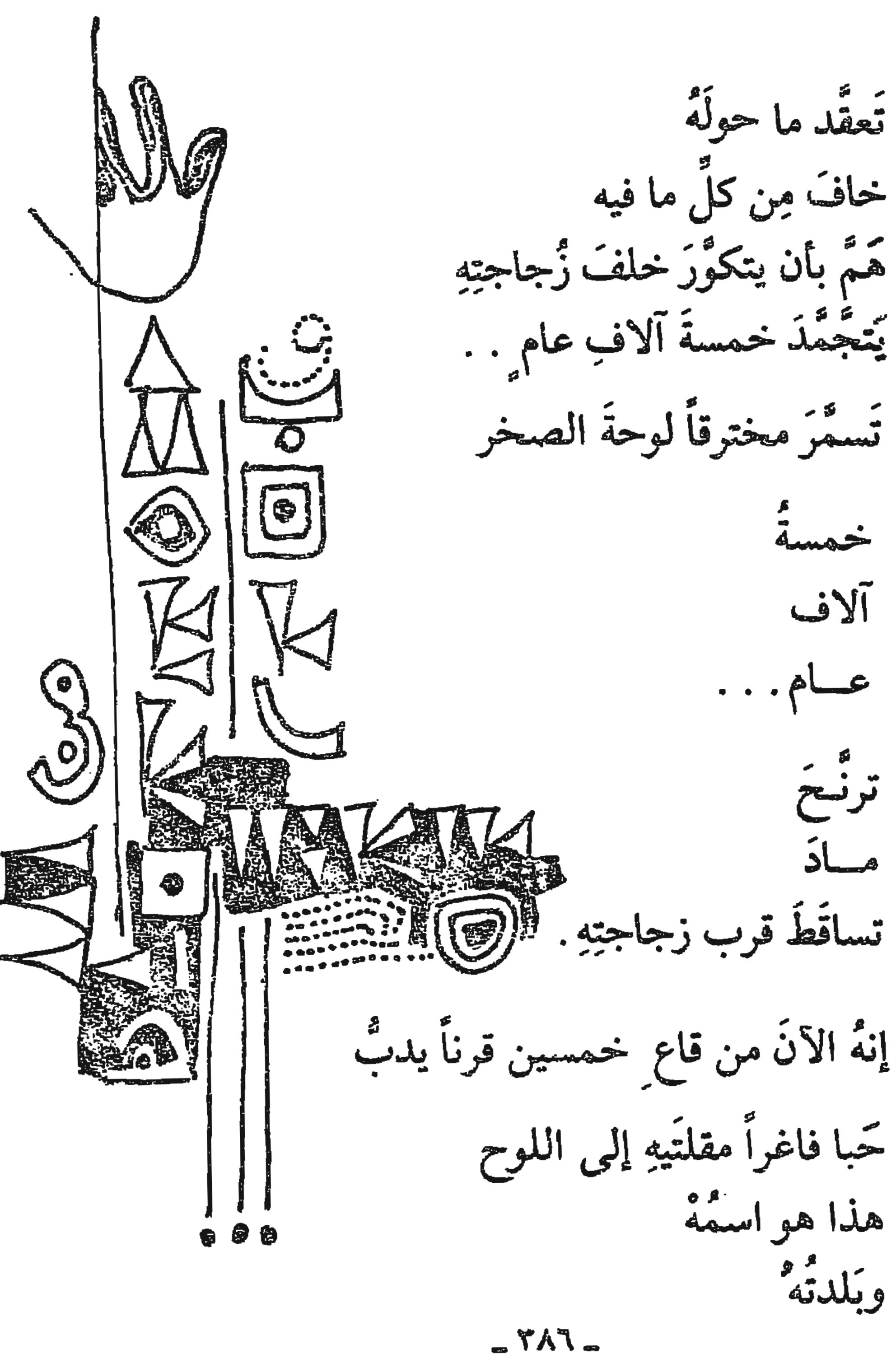
الله

لو فَصَّلتُ جِلدي مثلما أشاءْ
إذنْ تمدَّدتُ
استَطَلتُ فيه
أرخَيتُ شراييني
تُورِقُ ما تشاء .



هارب من متحف الآثار

بِهَيْبَةِ خمسةِ آلافِ عامٍ ترابي ازَّحزَحتْ قدَماهُ
على سُلَّمِ المتحف
ارتدَّ منصعقاً
جسَّ عينَيهِ
كَفَّيهِ
صوتَهْ
فعاوَدَ أُلْفَتَها
زالَ بعضُ غموضِ المسائلِ من حولِـهِ
اصطكَّ رعباً
تذكّرَ أُذنَيه
أنفَاسُهُ
قَلْبُهُ ذلكَ الصوت .
أدركَ في قَلق أنهُ يخرجُ الآن من صمْتِهِ المَرمريِّ
إلى ضَجَّةِ اللَّحمِ والدَمِ
يفقدُ صَمْتَهْ .



تَعقَّد ما حولَهُ
خافَ مِن كلِّ ما فيه
هَمَّ بأن يتكوَّرَ خلفَ زُجاجتِهِ
يَتجَمَّدَ خمسةَ آلافِ عامٍ . .

تَسمَّرَ مخترقاً لوحةَ الصخر

خمسةُ
آلاف
عــام . . .

ترنَّـحَ
مــادَ
تساقَطَ قرب زجاجتِهِ .

إنهُ الآنَ من قاعِ خمسين قرناً يدبُّ
حَبا فاغراً مقلتَيهِ إلى اللوح
هذا هو اسمُهُ
وبَلدتُهُ

إنهُ يَتذكّرُ.

أولادُهُ
بيتُـهُ
كلُّ شيءٍ يلوحُ له واضحاً

وتضخَّمَ في اللوحِ تأريخُـهُ
فاقشعرَّ مِن الرُّعب

خمسةُ
آ
لا
ف
عام.

تحسّس أوصالَهُ

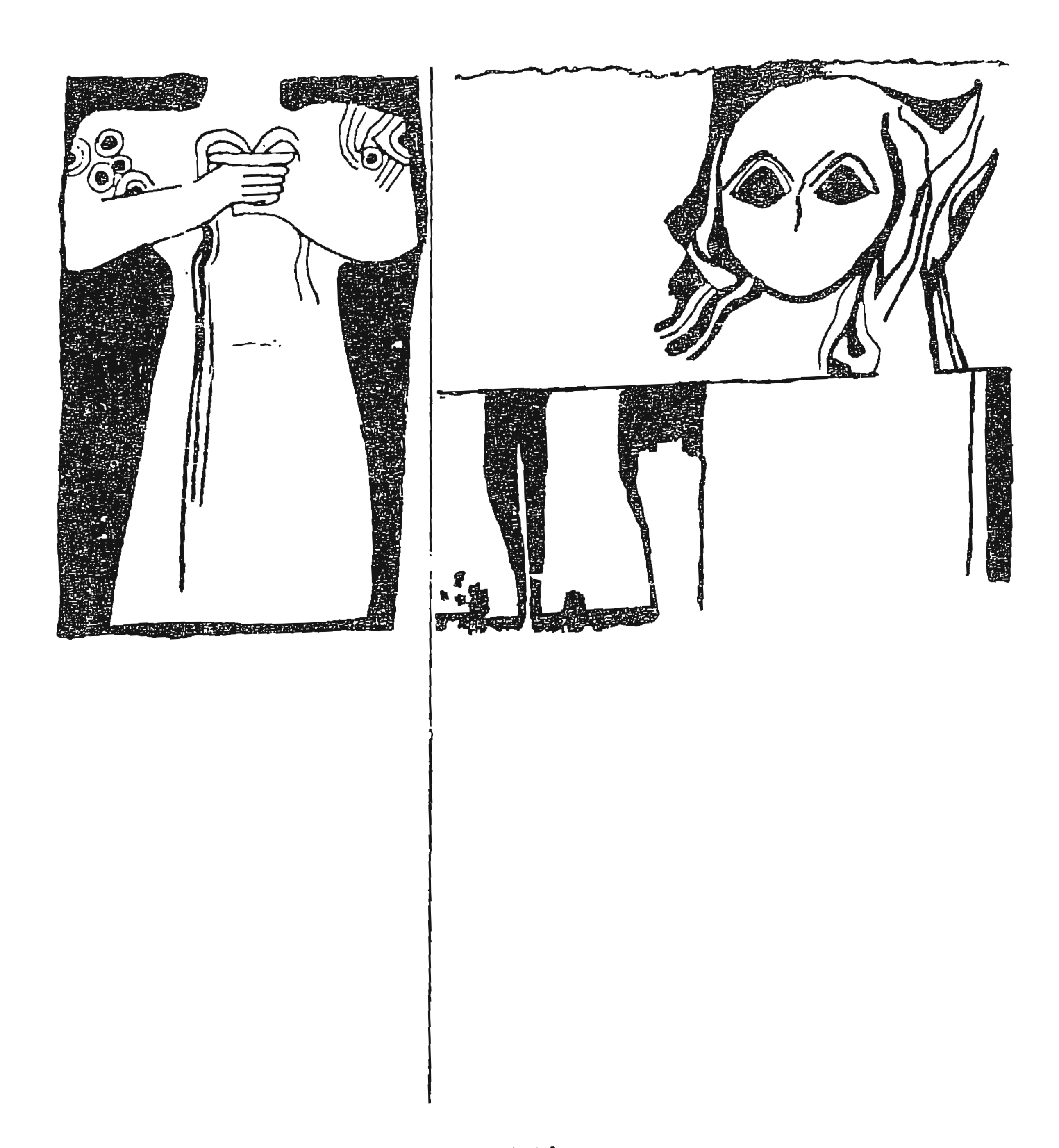
هالَهُ عُنفُها
ليس فيها طَواعيةُ الصَّخرِ
مَسْكَنةُ الصَّخر
كتمانُهُ
صَمْتُه المُعجزه .

هيَ الآنَ ريحٌ تَشظَّى
بحارٌ قراراتُ أمواجها اشتعلَتْ

مَـنْ يُعيد لِقُمْقُمِهِ المارِدَ المتَفجِّرَ في جَوفِـهِ الآنِ ؟

غاص بعينَيهِ ملءَ زجاجتهِ

راعَهُ أنَّ خمسة آلافِ عامٍ وراءَ الزجاجةِ
تَثقبُها مُقلتاه
ولا شيءَ يمنعُ نظرَتَهُ أن تَمرّ
تُمزِّقَها



كان درعاً إذن . .
ثَقَبَتْهُ المَحاجِرُ خمسةَ آلافِ عامْ
نبَتَتْ فيهِ خمسةُ آلافِ عام
نبَشَتْهُ تُفَتِّشُ عن نفْسِها

كانَ درعاً لخمسةِ آلافِ عام
تآكلَ من فرطِ ما صَدِئتْ فوقَـهُ الأعْينُ
استنزفَتْ خوفَها
انشَبَتْهُ بمرمرهِ أرضةٌ
أنفذَتْ كلُّ عينٍ إلى عُريهِ ألفَ عينٍ تُنَقِّبُ
خمسةَ آلافِ عام . .

تشظَّى بهِ اللّحمُ والدَمُ
ضَجَّتْ قراراتُـهُ
اشتعلَ الغيظُ في قاعِها

كانَ درعاً إذن .

سارَ نحو زجاجتِهِ
لن يُبقّيَ شيئاً
ولا أثراً منهُ فيها .

تَذكّـرَ أشياءَهُ
العريُ
والموت .
ألقى على كتْفِهِ عُريَـهُ السرمديَّ
تأبَّط موتَهْ
تهادى بهيبةِ خمسةِ آلافِ عامٍ تُرابيٍّ
انْصَبَّ في الشارع
استيقظَتْ كلُّ أعمدة النور
دارَتْ مَصاريعُ كلِّ النوافذِ
سالَتْ عيوناً
تخطّى

الهبوط الأول*

الاشارة الأولى

نشَرَ الخرْدَلُ الأزليُّ جناحَيه فوقي

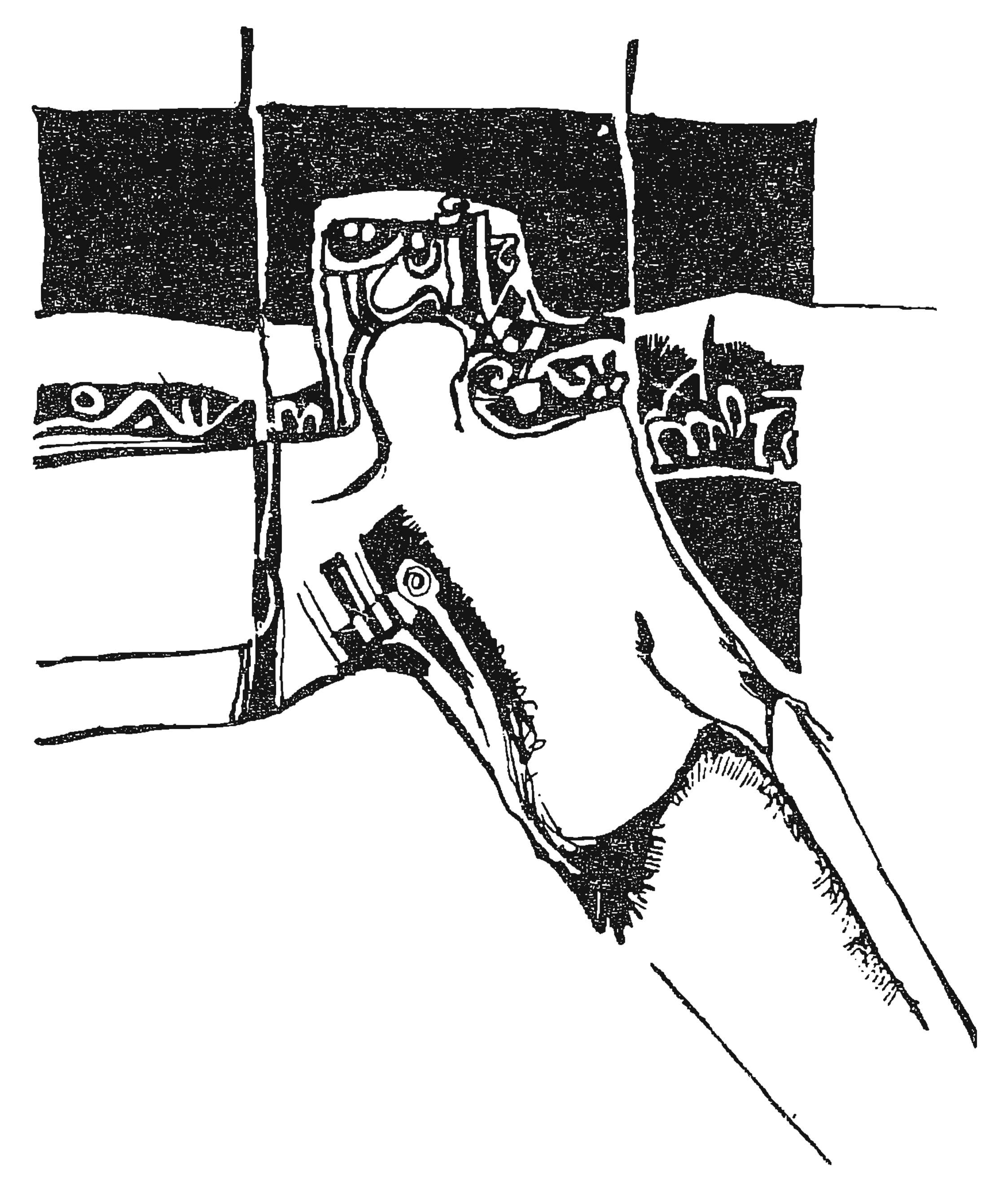
لاشارة الثانية

نشوةٌ صاعقه
أن تُحسَّ سماءكَ أرضا

الاشارة الثالثة

كالظنونْ
كالتوقُّعِ بحرُ السكون
موحشٌ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة هبوط آرمنسترونغ على القمر



الاشارة الرابعة :

نتدلَّى رويداً
كلُّ شيءٍ كحَدِّ القدَرْ
محكمٌ
مطمئِنٌّ
قدَرْ.

ـ وضعتُ على وجهِكَ المتكبِّرِ ثقلَ حذائي
أأنتَ سمائي ؟
أَما كنتَها ؟؟

ـ لم أكنْها ،
ولكنَّني صرتُها الآن

ـ كنت الضياءْ
ـ وما زِلْتُـهُ
ـ حُلُمٌ نامَ في أعيُنِ الشِّعر
أغفى طويلا
فقلنا أفيقوا
فصاحبُكم محضُ أرضٍ يبابْ
ـ هل أستيقظوا ؟
ـ ما يزالون تأكلُهم رعشةُ الرَّفض
أحلامُهم فقَدَتْ صدْقَها
نهب الشكُّ كلَّ طمأنينةِ الحلمِ

لن يُصبحوا أنبياءْ

ـ وأينَ النبوَّةُ ؟

ـ الصِّدقُ

ـ والصِّدقُ ؟؟

ـ أنكَ لا ضوءَ

لا بهجةٌ

محض أرضٍ يبابْ

ـ ولم تَـرَ يوماً ضياءَ التراب

أدِرْ نحوَ أرضِكَ عينيك

ماذا تراها ؟

ـ

سرابْ

ـ بحارٌ مِن الضوءِ كنتم تدوسونها دونَ وعيٍ

ـ سرابْ

ـ فلم تبصروا ضوءكم

ـ ليس ضوءاً

سرابْ

ـ فلَنْ تحلمُوا
لنْ تَروا بئرَ أنفسِكُم تتفجَّر
لنْ تصبحُوا أنبياءْ

ـ وعُذْرَتُكَ انتُهِكَتْ
ـ كنتَ أكبرْ
ظننتُكَ تحلُم بالخصب
تطوي إليَّ مسافاتِ عُقمِكَ
تقتلُ عُقمي
ـ تثلَّمتَ
ـ روَّضْتُ صدري لوثْبَتِكَ البِكْر
بارَكتُها
ـ تَتخطّاكِ
ـ أمنحُها قوَّتي
ـ تَتحداك

ـ بي تتحدّى
بثُقلي سماءً
بثقليَ أرضاً
بما امتزَجتْ بي سماؤكَ
أرضُكَ
ـ أسرَفتَ يا تابعَ الأرض
ـ الأرضُ تتبعني الآن
ـ تأسرُكَ الآن
ـ يأسرُني منكم الأنبياءْ
ـ ومَنْ أنبياؤكَ
ـ مَـنْ أذهلَتْ كلَّ وجدانِهم نشوةُ الحُلْمِ
حتى تلاشَوا
فكانوا ضياءْ
ـ بدأتَ تحيّرُني
ـ لا تَكُنْ شاعراً
كنتَ تهزأ من غفلةِ الشعراء



مجابهة

هدمتُ أسواري
ثقبتُ عينيَّ بأظفارِي
حفرتُ لحمي كلَّهُ
مزّقتُني
خرجتُ من أغوارِ أغواري
يا ريحَ كلِّ الكونْ
يا نارَ كل الكونْ
تَسلَّقي جميعَ أشجاري
تجرَّأي
إنّي حسيرٌ
نازِفٌ
عاري
أشدُّ حدَّ الانتحار كلَّ أوتاري

بحرٌ من النيرانِ والرياحْ
صدريَ يعلو
تصعدُ النيران
يعلو
تصعدُ الرياح
ألقَيتُ سِهامي
انْشَقَّ صدري هائلَ الجناحِ
وانْسَدَّ
لا نارٌ
ولا رياحْ
الضوءُ يهمي منهُ
يهمي الضوء
يهمي

مزارع الخوف

نعامه
تركضُ خلفَها بحارُ دَمْ
تدفِنُ رأسَها إلى الأضلاعِ في الرمالْ

عشرونَ عاماً وخيولُ الدَمْ
تضربُ في الصحراءْ
حوافراً ،
تزحفُ أوردَهْ
تنخرُ في الرملِ ،
تصكُّ رأسَها الحَبيسْ
تغورُ نحوَ أمنِها القابعِ في الترابْ
تخلَعهُ خَلْعاً ،
تُريها لَمعةَ الأنيابْ

تُسمعُها قرقعةَ الرِّمامْ
تُشبعُها رعباً إلى مَنابتِ العظامْ

عشرونَ عاماً رأسُها مزروعةٌ
والدَمْ
يُخثِّر الرمالَ حولَ عُنْقِها جدارْ
ينشرُ فوقها جناحاً مرعبَ المدارْ
ينبُتُ في قرارِها قرارْ

وانْشَقَّت الصحراءْ
جذعٌ بلونِ الدَمْ
تمزَّقتْ عنهُ جلودُ الدَمْ
يصعدُ من رَملَتها الجرداءْ
يُطلُّ هائلاً على مَنْبَتِهِ المذعورْ

يسحقهُ بثقلِهِ الرهيبِ سحقاً
يصلبُ الرّعدةَ في حناجرِ الرملِ ،
يَمجُّ الدَمَ ،
تَشرئبُّ كلُّ ذرّةٍ من ثُقبِ خوفِها
بذور الرملِ تنمو
يَحْطمُ الغِمدَ
صخورُ الرملِ تنمو
يَشهر الموتَ ،
يُغطّي بالدَّمِ الدَمْ .

نبع النـار

رَصاصٌ ملءَ جوفي
أيُّها النَّبعُ الجَحيميُّ انسيابُكَ شقَّ حنجرَتي
تشظَّى بي نِصالاً سلسَبيلُكَ ألفُ حَدٍّ فيه
أطفأَ فيَّ إلّا شهقةَ الملدوغ
يُلعقُ جُرْحَهُ ويصيحْ
يَحضنُ عُريَهُ ويصيحْ
يشربُ كلَّ ما في الكونِ من ماءٍ ولا يبردْ

رصاصٌ ملءَ جوفي
ألفُ كأسٍ كانَ في شفَتَيكِ إلّا الماءْ
يا بِئْراً خرَقتُ الأرضَ أتبعُ قعرَها والماءْ
أتبعُ وعدَها بالماءْ

أمضغُ رملَها

أهوي

ويهوي قعرُها والماءْ.



استشهاد على عتبة الأربعين

كلُّ شراييِنكَ تَصفِرُ فيها الريحْ
كلُّ غصونكَ تتَهدَّلُ بين حناياك
صوَّحَت السِّدرةُ في أعماقِكَ
زوبعةٌ جاشَتْ في كهْفِكَ فاقتلعتْ حتى اللحم الحيّ

كابِرْ بأنابيبِ عظامِكَ
إرفَعْها حتى الموتِ صَواري
أنشرْ رئتَيكَ مهلهَلتَين عليها أشرعةً
أبحِرْ في صحرائِكَ
قُدْ شلوَ سفينِكَ للموتِ
تَعجَّلْ
إصرَخْ بالريحْ

يا صاعدَ نخلةِ عُمْرِكَ تُحطبُها
وصليلُ حنينِكَ للطَّلعِ يصُكُّ عظامَكَ
شاخَتْ نخلَتُكَ العَجفاءُ
اربَدَّتْ
كَرَبٌ
كرَبٌ كلُّ ضلوعِكَ
أغمدْ فأسَكَ
أحكِمْها
حتى تتقصَّمَ كلُّ صواريكَ رقاباً
تَـتَـقَـطَّـعَ كلُّ شرايينِكَ
تُعْولُ فيها الريحُ
أغمدْ فأسكَ
أعمَقَ
أعمقَ ..
يا دفءَ الدَمِ
فأسُكَ تُغرَزُ في اللحمِ الحيّ

الـــدوار

سيِّداً كنتُ
رَبّاً ثقيلَ السلاسلِ
عبـــداً
إلهاً
ذبيحاً إلى الجذرِ أنزفُ كلَّ دمي
قاتـــلاً
غائبـــاً
حاضـــراً
دارَ بي الكون
درتُ بـهِ
كنتُ أغرقُ أغرقُ في شَفَـتَيكِ
انطفأتُ

اشتعلتُ

يدايَ على كتِفَيكِ تَشدّانِ عُريَهما

مُفعَماً كنتُ

تملأُ كلَّ فمي شفتاكِ

شربتُ الجحيمَ بأجمعِـهِ

دُختُ حتى قراري

تَرنَّح حتى دمي

امْـتَلأتْ مقلتايَ دُخاناً

تَعثَّرت مشتعلاً

كنتِ تنأينَ . .

تنأين . .

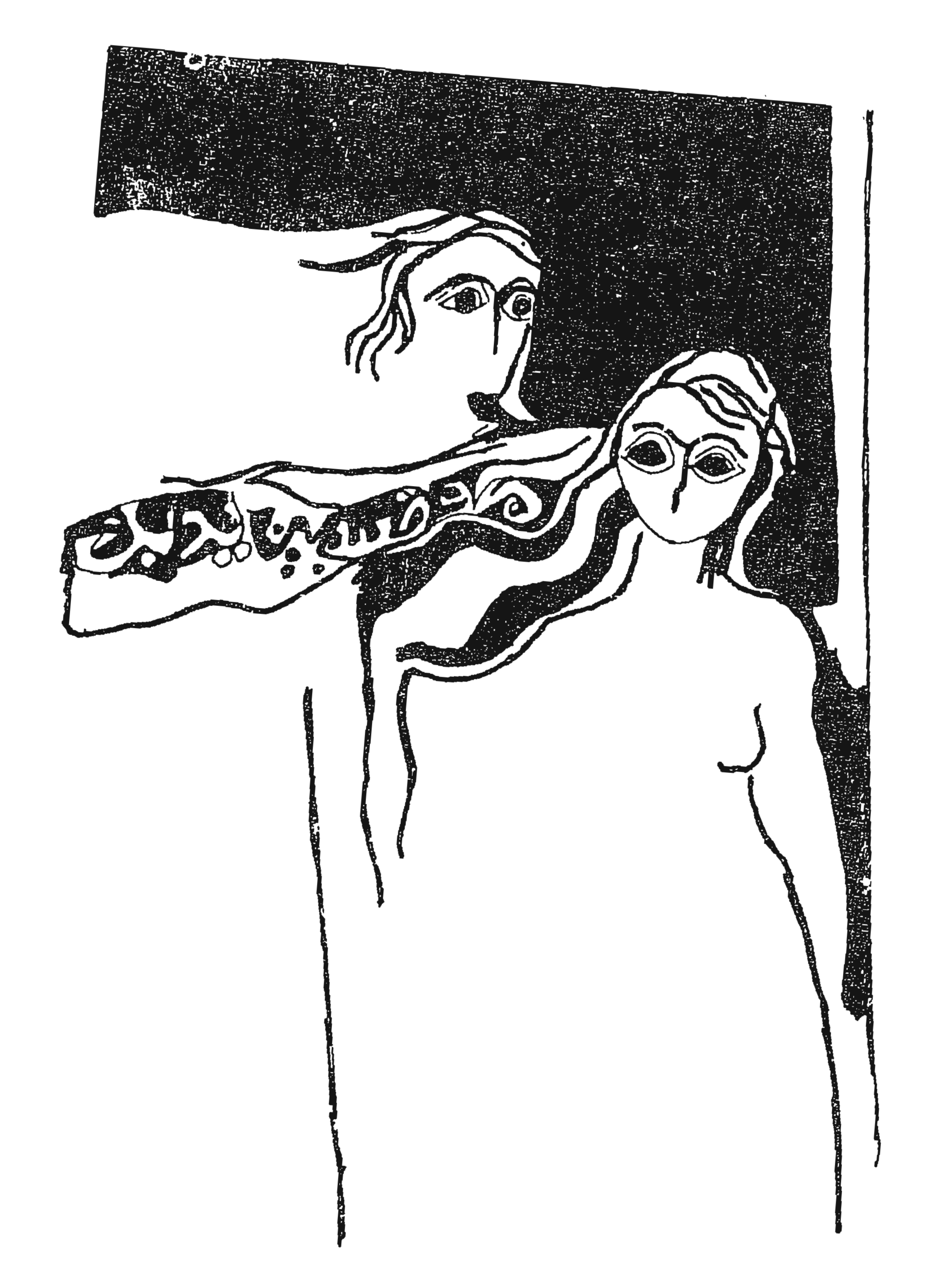
زوبعةُ النارِ تأكلُني

انهمرَتْ سُحُبي كلُّها

انطفأتّ جذوَتي

أخلدَتْ .

عُدتُ ربّاً ثقيلَ السلاسلِ
منجرداً
حاضراً
قاتلاً
درتُ بالكون
ألقَيتُ ظلّي عليه
تَعَملقتُ
عُدتُ لنفسيَ
ألفيتُني حَطباً حائلَ اللون
أرنو إلى نبعِ نارِكِ
ألتمسُ الدفء
أفزعُ من بردِ أياميَ الآتيه



انكسارة جرح

في جذَلِ الطفلِ حمَلتُ جرحي
وضعتهُ بين يديكِ غافياً
تحنو على سريرِهِ كلُّ ابتهالاتي

كانَ نقيّاً ،
كلُّ أفراحي
كلُّ كآباتي
لم تَطَّلِعْ عليهْ

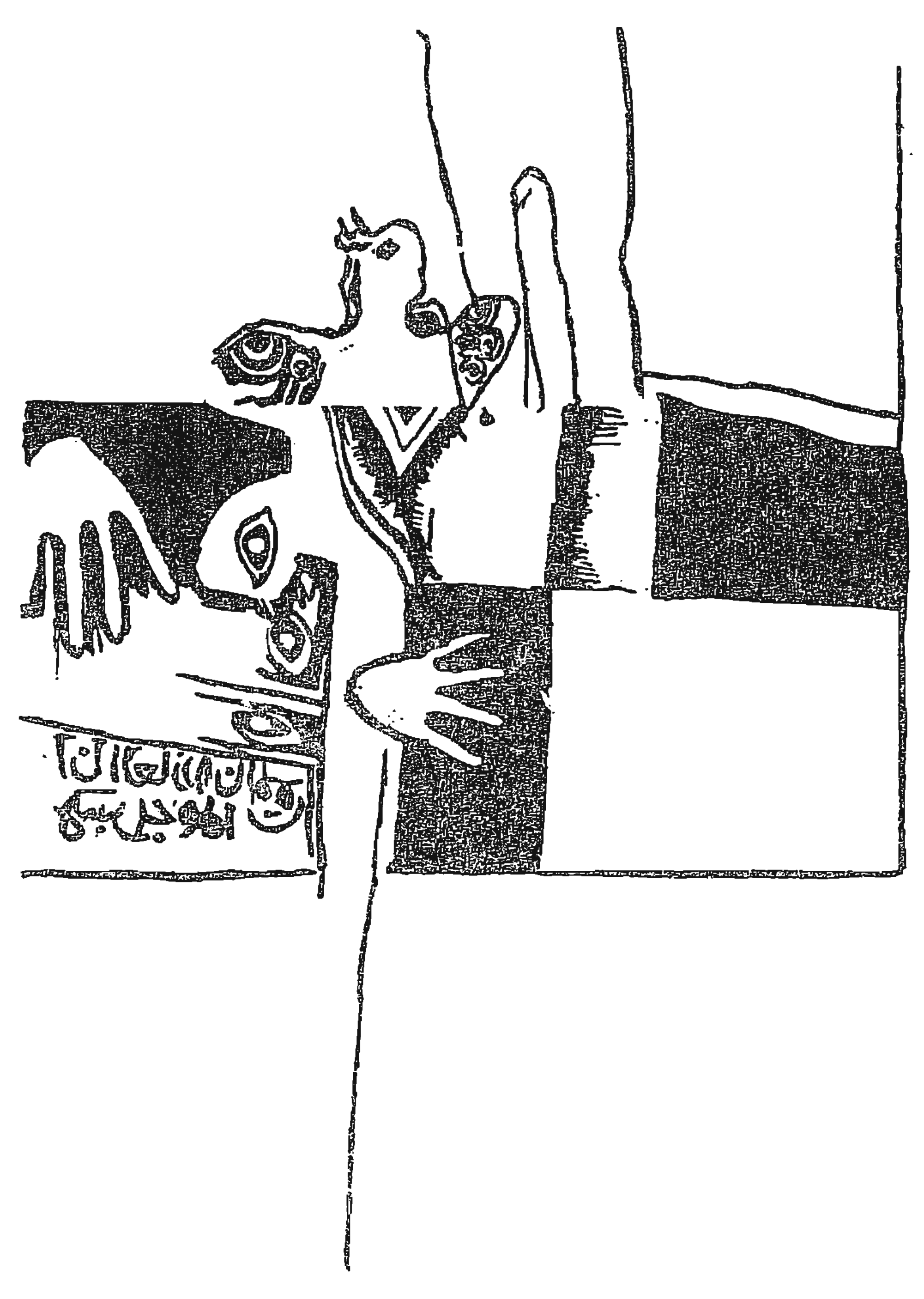
شفرةُ ضوءٍ تركَتهُ منذُ ألفِ عامْ
بين ضلوعي ،
ومضَتْ . .

ومنذُ ألفِ عامْ
أحملهُ
نَسيتُـهُ جرحا
نَسيتُ أنَّ خنجراً أحدَثَـهُ يوماً من الأيامْ
عادَ سميري ،
كنزيَ الخافي عن الأبصارْ
صارَتْ لنا أسرار
أخفَيتُها حتى على حزني وأفراحي

في جذَلِ الطفلِ حَمَلْتُهُ على يدَيّ
وضعتُـهُ بين يديكِ
مثلما تُرفَعُ في كنيسةٍ صلاه
ومثلَ قاتلٍ أصيلْ
غرَزْتِ فيهِ عَطفَكِ المرهَفَ حتى الجذرْ
طَعَنْتِهِ حتى قرارِ القبر

عذراً إذا شَجاكِ
أَما أنا ،
فعلِّميني النَّدمْ

وعندَما أحملُ من بينِ يَدَيْكِ جرحي
منكسراً ،
لا تسألِيني أيَّ شيءٍ
إنني أنزفُ حدَّ الموتْ
لهذهِ الجثَّة في يدَيّ
هذا الذي استُبيحَ مرَّتينْ .



الصور

يدي جرحُ
ختَمتُ بهِ على الأفواهْ
مَـنْ يملكْ نقاءَ الله
صوتاً ماحياً
يَمحُ

برَزتُ إليكَ من كفَني
بأوسَعَ مِنَ مَدى الصحراءِ جئتُكَ يا مَدى الصحراءْ
أنا العازرْ
أنا الموتُ المؤجَّلُ بينكم
لا بـــدء
لا آخِـــرْ

أجوبُ مزارعَ الأسماءْ

فتَحتُ يدي على مصراعِها ،
فانداحَ غارُ حِراء
جُرحاً زاخراً بالوحي والدَمِ ،
أيُّها الغرباءْ
صوتُ اللّهِ هذا
انفَخوا في الصُورْ
شُقُّوا سُجفةَ الدَيجورْ
وانتَشِروا
فصوتُ اللّـهْ
هذا الجرح
يُغرقُكم
ويحملُ بينَكم قَتلاهْ

تساقَـطَ جحفلُ الأسماءْ
كومَـةَ أحرُفٍ مذعورةٍ بَكماءْ
خُتَمتُ على حروفِ الخوفِ جرحي ،
ميسمي جرحُ
ومَـنْ يملكْ ثباتَ الله نصلاً ماحياً
يَمحُ

سمعتُ بلالاً الحبَشيَّ في ساحاتِكُم يصدَحْ
رأيتُ سطوحَكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيَدي على أبوابِكُم تُلمَـحْ
فتحتُ يَديَّ
ألهثُ جئتُكم يا معشَـر الأنصارْ
أحملُ جنَّتي والنارْ
مليئاً بالنبوءةِ جئتُ ، كلُّ ملامحي تنضَحْ
ذُهِلتُ

فلا صلاةُ ،

لا مؤذِّنَ قام ،

لا محرابْ

رأيتُ بلالاً الحبَشيَّ منكفِئاً على الأبوابْ

سرْتُ تَنوشُني الأحجارْ

مَسيحاً ، كلُّ بابٍ عندَها أُذبَحْ

حُسَيناً كنتُ

مثلي أمس ،

مثلي كلَّ يومٍ آتْ

وكلُّ سطوحِكم راياتْ

ركضاً يا بني أسدِ

غداً تَصِلون

لكنْ ، لن ترَوا في الأرضِ من أحَدِ

لِيَذكرْ كلُّ رامٍ بينَكم حَجَرَهْ

أنا المرجوم
أحملُكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ
ستنتشِرون أذرعةً من الأجداثِ مستعِرَهْ
فيُنكرُ كلُّكم كفَّيهْ

لِيذكُرْ كُلُّكُم سيْفَهْ
لِيذكرْ كلُكُم وتَرَهْ
أنا الطَوّافْ
على أبوابِكُم ،
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملُكم معي تُهَمَهْ

سمعتُ صَلاتَكم تتوَسَّل الأقفال لا تُفتَحْ
وكفِّي لم تزلْ حِرزاً على أبوابِكُم يَنضحْ

خَلعتُ يدي
ختمتُ بها
نظرتُ فلم أجدْ رايه
شمَختُ بعُـنُقيَ المقطوعِ عُمقَ الجوِّ صاريةً
نَشَرْتُ مُكبِّراً كَفَني
وأترككم عُراةً تطفَحون على دَمِ البَيعه
رؤوساً دونَما أعلامْ
دموعاً ما تزال تسيل ،
تَسقي تُربـةَ البَيعه
وتحني رأسَها وتنامْ
أتركُ زيفَكم لِيَنام
وختمُ يدي يظلُّ دَمَاً على أبوابِكُم يصحو
ومَـنْ يَملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً
يَمحُ

أنا المَسجونُ في أعماقِكُم ،
الشاهدُ الأبكمْ
أنا الحَدسُ الذي تَخشَونْ
الرَّصدُ الذي قِيعانُكم بعيونِـهِ تُختَمْ
أنا الزَّرقاء فيكم يا يَمامةُ فافقأوا عَينَيَّ

نشَرتُ يدي أمامي ،
مِن هنا المَعبرْ
هنا جرحي ،
هنا أَبَديَّتي تُنشَرْ
تَعرَّ الآنَ يا ثمرَ الخطايا ،
إنــه المطَهَرْ
وثَبْتُ ،
سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المَنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا ممَـرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُرّةُ الينبوعْ
تجهشُ مِلأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجُثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلوا يجأرون
غطَستُ فيهم عُمقَ ألفَي عامْ
وارتطمَتْ يَدي بالقاعْ

مَـمَـرُّكَ ههنا يوصَـدْ

أفقتُ ،
وكانت الصحراءْ
شفاهي الرملُ ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي

رفعتُ يَدي إلى عينَيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملءَ آذاني صُراخُ وليدةٍ تُوأدُ

همَتْ ياقوتةٌ في الرمل ،
وانطفأتْ
وجَدتُ على يدي نُدْبَهْ
هوَيتُ كنخلةٍ عجفاء

حُمِلْتُ على الرُّغاء ،
على الثُّغاء ،
على صَهيلِ الخيلِ حولي يَمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يدَ البَسوس تَجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِرَباً

على غِلمانَ أشأمَ كلُّهم مُتكاملُ الأضراس
يأكلُ ثديَ مُرضعتِهْ

ضَمَمْتُ أصابعي كي أمنعَ الدَمَ أن يسيل
تَعالت الأصواتْ
بُجَيْرٌ مات
بِشِسْعٍ مِن نعالِ كلَيبٍ
انتشَروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبَت النَّعامةُ منكَ مربطَها فقُمْ يا موتُ قُم يا موتُ
قُمْ يا موتْ
شدَدتُ يدَيَّ
كانَ الجرحُ يفتحُ بابَهُ للريحْ

ألا لا يجهَلَنْ أحدٌ علينا

تجهلُ الأصنامْ
تأكلُ خيلَنا ، ورماحَنا ،
تجترُّنا وتنام

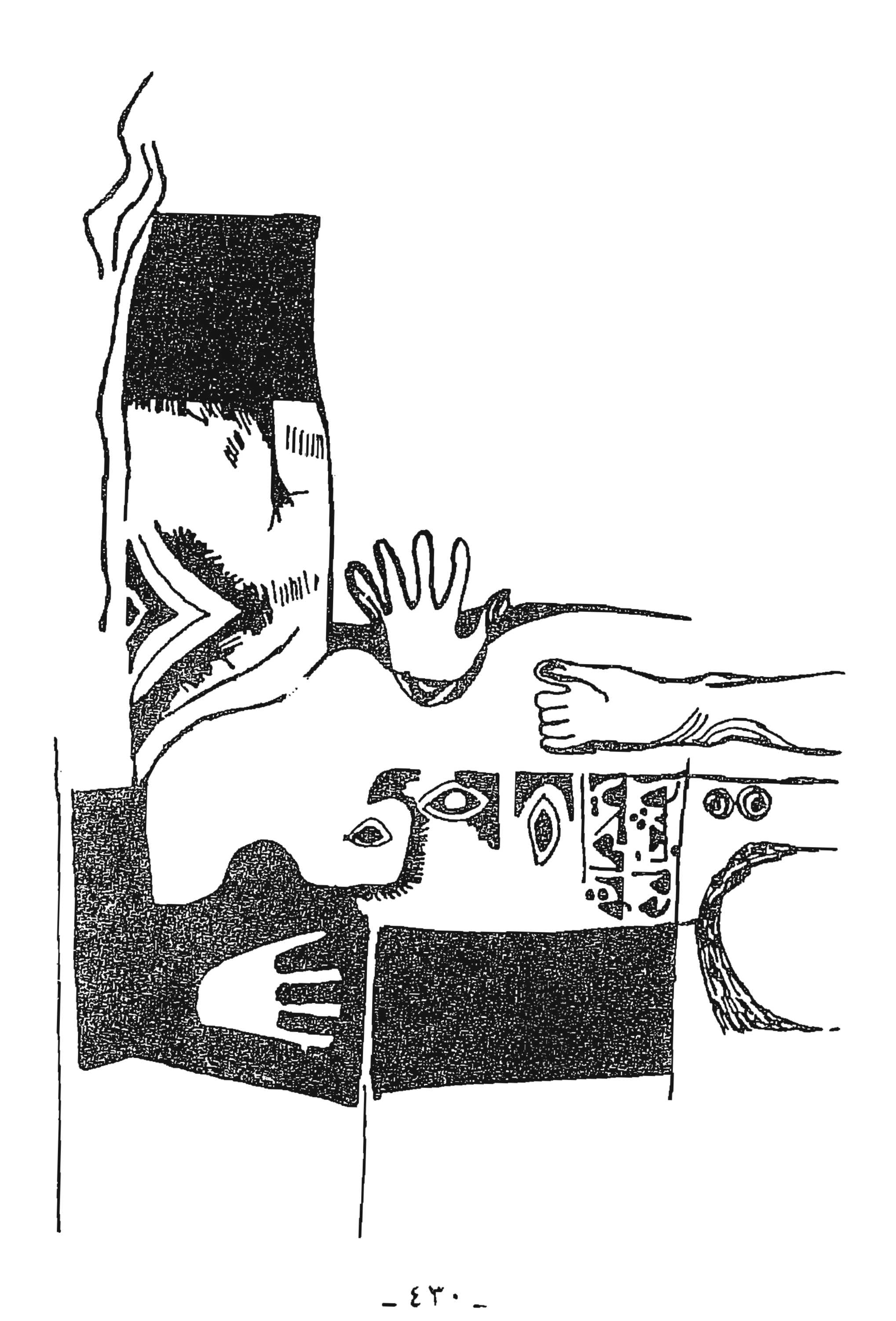
سقَطتُ وراحَتي مُرخاة
على هُبلٍ تغَطيِّ وجهَهُ ودماؤها تنضَحْ

طريقُكَ مِن هنا تَبدأْ
تسَلَّقْ ،
جرحُكَ المعراج ،
أنتَ الحيّ

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا مَمرَّ الحُزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوع
ظُلّمتُها تَشلُّ خُطاي ،
ترشَح مثلَ ذَوبِ القارْ
تلصَقُ بي فأحملها معي طَوداً من الأوزارْ
أهوي كلَّما أبدأْ

تسَلَّقْ ،
جُرحُـكَ المعراج ،
لا تَعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً .

نشرتُ يَدي غريقاً



أيُّها المَذعورْ
لا تُطفيءْ مَهَبَّ النور
أنتَ الحَصدُ والحاصِدْ
المرصودُ والراصِدْ
وأنتَ القادِمُ الموعودْ

وضاءَ بغوريَ المُطْفأُ
شعاعٌ كاندلاعِ البرق ، غاص بجرحيَ المنشورْ
وانطبقَتْ يدي فصعدتُ يحملني رشاءُ النورْ
كانَ محمدٌ يقرأْ

لُمِحتُ أطيرُ في جُرحي،
وكانَ محمدٌ والسيف
يسبقُني

وكانَ محمدُ القرآن
يلمعُ فوقنا كغمامةٍ بيضاء

ألا مَـنْ كانَ يَعبدُ

لا تَقلْ شيئاً.

ألا مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

ليتَ هذا الصوتَ يسكتُ
ليتني أرتدُّ نَسياً تعصفُ الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ
نزفتُ
دارَ الكونُ بي

مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

غامَتْ الأصداءُ في رأسي فأنَّ محمداً قد ماتْ
إن محمداً قد مات . .
وانكفأتْ يَدي فهَـوَيت .

أنا الشاهدْ
لقد بلَّغتَ ،
أشهدُ أنكَ الموعود
أشهدُ أنكَ الواعدْ
ولكنْ مَـنْ لهذا الليل . . ؟

تَنزّتْ تحتيَ الأعماق
سالَ السَّيلْ

أورِدَتي بلونِ القارْ
تُرضِعُني نَزيفَ القارْ
تختمُ خطوَتي بالقارْ

جَذَبتُ خُطايَ لم أُفلِتْ
نزَعتُ اللحمَ عن قَدَميَّ حتى العظم
لم أُفلتْ
نشَرتُ يَدي على لَوحي
محَوتُ
رَقَمتُ
ذا سَطري
أنا قدَري
ختَمتُ يدي
نهَضتُ بكلِّ أجنحَتي أصبُّ دَماً.

هذا أنا الصاعدُ مِن مَنابتِ الظُّلمةِ في حَفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غَيبي
جسَدي تأريخكُم
جُرحيَ مئذنه
أحملُ في كهوفِها أذانيَ القادمْ
فلتَفتحُوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ مِن شُرفَةِ جُرحي مَشتَلاً للموتْ
فَلْتَفتح الموتى قبورَها
لِيَعرفَ كلُّ ميتٍ موتَـهُ في جسَدي
فيحتَملْ مَوتَـهْ

أعيُنكُم ترحلُ مِن وجوهِها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السيلْ
تبيَّنوا أحجارَكم يا أيُّها الراجِمُون
تعرَّفوا على سيوفِكُم
نِبالِكُم
فقد عَادَ بها المَرجومْ

أسعى إليكم عنُقاً دونَ رأسْ
أتبعُكم جذعاً على صليبْ
أفتحُ في قيعانِكم عيناً كعينِ الله
تبقى شاهداً أبكَمْ

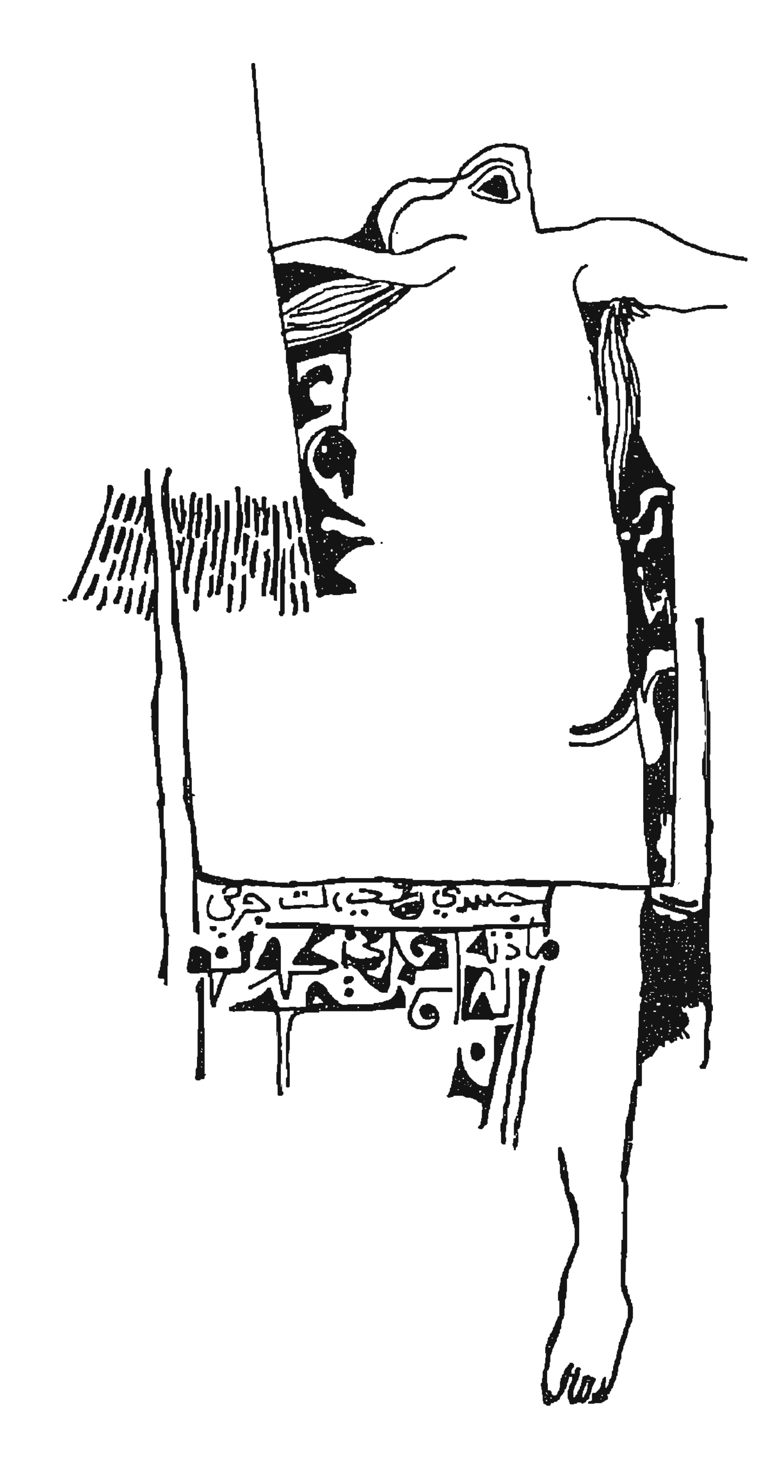
وجوهُكم وَشمٌ على جلدي
نِصالِكُم في جسَدي تحجَّرتْ
فجرِّدُوها
ليُحدِّدْ كلُّكُم رُتبةَ موتِهِ

ويصعدْ موجةَ الشهاده

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَي أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي

أنتَ الذي تغوصُ في خاصِرتي
تقْلعُها
انجَرِدْ لهؤلاء
هل تُبصِرُ رأس ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصِرتي غمدُكَ حتى تراه

مَـنْ قالَ إني مصعَبُ
فَـلْـيَـتَـقَـدَّمْ حاسراً
يَسْتلّ نَصْلاً مِن جبيني ثم يسْتَشهِد.


جسدي
جرحي
ماذا

في جسَدي مزرعةٌ للموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ
ينثرُها بيدرَ ثورةٍ لألفِ جيلْ

لا تَلْمِسوا أعناقَكم
صاحبُها يعرفُها دونَ لمسْ.

يا حاملي شهادةَ الحلّاجْ
تَحمَّلوا حدودَكم عنّي
أنا خارطةُ الْحجّاج

مَـنْ يَنتصِبْ مِنْكُم أبا ذرٍّ فَيحضنْ موتَـهُ يُقدِمْ
لكِنَّكُم لا تَرصِدونَ الموت

يا أيُّها الكُـهّانْ

عروقُكم مرئيَـةٌ
يَزخُّ تحتَ جِلْدِها كلُّ دَمِ الأوثانْ
ألقُوا مسوحَكُم ،
وجهِّزوا لغزوِ الله . .

يا أيُّها الحَشدُ مِنَ الأنبياءْ
لَيَنْتَفِضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوَحيِهِ
يُنطقْـهُ شيئاً
أيُّها المستشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكُم إلى جيوبِكُم
وأخرِجوا منها يَداً واحدةً بيضاءَ مِن غيرِ سوءْ

أسأتُم الموتَ كما أسأتُم الولاده

تقدموا نحوي
لكم في جَسَدي شيءُ سِوى الشهاده

أحمِلُ في الأجفانْ
بُحيرَه
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجُها الغلمان والجواري
فلتُغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجَها مَرايا
أشهدُ أنكم ستُبصِرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تَتحطَّمْ

تَتبعثرْ في شظاياها وجوهُكم
فينبُتْ موتُها في جسَدي
خارطةً جديده
أحملُها
أطوفُ في المَزارِعِ الوليده
أخْتمُ جُرحي فوق كلِّ فَـمْ
حتى يصيحَ ضائعٌ
يَكسرُ ختمَ الدَّمْ



عبور في نهر الموت

هبطَ العطَشْ
ملَأ البحر الميّتْ
عَلِقَتْ في أطرافِ محاجرِها الأحداقْ
سقطتْ أحداقْ
ركبَتْ أحداقٌ صَهَواتِ الريحْ
هرَبتْ كلُّ الأنهارِ وأدركَها الزئبقُ
فامتــلأتْ
وسَمعنا الشُّطآن تُزَنخرُ لا تَشربْ
واحدودَبَ ظَهرُ النخلِ وأوشكَ
لكنْ ضجَّ بشعْفَتِهِ الكبرُ فلم يهربْ

قال الأحياءُ سَننتظرُ الموتى
الموتى قالتْ
نتَظِرُ الأحياءْ
واصْفَرَّ الماء
احمَرَّ الماء
اسوَدَّ الماء
لم تعبرْ قدَمٌ نهرَ الموتْ

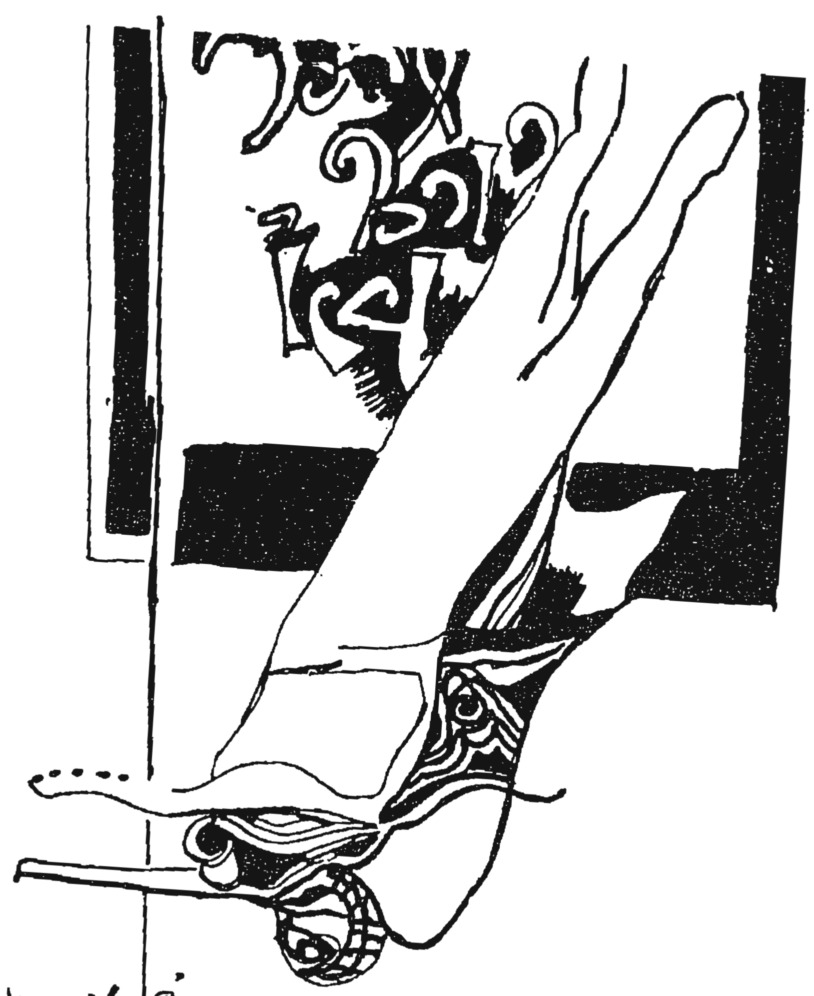
سودٌ أفواهُ الرملِ
تَفَطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ فيها كلُّ أجِنتِها
ويقاتلُ عن وردَتِهِ الجذرُ
يصكُّ عليهِ الرملُ بَراطمَهُ
عريانَ وحيداً
يحملُ وردتَـهُ فوق الماءِ الأسوَدْ

قالوا لا ترحلْ

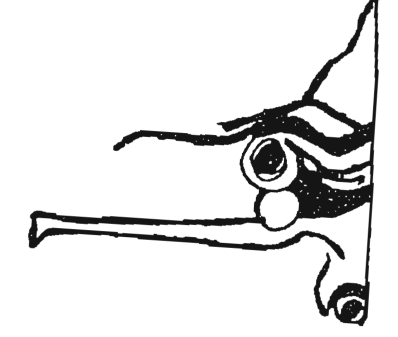
كلُّ طريقٍ ملغومٌ هذي الساعةَ بالصمت
وآجالٍ أخرى تجهلُها
نحن هنا نضحكُ
نبكي
نقرأ شعراً
ونسافر
نركبُ أجنحةَ الأصواتْ

قلْ ما شِئْتَ ولكنْ لا ترحلْ
تغــرقْ
فالصمتُ حديدٌ أزرقْ
ينشقُّ عليه اللحمُ
وتنزلقُ الكلماتْ

والجذرُ يقاتلُ عن وردَتِهِ
وتَفطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ كلُّ أجنّتِها



مهلاً يا قمتي سادتي أن يأكل هذا الليل أعز براعمه يا غرسي واهاً من ليل تؤكل فيه



مَـنْ يُمطرُ عنّي ؟

نقرأ شعراً
إزرَعْ عينَيك هنا
معنـــا
واقرأْ ماءً
تغسلْ عنكَ جفافَكْ

والرملُ اللاصقُ بالروحِ براطِمَهُ ؟

مَنْ يقرأ عني مطراً يغسلُ رملَ الروحِ
ويدرأ عن جذرٍ راحَ يقاتلُ عن وَرْدَتِهِ
عريانَ وحيداً في الماءِ الأسودْ ؟

أتَسَلّلُ معكم ؟

نسرقُ أقدامَ القتلى ؟
ننزعُ عنهم شاراتِ الموتِ ونلبسُها ؟
نَتَبَختَرُ أبطالاً في الطُرقات ؟

نستجدي لقصائدِنا جُرحاً ؟
أو نسرُقهُ ؟
والنهرُ مقيمٌ
والمنتظرون على شطِّيهِ الأحياءُ الموتى
ما برحوا ينتظرون ؟
أرحلُ
لا ترحلْ
أرحلُ

لا يأمنُ سارٍ أن يأكلَ هذا الليلُ أعزَّ براعمِهِ



يا غَرسي
واهٍ من ليلٍ تؤكلُ فيهِ
وآهٍ من ليلٍ في نفسي
أيُّهما أقتَلُ ؟

يأكلها

وأغوصُ الى أعماقِ الماءْ
للرَّهبةِ في أعماقِ الماءْ
لأجنحَةِ الخوفِ الرَّحبةِ

يـأكـلُـها

ينبتُ للآن على جِلْدِي زَغَبُ الخوفِ ويصْطَكُّ حنيني
تَدمى

آهٍ لو يَرْشَحُ خوفي
تدمى

مَنْ يَفقأُ عينيَّ ويعطيني ضوءاً ؟

تَشربُـهُ ؟
أشربهُ
أستلقي فيهِ
أُمرّغُ وجهي
أُقتادُ بـهِ أعمى

أرحلُ

أيَّ طريقٍ تسلكُ

أوجهَكُم

أوراقَ دفاترِ أطفالي التَّذَبُـلُ
أتبعُ جذراً راحَ يقاتلُ عن وردَتِهِ عريانَ وحيداً
أعبرُ نهرَ الموتْ
أعبرُ نهرَ الموتْ
أعبرُ نهر الموتْ

أصابع الخوف

موحِشٌ أيُّها الجِلْدُ ، مَنْ ذا يُبرّيء لَوْنَكْ ؟
مَـنْ يُصدِّق لَوْنَكْ ؟
إنه عالمٌ رسَّمَ الصِّدقَ أبيضْ
رسَّمَ الحقَّ أبيضْ
رسَّم العفَّة البِكْرَ بيضاءَ والطُّهرَ أبيضَ والحُبَّ أبيضَ والله أبـ .
مَـنْ يُبرِّيءُ دعواكَ مِن لونها ؟ ؟
أنتَ أسوَدُ أسودُ أسودْ
مثلَ لونِ الخيانةِ أسود
كالخوفِ أسودْ
مَـنْ رأى الخوف ؟

إني تنشَّقتُ حتى قراري
رأيتُ أصابعَـهُ فانتفضتْ جميعي عيوناً

وقد كانَ أبيضَ أبيضَ كالثلجِ
أبيضّ كالثلجِ
أبيضْ

أيَّتُها الأمّ أيتها الأمُّ لا تهجرُ الطَّيرُ أعشاشَها
كيفَ أخلَيتِ عشَّكِ ؟

مَـنْ أبصرَ الخوف ؟

إني تفَرَّستُ في قاعِ عينَيهِ حَدَّ التَّيبُّسِ
عيناي وحدَهما ضجَّتا بالصراخِ
ولم تُحسني الخوفَ أيَّتُها الأمُّ
كلُّ صَغائرِ بيـتِكِ أحسَنتِها
دونَ أن تُحْسني الخوف

عامَين أرقبهُ
لم يَزل صامتاً
قلتُ لا تهجرُ الطيرُ أولادَها
غيرَ أنكِ أسرَفتِ أيَّـتُها الأمُّ
أسرَفتِ أيَّـتُها الأمُّ
أسرَفتِ

أسمعُ أصواتَهم عندَ مدخلِ بيتي
أنتِ أيَّـتُها الأمُّ لم تخطئي فَهمَ عينيَّ يوماً
وطفلُكِ غافٍ فلا توقظيهِ لهم

كُـسِـرَ الباب

أبتهِلُ الآن
أضرَعُ



لا تصرَخيِ بسوى مقلتَيكِ
صغيرٌ إذا استيقَـظَ الآنَ
تنهضُ فيـهِ الجريمةُ مبهَمةَ الرُّعب
إياكِ أن

دخلَ الخوف

قَلَّبَ عينَيهِ فيَّ
سمعتُ صَليلَ ارتطامِ عظامي بنَظرتِهِ
فنضحتُ مِنَ البردَ

لا
أتوسَّـلُ لا
وتجَمَّعتُ كلِّي بعينَيَّ

أجنحَتي كلُّها عندَ صدركِ
كلُّ طُمأنينَتي عندَ صدركِ ترقدُ

أبتهلُ الآنَ أن تَصمتي لحظةً
لحظــةً
كلُّ شيءٍ سَينـ.

صرَختْ

كفَناً أبيَضاً أبيَضاً صارَ جِلْدِي مِنَ الخَوف

مَـنْ عرفَ الخَوفَ؟

عامانِ أيَّـتُها الأمُّ
أمسح عن وجهيَ الدَمَ
أسمَـعُ صرخَتهُ
ثمَّ أبصِرُ عينَيكِ
أوّاه
كمْ أَحسنَتْ عينُكِ الخوف !

عـــامـــانِ
أسمعُهم يضحكون لأنَّ حليبَكِ أبيض
عـــامـــانِ
أبصِرُ لونَ أصابعِهم تتناهَبُ صدرَكِ
تعصِرُ منهُ الحليبَ على وجهِهِ الطفلِ كي يضحكو

إنهُ صامتٌ منذُ عامَين يلعبُ قربي
يُخيَّلُ أيَّـتُها الأمُّ لي أنه اختصرَ القول
جمَّعَ في صرخةٍ كلَّ أصواتِهِ ،
ثمَّ أخلَدَ للصَمْت

أيَّـتُها الأمُّ أيتها الأمُّ لا تَهجر الطيرُ أعشاشَها
غيرَ أنكِ لم تُحسني الخوف
للمرةِ الثانيه

٨١١,٩٢
ع ٤٥٢ عبدالرزاق عبدالواحد
الاعمال الشعرية / عبدالرزاق عبد
الواحد ط ٢ .. بغداد : دار الشؤون الثقافية
العامة ، ٢٠٠٠
٤٦٠ ص مج ١ ؛ ٢٣ سم
١ ـ الشعر العربي ـ العراق أ ـ العنوان
م . و
٢٠٠٠/١٣٩

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٣٩)
لسنة ٢٠٠٠

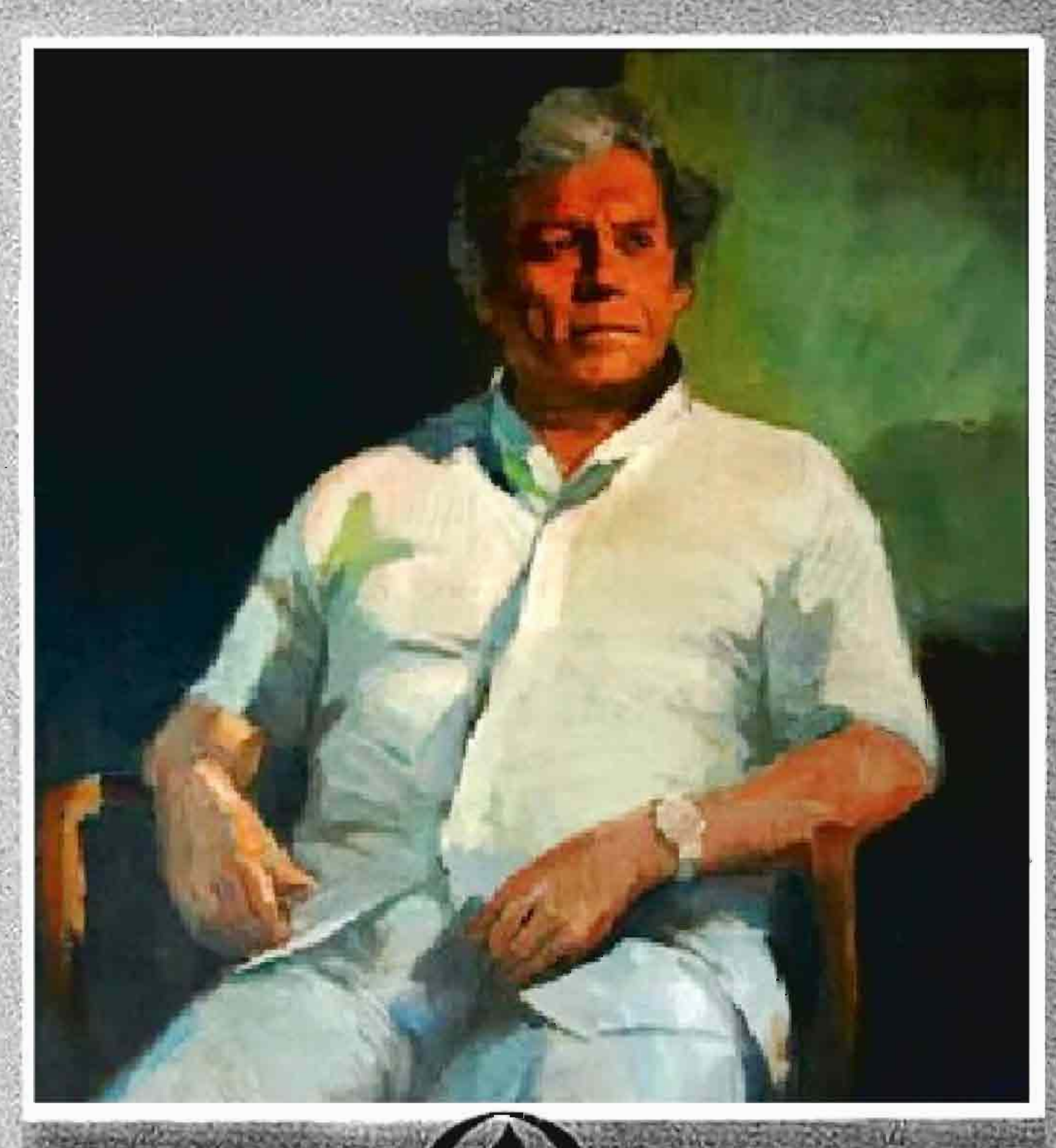
فهرست المجلد الأول

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ (شركة عامة)

عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الثاني



دار الشؤون الثقافية العامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ٢٠٠٠





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

عبد الرزاق عبد الواحد

جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

الاعمال الشعرية

المجلد الثاني

الطبعة الثانية - بغداد - ٢٠٠٠

الحرّ الرياحي

مسرحية شعرية في ثلاثة فصول

تقديم
جبرا ابراهيم جبرا

الناشيء

جدلية المأساة في الحر الرياحي

ضمن المآسي الكبرى ، كمأساة الحسين ، تقع أنواع شتى من مآسي الإنسان : في جو القيظ ، والعطش ، والقسوة ، والقتل الجماعي ، وحز الرؤوس ، هناك مأساة الجنون البشري ، ومأساة الخيانة ، ومأساة القتل المجاني ـ وكذلك مأساة المروءة والفضيلة . نحن في عالم فقد العقل ، والضمير ، من ناحية ، وعالم ما زال يؤمن بعقل الإنسان وضميره ، من ناحية أخرى . من ناحية : إطاعة الأوامر ، العمى النفسي ، والحقد الشرس الماحق . ومن ناحية أخرى : المنطق ، كرامة الإنسان ، والتشبث بالحق . وفي مقابلة الخير بالشر ، يزداد حسُّنا بالفجيعة ، وباللاجدوى . كيف يمكن للحياة أن تكون هكذا ؟ الحسين وأهله ضحايا ، والآخرون جلادون . ولكن أليس من معنى آخر ينقذ هذه الحلكة القاتلة لنستخرج منها بصيصاً من أمل في جدوى الإنسان ؟

الحسين أكبر من الحياة . ولعله ، لكبره وعلوه ، خارج الدائرة التي يمكن للمرء ضمنها ان يتوحد مع البطل ، رغم تطلعه اليه . ولذا يكون التعبير الفني عنه قاصراً عن مداه الفاعل . غير ان المأساة تغدو قابلة للتعبير فنياً ، عندما يكون فيها مَنْ يمكن أن نوحِّد أنفسنا معه . ومن هنا أهمية الحُـرّ . وكذلك أهمية الشمر . كلاهما يقع ضمن القياس الإنساني الذي نستطيع أن ندركه : نستشبهه أو نرتعب منه . الحُـرّ ، هنا ، إذ يضع نفسه بين ما يتطلبه الواقع والظرف المفروض عليه ، وبين ما يتطلبه الحس بالحق والتوحد مع ما هو إنساني ، هو في وضع مأساوي صرف . فهو مجابه بالخيار بين إنسانيته . وبين انسجامه مع ظرفه وواقعه . وهو يعلم انه باختياره إنسانيته

ووضع نفسه بجانب الضعيف يجابه الموت المحقق ، ومع ذلك يختار تحقيق إنسانيته بمعانقته الموت .

تحت إمرة الحُـرّ بن يزيد الرياحي ألف فارس يمنع بهم عودة الحسين وأهله الى المدينة ، بعد ان استجاب الحسين لدعوة أهل الكوفة الذين استقدموه الى العراق لمبايعته ، ويكرههم الحُـرّ بهؤلاء الفرسان على التقدم في اتجاه الكمين الذي سيُذبحون فيه . والحُـرّ في البدء غريب عن الصراع بين الحسين ويزيد ـ أو الحسين وعبيدالله بن زياد . ففي الإشارات القليلة التي لدينا عن هذا الفارس الفذ ، يبدو أشبه برجل مستقل يرفض أن يكون مذعناً أو تابعاً لأحد . وهو مسيحي ، لا تعنيه البيعة والخلافة . انه رجل وضع نفسه خارج الصراعات السياسية . وإذا تحرك ، ووجد نفسه في وضع تتناقض فيه الإدعاءات والإلتزامات ، فانه لن يناصر إلا ما يمليه عليه عقله انه الحق . انه أقرب الناس الى « الغريب » ، اللامنتمي ، الذي يستدرج الى قضية يكون فيها أول الأمر محايداً ، لا يهمه أيٌ من الطرفين فيها ، ولن يقلقه مَنْ يكون الغانم فيها . ولكنه فارس ، بأجمل معاني الفروسية العربية . انه ، إذا اكتشف فجأة انه أُقحم في التزامٍ يناقض حسه بالعدالة رفض هذا الإلتزام : فهو لن يلتزم إلا حسَّه هو ، ضميره هو ، وسيرفع السيف حينئذٍ في وجه مَنْ يناقض هذا الحس وهذا الضمير .

ولذا ، فإن الحُـرّ حالما يدرك انه مطالَب من إنسانيته بالعدالة ، وذلك بمناصرة الحسين الذي أوكل إليه إسقاطه في الكمين ، يجمد لحظة في تلك المنطقة الزَّلِقَة الرهيبة بين ان يستمر فيما هو فيه ، وهو الأسهل ، وبين أن ينقلب على ما هو فيه ، وهو الأصعب . لحظة « الانقلاب » هذه هي اللحظة التي تعطي هذه المسرحية معانيها الأساسية :

انها لحظة الصمت
فلتختصر كلماتُك أنفسَها ـ
تتراجع ؟
أم تقتل الآن

وهي اللحظة التي ستستمر عبر التساؤل والبحث في أعماق الذات وامتحان المروءة ، وهي التي ستنتهي الى حسم يقرر بطولة الرياحي ، ويقرر أيضاً مصرعه ، في آنٍ معاً .

على نقيض الحُـرّ الرياحي يجيء الشمر بن ذي الجوشن : انه يمثل تلك الناحية المظلمة من النفس التي يكون الشر وحده مبرر بقائها . وهي باقية ما دام ثمة نقاء يجب تدميره في هذه الأرض . هذه الحلكة المكثفة من نزعة بشرية تمتص نسغها من الشيطان الكامن في أعماق الانسان ، يجب أن نراها هنا دون الاعتماد بالضرورة على الصورة التقليدية التي تفننت أجيال من البكاة على الحسين في تسويدها . وقد استطاع الشاعر أن يرفع شخصيته هذه الى مرتبة الشرير التراجيدي الذي نلقاه في الدراما الاليزابيثية مثلًا : انه ضرب من مكبث آخر ، لأن إقدامه على الجريمة الوحشية لا يخلو من طموح شخصي ، وهو في الوقت نفسه لا يخلو من خيال يقظ يبقي على حسه برعب ما اقترف . وهنا تكمن قيمتُه الإنسانية . لأن الشرير إذا كان شيطاناً صرفاً وحسب ، فانه يفقد أثره المأساوي في أنفسنا ، بالضبط كما يفقد الخيِّر الذي هو ملاك صرف أثره الدرامي فينا . فهو ليس مجرد أمثولة مسطحة : انه إنسان حقيقي يهدد الحياة كل يوم ، وينكفىء على ذاته ممزَّقاً بضميره ـ غير ان تدميره للقيم التي نعيش بها ومن أجلها متواصل مستمر ـ منذ الحسين الى يومنا هذا .

الشمر ، من ناحية ، لا يخاف ـ بالمعنى البشري المألوف ـ بالضبط كما كان مكبث لا يخاف ، وقد كانت جرأته يوماً مضرب المثل :

ضع قِبَلي الموتَ أفعى لها ألفُ رأس
أقاتلها الآن
جيشاً بعدِّ الحصى
أتقحّمــه

ولكن واقع الأمر هو ان الخوف بالذات هو الذي ينهشه من الداخل ، ذلك الخوف العميق ، الخوف الضميري :

أن تقاتل شيئاً تراه
شيئاً تجرؤ يا مالك أن تضربه
أن ترهبه
لكن ،
أن تصبح تضحي ، تمسي
منهوياً
مأخوذاً
بعيون دون محاجر
أصواتٍ أغلقُ أذني فتصرخ
من داخل جمجمتي ...
وهذي الكفُّ
هذي الاصبع البيضاء يا مالك ...

الرعب النفسي ، الداخلي ، يتجسَّد في هلوسات لا يستطيع الخلاص منها . وهو ليس رعب الندم : انه العقاب الذي يحس بأنه ينزل به في ساعات يقظته ، وعليه أن يقتله كل يوم مجدداً ، لأنه كل يوم يتفجر حقداً على ذلك النقاء الذي لا يستطيع عليه صبراً :

قلت (للحسين)
انك عبء من الطُّهر
تكْرهُك الأرضُ
إذ أنت تفضحها
إنما محنتي بك أضعاف محنتك الآن بي
أنا مَنْ شاء لي سوء حظي
أن أُبتلى بإزالة كل المروءة عن كاهل الأرض ...

وعليه أن يتذكر كل يوم خوفه وهو يجابه ضحيته التي لا يخاف إلاها ، ويشيح بوجههِ ليضرب بالسيف ، لأن الخوف قد سكنه ولن يفارقه :

أشحت بوجهي عن وجهه
وبكلتا يديَّ شددت على السيف .
كان خوفي يكبر ... يكبر
حتى غدا ضعف حجم توجعه ،
فتمكنت
أنهيتُ آلامه
واحتفظت بخوفي يكبر من يومها ،

ثم رافقني رأسه ،
رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم
وشعورُ النساءِ وأصواتُهنَّ ،
الصراخُ العويل ...

ليس الشمر ، في هذه المسرحية ، مجرد قاتل أتت يداه جريمة من أبشع جرائم التاريخ ، وكان له أن يتوقع مَنْ سينتقم منه أو لا ينتقم ـ إنه في حدود الزمن المتاح له ذلك الطاغية الذي ، بعد ان أوغل في الجريمة ، لا يستطيع ذهنه الكف عنها ، وينتهي به طغيانه الى ذلك الجحيم الحقيقي الذي سيرى نفسه معذباً فيه أبداً وهو في هذه الأرض : جحيم الوحدة في حياته ـ حيث تتقطع أسباب الصلة بينه وبين الآخرين ، حيث يبقى الرعب في الداخل تجربة متجددة لا تنهيها الجريمة ، ولا يأخذ منها مرُّ الزمن . ومهما يكن محاطاً بالذين يزيّنون له مصارع الآخرين انتصاراً ، فانه ، سيبقى يردد :

تعالي إملأي وحدتي يا عيونَ الذين
تمرَّغتُ في دمهم
يا شخير حناجرهم
يا بكاء الصغار
ويا صرخات الثكالى
بدّدي وحشة الصمت حولي
فاني وحيد ، وحيد ، وحيد

انه مهزوم في انتصاره ، كما كان الحُـرّ على النقيض بالضبط ، منتصراً بهزيمته .

لقد استخلص الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد من قضية تاريخية كبرى بعضاً من إشكالاتها النفسية الباقية في كل عصر: انه يرى المأساة في ان الضمير يحدو بالمرء الى ذرى من البطولة تلهب فينا جذوة الأمل في ان العدالة مهما تُنتهك سيكون لها مَنْ هو مستعد للتضحية بحياته من أجلها، ولكن هذا الموت محتوم ولا مردَّ له، إذ ان ثمة خوفاً ينهش قلوباً تدفع أصحابَها الى قتل العدالة نفسها كل يوم. هذه هي الجدلية التراجيدية في مسرحية « الحُـرّ الرياحي »، وهي منسوجة نسجاً مع خيوط التجربة الإنسانية والحدث التاريخي.

ومن الطبيعي جداً ان قطع رأس الحسين يذكِّر الشاعر بقطع رأس يوحنا المعمدان. ويراه عبر جرائم التاريخ وتوالي الجلادين فيه ما زال يبحث عن رأسَه بين البشر ـ ولكن الجثث مرمية في كل مكان. لأن الشمر قائم في كل مكان، مصلت السيف، مصرّاً على « إزالة كل المروءة عن كاهل الأرض »، لئلا يدمّره خوفه. وإذا هو يتحطم، ولكنه لا ينتهي. وفي خضمّ هذا الخوف العصابي المدمّر في عصرنا الراهن كما في العصور السالفة، يقول المعمدان أخيراً لدليله:

أحياناً يا ولدي
أسأل نفسي
ما جدوى أن تبحث عن رأسك يا يحيى ؟
كَل عامٍ يمرّ
يزيد يقيني بأني إذا عاد رأسي الى عنقي
فسأفقده بين يوم وليلة

الدليل مَنْ سيجرأ يا سيدي ؟
المعمدان الزمان

الزمان سريع هنا يا بُنيّ
يومها
كل شيء هنا كان يأتي بطيئا
لكي يصل الموت يحتاج وقتا
لكي يصل الخوف ذروته حدَّ أن يستوي قاتلا
كان يحتاج وقتا
ولكن
تغيَّرت الآن كلُّ الأمور
يأتي الفرح ويمضي في طرفة عين
يأتي الحزن ويمضي في طرفة عين
أما الخوف
فانه لحظةَ يبتدي يكون قاتلا

فما جدوى إستعادة المعمدان رأسه ، وضرب العنق الآن أسرع مما كان فيما مضى ؟ والفرح والحزن اللذان يتعلَّق المرء بالحياة من أجلهما ليسا الآن بأكثر من لحظة خاطفة .

هذا كله ، بالطبع ، جزء من جدلية المأساة نفسها ـ حيث المرء مجابَه بوضع بشري عليه أن يطلب فيه الفرح والحزن ولو لطرفة عين ، قبل ان تهوي المقصلة مرة أخرى . ولذا فان المعمدان يتساءل عن الجدوى ، ولكنه يستمر في البحث عن رأسه .والخوف ـ الذي هو هنا خوف الجلاد . لا خوف الضحية ـ احتمال قائم أبداً ، واصبعه دوماً على الزناد .

هذا الخوف الماحق يتخلله في هذه المسرحية حس طاغٍ أبدع الشاعر في ملء

الأجواء به : حس العطش . لقد منع الشمر وأصحابه الماء عَن الحسين وأهله ـ وإذ فتك بهم وهم عطاش يطلبون الماء ، فقد قتل الماءِ . لقد قتل الفرات . (ومكبث ، إذ قتل الملك دنكن وهو نائم ، سمع صوتاً يصيح به : « مكبث قد قتل النوم ! مكبث لن ينام بعد اليوم ! ») .

فالشاعر يضعنا في موضع ذلك الشيخ الظمآن الذي جاء يطلب الماء عند الشمر ، فلما عرف بفعلته ، امتنعت شفتاه عن قبول الماء . اننا نحيا عقابيل الجريمة التي فرضت عطشاً أبدياً على كل ضمير .

يخيّل إليّ ان الشاعر في تصديه لشخصية الشمر ، بعد ان جعلتها أجيال من الحسينيات في العراق شيئاً أسود اكتنز بالحقد والقسوة والوحشية ، وتخيلتها هذه الأجيال وقد أُنزل بها في العالم الآخر أنواع مذهلة من العقاب الآلهي الفظيع والمهين ، لم يجد من السهل أن يستعيد الشمر ذلك الوجه « الإنساني » الذي لا بد منه إذا أراد له أن يحقق عملًا تراجيديا يحمل معنى جدلياً لا يدفع المشاهد الى التأمل فحسب ، بل الى الرهبة والشفقة أيضاً . وكان للشاعر عندما استطاع تقديم الشمر في أربع صيغ متزامنة فهناك الشمر الحقيقي ، وهناك هاجسه ، وهناك صوته ، وهناك أخيراً حضوره المعاصر . هذه الصيغ التي تتباعد وتتقارب ، تتناءى وتتحد ، لا يمكن أن توجد على المسرح إلا إذا تخيلناه مسرحاً مطلقاً ، لا مكان محدداً له إلا في الذهن . ومن هنا كانت المسرحية عملًا يكاد يستحيل تجسيده على خشبة . إنها مسرحية أصوات منذ البداية . حتى الحُـرّ الرياحي نجده في صيغتين اثنتين على الأقل ـ هو وصوته . والمعمدان ـ وهو الشخص الثالث المهمّ في المسرحية ـ صوت فقط ، لأن رأساً بلا جسم قد نتصوره « مجسَّداً » وناطقاً . ولكننا لا نستطيع إلا بأقصى الصعوبة أن نتصور جسماً هائماً بلا رأس . وهو ينطق . وقد

اقترن هذا كله بآنعدام الفعل : فنحن هنا إما قبل وقوع الحدث ، أو بعده . وما مِن مجابهة ، إلا بالتذكّر ، لأن المسرحية لا تستعيد الفعل التاريخي ، بل تنزع منه معناه ، فتكون المجابهة الوحيدة هي بين الحُـرّ وضميره ، بين الشمر وضميره . وهذه المجابهة هي النابض الحقيقي الذي تتحرك به المسرحية ، ويتوثب به شعرها .

لعل الطريقة الوحيدة لتمثيل هذا الضرب من المجابهة ، التي هي مجابهة أصوات وأخيلة ، هي الطريقة السينمائية ، حيث يمكن تقطيع الصور وتركيبها (مَـنْـتَـجَـتُـهـا) وتركيب الأصوات وخلق الأخيلة ، التي تتقدم وتتراجع ، تهدر وتستكين : فالمسرحية هنا هي سيناريو ، وإذا قرئت كذلك ، بانت تصاعداتها الدرامية وهي تتحقق في أعماق النفس بين طبقات الشخصية المتصارعة مع ذاتها ، فترفعها الى الرضا المطلق ، كما في الحُـرّ ، وتمزّقها لكي يعاد تمزيقها من جديد ، كما في الشمر .

وما يجعل هذا كله ممكناً هو اللغة العائجة ، الخافقة ، في شعر عبدالرزاق عبدالواحد ، وحركية الصور الراعبة التي تملأه . أنه شاعر غضب وشفقة ، وكلمات أشخاصه تنبع كلها من هذا الحس المتوتر أبداً بالغضب والشفقة . وحتى التحدّي الأخير في نهاية المسرحية ، حيث يضع الشاعر نفسه على جانب المؤمن بانتصار الإنسان وهو يتحدّى الشمر « بقطع رؤوس النخل كلها في العراق » تملأه شفقة الشاعر التي يجعلها على لسان المعمدان ، وهو يلتقط رأساً له لكيما يصيح :

« أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان »

ونبقى ونحن في قبضة المأساة في تساؤل : هل سيكون ذلك طوفاناً لغسل آثام البشر ، أم طوفاناً لاهلاكهم على ما اقترفوه من آثام ؟

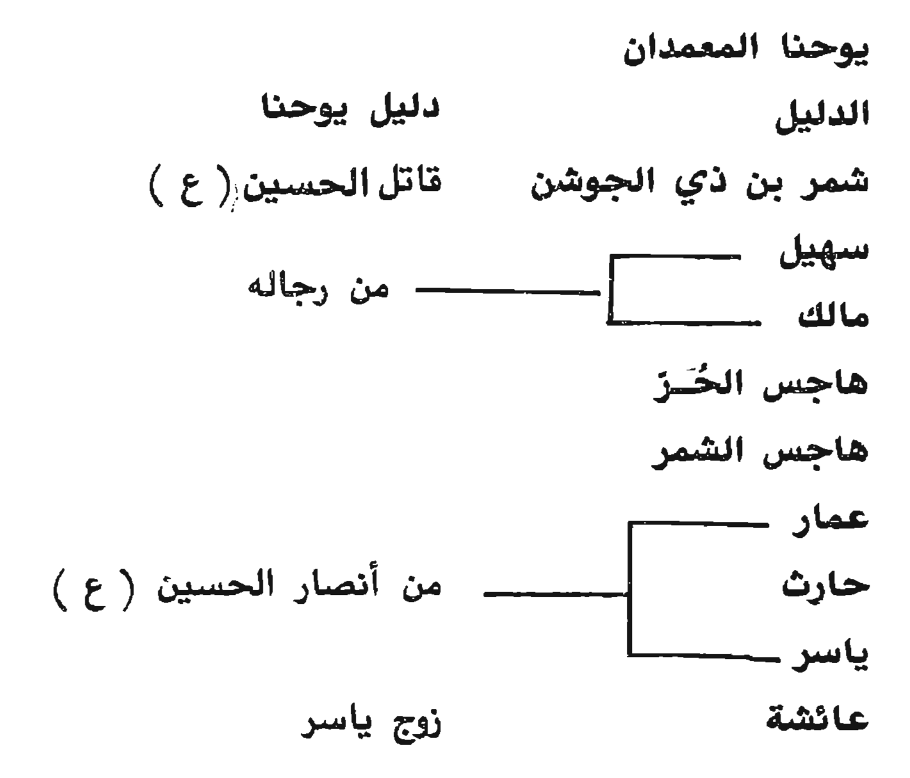
جبرا ابراهيم جبرا

شخصيات المسرحية

الحُـرّ بن يزيد الرياحي قائد أموي

أبو حفص
عمرو ــــ قادة في جيشه
زياد

حارث ابن الحُـرّ



يوحنا المعمدان

الدليل دليل يوحنا

شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين (ع)

سهيل
مالك ــــ من رجاله

هاجس الحُـرّ

هاجس الشمر

عمار
حارث ــــ من أنصار الحسين (ع)
ياسر

عائشة زوج ياسر

سليم	ابنه
رشيد	صاحب شرطة عبيدالله بن زياد
كورس أطفال	
كورس رجال	
جنود	
آخرون	

الفصل الأول

المكان	معسكر الحُرّ بن يزيد الرياحي قرب الكوفة
الزمان	فجر موقعة الطف
«يلاحظ هنا:	ان صوت الهاجس يسمعه الحُـرّ الرياحي وحده » « الحُـرّ وحيداً في خيمته » .

الهاجس　　　إنَّها لحظةُ الصَّمت
فلتَخْتصِرْ كلماتُكَ أنفسَها
تَتراجعُ ؟
أن تقتلُ الآن ؟
أيُّ طريقَيكَ أوضَحْ ؟
عقربٌ تضرب الليلَ بين ضلوعكَ
مأكولةَ الظَهر
إنْ تنتشرْ
تفتقدْ خيلُك الآن حتى حوافرَها
السيوفْ
لا تفلسفُ في رَهَجِ الموتِ أفعالَها
« صهيل »
كِلْمةً لانتظار الرجال
تُحدِّدْ مواقعَها
« صهيل وجلبة »

الحُـرّ　　　ها هي الشمسُ تنهضُ
والناسُ تنهضُ
والكلماتُ القليلُة تنهضُ
تنهضُ أحرفُها كالعماليقِ عمياءَ مجنونةً

تتخبُّط بين حناياك
أيُّ الطريقين أوضَحْ ؟

الهاجس كان لسيفك رأيٌ هو الحَدُّ
حَدٌّ هو الرأيُ
أصبح رأيكَ والسيف خدَّين
رطوبةُ أدناهُما تلمسُ الآن رأسَكَ يا حرُّ
الحُرّ « لنفسه » وي ..!
لو انَّ هواجسَكَ الآنَ مسموعةٌ
(يدخل الربيئة)

الحُرّ : ماذا وراءكَ ؟
الربيئة ابشِرْ
الحُرّ (بفرح مفاجيء)
هل أفلتوا ؟
الربيئة حاشا
وهل إفلاتهم بشارةٌ أزفُّها إليك ؟
الهاجس البشارةُ الوحيده !
من أين للطاردِ أن يرى صراخَ اللّه
بين عينَيْ الطَّريده ..؟

الحُرّ أوجزْ إذنْ
الربيئة رأيتُ مواقدَهم
الحُرّ خمدَتْ ؟
الربيئة ما يزال الرمادُ بها دافئاً
الحُرّ وتَتَّبعتَهم
الربيئة قد فعلتُ
الحُرّ فَصِفْهم
الربيئة قليلٌ حوافرُهُم
قليلٌ مواطيءُ أقدامِهم
جُلُّهم صبيةٌ
خِلُتُهم موَّهوا الدَّرب
الحُرّ هل فعلوا ؟
الربيئة لا ،
ولكنني أوهَمتْنيَ أقدامُ أطفالِهم
فرطَ ما تتشعَّبُ
الحُرّ هم .. م
الربيئة « وهو يضحك »
أمنوا الموت ،
فٱنتشروا يلعبون
الحُرّ « غاضباً »

	أأوجزْتَ ؟
الربيئة	عفوَكَ أيُّها الأمير
الحُرّ	لا تزدْ
	أدركتَهم ؟
الربيئة	أجل
الحُرّ	أين هم الآن ؟
الربيئة	مسارَ فرسخَينِ في الطريق للكوفه
الحُرّ	قُلْ للرِجال يُسرجوا خيولهم
الربيئة	أمركَ أيُّها الأميرْ

« يخرج ويبقى الحُرّ وحيداً »

الحُرّ	« لنفسه ».
	أمنوا الموتَ فآنتشروا
	وأمنتُم ،
	فَجلُّهُمو صبيةٌ
	أصغرُ الجرحِ أكبرُ منهم !
	وأمنتم .. فهم نَفَـرُ
	يصرخُ الحقُّ بينهُمو صرخةً
	ثمَّ يهوي على وجهـهِ
الهاجس	ويْكَ يا حُرُّ

تأمرُ أن تُسرَجَ الخيلُ
صافَيتَ نفسَك ؟
ها أنتَ
لا سرجَ فوق حصانِكَ غيرُ الهواجس
لا نصلَ في غمدِ سيفِكَ
غير الهواجس

الحُرّ
أعلَمُ أنّ لسيفي جواباً إذا سُئِل الآن
أعلمُ أنّ حصانيَ يعرفُ كلَّ مهمَّتهِ
وأنا ..

الهاجس
أنتَ تخدعُ نفسَكَ يا حُـرُّ
تمتلكُ السيفَ
لكنَّ مقبضَـهُ في يدٍ لستَ صاحبَها !
ها أعنَّةُ ألفٍ من الخيلِ تُمسكها الآن كفُّك
تملكُ كلَّ مَهَبَّاتِها
وليس عنانُ حصانِكَ من بينها

(شعاع من ضوء الشمسِ يسقط على يد الحر وهو يذرو الرمل) .

الحُرّ :
« مع نفسه »
إنَّها الشمسُ

ها كلُّ ذرَّةِ رملٍ تَميَّزُ عن أختِها
هل لظُلمةِ روحِكَ من كوكبٍ ؟
هل لهذا الخليطِ شعاعٌ يميِّزُهُ ؟؟
لو تَعِدُ المياهْ
فتَحتُ بالخنجر درباً نحو هذا العَطَشْ !
« منادياً »
مَسعده

الربيئة « وهو داخل »
لبيكَ أيُّها الأمير

الحُرّ قُلْ لأبي حفصٍ وعمرٍو وزيادٍ
يقدموا إليّ

الربيئة أفعلُ الساعه
« يخرج »

الهاجس ثمَّ ماذا ؟
جيشُكَ الآن استوى فوقَ ظهورِ الخيل
قُوّادُكَ آتون
وما زالَ نزيفُ الليل
لم يَنبتْ ولا خيطُ ضياءٍ بين أضلاعِكَ
ما زالَ نزيفُ الليل

ما زالَ نزيفُ الليل

« القواد يدخلون »

أبو حفص : عِمْ صباحاً يا حُرّ

الحُرّ عمتُمْ صباحاً

اجلسوا

زياد والرجالُ فوق ظهورِ الخيل ؟

الحُرّ لا بأس

فما بينكم والحسينْ

غيرَ أنْ تمضغَ الخيلُ أرسانَها مضغةً

« وهم يجلسون »

الهاجس ها أنت ذا تهربُ من نفسكَ

ما جدوى الذي أخبرتَهم عن المدى بينهم

الساعةَ والحسين

ما دام المدى بينك أنت والحسينْ

لا تعرفُه ؟

الحُرّ : كيف تركتُم الرجال ؟

زياد يكبَحون خيلَهم

لكنْ ترى الصهيلَ في عيونِهمْ

الحُرّ وأنتمو ؟

عمرو « ينهض مجرداً سيفه »

سلْ هذه السيوف

مَنْ أظمأ للدماءِ : نحنُ أم نصالُها ؟

الهاجس أرأيتَ ؟..

لو انكَ تملكُ من نفسِكَ الآن ما يملكون

أكنتَ تردَّدت في أن تجرِّد سيفك ؟

الحُرّ « وكأنه يخاطب أحداً »

لو كنتُ أملكُ بيِّنةً

الهاجس أيُّ بيِّنةٍ مثل ان يتشرَّخ في غمدهِ السَّيف ؟

الحُرّ ثم يقولون

أقعى الرياحيُّ يلعقُ قيحَ وساوِسِه

أبو حفص هل .. قلتَ شيئاً أيها الأمير ؟

الحُرّ « منتبهاً الى وجوههم »

كنتُ أقولُ ...

الهاجس : قلْ لُعِنتَ

أنزِلْ كلَّهم من نفسِه منزَلكَ الساعةَ

من نفسِكَ
ثمَّ أنظرْ الى سيوفِهم مِن بَعد
الحُرّ كنتُ أودُّ أن
الهاجس تودُّ ماذا ؟
إنَّ كلَّ كلْمةَ تنطقُها في هذه اللحظةِ
سيفُ
أنْ تجسَّ الوتَر اللَّينَ من نفسِكَ
مثل امرأةٍ تبكي ؟؟
تبيَّنْ قدراً تصنعُه أنتَ بهذا الخوف
كنْ سيدَهم وقلْ
أو عبدهم وعبدَ طغيانِكَ
واسكتْ
الحُرّ « غارقاً مع نفسه »
بل أقولُ
أبو حفص إننا مصغون أيُّها الأميرُ

الحُرّ « منتبهاً اليهم مرة أخرى »

تعلمون لماذا دعوتُكم الآن ؟
أبو حفص مِن أين نعلمُ

إنْ كان شيئاً سوى الأمرِ بالحرب ؟

الهاجس	من أين يعلم غيرُك

من أين يعلم ..؟

« القواد يطيلون النظر الى بعضهم »

أبو حفص : مذ أمسِ وشيءٌ ما يشغلُ بالكَ يا حُرّ

الحُرّ أجلْ

زياد مُـرْ ، أقطعْ عنقَ الصحراءِ الساعةَ

ما تنزفُ هاجسةً !

الحُرّ مَـهْ

قد احتاجُ لسيفكَ في ضربٍ أقسى

عمرو تمتحنُ اليومَ سيوفَك ..

أبوحفص : « مقاطعاً »

يا عمرو ..

عمرو « مواصلًا »

فترضى

أبو حفص : يا عمرو اهدأ

ليخيِّل لي أنَّ سيوفَ الأرضِ جميعاً

تعجزُ أن تقطعَ ما يشغلُ بالَ أميرِكَ

عمرو لكنْ

أبو حفص لكنْ ماذا ..؟

إنَّ علينا أن نسمعَ

ثمَّ علينا الطاعه

الحُرّ : مهلًا أبا حفصٍ

لو انني أمرتُ أمراً الساعةَ

هل أنتم مخالفوه ؟

أبو حفص : حاشا

الحُرّ فأنا

لم أدعُكم لكي تُطيعوا

بل دعوتُكم

لكيِ تَروا معي

عمرو فهاتِ ما عندكَ أيها الأمير

الحُرّ يا عمرو

عمرو لبيك

الحُرّ لو انني خُضتُ بكم جيشاً من الجنِّ

يقاتلونكم

ولا ترونَ واحداً منهم

أخائضوهُ أنتمو ورائي ؟

عمرو أنت تدري أننا نفعلُ

الحُرّ : أدري ...!

« يطيل النظر اليهم »

هَبوني حملتُ بسيفيَ هذا
ورمحيَ هذا
على صِبْيةٍ
يهرعون أمامي وينكفئون
فتحملهم أمَّهاتُهمو حاسراتٍ من الرُّعبِ
يركضْنَ في كل مُتَّجهٍ
ثم قلتُ أغيروا عليهم معي
تفعلون ؟؟

زياد أتفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟

الهاجس تفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟
تفعلُه أنتَ ؟؟

الحُرّ جِدْ لي جوابَ سؤالِكَ هذا زياد
فمن أجلِ هذا دعوتُكم الآن

الهاجس تكذبُ !
تكذبُ أنتَ
وجُبْنك ما زال سيِّدَ موقفِه
منذُ أمسِ

وأنتَ تقاتلُ نفسَك
ما كنتَ تعرفُ من أمرِ جيشِ الحسينِ
فتيلًا
أتصطنعُ العطفَ ،
تستُر من كبريائِكَ مذبوحةً
ثمَّ تُلْبِسُهُ للحسينْ ؟
إنَّه يتقبَّل سيفَك قدْر تقبُّلك الذِلَّة الآن
إذ أنتَ تكذبُ
تكذبُ يا حُرّ
تكذبْ

زياد أيأذنُ الأميرُ أن أسألَ ...؟
الحُرّ مَنْ ...؟ ... زياد ؟؟
زياد أجل
الحُرّ وهل وضعتُ بيننا حجاباً قبلْ ؟
زياد كلا أيها الأمير
الحُرّ ففيمَ تستأذنْ ؟؟

الهاجس أمغالطةً نفسَك ؟
أم تسألُ كي تتبيَّنَ مقدارَ الشكِّ بأنفسِهم ؟
إنَّهم يتّقونَكْ

يتّقون يدَ الخائفِ المتحفّزةَ الآن فيك
ولو شعروا انها قبضةُ الواثِق المطمئنّ
الى نفسِه الآن
ما استأذنوا
أنتَ تعلمُ أنّ يدَ الخوفِ بطّاشةٌ
وتلحُّ ليزدادَ خوفُك
ها أوّلُ الغيث
أصبحتَ تبصرُ في أيِّما كِلْمةٍ نطقوا
غمـزةً
فتضاعفُ جِملاق عينيكَ فيهم

أبو حفص : يا حُـرُّ ،
لقد كنّا ندخلُ من نفسكَ باباً مشرعةً
لا يستأذنُ داخلُها
الحُرّ والآن ؟
أبو حفص : الآن يُخيَّل لي أنَّ عليها أقفالًا
وعليها حَرساً

الهاجس باسلٌ
لغةٌ ملكتْ صدقَها فأستقرَّتْ
تجرَّدْ وضوحاً كهذا

وقلْ كِلْمةً
تقف الشمسُ في مُستقرٍّ تُعيِّنُه أنتَ
لولا أضأتَ مسافةَ ما بين قلبِك والشفَتين ..

الحُرّ   يا أبا حفص
أبو حفص :   لبَّيك
الحُرّ   لو خلعتْ نفسُ صاحبِكَ الآن
أقفالَها ؟
أبو حفص :   عُنوةً ؟
الحُرّ   بل رضىً واختياراً
أبو حفص :   دخلَ الناسُ
لا خوفَ منها
ولا خوفَ منهم عليها

الحُر   « ملتفتاً الى زياد »
فسَلْ إذن زياد
زياد   ما شئتُ ؟
أم الذي تشاءُ أنتَ تُسأل ؟
الحُر   بل ما شئتَ
زياد   هل أوجزُ ؟
الحُر   ما استطعتَ

زياد «بشيء من التردد»

يا حُـرُّ

الحُر : قُـلْ

زياد مع الحسين نحنُ أم عليه ؟

عمرو : «مباغَتاً»

زياد

الحُرّ : مهلًا عمرو

فلْنحتمِل الكيَّ

إذا استفحلَ فينا الدّاء

«الى زياد»

يا زياد

زياد لبيك

الحُرّ : قبيلَ برهةٍ كنتَ مع الجيش

زياد أجل

الحُرّ : تركتَهم يلتمعُ الصَّهيلُ في عيونِهم

زياد حقٌّ

الحُرّ : فهم في عدَّةِ الحرْب إذنْ

«يلتفت الى عمرو»

وأنتَ يا عمرو بنَ عبدِالله

عمرو		لبَّيكَ
الحُرّ		ترى نفسَك أظما للدماءِ الآن من سيفِك
عمرو		بل زدتُ اليها عطشاً
الحُرّ		جميعُ أُهْبةِ القتالِ فيك

« يلتفت الى أبي حفص »

يا أبا حفصٍ

أبو حفص :	مُطيعاً كلَّ ما تأمرُ
الحُرّ		هذا عسكرٌ يمطر نصراً

« يتخذ بينهم هيأة الخطيب »

فنحنُ أمامَ عدوٍ أتى يُهلكُ الحرثَ والنَّسل
يُخرج من يدِنا أمرنا
يدَّعيه له ظالماً ..

زياد :		« مقاطعاً »
يُهلِك الحرثَ والنَّسل ؟
عمرو		لكنَّنا ما رَمينا الحسينَ بما قلتَهُ
الحُرّ :

« مواصلًا وكأنه لم يسمع اعتراضهم »

فتَن الناسَ

أَلَّبهم حولَهُ
صدَّقوا أنَّه آبنُ النبيِّ
وأنَّ على وجهِه صفحةً للرسالةِ ما قُرِئتْ
فهو قارئُها
يدَّعي أنهُ جاء يحملها منقذاً ..
صدَّقوا أنهُ كلُّ ذلك

أبوحفص : « مقاطعاً »

لكنَّهُ كلُّ ذلك يا حُرّ

الحُرّ ها ؟

أبو حفص : أنَّهُ كلُّ ذلك

الحُرّ أعلمُ

أبو حفص : تعلمُ ثم تقول الذي قلتَ فيه ؟؟

الحُرّ : تُريدونني ان أقودَ رجالي لقتلِ الحسين
سأفعلُ
لكنْ
لكي يقتلوه
فلا بدَّ أن يؤمنوا انَّ هذا الذي تَطأُ الخيلُ
جبهتَـهُ
الذي يجرأون عليه

فتنشبُ فيه الأسنَّـةُ
ليس الحسين
ولكنَّه رجلٌ
يدَّعي باطلًا
يخدعُ الناس
يُهلكهم في غدِ
بل سأجعلهم يؤمنون بغربتِهِ عن محمَّدْ

أبو حفص : وتعلمُ انَّ جميعَ الذي قلتَه كذبٌ !
الحرّ بعدَ ان نربحَ الحربَ
يُصبح لا صدقَ إلّاه !
أبو حفص : لكنَّه كذبٌ
إنَّه كذبٌ يتصبَّب سامعُه عَرقاً

الحُرّ : الويلُ لكم
قُبيلَ لحظةٍ بدتْ كبيرةً كلُّ دعاواكُم
وها أنتم أولاءِ
لو أشرتُ نحو أيٍّ من سيوفِكم
بأنَّه الذي يبدأ
لأقشعرَّ في قرابِه
لم تقتلوا الحسينَ بعدُ

ثم ها أنتم تخافون مجرَّد اتِّهامه
بأيِّ شيءٍ
أيُّكم يحمل وزرُه غداً ؟
زياد		يحملُه الذين أوعزوا لنا بقتلِه
الحُرّ		وأنتم
زياد		جنودٌ تطيعُ أوامرَ قادتِها
الحُرّ		بل كلابٌ يصاد بها
أبو حفص :	أنت يا حرُّ تشتُمنا دونَ حقٍّ
الحُرّ :	ولكنَّني مثلكم
كلبُ صيدٍ سيلهثُ خلفَ الفريسةِ

يُنشبُ أنيابَهُ في مقاتِلها
ويعودُ بها كلبَ صيدٍ لسيدِه

« لحظة صمت »

عمرو :	هل لنا أن نرى منبتَ السَّهم في رأيكَ الآن ؟
الحُرّ :	لو كُنت أبصرُه
أبو حفص :	إنما يومضُ البرقُ في الغيمةِ المدلهمَّةِ يا حُرّ
الحُرّ :	فالتمسوه إذنْ
أمسكوا أيَّما اصبعٍ من أصابعه

ودعوني أرى جوفَ نفسي يضيء
لكُم أنْ أُفقىء عينيَّ بالضَّوءِ
لكنْ أرونيهِ

أبو حفص : يا حرُّ
برقُك أمسكتَ أنتَ جميعَ أصابعِه

الحُرّ : هل فعلتُ ؟

أبو حفص : فعلتَ

الحُرّ : فدلَّني أنتَ أبا حفصٍ عليها

أبو حفص : آمناً ؟؟

الحُرّ ويْ
كيف لا تنبتُ للسماءِ ألفُ مخلبٍ
تُغرز كلُّها بعينيَّ

عمرو لماذا أيُّها الأميرُ ؟

الحُرّ : هَبوني سوى الشكِّ عيناً أراكم بها
قبضةً أتحسَّسُكم
تزرعونَ الظنونَ بكلِّ مسامات جلديْ
ثمَّ تخشونَها
كيف آمنُ في عطشي بينكم
وأنا كلَّما امتدَّ دلوي الى قاعِ آباركم
هربَ الماء ؟

أبو حفص : هلَّا تفحَّصت دلوكَ يا حُرّ ؟

الحُرّ « يطيل النظر إليه »

ماذا عنيتَ أبا حفص ؟

أبوحفص ما كنتَ تحذرهُ

الحُرّ فأَبِنْ

أبو حفص : أنتَ ترسلُ دلواً الى الماءِ

تعلمُ من قبل إرسالها أنها ستعودُ

وما علقتْ قطرةٌ في جوانبها ..

إنَّ دلوكَ مخلوعةُ القاعِ يا حُرّ

الحُرّ أنتَ تحاولُ أن ...

أبو حفص : « مقاطعاً »

أن أقولَ بأنَّكَ تعلمُ ذلكَ

بل تتقصَّدهُ

ثمَّ تشتُم آبارَنا

الحُرّ يا نهارَ العواصفِ والرُّجمِ المستحيلةِ

أيُّ نبوءاتِكَ اليُطمأنُّ الى صدقِها الآن ؟

أبو حفص :

أقسمُ لو أني صيَّرتُ الصحراءَ بأجمعها ماءً

وطغى الموجُ فغطَّاكَ الى الأذنين

لأطبقْتَ شفاهَك في جوفِ اللُّـجَّةِ

حتى تقضي عطشاً

الحُرّ		وبعد

أبو حفص :	أن تقولَ

لن نقاتلَ الحسين

ثم لا تضيف كِلْمةً

الحُرّ		« بعد ان يطرق لحظة »

وأنتَ يا عمرو ؟

وأنتَ يا زياد ؟

زياد :		في الذي قال أبو حفصٍ كفاءٌ أيُّها الأميرْ

الحُرّ		« مع نفسه »

أيُّ خصمٌ بليتَ بهِ اليوم ؟

عُمرَك أسرجْتَ للريح كلَّ مهبّاتِها

كلُّ أرسانِها تتقاطعُ تحتكَ

ما انكفأتْ صهوةٌ أنتَ فارسُها

ثمَّ ها أنت ...

« الى عمرو »

يا عمرو

عمرو :		لبَّيك

الحُرّ :	قلْ لي وأصدقنيَ القولَ يا عمرو

إنْ لم أكنْ خصماً لهذا الرجل الواقفِ في انتظاريَ

الساعةَ بين قبرهِ وشفرةِ السيفِ الذي أحملهُ

فما أنا ؟

وأيُّ شيءٍ جاء بي إليه ؟

عمرو		حين يُطلقُ صقرٌ وراءَ فريستِه
أتراهُ يسائلُ صاحبَهُ فيمَ أطلقهُ خلفَها ؟

الحُرّ		فأنا مثلما قلتُ
كلبٌ يُصادُ به

عمرو		بل ..

الحُرّ		« مقاطعاً »
رويدَك يا عمرو
لو كنتُ صقراً لأنشبتُ منقاريَ الآنَ
في جؤجؤي غَضباً
أو لأنشبتُـهُ ..

أبو حفص :	« مقاطعاً »
أينَ يا حُرُّ ..؟

الحُرّ :	في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها يا أبا حفص
في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها

أبو حفص :	أنتَ يا حرُّ تملُك سيفَك

الحُرّ		أملكُه الآن حتى قرارتِـهِ
حدَّ أني أحسُّ بهِ يتقوَّسُ ضلعاً على القلب
« ينهض »
ملأتُم وعائي

فعودوا الى جندكم راشدينْ
وبيني وبينكُمُ لحظةٌ
أرِدُ الماءَ أو أتهيَّبهُ

زياد : طوعَ أمرك

« يخرجون .. ويبقى وحيداً »

الهاجس : هيهات
أنتَ المكابرُ لن تشربَ الماء يصَّدَّقون عليكَ بهِ
أنتَ تبحثُ عن مائِكَ الآن
لا شيءَ يصدَع لهذا الظما غير مائك

الحُرّ : لولا اهتديتُ لمنبعِه ..!

« يدخل عليه ابنه حارث »

حارث : أنعِمْ صباحاً يا أبي
الحُرّ حارثُ ؟
ما أتى بك الساعةَ يا بُنيّ ؟

حارث : رؤيا أفزعْتني أيها الأميرْ

الحُرّ يا مرحبا يا مرحبا !

أبطالُنا تُفزعُهم في غَبشِ الحرب الرؤى !

حارث : تعلمُ يا أبي بأني لستُ هيَّاب وغى
لكنني أسمعُ ما يدور حولي ... وأرى

الحُرّ وماذا رأيت ؟
حارث : رأيتُكَ تُسلِمُ عينيكِ للريح
كفَّيك للريح
حتى لقد عقَدتْ ساعدَيك ببعضهما عَقدةً
تخلعُ اليدُ جارتَها لو هَممْتَ بها !.
الحُرّ : هم ... م ..
وماذا سمعت ؟
حارث : سمعتُ الذي أنتَ تسمعُ من نفسِكَ الآن
الحُرّ « يطرق »
حارث : يا أبتي ... إنني مشفقٌ
الحُرّ : ويْـكَ
تشفقُ أنتَ على مَنْ ؟
حارث : على امرأةٍ زارني طيفُها أمسِ يبكي
الحُرّ : عليكَ بكى ؟
حارث : بل علينا معاً يا أبي
الحُرّ : فهيَ أُمّكَ

هل قال شيئاً لكَ الطَّيف ؟

حارث : كنتُ مستلقياً يقظاً بعدُ
حين سمعت نشيجاً توهَّمتُه الريح
أصغيتُ ..
كان الصَّدى يدُّني
يمكن أن أخطىء وجهي
لكني لا أخطىء هذا الصوت

وسرَتْ بي قشعريرةٌ حينما انحسر الليلُ عنها
قطُّ لم أرَ في وجهِها هلعَاً كالذي لاحَ فيه

« خلال ذلك يلوح وجه الأم تدريجياً في أفق المسرح ، حتى يظهر جلياً »

الأم أي ولدي
أي ولدي
أي ولدي
أعلمُ أني بعدَ هذا الليلِ لن أراك
ولن أرى أباك
أعلمُ أني سأكونُ أثكلَ الثُّواكلْ
وأفجعَ النساءِ يُتماً
وأقلَّهنَّ بارقاً

أذلَّهنَّ طارقاً
لكنَّني جئتُ إليكَ أحتمي من هَلعٍ
أكبر من فَجيعتي الموشِكه
أي ولدي
إنْ كان لا بدَّ لكلِّ الماءِ أن يَغيضْ
إن كان لا بدَّ لهذا الدمِ أن يَفيضْ
فلا تكونا أنتما السيفَ الذي يضربُهُ
ولا تكونا أنتما الرَّملَ الذي يشربُهُ
إني سمعتُ هاتفاً

الهاتف «صوت مليء بالرهبة يُسمع من عمق المسرح وكأنه آتٍ من المجهول»
سيُقتَل الحسينْ
وسوفَ تبقى هذهِ العلامهْ
كلُّ السيوفِ الوالغاتِ في دمِهْ
كلُّ الرِّمالِ الشارباتِ من دمِهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ

«ينتهي الصوت ويختفي وجه الأم من المسرح»

حارث : وبعد ذاك يا أبي سمعتُهم يبكون

الحُرّ		مَنْ ويحكَ ؟

حارث :		كلُّ الفقِراءِ يا أبي

كلُّ اليتامى ..

كانت السماءْ

تنشقُّ عن عويلهم ويهمرُ البكاءْ

طولَ الليلْ

ينهمرُ البكاء

كورس اطفال :		« صوت من خلف المسرح »

حسين

يا حسين

يا موثَقَ اليدَينْ

يا مطلَقَ اليدَيْنْ

بعْدَكَ سوفَ تُطفأُ الشموعْ

وتكثرُ الدموعْ

وكلُّنا نعرى

وكلُّنا نجوعْ

يا حسين

يا حسين

يا حسين

« المسيح يظهر مصلوباً في أفق المسرح »

صوت المسيح: لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تَسميَّتُ بإسمي

« يختفي المسيح .. يظهر تشي جيفارا قتيلًا في أفق المسرح »

صوت جيفارا لأنَّ المسافةَ بين الرصاصةِ والقلبِ ضيّقةٌ
لأنَّ الذي يقطعُ الدَّربَ بين القتيلِ وقاتلِهِ
شاهدٌ وقتيلْ
صرتُ في زمني الشاهدَ المستحيلْ

« يختفي جيفارا . يظهر المعمدان مقطوع الرأس في المسرح »

يوحنا ملعونٌ مَنْ يُمسكُ للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَنْ يخدعُ إنساناً عن عينيه
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَنْ يأمنُ ذئباً في مرعى
يا أولادَ الأفعى
ألفَي عامٍ أبحثُ عن رأسي بين الأكتافِ
وبين الأرؤس .
كم جسداً مثلي يسعى ؟

طفل		يا يوحنا خُذْ مني شفةً
طفلة		يا يوحنا خُذْ مني عيناً
رجل مقطوع	يا يوحنا
الرأس :		ارشدْ كتفيَّ الى رأسي
يوحنا		كم جسداً مثلي يسعى
		كم جسداً مثلي يسعى
كورس :		« الصوت يُسمع من وراء المسرح »
		يا حسينْ
		يا حسينْ
		عهدٌ علينا يا حسين	يومَ الظما أن نتبعَكْ
		بينَ بينْ
		بينَ بينْ
		ويلٌ لمَنْ هم بينَ بينْ	ليسوا عليك أو معك

صوت[1]		يا بلادَ الظما
		والشجيراتُ خلفَ الظما تستريحُ
		لم أعدْ سُلَّما
		حاصرتْني العيونُ بأوجاعها
		والزمانُ الجريحُ

---

(١) الأبيات للشاعر فوزي كريم

الحُرّ لا ، لن تكونَ سُلّماً يا حُرُّ
لن تقطعَ رأسَ المعمدانِ مرةً أخرى
ولن تُعلّقَ المسيحْ

« منادياً »

يا مَسعَدهْ

« يدخل الربيئة »

الربيئة لبَّيكَ

الحُرّ أرشِدْني الى مَرابِض الحسينْ

«الى حارث »

وأنتَ يا حارثَ
أسرعْ لزياد وأبي حفصٍ وعمروٍ
يتبعوني

« لنفسه »

لم أعدْ سُلّما
حاصرتْني العيونُ بأوجاعها
والزمانُ الجريحُ

والآن يا حسينْ
هامةُ هذي الشمسْ
أدنى الى سيفيَ من رأسِكْ !

« ستار »

الفصل الثاني

الوقت	مساء ، بعد شهر واحد من مقتل الحسين
المكان :	بيت الشمر بن ذي الجوشن
الأشخاص	الشمر : مالك وسهيل : من رجاله
	الهاجس : الصوت الداخلي للشمر .
	الصوت : صوت الشمر في أحداث الطف .

ملاحظة :

المسرح جزءان

- الحاضر : حيث الشمر وجماعته
- الماضي حيث صوت الشمر وجماعته وأحداث الطف .
- كل الأصوات ، وكل الأشباح ، يراها ويسمعها الشمر وحده .
- في الفصل صوتان : هاجس الشمر ، وصوته

سنميز الصوتين عن بعضهما بتسمية صوت الشمر « الصوت » ، والآخـــر « الهاجس »

الهاجس : لماذا ؟
لماذا ؟
لماذا ؟
لماذا ؟

الصوت كفٌّ بلونِ القار
فيها اصبعٌ بيضاء
لو كانت يدي لأفزعتْني

صوت طفل : عطشانْ ..

الصوت « مواصلًا »

هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ
هذي النظرةُ النبيَّةُ العينينْ
أكرهُها

صوت طويل : آه ...

أصوات اطفال : النار
النار
النار

صوت امرأة : واحسيناه

الشمر : « منتفضاً من شروده »
مَنْ التي تندبْ ؟

مالك هل .. سمعتَ شيئاً ؟

سهيل وَيْ ..
أسبوعُ وهذي الريحُ لا تهدأ

الشمر : « متلفتاً اليه بغضب »
كلُّكم صُمٌّ إذنْ
أرسلوا رجلًا يتحرّى

مالك : يا شمرُ ،
تدري أننا مُذْ قُتِلَ الـ . .

الشمر : « مقاطعاً بهياج »
مَنْ ؟؟

مالك :	« مستدركاً »

مذ رجعتَ منذُ شهرٍ
وكما أمرتَ
أنفذْنا العيونَ بين كلِّ الناسْ

سهيل :	أوصينا ألّا تندبَ ثاكلةٌ
أو يعلو صوتُ بكاءٍ
أو ..

الشمر :	« مقاطعاً »

يكفي

صوت طفل :	عطشانْ ..

« بكاء طفل »

صوت طفل :	عطشان يا حسين
عطشان يا حسين

صوت ١	أسكِتْ هذا الصوت

صوت ٢	سأسكتُهُ
ناولْني يا حنظلةُ الماءَ
لأغمسَ هذا السَّهمَ بهِ

صوت طفل :	عطشان ..

صوت ٢	لا تَعْجَلْ ،
هذا السهمُ المبتَلُّ سيملأ أحشاءكَ ماءً

والآن ،

هاكَ اشربْ

« صرخة طفل »

الهاجس : لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا لماذا ؟

الصوت : أئمَّهْ

جميعُهم أئمَّهْ

بعدَ غدٍ سيُثقلونَ الأرضَ بالتَّقوى

الهاجس : لكنَّهم أطفالْ

ما ذنبُهُم ؟

لصوت ما ذنبُهُم ؟؟

أتراني أقطِّرُ هذي المرارةَ

أعصرُها من حناجرِهم

بَـطَـرَاً ؟

لا ،

وخَسِئْتُ إذا كنتُ أفعلها

إنَّني بدماءِ حناجرِهم

سأكدِّرُ هذا البياضْ

أرغمُ هذي الاصبعَ المُريبهْ
أن ترتدي لونَ اليدِ التي عليها نبتَتْ
أجعلها سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى الـ..

« يختفي الصوت بينما تظهر في أفق المسرح كف سوداء سبابتها بيضاء .. السبابة تشير الى الشمر »

الشمر : « ينتفض من مكانه مفزعاً ، ويتجه الى الكف »
ها أنت ذي
بيضاء حتى العظم
تخترقين البابَ والجدارْ
وتملأين الدارْ
تروّعينَ يقظتي
تروّعينَ نومي
ستنبتينَ بين عينيَّ الى القيامهْ
بيضاءَ حتى العظم

سهيل : « وهو يهم بالنهوض اليه »
يا شمر ..
مالك « يمسك بسهيل مقاطعاً »

دَعْهُ يا سهيلُ حتى تنجلي النَّوبَهْ

الشمر :

« وهو يحملق في الكف مرتعباً »

أفزُّ جميعي عيوناً
ولكنني مُكْرَهُ
لو انَّ اختفاءكِ مرتهنٌ بالعمى
لأنشبتُ هذي الأظافرَ في محجريَّ
الى ان يسيلَ بياضُـهُما كلُّه في يدي
ولكنني مُكْرَهُ
مُكرَهُ
وأحملقُ فيكِ
مُكرَهُ
وألاحقُ لونَكِ
لا
إنَّهُ هوَ
حتى دمي فرَّ
لكُنَّ لونَكِ ظلَّ يلاحقني

« وكأنه يخاطب أناساً يراهم »

كلُّ أصواتِكم
كلُّ آهاتِكم

كلُّ أعينكم تتجمَّعُ حولي
تحاصرني
أريني وجوهَكِ أيتُها الأعينُ اللستُ أبصرُ
إلا محاجرَها
أفأحملُ أوزاركم كلَّها
وأنا لستُ أعرفُ حتى ملامحَكم ؟
« وهو يلتفت في كل اتجاه »
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتَ ؟
أنتِ ؟
أنتَ
مَنْ ؟؟
قتلتُكم أنا جميعاً ؟؟
أم تطالبونني بواحدٍ منكم ؟
ألستُم تملكونَ غيرَ أن تُحملقوا فيَّ ؟؟
إذنْ فآنفجروا غيظاً
لقد قتلتُـهُ
قتلتُـهُ
قتلتُـهُ
مالك : « ينهض اليه ويمسك به »

يا شمر ..

الشمر : « مواصلًا »

قتلتُـهُ

قتلتُـهُ

مالك : « وهو ممسك به بعنف »

يا شمرُ اهدأ

أجُننتَ تطاردُ أشباحاً ؟

الشمر : أطاردُها ؟!

أنا محضُ فريستِها يا مالك

مالك : بل صانعُها يا شمرُ

ومُكسبُها حولًا لا تملكُه

ها نحنُ من حولك لا نرى ولا نسمعْ

الشمر : وهل رأيتَ أو سمعتَ أنت شيئاً قبلُ

يا مالكْ ؟

إن شئتَ أن تسمعَ يا مالكُ فأبحثْ عن حسينٍ آخرٍ

واذْبحْـهُ

ثم انظرْ الى يديكْ

مالك : أنتَ الكائنُ ترتعدُ الخيلُ إذا صاحَ بها

تتصبَّبُ عَـرَقَاً من خوفكْ ؟

الشمر : يا مالكُ يا مالكُ يا مالكْ

تُعيِّر مثليَ بالخوف ؟!
ضَـعْ قِبَلي الموتَ أفعىً لها ألفُ رأسٍ
أقاتلُها الآنْ
جيشاً بِعَـدِّ الحصى
أتقحَّـمُـهُ
أنْ تقاتلَ شيئاً تراهْ
شيئاً تجرؤ يا مالكُ أن تضربَـهُ
أن تُرهِـبَـهُ
لكنْ ،
أن تصبحَ تُضحي ، تُمسي
منهوباً
مأخوذاً بعيونٍ دون محاجر
أصواتٍ أُغلقُ أذنيَّ فتصرخُ
مِن داخلِ جمجمتي
وهذي الكفُّ ،
هذي الاصبعُ البيضاءُ يا مالك

مالك : هَوناً هَوناً
لا تُسلِمْ نفسَكَ للوهمِ
فلستَ صغيراً يا شمرُ على أن تقطعَ
رأساً

الشمر : ولكنْ

أيّ رأسٍ !

أيّ رأسٍ !

مالك افرخ من روعِك

افرخ من روعك

« وهو يجذبه الى حيث كان يجلس »

تعالَ معي ،

إنَّ عندي حديثاً يغيِّر ما نحنُ فيه

الشمر : « وهما يجلسان »

أتعلَمُ ما قال لي حينَ ..

سهيل : « مقاطعاً »

دَعْ عنكَ هذا التَذَكُّر يا شمر

أبعِدْهُ عنكَ ولو لحظةً ريثما تتنفَّس

الشمر : لكنهُ حاضرٌ يا سهيل

إنهُ حاضرٌ

إنني وأنا أتحدَّثُ عنهُ لكم

أتشاغلُ عنهُ بهِ

أَفتفهُم هذا سهيل ؟

أتفهمُـهُ ؟

أنْ تتحدَّثَ عن موتِكَ حتى تألفَـهُ ؟!
أنْ توهمَ نفسَـكَ أنَّكَ لستَ وحيداً ؟
تُودعَ خوفَـكَ عندَ صديقٍ .. جارٍ
إنسانٍ تعرفُـهُ ؟
تَفهمُ معنى هذا ؟؟

سهيل : أفهمُـهُ
مالك : إنَّا أكثرُ مِن إنسانٍ تعرفُـهُ يا شمرُ
فأودِعْنا وتخَفَّـفْ

الشمر : تنفضُ الغيمةُ المدلهمَّـةُ أمطارَها
وأنا مثلما البِير
البراكينُ تُفرغُ أجوافَها ثم تهدأُ
وأنا مثلما البيرْ
كلَّما أخرجوا منهُ يزدادُ عمقاً
كلَّما أخرجوا منهُ يطفحُ بالماءْ
كلُّ شيءٍ سَـيَبردْ
وأنا تتناسلُ في جوفي النار
أزفرُها ثمَّ تنهض
أزفرُها ثم تنهض
أزفرُها

« طرق على الباب »

سهيل : مَنْ بالباب ؟

صوت من الخارج : شيخٌ يسألُ معروفاً

الشمر : أدخلْـهُ يا سهيل
أدخله يا سهيل
عَـجِّـلْ

سهيل : « ينهض متجهاً الى الباب ليفتحه »

الشمر : « مواصلًا »
شهرٌ ولا يقرِبُنا أحدْ
شهرٌ وهذي الباب لا تطرقُها إلَّا أكُـفُّ
الريح

« يدخل شيخ بادي الاعياء »

الشيخ : السلامُ عليكم

الحضور : وعليك السلام

مالك : استرحْ

« الشيخ يجلس »

مالك : حيَّاكَ الله

الشيخ : وحيَّا هذي الدار وصاحبَها

الشمر : لو يسمعُ منكَ اللّهُ دعاءكَ هذا

الشيخ : « بشيء من الاستغراب »
إنَّ اللّهَ سميعٌ يا ولدي

الشمر : ومجيب ؟

الشيخ : « باستغراب أشد »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

الشمر : « مع نفسه وهو مطرق »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

« منادياً »

يا وهب

يا وهب

وهب : « وهو يدخل »

لبيك

الشمر : أحضرِ الطعام

وأصلحوا للشيخِ موضعاً ينامُ فيه

الشيخ : لو شربَـةُ ماءٍ عافاكَ اللّه

إني عطشانْ

عطشانْ

« أصداء كلمة « عطشان » تتردد في جميع جوانب المسرح ، وتتضخم تدريجياً بينما وهب يخرج »

« الشمر يبدو مأخوذاً »

صوت طفل : عطشانْ

« بكاء طفل »

صوت طفل : عطشان يا حسين
عطشان يا حسين

صرخة طويلة : آه . . . .

الشمر : « مع نفسه »
أيُّ داعٍ أحرُّ وأوجعُ منكَ دعاءً ؟
أيُّ داعٍ به بعضُ ما بِكَ من حاجةٍ
لطمأنينةِ الروحْ ؟
تتمرَّغ مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
يا حرقةً ليس تهدأ
يا هلعاً ينتهي ثمَّ يبدأ
ينتهي ثم يبدأ
ينتهي ...

سهيل : « مقاطعاً »
أتّقِ اللَّهَ في نفسِكَ الآن
عندكَ ضيفٌ ، تشاغلْ بهِ

الشمر : كنتُ أحوجَ أن أتقي اللّه في هذه النفسِ
ساعتَها يا سهيل

كنتُ أحوجَ أن أتّقي اللّهَ ساعتَها
غيرَ أنيَ كابرتُ ..
لا ..
لم يكُ الكِبْرَ
أذكرُه
كنتُ أنضحُ بالخوف
حتى لقد كانَ في وسع خوفي أن
يذبحَ الأرضَ أجمعَها
« يلتفت الى مالك »
ويلٌ لك مِن خصمِكَ يا مالكُ حينَ
يُـجرِّؤه الخوفْ !

مالك : لكنَّك كنتَ الأقوى

الشمر : هيهاتْ ..!
أنا أيضاً أُخِذتُ بهذا التَّوهُّم
كان ورائي ثلاثون ألفاً
أتحسبُني كنتُ أقوى من الجيشِ أجمعِـهِ ؟
كنتُ أشجعَ منهُ جميعاً ؟
كلُّهم أحجموا
وهو فردُ يجودُ بأنفاسِهِ
وتقدَّمتُ ..

كنتُ ضحيَّتَهم
وضحيَّةَ خِسَّتِهم كلِّها

الآن يا مالكُ أدري فيمَ تلدغُ العقربُ نفسَها
إذا ما حُوصِرَتْ !
كنتُ محاصرَاً بهم
كانوا جميعاً يندبونني لقتلِ خوفِهم

« يحضر وهب حاملًا جرة ماء وقدحاً ... يصب للشيخ ماء »

الشمر : « مواصلًا »
وحملْتُ مخاوفَهم كلَّها
كنتُ فرداً تحمَّل خوفَ ثلاثينَ ألفاً
وتحمَّل جُبنَ ثلاثين ألفاً
وبهذا قَتلت

الشيخ : « وهو يردُّ الماء مجفلًا »
أنت آبنُ ذي الجوشَنْ ؟

الشمر : « ملتفتاً اليه »
أجل ،
فهل أدخلَ شكلي الرَّوعَ في قلبِكْ ؟

الشيخ : كلا !

الشمر : إذن فيمَ ردَّدتَ الماءَ ؟

الشيخ : كان غيري أولى به

الشمر : فإذا فاتَ غيرَك ،

ترفـضُـهُ أنت ؟

الشيخ : لي أسوةٌ

الشمر : « بعد اطراقة قصيرة »

لو أحسنتَ إلينا والى نفسِكَ في هذا الماءْ

الشيخ : « متعجباً »

أأُصدِّقُ أنك تُلحِفُ كي تسقيَ عطشاناً ؟!

الشمر : اشربْ لِتُصدِّق

الشيخ : يا عجباً !

الشمر : ماذا على مثليَ أن يفعلْ ؟

أأحملُ الفراتَ فوقَ ظهري ؟

أطوفُ في الناسِ ،

أنادي :

أيُّها الناسُ اصنعَوا بالشمرِ معروفاً

فقد جاء وفوقَ ظهرِه الفراتْ ؟

الشيخ : أتكابرُ ؟

أم تتندَّرُ ؟

سهيل : ويلَك

الشمر : صَه يا سهيل

الشيخ : « مواصلًا »

وهَبْك فعلتَ الذي قلتَـهُ صادقاً ..
مَنْ سيقربُ ماءك ؟
إنَّها ريبةٌ في مروءةِ مائكَ يا شمر
ريبةٌ صار حتى الفراتُ بها موحِشاً

الشمر : أَوَ أفسدتُ حتى مروءةَ ماء الفرات ؟

الشيخ : أنت سوَّغت للناس أن يلعنوا الماء

سهيل : « بغضب » وَي
أصبحَ السكوتُ عنكَ غصَّةً

الشمر تسكتُ يا سهيل
أريد أن أسمعَ هذا الشيخ
شهرٌ وجسمي كلُّه يضجُّ بالورمْ
شهرٌ وجرحي تضمدونَـهُ على الصَّديدْ
أريدُ أن أسمعَ صوتاً واحداً يفتُح هذا
الجرحْ
ولْيكُ ما يكونُ يا سهيلُ
ولْيكُ ما يكونْ

الشيخ : لا تَلُمْ صاحبيكْ
فهما أكثرُ الناسِ علماً بما أنتَ فيه
وأما أنا فلستُ بمُغنيكَ شيئاً

الشمر : أنتَ تُسمعُني صوتَ نفسي
الشيخ : فنفسُك تُغنيك

« وهو ينهض »

معذرةً
أتّقي اللّهَ فيكَ وفي نفسيَ الآنْ

الشمر : يا هذا
بِتْ ليلَك لا تطعمْ إنْ شئتَ ولا تشربْ
شيئاً
الشيخ : أَطعمُ إنْ بتُّ هنا ندماً يا شمرْ
فأعتِقْني من إحسانِكَ هذا
أنا لم أرَ وجهَ قتيلِك
لكنّي أحسستُ الساعةَ اني أُبصرُه
« يخطو نحو الباب »

الشمر : وكيف إحساسُك يا شيخُ به ؟

الشيخ :		« يتوقف ويلتفت اليهم »

كأنّني ممتلىءٌ بالماءْ

كأنّني ممتلىءٌ بالماء

« يرين وجوم على الحضور . الشيخ يبلغ
الباب ثم يلتفت »

الشيخ : تعلمُ ماذا حلَّ بالفراتِ يآبنَ ذي الجوشنْ ؟

مالك :		« متهكماً »

هل جفَّ ؟

الشيخ : لا .

لكنّني سمعتُ أنَّ صائحاً ينهضُ من مياهِـهِ
في الليلْ

الشمر : منذُ متى ؟

الشيخ : مُـذْ قُتِلِ الحسينْ

وهو ينادي كلَّ ليلةٍ بهذا الصَّوتْ

« يسمع صوت تلاطم أمواج »

صوت : يا أيُّها النيامْ

هذا أنا الفراتْ

مَفازةُ العَطشْ

رواسبي دماءْ

ورغوَتي دماءْ
وأنتَ كلُّ الماءْ

« صوت تلاطم أمواج »

واصغَري لديكَ يا حسينْ
واعطشي اليكَ يا حسينْ
كلُّ مياهي لا تُندِّي شفةً ظمأى
وسوف تسقي بكَ آلاف من السنين
عطشاها
فآجعلْ لمائي حصَّةً في مائكَ القادمْ
اجعلْ لمائي حصةً في مائكَ القادمْ
لعلَّني أبرأُ يا حسينْ
لعلَّني أبرأُ يا حسينْ

« ينقطع الصوت ويكون الشيخ قد اختفى . . يبقى صوت تلاطم الأمواج الذي يهدأ تدريجياً حتى يتلاشى »

الشمر : « مذهولًا »
هل ذهب الشيخ ؟
سهيل : أجلْ
الشمر : كأنَّما جاءَ به الليلُ نذيراً عاجلًا وابتَلَعَهْ

« يطرق .. ثم ، وكأنه يحدِّث نفسه »

سوف يجيء ماؤهُ القادمْ
ليُبْرِىءَ الفراتْ

مالك : تُسرفُ حتى في تأويلِ كلامٍ ليس لهُ معنى
الشمر : ليس له معنى يا مالكْ ؟
مالك : ستُرينا الأيامْ
الشمر : أَوَ أكثرَ مما أرتْنا ؟
صرتُ أشحذُ حتى الشَّتيمةَ
حتى الشتيمة أشحذُها
مالك : لا أصدِّقُ أُذْنيَّ
مَنْ كان يجرؤ ان يتكلَّمَ حين تكونُ مهيضاً
أنتَ جرَّأتَ حتى الصعاليك أمثال هذا عليك
الشمر : أتسمِّي هذا صعلوكاً يا مالكْ ؟
أنتَ لم تَشهد الحُـرَّ حين انبرى وحدَهُ
ليقاتلَنا
« مشهد جانبي تسمع خلاله أصوات المعركة »
« الحُرّ ، أبو حفص ، آخرون »

أبو حفص		أما كفاكَ أنَّكَ اعتزلتَها يا حُرّ ؟
أنتَ ما أرقتَ للحسين أو لصحبِه دماً
فما الذي تُنكرُ مِن نفسِكْ ؟

الحُـرّ :
أتجَهَـدُ في ان تُـبَرّأني يا أبا حفص ؟
مَنْ قادَهُ للهلاكِ إذنْ ؟
مَنْ أصرَّ على منعِهِ ان يعودَ الى أهلِـهِ
في المدينه ؟
أوَلستُ أنا ؟؟
مَنْ حالَ بينَـهُ وبين الناس في الكوفه ؟
مَنْ الذي أسلَـمَـهُ لهؤلاء ؟؟
بَـرِّئْني أبا حفصٍ إذا استطعتْ

أبو حفص		كان سيُقتَلُ في كلِّ الأحوالْ
الحُرّ :		حتى ولو قوتِلَ دونَـهُ بألفِ سيفْ ؟
أبو حفص		ماذا تعني يا حُـرّ ؟
الحُرّ :		فاتَ الأوانُ يا أبا حفصٍ
تأخرنا كثيراً
لم أعُدْصاحبَ هذه السيوفِ الألفْ
كنتُ بها أملكُ أن أسحبَ أيَّ غيمةٍ أشاءُ

من شَعْفَتها
أُنزلها للأرضِ قَسراً
وأقولُ أمطري !
كنتُ بها أملكُ أن أقصمَ ظهرَ الريح
أو تجري كما أريد
لكنَّني أحجَمْتُ ساعتين !
تَعلمُ ما معيارُ ساعتينْ ؟!

« يناول أبا حفص درعه »

خُذْ درعي إليكَ لا أريدُها
أبو حفص : يا حُرّ
الحُرّ : « الى قومه »
أنتم جميعاً أبرياءُ من دمي
« يلتفت الى الآخرين »
وأنتم أيُّها الـ ...
كيف أنعَتُكم ؟
أيُّ مفرَدَةٍ سألوِّثُها بكم الآن
تبقى ملوَّثةً للقيامهْ
لا سقى اللّهُ عطشانكم

فيمَ بايَعتُموه ؟
فيمَ أرسلتُم الرُّسْلَ تدعونَـهُ
ثمَّ أعطَشتُموه ؟
ثم أسلَمتُموه وأطفالَـهُ للأسنَّه ؟

صوت من
عسكر الشمر : أنادماً يا حُرّ ؟
صوت آخر : أنتَ الذي أسلمَهُ
ونِعْمَ ما فَعلتْ

الحُرّ : أمّا نَـدَمي
فلأنّي كنتُ صباحاً أعطَش خلق اللّهِ
وأبصرتُ الماءَ فلم أشربْ
ولأني كنتُ صباحاً أملكُ كلَّ نَواصيكم
لو كنتُ غضبتُ ،
ولكنّي استسلمتُ الى الحزنِ ولم
أغضبْ
يا أولادَ العقربْ
يوماً ما ينجابُ الليلْ
ويجيء السَّيلْ
ستحاسبكم حتى أطرافُ أصابِـعِكُم

وسيلعنُ آخركُم أوَّلكَم
ستقولون خُدِعنا
وتقولونَ جَزعنا
وتقولونَ تقولون
ولكن جرّأتم أنفسكُم حتى أطفأتم
ضوءاً من أضواء اللّه
الويلُ لكم
كنتُ عدواً وتهيَّبتُ إراقةَ هذا الدَّمْ

صوت

من العسكر : والآن غدوتَ صديقاً ؟!

« ضحك »

آخر : يا قوم
الحُرُّ فاءَ تائباً للحسينْ

الحر : بل إنَّـهُ لَدَينْ

صوت : عَـجِّـلْ إذنْ

الحُرّ : « وهو يشهر سيفه »

ها أنذا !
هـــــا أنـــــذا والمـــــوتُ نُصْبَ عيني
يغْلقُ بـــــالأرجـــــلِ واليَـــــدينِ
في عُـنـقـي دَيــنُ وأيُّ دَيــنِ

أردُهُ الســـــاعـــــــــــةَ للحسينِ
« يهم بالخروج »
أبو حفص : « منادياً »
يا حُـرّ
قِف لحظةً
لقد أردتَ ماءْ
الحُرّ : « وهو يغادر المسرح »
هيهات
إنَّ الحسينَ ماءْ .. إنَّ الحسين ماءْ
إنَّ الحسينَ الماءْ

« يختفي المشهد »

الشمر : أكرهُـهُ
مالك : لماذا ؟
الشمر : رأيتُـهُ ممزَّقاً
مُلقىً على الرمالْ
وكانَ في مفازةِ العَـطَـشْ
كأنَّ في عينيهِ غيمَتَينِ تُمطرانْ !
أكرهُـهُ

أكرهُـهُ

مالك : « الى سهيل »

أأبصرتَ مقتله يا سهيلْ ؟

سهيل : شهدْتُ مقاتلَهم كلَّها

مالك : كيف ألفيتَهم ؟

سهيل : لم يكونوا سوى نَـفَرٍ

أنفقوا موتَ جيشٍ بأكملِـهِ

مالك : والحسينْ ؟

سهيل : « مباغتاً »

مالك !

الشمر : ما خطبُكَ يا سهيلْ ؟

تخافُ أن تسمعَ هذا الاسم ؟

أم تُشفقُ أن أسمعَـهُ أنا ؟

إنّي أنا قاتلُـهُ يا سهيلْ

قاطعُ رأسِـهِ أنا يا سهيلْ

فما الذي تخافُـهُ عليّ ؟

شهرٌ وما أزالْ

أرى بعيني جسداً لا رأسَ لَـهْ

ينهضُ كلَّ ليلةٍ

يطوفُ في الشوارعْ
أبصرُ كلَّ ليلةٍ رأساً عظيماً يتدلَّى
يعبرُ السطوحْ
يلصقُ بالأبوابِ والنَّوافذْ
يبحثُ عن أكتافِـهِ
أراهما يقتربان حدَّ أنْ يلتقيا
حتى إذا كادا
يموجُ الدَّمُ في الأرجاءْ
ثم أرى سيفي وكفَّيّ وقد علتْـهُما الدماءْ
فما الذي تخافُـهُ عليَّ يا سهيلْ ؟

« يلتفت الى مالك »

سأشفي غليلَـكَ مالك
شهرٌ وأنتَ تحاولُ أن تتقرَّى
أحسُّ بعينيكَ ، كفَّيكَ
شكلِ اختلاجةِ وجهك
أسمعُ صوتَ لُهاثِـكَ يركضُ خَلْفَ التفاصيل
أعلمُ أنكَ تبحَثُ عن لحظةٍ

مالك : « مقاطعاً »

إنَّني لستُ

الشمر : « مقاطعاً »

لا تعتذرْ

أنا أيضاً أحاولُ أن أتحرَّرَ مِن هذه

اللحظةِ الآن

شهرٌ وأنا أحفظُها يا مالكُ سرّاً

أملكُ منها ما لا يملكُه أحدٌ

مالك : ماذا يا شمر ؟

الشمر : أسئلةٌ

مالك : أسئلةٌ ؟!

الشمر : لا يُسألُها إلا مَنْ يقطعُ رأسَ حسينٍ آخر

مالك : ما أوّلها يا شمر ؟

الشمر : « يحملق في وجه مالك مأخوذاً ، بينما صدى السؤال التالي يأخذ بالتضخم طالعاً من جميع جوانب المسرح »

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

« يخفت الصوت تدريجياً »

الشمر : « شارداً »

لماذا ؟

لماذا ؟

مالك : لماذا ؟!

الشمر : كلَّ يومٍ أُجزّىءُ نفسي

أقول :

إذا كان لا بدَّ من موتك الآن يا شمر ،

فأعرفْ على أيِّما قِبلةٍ ستموت

ثم أمسكُ هذا السؤال

أُثبِّتُه نُصْب عيني

واجمع نفسي جميعاً

أواجهُهُ

كي أردَّ عليه

ولكنَّه يتَشعَّبُ مالكَ

يورقُ .. يورقُ

حتى يصيرَ ألوفاً من الأسئلهْ

« يطرق لحظة ثم يواصل »

كنتُ أرفعُ سيفي لأقطعَ بلعومَهُ
كان مُلقىً على الأرضِ
جرحاً كبيراً
توهَّمتُه ميّتاً
فجأةً
فكَّ عينيه
مالك ..!
لم أرَ قطُّ احتجاجاً كعينيه !
لحظةً .. لم نكَنْ غيرَ هذين :
قاتلًا خائفاً
وقتيلًا يلاحقُهُ
محضَ عينين !

مالك ما قال شيئاً ؟

الشمر : بلى
كِلْمةً واحدهْ
« لماذا »
لم يكنْ خائفاً قدْر ما كانَ مُستنكِراً
للحظةٍ ،
أحسسْت أنَّ كلَّ ما في الأرضِ
مِن سيوفْ

تعجزُ أن تقطع رأسَهُ ..
نظرتُ بين عينيهِ سليباً مُفزَعاً

مالك : أجـبتَـهُ ؟؟

الشمر : بدونِ وعيٍ
هكذا

قلتُ لهُ
لأنني أكرهُـكْ
هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ
هذي النظرةُ النبيَّة العينينْ
أكرهُها

قلتُ
إنَّك عبءٌ من الطُّهرِ
تكرهُك الأرض
إذْ أنتَ تفضحُها

إنما محنتي بكَ أضعافُ محنتكَ الآن بي
أنا مَنْ شاءَ لي سوءُ حظيَ
أن أُبتلى بإزالةِ كلِّ المروءةِ
عن كاهلِ الأرض
« لحظة صمت »

مالك : ثمَّ ؟؟

الشمر : أشحتُ بوجهيَ عن وجهِهِ

وبكلتا يديَّ شددْتُ علِى السيف

كان خوفيَ يكبرُ ... يكبرُ

حتى غدا ضعفَ حجمِ توجُّعِهِ

فتمكَّنتُ

أنهيتُ آلامَـهُ

واحتفظتُ بخوفيَ يكبرُ من يومها

« لحظة صمت »

ثم رافقَني رأسُـهُ

رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم

وشعورُ النساءِ وأصواتُهـنَّ

الصراخُ العويل ...

وقد كنتُ وحدي ،

غريباً عن الجيش أجمعِهِ

حاملًا رأسهُ فوقَ رمحي

وتبيَّنتُ في أوجُهِ الجُندِ

أنيَ شيءُ يخافونهُ

يتحاشونَهُ

وأقولُ لكَ الحقَّ مالك ؟

كنتُ أحسُّ كراهيةَ الجندِ لي

مالك : محضُ وهمِكَ

الشمر : لا

« مشهد من المسيرة برأس الحسين . صراخ وعويل وبكاء ولغط »

أحد الجنود : تعالَ هنا يا حُذيفةُ

مالَك تحشرُ نفسكَ في موضعٍ

لستَ صاحبَه

الجندي الثاني : إنَّني أتأمَّل وجهَ الحسين

فما كنتُ أبصرتُه قبلَها

الأول : شامتاً يا حذيفةُ ؟؟

الثاني : لا والذي خلق الخلْق

إنّي أحسُّ له رهبةً يدخلُ الجلدُ

في اللحمِ مِن هَولِها

الأول : فتجنَّبْ إذنْ

« يضع يده على كتفه ويبتعد به »

يا حذيفةُ ، أنتَ أخي
أخشى عليكَ أن تكونَ مسقطاً لظلٍّ
هذا الرأس ..
دعْ مَنْ قطعوهُ يحملون وزرَهُ
هيَّا بنا ،
وكنْ بعيداً ما استطعتَ عن ظلالِ
الشمر

« مشهد آخر من المسيرة نفسها »

جندي ١ تعجَّلْ تعجَّلْ
جندي ٢ علامَ حماسُكَ ؟
جندي ١ نشهدُ كيف لقاءُ الخليفةِ للشمر
لا شكَّ يُثقلُه ذَهباً
جندي ٢ ليس أثقلَ من حملِه الآن !
جندي ١ ماذا ؟
جندي ٢ « مستدركاً »
أقولُ وما شأننا نحنُ ؟
نغرمُ في الغُرْم
أما إذا غَنموا

فغَنائمهُم بينهم

جندي ١ أراهنُ أنَّ يزيد سيُثقلُهُ ذَهباً

« يختفي المشهد »

الشمر : « وهو يضحك ضحكاً هستيرياً »

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

أثقلني يزيدُ بالذَّهبْ

« مشهد جانبي »

صوت الشمر إملأ رِكابي فضَّةً أو ذَهبا

إني قتلتُ السيدَ المُحجَّبا

وخيرَهم مَنْ يذكرون النَّسبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أُمّاً وأبا[1]

صوت يزيد : أتزايدُ يآبنَ اللئيمةِ ؟

إنْ كنتَ تعلمُ مِن أمره ما ذكرْت

فكيفَ قتلتَه ؟

أخرجْ ،

فما لَك عندي سوى نقمتي

إنْ رأيتُك ثانيةً

« يختفي المشهد »

---

(١) الابيات لشمر بن ذي الجوشن .

الشمر : « وهو يواصل الضحك بصورة هستيرية »
أثقلَني يزيدُ بالذَّهب
أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

« تتحول ضحكته الى ما يشبه العويل »

أثقلَني يزيدُ بالفقرِ وبالجريمهْ
أثقلَني بالفقرِ والجريمهْ
بالفقرِ والجريمهْ

منبوذٌ كالجملِ الأجربْ
منبوذٌ لا يقربُني إلا مَنْ لا يعرفُني
والشامت المُشفقْ
منبوذٌ منبوذٌ منبوذٌ

سهيل : « الى مالك »
« بينما الشمر ـ وقد عاودته النوبة ـ ينهض متجهاً الى أشباح لا يراها أحد »
لقد كنتُ أخشى مغبَّة هذا التَّمادي
وأسكتَّني حينَ حاولتُ ..

مالك : « مقاطعاً »

حاولتَ ماذا سهيل ؟

أتوهِمُ نفسَك ؟؟

مُـرْ هذه الريحَ أن تهدأ الآن

إنَّ الذي فيه هذي الرياح

فهل في يَديك أعنَّتُها ؟!

الشمر : تعالي املأي وحدتي يا عيونَ الذين

تمرَّغتْ في دمِهم

يا شَخيرَ حناجرِهم

يا بكاءَ الصغار

ويا صرخاتِ الثكالى

بدّدي وحشةَ الصمتِ حولي

فاني وحيدٌ وحيدٌ وحيدْ ..

« ستار »

الفصل الثالث

الزمان : الوقت الحاضر

المكان : الكوفة .. أي مكان يمكن أن يجتمع فيه الرجال .

الكورس : يختلفُ الماءُ
تختلفُ الأوجهُ والأسماءُ
لكنْ مثلَ دِلاءِ الناعورْ
تتشابهُ وهيَ تدورْ
تتشابكُ وهيَ تدورْ

المسيح « مصلوباً عرض خلفية المسرح »
لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تسمَّيتُ بآسمي

المسيح : « مصلوباً أسود »
لأني فرَّقتُ في الناسِ لحمي

المسيح : « مشنوقاً »
لأني حملتُ عذاباتِهم

المسيح : « مقتولًا بالرصاص »
لأني تسمَّيتُ بآسمي

« أصوات من جميع أرجاء المسرح »

— لأني فرقتُ في النا ...

— لأني حملتُ ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

الكورس : كلُّ زمانٍ يحملُ قَتلاهْ

كلُّ مكانٍ يدفنُ قتلاهْ

والناعورُ يدورْ

يَلدُ الدَّهرُ الأزمانْ

يلدُ الموتُ الإنسانْ

لكنَّ الخوفْ

يَلدُ الطوفانْ

لكنَّ الخوفْ

يلدُ الطوفانْ

« يختفي الكورس »

عمار : « منادياً وهو يدخل على الجمع »

أيُّها الناسْ

هبطَ الغيمُ في أرضكم

هَبطَ الغيمُ في أرضكم

أيُّها الناس

ماذا يا عمار ؟

ماذا يا عمار ؟

عمار : غيمةٌ

غيمةٌ هبطتْ في مَداخلِ أبوابكم

وهي تسألُ

هل مسَّكم عَطشٌ

أوضحُ يا عمار

أوضحْ

عمار : يا أهل الكوفهْ

ألف عامٍ تعضُّون فوق أصابعكم ندماً

ألفَ عامٍ وعطشانكم يرفعُ الكأس

يُبصر خيطاً من الدَّمِ في الماء

ألفاً ،

وأنتم تَخـطُّون فوقَ الرؤوس

وفوقَ الظهورِ

وفوقَ الصدورِ
تواريخَ آبائكم
وتقولون يا لَيـتَنا
وتقولون لولا
ولو أنَّنا ..
ها هو الآن إنْ كنتمو صادقين

— مَنْ هو الــ...

— مَنْ ؟؟

— تكلَّـمْ

عمار: رسولُ الحسينْ

« يثب اليه جماعة من الحاضرين ، في حين يحدث الخبر هزة عنيفة فيهم جميعاً . »

— رسولُ الحسين ؟؟

عمار: على مدخل الكوفة الآن هل مَنْ يبايعُه ؟

« الحضور ينظرون الى وجوه بعضهم وألسنتهم معقودة في حين يتسلل بعضهم هرباً . »

عمار: قد أتاكم رسولُ الحسين
فهل مَنْ يبايعُه ؟

حارث : « وهو يثب اليه »
مهلًا
مهلًا
ما هذا يا عمار ؟
عمار : ماذا يا حارث ؟
حارث : أسؤالٌ تسألُه ؟
عمار : بل خبرٌ أحملُه
حارث : فإذنْ كنت بشيراً
لكنَّك ما أحسنْتَ البشرى
عمار : أَوَ لم أفعلْ ؟
حارث : كلّا واللّه
إنَّها فَرحةُ العُمر
كِدْتَ تحوِّلها كَدراً
وتُسائلُ :
هل مَنْ يبايعُهُ ؟!
لَكأنَّك تدفعُ أمراً يقيناً الى الشكّ

« آخرون يتسللون هرباً »

عمار : « وهو ينظر اليه والى المتسللين »

هل .. برحَ الشكُّ يابنَ أبي عوف ؟

حارث : « يسحبه جانباً »

ويحكَ يا عمار

أَوَلم نُجمِعْ أمسِ على البيعةِ ؟

عمار : بلْ أجمعْنا

حارث : فلماذا تبدو وكأنَّك تستجدي ؟

عمار : ويلك !

الأمرُ وصاحبُه أكبرُ من شتْمِكَ هذا

حارث : فلماذا ؟؟

عمار : إنَّك أوَّلَ مَنْ يعلمُ يابنَ أبي عوف

لماذا !

« يطيلان النظر الى بعضهما »

حارث : « يتجه الى الحاضرين »

يا أهلَ الكوفهْ

أَوَما أجمعْنا أمسِ على البيعه ؟

عمار : « بحيث يسمعه الجميع »

أتظلُّ تُعيدُ سؤالَك هذا يا حارثْ ؟

تعلمُ أنَّا أجمعنا ،

لكنْ تعلمُ أنّا لم نُجمعْ إلا سرّاً

حارث : والآن سنعلنُها

وأنا أوّلُ مَنْ يفعلُ يا عمارِ

أوّلُ مَنْ يفعلْ

عمار : « مع نفسه »

أوّلُ مَنْ يفعلْ

وستُسلمهُ قبل صياحِ الدّيكْ !

حارث : « يتجه الى مرتفع يقف فوقه ، فيقاطعه معتوق »

معتوق : كلا واللّه

لن يبدأها غيري

آخرون : « ينهضون إليهما »

بل نبدأها نحنُ

آخر : مهلًا يا حارثْ

مهلًا يا معتوقْ

ما هذا ؟

هل التبسَ الأمرُ حتى أضاعتْ جميعُ

الرجالِ مواضعَ أقدامِها ؟

« يلتفت الى الجمع »

يا أهل الكوفهْ
هذا شمرانُ الضّاري
هل فيكم مَنْ يجهلُـهُ ؟
أوسعِوا في الطريق لشيخ الفراتين
لا أحدٌ غير شمران يبدأها

عمار : « لنفسه ، بينما شمران يتجه الى المرتفع »
هكذا دائماً
ألف عامٍ وأصواتُكم هكذا
ألف عامٍ وأجسامُكم هكذا
تتزاحَـمُ حتى لتيأسَ أقدامُ كلِّ الحُفاةْ
أن ترى موضعاً بينكم دون أن تطأوها
وفي لحظةٍ
يجدُ المستغيثُ بكم نفسَـهُ عارياً
وخناجرُكُم تتسابقُ نحو مُقاتلِـهِ
قبل أن يتجاسر أعداؤه

شمران : « وقد استقر على المرتفع »
ألا فليستمعْ مَنْ شاءْ
ألا فليستَمعْ مَنْ شاءْ

أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ واليْتُ
بايعْنا الحسين خليفةً
يا قومْ
أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ ...

« آخرون يتسللون هرباً »

— نحن أيضاً نُبايعُ
— هذي مواثيقُنا نحنُ
خمسون من بيتِ عبدِالعزيز

« اثنان ينسحبان الى زاوية المسرح »

الأول: أيَّ رأيٍ ترى ؟
الثاني: ما لَنا نحنُ ؟
بيعتُـهُم بينهم
لك رأسُكَ حمدأن
فانجُ به
ثم طأطئهُ بين يَدَيْ مَنْ يكونُ الخليفةَ ..
هيَّا بنا

« يخرجان »

— وعشرونَ من آل نِعمان

حارث : على رسلِكُمْ

— وثلاثونَ من آل عثمان

حارث : مهلًا

دعوني أسجّلُ أسماءَ مَنْ بايعوا

— سَجِّلْ من بيت الأنصاري عشرينْ

— مائةً من آل شهاب الدّين

« يتميز في المشهد ثلاثة حفاة بائسي المظهر يتحرك كلٌّ من ناحية »

الأول : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثاني : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثالث : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثلاثة معاً : « يجتمعون الى بعضهم »

هل مَنْ يسمعُنا ؟

— مئتا رجلٍ من بيت ضياء الدين

الثلاثة : ألا مَنْ يسمعُنا

نحنُ ثلاثةُ أشخاصٍ ...

— مائةٌ وثلاثون يداً من بيت جلالْ

كلٌ يدٍ فوق زنادْ

الثلاثة : مَنْ يكتبُ عنَّا ؟
نحن ثلاثة أشخاصٍ لا نملكُ
إلا أنفسنا .

رشيد : « وهو يدخل على الجمع »
ما هذا ؟
ماذا تفعلُ يا حارثْ ؟

« بلبلةٌ بين الحاضرين ، ثم يسود صمت مطبق »

حارث : كما ترى
نوثِّقُ البيعةَ للحسينْ

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : أقولُ إنَّنا هنا لبيعةِ الحسينْ
ولن يمرَّ اليومُ حتى نجمعَ الرجالَ والسلاحْ

الثلاثة : مَنْ يجمعُ عنَّا هذي الأسماءْ ؟
نحن ثلاثةُ أشخاصٍ ...

رشيد : « مقاطعاً » أغلقوا فَمكُمْ
من بيتِ مَنْ أنتم ؟

الثلاثة : ليس لنا من بيتْ

رشيد : فبآسمِ مَنْ ؟؟

الثلاثة : أسمائنا

رشيد : أنتُم ؟!

حارث : رويداً يا رشيد

رشيد : بل تَـرَوَّ أنتَ يا حارثْ
ماذا تراكَ صانعاً بهذه الأسماءْ ؟

حارث : قلتُ هي البيعةُ يا رشيدْ

رشيد : حارثْ
لعلَّكَ لم تنسَ أنَّ الحسينَ سيُقتَلُ
بعد ثلاثين يوماً

أصوات من
بين الحاضرين: سيُقتَلُ بعد ثلاثينَ يوماً ؟؟

رشيد : وها أنتَ تجمعُ أسماءَ أعوانِهِ

حارث : كيف تجرأُ ..؟

رشيد : « مقاطعاً »
بل قُلْ لهم حارثَ بن أبي عوف
أنكَ قبلَ الصباحِ ستُسْلِمُ هذا الرسولَ

لأعدائِـهِ ثمَّ يُقتَلْ

أصوات : مكيدةٌ إذنْ

آخرون : مكيدةٌ مدبَّرةْ

« يهجمون جميعاً على حارث »

هاتِ أسماءنا

هاتِ أسماءنا

عمار : « وهو يحول بينهم وبين حارث »

يا قوم

لا تُمكِّنوا عدوَّكم منكم

يا قوم ..

المهاجمون : هاتِ أسماءنا

— سعيدْ

انتزع الأسماءَ من يَـدَيه

« يتمكنون من حارث ، فينتزعون منه الأوراق »

— هاتِها

— هاتِها

« يخرجون جميعاً »

« يبقى في المشهد عمار وحارث ورشيد والحفاة الثلاثة »

عمار : شوَّه اللّهُ أوجُهَكُم
شوَّهَ اللّهُ مَنْ يستعينُ بكم
ألفَ عامٍ تُمنّونَ أولادكم
ألفَ عامٍ يشبُّ الرَّضيعُ بأحضانِ نسوتِكُم
وهو يحلمُ أن يرتدي كفناً
ليُقاتلَ عن شرفٍ باعَهُ أهلُهُ
كيف يدخلُ داخلُـكُـم بيته الآن ؟

« يلتفت الى الحفاة الثلاثة »

وأنتمو
يا أيُّها الحفاةُ حتى ساعة القيامهْ
يا مَنْ تجيئون وتمضون ولا يعلقُ في ثيابكم
من أجرِها قُلامهْ
من ألفِ عامٍ وأنا أرقبُ
لو يسأَلُ منكم واحدٌ عن وجهةِ السَّلامهْ
لكنْ تجيئون وتمضون ..
ويبقى موتُكم في جبهتي علامهْ
هيَّا بنا
يا خير مَنْ تحملُ هذي الأرض

رشيد : « وهو يستوقفهم »

الى أين عمار ؟

« يقفون »

أتحسبُ أنَّكَ تنجو بهم ؟

سوف تُقطع أعناقُهم قبلَ أن يبلغوا مدخلَ السوقْ

وأنت على رأسهم

الثلاثة : اسمعْ يا هذا

نعلمُ أنَّا سنموتْ

بايعْنا في الطَّـفِّ ومتنا

بايعْناهُ بسيناء ومتنا

بايعْناهُ بتلِّ الزَّعتر أمس ومتنا

ونبايعُه في الأرض المحتلة كلَّ نهارٍ

ونموت ...

« يلتفتون الى عمار »

هيَّا بنا يا صاحب الحسينْ

« يخرجون »

« يبقى في المشهد حارث ورشيد »

رشيد : ما الذي جدَّ حارثْ ؟

ألفَ عامٍ ونحن نمثلُ أدوارَنا
كنتَ تُتقنُ دورَك حدَّ العمى
فلماذا تعمَّدْتَ أن تُفسدَ المشهدَ الآن ؟

حارث : اسمعْ رشيد
لـنَـعُـدْ ألفَ عام ..

رشيد : « مستغرباً »
الى أين حارث ؟

حارث : للنهار الذي ابتدأتْ فيه هذي الروايه

رشيد : « ضاحكاً »
هكذا ...؟
كنتُ أسألُ نفسي :
لماذا يغيّر حارثُ في دوره ؟
صرْتَ تنسى إذنْ ..!
« وهو يواصل الضحك »
لا عليك ،
نعودُ لأول عرضٍ لها
سنُثبِّت كلَّ تفاصيلِ أدوارنا

حارث : سوف تبقى رشيدُ أميناً لدورِكَ هذا
الى انِ تقومَ القيامه

رشيد : وأنت ...؟

ودورُكَ أنت ...؟

ألستَ أميناً عليه ؟؟

حارث : دعْ أمر دوري الآن

فلي حديثٌ موجعٌ بشأنِه معكْ ..

إني أبحثُ عن شيء آخر ..

« وكأنه يخاطب نفسه »

عن وجهٍ ،

أقسمُ أني أعرفُهُ ،

وكأني أبصرُ ختماً في جبهتِهِ

لكنَّ سنيناً ألفاً أكلتْ ذاكرتي

رشيد : لا يعنيني يا حارثُ ما تبحثُ عنهُ لنفسكْ

لكنْ يعنيني ألا تُهملَ تفصيلًا

مهما كان صغيراً

في دورك

حارث : اسمعْ يا هذا

أما ما أبحثُ عنه لنفسي

فكبيرٌ لا تدركُه أنت ..

وأما دوري

فاْعلمْ أني سأغيّر هذا الدَّورَ جميعاً

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : « ينفجر ضاحكاً »

جاء دوري لكي أضحك الآن

رشيد : قاتَلَـكَ الله ...

للحظةٍ أوشكْتَ أن تُوقِعَ بي

حارث : كيف ؟

رشيد : توهَّمتُكَ تعني ما تقولُ في الحديثِ عن دوركْ ..

أنتَ تتقنُ أن تُلبِس الهزْل وجهاً مخيفاً من الجدّ

حارث : بل انني الآن أُلبسُ جدّيَ وجهاً مخيفاً

من الهزْل !

سأرفضُ دفعَ رسولِ الحسينِ لجندِك

رشيد : أنتَ ؟؟!

حارث : أجل

رشيد : « وهو يضحك هازئاً »

ألفَ عام وأنتَ تجيءُ به صاغراً

حارث : كنتُ أفعلُ ذلكْ

رشيد : وستفعلهُ الآن

حارث : هيهات ...
اسمعْ رشيدْ
بماذا تفسّرُ أني تخلَّيتُ عنهُ لكم وقتَها ؟

رشيد : « بتردد »
تُريدُ الصَّراحةَ ؟

حارث : طبعاً

رشيد : بخوفِكَ حارث
لا شيءَ عندي يُفسّر تسليمَهُ غير خوفِكْ

حارث : صدقتَ

رشيد : وسوف تعاودُ تسليمُه الآن

حارث : كلّا

رشيد : إذنْ فسنأخذُه عُنوةً
ثم نقتُلهُ بين عينيك

حارث : ها نحنُ نبدأ
هذي البدايةُ أقبلُها !

رشيد : أفتدري الى أين سوف تقودُك هذي البدايةُ ؟

حارث : ماذا ترى أنت ؟

رشيد : كلُّ التفاصيل تبقى كما وقعتْ
غير شيءٍ صغيرْ

مصيرُك أنت ...
مصيرُك أنت الوحيدُ الذي يتغيَّـرْ ...
سوف تُقتلُ حارث

حارث : « ينفجر ضاحكاً بعنف »
يا ليثْ ..!
« وهو يواصل الضحك »
كنتُ أحِسبُ انكَ أذكى
تهدّدني الآن بالموت ..؟
مَنْ لي بهِ ؟

يومَها يا رشيدْ
حين طوَّق جُنُدكَ بيتيَ من ألفِ عامْ
كنتُ مِن أوَّلِ الليلِ
أمسكُ ميزانَ أمري لأرفعَهُ ..
كنتَ أنتَ وبهْرجةُ العيشِ في كفَّةٍ
ورسول الحسين مع الموت في كفَّةٍ
ويَدُ الخوفِ ترجفُ بينكما
وهيَ ترفعُ ميزانَها !.

تعلمُ يا رشيدْ ؟

لـم أحتقرْ نفسي كما احتقرتُها لحظةَ جاءَ الموتْ ...
حملتُ ذاك النَّدم
حملتُ طولَ العمر إحساسيَ بالجُبن وبالخيانهْ
ومثلما تطرِفُ عينٌ أقبل الموت
لماذا ؟
قُلْ لماذا ؟
بآسمِ مَنْ إذنْ ؟؟

وتجيءُ تُهدّدني الآن بالموت !
يا ليت ..
مَنْ لي به ؟
ما الذي ستُضيفُ سوى أنْ تُقدِّم ميعادَهُ
ساعةً ؟؟
« لحظة صمت »

حارث : « مباغتاً »
هاهو ذا !
رشيد : مَنْ ؟
حارث : ذلك الوجهُ الذي أبحثُ عنه منذُ ألفِ عامْ

« مشهد »

« ياسر . عائشة زوجته . أصوات جنود عبيدالله »

« المشهد يدور في بيت ياسر والجند يطوقونه »

عائشة : ماذا تنوي أنْ تفعلَ يا ياسرُ ؟

ياسر : لا أدري ماذا أفعلُ يا أمَّ سُليمْ

عائشة : أطبقت السَّكينهْ

إنَّهم الآن يراقبون حتى الظلَّ في مسالِك المدينه

أُوصدتْ المنافذْ

أوصدتْ الأبوابْ

وبيتُنا ،

لا منفذٌ منهُ

ولا مِن منفذٍ اليه

كلُّ حجارةٍ من الجدرانْ

وراءها سيفٌ ،

وفي أعقابها عينانْ

رشيد « الى ياسر الغريق في مشهد يراه وحده »

عسى أن تراجعَ نفسَك حارثُ

حارث « مقاطعاً بمرارة »

صمتاً رشيدْ

أنا الآن في حضرة الحقِّ كلِّـهْ
وفي حضرة الموت كلِّـهْ
فهبني سكوتَك عني ولو لحظةً

« يصمت رشيد مستغرباً .. بينما يستمر المشهد »

صوت من الجند
خارج البيت : يا ياسرْ
بيتكَ نُصْبَ العينْ
سلِّمنا أعوانَ حسينْ
تْنجُ بنفسِكَ وبأولادكْ
أو فالويلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ

عائشة : « مباغتة »
واويلتَا ياسرْ
سُليمُ خارجَ الدارْ
ما عاد مُـذْ أرسلتَـهُ لعمار

ياسر : « بقلق شديد »
تأكَّدي يا عائشه

لا بدَّ ان يكونَ في إحدى زوايا البيتْ

عائشة إحدى زوايا البيت ؟؟

أرسلتَـهُ لكي يرى عمار

فكيف عاد دونَ أن يراك ؟

« منادية وهي تبحث في أنحاء البيت »

سُليم

سُليم ..

ياسر : « «منادياً هو الآخر وهو يبحث »

سُلْيم ..

يا سُلْيمْ

سليم : « من خارج الدار وقد أمسك به الجنود »

أتركوني

أتركوني

ياسر : هذا صوت سُليم

« منادياً بفزع »

سُلْيم

سليم : « منادياً من الخارج »

أبتاه

عمار يُقرئُك السلامْ

عمارُ ماتْ
عمار يُقرئك السلامْ
عمارُ ماتْ

« الجنود يكمون فمه »

عائشة : « صارخة »

سُليم

إبني .. حبيبي

« تهمّ بالخروج فيمسكها ياسر »

دعني أرى ولدي

دعني أراه

صوتٌ
من الخارج : يا ياسرْ

هذا ابنُكَ في أيدينا

افتحْ بابَ البيتْ

أو نذبحهُ الآنْ

عائشة : « وهي تحاول التخلص من يد زوجها »

لا ..

لا

نفتحُها

نفتحُها

ياسر : « وهو يتشبث بها بكل قوته »

يا عائشه

يا عائشه

لسنا سوى مسلمَينْ

تذكَّري ،

بمثل هذا امتحنوا محمَّـدْ

عائشة « وهي تجاهد للتخلص من يديه »

ابني الوحيدْ

ياسر : عائشه

استغفري اللّهَ فنحنُ معشرٌ مؤمنونْ

أيَّ حياةٍ تحفظينَ لسليمٍ لو فتحت الآن

هذي البابْ ؟

عائشة حياتُـهُ رهنٌ بهذي الباب يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُ هذي البابَ يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُها

يعيشْ ..

ياسر : يعيشُ .. لا ،

لكنَّهُ ينجو من الموتِ

لكي يموتَ ألفَ مرةٍ في اليومْ
أتعلمينَ عائشهْ
إن أنتِ أبقيتِ عليهِ الآن بالخيانه
بأنْ تُبيحي هذهِ الأمانه
لأيِّما مهانه
لأيِّ عمرٍ ملؤهُ العارُ ستُسْلمينَـهْ
سوف يظلُّ عمرَهُ
خطوتُـهُ لعينه
طلعتُهُ لعينَـهُ
يُثقلُها العارُ ،
فلا يرفعُ فرطَ عارِهِ جبينَـهْ

صوت
من الخارج : يا ياسرْ
عنقُ ابنِكَ تحتَ السيفْ
إن لم تفتحْ هذي البابْ
فسنُلقي الآن إليكَ برأسِهْ
سليم : « صارخاً من الخارج »
أبي ..
عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

لحظةٌ يتَعذَّبُها

لحظةٌ ثم يسكتْ

ثم يبقى لهُ الصوتُ حتى تقومَ القيامه

عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

إنَّـهُ ولدي أنا أيضاً

ولأني أموتُ عليه

سأجنِّـبُـهُ أنْ يكونَ مُهاناً ذليلًا

إنْ يكنْ عمرُهُ رهنَ أن تفتحي هذه الباب

فلتعلمي

أنَّ في فتحها

فتحَ بابٍ لهُ في جهنَّـمْ

سوفَ يلعنُنا كلَّ لحظه

اننا لم نصُـنْ حرمةَ اللّهِ فيه

لم نصُـنْ حرمةَ الأبِ والأمِّ فيه

عائشه

إنَّها حكمةُ اللّهِ

فاحتسبي في سُلَيمْ

سليم : « يصرخ مذبوحاً »

« ياسر يذهل . تفلت زوجه من يديه وتصعد الى سطح الدار وهي تصرخ »

عائشة : وا ولدَاه

وا ولدَاه

ياسر : « يحاول اللحاق بها فلا يدركها »

عائشة

يا عائشة

عائشة : « وهي تلقي بنفسها من سطح البيت »

سُلَيم ...

أعوان البيعة : « يخرجون من البيت الخلفي الى ساحة الدار حيث ياسر »

— ما هذا ؟

ماذا يجري يا ياسرْ؟

ياسر : « مع نفسه باكياً »

حسبيَ اللّهُ فيكما

حسبيَ اللّه يا سليم

حسبيَ اللّه وكيلًا فيكِ يا أُم سليمْ

— ماذا ؟؟

— هل قتلوا طفلَـكَ يا ياسرْ ؟

— ولم تَقُلْ شيئاً لنا ؟

— تتركُنا مختبئينَ عن مَـهَـبٍّ العاصفه

ويذبحون ابنكَ ، ثم يقتلون أمَّـهُ
ولم تقلْ ؟
— ماذا تظنُّنا ؟
نعاجاً خائفه ؟
— ماذا أقولُ الآن يا ياسرْ ؟
— استغفرُ اللّهَ لنا ؟
لا غفرَ اللّهُ لمَنْ يظلُّ حيّاً بيننا الساعةَ
يا ياسرْ
« الى صاحبه »
سيوفكَم يا إخوةَ الحسينْ

ياسر : « يعترض طريقهم مقاطعاً »
مهلًا أبا أُمامه
مهلًا أبا سُهيلْ
واللّهِ لن يُسلمكم بيتي وفيهِ عَصبٌ ينبضُ بالحياة
— نخرجُ كُـلًا
ياسر : لا وَرَبِّ البيت .
هَبونيَ راحة أن أسبقَ الناسَ لابني وزوجي
وراحةَ ألَّا أرى مَنْ تكفَّلتُهم يُقتلونَ أمامي ..
ما بينَنا ،
لحظةُ أن أجتازَ هذي البابْ

ثم احملوا ورائي

« يفتح الباب ويخرج شاهراً سيفه »

لبَّيكِ يا عائشهْ
لبيكَ يا سُلَيمْ

« يخرجون خلفه ويختفي المشهد »

حارث : « يلتفت الى رشيد وكأنه أفاق من حلم »
كنتُ أشرفُ من سطحِ بيتي
ورأيتُ ابنَه كيف قطَّعتموه ،
وزوجتَـهُ وهيَ تلفظُ أنفاسَها
كيف عذَّبتُموها
ورأيتُ مروءَتَـهُ وهو يدفعُكم عن محارمِـهِ
وكان مثلَ الأسدِ الجريحْ
ينضحُ كلُّـهُ دماً
وما هوى ،
كأنَّـهُ كان يجولُ بينكم بألفِ سيفْ
رشيد : فإذنْ ..

كنتَ تستذكرُ الآن ياسرْ ؟

حارث : كنتُ أستجمع الآن ياسرْ ؟
وأوازنُ ما بيننا

رشيد : لكنَّهُ ماتَ
ومات كلُّ مَنْ معَهْ

حارث : كلُّنا بعد ذلك متنا رشيدْ
كلُّنا بعد ذلك متنا
فرقُ ما بيننا
أنني ألفَ عامٍ قطعتُ لأجتازَ خوفي
بينما اجتازَ ياسرُ في لحظةِ

مرَّةً في حياتي بكيتْ
حين أبصرتُ ياسرَ يهوي
ما بكيتُ عليه ،
ولكنَّني مثلما تَنشجُ امرأة ثاكله
كنتُ أبكي لنفسي التي خنتُها

رشيدْ
أعدْ إليَّ اللحظة الأولى لكي أرفضَ أن
أدفعَ ذلك الرَّسول

ثم هذي عُـنُقي
أمدُّها لتقطعوها ألفَ مرةٍ رشيد
عدَّ هذهِ السنين أرجعوا رأسيَ واقطعوه
شرطَ أنْ أستعيدَ البدايهْ

رشيد : لا تعجَـلْ حارث
يبدو لي أنّا سنواجهُ ما لم نألـفْـهُ الليله
اذهَبْ لتستقبلَ صاحبَـكْ
وانتظرْني وجُندي

عزيزٌ عليَّ وأنتَ صديقي من ألفِ عامْ
أن أطيحَ برأسكَ حارث
وبسيفيَ هذا

حارث : لا بأسَ يا رشيدْ
يأتي يومٌ تخجلُ أن تنظرَ فيه لسيفك هذا
تندى عَـرَقاً حتى من نَـظَرات الأطفالِ إليك
حينئذٍ ،
يتغيَّر في تمثيليَّتنا دورٌ آخر

رشيد : أنت تحلمُ حارث

حارث : بل أكادُ أرى ذلك اليوم ..

كم يستغرقُ ذلك ..؟
لا أدري
لكنّني كما أراك الآن يا رشيدْ
بنفس هذا الصدقِ والوضوحْ
أراهمو ..
كل الذي مثّلوا في هذه الروايةِ الملعونه
وهم يثورون على أدوارهم
سيدخلون نفسَ هذا المسرح الرّهيبْ
لكنْ لكي يُغيّروه لُوحةً لوحهْ
عندها
ستكونُ بدايةُ عصرٍ لا تعرفُه أنتَ الآن

رشيد : ما أعرفُه
أنك ما أبقيتَ ليَ الآن خياراً في رأسِكَ هذا
هيّا بنا

« يخرجان ... »

« يدخل المعمدان مقطوع الرأس ومعه دليل يقوده »

المعمدان : ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : مدى المَدى صُلبانْ
جفّت على أعوادِها الأذرعُ والسّيقانْ

هذا غلامٌ لم يزل يرفسُ

المعمدان : سلْـهُ

الدليل : « يذهب اليه »

أيُّها الصَّبيُّ .. مَنْ ؟

الغلام : « صوت من خلف المسرح »

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

المعمدان : أحياناً يا ولدي

أسألُ نفسي

ما جدوى أنْ تبحثَ عن رأسك يا يحيى

كلُّ عامٍ يمرُّ

يزيدُ يقيني بأني إذا عادَ رأسي الى عُنقي

فسأفقدُه بين يومٍ وليله

الدليل : مَنْ سيجرأُ يا سيدي ؟

المعمدان : الزَّمانْ

الزَّمانُ سريعٌ هنا يا بُنيّ

يومَها

كلُّ شيءٍ هنا كان يأتي بطيئاً

لكي يصلَ الموتُ يحتاجُ وقتاً

لكي يصلَ الخوفُ ذروتُهُ حَـدَّ أنْ يستوي قاتلًا

كان يحتاجُ وقتاً
ولكنْ ..
تغيَّرت الآن كلُّ الأمورْ
يأتي الفرحُ ويمضي في طُرفةِ عينْ
يأتي الحزن ويمضي في طُرفةِ عينْ
أما الخوفْ
فأنه لحظة يبتدَي يكونُ قاتلًا !
وهكذا يا ولدي
يبدو عبثاً أن أبحث عن رأسي
إني أعلمُ إنْ عاد الى أكتافي
كم سيثيرُ الخوفْ

الدليل : أتحاولُ يا سيدي أن تعودَ بنا دونَ أن ..
المعمدان : « مقاطعاً
لا
سنواصلُ يا ولدي البحث .
هيَّا بنا

« يخرجان »
الشمر : « يدخل الى المسرح بملابس معاصرة ، ويوجه كلامه الى جمهور القاعة »

يا أهلَ هذا العصرْ
أيُّكم الحسينْ ؟

شاب
من القاعة : مَنْ أنت أيُّها الغريبْ ؟

الشمر :

« مستنكراً »

مَنْ أنا ؟؟
هلَّا دنوتَ أيُّها السائلْ
الشاب : لماذا ؟
الشمر : أدنُ إليَّ كي ترى وجهيَ عن كثبْ
فربما عرفتَني
الشاب : « يخرج من صفوف المشاهدين ، ويصعد الى المسرح حيث الشمر ثم يتأمله ملياً .. »
ما زلتُ أسألُ :
مَنْ أنت ؟

الشمر : الآن صار السؤالُ يضيفُ الى الأمر بُعداً جديداً
أأُلغيَ وجهي فما عادَ يعرفُهُ أحدُ ؟

أم تكاثرَ في عصركمِ حدٌّ ان لم يعدْ يتميَّز
عن غيرِهِ ؟

الشاب :
ألا تريدُ الآن أن تُخبرنا مَنْ أنت ؟

الشمر :
ما جدوى هذا ؟
إذا كان عصرُك يجهلُني
فالأوانُ إذنْ فاتني
والحسينُ استتبَّ لهُ الأمر
أما إذا كنتُ في عصركم
قد تكاثرتُ حدَّ التباسِ الوجوهِ عليكم
فقد فاتَني الأمرُ أيضاً
إنَّ شمراً سوايَ انتهى الآن من قطْعِ رأس الحسين !

شاب آخر
من القاعة : شمرُ بنُ ذي الجَوشنْ إذن ؟
الشمر : أفزعتُكم ؟؟
الشاب الأول : لا
لم تعُـدْ تُفزعُ يا شمرُ
فهذا العصرُ لا يحتملُ الفزعْ

الشمر : كَبرتُم على أن تخافوا إذن .. ها ؟

الشاب الأول : كبرنا ..؟

نعم .. ربَّما

الشمر : نلتقي بعدَ يومين ..

آملُ أن نلتقي

وأنتَ بحجمِ ادّعائِكَ هذا

الشاب : ستَراني ..

إذا أنتَ لم تبتعدْ بطريقكَ عن حيِّنا

الشمر : لا تخفْ

لكَ عهدٌ بأني سأبحثُ عنك

الشاب : أما عناءُ البحث

فإنني أغنيكَ عنهُ يابنَ ذي الجَوشنْ

سوف تراني حيثما مضيتْ

الشمر : « متوعداً وهو يخرج »

سوف نرى

سوف نرى

الشاب : « منادياً »

يا شمر

يا شمر

الشمر : « يتوقف ويلتفت إليه »

الشاب : إذا كنتَ حقاً تحاول أن تلتقي بالحسينْ
لتقتلَه مرةً ثانيه

الشمر : « مقاطعاً »
بل لأقتلَهُ المرةَ الألف

الشاب : إسمعْ إذنْ
سأدلُّكَ أينَ تُلاقي الحسينْ
أمامكَ كلُّ نخيلِ العراقْ
ونهرُ الفرات الذي تتذكَّرهُ
إشهرْ سيفَك
إن كان لكَ الساعةَ سيفْ
واهْوِ به فوق رقابِ النخلْ
فإذا قُطعتْ
وتدحرجَ هامُ النخلِ جميعاً
وإذا انتشرَ الطَّلعُ على الأرض
خضيباً بالدَّم كحباتِ الياقوتْ
فجُزْ للفراتْ
ومُرْهُ بأنْ يسكُنَ الموجُ فيه
وان يتراخى لسيفِكَ بلعومُهُ
إذا قطعْتَ عنقَ الفراتْ

وأروُسَ النَّخلِ جميعاً يابنَ ذي الجّوشنْ
فعدها ،
تكونُ قد قتلتَ فينا الحسينْ

الشمر : هكذا ؟!

الشاب : لا تنسَ هذا
أرؤُس النخلِ جميعاً يابنَ ذي الجوشَنْ
فنخلةٌ واحدةٌ
تُخـطُـئها ،
يطلعُ منها الحسين

الشمر : هكذا ؟؟!
ما يمنعُني الساعةَ أن أقطعَ رأسكَ هذا ؟

الشاب : أرأيتْ ؟
أنتَ تحاولُ أن تمتحنَ الساعةَ خوفكْ
صرتَ تُجرىءُ نفسك كي تقطعَ رأس فَسيلةِ نخلٍ
إذهبْ يا شمر
واجعل خوفَك حجمَ الأرض جميعاً
عندئذٍ عُـدْ ..
سترى الحسينَ في انتظارِكْ
لكنْ تراهُ مفعماً بكلِّ ماءِ الفراتْ

مُسوَّراً بكلِّ هذا النخيلْ

الشمر : « وهو يخرج »

الويلُ لكْ

« يخرج الشاب من المسرح »

« المعمدان ودليله يدخلان »

المعمدان :

ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : أبصرُ أكواماً من الرؤوسْ

أبصرُ خلقاً تقشعرُ منهم النفوسْ

رقابُهم مقطوعهْ

أرجلُهم في بِرَكٍ من دمِهِم مزروعه

تجمَّعوا حول تلول الهام

يأخذُ كلٌّ هامةً

يركزُها في عُنقِـهْ

ثم يسيرونْ ..

المعمدان : الى أين ؟

الدليل : الى أمامْ

هناك في الأفُقْ

ألمحُ رايةً على رابيةٍ مرفوعه
وكلُّهم يجتمعون حولها

المعمدان :

صِفْها

الدليل :

على ذروتها هلالْ
وحولَها تموجُ موجاً جثثُ الرِّجالْ
كأنَّما كَبَّر تحت ظلِّها بلالْ

المعمدان :

ما لونُها ؟

الدليل :

سمراءُ كالرِّمالْ
حمراءُ كالرمالْ
بيضاء كالرمالْ

المعمدان :

أسرعْ إذنْ

الدليل :

أينَ ؟

المعمدان :

التقطْ رأساً

وعدْ إليَّ

الدليل :

يا سيدي

رأسك ...

المعمدان :

هذا كلُّه رأسيَ

عجِّلْ قبلَ أن يفوتَنا الأوانْ

أدركتُها ...

أدركتُها ...

أدركتَ يا يحيى إذنْ بدايةَ الطوفانْ !

أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان ...

« تمت »

من أين هدووك

هذي الساعة

قصائد مختارة

١٩٨٢

يا زمانَ المعجزاتُ

زمـنٌ يأتـي ،

يكون الصِدقُ فيه المعجزة

عبدالرزاق

الصّـــــور

يدي جرحُ
ختمتُ به على الأفواه
مَنْ يملكْ نقاءَ اللّه
صوتاً ماحياً
يمحُ

برزتُ إليكَ من كفَني
بأوسعَ من مدى الصحراء جئتُكَ يا مدى الصحراء
أنا العازِبْ
أنا الموتُ المؤجَّـلُ بينكم
لا بدء
لا آخـرْ
أجوبُ مزارع الأسماءْ
فتحتُ يدي على مصراعها ،
فانداح غارُ حراءْ
جرحاً زاخراً بالوحي والدمِ ،
أيُّها الغرباء

صوتُ اللّهِ هذا
إنفخوا في الصُّورْ
شُقّوا سجفةَ الديجورْ
وآنتشروا
فصوتُ الله
هذا الجرح
يُفرقكم
ويحمل بينكم قتلاه

تساقط جحفلُ الأسماءْ
كومةَ أحرفٍ مذعورةٍ بكماءْ
ختمتُ على حروف الخوف جُرحي ،
ميسَمي جرحُ
ومَنْ يملكْ ثباتَ الله نصلًا ماحياً
يمحُ

سمعتُ بلالًا الحبشيَّ في ساحاتكم يصدحْ
رأيتُ سطوحكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيدي على أبوابكم تُـلمَـحْ
فتحتُ يديَّ ،

ألهثُ جئتكم يا معشر الأنصارْ
أحملُ جثَّتي والنَّار
مليئاً بالنبوءة جئتُ ،
كلُّ ملامحي تنضحْ
ذُهلتُ
فلا صلاةٌ
لا مؤذِّنَ قام
لا محرابْ
رأيتُ بلالًا الحبشيَّ متكفئاً على الأبوابْ
سرتُ تنوشُني الأحجارْ
مسيحاً كلُّ بابٍ عندها أُذبَـحْ
حسيناً كنتُ مثلي أمس
مثلي كلَّ يومٍ آتْ
وكلُّ سطوحكم راياتْ
ركضاً يا بني أسدٍ
غداً تصلون
لكن ، لن تروا في الأرض مِن أحدِ

ليذكرْ كلُّ رامٍ بينكم حَـجَـرَهْ
أنا المرجوم
أحملكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ

ستنتشرون أذرعةً من الأجداث مستعره
فينكر كلُّكم كفَّيه
ليذكرْ كلُّكم سيفَـهْ
ليذكرْ كلُّكم وَتَـرَهْ
أنا الطَّـــوّافْ
على أبوابكم
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملكم معي تُـهَـمَـه

سمعتُ صلاتَكم تتوسَّلُ الأقفال لا تُفتَـحْ
وكفّي لم تزل حِرزاً على أبوابكم ينضحْ
خلعتُ يدي
ختمتُ بها
نظرتُ فلم أجدْ رايه
شمختُ بعنقيَ المقطوع عمقَ الجوِّ صاريةً
نشرتُ مكبِّراً كفَني
وأترككم عُراةً تطفحون على دم البيعَه
رؤوساً دونما أعلامْ
دموعاً ما تزال تسيل ،

تسقي تربة البيعه
وتحني رأسَها وتنامْ
أتركُ زيفَكم لينام
وختمُ يدي يظلُّ دماً على أبوابكم يصحو
ومَنْ يملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً
يمـحُ

أنا المسجونُ في أعماقكم ،
الشاهدُ الأبكَـمْ
أنا الحدسُ الذي تخشَونْ
الرَّصدُ الذي قيعانُكم بعيونِـهِ تُخـتَـمْ
أنا الزرقاءُ فيكم يا يمامةُ فاَفقأوا عينيّ

نشرتُ يدي أمامي ،
من هنا المعـبَـرْ
هنا جرحي
هنا أبَـديَّتي تُـنشَـرُ
تَـعَـرَّ الآن يا ثمرَ الخطايا ،
إنَّـهُ المطـهَـرْ
وثبتُ ،

سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوعْ
تجهشُ ملأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلّوا يجأرون ..
غطستُ فيهم عمق ألفي عامْ
وارتطمتْ يدي بالقاعْ

مَـمَـرُّكَ هُهنا يوصَـدْ

أفقتُ ،
وكانتْ الصحراءُ
شفاهي الرمل ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي
رفعتُ يدي الى عينيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملء آذاني صراخُ وليدةٍ توأدْ

همَتْ يا قوتـةُ في الرمل ،
وانطفأتْ
وجدتُ على يدي نُدبَـهْ
هويتُ كنخلةٍ عجفاءْ

حُـمِـاتُ على الرُّغاء ،
على الـثُّغاء
على صهيل الخيل حولي تمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يد البسوس تجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِـرَبا
على غلمانَ أشأمَ كلُّهم متكامل الأضراسْ
يأكلُ ثديَ مرضعتِـهْ

ضـمـمْـتُ أصابعي كي أمنع الدمَ أن يسيل ..

تعالت الأصواتْ
بُجيرُ ماتْ
بشسعٍ من نعال كُليبٍ

انتشروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبت النَّعامـةُ منك مربطها فقمْ يا موتُ
قم يا موتْ
قم يا موث

شددتُ يديَّ
كان الجرح يفتح بابَـهُ للريـحْ

الا لا يجهلَـنْ أحـدٌ علينا
تجهل الأصنامْ
تأكل خيلنا ، ورماحنا ،
تجترُّنا وتنامْ

سقطتُ وراحتي مُرخاةْ
على هُـبَـلٍ تغطي وجهه ودماؤها تنضحْ

طريقُـكَ مِن هنا تبدأُ
تَسـلَّـقْ ،
جرحُـكَ المعراج ،
أنت الحـيّ

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوع
ظُلـمتُها تشلُّ خطاي ،
ترشحُ مثل ذوبِ القارْ
تلصقُ بي فأحملُها معي طوداً من الأوزارْ
أهوي كلَّما أبدأْ

تَـسلَّـقْ ،
جرحُـكَ المعراج ،
لا تعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً

نشرتُ يدي غريقاً

أيُّها المذعورْ
لا تطفيءْ مهبَّ النّورْ
أنتَ الحصدُ والحاصدْ
المرصودُ والراصدْ
وأنت القادمُ الموعود

رضاءَ بغوريَ المُطفأْ
شعاعٌ كانْدلاع البرق ، غاص بجرحيَ المنشورْ
وانطبقتْ يدي فصعدتُ يحملُني رشاءُ النورْ
كان محمدٌ يقرأْ

لُمحتُ أطير في جرحي
وكان محمدٌ والسيفْ
يسبقني
وكان محمد القرآنْ
يلمع فوقنا كغمامةٍ بيضاءْ

ألا مَنْ كان يعبدُ

لا تقلْ شيئاً

ألا مَنْ كان يعبدُ

ليت هذا الصوتَ يسكتُ
ليتني أرتدُّ نسياً تعصفُ الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ

نزفتُ
دار الكونُ بي

مَنْ كان يعبدُ

غامت الأصداءُ في رأسي
فإنَّ محمداً قد ماتْ
إنَّ محمداً قد ماتْ ..
وانكفأتْ يدي
فهوَيتْ

أنا الشاهدْ
لقد بلَّغتَ ،
أشهدُ أنَّكَ الموعود
أشهدُ أنَّكَ الواعدْ
ولكنْ مَنْ لهذا الليلْ ..؟

تنَزَّتُ تحتيَ الأعماق
سال السَّيلْ
أوردَتي بلون القارْ

تُرضعني نزيفَ القار
تختمُ خطوَتي بالقار
جذبتُ خطايَ لم أُفلتْ
نزعتُ اللحمَ عن قدميَّ حتى العظم
لم أفلتْ
نشرتُ يدي على لوحي
محوتُ
رقمتُ

ذا سطري ،
أنا قدَري
ختمتُ يدي
نهضتُ بكلِّ أجنحتي أصبُّ دماً

هذا أنا الصاعدُ من مَنابتِ الظلمةِ في حفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غيبي
جسدي تأريخُكم
جرحيَ مئذنه
أحمل في كهوفها أذانيَ القادمْ
فلتفتحوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ من شُرفةِ جرحي مشتلًا للموتْ
فلتفتح الموتى قبورَها
ليعرفْ كلُّ ميتٍ موته في جسدي
فيحتملْ موتَـهْ

أعينُكم ترحِل من وجوهها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السَّيلْ
تبيَّنوا أحجاركم يا أيُّها الراجمونْ
تعرَّفوا على سيوفِكم ،
نبالكم ،
فقد عادَ بها المرجومْ

أسعى إليكم عنقاً دون رأسْ
أتبعُكم جذعاً على صليب
أفتحُ في قيعانكم عيناً كعين الله
تبقى شاهداً أبكـمْ

وجوهُكم وَشمٌ على جلدي

نِصالُكَم في جسدي تحجَّرتْ
فجرِّدوها
لِيُحدِّدْ كلّكم رتبةَ موتِـهِ
ويصعدْ موجةَ الشهادةْ

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَيْ أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي
أنت الذي تغوص في خاصرتي
تفلَعُها
انجردْ لهؤلاء
هل تبصرُ رأسَ ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصرتي غمدُكَ حتى تراه

مَنْ قال إني مصعبٌ
فليتقدَّمْ حاسراً
يستلّ نصلًا من جبَيني ثم يستشهد

في جسدي مزرعةُ الموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ

ينثرها ببيدرَ ثورةٍ لألف جيلَ

لا تلمسوا أعناقكم
صاحبُها يعرفها دونَ لمس
يا حاملي شهادة الحلّاجْ
تحمَّلوا حدودكم عني
أنا خارطة الحجاجْ

مَنْ ينتصبْ منكم أبا ذرٍّ فيحضنْ موتَـهُ يُقدمْ
لكنَّكم لا ترصدون الموت

يا أيُّها الكهانْ
عروقُكم مرئيَّـةٌ
يزخُّ تحت جلدها كلُّ دم الأوثانْ
ألقوا مسوحَكم ،
وجهِّزوا لغزو الله

يا أيُّها الحشدُ من الأنبياء
لينتفضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوحيِهِ

يُنطقْه شيئاً
أيُّها المستتشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكم الى جيوبكم
واخرجوا منها يداً واحدةً بيضاء من غير سوءْ

أسأتم الموتَ كما أسأتم الولاده
تقدَّموا نحوي
لكم في جسدي شيءٌ سوى الشهاده

أحملُ في الأجفانْ
بُحيره
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجها الغلمانِ والجواري
فلتغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجها مرَايا
أشهدُ أنكم ستبصرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تتحطَّـمْ

تتبعثرْ في شظاياها وجوهُكم
فينبثْ موتُها في جسدي
خارطةً جديده
أحملُها
أطوفُ في المزارع الوليده
أختمُ جرحي فوق كلِّ فـمْ
حتى يصيحَ صائحُ
يكسرُ ختمَ الدَّمْ

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كلُّ مَنْ مات
أسقطَ عنّي وعن نفسِهِ عبءَ أن يشهد الآن
لي أو عليَّ
فإني أخافُ شهادةَ أمواتِكم
أرتضيكم شهودي
أنا المستباحةُ ذاكرتي
المؤجَّلُ من يوم مقتلِهِ رهنَ تحقيقكم
نُشرَ الناس
كلُّ القيامات قامتْ
وما زال منتظراً

أإذا جاء يسعى
نظرتم الى بعضكم ؟
ما الذي تُنكرون
ألـمْ تُبصروا قبلُ ميتاً يراجعكم ؟

ألفَ ميتٍ تركتُ على الباب
بل واحدٌ يتكلَّمُ عنكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلقُ البابُ من خلفِهِ
ثم يُقتل

دافعتُهم
وركضتُ الى سترةٍ كنتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كما الطير
أحمل نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهم

أنا عندي بطاقةُ موتٍ
عنديَ سيفٌ في خاصرتي
لا أملك مقبضَـهُ
لكني أملك خاصرةً فيها سيفْ
ورهيفٌ حدُّ النُّصل
وأحضنكم حدَّ تمزُّق أحشائي
زهواً في خاصرتي أحملكم
آهِ

ويقتلني زهوي
لكنْ.. يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زهوي
بطاقة موتي القديمةَ
يا مَنْ جعلتم من الموتِ منعَطَفاً
وجعلتم من الموتِ مختبراً للدموعْ
وكان الشهادةَ
تُمنحُ للمتخرِّج فيكم نبيًّا

وصغَّرتم الموت
حتى تأبطت الناسُ أكفانَها
أفإن جئت أسعى نظرتم الى بعضكم ؟
إنَّه القتلُ عمداً
أرى جسدي موثقاً بين قضبانِ أعينُكم
وتقولون : شُـيِّـعـتَ
يخذلني الحبُّ حتى أوافقكم

وللمرَّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتكم
لم يجدْ اسمه بينهم

مات من دونما شاهدٍ ؟
ليكنْ
سلِّموه جنازتَــهُ
ويوقِّــعُ ألا نكون على قبرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على الباب ألفاً
قرأتُ عرائضهم كلَّها
كيف كذَّبتموهم ؟
كلُّهم سمعوا هاتفاً
كلُّهم أبصروا عَــلَــماً ضربَ الماءَ فآنشقَّ
قالوا تباركَ موسى

وخاضوا
فــمَــنْ سحَبَ العلمَ المستقرَّ من الماء ؟
فرعون ؟؟
أم ساورتْ ريبةٌ قلبَ موسى ؟

وقالوا خُــذِلنا
ودارَ بنا الموج
كلُّ المرافىء كانت تضيءُ

ولكنَّ أعيُنَنا نُذرتْ لفنارٍ من القلب تصعدُ
خفقةُ مصباحِـهِ
فهي تبحـثُ

ثمَّ سمعنا بأنَّا نُعينا الى أهلنا
فرجعنـــا

ونقطَعُ من لحمنا
ونُريهم دماً تتوهَّـجُ رغوتُـهُ
فيقولون :
لكنْ دُفنتُـــمْ ..

كُسِرَ النابضُ فيك إذن
فتأرجحْ في الماء كما تهوى
لا تَخضعْ إلا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أما الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلا أسماءُ

بل أنزلتم سلطانا

وحكمتم بالموت
ونفَّذتم اعلانا

وتركتُ على الباب ألفاً يلاحقني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تتبيَّنَ
سَلْهم ،
متى يطلقون سراحَ جنائزِنا ؟

ها أنا الآن أسألُكم
ها أنا الآن أسألكم
ويعاتبني صدقُكم
ويعاتبُني الناسُ فيكم
ودربٌ قطعنا معاً
ويعاتبني أنكم خيرُنا رغمَ ما كان
ينكسرُ الغيظُ في راحتي غصُناً
كنتُ أشهَرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكم
أورقتْ كلُّ أشواكِهِ
وإذا أخطأتْ
وخزَتني

ياما بحثتُ

أنا المستباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقكم
لميادينكم

قلتُ أهلي
فما ولدَ الفَـطْـرُ في حائطٍ رجلًا .
وعرضتم ليَ الـيُـتْـمَ حتى انكسرتُ
وأنكرُ أن أُتبَنّى على كبَري
إنني شختُ حدَّ ابيضاضِ العيونْ

ونظرتم الى بعضكم
وَي
أصرُّ على تُهمةٍ أتلبَّسُها

صرتُ فيكم لقيطاً ؟
وقد كان مائي
وكان إنائي
وكان القميصُ الذي تنشرون خضيباً
قميصي

وأذكرُ أنّي ..
ولكنني لم أعدْ أتذكَّرُ
ذنبيَ أني نسيتُ على الدَّربِ ذاكرتي
قلتُ يعرفني الناس ..

أرتضيكم شهودي وإن كنتُ أجهلُكم
كلُّكم تملكون جراحاً
كلُّكم ستُدينونَني
غير إني أُحذّر أسرعَكم للأدانةِ
أني سأسألُهُ

ولقد كنتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ
أعلّقهُ فوق رمحي
وقبيل انتصِفْ :
عنقٌ وسَّدتْها المقاديرُ سيفَكْ
إن هو إلا كما تطرفُ العين
تومىءُ للكتفين
فينزلقُ الرأس
تعدو به بطلًا

وتأمَّلـتُ
ألفيتُ حنجرةً جحظـتْ
واستطال منْ الخوفِ بلعومُها
لستُ أدري لماذا تذكَّرتُ أعدائكم فأرتعدتُ

وقيل انتصفْ
أترى ؟
إنني لم أُخـيَّـرْ
وها أنا أدخلُ وجدكَ يا حُـرُّ
لكنْ من الطرفِ الآخر المتمزِّقِ
فآغفرْ مكابرتي يا رياحيُّ
ما كنتُ أملكُ نفسيَ في حالتيَّ
لهذا أموت
وتملكُها
ولهذا تموتْ

وشتّان شتان ما بيننا
أن تطاردَ موتَكَ حتى تطـوِّعَـهُ
ويطاردني الموتُ حتى يطوّعني

حين قدَّمتُ رأسي لهم
رفضـــوا
قلتُ لا أدّعي عنُقاً لستُ صاحبَها
فآمنحوني بطولَة رأسي

ضحكواْ
قيل لولا تركتم أخاكم يمارسُ حربَ الطواحين

هل كان دربي طويلًا الى عصركم ؟

إنني لستُ أحمل ذاكرتي
وأنا مستقرٌ على أن أُقاضى
فليفرشْ كلٌّ منكم ذاكرةَ البطلِ القادمِ من سيناء
وليَحشُ بعينيَّ قميصاً خضَّبهُ في الأردن
وليدمَـغْ وجهي بالعار
لأنّي لم أُقتَلْ في القدس
لأني لم أُقتَل في الخرطوم
لأني لم أُقتَل في كلٍّ حروب الردَّة
ولأني لم أُقتَل وكفى

جئتُ من حيثُ جئتم جميعاً
ربما كنتُ منهزماً
لستُ أدري
فعند الهزيمـةِ
لا تسألُ الخيلُ فرسانها
ركضوا
وركضنا
طريقٌ قطعناه
كلُّ اتجاهاتهِ علَّـمَـتْها الحوافرُ
مَنْ يدَّعي أنَّ حافرَهُ ملكَ الاتجاهَ الصحيحَ
الى الموت ؟

واقفاً بين أجساد قتلاكمو
أتـفـصَّـدُ خوفاً
ولم أُغمد السيف
أعلمُ أني حملتُ دليلًا عليَّ
لقد كنتُ أبحث عن شاهدٍ لمكابرتي

عندما وطأتني حوافرُكم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ متَّـجَـهٍ

أيُّها الناس ...

مَنْ يسمع الصوتَ في زحمةِ الموت ؟
الخيل تركضُ
والأرض تركضُ

يا أيُّها الناس ..
جرحاكمو
أهلَكم
جثثاً قبل يومٍ وقفتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفها أرجل الخيل
فلـتَّـتقوا رَجِماً سوف تسألُ أعينُهم ..

كنتَ منهزماً ؟
ربَّـما
غير أنَّك لم تتحرك
أحاطت بك الخيل
نوديَ بالويل
صاحتْ بك الصائحاتُ ولم تتحرَّكْ
تكـلـتُـكَ

أيُّهما أصدقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دمها ؟؟
إنَّها جثثٌ وحَّـدَ الموتُ فيها البطولةَ والجبنَ
والصدقَ والـ ..

حَملِقي فيَّ أيَّتها الأعينُ المستباحةُ حدَّ التألُّقِ
أيُّكما أصدقُ الآن ؟
أنتِ وصمتُكِ ؟
أم كلُّ هذي الحوافرِ تضربُ أذنيّ ؟

أيُّكما أجرأُ الآن ؟
مَنْ قال إنَّـكِ لم تتفصَّـدْ جميعُ خلاياكِ من خوفها ؟
تملكين لساناً ؟؟
إذن فآسكتي
إنَّهم يملكون

ولكنَّ موتـكِ أنبل
سمعـتُ اللهاث
رأيتُ الى الـعَـرَقِ المتصبّـبِ منهم يخالطُهُ عَـرَقُ الخيل
كانوا صغاراً

صغاراً الى حدٍّ أني بكيتُ لهم
فتشـرَّختُ

صار مداريَ شطرين
بينما برزخٌ للهزيمةِ
ثوبيَ شطرين
أُفردتُ بينهما عارياً
صار وجهيَ شطرين
شطراً لوى عنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكم
وشطراً تطاير بين حوافركم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنَّها دعوةٌ للشهادة تُعـفَونَ منها
فقد ضاعت الخيل
أو نفَـقَتْ

وأنـــا ؟
إنَّ لي شطرَ وجهي الذي ظلَّ عند الحدود
ربَّما غـيَّـرَتْ جثـثُ الميّتين معالـمَـهُ
ربـما شاهَ
لكنَّـــه الآن وجهي

حينماَ عدتُ

ألفيتُكم تولمون

وأبصرتُ نسوتَكم في الجوار

يطرّزنَ قمصانَكم

ثم يعرضنَها للصغار

انكسرْتُ على زهوِهم

وسمعتُ تفاصيل

مثلَ الأساطير

أصغيتُ

ألفيتُ نفسي وحيداً

غريباً

أضعتُ ولم ألتفتْ

بين أمواتكم

خُرجَ ذاكرتي ..

مصادرة منشور سرّي

— في جوازكَ حين عبرتَ الحدود

— هل عبرتُ الحدود ؟

— أنت محتجَزٌ للإجابة لا للسؤال هنا

في جوازك هذا

لا علامةَ فارقةٌ فوق وجهك

الشَّـعْـرُ أسود

عينان صافيتان

وعمرُكَ ..

حتى تلاوةِ هذي السطور

ثلاثون عاماً

هل عبرتَ الحدود بهذا الجواز ؟

— إذا كنتَ تعني

— عبرتَ الحدود بهذا ؟؟

— نعم

— أنت متَّـهَـمٌ للقرار بتزوير وجهِكَ أجمعِـهِ

يُسمَحُ الآن أَن تتكلَّم ما شئت

لكنَّما في حدود الدفاعِ عن النفس

— أطلب مرآةً أبصرُ فيها وجهي

— مرفوضْ

نحن نبصرُهُ عنك

— لكنكم لنْ تروا منهُ

— إنَّا نقاضيكَ وفقاً لأعينُنا نحنُ

— معذرةً

سأحاولُ رؤيتَهُ وفقَ أعينكم

كان عمري ثلاثين عاماً

فأصبح خمسين

عيناي صافيتين

فأصبحتا مثلَ لون التراب

وشعريَ أسودَ

فآبيضّ

هل .. هذه صورتي الآن ؟

— وجبينُكَ ؟

— ماذا بهِ ؟

— لو تحسَّستَهُ

— هل تغضَّنْ ؟؟

لا بأس

— صوتُـكَ

ما كنتَ ترفعُهُ هكذا

— كان يرفعُهُ بين قصفِ المدافعِ فأعتاد

— لا

لم نكن نتكلم في حضرةِ النار

لكننا بعدما سكتتْ

— أنتَ متَّـهَـمٌ باعترافكَ للمرةِ الثانيه

— بالتَّمـرُّدِ ؟

لا بأس

أسألكم لحظةً أخلع الثوب

— تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التعرِّي هنا

— إنَّ لي حرمةً تحت هذا القميص الممزَّقْ

شاهداً لم يُسجَّل بهذا الجواز

دفعتُ به رئتي ثمناً

وأتتنا أوامرِكُم تمنعون دخولَ الجراح

قبل يُستنطَـقُ الجرحُ حتى يعاف مروءتَـهُ

ثمَّ يركل مثلَ النفايةِ

بعد إدانتـهِ

لوحة جانبية

هل سلَّمتَ لمأمور المخزنِ خوذتك الحربيةَ ؟
صفَّ رصاصكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحك ؟؟
ضَعْ جرحَك فوق الأمتعة الأخرى
وتسلَّـمْ إيصالًا

تعمَّدتُ تهريبَـهُ تحت ثوبي
ما كان لي أن تروه فيؤخذَ متَّهماً
غير أني سأكشف عن وجهه الآن
ها هو ذا
تستيطعون إيداعَهُ السجن
لستُ أخاف عليه
فقد رسم ابني هويَّـتَـهُ في دفاتِـرِهِ كلِّها

فأنا الآن متَّـهَـمٌ بشهادة جرحي
للمرة الثالثة

في أُذنيَّ ملايين الأصوات
مَنْ منكم يقدر أن يفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري

عن صليةِ عشر رصاصاتٍ غاصت فيه من
البلعوم الى منتصف السُـرَّة ؟

وحدي أملك هذين الصوتين معاً
أملك لحظة لا يبقى من صوت القاتلِ
إلا صوتُ المقتولْ
لحظة صار غيابُـكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كل الأوجه
وحدي أملكُ صوتكما أنت وعشر رصاصاتٍ
في أذنيَّ مزيجاً .. غَـبَشـاً لا ينفصل الفجرُ عن الليل
ولا الموت عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسدٍ
عن عشر رصاصاتٍ فيه يَشعشعُ منها الدم

مَنْ يحمل عني هذي الأصوات ؟
مَنْ يخلعُ من أذنيَّ زعيقَ الجرحى وصفيرَ الرشاشاتْ ؟

ألقوا القبضَ على هذا الشاهد غيرِ المرئيّ إذن
وليُـستَنطَـقْ أطفالُكَ يا وطني

ولدي

يا ولدي الحاملَ عنِّي زهوَ دفاتِــرِهِ

كنتُ أدفع دبابتي في وجوهِ التماسيح
ملغومةً بالهلاهلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِّــعــرِ
ملغومةً بالتي طَـوَّحتْ بعباءتها وهي تردسُ
« هَزّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحَمتْ فيه كلَّ الشماتةِ والموت
أدفع دبابتي في الجحيم
وفي أُذنيَّ عراضةُ أمّي تطوّح عبرَ المدى
بعبــاءتهــا
حجمَ موتيَ هذا أريدكِ أن تهزجي لي
أن تزرعي رايةً حجمَ موتي على سطح بيتكِ
ترفع للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنَيَّ شهوداً عليّ

أين دبابتي ؟

— لا سؤال
— ذهبتْ هي أيضاً تدافعُ عن نفسها ؟
— لا سؤال
— ولكنها شاهدٌ في دفاعي
— قيد التَّرميم
إذا شئتَ أتيناك بها عامرةً
— هاتوها
أدخلوها هنا أتأمَّلُها
أتقرَّى مكانَ أُصيبَتْ لأجلي
أمرِّغُ وجهي على درعها
وسأسألـهُ
سوف ينطق مجرى دمي فوق قُـبَّـعَـةِ الدِّرع
ينهض محمود من قاعها
إنَّ محمود فاض على سعةِ القاعِ فيها
أنتِ أيتُها الأخت
يا شاهدي وشريكي
أعلمُ حين تجيئين
أنكَ لا تنكرين معالِـمَ وجهي
كما يفعل الما رأوا كيف يتَّسعُ الكونُ في لحظةٍ
ثم يجمع إطرافَـهُ كلَّها في رصاصه

ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ معالمَها لحظةَ الموت
يلتبس الوجهُ بالوجه
حتى لَتُصبحَ دبابةٌ رجلًا

ما رأوا كم يُغيّرناالموتُ أيتها الأخت
لكنهم غيَّروا وجهةَ الموت
هلم غيَّروا وجهة الموت
حتى لـيُنكرَ واحدُنا دربَ صاحبِـهِ

أيَّ شيءٍ تُرانا نقول إذا ما التقينا
فأبصرتِ شعري قد ابيضَّ
عينيَّ لون التراب
وأبصرتُ وجهكِ يلمع مثل بنات الهوى ؟
أيَّ ذاكرةٍ سوف نوقظها بيننا
دون أن تتسلقَّ غربتُنا فوق كلِّ الحروف
وتلتفَّ حدَّ اختناق أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُهـــــا
تزوّرون شاهدي عليّ
ثم تسألونني أن أرتضيهِ هكذا

مزوَّراً
وتعلمون بعد ان أدخلتموها مصنعَ النسيان
أنكم سلبتموها كلَّ كبريائها

أُقسمُ أنها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهها
أو أطلقت نيرانها عليّ

— فأنت أسأتَ لها
— قد فعلتُ
عبرتُ بها كلَّ نار الجحيم
وكنا معاً بآسم كلِّ الحضارات نضرب
كنا معاً بآسم كلِّ الذين سيأتون
نعبرُ نهرَ الجراح القديمةِ
نصنع معجزةً قدر ما يستطيع عريفٌ ودبابةٌ
أتقنا لعبةَ الموت

ويومَ أُصيبتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرهِ مَعبراً للرصاص على درعها

إنها تتذكَّر كيف قضينا نهاراً بأكملِهِ ننزف الدمَ
نحن الثلاثة
كنا ثلاثتنا لحظةَ الموت
نشعرُ أنَّا نخطُّ لبعض الذين سيأتون
أســــماءهم

بآسمِ كلِّ الحضارات
أُلغيَ محمود
لم يبقَ منه سوى دفترٍ

يتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابكم
بصَموا فوقَهُ عَـدَّ أرغفة الخبز
حتى ملامحهُم وُشمتْ بتواقيعكم

بآسم كلِّ الحضارات أُفرغَ صَدريَ من رئةٍ
وأقرُّ بلا ندمٍ أنني لست أحتاجها الآنَ
في مثل هذا الهواء

بآسم كلِّ الحضارات رمَّمتم الآن دبابتي

بعد سَحبِ هوِّيتها
فهي خاويةٌ تستعدُّ لكلِّ الهزائم

لستُ أعلم أيتُها الأخت إن كنتِ .. عذراً
ولو مــــرَّةً
تحسنين البكاء

وتقولون لي شَـعْـرُكَ ابيضٌ
أتُّهم الآن مائة مليون مستمعٍ لخطاباتكم
أنَّ أرؤسَهم لم تَشِبْ
أنَّ أعينُهَم لم تثبْ من محاجرها
أيها السادةُ الكانَ في وسعِهم كلُّ شيء
لو انَّ صواريخهم لم تقفْ في مدارِ الخيانةِ
أو انّهم

— هل سمَّيتَ مداراً للدوله ؟
— لا
— إيَّاك وأنصافَ الكلماتِ إذن
— مَنْ منَّا يتعمَّد أن يُخطىءَ فهمَ الآخر ؟

— لا سؤالْ

وليكنْ ما تفوهُ به واضحاً

في حدود الدفاع عن النفس

سنصحّح بعض السَّهوِ الواردِ في أقوالك

— أرفضْ

إنهما مساحتان للضياء والظُّلمةِ لن ندخلَ

فيهمـــا معـــاً

أنا أعرفُ دربي الى البقعةِ السَّوف أدخلُها

لن تكونوا دليلي

أتَرون لو انكم الآن تدعونني من جديدٍ

الى الحرب ،

أرفضُ ؟؟

هيهـــات

سأحارب حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح

يهتف بي هاتفٌ

لا تَـمُـتْ

وأموت

أفضِّـضُ أرؤسَكم شعرةً شعرةً

كنت أحمل محمود ، والدم ينهلُّ من عشر شتلا نارٍ
بأضـلـعـِـهِ
أتوسَّـلُ في وجهِه
لا تَـمُـتْ
سوف تسألني عنك كلُّ عيون صغارك محمود ...

لكنَّه مات في لحظةٍ

كنتُ أخلع جسمي وأسحبُ محمود
والنار تأكلُ دبابتي
أتخبَّـطُ مستوحَداً بين موتيهما
غير أنيَ كابَرتُ
كنَّا ثلاثتنا طَرفَ الدولةِ الما يزالُ يكابر

في المستشفى
قالوا ألغى الطرفُ الآخرُ للدولةِ كلَّ القتلى
ومحا أسماء الآتين جميعاً
لم أصدّق ،
لقد كنتُ أحسبُنا دولةً حين كنا نخطُّ على

بقعة الضوء أسماءهم

ثم صدَّقتُ ..
حين نظرتُ لأطفال محمود
صدَّقت
حين رأيت عيونَ رفاقيَ
صدَّقت
وحين وصفتُم معالمَ وجهيَ
آمنت
أني هنا طرفٌ
أننا حين كنّا هناك نقاتلهم
طـــرَفٌ
أنَّ أطفال محمود
دفتـــرهُ
طـــرفٌ
فأنا ما سميَّتُ مداراً للدولةِ
لم أخطىء فهمَ الطرف الآخر للدولة

إنهما مساحتان للضياء والظلمة لن ندخلَ فيهما

معـــــاً

— من أجلك أيضاً
— أرفضُ
أو لا أرفضُ
ماذا يعني أن أُسألَ عن هذا ؟
لو سُئلتُ غداة خرجتُ الى الموت
— هل كنت تختار ؟؟
— لا
كنتُ أختاركم هدفي أوَّلًا
— أنت تقتل نفسك
— إني أُسهِّلُ فيَّ مهمَّتكم
أيها السادةُ التتبدَّلُ حتى عناوين أطفالهم
وحدودُ مدارس أطفالهم
دون أن تتبدَّل يوماً ملامحهم

إنني أتساءلُ
ما كان لي وأنا بين موتين
موتٍ تراقبني فيه أعينُ كلِّ الذين أخاف عليهم
شماتةَ مَنْ يشمتون
وموتٍ أُضافُ بهِ رقَماً في حساباتكم للهزيمة ؟

كنتُ أراقبكم تخلطون دمي بين ماءين
هذا نذرتُ له عطشَ العمر
جمّعت أسماء أهلي على شفتيَّ
وهذا أحاذرُهُ
وأشــمُّ الخيانةَ
رائحة ابني ذبيحاً
وأوصال أهلي ممـوَّهــةً فيه

صار دمي خائناً وشهيدْ
كوثراً وصديد
وأنا أتساءلُ :
هل أردُ الماء
أم أتـجـنَّـبُـهُ ؟

حيرةٌ .. حيرةٌ .. حيرةُ العمر
بآسم الحضارة قدَّمتموني لمذبحها

إنكم أيُّها السادةُ الما تَبدَّلُ يوماً ملامحهم
قد بذلتم كثيراً لأجل الحضارةِ

أسماؤكم لن يمرَّ عليها الذين سيأتون
دون الوقوف على كلٍّ أحرفها
يومَــها ،
سيسير بدبابتي كلُّ تأريخها نحوكم
يومها ستدور بمدفعها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخل المعبرَ السهلَ خلف الحدود

ستكون البدايةُ أفضلَ ممَّا بدأنا
تكون البدايةُ أفضلَ مما ..
— نصُّ قرار التجريم
— تكون البدايةُ
— بآسم الدوله
صادرنا هذا المنشورَ السريّ
وأمرنا باحالةِ أذنيه وهذا الجرحَ المزعوم الى التحقيقِ
وإلقاء القبض على كلِّ الكلمات وكلِّ الأفكار المنقولةِ
عنه وغير المنقوله .

— سيدي
إنَّ في الباب عشرين ألفاً
وجوههمو كلُّها وجهُ هذا !

من أين هدووك
هذي الساعة

صوت :

لأنيَ فرَّقتُ في الناس لحمي
لأني حملتُ عذاباتهم
لأني تسمَّيتُ باسمي

صوت :

لأنَّ المسافة بين الرصاصة والقلب ضيّقةٌ
لأن الذي يقطع الدرب بين القتل وقاتلهِ
شاهدٌ وقتيلْ
صرتُ في زمني الشاهد المستحيل

صوت :

ملعونٌ مَن يمسك للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَن يخدع إنساناً عن عينيهْ
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَن يأمن ذئباً في مرعىٰ
يا أولاد الأفعىٰ
ألفَي عامٍ أبحث عن رأسي بين الأكتاف وبين الأرؤسْ
كم جسداً مثلي يسعىٰ

طفلة

يا يوحنّا خذ منّي شفةً

طفل :

يا يوحنّا خذ منّي عيناً

صوت

يا يوحنّا

أرشدْ كتفيَّ الى رأسي

كم جسداً مثلي يسعى
كم جسداً مثلي يسعى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ
منذورٌ أفتح أبوابي لطيور الغربه
أمنح أهدابي لنعاس لا أعرف آخرهُ
موحَشَةٌ روحي
موحَشةٌ كلُّ جروحي
موحَشةٌ حتى الأرض التحضُنني الليلةَ
آهٍ من لحظاتٍ تسبق صحوتك الكبرى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للقلق الأكبرْ

منذورٌ أن أختليَ الليلةَ بالموت
ويختليَ الموتُ الليلةَ بي
وأنا المبتورُ القدمين أعالج نقطةَ مرتكزي هذي الليلةَ
منفرداً

ممتلىءٌ بالصمت ، وممتلىءٌ بالمجهول
وممتلىءٌ بجميع الأشياءِ اللاممكنة الليلةْ

وحسبتَ بأنك تعرف
أبصرتَ الناس يموتون فأنت إذن تعرف
ماذا تعرف عن لغةٍ لا يتكلَّمها إلا موتك في هذا
الليل ؟
لو تملكُ يا مجذوم القدمين وقوفاً لحظتَها
لا تتأرجح أو تنكبُّ على وجهك
مَن يدري ؟
سيقولون من الخوف
يقولون من اليأس
وتعلمُ أنك منذورٌ وقبلتَ بنذركَ
والناس يقولون يقولون ..

لو تملك أن تركضَ للموت فتختصرَ الدربَ وتختصر الخذلانْ

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ
منذورٌ أذبح هذي الليلة
فأنا أبحث عن قبلتيَ السأموتْ عليها
وعزيزٌ أن أُقتل بين الشكِّ وبين الأيمانْ

قيل انشرْ عينيكَ على الأفقِ الغربيّ
وترصَّدْ نجماً
إن صدق العرّافون نبوءتهم
يظهرْ هذي الليلةَ فوق الأفق الغربيّ

إذا انتصفتْ هذي الليلةُ فانظرْ
فإذا انحاشَ النجمُ الى زاويةٍ في الأفقِ
وأخلدَ مرتعشاً

وإذا الليلُ اصفرَّ فأبصرتَ سماءً من كبريتٍ
مغلقةً كالمعدن
تتصعَّدُ فيها أنفاسُ النَّومِ مثل دخانٍ أبيضْ
وإذا رانَ على كلِّ الأشياء نعاسٌ كالموتِ
فلا نأمةَ إلا خفقانُ النجم المذعورِ على الأفق

وإلا خبطُ جُذاذةِ ساقيكَ على الأرض
فوجِّهْ وجهكَ شطرَ الأفق الغربيّ
فقد صدقَ العرّافون نبوءتَهم
وسيظهر فصٌّ أسودُ
يسبح في وهجٍ أسودْ
فإذا أنشبَ عينيه بعينيك
فحدِّدْ حجمَ الموت المقبل
وتبيَّنْ قبلةَ ذبحكَ لا تُخطئْها
وتثبَّتْ أن تصبح سيّدَ موتكَ لا يسبقْكَ
فتُقتل مقهورا

أمّا إن مرَّ ولم يتلفَّتْ
فستستجدي عمراً آخر كي تلقاهُ
ولن تُمنحَهُ
تتوسَّلُ أن تُقتلَ
لا تُقتَلُ
أن تحيا
لا تحيا
فالويلُ
لك الويلُ

إذا أغفيتَ
إذا موّهكَ الخوفُ
ودافعْ أن تتحدّى باليأسِ
صغيرٌ حجمُ الموتِ اليلعبُ لعبتَهُ حينئذٍ فيك

ولعلَّكَ إن تبصرْهُ تجدْ ليَقيئكَ مرسى
ولعلَّكَ لا تأسىٰ
أو تجد السَّلوىٰ
ولعلَّ ..
لعلَّ ..
لعلَّ ..
خدرتُ ،
وغُيِّبتُ عن قلقي ..
حين ينتصف الليل ..

بيني وبين انتصافكَ شوطٌ أموتُ به ألف موتٍ
وأحيا .
وبيني وبين انتصافك صحوٌ
إذا عادني
فمن الضّامني أنَّ كفّيَ لن تتراعش بالكأسِ

حتى لأرتاب أني سأشربها

هلَعٌ تتحدث عنه عجائزُنا بالهمس ، وبالأيماء
وإذ يُسألنَ
يبسملْنَ ويطرقْنَ الأعينْ

ضحكتْ منكنَّ صبايانا
ورأيتُ بأعينكنَّ سياطاً
ورأيتُ الى البسمات تفرُّ الى الأطرافِ
فتغدو حركاتٍ متشنِّجةً خجلىٰ
وقرأتنَّ دعاءً ،
واستغفرتُنَّ لنا نحن الأغرارْ
نحن الما أبصرنا النجم الدمويَّ فما نعلم ما يعني نجمٌ
دمويٌّ يظهر في الأفق الغربيّ

من أين هدوؤك هذي الساعه ؟

لو كنتَ تمدَّدتَ مع الزمن المتبقّي من عمركَ طولا
لترهَّلتَ إذن واتَّسعت كلُّ خلاياك
فما أحسستَ بما ينفذ في لحمك

ترفض أن تقطع عمرك إلا عمقاً
ليكنْ
وتأمَّلْ سكّينَكَ كيف تقطّع كلَّ شرايينك وهي
تغوص الى آخر لحظات العمر

من أين هدوؤك هذي الساعةَ
أنت المترصّد موتكَ
أو سبباً يجعل موتك أنضج في عينيك

ـ أيُّها الرجلُ المبتلى
نذر الناسُ نجماً
وأنت نذرت لنجمٍ
وبينكما ليلةٌ .. أنت تعلمُ

ـ أعلمْ ..

ـ عقدوا الخيطَ سبعاً
وإذا رفعوا عنه أيديَهم
حلّتْ العُقَد الستُّ أنفسَها
أنت تعلمُ

ـ أعلمُ

ـ فانظرْ، فبينكما ليلةٌ

ـ هي كلُّ المدى

وما بيننا عقدةٌ

هي كلُّ المدى

بالنَّواجذِ حاولتُها

قلقُ العمر جمَّعتُهُ في أظافرِ كفَّيَّ ..

ـ ندري

ـ وكنتُ بصمتي أدافعُ

ندري،

ولكنَّها ليلةٌ

ـ آهِ

من يملك الصَّبرَ لوزتُهُ جحظت حولها عقدةٌ؟

آهِ من يملك الصمتَ منذبحاً بين نجمينِ

كلٍّ يُمنّيه موتاً؟

وفي كلِّ يومٍ

أصوّرُ نفسي ميتاً على هيأةٍ

ثمَّ أرفضها

أفأحمل قبري
أطوف بهِ
أسأل الناس
يا من يفصِّلُ لي ميتةً ؟

أيُّها الجسدُ الربُّ
هذي يدٌ أنكرتها جميعُ النبوءات
تضرعُ أن تتقبَّلَها

إنني أتلمَّسُ أطرافَ كلِّ المسامير في لحمكَ الحيّ
فامنح يدي جرأةً أتلمَّسُ نفسَ المواضعِ في جسدي

أنا أعلم أنَّ المسامير في جسدي سوف تصدأ
أعلمُ أنّي أرفرفُ ثانيةً ثمَّ أهدأ
لا لحمَ يبقى
ولا رسمَ يبقى
وأنت هنا منذ ألفين يا سيّدي
كلَّ ليلٍ يُظلِّلكَ اللحم

حتى إذا أصبح الصبحُ تعرىٰ
منذ ألفَين تؤكلُ يا سيدي صامتاً
أفما آنَ أن تغضب الآن ؟
أن تصرخ الآن ؟
أنِ تتغيَّر هذي الرسومُ التي أسلمتكَ الى
الصمت أن ...

ـ أيُّها المتأرجح في مَدْرج الموت ،
هل أنت وحدك ؟
ـ مَن سائلي ؟
ـ إن يكن معك الآن من شاهدٍ
فليقوّمكَ

ـ ليس معي غير نفسي
ـ تجنَّبْ إذن .
يتقدم من جاء يسعى بشاهدهِ

ـ أيها الصوت
يا لغةً شابَ رأسي عليها
يا نداء الدروب التي ضيَّعتني
يا لغةً قتلْتني

كنت أنت لي شاهداً

أنت ترفض أدري

وما كان لي أن أرى عنقي تلتوي هكذا

جئت أحمل جلدي

لقد وشمَ الموتُ حتى منابتَ أظفارهِ

أفتتغني شهادُتُه ؟

جئتُ أحمل عينيّ

تعلمُ أنهما ابيضّتا فرط ما حملق الموتُ فيَّ

وحملقتُ فيه

أيغني حضورهما ؟

ومعي جعبةٌ ،

منذ قالت ليَ امّي بأن الأظافر تشهدُ يومَ القيامةِ

جمّعتُها إظفراً إظفراً

أفتتغني شهادتُها ؟

أيُّها الصوت

يا أيُّها الـ...
هكذا ؟؟
فأنا لستُ أملك حتى بأن أدَّعي حقَّ موتي ؟

كان لي عَدَّ نبضي شهودٌ
وما أثبتوا أنني كنتُ أحيا
مَن يُعير الذي يبحث الآن عن موتهِ شاهداً ؟

يا يحيى
تملكُ عَدَّ مَنابتِ شعر الرأس شهوداً
فاتركْ رأسكَ لا تبحثْ عنهُ
فلو عاد الى أكتافكَ
تنكرهُ الساعةَ
تَسأل أن يُقطعَ
تُسأل أن تُحضر شاهدَ موتٍ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دع

ها هي الكأس تهمي

وما زلتُ في أوّل الليل

أيَّ الدروب سلكتَ فلم تُعطِ موتكَ فرصةَ أنْ
يتخيَّر يا سيدي ؟
أنت أترعتَ كأسك
لم تنهمر قطرةُ
وأنا ،
نصفُ كأسٍ وفي أوّل الليل تهمي
والمسافةُ يا سيدي جدُّ شاسعةٍ
هي مرتكزي
وهي منتصف الليل
والكوكب الدمويُّ الذي
والذي ربَّما ..
والهواجسُ يا سيّدي
كلُّ هاجسةٍ أمدٌ
كلُّ هاجسةٍ عِدْلَ دهرٍ من الموت
أيَّ الدروب تخيَّرت فاختصرتْ لغةُ الموتِ
فيك تفاصيلَها ؟

يتُها الكأس

محكومةٌ أنتِ أن تُشربي للقرار
فلا ترجفي
يَتُّها العين لا تطرفي
ندفع الخوفَ بالموتِ
أو ندفع الموتَ بالخوفِ
تلك قضيَّتُنا نحنُ
كلُّ النبوءات عاجزةٌ أن تسمّي ميتاً بلا شاهدٍ
فأنا مُرجأٌ
مرجأٌ أن أعيشْ
مرجأٌ أن أموتْ
مرجأٌ
مرجأٌ
مرجأٌ

أيُّها الميتون بلا شاهدٍ
تُرفضُ الآن ميتتكم
فاحملوا فضلَ أكفانكم
واتبعوني لمنتصف الليل هذا
ثم موتوا شهوداً على بعضكم

أيها الميتون بلا شاهدٍ
إتبعوني لمنتصف الليل هذا
إتبعوني لمنتصف الليل هذا

في نهاية الأربعين

مضى ما مضى منكَ خيراً وشَرْ
وظلَّ الذي ظلَّ طيَّ القِدَرْ
وأنتَ على كلٍّ ما يزدهيك
كثيرُ التَّشَكيّ ، كثيرُ الضَّجَرْ
كأنَّكَ في خيمة الأربعين
تُخَلِّعُ أوتادَها للسَّفَرْ
وتجمعُ للدَّربِ زادَ المُقِلِّ
كفافَ المنى ، وطويلَ السَّهَرْ
على أنَّ في قلبكَ المستَقَرِّ
جناحاً يغالبُ أن يؤتَسَرْ
وفيكَ وإن لم تَفُهْ صيحةٌ
يطول مداها ولا يُختَصَرْ

❁

مضى ما مضى منكَ والقادمات
تضيء قناديلَها للكِبَرْ

رويـــــداً تُثَقِّـــــلُ تلـــــك الخطى

وتثـــلمُ شِـــرَّةَ ذاك البَصَـــــرْ

وشيئـــــاً فشيئـــــاً تحـــول الحيـــاة

شـــريطـــاً بـــدأنـــاه عنـــد الصِّغَـــرْ

حيـــــاديَّـــــةً غيـــــر بعض الهمـــــوم

رمـــــاديَّـــــةً غيـــــر بعض الصـــــوَرْ

وأنت تُعـــــــاصي وغيمُ السنين

عليـــــك لأمطـــــارهِ مُنهمَـــــرْ

وكم ذا تكـــــابـــــرُ والأربعـــــون

ذرىً كـــلٌّ مـــا بعـــدَهـــا مُنحـــــدَرْ؟

أأوجـــــعُ من أن يضـــــجَّ الحنين

بقلبـــــكَ حتى لبـــــؤسٍ غبَـــــرْ؟

وأنـــــكَ يـــــا أقلقَ المتعَبين

تُـــرىٰ خـــاليَ البـــال حـــدَّ البطَـــرْ

وأنـــكَ تضحـــك للمبكيـــات

وأنـــك تصفـــو بـــرغم الكـــدَرْ

ومـــاذا ســـوى هـــذه البـــارقـــات

يـــرىٰ منـــكَ إذ يلتقيـــكَ البَشَـــرْ؟

على أنَّ أوجـــعَ كـــلِّ الهمـــوم

أن نـــألفَ الهمَّ حـــدَّ الخـــدَرْ

وذروةُ مـــأســـاتنـــا أنَّنـــا
نَســــرُّ ولكنَّنــــا لا نُسَـــرْ
وليس لفضـــلٍ لنـــا مَحْمَـــدُ
وليس لـــذنبٍ لنـــا مغتفَـــرْ

●

مضى مـــا مضى ، غيـــر أنَّ الحيـــاة
لهـــا فيـــكَ رأيُ بعيـــدُ النظَـــرْ
فـــإنْ بـــذَّرْتـــك سنـــونٌ مضتْ
فـــأنت لمـــا بعـــدهـــا مُـــدَّخَـــرْ
وإنْ جـــرَّحَتْ منـــكَ مـــا لا يُـــرى
صـــروفُ زمـــانٍ كثيـــرِ الغيَـــرْ
فيـــا طـــالمـــا جـــرَّدْتـــك الهمـــوم
فكنتَ على المـــوت مـــوتـــاً ذَكَـــرْ
ويـــا طـــالمـــا دقَّ مـــرمىً خطـــاك
على هـــدأةِ الليـــل حتى اقشعَـــرْ
وإذ كنتَ تعبـــرُ كـــان الغُفـــاة
يـــرونـــكَ جـــرحـــاً كبيـــراً عَبَـــرْ
كـــأنْ حُلُمُ مـــرَّ، لـــولا الصبـــاح
تُشعشـــعُ أضـــواؤه في الخُثَـــرْ

وينتصـــر الفجـــر، تطـــوي الجنـــاح
على نـــازف في الضلـــوع انتصَـــرْ
كـــذا أنتَ مستشهَـــدٌ مهمَـــلٌ
ولكنَّـــهُ عمـــرهُ مـــا كفَـــرْ!

مضى مـــا مضى، لا نهتْـــكَ النُّهـــاة
ولا آمـــرُ حيث تسعىٰ أمَـــرْ
مـــروءتُـــكَ العلَّمَتْ وحـــدَهـــا
مســـارَكَ، والأمَّنَتْ مِن عَثَـــرْ
يكحِّلُـــكَ الفجـــرُ حيث انفطَـــرْ
وتعتمـــرُ الليـــلَ حيثُ اعتكَـــرْ
وتبـــدو أنيســـاً لكـــلِّ الحتـــوف
وتبـــدو أليفـــاً لكـــلِّ الغِـــرَرْ
وتسعى الى الحيفِ أنّىٰ أنـــاخ
وتحتمـــل الـــوزرَ أنّىٰ وزرْ
ويشتجـــر الغيظُ في جـــانحيـــك
بلى كـــلُّ غيظٍ لـــه مشتجَـــرْ
ولكنَّ غيظَـــكَ صعبُ المـــراس
لـــه بين كـــلِّ الخـــلايـــا شـــرَرْ

وتعلمْ أنــــــكَ جئتَ الحيــــــاة
كثيـــرَ التحـــدّي ، قليـــلَ الحـــذِرْ
وأنـــكَ والـــدهـــرُ حـــربٌ عليـــك
جـــررتَ على النفسِ مـــا لا يُجَـــرْ
أجَـــزْتَ الـــذي عمـــرهُ لم يُجَـــزْ
وأهـــدرتَ مـــا عمـــرهُ مـــا انهـــدَرْ
وشـــــابكْتَ حتى دَميتَ وحتى
تـــركتَ على كـــلٍّ وجـــهِ أثَـــرْ
ويـــا طـــالمـــا لعقَتْ مُـــرَّةُ
دمـــاكَ فـــألْفَتْـــكَ منهـــا أمَـــرْ
بلى عِبـــرةً كنتَ ، حتى الجنـــون
تنـــاهىٰ ، ولا مـــا نهتْـــكَ العِبَـــرْ
نـــذرْتَ لكـــلِّ زمـــانٍ دمـــاك
فقـــلْ لي زمـــانُـــكَ مـــاذا نـــذَرْ؟
وهـــل ســـألَ المـــاءُ في راحتَيـــك
عُمَيـــر الـــذي يستقي أم عمَـــرْ؟
وهـــل كنتَ يـــومـــاً ســـوى مـــا تشـــاء؟
وهـــل شئتَ إلّا الـــذي لا يُقَـــرّ؟
مفـــارقـــةٌ أيُّهـــا المبتلىٰ
بـــأن لا يُفـــادَ وأن لا يُضـــرّ

مفـــــارقـــــةُ أن تكـــون الطـــويـــــل
وكـــلُّ أيـــاديـــكَ تشكـــو القِصَــرْ
مفـــــارقـــــــةُ أنَّـــكَ المبتـــدا
وأنَّ جميـــــع الــــرزايــــا خَبَـــرْ

●

بلحمــــــكَ دَثَّـــرتَ عـــريَ العُـــراة
وتعـــرىٰ فتبقىٰ بـــلا مُــــدَّثَـــــــرْ
وتسقي دمــــــاً ، أيَّ جـــــدبٍ ألَمَّ
وجــــرحُــــكَ من نخـــوةٍ مـــا زَخَـــرْ؟
وتظمـــــا فتستــــافُ كـــلَّ الـــرِّمـــال
ولا وِرْدَ ، حتى ظمــــــاكَ اعتـــــذَرْ
مكـــــابــــرَةً تفعـــلُ الـــلايُطـــاق
ولستَ على فعلــــــهِ مــــــؤتجَـــرْ
مكـــــابـــــرةً صنتَ مـــا لا يُصـــان
ويـــــذَّرت مـــــا لم يبـــــذِّرْ بشَـــرْ
مكـــــابـــــــرةً أيُّهــــــا المقتفي
رَداهُ كـــــأنَّ المنــــــايـــــا وطَـــرْ
وهـــــا أنت أتعبتَ كـــــلَّ الـــــدروب
وهــــا أنت ألهبتَ كـــــلَّ الغُمَـــــرْ

وهـــا أنت صـــاحتْ بـــك الصـــائحـــات
وشـــدَّتْ عليـك كـــلٌ قـــوسٍ وتَـــرْ
تحَيَّـــرتَ في رَهَـــجِ الحـــادثـــات
مـــاذا تُبقّي ، ومـــاذا تَـــذَرْ
وهَبْـــكَ اتَّقيتَ جميـــعَ السِّهـــام
فمن سهمِ نفسِـــكَ أين المَفَـــرْ ؟
وتبقىٰ ونفسُـــكَ نفسُ الكـــريم
لهـــا حين تـــزجـــرهـــا مـــزدَجَـــرْ

●

بلىٰ ، كـــلُّ مـــا تُنـــزل النـــازلات
تحمّلُـــهُ الأرضُ بـــرداً وَحَـــرّ
وفي المـــوت صبـــرٌ ، وأمّـــا على
ســـواهُ فمستضعَفٌ مَن صَبَـــرْ
ومـــا كـــلُّ بـــرقٍ تجلّى أصـــاب
ولا كـــلُّ غيمٍ تَـــدلّى مَطَـــرْ
فيـــا حـــرقـــةً مـــا لهـــا منتهى
ويـــا قلقـــاً مـــا لـــهُ مستقَـــرّ
بـــذَرْنـــا وهـــذا أوان الحصـــاد
وكـــلُّ امـــريءٍ حـــاصـــدٌ مـــا بـــذَرْ

وليس لنـــــا مَطمــــعٌ بــــاليجيء

ولا نــــادمين على مـــــا بـــدَرْ

ولا قـــائلين لمـــــا فـــاتنـــا

تمهَّـــــلْ ولا نـــادبين القـــدَرْ

ولكنَّنـــــا نـــرقبُ الـــذاهبـــات

وألفُ ادِّكـــــارٍ لنـــــا يحتضَـــــرْ

فيـــا دوحـــةً صـــوَّحَتْهـــا الـــريـــاح

فـــلاحت كمـــا لا يلـــوح الشَّجَـــرْ

خـــرافيـــةً ، هـــائـــلًا جـــذعُهـــا

ولا غصنَ ، لا ورقٌ ، لا ثَمَـــــرْ

ولكنْ تَبَـــزَّلَ فيهـــا اللِّحـــاء

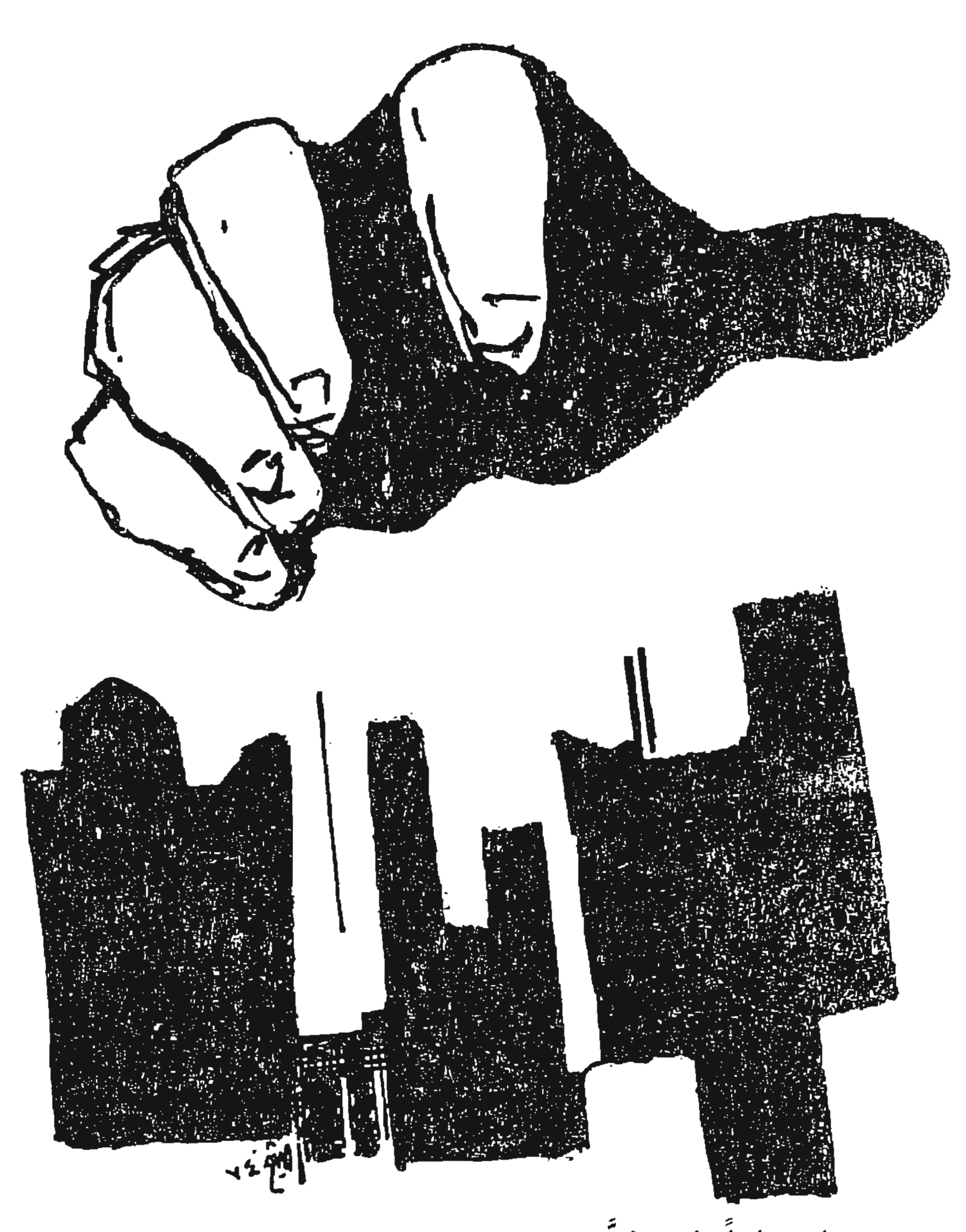
وأطلـــعَ من كـــلِّ شـــرخٍ قمَـــرْ

لـــكِ اللّه ، كم تمنحين الحيـــاة

ويـــرميـــكِ بـــالعقـــم أعمـــى بَصَـــرْ !

الخيمة الثانية

١٩٧٥



ويا وطناً له غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحات الشتائية
وأنشدُ تحتَ رايتهِ

عبدالرزاق

مواسم

جِئْتُ في موسِمِ الطَّلعِ
أسألُكُم حبّةً تَصْدقُ الوعدَ
أحملُها مهرجاناً لعُقمِ النخيلْ

عَرضَتْ لي سِباخُكمو كلَّ أملاحِها
وحَلفتُم
عدتُ منكسراً ،
واعتذرتُ لَكُم عند أهلي

جِئْتُكُم موسِمَ الملح
قلتُ الصغارُ يَشبّون
تطحنُ أضراسُهم كلَّ شيءٍ
وأخشى عليهم طعاماً قليلًا مروءتُهُ

فامنحونيَ مِلْحاً
ملأتُم جيوبيَ بالطَلْع !

أعلمُ أنَّ الدماءَ مواسِمُ في أرضِكُم
ربَّما صارَ طلْعُ النخيل دَماً
واستحال الدَمُ المرُّ طَلْعاً
وما أثْمَرَ الطَلْعُ فينا
ولا أثمرَ الدَمُ فينا
وظلَّ اتفاقُ مواسِمنا مبهَماً

لا تقولوا طريقُكَ يُفضي الى الموت
أعرفهُ
وأعرفُ أنكمو
تُفسدون عليَّ مروءةَ موتي

النذير

كلَّما احترقَتْ عُشبةٌ
رَجَفَتْ كلُّ أروقَةِ الأرض
أنَّ مسامةَ حبٍّ ستغلقُ في لحظةٍ بابَها
أنَّ قطرةَ ماءٍ تدورُ على نفسِها الآن مهمَلةً
وتعودُ لتقبعَ في مخزنِ الموت

يا عصرَ كلِّ الحرائقِ
والأنهُرِ التائهاتْ
هيّء الفُلك
واضمَنْ لِنوحْ
مَنْ يُصدّقهُ
إنَّ طوفانَكَ الغدَ آتْ
إنَّ طوفانكَ الغدَ آتْ

تنهض بين الحقائق

متعَباتٌ خطاكَ الى الموت
مَهمومةٌ
يا حسينَ بنَ مردان
لكنْ تُكابرُ

أيقظْتَ كلَّ الملاجيء
فانهزمَتْ
مَنْ يشاركُ ميْتاً منيَّتُه يا ينَ مردان ؟

مُنجرداً وحدَك الآن
يُحشَرُ هيكَلُكَ الضَّخْمُ في ضَنْكَةِ الموتِ حشراً
وأنت تكابرُ

كلُّ المياهِ تعثَّرتَ فيها لتُطفىءَ خوفَكَ
فاشتعلَتْ

موحَشاً كنتَ
مستوحَداً
تتنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسْقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ الى الصِفْرِ معجزةٌ يا بنَ مردان
أنْ تملكَ الدربَ وحدَك
تمتلك النَّدمَ المتَفرّدَ وحدَك
أنْ تلتقي والذي خِفْتَهُ العُمر
تدخلُ دهليزَهُ

إنها لحظةُ الكشفِ
وحدَكَ تملكُ أن تسمعَ الآن
وحدَكَ تملكُ أن تَتقرّى
ووحدَكَ تُبصر

تَعلَم وحدَك إن كان للخَطوِ مُرتَكزٌ
حين يفتقدُ المرءُ أقدامَهُ
حين يفتقدُ الأرض

تلك خصوصيَّةُ الموت
تملكُها الآنَ وحدَك

تحبو إليكَ المَجاهيل
تَنهضُ بين الحقائقِ
عُريان
مُنْخَلِعاً عنكَ كلُّ الدِّعائِكَ

إنَّ الطريقَ الى الصِّفْرِ معجزةٌ
إنَّهُ الخوف
عمرَكَ وطَّنتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف
لكنَّ حجمَ الذي أنتَ فيهِ
يُحطِّم كلَّ القياسات
يُسقطُ كلَّ المَعابرِ حيثُ التَفتَّ
سوى مَعْبَرٍ يَشْرَئِبُّ الى يومَ كنتَ صغيراً

تلوحُ به حافيَ القَدَمَين
مُهدَّلةً ياقةُ الثوبِ منكَ
تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي
والسنينُ التي
والنساءُ اللواتي

وتأتي حسينَ بنَ مردان مُنسَدلَ الشعرِ لِلكَتِفَيْنِ
عَصاكَ الغليظةُ تضربُ بين ديالى وبغداد
تصعدُ معراجَ قوسِكْ
كانت عموديةَ المُرتقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان
تَذكُرُ كيفَ تقبَّلَنا الموت ؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومٍ عَقَدنا على شجرِ الموتِ أجراسَها
وانتظرْنا الرياح
وكانت تهبُّ الرياح
تهبُّ

أكُنّا نبالغُ ؟
أمْ أنَّها سنواتُ البطولةِ
ينكسرُ المرءُ مِنْ بَعْدِها سُلَّماً
ثم يزحفُ للخوف ؟

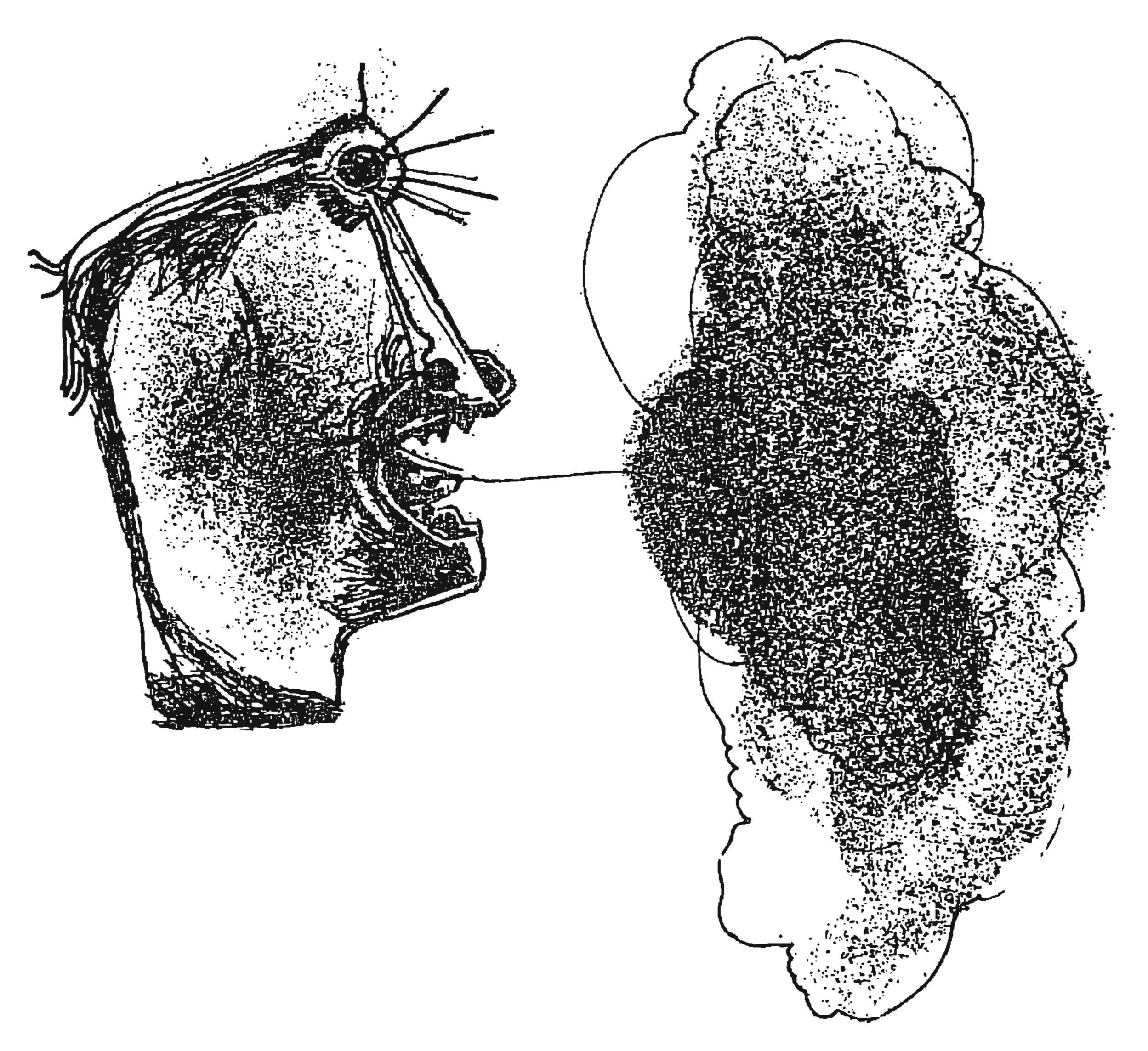
تذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت ؟
ما تَصفِرُ الريح
إلّا ويَسمعُ واحدُنا رنَّةً باسمِهِ
ثمَّ يمضي
ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان
البَشرُ الماءُ يعقدُ أجراسَه في مَهبّاتِ كلِّ الرياح

ويَختبيءُ الجَرسُ الموت
أصغرُ أجراسهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَك تُحكِمُ تعليقَهُ
وتُوَسِّعُهُ
ثمَّ تُوسِعُ حِملاقَ عينَيك فيه
فتَفزع

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان ؟

طفلًا لَهَوتَ بدُميةِ عُمْرِكَ
طفلًا سَئِمْتَ نحَطّمتَها
حلُماً عِشْتَ أن صرتَ مستوظفاً
حلُماً كانَ أن تشتري بدلةً
حلُماً أن غدَوتَ
ولو مرّةً
دائناً لا مَديناً
ولكنّهُ يا بنَ مردان دقَّ
ولم تتَّسِخْ بعدُ أكمامُ بَدْلَتِكَ الحُلْم
دَقَّ ،
وما زال دَينُكَ ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ



دقَّ ناقوسُ موتِكَ
يا أيُّها الامبراطور
يا أيُّهذا الموظفُ من قبلِ شهرَين

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً « امبراطور الأدب » .

الطـــارق

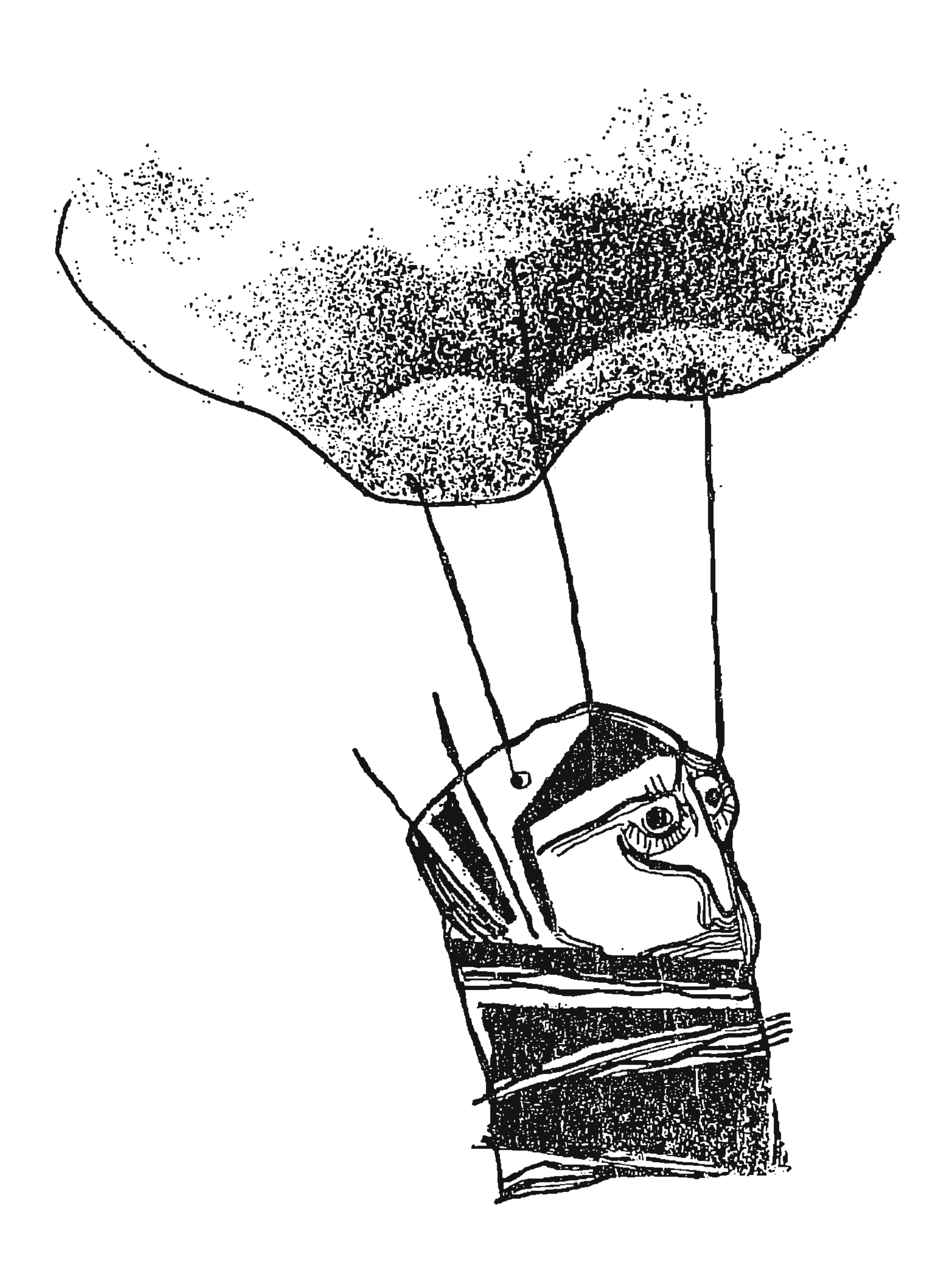
وهَا أنتَ تجتازُ خوفَ المُحبّين
تَمنحُ وعداً
أُصدّقُ
إني رأيتُ العصافيرَ تَنقرُ بعضاً
وتسقط في ساحةِ الدار
أبصرتُ كفَّ ابنتي ذاتِ عامَين
تحملُ مكنَسةً
فتوقَّعتُ ..
مَنْ طارقي ؟
المُحبَون غلَّقَ أبوابَهم خوفُ أن يَصدقَ الشكُّ
منْ طارقي وأنا محضُ نفسي ؟

علامةَ أني يَئستُ
تَحدَّيت
أني أخافُ
تَصدَّيت
قلتُ امنَحوني ولو كَذِباً أيَّ وعدٍ
فلم يطرق الوَعدُ بابي
وها كفُّ بنتي تُقلّب مكنسةً
والعصافيرُ تَنقرُ بعضاً
وتسقطُ في وَسْطِ بيتي
ومُستأذنٌ وَعدُكَ الضَّيفُ في عَتْبَةِ الباب
يا مَرحباً
لستُ طاوي ثلاثٍ،
فعنديَ نفسي
ونَذْراً لمَقدَمِكَ اليوم أذبحُ في عتبة البابِ يأسي
ومنّي مروءةُ أن أفرشَ العين،
أن نتبادلَ حتىَ مخاوفَنا
وليكُنْ
أنَّ وعَدكَ مفتاحُ كلِّ القلوبِ التي أحكمَ الشكُّ أقفالَها

النــذور

نذرٌ عليَّ لأسْرِجَنَّ الشمعَ في كَرَبِ النخيلْ
وأزفُّهُ لمياهِ دجله

نذرٌ عليَّ ،
أخضِّبُ الأبوابَ بالحنّاء
أزرعُ رايةً في سطحِ بيتي
نذرٌ عليّ
إذا سمعتُ الخيلَ تصهلُ ،
والهلاهلْ
وأهلَّة الأعلامِ تسبحُ فوق هاماتِ الرجال
نذرٌ إذا ماجَتْ يَشاميغُ الرجال
بين الأهازيجِ السَّخيَّه
سأشدُّ خصلةَ شَعرِ أختي في زنادِ البندقيه



وشرقت حتى كنت شمسا

وأصغَيْتَ حـــدَّ الغَيظ قـالـوا ، وأطنَبـوا
وخَفُّـــوا وغـالَـوا فـاستخَفُّـوا ، وأرهَبـوا
وأصْغَيتَ كـــانَ الحقُّ يُمسِـكُ نفسَـــهُ
حليمـــاً وكــانَ البـاطـلُ المحضُ يغضَبُ
وأصغَيت كـــانَ الشعبُ يُحصي صمـــودَهُ
يَـــــوَقِّتُــــهُ والغَيظُ ينمـــو ، فيُعشبُ
دمـــاً فَـدَمــاً صــوتــاً فصـوتـاً تسلَّقَتْ
منـــابـــرَهم ، والكـــونُ يقظـــانُ يـــرقبُ
وأصغَيتَ جـاشُـوا ، واستَجـــاشـوا وألَّبـوا
ومـــاجـوا ، وكـــادَ السَّيـلُ بـالكَيـلِ يـذهَبُ
فــأوجَـــزتَ أبقَيتَ العيـــونَ شَـــواخِصَــاً
وراحتْ وجـــوهُ المَستفِـــزِّيــــك تَشحَبُ
وأوجـــزتَ لم تُعْطَ الحــروفُ تـــألُقَـــاً
ولا أُلهبَتْ يـــومــــاً بمـــا كنتَ تُلْهِبُ
وأوجـــزتَ أعطيتَ المَـدى ضِعْفَـهُ مـدىً
وشَـــرَّقتَ حتى كنتَ شَمْسَـــاً ، وغـــرَّبُـــوا

*

تــــأمَّـلْ جمــوحَ الشعبِ ، تُبصــرْ لــه رَحىً
على محـــوَرٍ مِنْ صَـــوتِـــكَ الفَـــذِّ تُعصَبُ
تـــأمَّـلْ جمـوحَ الشعبِ ، يُـزجي شبـابَـهُ
الى سَبَحـــاتِ المـــوتِ غضبـــانُ أشيَبُ
تـــأمَّـلْ جَمـوحَ الشعبِ يَنـدى مِنْ الهـوى
بـــأعيُنــــهِ طَيفٌ لتمّـــــوز مُلهَبُ
هــوَ الشعبُ ، مِن خمسينَ غالُـوا ، وأرغَبـوا
وجَـذّوا جـذوراً ، واستَبـاحـوا ، وصَلَّبـوا
ومـــا زالَ مِن خمسين غـــابـــةَ جنـدَلٍ
تفـــورُ بهـــا الأغصـــانُ أيّـــانَ تُحْطَبُ
هـــو الشعبُ أدْمَـوا منـذُ خمسينَ صَبـرَهُ
وقـــد تَعِبـــوا ، والشعبُ هيهـــات يتعبُ
لقـــد حُـــزَّ حتى لم يعُـدْ فيــهِ مَبْضَـعٌ
وقـــد شُـــجَّ حتى لم يعُـدْ فيــهِ مَضْـرَبُ
فـــأرغىٰ خضيبَ النَّحــــرِ يَنفثُ غيظـــــه
وتعلمُ مـــا يـــأتيـــهِ شعبٌ مُخَضَّبُ
هـــو الشعبُ فانظـرْ حينَ تدعـوهُ بـاسِمـهِ
وتُســـرجُ أفـــراسَ الـــرَّدى ، كيف يـــركبُ

*

لقــــد جهــلَ البـــاغــون أنَّ مـــروءةً
يفجِّــــر مِن ينبـــوعِهـــا الثُّـــرّ مِخْلَبُ
وقَـــد حفَـــروا حفــرَ اللئيمِ ، ومـــا دَرَوا
بعُقبىٰ ذِمـــاءٍ في السّـــوَيـــداءِ تُثْقَبُ
ومــــا علِمُـــــوا أنَّ الطَّعينَ تَــــذودُهُ
عن المـــاءِ يَفــري جـــرحَـــهُ ثُمَّ يَشْــرَبُ
ومــــا عَلِمُـــــوا أنَّ الحليمَ إذا انْتظَى
سِــــلاحـــاً يُــزَكّي حِلمَـــهُ حينَ يَضْــرِبُ
ومـــا عَلِمُـــوا تـــاللّـــهِ حتى حسـابُنـا
دقيقــــاً ، ونحنُ الشعب « والشعبُ يحسبُ
عَــــراهُ ذهـــولٌ لحظـــــةً ، ثمَّ أجهَشتْ
تقبّلُـــــكَ الأرقــــام إذْ أنتَ أصــــوَبُ

*

وهَيّـــــأتَنـــا للمـــوت ، مِنَّـــةَ مُحسنٍ
فَسَلْنـــــا يُجبْـــكَ الآنَ أهـــلٌ ومـــرْحَبُ
وسَلْنـــــا ، وقـــد كُنّـــا نحـــاذرُ ظِلَّنـــا
من الشـــكّ ، نُعْطِ الآنَ مـــا ليسَ يُــوهَبُ
أوَيْـــلادَنـــا ، نسعى ، ويسعَـــون خلفَنـــا
الى المـــوتِ ، كـلٌّ قَـدْرَ ما فيـهِ يَـدْأَبُ

وَثِقْ أنّ أيّ ابنٍ تَعثّرَ رهبةً
يُقَوّمُهُ للموتِ مُستنْكِزاً أبُ

*

إقِمْ صَهَواتِ الموتِ ، فالسَّيلُ مُقْبِلٌ
وليسَ لهُ إلّا الدمُ الحرّ مُركَبُ
أقِمْ صهواتِ الموتِ ، أحْكِمْ سروجَها
عليها ، وعلِّم قانطاً كيف يَغْضَبُ
وعلِّمْ سلاحَ الجورِ أنّ رصاصَهُ
يشقُّ دروباً للسَّنا حيثُ يُنْشَبُ
وأنّ حِراباً لِزُّها ، كلُّ حَربةٍ
يضيءُ لها في حِندسِ الجُرحِ كَوكَبُ
وأنّا جَمعنا الكفَّ عزماً وأهبةً
فلنْ يعتلي متنَيهِ سيفٌ مُشَعَّبُ
ولكنْ رهيفُ الحدّ ، ذو مِرّةٍ إذا
أصابَ فمَهوى نَصْلِهِ لا يُطَبَّبُ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة اعلان قرار التأميم المجيد .



في معرض الرسم

حينَ صافَحتُها
نبضَ الماءُ في راحَتِي
قبلَ أن ينبضَ الماءُ في وقتِنا
مُقلَتي تتسلَّقُ
أسمعُ نَظرتَها وهي تهبطُ
قاطَعْتُها
أورَقَ الماءُ في لحْظَةٍ
سحَبتْ يدَها

الرسومْ
تتداخلُ ألوانُها
ثمَّ تَبهَتُ
هل تَرشحُ النارُ ماءً ؟
تَغلفتُ في وجهِها

العيونْ
تتقاطعُ مِن حولِنا
ثمَّ تَبْهَتُ
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
تصبحُ كلُّ الوجوهِ رسوماً مُضبَّبةً
ـــ تَرسمين ؟
تصبَّبَ نَهرا ضياءٍ بعينيَّ

ـــ أكتبُ
ها أنت تغرقُ
ها أنتَ
حوَّلت الماء

يختلطُ الصوتُ بالصوت
تصبحُ كلُّ الأحاديثِ لغطاً

وتبهَتْ

ــ لم تَنشري ؟

خلتُها تتعمَّدُ إخفاءَ ضِحْكتِها في مَسافةِ ما بيننا
فتخدَّرتُ
أصواتُنا تَتخصَّصُ شيئاً فشيئاً
تخدَّرتُ

ها أنت تفقدُ كلَّ نقاطِ ارتكازِكَ في لحظةٍ
أيُّما امرأةٍ تسلبُ الأرضَ مِن تحتِ أقدامِكَ الآن

كانَ المدى بيننا يَتوتَّرُ مِمَّا نُضيّقهُ
يترك النَفَسُ المترَدِّدُ ذبذبةً فوق أسلاكِهِ
كنتُ أغرَقُ في بِركتَينِ مِنَ الضوء

تفتَقِدُ الأرضُ أجمعُها الآنَ مُرتَكزاً مثلَ عينيكِ
أغــــرقُ
ظلَّ المدى يَدَّني حدَّ أن تَتَلامسَ أطرافُ كلِّ المفاتيح
أغــــرقُ
ــ ها هوَ زوجي تَعارَفْتُما قَبْلُ ؟
أرخَتْ جميعُ المفاتيحِ أوتارَها

الغـــابة

تَتَعرّى العيونْ
تَتَعرّى الشفاه
تَفتحُ العُنقُ المخمَليَّةُ درباً
فتَنزلقُ العَين
كلُّ العصافيرِ أجنحةٌ
يَهجرُ العمرُ كلَّ مَواسِمِهِ
أيُّها الرجلُ الطفلُ
تَعلمُ إذْ تعبثُ الآنَ أيُّ الدُّنا تَتَفَتَّحُ ؟
يورِقُ بينَ أصابِعكَ الشجرُ الحلو
والشجرُ المُرُّ
تَفجرُ كلَّ المَنابعِ
تَحفظُ دَيمومةَ الكون
تمنحُكَ الأرضُ ميزانَها
أيُّها الرجلُ الطفلُ
مَنْ لِلحياةِ لو أنَّ الطفولةَ تفقدُ سلطانَها

يَنهضُ الجَسَدُ الربُّ غابةَ أسئِلةٍ
وأنا المطرُ الرَّعدُ
والمطرُ الوّعدُ
عندي لكلِّ جذورِكَ أجوبَةٌ
لا تَسدّي مَساماتِ أرضِكِ
تَقتلْ شعوبٌ من الماءِ أنفُسَها
ثمَّ يحترقُ الجَذْر
أرجعُ مُنخلِعاً مِنْ يَقيني

فيا غابةَ الشَّوق
يا غابةَ التَّوق
يا غابةً تستَبيني
ويا غابةً كلُّ أغصانِها تعتريني
أنَّ عنديَ أجوبةً
يهجرُ العمرُ كلَّ مواسِمِهِ
كي يُغلغلَ في أرْضِكِ البكْرِ أمطارَها



أجنحة الطير

حينَ قَبَّلتُ عينَيكِ
أيقَظْتُ سربَ العصافيرِ مِن نَومِهِ
أكلَتْ وجهيَ الزَّقزَقات
على شفتي دغدغاتُ المَناقير
طَعمُ المناقير
صارَ دَمي خمرةً
وإذْ كُنْتُ كالطفْلِ
والكونُ مُرتَسمٌ في شفاهِكِ حُلمةَ نهدٍ
علمتُ بأنَّ طريقَ فِطامي طويل ...
وأسرفتُ
مَنْ قالَ إنَّ الهوى يرتَوي ؟

حينَ فتَّحْتُ عينيَّ
أبصرْتُ سربَ العصافيرِ يغفو
وكانَ وريدٌ على العُنُقِ الغَضِّ يَنبضُ

يا كُلَّ أجنحةِ الطير لا ترجِفي
أنَّ قلبيَ نذرٌ لنومِكِ

قبَّلتُهُ
ثمَّ أغفَيت
كان الصباحُ يُراقبُني

المرقص الشرقي وعينان خضراوان

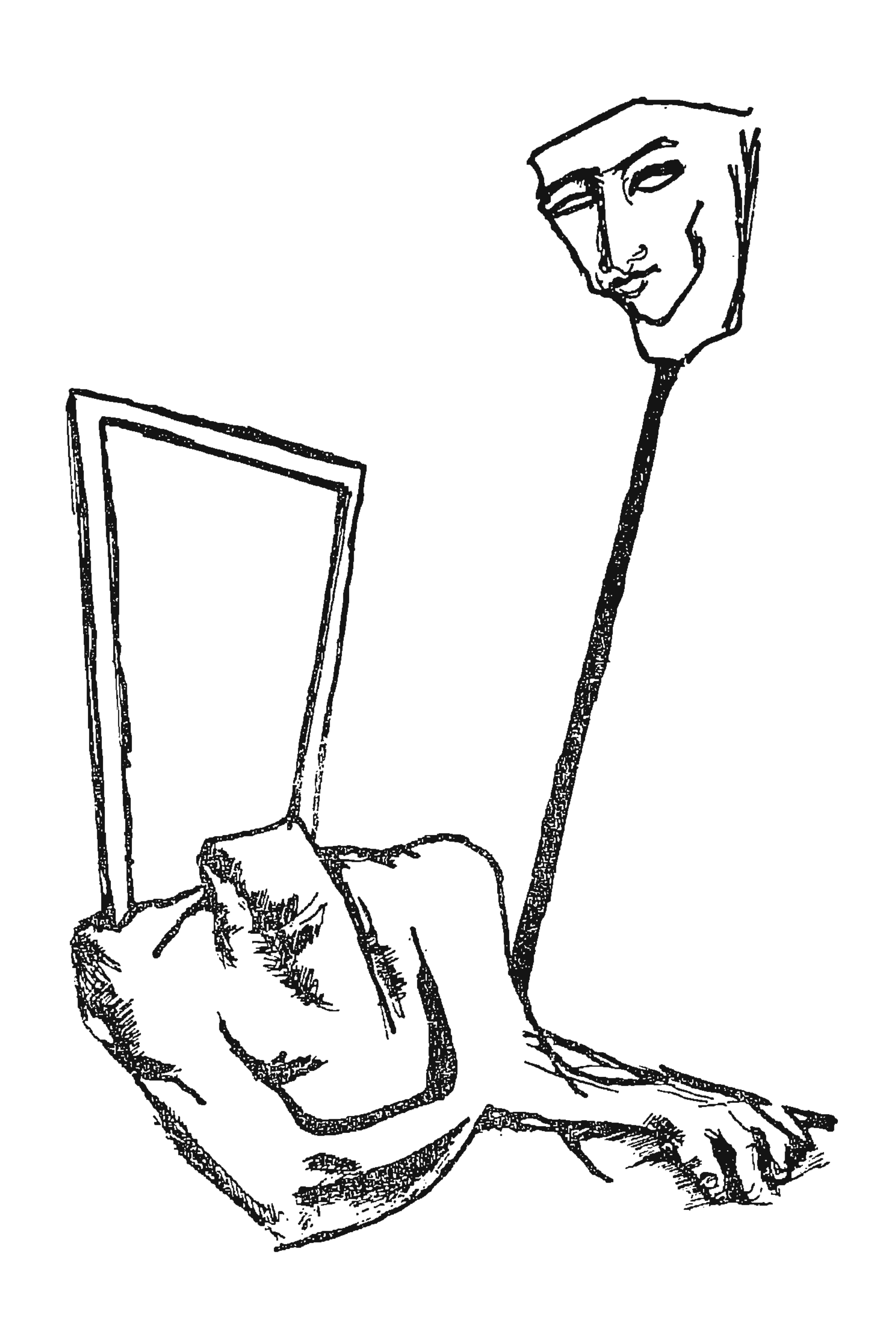
بحرٌ بلا قرارْ
وتعبرُ المَرقصَ أمواجٌ مِن الألحانْ
حقلٌ مِنَ الخُطى
اللّهَ يا مَزارعَ البلغار!

وأنتِ يا رائعةَ العينَينْ
وأنتِ منّي أين؟
أغرقُ في عينَيكِ،
في ضياعي
أحلمُ بالسهولِ والمَراعي
يَحملني شراعي
ما بين أهدابكِ في بحرٍ بلا شُطآنْ
يا سندباداً تاهَ في مَجاهِلِ البحارْ
مِنْ أينَ أقبَلتَ الى مَعابدِ البُلغار؟

المَرقصُ الشرقيُّ والألحانْ

والمرقصُ الشرقيُّ والكؤوسُ والدُخان
تعصف بي
يأخذُني الدُّوار
يَلتفُّ حولي البحر
يَنهبُني
أتيهُ فيهِ ، أُسْلِمُ القيادْ
أحلمُ في بغداد
وتَصعدُ المَوجةُ
تدبكُ الخُطى
تُهلهِلُ الألحانْ
فأسْتَفيقُ
وإذا المكانْ
المَرقَصُ الشرقيّ
وإنْ بعينَيكِ هُما البحرُ الذي
ليس لهُ شُطآن ..

صوفيا ١٩٧١



في مهب تشرين

احتجاج

اخلَعُوا عنِّيَ كلَّ الأوسِمَه
ارفَعُوا عن جبهَتي كلَّ أكاليلِ المديحْ
إنَّني أرفضُ جرحَ الكَلِمَه

أنا لنْ أسألَكُم أن تَمنَحوني أيَّ شيء
أمضَغُ الآنَ بأسناني فمي
اتركوني لسلاحي
واتركوني لِدَمي
اتركوني لترابٍ لم يَخُنِّي
لمْ يُزعْزِع قَدَمي

لنْ أعود
أنا وَسَّدتُ هنا أجسادَ أوفىٰ أصدقائي بيَدَيّ
دَمُهم فاضَ على وجهي ، وغطّى راحَتَيّ

لنْ أعود

وإذا عُدتُ

وأبصَرتُ صغاري
وإذا زوجةُ جاري
سألتْني
عن أخيها
عن أبيها
عن أبي أطفالها
أأقولْ
إنَّني وَسَّدتُهم في تُربةٍ أجهلُ في حصَّةِ مَنْ سوفَ تَؤول ؟

أأقولْ
هكذا ماتوا ؟
ذهبنا كي يموتوا ؟؟
ثمَّ عُدنا بالمَدافعْ
صامتاتْ
بسيولِ العرَباتْ
وبدباباتِنا مَخذولةً ،
ترنو إليها في الشوارعِ
والميادينِ عيونُ الأمَّهات
ووجوه الصِّبْيَةِ المنتظِرينْ

دونَ أن تُرفَعَ كفٌ ؟
دونَ أن يَعلو جبينْ ؟

زائفٌ كلُّ رَنينِ الكلماتْ
زائفٌ كلُّ نشيدْ
باطلاتٌ كلُّ تلكَ الخُطَبِ المُلتَهبه
ليسَ إلا ثِقَلُ الأرض ، وإصرارُ الحديد
ليسَ إلّا الصَّرخةُ المُحتَرِبه
كلَّما يَهوي شهيد

لن أعود

اخلَعوا عنِّيَ كلَّ الأوسمَه
أنا لنْ أسألَكم شيئاً
ولكنْ
في مَصيري
أنا رَبُّ الكَلِمَه

يوميات مقاتل عربي

« الـى محمـد الماغــوط »

١٢ تشرين ١٩٧٣

وكنتَ على فمِ الرَّشاشِ أغنيةً جنوبيَّه
وكُنتَ على فمِ الرشاشْ
عَراضةَ أمٍّ مقتولٍ لواحدِها الذي هَزَّتْ ولولَتْ(*)
كنتَ يا وطني
هَلاهلَ في فمِ الرشاشْ
تصعدُ واندلاعِ النارْ
تصعدُ من فمِ الأهوازْ
مِن قدَمَين حافيتَين
شَعرٍ مُرسَلٍ في الريحْ
وصوتٍ في العراءِ يَصيح
« أنا اخْتَكْ »
كنتَ يا وطني المُنادىٰ والمُنادي النّاخيَ المَنخيّ
وما زلنا نقاتلُ
ما يزالُ الحبُّ يا وطني يُقاتل

(*) اشارة الى اهزوجة ثورة العشرين المشهورة في العراق : « هَزّيت ولوَلليت لهذا » .

١٥ تشرين ١٩٧٣

ويا وطناً لهُ غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحاتِ الشتائية
وأنشدُ تحت رايَتِهِ
وَياما كنتُ أقرأُ تَحتَها
«عشْ هكذا»(*)
وأطولُ
أصعدُ في فمِ الكلمات
صرتُ بطولِ ساريةِ العلَمْ
ياما

(*) اشارة الى قصيدة الزهاوي الشهيرة : «عش هكذا في علوٍّ أيُّها العَلمُ».

ويومَ دُعيتُ مِن صَفّي لأرفعَهُ
وقفتُ أمامَهُ
وبَكَيْت

وها أنا أملأُ الرَّشَّاشْ
بتلكَ الدمعةِ المُجدِ النبيَّة أملأ الرشاش
يا وطني
وباسمِكَ أُطلقُ النيران

٢٠ تشرين ١٩٧٣

إمنَحْني يا وطني
شَرَفَ الموتِ لأجلِكَ في خطِ النار
هَبْني الإصرار

٢٣ تشرين الثاني
وقف اطلاق النار

يا كلَّ أثوابِ النساءِ في عَواصمِ العرَبْ
انحَسِري تحتَ الصدور
انحسِري فوق الرُّكَبْ
قد جَلبَ الرجالْ
مِن حَومةِ القتالْ
سلاحَهم وعادوا
المجدُ للصدورِ والأفخاذْ
والكأسِ والحشيش
يسقطُ يا يسقطُ يا يَعيش ..!

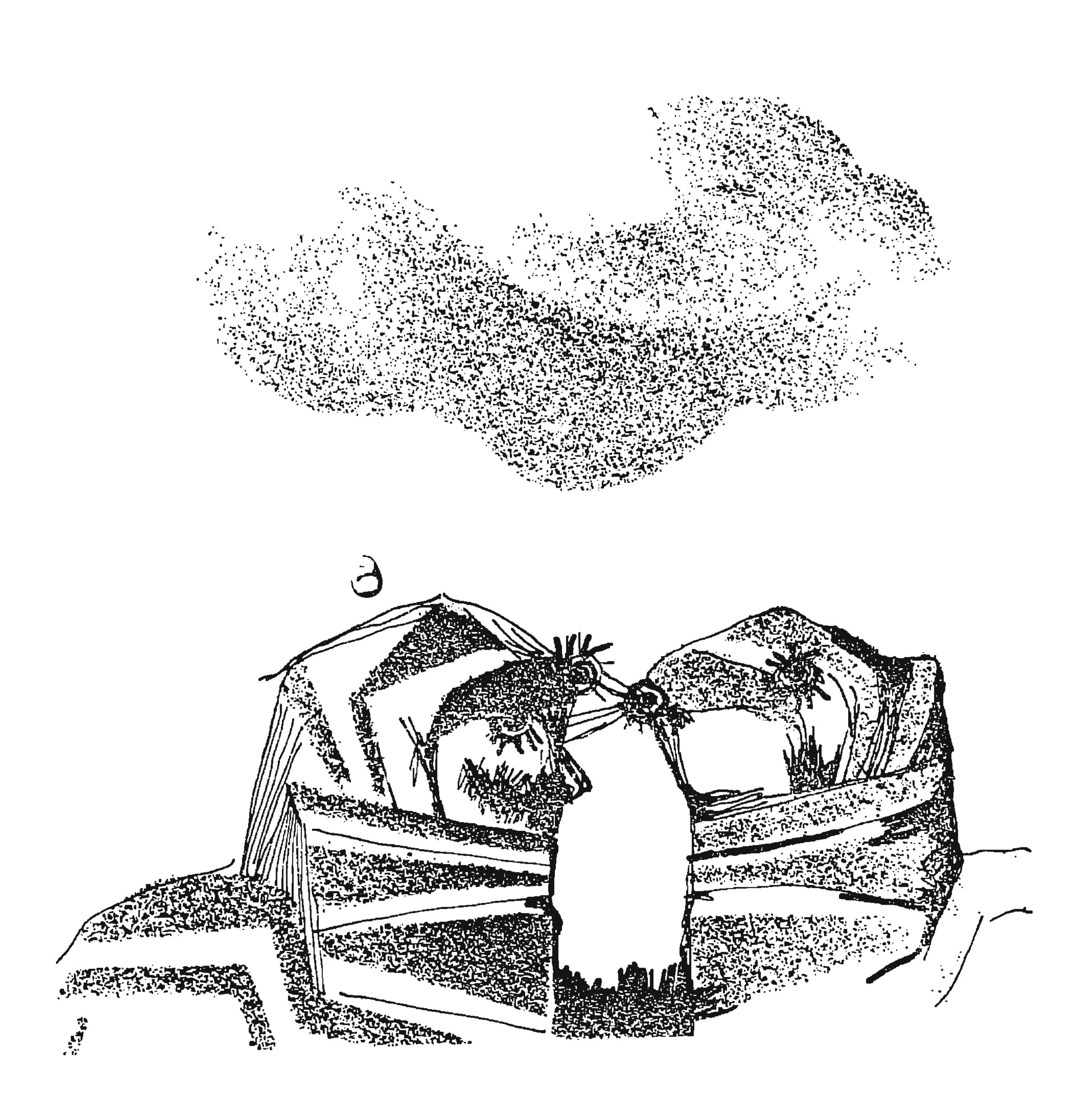
أسألكُم لحظةَ غفرانٍ كي أبكي
عندي صرخةُ مجنونٍ بالثورةِ
لكن كي أصرخَ
أسألكم لحظةَ غُفرانٍ أبكي فيها

بعد شهر واحد
في حديث مع بعضِ الأصدقاء

صدَّقوا
أنَّ دبَّابةً أُمِرَتْ أن تعودْ
رفضَتْ
عندما أُنْذِرتْ
أوغَلتْ في الحدودْ
قَتَلَتْ نفسَها

ملاحظة :

عُثِرَ على شيءٍ مثل هذا
لدى كثير من الجنود العائدين
فاعتُبِرَتْ وجوهُهم
في عِدادِ المنشوراتِ السريَّة الممنوعه



أيها الغضب الحنظل

كُتِبَتْ إثر عودة قطعات الجيش العراقي من المعركة

ارفَعوا الآنَ أوجُهَكم
وَلْتَقِسْ كلُّ عينٍ مسافةَ ما بينَها والحديدِ المُزَمجر
ما بينَها والدم المتخثّر
فوق الدروعِ
وأغطيةِ العرَبات
لِتَقِسْ كلُّ عينٍ مَسافةَ ما بينها والرجوله
أيُّها الموصِدون على الخَوفِ أبوابكم
إفتَحوها
أيُّها المُوصِدون على الحُزْنِ أبوابَكم
افتَحوها
كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامسُ هذا الحديدَ المُضَمَّخَ بالدَم
ثمَّ تلامسُكم
يَتَفتّحُ مَسْقَطُها فوق أجسادِكم عن وَريدٍ
يُمزقُ مِن فوقِهِ اللحمَ
يَسألُ :
لِمَ رَجَعوا ؟

كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامِسُ هذا الدَمَ المُتخَثّرَ فوق الدّروع
وتسقطُ في دُورِكُم
يَتفجَّر مَسْقَطُها الآنَ عن رايةٍ

كلَّما هبّت الريح
رَشَّتْ دَمَاً فوق أوجْهِكم
وهي تصرخ :
لِمْ رَجَعوا ؟

إنّهُ الغضَبُ القادِمُ الآن كالحنْظَلِ المُرّ
يَحملُ أوسِمَةَ الموت
يَحملُ إصرارَهُ في صَريفِ الدّروعِ على الأرض
يَحملُ إصرارَهُ في جراحِ المَدافعِ ترفعُ أعناقَها
كبرياءً
ورَفْضاً لأحزانِكم

افتَحوا لمَهَبِّ البطولةِ والغضبِ الحنظلِ المُرِّ أبوابَكم
إنَّهُ الشَّرفُ المُرتدي دَمَهُ
المُتوَّجُ بالموت
تُلوَى رقابُ مَدافعهِ عُنوَةً عن مَيادينِها
عُنوَةً تتشبَّثُ بالسُّرفةِ الأرض
تجأرُ من غيظِها وهي ترفُسها
عُنوَةً تحملُ الطُّرُقُ الآنَ وَطأةَ هذا الحديد
ووَطأةَ رفضِ الجراحِ العظيمةِ
أن تغتدي مَحضَ أوسِمةٍ

لا ادّعاءَ
ولكنّهُ العلَمُ المُستقِرُّ على قمّةِ النصر
يُخلَعُ من جذرهِ
ثمَّ يُلقى لأحذيةِ المعتَدينْ
فتَدوسُ الهزيمةُ شامتةً فوقَهُ

لا ادّعاءَ
ولكنّهُ الشَّرفُ العربيُّ المُصوِّتُ عبرَ الجزيرةِ
مِن عُمقِ آسيا
ومِن عُمقِ أفريقيا
في حَناجرِ هذي المَدافعِ
أخرَسَهُ الأمرُ بالصَمت

توشِكُ أفواهُ كلِّ المَدافعِ أن تَستديرَ على نفسِها
ثمَّ تُطلق نيرانَها !

لا ادّعاءَ
مَهيضٌ هوَ الجرحُ
يَنضحُ بالغضبِ الحَنظلِ المُرّ
فَلتَفْتَحوا كلَّ أبوابِكم
إنّهُ الصَّادقُ الوعد

القادِمُ الآنَ مِن حَومةِ النار
يحملُ أمجادَهُ حدَّ أن تقْشَعِرَّ الشوارعْ
يَحملُ أمجادَهُ حدَّ أن لا مجالَ لأن يُسألَ الدَمُ والموت

مَنْ يَجرؤ الآن أن يسألَ الدَمَ والموت ؟

ها هو ذا
السؤالُ الكبيرُ يَمرُّ أمامَ مَحاجِركُم
يتطلَّعُ مِن فوّهاتِ المَدافع
مِن قبَّعاتِ الدروعِ
مِن السُّرَفِ التَّمضغُ الأرضَ حدَّ الوَعيدْ
ومِن نَظَراتِ الأسودِ الجريحة
المُتكبّرةِ المُستفَزَّةِ فوق الحديد

يا أكُفَّ الصِّغارِ التي لَوَّحتْ في الليالي
يا أناشيدَهم للقتالِ
يا هَلاهِلَ نسوَتِنا
يا وجوهاً همىٰ الدمعُ والفرحُ الحُبُ مِن فوقِها
وهي تركضُ حافيةً في الليالي على صوتِ قطعاتِهم
تتدفَّقُ ملءَ الشوارعِ للموت
يا فرحَ الشعب
يا غضبَ الشعب

يا حُبَّهُ
قفْ خشوعاً
فكلُّ الدروبْ
خاشعاتٌ لِثقْلِ الذي فوقَها
خاشعاتٌ لإحساسِها
أنَّ هذا الدَمَ الحنظَلَ المُرّ
لا بدَّ يوماً يَؤوبْ
إنَّ هذا الدَمَ الحنْظَلَ المُرّ
لا بُدَّ يوماً يؤوبْ

قضية الشهيد الرقم ١٠٠٠

ارفَعُوا عنّي غطاءَ القبر
إنِّي سأقاتِلْ
مَرّةً أُخرى أقاتِلْ
بالرَّصاصِ المُسْتَقِرِّ الآن في صَدرِي
أقاتِلْ
بِشرابيني التي أفرغَها النَّزْفُ
أقاتِلْ
وبمَوتي ، كلِّ مَوْتي ، سأقاتِلْ

إنّكم لمْ تَتْرُكوا لي غيرَ قَبْرٍ ، وبقايا شاهِده
كانَ مَوْتي وَحدَهُ المُثْبت فيها
الشهيد الرَّقَم ١٠٠٠
ماتَ مجهول الولاده

ورَحَلْتُم

قلتُ مجدٌ أنَّ لِي مِنْ وطني قَبْراً ، وتأريخَ شهاده
قلتُ باسمِ الوطَن المَشْغولِ عنّي بانتصارهْ
الذي تَسْبَحُ دباباتُهُ الآنَ بِنارِهْ
أرْتَضي أنّي أموتُ الآنَ رقماً
عارِياً حتّى مِن اسمي
زَوْجَتي تعرفُ ميلادي ،
وأطفاليَ أيضاً يَعْرِفُون
ولتكُنْ يا وَطَني إسماً ، وتأريخَ ولاده
وليكنْ قَبري وطنْ

كنتُ أزْهو
أنّني أسمَعُ صوتَ الريحِ إذْ تَعْبرُ قَبرِي
تَتَهجّا كلُّ حَرفٍ مِن حُروفِ الشاهِده

كنتُ أزْهو
وأنا أسْمَعُ دباباْتِكُم تُرعدُ حَولي
أنَّ قَبْري سَعةَ الأرضِ
وأنَّ النّارَ باسمي الآنَ تُطلَقْ
أنا مَنْ لا اسمَ له

كُنْتُ أزْهو

أنّني جزءٌ مِنَ الأرْضِ التي تحمِلُكم
أرفعُ صدْري كي أمسَّ التُّربَةَ الكنتُم عليها تَعْبُرون
ورَحَلْتُم

أيُّها المُنْهَزِمون
إنّني أسمَعُ صوتَ الشاهِدَه
تسْتَغِيث
تحتَ دباباتِكم ..
أسْمَعْ أقدامَهمو تَحتلُّ قَبري
وأنا يُمْسِكني الموت
فلا أملكُ حتى أن أصيح :
« هَلي
يا مَنْ ضَيّعوني »

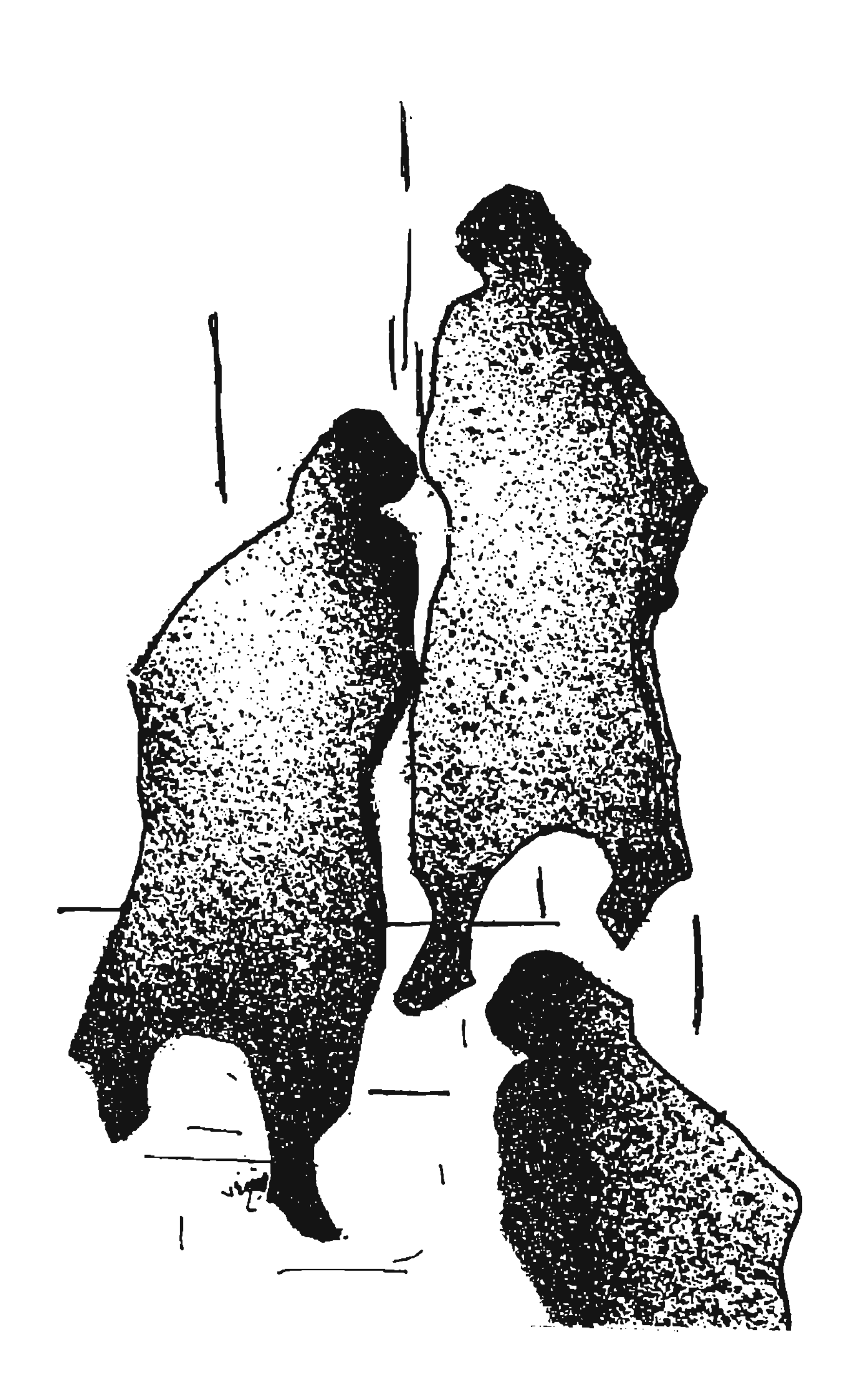
إنّها لوعَةُ مَنْ لا قَبْرَ له
إنّها لوعَةُ مجهولِ الهويّه
الذي حارَبَ مَزْهوّاً
ولمّا مات
ألفىٰ أنّه حارَبَ مِنْ دونِ قضيَّه
لا تَقُولوا لِصغاري

لا تَقُولوا لأخَيّاتي ،
لأهلي اليَملأون الآنَ داري
انني متُّ شهيد
إنَّ مَنْ يُحْتَلّ حتّى قَبرُهُ ليسَ شهيد

سأُقاتِلْ
لِيكونَ القَبْرُ لي
سَوفَ أقاتِلْ
أنا عن قَبري أقاتِلْ

إنَّها خمسُ رصاصاتٍ بِجِسْمي شامتاتْ
ملءَ قَبري يتهامَسْنَ عليَّ :
الآنَ مات

أيُّها المُنهَزِمونْ
أنا ما عُدت شهيداً لقضيَّه
صِرتُ مَيْتاً بائِسَاً ،
صِرْتُ خَطيّه
ولكي أُقتَلَ مِنْ أجلِ قضيَّه
سأُقاتِلْ
ولِيَكُن قَبْري قضيَّه



أغنية حب للجبهة الوطنية

ها أنتَ يا وَطنَ الشهادةِ تمنحُ الخُطُواتِ فجرَ الدرب
للقَدَم التي قُطِعَتْ
مكاناً تَسْتَقِرُّ الساق
لِلماتُوا
شهادةَ أنّهم وُلِدُوا
لِمَنْ يأتون
أوراقَ انتماءٍ أنّهم أولادُكَ الآتون
وللشُّهداءِ إيصالَ اعترافٍ أنّهم ماتوا لأجلِكَ
أنتَ يا وطنَ الذينَ قضَوا لِشحِّ الماء
ثمَّ قضَوا لفَرطِ الماءِ
يا وطَنَ الحرائقِ
والبيارقِ
والأخاديدِ الكبيرةِ
تَمنحُ الخُطواتِ فَجْرَ الدرب

تُسرجُ صَهوةً للموت
تُسرجُ صهوةً للعابِرِينَ إليكَ نهرَ الموت
تمنحُ كلَّ مُعجزةٍ مداها

أُقسِمُ يا وَطَني أنك تَشفي الأعمى والأكمَهَ والأبرَصْ
أُقسِمُ أنكَ إن شِئْتَ تَقُلْ للشَمس قِفي في سَمْتِ الرأسِ تَقِفْ
حتّى تَحْتَرِقَ الظُلمَةُ في كُلِّ حناياك
أُقسِمُ بالنَهْرَينِ اجتَمعا في شَطّكَ
أنكَ صِرتَ الأبهى
أن مياهَكَ أنقى
أن الزَّبَدُ سيذهَبُ عنك جفاءً
أمّا ما يَنْفَعُ هذِي الأرض
فَيبْقَى

دَورُكَ أن تُقسمَ لي يا وطني
نتعادَلْ في العهدِ ونقتسم العُقبى
عهداً
أنْ تَمْنحَني عيشاً لا جِزيةَ فيه
أنْ تمنحَني موضِعَ قَدمٍ أحميه
عَهْداً يا وَطَنِي أنْ تمنحَني موتاً لا شُبْهَةَ فيه

اسماً

يُكتبُ إنْ متُّ على شاهدةِ القَبْر

يَقولوا أبحَرَ في شَطٍّ مِن نَهرَينِ امتزَجَا

لم يُثمرْ شجرٌ يسقيهِ بلونَين

ولا طعمَين

فلم يتمَزَّقْ هذا الميّتُ بينَ الحامضِ والمالح

بين الحُلوِ وبينَ المُرّ

ولكنْ ماتَ وفي فَمِهِ طَعمُ الوَطَنِ البِكْرِ المتَوحِّدِ والمتفرّد

طعمُ الأرضِ ورائحةُ الأرض

وكانَ على شَفَتَيْهِ هتافٌ للجَبْهه

انه الفجر ينهض

حينَ يَرْتطِمُ الغَيمُ بالغَيم
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البَرْقَ مُعجزَةً
يَنْهَضُ الفَجْرُ في الليل
أو يَنْهَضُ الليلُ في الفَجْر
قدْ يُخطىءُ الظَنُّ
لكِنّمَا الرَّصَدُ الحَدْسُ
يَحْتَضِنُ الرَّعدَ قبل اندلاعِ البرُوق

النجومْ
رحَلَتْ عن مَدارَاتِها
أخْلَت الدَّربَ
إنَّ شِهاباً توسَّطَ في وَتَرِ القوس
يَجمعُ أطرافَها

ثاقِبُ ضوءُ سَهْمِكَ تموز
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البرقَ معجزةً

إنّهُ الفجرُ ينهض
يرتَطِمُ الغيمُ بالغَيم

أسقَطَ كلَّ حساباتِهم أنَّ بَرقَكَ أسرع
إنّهم حسبوا للرعودْ
حسبوا للغيومِ التي تتجمعُ ألفَ حسابٍ
وما حسبوا لالتحامِ الغيومِ حساباً

وأعلنَ عن نَفْسِهِ البرقُ
أعلنَ عن نَفسِهِ هاجسٌ يتنفَّسُ في رئةِ الشعب
يعرفُ أنَّ النجومْ
رحَلتْ عن مُداراتِها
أخلَت الدربَ عن كوكبٍ يتوسَّطُ في القوس
يجمعُ أطرافَها

ويجيءُ القدَرْ
ثاقباً
يتَخطّى حساباتِهم
مُفْعَماً بالمَطرْ

كُتِبَتْ في الذكرى الرابعة عشرة لثورة تموز ١٩٥٨

أمنية لعام جديد

« مهداة الى م . س . »

تسألُني أن أتَمنَّى ،
ما الذي أُريدْ
لوْ أنّني وُلِدتُ مِنْ جَديدْ
آنسَتي
إنِّيَ كلَّ يومْ
أولَدُ مِنْ جَديدْ
أموتُ مِنْ جَديدْ
وبعدَ كلِّ موتْ
أفزعُ مِن ولادتي الأخرى
أودُّ لوْ .
لكنّني أُولَدُ رغمَ الخوف
لكي تَتمَّ اللعبةُ الكبرى

آنستي

ما بينَ ميلادي وموتي كلَّ يومِ
أشتهي مَرَّه
لو أنّني كمثلٍ ما يُولَدُ كلُّ النّاس
أُولدُ طفلًا مرةً
ومرَّةً أخرى
أموتُ طفلًا
دونَ أنْ أفهمَ هذِي اللُّعبةُ الكبرى

الخطيئـــة

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟
عيناكِ ، والشمعةُ المستقِرَّةُ في كَأسِها
تَقْطرانِ
وتَقطرُ
لكنْ
أنا الذائِبُ المتكبّرُ في صَمْتِهِ

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟

ــ ما كُنْتُ أحلمُ أنكَ
ــ ماذا ؟
ــ تُفكّرُ بي

طفلةٌ
كيف أُفهِمُها أنَّ في كأسِها الآن خَمْراً

وانيّ اهيمُ بها هكذا
طفلةً
أتأمَّلُها مثلما يتأمَّلُ رَبٌّ خطيئَتهُ

كيف أُفهمُها أنّها الآن أصغرُ مِنْ أنْ أُغازلَها
أنّها الآن
أكبرُ مِنْ أنْ أغازلَها

لحظة عري

تقاطَعَتْ أعينُنا
تَدنو الوجوهُ ثمَّ تنأى
أعينُ الطلابْ
تَرمُقنا
أبحثُ في بحارِ عينَيها عن الشُّطْآن
عن ساريةٍ أضَعتُها

ـ نسيتَني ؟
أربَكَنِي السؤال
أبدو عارياً أمامَ عينَيْ طفلةٍ نسيتُها

ـ ألَسْتِ ؟
ـ لنْ تَذكر
ـ أنتِ .. ؟
ـ لا
سنَنْسىٰ
تكثرُ الوجوهُ
نَنْسىٰ

تعْبرُ السنين
نَنْسىٰ
أعيُن الطلابِ كَم تُرْبِكُ
ــ هل ذكرتَ .. ؟

يا كُلَّ السَّماوات التي تغفو بعينَيها
شراعٌ تاه
لكنْ أين ؟
نجمٌ تاه
منذُ متى ؟
ولكنْ أعيُنُ الطُّلابِ
وهي تُلحُّ
ــ تَذكرُ ليلةَ الميلاد .. ؟
ــ ها .. ؟!
وأضاءَ نجمٌ بين عينَيها
شراعٌ عادَ مِنْ سَفَرٍ بعيدٍ بين عينَيها
وكانت أعيُن الطلابِ تطفو
ثمَّ ترسبُ
ثمَّ تطفو بيننا
ــ هيّا الى القاعه

احتراق يومي

وكأنَّما أوهَمْتِ وَهما
وكأنَّما لَمْ تَرسمي عينَيك في عينَيهِ رَسما
وكأنَّما ..
عبَثُ ونأسفُ ألفَ مرَّه
ونعودُ نعبثُ ،
ثمَّ يذبحُنا التَمَزُّقُ كلَّ مَرَّه

ولأنَّ حبَّكِ لمْ يكنْ إلّا ظُنونْ
قُلْنا يكونُ
ولا يكونْ
قُلْنا
ومثلَ الأُخْرَيات
سَتَمُرّ
نذكرُها كَوجهٍ مِن وجوهِ الأُخريات
يومان
أُسبوعان
عفْوَكِ ،

نحن أصبَحنا نكونْ

وكأنَّما أوهَمتِ وَهْما
وكأنَّما لمْ تزْرَعي شفَتَيكِ في شَفَتَيهِ وَشْما
وكأنَّما كانَ انتظارُكِ والطريقُ على مَداه
محضَ انتظارْ
كانت مُراقَبةُ الطريقِ على مَداه
محضَ ابتكار
ولَبسْتِ ما كَان اشْتَهاه
لأنّهُ كانَ اشْتَهاه
وأرَيتِهِ لونَ الأظافر مثلَما كانَ اشْتَهاه
وكقطةٍ مقرورةٍ بيضاء كُنْتِ تُمرّغين
في صدرِهِ المُتَهدّلِ الأزرارِ وجهَكِ
تَرجفين
وتُغَمْغمين

ومضَيتِ
لا كَانَ الطريق
ولا خُطاكِ على الطريق
ولا ابتسامَتُكِ الصغيرةُ
لا التَّنَهُّدة الغَريرَةْ
إلّا ابتكارْ
محضَ ابتكار



توقيـــع

« الى ل . ب . »

عِنْدَما تدخُلِينَ الى خيمَتِي
يُعشِبُ الرملُ فيها
يَنْبتُ الورَقُ النَّضْرُ بين فطورِ الحطَبْ
تهرَعُ الكلماتُ إليكِ
تُفتِّتُ أنفسَها أحرُفاً
تتسابقُ كي تقرأيها
عندما تدخلين الى خيمتي
ما الذي يعترِيها ؟!

توقيـــع

« الى س »

أأنقُ مِنْ نَحلَه
أعزُّ مِنْ سُنْبلةٍ ريّانةٍ طفلَه
أعذبُ مِن قُبْله

كلُّ بَهار الهندْ
كلُّ مياه السِندْ
مزرعةٌ مِن قَصَبِ السُكّرْ
تقطَّرَتْ في غُصنِ سنديان
يلتفُّ بالماكسي
يا غُصُناً أسمرْ
يا كَرْمةً تكاد مِن عُنقُودِها تَسْكَر
يا ثرَّةَ المياه
تفطَّرَتْ كلُّ شفاهِ الكلمات
احترقَتْ
على ضِفافِ نهركِ الإله

توقيـــع ثالـــث

كَسَرَ الموجُ كلَّ ضلوعِ السَفينَه
عبَثَ البحرُ بالسندباد
ولما أضاءَ له مَرفأٌ
فَقَدَ البحرُ ساحِلَهُ

أنتِ
يا مَرْفَأً فَرَّ لحظةَ أومَأَ لي
أمهِلي
يا بِحارَ العيونْ
أمْهِلِينا
فإنّا غداً راحِلُون

سلسلة الذهب

سلْسِلةُ الذَهَبْ
تعبَثُ بالأصابعِ البَلُّورْ
يَعب فيها قَلَقُ الأصابعِ البلّور
تصعدُ للشفاه
تسكنُ في مَواطِنِ اللَّهبْ
تُفلِتُها ،
فتهبطُ السلسلةُ الذَهَبْ
تدخلُ في منعَطَفاتِ النورْ
وتلتقي العيون
يَبتَسمان ،
تهبطُ العيون
تنكَسِرُ النظرةُ
تلتَقِي الهواجسُ التَّوقّعُ الظنون
يَلتَقِي المجهولُ كلُّهُ
على سلسلةِ الذَهَبْ

دعوة الى كل شيء

مَعبَرٌ في حرائقِ عينَيكِ
يومِيءُ لي
الشواطيءُ مَرْفوضةٌ حين يشتعلُ الماء
كلُّ المحيطاتِ أسفَحُها للنداءِ المُلوّحِ
ما بينَ عينَيكِ
هل تفتحُ الجُزُرُ المُستحيلةُ مَرفأها ؟

ان صاريةً تتألَّقُ في الموج
ينْشَطِرُ الماءُ شَطْرَين عنها
ستأتيكِ عريانةً
حَدَّ أن تُبصِري بين أنساغِها النَفَسَ المُتردّدَ
عريانةً
حدَّ أن يخجلَ الماءُ من عُرِيها

أيُها المَعْبَرُ المُتوثِّبُ بين الحرائقِ
هل تفتحُ الجُزُرُ المُستَحيلةُ مَرفأها ؟
إنَّها شارةٌ للتَّصَدّي !

ممر الى قلق متوقع

هكذا ؟

مثلَ سُنبلةٍ كُسِرَتْ

مثل عشٍ تُهاجِرُ منه العصافير

تعرى ؟

هكذا فجأةً يهبطُ الفقر ؟

تقبعُ وحدَك

لا صَوْتَ

لا ضِحكةٌ

لا شِجار

وبين السجارةِ والثانيهْ

تنطوي مثلَ عود الثقابْ

وتَشيخْ

هكذا تتساقطُ كلُّ المعابِرِ

بينكَ والحُبّ ؟

بينك والخوف ؟

بينك ..

وا مَعبَراً قلقُ العمرِ مِن دونِهِ

المقاضاة

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كُلُّ مَنْ مات
أسقَطَ عنّي وعن نَفْسِهِ عبءَ أن يشهَدَ الآن
لِي أو عَليّ
فأنّي أخافُ شهادةَ أمواتِكُم
أرتَضِيكُم شُهودِي
أنا المُسْتباحةُ ذاكرتي
المؤجَّلُ مِنْ يومِ مقْتَلِهِ رَهنَ تحْقِيقِكُم
نُشِرَ النّاس
كلُّ القياماتِ قامَتْ
وما زالَ منتظِراً
أإذا جاءَ يَسْعَى
نظَرْتُم إلى بعْضِكُم
ما الذي تُنْكِرون ؟
ألَمْ تُبْصِرُوا قَبْلُ مَيْتاً يُراجِعكُم ؟
ألفَ ميتٍ تَركتُ على الباب

: بل واحدٌ يتكَلَّمُ عَنْكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلَقُ البابُ مِن خَلْفِهِ
ثمَّ يُقتَل
دافعْتُهُم
وركضتُ الى سِترةٍ كنْتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كَما الطير
أحملُ نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهُم

: أنا عندي بطاقةُ موتٍ

عندي سيفٌ في خاصرَتي
لا أملكُ مقبضَهُ
لكنّي أملكُ خاصرةً فيها سيفْ

ورهيفٌ حَدُّ النُّصلِ
وأحضنُكم حَدَّ تَمَزُّقِ أحشائي
زَهواً في خاصرَتي أحملُكم
آهِ
ويقتلُني زَهوي
لكنْ يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زَهوي
بطاقةَ موتي القديمةَ
يا مَنْ جَعَلْتُم مِن الموتِ مُنعطَفاً
وجَعَلْتُم مِنْ الموتِ مُخْتَبَراً للدِموعْ
وكانَ الشهادةَ
تُمنحُ للمتَخَرِجِ فيكُم نبيّاً
وصَغَّرْتمُ الموت
حتّى تأبَّطَت الناسُ أكفانَها

أفإن جئتُ أسعى نظرتمُ الى بعضِكُم ؟
إنّه القتلُ عَمْداً

أرى جَسَدِي موثَقاً بينَ قُضبانِ أعيُنِكُم
وتقولون : شُيِّعتَ
يخذلُني الحُبُّ حتّى أوافِقَكُم

وللمرّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتِكُم
لم يجدْ إسمَهُ بينهُم

ماتَ مِن دونِما شاهدٍ ؟
لِيَكُنْ
سلِّمُوه جنازَتَهُ
ويُوقِّعَ ألّا تكونَ على قَبْرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على البابِ ألفاً
قرأتُ عرائضَهم كلَّها
كيفَ كذَّبْتُموهم ؟
كلُّهم سَمعوا هاتفاً
كلُّهم أبْصَروا علَمَاً ضَرَبَ الماءَ فانْشَقَّ
قالوا تباركَ موسىٰ
وخاضوا
فَمَنْ سَحَبَ العَلَمَ المُسْتَقِرَّ مِنَ الماء ؟
فِرعَون ؟؟
أمْ ساوَرَتْ رِيبةٌ قَلْبَ موسىٰ ؟
وقالوا خُذِلنا
ودَارَ بِنا الموج
كلُّ المَرافيءِ كانَتْ تُضيءُ
ولَكِنَّ أعيُنَنا نُذرَت لفنارٍ من القَلْبِ تَصْعدُ
خفْقَةُ مِصباحهِ
فهي تَبحثُ ..

ثمَّ سَمِعْنا بأنّا نُعِينا الى أهلِنا
فَرَجِعْنا
ونقطَعُ مِنْ لَحْمِنا

ونُريهِم دَمَاً تَتوهَّجُ رَغوَتُهُ
فيقولون :
لكنْ دُفِنْتُم ..

كُسِرَ النابِضُ فيكَ إذن
فَتَأرْجَحْ في الماءِ كما تَهوى
لا تَخضعْ إلّا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أمّا الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلّا أسماءٌ

بل أنزلتُمْ سلطانا
وحَكمتُم بالموت
ونَفّذتُم إعلانا

وتَركتُ على البابِ ألفاً يلاحقُني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تَتَبَيّنَ
سَلْهُم ،
متى يُطلقون سراحَ جَنائزِنا ؟

ها أنا الآنَ أسألكُم
ها أنا الآن أسألُكم

ويُعاتبُني صِدْقُكُم
ويُعاتبني النّاسُ فيكُم
ودَربٌ قطَعْنا معاً
ويُعاتبُني أنَّكم خَيْرُنا رغمَ ما كان
يَنْكَسِرُ الغيظُ في راحتي غُصُناً
كنتُ أشهرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكُم
أورَقَتْ كلُّ أشواكهِ
وإذا أخطأتْ
وَخَزَتْني

يا ما بَحثْتُ
أنا المُسْتباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقِكُم
لمَيادِينِكُم
قلتُ أهلي
فما ولدَ القَطْرُ في حائطٍ رجُلًا

وعَرَضْتُم ليَ اليُتمَ حتى انكسَرتُ
وأُنْكِرُ أن أُتَبَنَّىٰ على كِبَري
إنّني شِختُ حَدَّ ابيضاضِ العيونْ

ونظرتُم الى بعضِكُم ..
وَيْ
أُصِرُّ على تُهمةٍ أَتَلبَّسُها
صِرتُ فيكُم لَقيطَاً ؟
وقدْ كانَ مائي
وكانَ إنائي
وكانَ القميصُ الذي تَنشرونَ خَضيباً قميصي
وأذكرُ أنّي ..
ولكنّني لم أعُدْ أتَذكَّرُ
ذنبيَ أنّي نَسيتُ على الدربِ ذاكرتي
قلتُ يعرفُني النّاس
أرتَضيكُم شهودي وإنْ كُنْتُ أجهَلكُم
كُلُكُم تَمْلِكُون جِراحاً
كُلُكُم ستُدينونني
غيرَ أنِّي أُحذِّرُ أسرعَكم للإدانةِ
أنّي سأسألُهُ
ولقدْ كنْتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ أُعلّقهُ
فوقَ رُمحي
وقيلَ انتَصِفْ :

عنُقٌ وسَّدَتها المَقاديرُ سيفَك
إنْ هوَ إلّا كما تَطْرِفُ العَين
تومِيء لِلكَتفَين
فينزَلِقُ الرأس
تَعدو به بَطلًا

وتأمَّلْتُ
ألفيتُ حنجَرةً جحَظَتْ
واستطالَ مِن الخوفِ بلعُومُها
لستُ أدري لماذا تذكرتُ أعناقَكم فارتَعدتُ
وقيلَ انتصِفْ
أتَرى ؟
إنَّني لم أُخَيَّرْ
وها أنا أدخلُ وَجْدَك يا حُرُّ
لكنْ مِن الطَّرَفِ الآخرِ المُتمَزِّقِ
فاغفِرْ مُكابرَتي يا رياحيُّ
ما كُنْتُ أملِكُ نفسيَ في حالَتيَّ
لهذا أموت
وتملكُها
ولهذا تَموت
وشتّانَ شتّان ما بيننا

أنْ تُطارِد موتَكَ حتّى تُطَوِّعَهُ
ويُطارِدُني الموتُ حتّى يطوّعني

حينَ قَدَّمْتُ رأسي لهم
رفَضُوا
قلتُ لا أدّعي عُنُقاً لستُ صاحبَها
فامنَحوني بُطولةَ رأسي
ضَحِكُوا
قيلَ لوْلا تَرَكْتُم أخاكَم يُمارِسُ حربَ الطّواحين
هلْ كانَ دَرْبي طَويلًا إلى عَصْرِكُم ؟
إنّني لستُ أحملُ ذاكرَتي
وأنا مُستَقِرٌ على أن أقاضىَ
فَلْيَفْرِشْ كلٌّ منكُم ذاكرةَ البَطَلِ القادِمِ مِن سيناءْ
وَلْيَحشُ بعينَيَّ قميصاً خضَّبَهُ في الأردُن
وَلْيَدْمغْ وَجهي بالعار
لأنّي لم أُقْتَلْ في القُدس
لأنّي لم أُقْتَل في الخرطوم
لأنّي لم أُقْتَل في كلِّ حروبِ الرّدَّه
ولأنّي لم أُقْتَل وكفى

جِئْتُ مِن حيثُ جِئْتُم جميعاً
ربَّما كُنتُ منهَزِماً
لستُ أدْرِي
فعندَ الهَزِيمةِ
لا تسأل الخيلُ فرسانُهَا

ركضوا
وركضْنا
طريقٌ قَطَعناه
كلُّ اتِّجاهاتِه علَّمَتْها الحَوافِرُ
مَنْ يَدَّعي أنَّ حافِرَهُ ملكَ الاتِّجاهِ الصَّحيحَ الى الموت ؟

واقِفَاً بينَ أجسادِ قَتْلاكُمو أتفَصَّدُ خوفاً
ولم أُغْمد السَّيف
أعلمُ أنّي حمَلتُ دليلًا عليَّ
لقد كُنتُ أبحثُ عنْ شاهدٍ لمُكابرَتي
عندما وطأتْنِي حَوافرُكُم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ متَّجَهٍ
أيُّها النّاس ...
مَنْ يَسْمَعُ الصوتَ في زحمةِ الموت ؟

الخيلُ تركضُ
والأرضُ تركضُ
يا أيُّها النّاس
جَرْحاكُمو
أهلَكُم
جُثَثاً قبلَ يومٍ وقَفْتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفُها أرجلُ الخيل
فَلْتَتَّقوا رَجِماً سوف تسألُ أعينُهم ..
كُنْتَ منهَزِماً ؟
ربَّما
غيرَ أنكَ لم تَتحرَّك
أحاطتْ بكَ الخيل
نُوديَ بالوَيل
صاحتْ بكَ الصائحاتُ ولم تَتحرَّك
ثكلْتُكَ
أيُّهما أصدَقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دَمِها ؟؟
انَّها جثثٌ وحَدَّ الموتُ فيها البطولةَ والجُبنَ والصدقَ والـ

حَمْلِقي فيَّ أيَّتها الأعيُنُ المُسْتباحةُ حدَّ التألُّقِ

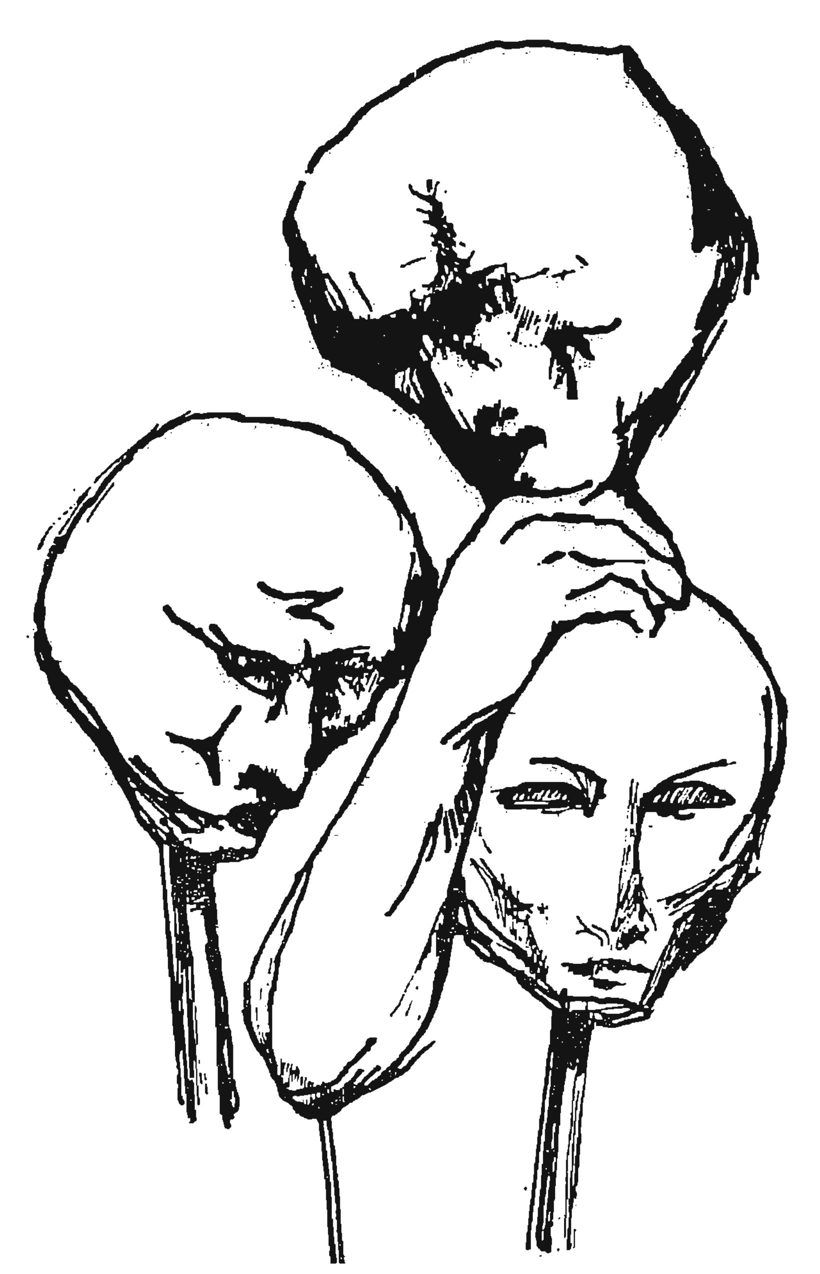
أيُّكما أصدَقُ الآن ؟
أنتِ وصمتُكِ ؟
أمْ كلُّ هذي الحوافر تضربُ أُذْنَيَّ ؟
أيُّكُما أجرَأ الآن ؟
مَنْ قالَ إنكِ لم تَتَفَصَّد جميعُ خَلاياك مِن خوفِها ؟
تَملكينَ لساناً ؟
إذن فاسكُتي
إنّهم يَملكون

ولكنَّ موتَكِ أنبل
سمعتُ اللُّهاث
رأيتُ الى العرَق المُتَصَبِّبِ منهم يخالطهُ عَرقُ الخيل
كانوا صِغاراً
صِغاراً الى حدِّ أنّي بكيتُ لهم
فتشَرَّختُ
صارَ مداريَ شَطْرَين
بينهُما بَرزَخٌ للهزيمةِ
ثوبيَ شَطْرَيْن
أفردْتُ بينهما عارياً
صارَ وجهيَ شَطْرَيْن

شَطْراً لَوى عُنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكُم
وَشَطْراً تطايرَ بينَ حوافِرِكُم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنّها دعوةٌ للشهادةِ تُعفَون منها
فقدْ ضاعَتْ الخيل
أو نَفقَتْ
وأنا ؟
أنَّ لي شَطْرَ وَجْهي الذي ظلَّ عندَ الحدود
ربَّما غيَّرتْ جثثُ المَيّتين معالِمَهُ
ربَّما شاهَ
لكنَّه الآنَ وجهي

حينما عدتُ
ألفَيتُكم تُولِمون
وأبصَرتُ نِسوَتكُم في الجِوار
يُطرّزْنَ قمصانَكُم
ثمَّ يَعرضْنَها للصغار
انْكسَرتُ على زهوِهِم

وسمعتُ تَفاصيل
مثلَ الأساطير



أصغَيتُ
ألفَيتُ نفسي وحيداً
غريباً
أضَعتُ ولم ألتَفتْ
بينَ أمواتِكُم
خُرجَ ذاكرتي ..

شتى كواكبها

شَتَّى ، كـــواكبُهـــا نِثـــارُ شتىٰ وأنتَ لهـــا مَــــدارُ
شَتَّى كـــأنَّ وجـــودَهُنّ مَعـــاً وجـــودٌ مُسْتعـــارُ
شتّى ، وتـــأمَـــلُ كـــلَّ يـــومٍ أن يُـــوحّـــدَهـــا شعـــارُ
ألا يُـــرى للضـــوءِ في مَـــوشـــورٍ فُـــرقَتِهـــا انكســـارُ
شتّى ، وتحسبُ كـــلَّ يـــومٍ أنَّ نَخْـــوَتَهـــا تُثـــارُ
أنْ يَشـــرئِبَّ لهـــا من الأضـــلاعِ مـــوجَعـــةً مَنـــارُ
من ألفِ نصـــلٍ يَستثيـــرُ ، وألفِ جـــرحٍ يُستثـــارُ
مـــا زلتَ تـــأمـــلُ أن يُفَضِّضَ ليـــلَ محنتِهـــا نهـــارُ
أن تمـــلأ الأُطـــرَ الكبـــارَ كمثلِهـــا صـــوَرٌ كبـــارُ
ألّا تَـــرى كِبَـــرَ الجســـومِ تقـــودُه هِمَمٌ صِغـــارُ

* * *

شـــابَتْ ذَوائبُنـــا ومـــا زال الـــدُّوار هـــو الـــدوارُ
شـــابتْ ذوائِبُنـــا ونحنُ بـــألفِ مضطـــرَبٍ نُـــدارُ
شـــابتْ ذوائِبُنـــا وَحِيـــرَ بنـــا لكثـــرةِ مـــا نَحـــارُ

* * *

هــــذي الصَّـــــواري المـــــوقَـــراتُ بكـــلِّ مـــا شَكَتْ البحـــارُ
الســـــائبـــــاتُ فَـــلا يـــدٌ التّـــــائهـــــاتُ فـــلا فنـــارُ
نَشــــرَتْ رَبـــــابنُهـــا القُلـــوعَ لـــريـــحِ شَهـــوَتِهم وســـاروا
شتّى كـــــــواكبُهـــــا نثـــــارُ شتّى ويجمعُهــــــا اضطـــــرارُ
شتّى ، وتطمـــــعُ كـــلُّ يـــومٍ أن يُخـــاضَ بهـــا غِمـــارُ
أن يَنْبَـــري منهـــا مَعَـــدٌّ أو قُصيٌّ ، أو نـــــزارُ
أن تَـــــزدهي تلـــــك السِّمــــــات ، ويُنتَظى ذاك النِّجـــارُ
وتــــروحُ تَقـــدحُ من وَريــــدِكَ والعيــــونُ لهـــا ازورارُ
حتى إذا اشتعـــــلَ الـــــرمـــــادُ ، ودبَّ في الجَمَـــــدِ الأوارُ
وتلَمْلَمــــــوا عُصَبــــــاً ، وطــــــوَّقَهنَّ من لهَبٍ ســـــوارُ
ألفِيتَ وحـــدَك فـــوقَـــهُ حطَبـــاً ، وصِيـــحَ بهم فطـــاروا

* * *

هيهــــاتَ تَشهــــرُ سيفَهم مِن غِمـــــدِهِ وبـــهِ انشطـــارُ
أن تستطيـــــلَ بهم لصُنـــعِ المعجـــزاتِ وهُم قصـــارُ
ولقـــــد أضَـــأتَ وأطفـــأوا ولقـــد أجَـــرْتَ ومـــا أجـــاروا
ورفعتَ بــــالـــدَمِ حينَ كـــانَ دفـــاعَ خَيْـــرِهم الفـــرارُ

* * *

مـــــاذا تُـــرَجّي أنت من نُصُبٍ سيـــاسَتُهـــا تِجـــارُ
من مُـــــــدَّعين لهم الى الشُّبُهـــاتِ حـــجٌّ واعتِمـــارُ
الكـــــاشفين وجــــــوهَهم وعلى دَخيلتِهم ستـــــــارُ

الوادعينَ فَخصمُهم في كلِّ أمرٍ يُستشارُ
المبدعين ، فكلُّ تَخريجٍ لهم فيه ابتكارُ
السَّابقين الى الهزيمةِ لا يُشَقُّ لهم غبارُ
اللاعنين العار ، مَحضُ حديثِهم في ذاك عارُ
العاملين بِما يَضيرُ الشَّامتين بِمنْ يُضارُ
ماذا تُرَجّي أنت مِن هِمَمٍ عزيمتُها انهيارُ
مِن كلِّ مُنخَلِعِ الفؤاد أشدُّ غضبتِه اعتذارُ
النائمين عن العدوِّ، وعنكَ نومهمو غِرارُ
في كلِّ مؤتمَرٍ لهم بمَهَبِّ ثورتِك ائتِمارُ
وتَرَصَّدوك ، فكلُّ زاويةٍ لهم فيها وِجارُ
حيثُ التَفَتَّ فثَمَّ مَغرزُ مِديةٍ ، ودَمٌ جُبارُ
حتى إذا حُوصِروا نَشَروا قميصَك ثمَّ ساروا
شتَّى وأنتَ بِجَوفِ ظُلمَتِها شهابٌ مُسْتَثارُ
غَضبانُ في فَلَكِ السَّماءِ لهُ صعودٌ وانحدارُ
مُستَوفَزٌ ، قَلِقٌ ، مَهيضٌ لا يقَرُّ لَه قرارُ
وكأنْ أُنيطَ بِهِ المَجَرَّةُ لا يُلاتُ لها مَسارُ
فارفَضَّ أطواقاً من الدَمِ حولَ شَعْفَتِها تُدارُ
حتى إذا شَطَّت أعادَ صَوابَها دَمُه المُمارُ

* * *

أوقِدْ فليسَ سِواكَ يُسرجُ والظلامُ لهُ اعتكارُ

أوقِدْ ، فلن يُرجى بغير يدَيكَ للكَسْرِ انجبارُ
سيُجانبون الدَّربَ أطولَهُ ، وَلَلدَّربُ اختصارُ
في كلِّ شِعْبٍ وقفةٌ ويكلِّ منعطفٍ حوارُ
ويكلِّ مفترَقٍ لمَجمَعهم خلافٌ وانتشارُ
بينَ انتظارٍ وانتظارٍ ثَمَّ مسعىً وانتظارُ
سيلٌ من العَرَباتِ من خمسين يسحبُها قطارُ
يغفو بها رُكّابها ويَذودُ فيها الانتصارُ
لكنْ سَيعصفُ كلَّ يومٍ منكَ في الأفقِ انفجارُ
ستُمزّقُ الآذانَ صرخةُ ثائريكَ فلا قرارُ
ستَريهمو قُربَ المَزارِ غداً وانْ شَطَّ المزارُ

* * *

ها أُفْقُكَ الدَّامي يَشقُّ عُبابَ ظُلمَتهِ نهارُ
نَديانُ ، للدَمِ والمروءةِ في أشعَّتِهِ انضِفارُ
شَعبٌ من الوَثَباتِ أنت لهُنّ والغضبِ انصهارُ
ولأنتَ وحدَكَ للأولى ادَّخروكَ نِعمَ الإدِّخارُ
الصّامدين لهم وكلَّ حرائقِ الأرضِ استِعارُ
غَضِبَ الرِّجالُ وأخْلَدوا مَجْدٌ لِمَنْ غَضِبوا فَثاروا
مجدٌ لِمنْ في كلِّ يومٍ تُسْتَفَزُّ لهم ذِمارُ
ما صُوِّبَتْ نارٌ الى جبهاتِهم إلّا أغاروا

لم يُتقِنـــوا لُغـــةً ســـوى أنَّ اللُّغـــاتِ دمٌ ونـــارُ
متفـــرِّقين ، فكـــلُّ أرضٍ حـــولَ صـــورتِهم إطـــارُ
متَشـــابهين بحيث تلتبسُ الـــوجـــوهُ إذا يُشـــارُ
مَجـــدٌ لهم من مُفـــرَدين وهُم بقلَّتِهم كِثـــارُ
مَـــلأوا الجِـــوارَ دَمَـــاً كـــأنَّهمـــوا لـــوَحـــدِهِم الجـــوارُ
مجـــدٌ لهم فيمـــا رَمـــوا مجـــدٌ لهم فيمـــا أثـــاروا
مجـــدٌ لهم ، ليس البطـــولـــةُ محضَ أرديـــةٍ تُعـــارُ
لكنْ هيَ الـــدَمُ ، والضَّحـــايـــا ، وهي يـــومَ الثـــأرِ ثـــارُ

* * *

المصـــادرة

مصادرة منشور سري

ـ في جَوازِكَ حينَ عبَرتَ الحدود

ـ هلْ عبَرتُ الحدود ؟

ـ أنتَ محْتَجَزٌ للإجابةِ لا للسؤالِ هنا

في جوازِكَ هذا

لا علامةَ فارقةٌ فوقَ وجهِكَ

الشَّعرُ أسوَدُ

عيْنانِ صافيَتان

وعمرُكَ ..

حتى تلاوةِ هذي السطور

ثلاثون عاماً

هلْ عَبرْتَ الحدودَ بهذا الجَواز ؟

ـ إذا كنتَ تَعني

ـ عبَرتَ الحدودَ بهذا ؟

ـ نعم

ـ أنتَ مُتَّهَمٌ للقَرارِ بتَزويرِ وجهِكَ أجمعهِ .

يُسْمَحُ الآن أن تتكَلَّم ما شِئْتَ ،

لكنَّما في حدودِ الدفاعِ عن النفس

ــ أطلبُ مرآةً أبصرُ فيها وجهي

ــ مرفوض .

نحن نُبصرُهُ عنك

ــ لكنَّكُم لنْ ترَوا منهُ ..

ــ إنّا نُقاضيكَ وِفْقاً لأعيُنِنا نحنُ

ــ مَعذرَةً

سأحاولُ رؤيتَه وفقَ أعيُنِكم .

كان عُمري ثلاثين عاماً

فأصبحَ خمسين

عيناي صافيتَين

فأصبَحَتا مثلَ لونِ التُّراب

وشَعريَ أسوَدَ

فابيَضّ

هل هذهِ صورتي الآن ؟؟

ــ وجَبينُكَ ؟

ــ ماذا بهِ ؟

ــ لو تَحسَّستَهُ

ـ هل تَغضَّنَ ؟؟
لا بأس
ـ صوتُكَ ..
ما كُنْتَ ترفعُه هكذا
ـ كان يرفعُه بين قَصفِ المَدافعِ فاعتادَ
ـ لا
لم نَكُنْ نتكَلَّمُ في حَضرةِ النّار
لكنّنا بعدما سَكتَتْ ..
ـ أنتَ متَّهَمٌ باعترافِكَ للمرةِ الثانيه
ـ بالتَّمرُّدِ ؟
لا بأس

أسألُكُم لَحظةً أخلعُ الثَّوب
ـ تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التَّعَرّي هنا
ـ إنَّ لي حُرمَةً تحتَ هذا القميصِ المُمَزَّق
شاهداً لم يُسجَّلْ بهذا الجواز
دفعتُ به رئتيّ ثمَناً
وأَتَتْنا أوامرُكم تَمنعون دخولَ الجراحْ
قيلَ يُسْتَنطَقُ الجرحُ حتى يَعافَ مروءتَهُ
ثمَّ يُركَلُ مثلَ النِّفايةِ بعدَ إدانتِهِ

لوحةٌ جانبيّه

هل سلَّمْتَ لمأمورِ المخزَنِ خوذَتَك الحَربيَّةَ ؟
صَفَّ رصاصِكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحَكْ ؟؟
ضَعْ جرحَكَ فوق الأمتعةِ الأخرى
وتَسلَّمْ إيصالًا

تعمَّدتُ تهريبَهُ تحتَ ثوبي

ما كانَ لي أن تَرَوهُ فيؤخَذَ متَّهَماً
غيرَ أنّي سأكشفُ عن وجههِ الآن
ها هوَ ذا

تستطيعونَ إيداعهُ السِّجن
لستُ أخافُ عليه
فقد رسَمَ ابني هويّتَهُ في دفاترِهِ كلِّها

فأنا الآنَ متهَمٌ بشهادةِ جرحيَ
للمرةِ الثالثة

في أُذُنيَّ ملايينُ الأصوات
مَنْ منكُم يقدرُ أن يَفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري
عن صَلْيَةِ عَشرِ رصاصاتٍ غاصَتْ فيهِ من البلعوم
الى منتصَفِ السُّرَّه ؟

وَحدي أملكُ هذين الصَّوتين معاً
أملكُ لحظةَ لا يبقى من صوتِ القاتلِ
إلّا صوتُ المقتول
لحظةَ صارَ غيابُكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كلِّ الأوجُه
وحدي أملكُ صوتَكما أنت وعَشرِ رصاصاتٍ في أذُنيَّ
مَزيجاً غَبَشاً لا ينفصلُ الفجرُ عن الليلِ ولا الموتُ
عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسَدٍ عن عشرِ رصاصاتٍ فيهِ
يُشَعشعُ منها الدَّمْ

مَنْ يحملُ عني هذي الأصواتْ ؟
مَنْ يخلعُ من أُذنيَّ زعيقَ الجَرَسِ وصفيرَ الرشاشات ؟
ألقُوا القبضَ على هذا الشاهدِ غيرِ المَرئيِّ إذن
وليُستَنطَقْ أطفالُكَ يا وطني

وَلدي
يا ولدي الحاملَ عنّي زهوَ دفاترِهِ

كنتُ أدفعُ دبابتي في وجوهِ التماسيح
مَلغومةً بالهلاهِلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِعرِ

ملغومةً بالتي طوَّحَتْ بعباءتِها وهي تَرْدسُ
« هزّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحمَتْ فيه كلَّ الشَّماتةِ والموت
أدفعُ دبابتي في الجحيم
وفي أُذُنيَّ عَراضةُ أمِّي تَطوّحُ عبرَ المَدى
بعباءَتِها

حجمَ موتيَ هذا أريدُكِ أن تَهزجي لي
أنْ تزرَعي رايةً حجمَ موتي على سطحِ بيتكِ
ترفعُ للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنيَّ شهوداً عليّ
أين دبَّابتي ؟
ــ لا سؤال .
ــ ذَهَبتْ هيَ أيضاً تدافعُ عن نفسِها ؟
ــ لا سؤال .
ــ ولكنَّها شاهدٌ في دفاعي
ــ قيدَ التَّرميم
إذا شئتَ أتَيناكَ بها عامرةً
ــ هاتُوها



أدخِلوها هنا أتأمَّلُها
أتقرّى مكانَ أصيبَتْ لأجلي
أُمرّغُ وجهي على درعِها
وسَأسألهُ
سوفَ ينطقُ مَجرى دمي فوق قُبَّعهِ الدِّرع
ينهضُ محمود من قاعِها
إنَّ محمود فاضَ على سَعةِ القاعِ فيها

أنتِ أيَّتُها الأختُ
يا شاهدي وشريكي
أعلمُ حينَ تَجيئين
أنكِ لا تُنكرينَ مَعالِم وجهي
كما يفعلُ الما رأوا كيف يتسعُ الكونُ في لحظةٍ
ثمَّ يجمعُ أطرافَهُ كلَّها في رصاصَه
ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ مَعالِمَها لحظةَ الموت
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
حتى لَتُصبحَ دبابةٌ رجُلًا

ما رأوا كَم يُغيّرُنا الموتُ أيَّتُها الأخت
لكنَّهم غيَّروا وجهةَ الموت
هم غيَّروا وجهةَ الموت

حتى لَينكرَ واحدُنا دربَ صاحبهِ

أيَّ شيءٍ ترانا نقول إذا ما التقَينا
فأبصرتِ شَعْري قد ابيضَّ
عينَيَّ لونَ التراب
وأبصرتُ وجهَكِ يلمعُ مثلَ بناتِ الهوى ؟

أيّ ذاكرةٍ سوف نوقظُها بينَنا
دون أن تتسلَّقَ غُربَتُنا فوق كلِّ الحروف
وتَلّتفّ حدَّ اختناقِ أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُها
تُزَوِّرون شاهدي علَيّ
ثمَّ تسألونَني أن أرتضيهِ هكذا
مُزَوَّراً

وتَعلمون بعد أن أدخلتمُوها مصنعَ النِّسيان
أنَّكم سلَبتمُوها كلَّ كبريائها
أُقسمُ أنَّها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهِها
أو أطلقَتْ نيرانَها علَيّ

ــ فأنتَ أسَأتَ لها
ــ قد فعَلتُ

عبَرتُ بها كلَّ نارِ الجحيم
وكنّا معاً باسمِ كلِّ الحضاراتِ نَضربُ
كنّا معاً باسمِ كلِّ الذين سيأتونّ
نعبرُ نهرَ الجراحِ القديمةِ
نصنعُ معجزةً قَدْرَ ما يستطيعُ عَريفٌ ودبابةٌ
أتْقَنا لُعبةَ الموت
ويومَ أُصيبَتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرِهِ مَعبَراً للرصاصِ على درعِها
إنَّها تَتذكّر كيف قضَينا نهاراً بأكمَلِهِ ننزفُ الدَمَ
نحنُ الثلاثة
كنّا ثلاثَتنا لحظة الموت
نشعرُ انّا نخُطُّ لبعضِ الذين سَيأتون
أسماءهم

باسمِ كلِّ الحضارات
أُلغيَ محمود
لم يَبقَ منه سوى دفترٍ
يَتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابِكُم
بصَموا فوقَه عدَّ أرغفةِ الخبز

حتى مَلامحُهم وُشِمَتْ بتواقيعِكُم

باسمِ كلِّ الحضاراتِ أُفرِغَ صدريَ من رئةٍ
وأقِرُّ بلا نَدمٍ أنّني لستُ احتاجُها الآن
في مثلِ هذا الهواء

باسمِ كلِّ الحضاراتِ رمَّمْتُم الآنَ دبابتي
بعد سحبِ هويَّتِها
فهيَ خاويةٌ تستعدُّ لكلِّ الهَزائم

لستُ أعلمُ أيَّتها الأختُ إن كنتِ عذراً
ولو مرَّةً
تُحسنينَ البكاء

وتقولون لي شَعرُكَ ابيَضّ
أتّهِمُ الآنَ مائةَ مليون مُستمِعٍ لخطاباتِكم
أنَّ أرؤسَهم لم تَشِبْ
أنَّ أعيُنَهم لم تَثِبْ من محاجرِها
أيُّها السادةُ الكانَ في وسْعِهم كلُّ شيءٍ
لو انَّ صَواريخَهم لم تقِفْ في مدار الخيانةِ

أو أنَّهم ..

ــ هل سمَّيتَ مداراً للدولة ؟

ــ لا

ــ إيّاكَ وأَنصافَ الكَلماتِ إذن

ــ مَنْ مِنّا يتعمَّدُ أن يُخطْىء فهمَ الآخرْ؟

ــ لا سؤال

وليَكُنْ ما تَفوهُ بهِ واضحاً

في حدودِ الدفاعِ عن النفس .

سنُصَحِحُ بعضَ السَهْوِ الواردِ في أقوالِك

ــ أرفض .

انَّهما مساحتانِ للضياءِ والظُّلمة لن نَدخلَ

فيهما معاً

أنا أعرفُ دَربي الى البُقعةِ السَّوف أدخلها

لن تكونوا دليلي

أتَرونَ ، لو انكمُ الآنَ تدعونَني مِن جديدٍ

الى الحرب

أرفض ؟؟

هيهات

سأحاربُ حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح

يَهتفُ بي هاتفٌ :

لا تَمُتْ

وأموت

أُفَضّضُ أرؤسَكم شَعرةً شعرةً

كنت أحملُ محمود ، والدمُ ينهَلُّ من عَشرِ شتلاتِ نارٍ

بأضلعِهِ

أتوسَّلُ في وجهِهِ

لا تمُتْ

سوف تَسألُني عنكَ كلُّ عيونِ صغاركَ محمود ..

لكنَّه ماتَ في لحظةٍ

كنتُ أخلعُ جسمي وأسحبُ محمود

والنارُ تأكلُ دبابتي

أتخبَّطُ مستوحَداً بين مَوتَيْهِما

غيرَ أنيَ كابَرتُ

كنّا ثلاثَتنا طَرَفَ الدولةِ الما يزالُ يُكابر

في المستشفى

قالوا ألغى الطرَفُ الآخرُ للدولةِ كلّ القَتلى

ومَحا أسماءَ الآتينَ جميعاً

لم أصدّقْ

لقد كنتُ أحسَبُنا دولةً حينَ كنّا نخطُّ على

بُقعةِ الضوءِ أسماءهم
ثمَّ صدَّقْتُ ..
حين نظرتُ لأطفالِ محمود
صدَّقتُ
حين رأيتُ عيونَ رفاقيَ
صدَّقت
وحينَ وصفْتُم معالِمَ وجهيَ
آمَنْتُ
أنّي هنا طرَفٌ
أنّنا حينَ كنّا هناكَ نقاتِلُهم
طرَفٌ
أنَّ أطفالَ محمود
دفترَهُ
طَرفٌ
فأنا سمَّيتُ مَداراً للدولةِ
لم أُخْطيءْ فَهمَ الطرَفِ الآخرِ للدوله .
انَّهما مساحتان للضياءِ والظُلمةِ لن ندخل فيهما معاً

ــ من أجلِكَ أيضاً ..
ــ أرفضُ

أو .. لا أرفضُ
ماذا يَعني أن أُسألَ عن هذا ؟
لو سُئلتُ غداةَ خرجتُ الى الموت
ــ هل كنتَ تختار ؟
ــ لا
كنتُ أختاركُم هدَفي أوّلًا
ــ أنتَ تقتلُ نفسَكَ
إنّي أُسَهِّلُ فيَّ مهمَّتَكم
أيُّها السادةُ التتبَدَّلُ حتى عَناوينُ أطفالِهم
وحدودُ مَدارس أطفالِهم
دونَ أن تتبدَّلَ يوماً ملامحُهم

أنّني أتساءلُ
ما كانَ لي وأنا بينَ موتَيْن
موتٍ تُراقبُني فيه أعيُنُ كلِّ الذينَ أخافُ عليهم
شَماتةَ مَنْ يشمتُون
وموتٍ أُضافُ بهِ رَقماً في حساباتِكُم للهزيمة ؟
كنتُ أرقَبُكُم تخلطُون دَمي بين ماءيْن
هذا نَذرتُ له عَطشُ العمر
جَمَعتُ أسماءَ أهلي على شفَتَيّ
وهذا أُحاذرُهُ

وأشمُّ الخيانة
رائحةَ ابني ذبيحاً
وأوصالَ أهلي مُموَّهةً فيه

صار دَمِي خائناً وشهيدْ
كوثَراً وصديد
وأنا أتساءَلُ :
هل أرِدُ الماء
أمْ أتجَنّبهُ ؟

حيرةٌ حيرةٌ حيرةُ العمر
باسمِ الحضارة قدّمتموني لمذبَحِها

إنّكم أيُّها السادة الما تَبَدَّلَ يوماً ملامِحُهم
قدْ بذلْتُم كثيراً لأجلِ الحضارةِ
أسماؤكُم لنْ يَمرّ عليها الذينَ سيأتون
دونَ الوقوفِ على كلِّ أحرُفِها
يومَها ،
سيسيرُ بدبابتي كلُّ تأريخِها نحوَكم
يومَها ستدورُ بمدفعِها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخلَ المَعبرَ السَّهلَ خلفَ الحدودْ

ستكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا بدأنا
تكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا

ـ نصُّ قرارِ التَّجريم
ـ تكونُ البدايةُ
ـ باسمِ الدوله
صادرْنا هذا المنشورَ السّريَ
وأمْرنا بأحالةِ أذنيهِ وهذا الجرحِ المزعوم الى التَّحقيقِ
وإلقاءِ القبضِ على كلِّ الكلماتِ وكلِّ الأفكارِ المنقولةِ عنهُ
وَغيرِ المنقوله .

ـ سيِّدي
إنَّ في البابِ عشرين ألفاً
وجوهُهمو كلُّها وجهُ هذا !

الغيمة الحبشية

ألقيت في مهرجان بوشكين في لينينغراد
بمناسبة مرور ٧٥ سنة على ميلاده

عرب بطرس الكبير

مثلما يهبطُ الغَبَشُ المُتَكبِرُ
حيثُ البداياتُ مبهَمةٌ
الضُّحى لا ضُحى
والدُّجى لا دُجى
والبراءةُ سيّدةٌ

مثلما يَنْحَني كوكبٌ في السماء
فيَحكمها لصْقَ دورَتهِ
ثمَّ ينفضُها نابتاً في المجَاهيل
تبقى المسافاتُ مهمَلةً بَعدهُ

كان قوسُكَ يَنهضُ مِن بين غاباتِ أفريقيا
من حرائقِ أفريقيا
ثمَّ يُكْملُ دورَتَهُ
يزرعُ الطرَفَ الآخرَ المتوَتِّرَ في ثلجِ روسيا

ابراهيم هانيبال
أيُّها المَعْبَرُ الأبنوسيُّ بين الهَواجسِ والصَّوت
بين النُّبـــــوءَةِ والموت
قوسُكَ مفتوحةٌ
يتوسَّطُها قدَرٌ أنتَ تَجهَلُهُ
سوفَ يَنبتُ حتى نهاياتِ روسيا
زنابقَ سوداء
في كلِّ فجْرٍ تميلُ فينسَكِبُ الضوءُ منها
وفي كلِّ ليل تميل فينْسَكِبُ الدمُ منها
وتَعْلَقُ من كلِّ كأسٍ بأجنحةِ الريحِ أغنيةٌ

إبراهيم هانيبال
إسحَب الوَتَر الآنْ
تَلتقي قارتانْ
ويَشتَبكُ الضوءُ بالليل
والنارُ بالسَّيل
والمُبتَدا
بالنهاياتِ أجمعِها
انَّ غيمتَكَ الحبشيَّةَ تبدأُ أمطارَها

بطاقة حب شخصية

لو كانَ لكلِّ الفرسانِ القوزاقْ
أنْ ينطَلِقُوا ثانيةً في منتصفِ الليلْ
تحتَ سماءِ الدَّون الفضِّيّه
لَرأيتَ لكلِّ عذارىٰ الدون شبابيكاً مفتوحه
تَترقرقُ مِن كلٍّ منها
أغنيّةُ حبٍّ عشتَ لها
تكتبُها في وسَطِ الأحزانْ

بوشكين
يا لؤلؤةَ الرّوسِ السوداءْ
يا أغنيةَ الحبِّ الأولى
يا أغنيةَ الغضبِ الأولى
ملعونٌ صوتي إنْ لم يَبْلُغْكَ الى مَخبأِ جرحكْ
مسكينٌ فرَحي إن لم تَستقبلْه بنفسِكَ عند المَدخلْ
الزمنُ الكنتَ تَتوقُ أليه أتى
ورفاقُكَ من أطرافِ الأرضِ يُعيدونَ إليكَ سيوفُكْ

الخطوة المستحيلة

إبراهيم هانيبال
أشعِلْ النارَ في كلِّ غاباتِ أفريقيا
دعْ طبولَ الفجيعةِ تُقرعُ في صمتِ أفريقيا
وأقِمْ بطرسَ الأكبرَ الآنَ من نَومِهِ
فحفيدُكَ يخطو الى الموتِ خطوتَهُ الخامسه

بوشكين
إنَّ دانتيس لنْ يقطعَ الخطوةَ المستحيله
أنتَ وحدَكَ تَعبرُها
أيُّها الوهَجُ الأسوَدُ المُتَدَفِّقُ بالحُبّ
يا زهوَ روسيا وفجرَ ينابيعِها
سوفَ تعبرُها أنتَ وحدَك

كلُّ هذي الثلوج ستبقى مخضَّبةً بدمائِك
كلُّ هذا الهواءِ سيحملُ ، ما هبَّ ، صرختَكَ المتكبِّرَة الفاجعه
بينما قوسُكَ المُتَكسِّرُ من نِصْفِهِ

ينحني في جلالٍ على الثلج
يترُكُ كلَّ المسافاتِ مهمَلةً بعدَهُ

بوشكين
إنهَض الآن
واعبُرْ الى الموتِ خطوتَكَ الخامسه
قُلْ لدانتيس يقطعُها أربعاً
أو ثلاثاً
ويُطلقْ
كلُّ روسيا ستنهضُ سَدّاً بوجهِ الرَّصاصه !

فهرست المجلد الأول

الفهرست

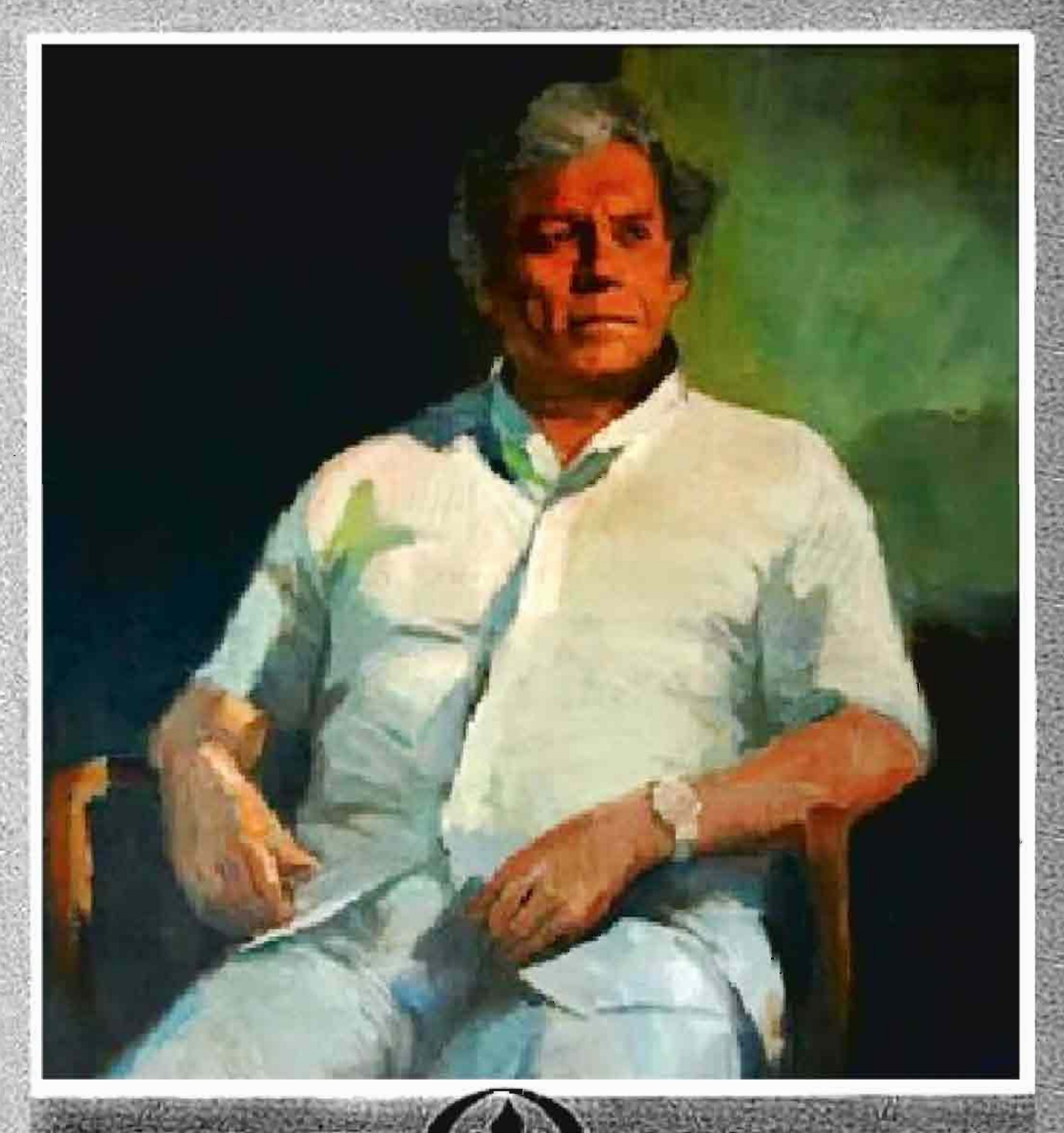
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٨) لسنة ٢٠٠٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الثالث



دار الشؤون الثقافية العامة

الناشيء

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ٢٠٠١





دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية » ـ شركة عامة

تعنون جميع المراسلات الى :
رئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة: عادل ابراهيم
العنوان :
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar@uruklink.net
الموقع على شبكة الانترنيت www.uruklink.net/iraqinfo/dar-info.htm

عبدالرزاق عبدالواحد

الاعمال الشعرية

الطبعة الاولى - بغداد - ٢٠٠١

الناشيء

في لهيب القادسية

١٩٨٢

الناشيء

أيها الرجل الذي تزهو كل كلمةٍ من كلمات هذا الديوان
لأنّ فيها نبضاً من رجولته ومن كبريائه ..
الى بطولتك وبطولة جندك
الى مروءة شعبك العظيم
وهو يدفع بدمه
عن حرمات العرب جميعاً ..
أرفع بخشوع
هذه القصائد المخضبة بالدم

عبدالرزاق عبدالواحد

كفؤها يا عراق

شرف هذه القصيدة انها أول صوت شعري ارتفع في القادسية

دمُكَ الحرُّ علقمٌ لا يذاقُ
فَأرِ الفُرس طعمَهُ يا عراقُ
منذُ ألفٍ ونيِّفٍ شَبَحُ القعقاعِ
غولٌ، وظلُّهُ عملاقُ
منذ ألفٍ ونيِّفٍ وهو سيفٌ
مُصلَتٌ في سَمائهم ، برّاقُ
منذُ ألفٍ ورأسُ رستمَ يحكي
مقشعرّاً ما لاقت الأعناقُ
منذ ألفٍ والقادسيَّةُ خوفٌ
شاخصٌ في قلوبهم لا يُطاقُ
دمُكَ الحرُّ علقمٌ لا يُذاقُ
يقشعرُّ الترابُ حيثُ يُراقُ

ألفُ أغواتَ خاضَها منذُ سعدٍ
وهو سيلٌ كعهدِهِ دَفَّاقُ
قلْ لجيشِ المجوسِ تبقى وزينُ الـ
قوسِ تُقصيكَ عنهُ سَبْعُ طِباقُ
لاورثنا دماءَ أولئك الصِّيدِ
إذا لم نُذقْكمو ما أذاقوا

عِبرةٌ للعراق يابنَ أبي وَقّاص
أنَّ اسمـ[illegible] الـ عليهِ الشُّقاقُ
أن يُحيقوا بسيفِ سعدٍ ونرضى
فبتأريخنا جميعاً أحاقوا
ياالقَومي ، وكلُّ ليلٍ لهُ شمسٌ
تُرَجّى ، وكلُّ عصرٍ خَلاقُ
ياالقَومي ، وكلُّ مجدٍ لهُ نذرٌ
يُوفّى ، وكلُّ شوطٍ سباقُ
يومَها كان كلُّ قومي عراقاً
أصبحَ العُرْبَ أجمعينَ العراقُ !

كفؤها يا عراق وَيُلمّ عرسِ الـ
مجدِ إن لم يكنْ دمانا الصَّداقُ
كفؤها يا عراق ويَلُمّ كل الـ
نخلِ إن لم تقاتل الأعذاقُ
كفؤها أنت عُمْرَ هامتِكَ الشمَّاء
لم يَحْنِ جذعهَا إرهاقُ
إن تُقصِّرْ فكلُّ طفلٍ على أرضي
يتيمٌ ، وكلُّ عرسٍ طلاقُ !

يا أبا محجنٍ وفاءً كما وَفَيتَ
أن لا ينالَ منّا وثاقُ
انَّها قادسيةٌ مرَّةً اخرى
بها الفيلُ يلتقي والبُراقُ
فتأمَّلْ جيش النبوَّةِ ، وانظرْ
كيف تسعى لحتفها الفُسَّاقُ
يا وريثَ القعقاع ، هذا أوانُ الـ
سَّيلِ ذلَّ الإرعادُ والإبراقُ

نحنُ قومٌ على مَهَبِّ الليالي
دمُنا عِدْلَ غيمِنا مُهراقُ
نامَ كهّانُ معبدِ النارِ شوطاً
واستجدَّتْ أحقادُهم فاستفاقوا
انّها الرِدَّةُ التي امتُحِنَ الصِّدِّيقُ
فيها ، وجَفَّت الأرماقُ
ثمَّ كان النصرُ العظيمُ فللَّيل
همودٌ ، وللنهار ائتلاقُ

يا رفيقَ العراق ، زهوَ بلادي
انَّها وابنَها العظيمَ رفاقُ
أنت إنسانُ عينِها ، فتأمَّلْ
كيف ترعى إنسانَها الأحداقُ !
يا وريثَ القعقاع ، إنّا ورثنا
أهلَهُ خيرُ إرثِنا الأخلاقُ
انّها دوحةُ الشهامة هذا الـ
فرع تغذوه هذه الأعراقُ

فلنا منهمو مروءةُ قيسٍ
كلَّما أطبقَتْ وضاقَ الخناقُ
ولنا منهمو رجولةُ شيبانَ
إذا حانَ للسيوفِ اعتناقُ
ولنا جودُ حاتمٍ، وانتفاضاتُ
عليٍّ، وسيفُهُ السَّبَّاقُ
فانتَدبْنا لها، فأنَّا نُلاقي
فعسى جندُ رستمٍ أن يلاقوا!

يا جنودَ العراق، يا عزَّ أهلي
يا شموساً على شموسٍ تُساق!
يا نسورَ الحديدِ، أعلامُ سعدٍ
أبداً جنحُ نسرها خفّاقُ!
يا جبالَ الحديد، من ألفِ عامٍ
وجبالُ الحديد فينا عتاقُ!
يا صلاح الدين الذي مِن حِمانا
فَزَّ حتى ضجَّتْ بهِ الآفاقُ

يا فراتَ العشرين، يا دجلةَ الخيرِ

آدلَهِمَّا، وأطبقي يا رِقاقُ

إنَّهُ مجدُكم جميعاً فَهبُّوا

إنَّهُ الخالدُ العظيمُ العراقُ



نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٠

لبيك يا غضب

في ١٨ / ٩ كان الشاعر في دعوة الى فنلندا ، وقطع زيارته عائداً الى الوطن في ١٠ / ١٠ / ١٩٨٠ وفي طريق عودته كتب هذه القصيدة .

لبَّيكَ يا غَضَبْ
لبَّيكَ يا غَضَبْ
لبَّيكِ يا نارَ الوغى فكلُّنا حطَبْ
لبَّيكَ يا عراقُ يا دَريئةَ العَرَبْ
لبَّيكَ كلُّنا دمٌ بهِ ستُختَضَبْ
لبَّيكَ يا غَضَبْ

يا قادسيَّةُ اشهدي بأنَّنا عَطَبْ
وأنَّ رأسَ رستمٍ بنا سَيُحتطَبْ
وأنَّ شريانَ المثنّى قَطُّ ما نضَبْ
يا سعدُ ، يا قعقاعُ يا صدامُ واحَرَبْ
اليوم يومُكم جميعاً أيُّها العَرَبْ
واقدسُ ، وابغدادُ وا عمّانُ واحَلَبْ
هذي جيوشُ المؤمنين يا أبا لَهَبْ

اليـــوم يـِــوم الحقُّ لا   أفلـــــحَ مَن كـــــذب
اليـــوم يِـــوم لا يَقِي   جـــــــاهٌ ولا لَقَبْ
إلّا الــدِّمـــاء القــانيـاتُ   سَيلُهـــــــا لَجَبْ
تَبَّتْ يَـــدا كـــلِّ دَعيٍّ   كـــــاذبٍ وَتَبّ
ينقلبُ المنـــافقـــونَ   أيَّ مُنقَلَــــبْ

سيـــوفُنـــا تعـــرفُهُنَّ   يــــا أبــــا لَهَبْ
عُمْــرَ سيــوفِ المــؤمنينَ   لم تكنْ خشــبْ
عُمْرَ دمــــائِهـــم نَقـاءَ اللّه لم تُشَــبْ
قــامـاتُهُم مَنـــائــرٌ   وهــــامُهُم قُبَبْ
وأنت مَن أنت ، أرأسٌ   أنــتَ أم ذَنَــبْ ؟
من ألفِ عـــامٍ لم تَكُنْ   نبعـــاً ولا غَـــرَبْ
من ألــف عــامٍ تجمـعُ   الثــارات والأهَــبْ
ومــــا فَتِئتَ تبتغي   لفتنـــــةٍ سبَبْ
يــاتِـــرةَ القعقـــاعِ تبقى   أبَـــــدَ الحقَبْ !
هــذا العـــراقُ المستَفَــزُّ   يـــا أبــا لَهَبْ
سمعتَ يـــومـــاً بـــالعــراق   خـــافَ أو هَــرَب ؟

وهـــــل رأيتَ سيفَـــــهُ ينبـــــو إذا ضَـــــرَبْ ؟
وهـــــل رأيتَـــــهُ كَبـــــا أو فـــــاتَـــــهُ طَلَبْ
ســـمعتَ يـــــومـــاً بـــــالعـــــراقيِّـــاتِ تُستَلَبْ ؟
سمعتَ عن أبنـــــائهنَّ أنَّهـــــم سَـــلَبْ ؟
ينـــــالُ من أعـــــراضهم مَن جـــــاء أو ذَهَبْ ؟!

سمعتَ بـــالعشـــرين يـــومـــاً يـــــا أبـــــا لهَبْ ؟
سمعتَ بـــالعـــراقِ كيف مـــــاجَ واضطـــــرَبْ ؟
كـــوَثبـــةِ الليثِ العـــراقُ كلُّـــــــهُ وَثَـــبْ
بـــالمـــوتِ شَـــدَّ ظهـــرَهُ وبـــــالـــــدَّمِ اعتصَبْ
مجـرى الفُـــراتَيـــنِ علـى الهـــــلاهـلِ احتَـرَبْ
فـــاضطـــربَتْ بـــهِ البَـــوادي أيَّ مُضـــطَـــــــرَبْ

هـــذا العـــراقُ المُستَفَـــزُّ يـــــا أبـــــا لَهَبْ
هـــذا عـــراقُ الثـــائـــرينَ قَـــطُّ لـــم يَهَـــبْ
هـــذا عـــراقُ القـــادسيِّينَ مَـــــــدى الحِقَبْ
إنَّ لَـــدَينـــا حُـــرمَـــةً وعنـــــدَنـــــا أدَبْ

ونحنُ عُرْبٌ جارُنا … جيرَتُهُ نَسَبْ
لكنْ إذا مَدَّ الى … أعراضِنا سَبَبْ
أو مَسَّ من نخيلنا … حتى لو الكَرَبْ
أو من خيال حُزَّةٍ … في أرضنا اقتَربْ
فانَّهْ هيهاتَ ينجو … يا أبا لَهَبْ

صدامُ يا صدامُ يا … مروءةَ العَرَبْ
يا زاحمَ الموتَ وَيا … مُفَرِّجَ الكُرَبْ
لبَّيكَ قبلَ أن تقولَ … سَيلُنا اصطخَبْ
لبَّيكَ لا رَيْثَ ولا … مَيْلَ ولا تَعَبْ
سَلْ فَبكُلٍّ ما لدَينا … من دمٍ تُجَبْ
نَمُ العراقييّنَ من … ألفَين يُرتَقَبْ
يا حيف في الأرض رعاديدُ … اسمُهُم عَرَبْ
هذي الدِّماءُ ما لَها … عندَهُمو نَسَبْ
مُشَّمتينَ يرقبون … النار من كَثَبْ
نذرٌ لعينيكَ نُريهم … هُولةً عَجَبْ
سيوفُنا مشهورةٌ … وخيلُنا خَبَبْ

نحنُ لهـــــا إنْ صُعُـــــداً تـــــــــأتي وإنْ صَبَبْ
نحنُ لهـــــا ، نحـــــرثُ بـــــالمـــــدَافـــــع التُّـــــرَبْ
نحن لهـــــا صـــــدامُ يـــــا رجـــــولـــــةَ العَـــــرَبْ
دمـــــاؤنـــــا كَشِعـــــرِنـــــا أبلـــــــــغُ مَن خطَبْ
واللّـــــهِ يـــــا صـــــدامُ لا ذلٌّ ولا رَهَـــــبْ
واللّـــــهِ يـــــا صـــــدامُ لا عِـــــيٌّ ولا نَصَـــــبْ
أرجلُنـــــا نـــــزرعُهـــــا في الأرض للـــــــــرُّكَبْ
مـــــلاحمـــــاً نُبقي لمن حَـــــــــدَّثَ أو كَتَـــــبْ !

أشـــــاعـــــرٌ مغتـــــربٌ ؟ واذلَّ مُغتَـــــــــرَبْ !
ومـــــوطنـــــي يَســـــبَـــــحُ بـــــالـــــدمـــــاء واللهـــــبْ
أســـــألُ عن أخبـــــارِهِ مَن جـــــــــاء أو ذَهَبْ
جئتـــــك يـــــا عـــــراقُ يـــــا كـــــرامـــــةَ العَـــــرَبْ
جئتـــــك يـــــا كـــــرامـــــةَ الأديبِ والأدَبْ
جئتـــــك يـــــا أُمـــــاً وأختـــــاً وأخـــــــــاً وأبْ
يـــــا كـــــلَّ أولادي ويـــــا أعـــــــــزُّ مَن وَهَبْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٨٠

قلبي عليك

أنا يا دمشق أنا العراقُ
بيديكِ أنتِ دمي يُراقُ؟!
أنا مَن دَفَقْتُ على حدودكِ
بالدروع لها سباقُ
أنا مَن صغاري كلُّهم
ناموا على الدَّم واستفاقوا
وتَحشَّدوا ملءَ الشوارع
والدموعُ لها ائتلاق
وسلمتِ أنتِ ومن دِما
آبائهم كان الصَّداقُ

أنا لا ألومكِ أنتِ أسمى
أألومُ جُرحي وهوَ يَدمى؟!

لكنَّـــــــــهُ أسَفٌ يُســـــــــائلُني
هـــل التـــاريـــخُ أعمى ؟؟
أرمى ، نَعَم لكنْ عـــزيـــزٌ
أنَّني بـــــكِ أنتِ أُرمى
إني منيـــــعٌ يـــا دمشقُ
وإنْ يكنْ راميـــــكِ أصمى
يَظمـــا الفتى ، لكنْ لِـــدَمِ
أخيـــهِ ويَحَـــكِ كيف يَظمـــا ؟!

قلبي عليـــــك وأنتِ دائي !
يـــا بضعـــةً من كبـــريـــائي
يـــا صـــاريـــاً مـــا كـــان أروعَ
لـــو شـــددْتُ بـــه لـــوائي !
وأنـــا أقـــاتـــلُ حـــاســـرا
عـــريـــان إلّا من دمـــائي

كـــــلُ انتصـــــارٍ عشتُـــــهُ
لـــــكِ منـــــهُ سَهمُ الأوفيـــــاء
أختـــــي وشـــعبي أنـــتِ لا
ســـلمَتْ أكُـــفُ الأدعيـــاءِ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

هــــذا أوانُ السَّيـــــل والسَّيـــلُ اشتَـــدّ
وجـــاوزَ الجَـــورُ بـــأهليـــهِ الحَـــدّ
واللّه انّـــــا معشــــرُ أولـــــو جَـــدّ
عُمـــرَ العـــراقِ مـــا كَبـــا أو ارتَـــدّ
فينـــا دمٌ كـــالبحـــر إبّـــانَ المَـــدّ
واللّـــــهِ لا حصنَ يقي ولا سَـــــدّ
نـــأتيكمـــو بكـــلِّ نســـرٍ مُعتَـــدّ
ينقضُّ كـــالمـــوتِ إذا المـــوتُ احتَـــدّ
وَيلَكُم اليـــــومَ ولا ويــــل الغَـــدْ
لا حصـــرَ للهَـــولِ غـــداً ولا عَـــدّ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٧ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

اليـــوم يـــومُ الحقّ، يـــومُ الإقــدامْ
يـــــــومُ عليِّ الفتى وصَــــــــدامْ
يـــا ذا الفقـــارِ يـــا مُفَلِّقَ الهـــامْ
يـــا شعلـــةَ الحقِّ وسيفَ الإســـلامْ
كُنْ غضَبـــاً فـــوق رؤوس الأصنـــامْ
واللّـــــهِ إنَّ سيفنـــــا لَقَحّـــــامْ
واللّـــــه إنّـــا معشَـــرٌ لا نُستـــامْ
نـــأتيكمـــو بكـــلٍّ ليثٍ ضـــرغـــام
من خـــالـــدٍ لطـــارقٍ لصَـــدامْ
اليـــوم يـــومٌ لا كَكُـــلِّ الايّـــامْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نحن بقــــايـــا خـــالـــدٍ وطـــارقْ
نحن الـــذين جيَّشـــوا البيـــارقْ
وخضَّبـــوا الأعنـــاقَ والمَفـــارِقْ
مَغَـــاربـــاً نـــزحفُ أو مَشـــارقْ
واللّـــهِ إنَّ خيلَنـــا خَـــوارقْ
واللّـــهِ إنَّ سيلَنـــا لَحـــارِقْ
لا نُغمـــدُ السيفَ ولا نُفـــارِقْ
إلا وللمـــوت سنـــانٌ بـــارِقْ
وللـــردى في كـــلِّ بـــابٍ طـــارِقْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

اليـــوم يـــومُ عـــاصمٍ والقعقـــاعْ
وكـــلُّ سيفٍ وسنـــانٍ لَمَّـــاعْ
واللّـــهِ انَّ حُـــرَّنـــا لَمَنّـــاعْ
واللّـــهِ إنَّ سيفَنـــا لَقَطّـــاعْ
نجعلُـــهُ يـــومـــاً يصـــكُّ الأسمـــاعْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٨٠

هذا مَسيلُ دم العراق

أوقِـــدْ فقــد دَجَتْ الليــالي وتَعثَّـــرَتْ هِمَمُ الـــرِّجَــالِ
أوقِـــدْ فـــإنَّ نـــذيـرَ عـــا صفـــةٍ يهمهمُ في الـــدَّوالي
أوقـــدْ فـــانَّ يـــدَ الخيـــا نـــةِ تَستَقرُّ على الـــذُّبــالِ
إن يُطفئـــوا هـــذا السِّـــراج فكـــلُّ شيءٍ للـــزَّوالِ !

أوقِـــدْ فــلا واللّـــهِ مـــا هجَعتْ كـــريمـــاتُ الخصـــالِ
أوقِــدْ فمـــا أحـــدٌ ســـواكَ يقـــول للجُلَّى نَـــزالِ !
أوقِـــدْ فـــإنَّ الأرضَ غـــا ليـــةٌ ، وإنَّ العِـــرضَ غـــالي
أوقِـــدْ فـــإنَّ الأُمَّهـــات لمثلِهـــا كـــانتْ تُـــلالي !
اوقـــدْ فمـــا عـــرفَتْ بطـــو لاتُ الـــرُّميثـــةِ أن تُبـــالي
بـــل كـلُّ بيتٍ في العـــراق يظـــلُّ مُنكَفيءَ الـــدِّلالِ
أنْ أنتَ لم تُطعم مـــوا قـــدَها عظـــامَ أبي رُغـالِ !

أوقـــد فهـــذا يـــومُ يَنفصـــلُ الحـــرامُ عن الحـــلالِ
أوقِـــدْ فهـــذا يـــومُ تَبـــرأُ من أسِنَّتهـــا العَـــوالي
إن لم تَـــدَعْ في كـــلِّ صـــدرٍ غُـــرَّةً دَمُهـــا يُـــلالي !

أوقِـــدْ فـــلا واللّـــهِ مـــا نَغَـــرَ العـــراقُ إلى ضَـــلالِ
عُمْـــرَ العـــراق إذا يُضـــام يَجيشُ من حـــالٍ لحـــالِ
عُمْـــرَ العـــراقِ إذا استُفِـــزَّ يهبُّ مُشتَجَـــر النِّصـــالِ
أوقِـــدْ فـــزَينُ القـــوس ليسَ ســـوى بـــدايـــاتِ النِّضـالِ
أوقـــدْ فـــأنت بـــدايـــةُ الـ مســـرى ، وخـــاتمـــةُ المِطـــالِ
أوقِـــدْ فـــإنَّ أذانَ كـــلِّ الأرض يبـــدأُ من بِـــلالِ !
أعـــلامُنـــا أبَـــداً أوائلُهُنَّ تـــوميءُ للتَّـــوالي !

هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراقيّين يـــا عَطَشَ الـــرِّمـــالِ !
هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراقِ يظـــلُّ مشـــدودَ الـــرِّحـــالِ
أبَـــداً لـــهُ مجـــرى يجيشُ عليـــه مـــرهـــوبَ الجـــلالِ
أبـــداً لـــه نبـــعُ يُحَـــدِّرُ منـــهُ كـــالطـــوُّفـــانِ عـــالي
هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراق فـــأينَ سَيلُـــكِ يـــا مَـــوالي ؟!

نـــزلَتْ جميـــعُ النّـــازلاتِ وأنتِ في بـــردِ الظِّـــلالِ
نـــزلَتْ جميـــعُ النّـــازلاتِ وأنتِ في قيـــلٍ وقـــالِ
لم تبـــرح الجُبَنـــاءُ تَنـــدبُ فِغـــلَ رَبّـــاتِ الحِجـــالِ
لم تبـــرح الجُبَنـــاءُ تُنـــذرُ بـــالتَّصَـــدّي في الخيـــالِ !
حتى إذا نَفَـــرَ الـــرِّجـــالُ وآذنَ الـــدَّمُ بـــاشتعـــالِ
وتفتَّحَتْ بـــابُ المـــروءة عن بـــواكيـــرِ النُّـــزالِ
صـــاروا مطـــايـــا للـــدَّخيـــلِ تُعينُ جنـــدَ الإحتـــلالِ

يـــا مـــرحبـــاً بسهـــام عَمّي ! مـــرحبـــاً بسهـــامِ خـــالي !
يـــا مـــرحبـــاً بكِ تـــزرعين ظهـــورَ أهلـــكِ بـــالنِّبـــالِ
لا بـــأس لا شكـــوى ، فَلستِ على الخيـــانـــةِ والسَّفـــالِ
ممَّن نُبـــالي لا وأيمُ اللّه لستم مَن نبـــالي !
واللّـــهِ مـــا خطَـــرَتْ أعنَّـــةُ خيلِكم يـــومـــاً ببـــالِ !
واللّـــهِ مـــا كنتم ولا صـــرتم سوى محضِ اتِّكـــالِ !
لم تعـــرفـــوا يـــومـــاً من الـ مسعى ســـوى ذلِّ السُّـــؤالِ !
لم تعـــرفـــوا في ذروةِ الامجـــادِ غيـــرَ الانخـــذالِ
واللّه أنتم في حســـابِ الحـــرب من بعض العيـــالِ

مهمـــا يَطُلْ بكم الحســاب   فــأنتمــو فَـرْطُ اختــزالِ !

يــا عثــرةً بــالمــوتِ نعثـرُهــا   أجُلــكِ أن تُقــالي !
يــا جـولـةَ الغـدِ للـرّدى   نــذرٌ لعينِــكِ أن تُجـالي !
خـالٍ وفــاضُ المـوتِ لن   يبقى وفــاضُ الموتِ خــالي !
يَتُهــا الجبــاهُ الفــارعــات   أُجِــلُّ كِبْــرَكِ أن تُــذالي !
يتُهــا الـدِّمــاءُ الـزاكيــات   لقــد نَــذْرنــا أن تُســالي
يتُهــا الصــدورُ المــوغَــرات   وللجـــراحـــاتِ النُّجــالِ
فيهــا ينــابيــعٌ تسيــل   سَلمتِ مُــرخَصَــةٌ غــوالي !

صبـــراً عــراقُ وهــل ســوى   صبراً .. على الحرب السِّجالِ ؟
صبـــراً على الجُلَّى فـإنــكَ   أنت ميـــزانُ القتـــالِ
صبـــراً وأنت أخــو الــرَّدى   صبـراً وأنت أخـو المعـــالي
صبـــراً وأدري ليس غيــرَكَ   للمُهمّـــاتِ الثِّقـــالِ
إنْ أنت لم تصبـــرْ فقــد   مـــالتْ مــوازينُ الــرّجــالِ !
وازّعـــزَعَتْ كـــلُّ الــذُّرى   وتَصــدَّعَتْ كــلُّ الجبــالِ !

صبــــراً عــــراقَ النَّخـــلِ والـ نهـــرَينِ والشُّـــرَفِ العَـــوالي
صبــــراً عــــراقَ القــادسيَّـــةِ والبطــــــولاتِ الخَـــــوالي
وعـــــراقَ صـــدّامٍ وكـــلُّ يـــدٍ بصــــدامٍ تُغــــالي !
صبـــــراً عـــــراقَ الثـــابتين الآن لـــلأمـــــرِ العُضـــــالِ
الـــــواقفينَ شَـــــوامخـــــاً والمـوت في ضَنْـكِ المجـالِ
المقبلينَ عليـــــهِ اقبــــالَ الـــوَيـْـــالِ على الـــوَيــــالِ !
صبـــــراً عــــراقُ وهلهلي يـــــا أختَ محمــودِ الفعـــالِ
فهــو ابنُ هــاتيـك الجـديلـةِ وابنُ ذَيَّـــــاكَ العِقــــــالِ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

إنْ شئتَ أن تعـــرفَنـــا فَسَلْنـــا
ثُنبيـــكَ زينُ القـــوسِ خيـــراً عنّـــا
واللّـــهِ لم نحمـــلْ بهـــا مِجَنّـــا
محضَ سيـــوفٍ مـــرهَفـــاتٍ كنّـــا
وأنفُســـــاً بمـــــوتهـــا تَغَنّى
فنحنُ أحفـــادُكَ يـــا مثنّى !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

كــــاســــاً بكــــاسٍ هكـــذا نْســـــاقي
نَلتَفُّ ســـــاقـــــاً والـــــرَّدى بســــاقِ
واللّـــــــهِ لا نُبطيءُ في التَّـــــلاقي
فـــــالمـــوتُ حقٌّ ليسَ منـــــهُ واقي
وليس غيـــــر اللّـــــهِ شيءُ بـــــاقي
نبقى ويبقى شَـــــرَفُ العـــــراقِ
دَينـــــاً كَـــدَينِ اللّـــهِ في الأعنـــاقِ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٠

سيدي أيها الجنديّ العراقي

(١)

إذا كنتُ شيئاً لديكْ
إذا كان صوتي قريباً إليكْ
إذا كان للشعر حقٌّ عليكْ
فباسم أخي ، باسم أختي وأُميّ
وباسم صغاري ،
وكلِّ الصغار الذين سيأتون
دعني أقبّلْ يديكْ !

(٢)

أدري بـــــأنَّ الشعــــر أصغَــــر
أدري بـــــأن الصَّــــوت أصغَــــر
تتَجمَّـــع الـــدُّنيـــا أنـــاشيـــداً
وتبقـــى أنـــت أكبَـــــــــز !

(٣)

خمسين عاماً أيُّها الصَّديقْ
خمسين عاماً وأنا القاكَ في الطريقْ
في كلِّ يومٍ ..
ثمَّ أمضي دون أن أراكْ
خمسين عاماً وأنا أبحثُ في الوجوهْ
عن مُنقذٍ ، خمسين عاماً وأنا أرجوهْ
وفجاْةً توميءُ من هناكْ
أنت الذي خمسين عاماً ،
كلَّ يومٍ تلتقي بي دون أن أراكْ !

(٤)

أدري بأنّ الشّعر لا يعلــو كما تعلـو البنادقْ
أدري بأن الشعر، كلّ الشعر، مَهما كان صادقْ
يــأتيكَ مُـرتبكَ الخُطى، متعثـراً بين الخنادقْ
يا أيُّها الشَــرَفُ المُتَوَّجُ بـالدِّمـاء وبالحـرائقْ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

لتَشهـــدِ الاحـــوازُ والمُحَمَّـــره
أنّـــا أحَلنـــاهـــا بِلَيـــلٍ مِجْمَـــره
حتى غَـــدَتْ شـــواخصـــاً مُـــدَمَّـــره
والله إنّـــا أمَّـــةٌ مُستَنْفَـــرَه
آمـــرةٌ على الـــردى مـــؤمَّـــرَه
أردانُهـــا عن غضبٍ مُشَـــمَّرة
وســـاقُهـــا في مـــوتِهـــا مُسَمَّـــرَه
فلينتـــدبْ كُـــلُّ دَعيٍّ مَعشَـــرَه
وليَستَثِـــرْ رمـــاحَـــهُ وضُمَّـــرَه
ولا يَلُمْ جحيمَهـــا إن دَمَّـــرَه

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نجيئكم صدوُرنا حواسِر
مثلَ الصُّقور حُوّماً كواسر
مُشَرَعَةَ الأظفار والمنَاسِر
نأخذُكُم أخْذَ عزيزٍ آسِر
بكلِّ ليثٍ مُستَفَزٍّ جاسِر
واللَّه إنَّ اللَّهَ للمَعاسِر
وإنَّهُ لأهلِهِ لَياسِر
وإنَّما الزِّنديقُ فينا الخاسِر

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

شــــدُّوا عنانَ الصَّبــرِ فــالصَّبــرُ ظَفَــرْ
مـــا صَنَـــعَ الأمجـــادَ إلّا مَن صَبَـــرْ
واللّـــــهِ لن يقـــولَ عنّـــا ذو بَطَـــرْ
بـــأنَّنـــا قـــومٌ خِفـــافُ المُـــدَّخَـــرْ
وأنَّنـــا نيــــرانُنـــا مَحضُ شَـــبَرْ
وأنَّنـــا نـــركضُ عنـــد المُنْحَـــدَرْ
واللّـــهِ لا إنَّ لنـــا فيهـــا أثَـــرْ
أقـــدامُنـــا تُبقي على الأرض حُفَـــرْ
من ثُقْـــلِ مـــا نَـــركـزُهـــا كَـــرّاً وَفَـــرّ
ليَعلمِ المـــوتُ إذا المـــوتُ اشتَجَـــرْ
أنَّ لنـــا مَهـــابَـــةً لا تُختَصَـــرْ
وأنَّنـــا أثقَـــلُ مِن كـــلِّ البَشَـــرْ
إبّـــان لا يُبقي الـــرَّدى ولا يَـــذَرْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

الصَّبـــــر ، ثمَّ الصبـــــر ، ثمَّ الصَّــــبرُ
إنَّ الكـــــريمَ الصَّـــــابــــرُ الأبَــــرُّ
لِتَعلم الخطــــــــوبُ حينَ تَعــــــرو
بــــأنَّنــــا هـــذا المَـــذاقُ المُــرُّ
وأنَّنـــــا في المـــــوتِ لا نَصْفَـــــرُّ
نــــدري بــــأنَّ الحـــرب دربٌ وَعْـــرُ
نــــدري بــــأنَّ الأمـــرَ فيهـــا أمـــرُ
وعنـــــدَمـــــا تشتَــــدُّ لا نَـــزْوَرُّ
لأنَّنـــــا نعــــرفُ مــــاذا تَـــذرو
يـــــا جبنـــــاءَ رستمٍ أصـــــرُّوا
وكلَّمـــــا طــــالَ مَـــداهــــا فــــرُّوا
يبقى الـــرِّجـــالُ الصـــامـــدونَ الغُـــرُّ
الثـــــابتـــــونَ والـــــردَّى يَكــــرُّ
بهم بعــــــزمهم يجيءُ النَّصـــــرُ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

طـــالَ مـــداهـــا ومَـــداهـــا ذو مَـــدّ
من والـــدٍ نعـــرفُـــهُ ومن جَـــدّ
شـــدّي فـــإنّـــا أهـــلُ ذَيّـــاك الشّـــدّ
نثيـــرُ فيـــهِ النَّقْـــعَ حتى يَـــربَـــدّ
لقـــد نَـــذَرْنـــا العُمـــرَ ألّا نـــرتَـــدّ
الّا وللبـــاطـــلِ ثـــوبٌ مُنْقَـــدّ
والحقُّ عـــالي المنكبين معتَـــدّ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٨٠

سيدي أيها الجنديّ العراقي

أنت لا تشكـــو الصـــواريـــخ ،
ولا تشـــكـــو القنـــابـــلْ
تتلقـــاهـــا كـــريمَ النفس ، شهمـــاً ،
وتقاتـــلْ
وتمـــوتْ
دونَ أن تَسأل شيئاً ،
يا عظيـمَ النفـس ،
يا أنبَلَ ما في المَلكوتْ !

يا شرَفَ العراق في الخنادقْ
يا سيِّدي
يا مُشرَعَ الصّدورِ للبنادقْ
يا حاملًا عنّي وعن أولاديَ المَنايا

يا أشرَفَ الضحايا
باسمِكَ ، نحنُ أهلكَ الأوفياءْ
نعلنُ من موقعنا أنّا نريق الدِّماءْ
يا سيّدي
موقعُنا ليس بهِ حرائقْ
ليس به فناءْ
لكنَّ فيهِ منكَ يا سيّدي
هذا التحدّي ..
هذه العزَّةُ والكبرياءْ

يا سيّدي
أهلُكَ نحنُ
بينَنا زوجتُكْ
وبيننا إخوتُكْ
وبيننا أمُّكَ يا سيّدي
وبيننا أطفالُكَ الأبرياءْ
وما أذلّنا
وما أبخلَنا
إن لم نُشاطرك وأنتَ تنزفُ الدِّماءْ
بأن نقولَ ساعةَ العَطشْ
بكبرياءٍ :
لا
لكـــأسِ المـــاءْ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نحن بَنَينا بابلًا وبغداذْ
نحنْ وَرِثْنا كلَّ ميراثِ الضّاذْ
باسمِ الحضاراتِ وباسمِ الأمجاذْ
ندفعُ عنكَ يا ترابَ الأجداذْ
والله لن يقولَ عنّا الأحفاذْ
بأنَّنا لم نَفِ حقَّ الميلاذْ
وقد تَركْنا الضّادَ نَهْبَ الأحقاذْ
تسعى بوادٍ وسَعينا في واذْ
حتى تألَّبَتْ عليها الأوغاذْ
والله لا نحنُ لها بالمرصاذْ
نعلنُها على رؤوسِ الأشهاذْ
بأنَّها خَيمتُنا ، أرضُ الضّاذْ
عمودَها مُرتكزٌ في بغداذْ

وفي الخليـــــج والمحيطِ الأوتـــــادْ
وفي جِمـــانـــا كـــلُّ تلـــكَ الأبعـــادْ
سيــــوفُنـــا تلمـــعُ دونَ أغمـــادْ
وخيلُنـــا تصهـــلُ حَـــدَّ الإرعـــادْ
ونحن واللّه كمـــــــاةٌ أسيـــــاد
ونحن واللّه عطـــــــــاشٌ ورّاد
نـــركضُ نحـــو مـــوتِنـــا بـــلا زادْ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

يا شرَفَ الأمَّـةِ يا أبطالَها   يـا صائنينَ عـرضَها ومـالَها
وحـــاملينَ في الـــرَّدى أثقـــالَهـــا
عهـداً لكلِّ قطـرةٍ أسـالَهـــا   شهيدُكم يا مُثُلًا نسعى لَها
أنّـــا نـــريقُ ههُنـــا أمثـــالَهـــا
تاللّهِ لن تُلقي يدٌ أحمالَهـــا   ولن تُنيمُ أمُّنـــا أطفـــالَهـــا
إلّا وقـــد خـــاضتْ بهم أهـــوالَهـــا
وعَلَّمتهُم انهـــا مَجـــامـــرُ   سيُصبحـــونَ في غدٍ رجـالَهَا

يا شرَفَ الأمَّـةِ يا أبطالها   واللّـــهِ لم تُخَيِّبوا مَن قـالَها
لَبـــوَةُ أهلي أرضَعَتْ أشبـــالَهـــا !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٠

نسجنا لهم درع الفُراتَين

بلى هــذه أرضي ، وهــذا مسَــارُهــا
وهـــذي ســرايــاهــا ، وهــذا مغــارُهــا
وهـذا الـذي مـاجَتْ بـهِ الأرضُ سَيلُهـا
وتلــك التي لالا بهــا الأفقُ نــارُهـا
وأصــواتُهــا هــذي ، وتَصهــالُ خَيلِهــا
وهـــذي البـروقُ الخــاطفــاتُ شِفــارُهــا
بلى هـــذه أرضي فَمـــا بنتُ لَبـــوَةٍ
ســواهـا مـدى التـاريـخ هـذا مَـــدارُهـا !

الا أيُهــــا المستَنفَـــرون الى الــرَّدى
جبــالَ حَـديـدٍ لا يُصَـدُّ انحـدارُهــا
وأنتم عليهـــا أنفُسٌ قــد تــلاحَمَتْ
مـع النّـار حتى جَـلَّ فيهـا انصهــارُهـا

فما عـادَ يـدري خصمُكُم أينَ جمرُهـــا
جحيمُكمـــو هـــذي ، وأين شـــرارُهـــا
ومـا عـادَ يـــدري ، والـدّروع ، ومَن بهـا
مزيـــجٌ من الفـــولاذ ، كيفَ انشطـارُهـا !

ألا أيُهـــا المُستَنفَـــرون الى الـــرّدى
وحسبُ المنـــايـــا أنَّ أهلي مَـــزارُهـا !
وأنَـــا مدى التـاريـخ كُنّـا وَقـودَهـا
وأنَـــا على كَـــرِّ الليـــالي مَنـــارُهـا
وحسبُ المنـــايا كلّمـا الأرضُ أعسَـرَت
فَلَم تَلـــدْ الفـــادين ، أنّـــا يَســارُهـا !
وأنَـــا إذا قيسَتْ مَـــوازينُ أمَّـــةٍ
على الموتِ قال النـــاس : أنتم عيارُهـا !
ومـــا خفَّ لا واللّه ميـــزانُ بـــأسِنـــا
ولا كَبُـــرَتْ يـــومـــاً علينـــا كبـــارُهـا
تظـــلُّ حلـــوم الأرض مـــوصـــولـــةً بنـــا
بلى جَهلُهـــا فينـــا ، وفينـــا وَقـــارُهـا

إذا الأرضُ مـــادَتْ ، والمـــروءات زُلــزِلَتْ
وحَطَّتْ دجىً لا يُستَبـــانُ اعتكـــارُهـــا
رَكَـــزْنــا بصـــدرِ الأرض هَــوْلَ حضـــورِنــا
فتَنـــدَكُّ أو ينجـــابَ عنهـــا دُوارُهـــا

بلى نحن أهــلُ الأرض مـوصـــولـةٌ بنـــا
مَـــلاحمُها ، مُـــذْ كُـــوِّرَتْ ، وانتصـــارُهـــا
وهَـــا هم وألفٌ قـــد مَضَينَ كـــأنَّهم
الى الآن معقـــودٌ عليهم غبـــارُهـــا !

ألا أيُّهـــا المُستَنفَـــرون الى الـــرَّدى
وكـــلُّ دمـــاءِ النـــاس جَفَّتْ بحـــارهـــا
حَمَلتُم دِيـــاتِ الأرضِ طـــراً وإنَّمـــا
كبـــارُ الـدَّواهي بـــالكبـــار انـــزجـــارُهـــا

يقـــول لنا الـرّاهونَ في الـذلِّ : صَبـرَكم !
ونفسُ الكـــريم الحُـــرُّ كيفَ اصطبـــارُهـــا

وكيف تنـــامُ العينُ والحَيفُ حيفُهـــا
وأعـــداؤهـا الأعـــداء، والثـأرُ ثـارهـا
فَقُـــلْ لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَتْ
وفرسـانُ سعـدٍ مـا تَـــراخَتْ ضمـارُهـا
وقـــلْ لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَتْ
وتبقى مَـــواضينـــا نَـــديّـــاً غـــرارُهـا
وقـــل لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَت
وميـــراثُكُم منهـــا شَجـــاهـــا وعـــارُهـا
وهـــا هُم أولاءِ الآن أحفـــادُ رستمٍ
وأحفـــادُ سعـدٍ فـانظـروا مـا بـدارُهـا
أَلَم تستقم كـــالأمسِ فينـا شمـــوسُهـا ؟
أَلَم يَنتَثِـــرْ كـــالأمسِ منكم نثـــارُهـا ؟
أمـا كـان فينــــا عـزمُهـــا واقتـدارهـا ؟
أمـــا كـــان فيكم ذعـــرُهـا وفـــرارُهـا ؟
يجـــوسُ ببيتي مَن لبيتيَ حُـــرمَـــةٌ
عليـــه، وأدنى حـرمـــةِ النـاسِ جـارُهـا

حَمَلنـــاكمـو حَمْـلَ اللـديـغِ سمـومَـهُ
وقلنـــا تخـــومُ الأرض يبقى جـــوارُهـــا
أفي كـــلِّ ألفٍ تحبَلـــونَ بعقـــربٍ
ويلفظُهـــا لَفظـــاً إلينـــا وِجـــارُهـــا !
وقـــد غَبَـــرَتْ ألفٌ وألفٌ ولم تَـــزَلْ
نفـــوسُكُمـــو بـــالحقـــد يغلي صَغـــارُهـــا
بلى نحنُ كُفءُ الغيظ والحقـــدِ واللظى
وَخَيـــلُ أنـــوشـــروان فينـــا عِثـــارُهـــا
صَـــدَعْنـــا ذُراهـــا يـــومَ مـــولـــدِ أحمَـــدٍ
وفي وَهَـــجِ الفـــاروق كـــان انهيـــارُهـــا

بلى ، وانظـــروا وجـــهَ المُحَمَّـــرةِ التي
جَلَـــونـــا ، وعَبَّـــادان كيفَ حِصـــارُهـــا
وواللّـــهِ لـــو شِئنـــا بيـــومٍ وليلـــةٍ
وأسهَـــلُ من عصـــرِ الهَشيمِ اعتصـــارُهـا
لَخُضنـــا بخيـــلٍ من حـــديـــدٍ دروبَهـــا
وأصبـــحَ من بيتٍ لبيتٍ جِـــوارُهـــا !

ألا أيُّهـــا المستَنفَـــرون الى الـــرَّدى
نفــوساً لهـذا اليومِ كـانَ ادِّخارُهـا
تبـــارَكَت الأرض التي تحــرثــونهــا
لقـد فـزَّ حتى رملُهـا وحجـارُهـا
ولاذَتْ بكم ، كـــلُّ الـــدُّروع تَشَبَّثتْ
بها فرطَ ما عانَتْ وطالَ انتظارُها
وأقحمتُمــو فيهـا على المـوتِ زهـوَكم
وفي لحظــةٍ أضحى خضيباً عِـذارُهـا
محـــاريثُهـا نـارٌ، وأمطــارُهــا دَمٌ
وأجســادُ أغلى الــواهبين بـذارهـا
لهـا الله بعـد الجَـدبِ والهَجـرِ والظَّمـا
بـأيِّ الضَّحـايا سـوف تـزهـو ثمارُها !

لـكَ المجـدُ من ألفٍ وأعـلامُ أمَّتي
تـرفُّ بـارضٍ مُستبـاحٍ ذِمـارُهـا
إذا شهقَتْ دارَت عليهـا رحى الـرَّدى
فنـامَتْ شَـواطيهـا ، وأغفى فَنـارُهـا

الى أن حسبنـــا أنَّ قحطـــانَ لم يكنْ
سوى قصَّةٍ يُرضي هَوانا ادِّكارُهـــا !
الى أن حسبنـــا بـــابـلًا مَحضَ قلعـةٍ
عَلَتْ زمنـــاً ، لكنْ تَهـــاوى جـــدارُهـــا !
وصـــرنـا إذا مـــا قيـل : أينَ عظيمُكُم ؟
نُقَلِّبُ أوراقــــاً تَنــــاهى اصفـــرارُهـــا !
وأيــــأَسَنــــا أعــــداؤنـــا من نواتِنـــا
الى أن تنــاهى في النفـوسِ انكسـارُهـا
فمـــا عـــادَ يـدري سـائـــرٌ مـــا طـــريقُـهُ
ولا فـــرقـةٌ من أهلِنـــا مـــا شعـــارُهـــا
وكـــان ضميـــرُ الارضِ يلظى بجـــوفهـــا
وكـــانت قـدورُ المجـــد يعلـــو بخـــارُهـــا
ومـــا هي إلّا صـــرخـــةٌ : واعـــروبَتـــا
وكفٌّ من الاحـــواز يـــدمى ســـوارُهـــا !
و « لبَّيـكِ » .. نَوَّى مـلءَ بغـــداد رَجعُهـا
وزَلـــزَلَ كـــلَّ المَشـــرقَينِ انفجـــارُهـــا !

بلى ، من هنـا يـا أمَّتي يَبـدأ العُنـا
فـإنَّ خيولَ المجـدِ صعبٌ مُغـارُهـا !
بلى من هنـا يـا أمَّتي يَبـدأ الـرِّضـا
رضـا أنفُسٍ مـا قـرَّ يومـاً قـرارُهـا !
رأيتُ إليهم يـزحفـون بِسَيلِهم
وتشـرينُ مـأسـاةٌ يكـادُ احتضـارُهـا
وكـانت عـروسُ الشـامِ تَنـزو مَـروعـةً
يـدافـعُ أيـدي الأرذلين خمـارُهـا
وهم يَنهبـونَ البيـدَ نهبـاً ، دروعُهُم
يكـادُ يهـزُّ الـرّاسيـاتِ جُـؤارُهـا
يُسـائلُهم إذ يمضـغُ الأرضَ درعُهُم :
طـريقُ دمشق الشـام كيف اختصـارُهـا !
ومـا بلَغـوا مـرمى دمشق ، وأشـرفـوا
على السّـاح حتى صـار ليـلًا نهـارُهـا !
فكـانـوا حضـورَ اللّه والحقِّ والـرَّدى
وجلُّقُ مـوفـورٌ نقيٌّ إزارُهـا !

وهم هم ، مـــدى ستّينَ عـــامـاً تقلَّبَتْ
على النـــاسِ شتّى ، داميـاتٍ جِـرارُها !
فكـــانوا بهـا سيفـاً ، وكـانـوا بهـا سَنىً
وصـــورةَ عـــزٍّ كـــلُّ قلبٍ إطـــارُهـــا !

بلى يـــا لهيبَ القـــادسيّـــاتِ كلِّهـــا
ويـــا سُحُبـاً للمجـد جَـلَّ انهمـــارُهـــا
ويـــا جُنـدَ مَنْ حتى المَقـاديـرُ جُنـدُهُ
ففي يـــدِهِ إقبـــالُهـــا وانحســـارُهـــا
تصـــولُ بنـــو شَيبـــان للمجـدِ كلُّهـــا
ولكنَّ زهـــوَ الخيـــلِ يبقى ضـــرارُهـــا !
ونـــذكـــرُ كـــلَّ العُـــربِ زهـواً وإنَّمـــا
كنـــايتُهـــا قحطـــانُهـــا أو نـــزارُهـــا !
فـإن قلتُ : يـا صـدام نـادَيتُ أمَّـــةً
لأنَّ المنـــادى زهـــوُهـــا وفخـــارُهـــا !

ألا يـــا مَهَبَّ المجـــدِ من حيثُ أقبلَتْ
نَســـائمُ أهلي ، شِيحُهـــا وَعَـــرارُهـــا
روائـــحُ ذاكَ العِـــزِّ فيـــكَ طيـــوبُهـــا
وتلـك الـرِّمـــالُ السُّمـر فيـكَ نِجـارُهـا
ويـــا وارثـــاً عن خيـر أهلي خَـــلاقَهم
وأعظَمُهـــا أنْ دارَةُ العِـــزِّ دارُهـــا
وأنَّـــكَ نفسٌ نـــاصـــعٌ جَيَشـــانُهـــا
صـــريحٌ تَـــدانيها ، صـــريـحٌ نِفـــارُهـــا
قليـــلٌ على كـــلِّ الخطـــوب شكـــاتُهـــا
عـــزيـــزٌ رضـــاهـــا ، والأعَـــزُّ ازورارُهـــا
وأنت وأيْمُ اللّـــــهِ نَبْـــعٌ ومَعقـــلٌ
لكـــلِّ عُـــرى أهلي فكيفَ انهـــدارُهـــا ؟

بلى يـــا مَهيبَ السَّيف والـرأي والخطى
ويـا جـابـــراً مـا يَستحيـــلُ انجبـارُهـا
ويـــا واســعَ الآفـــاقِ والـــرأيِ والهـــوى
ويـــا غـــافـــراً مـــا لا يُطـــاقُ اغتفـــارُهـــا

ووالله لـو كـانت لـدى الفـــرسِ فطنـةٌ
لَـــرنَك عنهـــا أنْ أتـــاكَ اعتـــذارُهـــا
وأنْ أسلَمَتْ بـــالحَقِّ للحَقِّ أمـــرَهـــا
وَردَتْ جَهـــالاتِ الصِّغـــارِ كبـــارُهـــا
ولكنَّهـــا صـــالَتْ وجـــالَتْ وأرعـــدَتْ
وكَشَّـــرَ عن ظفْـــرٍ ونـــابٍ سُعـــارُهـــا
فَيـــا عـــاليَ الـــرّايـــاتِ آنَ انتشـــارُهـــا
ويـــا فـــارسَ الأهـــوالِ حـــانَ اتِّـــزارُهـــا
ويـــا زاهـــداً بـــالشَّـــرِّ رِفْقـــاً ومنعَـــةً
أتَتْـــكَ بـــهِ تسعى حَثيثـــاً صغـــارُهـــا
أتـــاكَ بـــه مَن لـــو درى من خَصيمُـــهُ
لَـــوَدَّ لـــو انَّ الأرض حـــانَ انفطـــــارُهـا !
وَمَن لـــو درى أنَّ المَطـــافَ سَيبتَـــدي
بصـــدام لاستعصى عليـــهِ ابتـــدارُهـــا !
نَسَجنـــــا لهم درعَ الفُـــــراتَين : زَرْدَةً
فصـــدام ، فالاخـــرى .. كذاكَ انضفـــارُهـا !

يقـــول لنا الـرّاهُـونَ في الـذُّلِّ : صَبـرَكُم
ونفسُ الكـريم الحُـرِّ كيف اصطبـــارُهـا ؟
أتَينــــا لهـــا كُـــرهـــاً على عُنفـــوانِنـــا
ومـــا ســـاقَنـــا والله إلّا اضطـــرارُهـــا
ويبقى أخــــو الأمجـــاد مَن يَستَثيـــرُهـــا
وليسَ الـــذي يحني قَفـــاهُ انتظـــارهـــا !

فَيـــا جُنْـــدَ صـــدامٍ ، وصـــدامُ هـــالـــةٌ
من المجـــد يُزهي الخـــافقَينِ اعتمـــارُهـــا !
ويـــا جُنْـــدَ صـــدامٍ ، وصـــدامُ أُمَّـــةٌ
وتـــأريـــخُ أرضٍ يُستَعـــادُ ازدهـــارُهـــا
لقـــد جُلتمـــو واللّـــهِ للحقِّ جـــولـــةً
سَيبقى مـــدى التـــاريـــخ حيّـــاً أُوارُهـــا !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٧ / ١ / ١٩٨١

يا عزيز العراق

أن نبالي سيّان أو لا نُبالي
عَثْرةَ الموتْ أكبِري أنْ تُقالي !
ما يكنْ فيكِ من صنوفِ الرّزايا
حَسبُنا أنّنا لها يا ليالي !
منذُ ألفينِ والمروءاتُ حُبلى
والدّياجي موعودةٌ باشتعالِ
منذُ ألفَين والمَقاديرُ تسعى
مُخنِقاتٍ بها عيونُ الرجالِ
منذُ ألفين والشرايينُ تغلي
وَيْكِ يا قادسيَّةَ الأجيالِ
طاشَ سهمُ التاريخ انْ لم تَكوني
ساعةَ الصِّفرِ للوعودِ الطوال !

قـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا إلينـــا

يـــرفضُ الـلّـــهُ والعُلى أن تـــذالي

قَـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا الينـــا

لن تَـــريْ مثـــل هَـــامِنـــا للمَعـــالي

قَـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا الينـــا

لم نَـــزَلْ هُـــولـــةً ولَمّـــا تـــزالي

عُمـــرَنـــا طفلُنـــا يَـــرى حَبْلَـــهُ السُّـــرِّيَّ

مُلقىً في لُبُـــــةِ الأهـــــوالِ

عُمْـــرَنـــا لا يُـــذامُ فينـــا رضيـــعُ

أنَّـــــهُ عَـــــلٌ من حليبِ رُذالِ

عُمْـــرَنـــا لا تشـــابـــكَ العينُ فينـــا

هُـــدْبَهـــا والحتـــوفُ رَشْقَ النِّبـــالِ

نحنُ قـــومٌ إذا ركْبنـــا حَمَلْنـــا

مـــوتنـــا قَبـــل زادِنـــا في الـــرِّحـــالِ!

قَـــرِّبي صهـــوةَ المَنـــايـــا إلينـــا

كـــلُّ حَيٍّ بهنَّ لا بُـــدَّ صـــالي

قـــرِّبي هـــذه الكـــؤوسَ فـــإنَّ الـ
مـــوتَ فيهنَّ كـــالـــزُّلالِ الـــزُّلالِ
وأديـــري زهـــوَ الفَنـــاجينِ فينـــا
إنَّ مجـــدَ العـــراقِ مـــلءَ الـــدَّلالِ!
بـــل عـــراقيَّـــةٌ جبـــاهُ المَعـــالي
وعـــراقيَّـــةٌ سِمـــاتُ الجَمـــالِ
وعـــراقيـــةٌ، إذا شبّت الحـــربُ
لظـــاهـــا، أصـــابـــعُ الآجـــالِ!
نحن والمجـــدُ وَحْـــدَنـــا والمنـــايـــا
في مجـــالٍ، وغيـــرُنـــا في مَجـــالِ
نحن والمجـــدُ والمَنـــايـــا بضَنْـــكٍ
جـــاحمٍ لا تُشـــالُ فيـــه العَـــوالي
فَـــرَطَ مـــالَـــزَّ بعضَـــهُ المـــوتُ لَـــزّاً
فـــانظـــري أيُّنـــا كـــريمُ الفعـــالِ!

قـــرِّبي قـــرِّبي رَدانـــا إلينـــا
لا قتـــالٌ إلّا كهـــذا القتـــالِ!

قبـــلَ أنفِ أبـــو رُغـــالٍ رَمـــانـــا
مـــا الـــذي تـــرتَجينَـــهُ من رُغـــالٍ ؟!
قـــرَبي صهـــوةَ الـــرَّدى إنَّ أهلي
عَـــدَدَ النُّجمِ والحَصى والـــرِّمـــالِ
إن يُهـــانـــوا وهم أولـــو ذلـــكَ العـــزِّ
ثَكِلْنـــا مـــآلَنـــا مِن مَـــآلٍ !

صـــولـــةَ الحقِّ والمـــروءةِ نَـــذرٌ
لِمـــآقي أطفـــالِنـــا أن تُصـــالي
قسَمٌ ، مِن دمـــائهم وهي تجـــري
زاكيـــاتٍ على الـــدروبِ الـــوجِـــالِ
قَسَمٌ ، من عيـــونهم وهيَ تـــرنـــو
حـــولَهـــا في تَســـاؤلٍ وانـــذهـــالِ
قَسَمٌ ، من ثيـــابهم لاهبـــاتٍ
وعيـــونُ الجـــراحِ فيهـــا تُـــلالي
شَبٌّ حتى اقشعـــرَّت الأرضُ منـــهُ
وتشظّى وجـــهُ السّمـــاءِ العـــالي

لم تكنْ ذروةَ الشَّهادةِ فريال

ولا بَدؤها بِما فريالِ

انَّما كانت النُّبوءَةَ حَقاً

وسؤالًا قيلَ ابتداءِ السّؤالِ :

عرسُ مَن هذه الدِّماء ؟ .. وماذا

يُرتَجى من مَذابحِ الأطفالِ ؟

عرسُ مَن هذهِ الدِّماء ؟ .. وماذا

خلفَ هذا النَّسيج من أنوالِ ؟

عرسُ مَن هذهِ الدِّماء ؟ .. وماذا

تَرثُ الأرضُ من هبوب الشمالِ ؟

ثمَّ جاءَ الرَّجْعُ الكبيرُ المُدَوّي

قَسَماً صادعاً رهيبَ الجَلالِ :

يا ضَحايا أطفالِنا ، قسماً أنَّ

دِماكُم أثمانُهنَّ غَوالي

يا ضحايا أطفالنا ، قَسَماً أنْ

تَملأي كلَّ أرضِنا بالغِلالِ

يـــا ضحـــايـــا أطفـالِنـا لَنْ تضيعي
كـــلُّ جـــرحٍ لـــهُ حســـابٌ تـــالي!

أفَكـــــانتْ تَكبيـــــرَةٌ من بِــــلالِ؟!
أبَشيـــرٌ أم منـــــذرٌ بـــالـــوَيـــالِ؟
خـــاشعـــاتٍ ظلّتْ قلـــوبُ المَـــلايين
ولكنْ رصينـــــــةً كـــــالجبـــــالِ
ذاكَ أنّ الصَّـــوتَ الـذي مَـــلَأ الـــدُّنيـــا
وأوفى على حـــــدودِ المُحـــــالِ
كـــان جـــرحَ العـــراقِ من ألفِ جيـــلِ
جَمَّعتْـــهُ صـــوتـــاً عصـــورُ النِّضـــالِ!

ألفُ لَبَّيـــكَ يـــا كـــريمَ الخِـــلالِ
يـــا مُـــزيـــلًا بـــالهَـــدْيِ كـــلَّ الضَّـــلالِ
ألف لبَّيـــك، لا اتِّقـــاءً، ولا نُهْـــزَةَ
عيشٍ، وليسَ مَحْضَ ابتهـــــــالِ

إنَّ هـــذا هـــديـرُ كـلِّ العـــراقيين
من أبعَـــــدِ السِّنين الخَـــــوالي
جــاء يسعى عَبْرَ الأسى ، عَبْـرَ كـلِّ الـ
قَهْـــرِ ، عَبْـرَ السُّجـونِ حتى بَــدا لي
فتَقمَّصْتُـــــهُ أنـــا الصـــوتُ لكنْ
غَيظُ كـــلِّ العـــراق في أوصــــالي !

هكـــذا كـــانت البَـــداةُ اغتيـــالًا
فـــالتفـــاتـــاً الى يـــد المُغتـــالِ
فـــانتفـــاضـــاً ، فَلَمحَـــةً عَبْـــرَ كــلِّ الـ
أرضِ جـــاسَتْ في ظُلمَـــــةِ الآزالِ
فتَعـــــرَّتْ على النِّصـــالِ أيــاديهم
وأجفَلْنَ أيمـــــــا إجفـــــــالِ
أنَّ بـــرقـــاً أضـــاءَ عَـــرْضَ السَّمـــاوات
وصَـــوتـــاً يَـــرْفَضُّ كـــالـــزلـــزالِ
يـــا بَني يعـــربٍ أرى طـــاقَ كســـرى
يتهـــــاوى أرى دبيبَ النَّمـــالِ

فـــوق أنقـــاضِـــهِ   أرى سيفَ سعــدٍ
وخيـــولَ القعقـــاع فـــوقَ التِّـــلالِ
يـــا بني يعـــرب أرى مَـــرّةً اخـــرى
دبيبَ الحـــديـــد والأفيـــالِ
انّهـــا قـــادسيَّـــةٌ يشهـــدُ اللهُ
فنفسُ القَنـــا ، ونفسُ النِّبـــالِ !

وانتفضنـــا   وعـاد سيـــرتَـهُ التـــاريـــخ
يـــا للحـــربِ الضَّـــروسِ السِّجـــالِ
يـــا عـــراقَ المُـــدَجَّجين الأوالي
يـــا عـــراقَ الفـــروضِ والأنفـــالِ
يـــا عـــراق التـــاريـــخ   إنَّـــكَ أبقى
كـــلُّ شيءٍ إلّاكَ رهنُ الـــزَّوالِ !

هكـــذا نفَّضَ العـــراقُ جنـــاحَيـــهِ
صُقـــوراً تحـــومُ فـــوقَ صِـــلالِ

هكـــذا كـان جنـدُ صـدامَ مِن صـــدامَ
فيهم أرومَــــــــــةُ الأشبـــــــــالِ
هكـــذا نحن يـــا عـــراقُ اعتــدادٌ
وخيـــالٌ يفـــوقُ حَـــدَّ الخيـــالِ
أفـــأمضى ، ونحن في شهـرهـا الثـامنِ
مِن جنــــدِنـــا على الإقبـــالِ ؟
أفـــارهى ، ونحن في شهـــرهـــا الثـــامن
مِن صَبـــرنـــا على الإحتمـــالِ ؟
أفـــاوفى مِن أهلنـــا ؟ .. يـــا عـــراقَ الـ
عـــارضيّـــات ، يـــا بعيـــدَ المَنـــالِ
لم تـــــزلْ أمُنـــا تَهـــزُّ ليـــومٍ
مثـــلِ هـــذا أولادَهـــا وتُـــلالي !
لم نـــزلْ يُقبـــلُ الشَّهيـــدُ علينـــا
بين طَلْق الـــرصـــاصِ والأزجـــالِ !
هلهلي   هلهلي فـــإنَّ المَنـــايـــا
مقبـــلاتٌ يـــا أمَّ زاهي العِقـــالِ !

هلهلي، إنَّــــهُ كبيـــرٌ كمـــا رَبَّيتِ
سَبْـــــغٌ في زحمـــــةِ الآجــــالِ
هلهلي، إنَّـــــهُ عـــراقُ الــــزكيّـــات
حَمـــــولاتِ أكــــرمِ الأحمـــــالِ!

يا عـزيـزَ العـراق، لـــو يملكُ الشِّعــرُ
انفـــلاتــــاً من الحــــروفِ الثُّقـــالِ
لَتَبيَّنتَ حـــــولـــكَ الآنَ غــــابـــاً
من قلـــوبٍ يخفقْنَ مثــلَ الـــدَّوالي
لتبيَّنتَ حـــولـــكَ الآنَ كـــالطـــوفـــانِ
جيشـــــاً يَمـــــوجُ بــــــالأبطـــــالِ
كـــلُّ جِـــزسٍ يكـــادُ يصبـــحُ سيفـــاً
ودمــــــاءً تَهمُّ بـــــــالانهمـــــــالِ
كـــلُّ جِـــزسٍ يكـــاد يخفقُ طيـــراً
ويـــلَ هـــذي الحـــروف من أغـــلالِ!

يــــا مَهيبَ الفعـــالِ والــرأي والامجــادِ
والقـــــــولِ والنُّهى والخصـــــــالِ
يــــا كبيـــــراً على صـــروفِ الليـــالي
وحسيـــــراً على اشتبـــاكِ النِّصـــالِ
يــــا فتى كــلُّ هَيْعَــةٍ، مــا تَحَــدَّثْــهُ
المَنــــايــــا إلّا دعـــاهـــا : نَــزالِ !
يــابنَ هذا النَّخيـل، يــا صِنْـوَهُ في الـ
زَّهــو يــا عِـذْلَ أرضِـهِ في الكمـــالِ !
يــا أعَــزَّ الـــورى، ووالـلّــهِ قــدِ اتعبتَنــا
فيــــك .. ! .. أم تُـــرانـــا نغـــالي ؟!
أفـــأحبَبْتُ فيـــكَ نفسي .. ؟ .. لعلّي !
ولعــــلَّ العـــراق محضُ انفعـــالِ !
لا وعينيـــك ! .. أنت أدرى بـــأنّــــا
أهـــلُ زهـــوٍ لكنْ طـــوالُ الحبـــالِ !
لا وعينيـــك .. أنتَ أدرى بـــأنّــــا
نصطفيـــكَ الهـــوى لأنّـــكَ غـــالي !

ولأنَّ الهُيـــامَ قَــدْرَ المَعــالي
ولأنّـــا نـــراكَ مثـــلَ الهـــلالِ
ولأنَّ الضـــوء الـــذي فيـــكَ يســـري
مـــلءَ بيتي ، وفي عيـــونِ عيـــالي
فـــاذا قلتُ أفتّـــديـــك فـــإنّي
أفتـــدي صِبيَتي وعِـــرضي ومـــالي
وإذا قلتُ أفتـــديـــك فـــإنّي
أفتـــدي فيـــك كـــلَّ نُبـــلِ الـــرِّجـــالِ !

وقفـــةً يـــا عـــراق لي فيـــك صـــوتٌ
يشهـــدُ اللّـــهُ أنّـــهُ لا يُمـــالي
أنـــا عُمـــري مـــا قلتُ والنّـــارُ تلظى
حـــول أهلي : مـــا للـــرّزايـــا ومـــالي !
جمَـــرةً أصطليـــك مـــوتـــاً أعـــانيـــك
جـــراحـــاً تفـــوقُ حَـــدَّ احتمـــالي
أفـــأرضـــاكَ يـــا عـــراقُ وِقـــاءً
عن يميني ، ومـــرتعـــاً عن شمـــالي

فـــإذا ســـالَ نحـــوكَ السَّيـــلُ حَنَّبتُ
صغيـــــــــراً ألمٌّ من أذيــــــــالي ؟!
لا وعينيـــــكَ يـــا عـــراقَ السَّـــرايـــا
والضَّحـــايـــا ، ويـــا عـــراقَ المعـــالي
لن أُمـــــالي فيـــــكَ الحتـــــوفَ لأنِّي
رغمَ كِبْـــري أخـــافُ من أطفـــالي !
وأخـــاف التـاريـخ أفـزعُ لـو مـالأتُ
من عينٍ طفلـــــــةٍ في خيــــــالي !
يعلمُ اللّـــــــــــــهُ أنّني أتَشهَّى
منـــكَ مـــا لا يـــدورُ يـــومـــاً ببـــالِ !
يعلمُ اللّـــــهُ أنني يـــا عـــراقَ الـ
زَّهـــوِ أزهـــو عليـــكَ حَـــدَّ الـــدَّلالِ !
غيـــرَ أني واللّـــــهِ أعطي حيـــاتي
دونَ جـــذعٍ لنخلـــةٍ فيـــك بـــالي !
هكـــذا نحن يـــا عـــراقُ احتَمِلْنـــا
هكـــذا كـــان فيـــك عمّي وخـــالي

وأبي   نحن يـــا عـــراقُ عـــراقيّـــون
في مـــا نحبُّ حَـــدُّ النَّكـــالِ!
وسيبقى يُميتني ألفَ جيـــلِ
قـــولُهم إنَّ قشَّـــةً في عقـــالي!!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ
٨ / ٤ / ١٩٨١ بعنوان « الملحمة »

رؤيا نبوخذنصّر

إن لم يقم من بين ذُرّيتي
إن لم يقم من بين أولادي
مَنْ يستطيعُ حملَ هذا التاج والصّولجانْ
مَنْ يستطيع أن يقولَ للنجوم والأقمارْ
للغيومِ والأمطارْ
للعاصفِ أيّاً كانْ
قف ذلك المكانْ

إن لم يجيء من بين أحفادي
من يملكَ الصوتَ الذي تبيضُ منه العيونْ
فهؤلاء سوف يحكمونْ

للصدقِ أو للرِّيبْ
مختومةٌ أتركها ألواحُ هذا الغيبْ

ـ يا أيُّهذا النَّذيرْ
يا أيُّها الصوتُ الذي يرجفُ منه الضَّميرْ
مَن أنت ؟
مِن أينَ تجيء ؟
ـ أيُّها المُدَّثِّرْ
هذا أوانُ السَّيل
قُمْ فأنذِرْ
وهذهِ ثيابُكَ
الأرضُ التي أنت عليها دُنِّسَتْ
فَطهِّرْ

نيفٌ وألفا عامْ
تسألني من أين آتي
مَن أنا
والظـــلامْ
بيني وبين مقلتيــكَ معبَــرْ
بيني وبين قدميـــكَ معبَــرْ

لكنَّك اتخذتَهُ دريئةً للنَّوم والأحلامْ

نيفٌ وألفا عامْ
أرقبُكــم
متى يقوم بينكم من يحملُ الرايةَ عني ساعةً
كــي أنــامْ

ـ أوَلم نفعلْ ؟
يا هذا الصَّوت اللاندري
في بَهْوِكَ : نَسألُ أم نُسألْ
أو ما كنا سيفاً يُشهَرْ
ووجوداً حياً لا يُقهَرْ
أو ما كنَّا بذراً للأرض بكلِّ مَواسمها يُبذَرْ
أوَلم نفعل ؟

أوَلم يُمطرْ فينا الغَيمْ
أوَلم يُزهرْ فينا الضَّيمْ
شمساً ونجوماً لا تأفلْ

أوَلم نحملْ ما لا يُحمَلْ
أوَلم نفعـلْ ؟

أوَلم نوقِدْ يا هذا الصَّوتْ
قنديلًا في دَيجورِ الموتْ
أوَلم نَقرأْ
أو ما عَصَفتْ كلُّ الدُّنيا ريحاً
وسنانا لم يُطفأ
أوَلم نفعل ؟

ــ ألفاً حملتموه
ثمَّ تعثَّرتم بهِ
ثمَّ هجرتموه
ثمَّ تنابزتم فأطفأتموه

وانشقَّت السماءْ
أضاءهُ الذي يضيء دون أن يُضاءْ
وكان مثلَ غيمةٍ في صيفْ

حَمَلتموه رايةً
حملتموهُ سيفْ
ثم تَبرّمتُم بهِ
كأنَّهُ لم يَكُ منكم
كان فيكم ضيفْ
ثمّ انكفأتم ألفَ عامٍ مرّةً اخرى
ضقتم بهِ حتى رجمتموه

ـ أمقاضاةٌ؟
ـ لا ..
لكني أبحثُ عن سيفي المقهوز
أبحث عن جَسَدي المطموز
أبحثِ عمّن يحملُ عني غَضَبي في هذا الدّيجوز

ـ أيُّها الصوت ..
لا تبتعدْ
باسمِ كلِّ بنيكَ اتّئِدْ

ما تزال ثلاثةَ آلافِ عامٍ تحذِّرُنا
وتُبشِّرنا
ثمَّ تنذرُنا أنَّهم يحكمونْ
مَن تكونْ ؟
أنت من أهلنا
ليس في ذاكَ رَيبْ
كوكبٌ هائلٌ من كواكبنا
ليس رجماً بغيبْ
أيُّهم أنت يا سيدي .. ؟

أولادُكَ الذين تنتظرْ
مَــــن ؟
أعداؤك الذين منهم غضباً تستعرْ
مَــــن ؟؟
يا سيّد الهيبةِ والمروءه
مِن أيِّ فجٍّ
باسم مَنْ

وجِذْرَ مَن
تحمل فينا هذه النبوءه ؟

ـ يا أيُّهذا القلقُ الكبيرْ
يا قلقَ المصيرْ
ها نحن في الممتَحَن العسيرْ

يا أيُّها القلقْ
يا كلَّ قطرة من العَرَقْ
نَزفتُها مقوَّسَ الظهر ، يصبُّ الدَّمُ من كتفَيَّ
ممّا تأكلُ الحجاره
وكنتُ أرقى نحوَ أبراجكِ بالبشاره
يا بابلَ البشاره
وكنتُ أستنطقُ في معبدكِ المقدَّسْ
كلَّ حجارةٍ عليها من دمي وعرَقي ،
كلَّ يقيني الأخرسْ
أحملُهُ بكلِّ قدرتي على البنيانْ
أحمله بكلِّ إيمانيَ بالانسانْ

وكلّما يرتفع البناءْ
أزهو لأنَّ رؤيتي تمتدُّ في الأرجاءْ
أزهو لأنني أرى جيلًا جديداً قادماً نحوي
من الأبناءْ

الآن فلنختصِرْ
يا أيُّهذا القلقُ المنتصِرْ
آليتُ أن أطلقَ من صدريَ هذا الجَناحْ

أيتُها الرياحْ
لتُسرجي خيلَكِ في كلِّ المَهبّات
فإنّي سأُعرّي هذه الألواحْ

لتنتصِبْ كلُّ الدُنى آذانْ
وليلْقَنْ الصوتُ أنأى ما نأى إنسانْ

يا قلقَ العالم لا تهدأْ
إنْ نبوخذ نصَّرٍ يقرأْ

إلى الذين يولَدونْ
إلى الذينِ وُعِدوا ،
أو سوف يوعَدونْ
إلى بَنيَّ وبنيهِم آخرَ الزَّمانْ
الى الذين يحملون من يدي حمائلَ الميزان
أتركُ هذي النُّذُرَ المرقومه
نبوءةً موسومه
أصابعي العشرُ على ألواحِها مختومه

أيَّتُها الرّجومْ
أيتها النجوم
أيتُها الكواكبُ القُصَّرْ
إني نبوخذ نصَّرْ
الحاكمُ الحكيمْ
إبنُ شامشَ العظيم
ربُّ السيفِ والسلطانْ
رأيتُ رؤيا ...

أيُّهذا الغيبْ
إنَّ نبوخذ نصَّرَ المدَجَّجَ الفاتِكْ
يضطربُ الساعةَ كـي يعرف حرفاً من قراراتِك

رأيت أرضاً بُورْ
تبزَّلَتْ ..
قامَ على سِباخِها ناعورْ
دار عليها دورةً ، أغرقَها بالماءْ
فازدهرَ الحصادْ
دار عليها دورةً أخرى فجاشَتْ نَمْ
دار عليها دورةً ثالثه
فامتلأت جراد

فَسَّرَها اليهودُ أنَّهم سيحكمونْ
فسَّرها كُهّانَ كورَشْ أنهم سيحكمونْ
فسَّرَها فرعونُ أنَّ هذه البلادْ
يحكمُها أولادُهُ

من بعد ما يأكلُها الجرادْ

هل صَدَقوا ؟؟
هل صَدقتْ نجومُكَ الكُذَّبُ يا فرعونْ ؟
لِتنطفيءْ إذن إذا صدَقْتَ كلُّ نجمةٍ في الكون !
كنتَ لهم رغمَ التحامِ أُسرَتَينا عونْ
فخنتَني ..
هل صدقوا .. ؟
تكذبُ يا دانيالْ
لو كان منّي نَفَسٌ في هذه الرّمالْ
فلن يقومَ لليهودِ فوقها عرزالْ

أمّا أحفادُكَ يا كورَشْ
فلهم يومْ
ولأولادي فيهم يوم
وَسَنبلو سَيفَينا كورَشْ
إذ ننهضُ من هذا النومْ

تُحفَظُ سرّاً هذه الألواحْ
بعيدةً حتى عن الجِنَّةِ والأرواحْ

يجيءُ من نرّيتي مَن صوتُهُ كصوتي
هو الذي يُعلنُ تفسيريَ بعدَ موتي

وَيْ أيُّها الحِجابْ
كيف تَعرّتْ كلُّ أسرارِكَ في لحظةٍ
حتى بدا السؤالُ نفسَ الجوابْ

وَيْ أيُّها الحجابْ
كأنما كنا معاً نقرأ نفسَ الكتابْ

يختلف الماءْ
تختلف الأوجهُ والأسماء
لكنْ مثلَ دِلاء الناعورْ
تتشابَهُ وهي تدورْ
تتشابكُ وهي تدور

أرميـــا

ما بين الأمسِ وبين اليومْ
أسمعُ صوتَكَ حتى في النوم
وأنت في دروبِ أورشليم
تحثو على هامتكَ الترابَ
فَرْطَ حقدِكَ العظيمْ
كالذئب تعوي وَسَطَ الدروبِ والمنازِلْ
وَيْ بابــــلْ
وَيْ بابــــلْ
متى تحومُ حولَها الرّزايا
متى أرى نساءها سَبايا
منتثراتِ الشعورْ
عاريةً للخصور
تنهشُ من أثدائِهنَّ البومُ والخَطايا

وي بابــــلْ
وي بابــــل

متى تَحولُ هذه المنازلْ
خرائباً مهجوره
متى أرى أبراجَكِ المغروره
تخرُّ من عليائها ذليلةً منهاره
حجارةً حجاره
ساجدةً لليهود
كما تَنبّاتْ لكِ التوراة والتلمودْ
وي بابـــل
وي بابـــل
وي بابـــل

أرميـــا
ألم يكن صوتُكَ هذا .. ؟
ـــ .. لم أقل ،
ولا تنبّاتُ
ولم أفسِّرْ
ـــ كورَش ..
ـــ ولا أنا فسَّرتُ

ـــ فرعون ..

ـــ   ولا أنا

جميعُنا لم نَقُلْ

ـــ تكذبون

بل قلتم وستستمعون

الرؤيا كانت لأبينا

والتفسيرُ لنا سيكون

من بعد نيِّفٍ وألفَي عامْ

نكسرُ نحن الوارثينَ هذه الأختامْ

ونعلنُ الرؤيا

فلتستمعْ أنت وأصحابُكَ يا أرميا

الأرضُ كانت يَبابْ

دارتْ عليها الحياة

دورتَها الأولى ،

فكنّا بين كلِّ البشَرْ

أوّلَ قطرةٍ من المطرْ
أنزلَها السّحابْ
أوّلَ عود سنبلٍ أطلعَهُ الترابْ
أوّلَ ضوءٍ شعَّ في غَياهبِ الخرابْ

ودارَ ناعورُ الحياةِ دورةً ثانيه
أسلمَها للعدمْ
إذ جاء أحفادُكَ يا كورَشُ ناراً ودَمْ

ثمّ غزاها الجرادْ
وباسمِ أرض المعاد
تطايرَتْ أسرابُ أحفادِكَ يا أرميا
فأفسدوا كلَّ زرعْ
وأهلكوا كلَّ ضرع
ولم يُبَقّوا غير ظلِّ الموتِ في كلِّ واد

أرميــــا

هل قالت الرؤيا بأنَّ دورة الحياة
توقَّفتْ .. ؟
هل اختفى ناعورها فلم يَعُدْ في الكونْ
ظلٌّ لهُ .. ؟
هل حطمتْ مدارَهُ يداكَ يا فرعونْ ؟؟

انظري الآن أيتُها الاعينُ الجازعه
إنَّها الدورةُ الرابعه
إنه صوتهُ ..
سيفهُ ..
شمسُهُ ..
هذه الغُرّةُ الطالعه

من بابلٍ أو بغدادْ
نفسُ نبوخذ نصَّرْ
هذا الذي يصعد مثل الكوكب الوقّادْ

كورَش
لن تُسألَ الساعةَ ..
كلُّ السؤالْ
جوابُهُ عند بنيكَ الآنِ
في جبهات القتالْ

أرميـــا
إنتظر الناعورَ حتى يبلغَ السماءْ
وعندما يفيضُ كلُّ الماءْ
تعلمُ يا أرميا
إن كان هذا السَّيلُ في بغدادْ
يعجز أن يطهِّرَ الأرضَ من الجَراد

أمّا فرعونْ
فكالعنكبوتْ
وحيـــداً سَـــيَحيا
وحيـــداً يمـــوتْ

يا سيّدي ..
يا حاملَ الحجاره
يا بانيَ الحضاره
يا سيّدَ العزّةِ والكبرياءْ
إنَّ زمانَ صاحبِ الصوتِ جاء
فأخرجَ الرؤيا من الغيوبْ
ودقَّها حرفاً فحرفاً فوق كلِّ القلوبْ

أما الذي لم نَرَهُ من سِرِّكَ العظيم
فإننا نبصرُهُ الساعةَ يا سيّدي
في مقلتَي ورِيتِكَ العظيم

يُرفعُ هذا الكتابْ
وعندما نُسألُ في غدٍ
نقولُ إنّا قد زَرَعنا في بطونِ الأرضِ
كلَّ الجوابْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨١

رجز في المعركة

تَفَجَّـــرِي في كـــلِّ شبـــرٍ يـــا نَـــارْ
من الخَفَـــاجِيَّـــةِ حتى ســـومـــارْ
نَبْقَى هُنـــا مِـــلْءَ مَهَبِّ الإعْصَـــارْ
مـــا بَقِيَتْ هـــذي الـــذُّرَى والأغْـــوَارْ
والقَصَبُ النَّـــابِتُ مِـــلْءَ الأهـــوارْ
فَنَحْنُ والمـــوتُ هنـــا في مِضْمَـــارْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨١

رجز في المعركة

نحن العـــراق والعـــراقُ ذو شَمَمْ
ينشـــرُ في قلب المُلمّـــاتِ العَلَمْ
لن يجـــدَ السَّيـــلُ بنـــا إذا ألَمّ
إلّا أســـوداً خـــادراتٍ وأجَمْ
فيـــا مـــروءاتُ اثبتي ويـــا قِـــدَمْ
تَسَمَّـــري في الأرض حَـــدَّ المُحتَـــزَمْ
شـــدّي تخـــومَ الأرضِ شَـــدّاً يا رِمَمْ
كيـــلا يميدَ الصَّخـــرُ من هَـولِ العَـــدَمْ
هـــذا أوانُ السَّيـــل، يـــا كـــلَّ الهِمَمْ
لِتَـــدلهمّي فـــالـــرَّدى قـــد ادلَهَمّ
نـــاراً بنـــارٍ ودمـــاً حـــرّاً بِـــدَمْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٨١

رجز في المعركة

أيَّ مَجــــالٍ شئتمــــو فَجــــولــــوا
واستَعجلــــوا انَّ الــــرَّدى عَجــــولُ
تبقى تكــــرُّ بيننــــا الفصــــولُ
وكلهــــا غــــائلــــة تغــــولُ
واللّــــهِ إنّــــا معشــــرَ فُحــــولُ
نفعــــلُ في الحــــربِ ولا نقــــولُ
ولا نُبــــالي والــــرَّدى يصــــولُ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٦ / ١٢ / ١٩٨١

سيدي أيها الجنديّ العراقي

الى شهدائنا في القادسيات جميعا

ــ هل أعطينا ؟

ــ أعطيتم ، وترابي يشهدْ

ــ هل وفَينا ؟

ــ وفيتم بدمٍ لا يبردْ

وفُيتم للماضينْ

وفُيتم للآتينْ

ودفعتم عن كلّ حليبٍ في أثداء امرأةٍ حرّه

أن يُستَعبَدْ

ــ أبي وفَى

حملتُ إليه خوذتهُ

شددتُ نطاقَهُ بيدي

فقبّلني وغادرَ

لم يقل حرفا
ولكنّي سمعتُ إليه وهو يجوز باب البيتْ
يقول لأمّيَ اللهفى :
كرامةُ أبلغي ولدي
بأنّ نطاقيَ العَقَدتْهُ كفّاهُ
سيبقى رهنَ عَقدتِهِ
فلا يرخيهِ لا واللّه غيرُ يديه عن جسدي

ويوم تدافعوا في البيت
سمعتُ هلاهلَ أمّي
أيقظتْني
جئتُ أركضُ
صوّتَتْ ... محمودْ
أمسكَ بي رفاقُ أبي
فصاحت : لا
دعوهُ فأنّهُ موعودْ

دعوهُ يفكُّ مزهوّاً نطاق أبيهِ عن جَسدِهْ
َوصيَّتهُ إلى وَلَدِهْ ..
وحين دنوتُ مرتجفَ الجوانحِ ، دامعَ العينينْ
خجلتُ لصوت أمّي وهي تصرخ بي :
أخوفاً من أبيك ؟ -
إذن أعِنْهُ يابن هذا الليثْ
وَفِّ أباك يا محمودْ
وحلَّ نطاقَهُ المشدودْ
فقد وفّى

وها هو ذا نطاقُ أبي
وخوذتُهُ بصدرِ البيتْ

ـــ ستكبر ثم تلبسهنَّ
قلتُ لها بكلِّ جوارحي :
يا ليـــتْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٨١

سيدي أيها الجنديّ العراقيّ

ولدي وفّى

يومَ أتى للدّارْ
علّقْتُ إبريقاً على الجدار
يومَ حَبا ،
زرعتُ رايةً بسطح البيتْ
وعندما صَبا
أيقظتُ أنأى جارْ
لفرط ما أسأل عن بناتهم ..
وقيلَ يا أمَّ حميدٍ لم يزل حميدْ
طفلًا ، ولا يعلم ما يريد
لو انتظرتِ ريثما يعتدل العِقالْ
يبلغُ فوق عارضيهِ مبلغ الرجالْ !
يا ولدي الوحيدْ

أرنو إلى البناتْ
يزرنني ..
تعلمُ يا حميدْ؟
كم بينهنَّ مَن عيونُها تكاد لولا الكِبْرُ والحياءْ
ومنعةُ النساءْ
أن تختلي بي لتقول عنكَ أيَّ شيءْ
يخصُّها ..؟
أفهمُ هذا الآن يا حميدْ
أفهمْ أنَّ ابني الذي كان صغيراً أمسْ
أصبح زهواً في عيون الناسْ
ورَفعةً للراسْ
يا رجلًا كما تمنَّيتُ
كما كلُّ عروسٍ تشتهي،
وكلُّ أمٍّ حرَّةٍ تريد
يا حميد

حزينةٌ أنا

حزينةٌ منتظره
لم أعلن الحدادْ
لم ألبس السوادْ
لأنني منكسره
لكنني لبستُهُ ..
تعلمُ يا حميد
ماذا الذي يعنيه
لامرأةٍ في هذه الأيام
أن يعلموا بأنَّها أمُّ فتىً شهيدْ ؟!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨١

روّعتم الموت

يمضي الزمان ، وتبقى هذه العِبَرُ
يبقى التحدّي ، ويبقى الله والبشرُ
والحبُّ ، والبغضُ ، والأوجاعُ بينهما
والضوءُ ، والظلُّ ، والأنواء ، والمطرُ
والأرض ، ما أخرجوا منها ، وما بذروا
والخالدان عليها الشمسُ والقمرُ
يمضي الزمان ، وتبقى بعد موكبهِ :
هنا أقاموا ، هنا سادوا ، هنا عثروا !

يمضي الزمان ، وتبقى بعده الذِّكَرُ
ما هدّموا ، ما بنَوا ، ما قالت السِّيَرُ
ومجدُنا أنّنا نمضي ومن دمنا
يبقى على كلِّ شبرٍ في الثرى أثَرُ

وأننـــا عمـرَ هــذي الارض نتــركُ في
أديمهـــا ميسمـــاً لا تَملــكُ الغِيَــرُ
ولا العـــوادي لـــه محـــواً ، وأنَّ لنـــا
مجـــداً تشيبُ الليـالي وهــو يــزدهــرُ !

يـــا واهبين مَســـارَ الارضِ قِبلتَـــهُ
كـــأنَّهم في ديـــاجي ليلهـــا غُـــرَرُ
يـــا مالئين يـدَ الـدنيـا فمـا قَبضَتْ
إلا عليهم إذا مـــا نـــابَهـــا قَـــدَرُ !
كـــأنَّمـــا هم عنـانُ الـدهــر يشكمُــهُ
متى يشـــاء ، ويـــرخيــهِ فينتشـــرُ !
كـــأنَّمـــا النَّــوءُ منهم ، والـريــاحُ لهم
تجــري ، وبـــاسمهمِ الأمطـــارُ تنهمــرُ !
كـأنَّمـا الضـوءُ كـلُّ الضـــوء في يـدهم
والليـــل ، مـــا أذِنـــوا للَّيـــل ، يعتكـــرُ !
مـــا أعسَرَتْ يومـاً الـدنيـا وهِيضَ بهـا
إلّا رأيتَهمـــو في عســـرهـــا يَسِـــروا !

أولاء مَن وهبوا الدنيا حضارتَها
ومن بأوّلِ حرفٍ فوقها سَطَروا
أولاء أهلي ، ومِن أبياتهم شهقَتْ
كلُّ النبوّات ، فانظرْ كيف نفتخرُ !

وهؤلاء الذين استنفروا دمَهم
كأنَّما هم إلى أعراسِهم نفَروا
السّابقون هبوبَ النار ما عصفَتْ
والراكضون إليها حيثُ تنفجرُ
الواقفون عماليقاً تحيطُ بهم
خيلُ المنايا ، ولا وِرْدٌ ، ولا صَدَرُ
إلّا مخاضُ الرّدى ، ألقَوا مكارمَهم
معابراً للمنايا فوقها عَبَروا !
أولاء أهلي ، وإخواني ، ومن ورثوا
أن يركبوا نحو آلافٍ وهم نَفَرُ !

يــا واهبين معــاييــر الــرجــالِ دمــاً
تحيا بــه بعــدَ مــا ألــوى بهــا الصَّغَــرُ
ألفــاً تَعــرَّتْ فلم تُستَــزْ مــروءتُهــا
وهــا بكم كــلُّ ذاك العُــري يــأتــزرُ
يــا خيــرَ مــا أنبتتْ أرضٌ، ومــا وهبَتْ
أمٌّ، ومــا نُــزِّلَتْ في وصفــهِ السُّــوَرُ
لمّــا يــزلْ زحفكم تــزهــو بيــارقُــهُ
مــا قــادَهُ حيــدرٌ أو قــادَهُ عُمَــرُ
مقــاتــلًا في سبيــل الله منتصــراً
ولم يــزل في سبيــل الله ينتصــرُ

سَــل الخفــاجيّــةَ الجُنَّ الجنــونُ بهــا
كيف انبــرَيتُم لهــا والمــوت ينتظــرُ
وقــلْ لگيـلان كيف المــوتُ صــالَ بهــا
حتى كــأنَّ الــذي يغشــاهُ ينتحــرُ
وكيف أقحمَ كســرى في مجــامــرِهــا
حتى الصِّغــار، ولم يُــذعَــرْ بمــا ذُعِــروا

مَن لم يــزلْ أثَــرُ الأثــداءِ في فمــهِ
يبكي الحليبُ عليهــا وهــو يختمــرُ
مــا هَــزّهُ وحــروفُ اللّــهِ في فمــهِ
أنَّ الصغــارَ لغيرِ المــوت قــد ذُخِــروا
مــا هــزّهُ أنّهم لحمُ أضــالعُهم
وأنَّهم لجحيمٍ غيــرِهــا نُــذِروا
ألقى بهم وقلــوبُ المــوت واجفــةٌ
والــرّاجمــاتُ كَلَمــعِ البــرقِ تشتجــرُ
سيــلٌ من النــار في سيــلٍ يســابقــهُ
من الحــديــد، تعــرّى بينَــهُ البَشَــرُ
حتى وقَفتُم لــهُ، كــانت صــدوركمــو
سِتْــرَ الحــديــد عليهــا المــوتُ ينكســرُ
صَفّــا جبــالٍ، فــأنتم، ثمَّ خلفكمــو
تلــك الشّــواهقُ لــولا أنَّهــا حَجــرُ
قــاتلتمــو وعيــونُ اللّــهِ شــاخصــةٌ
إليكمــو، وقلــوبُ النــاسِ تنفطــرُ

ويشهـــد الله لا خـــوفاً ولا جــزعــاً
فنحن منكم بمجـــــد اللّـــــهِ نعتمـــرُ
لكنّ مــــرأى عـــــراقِ الكِبْـــرِ أجمعِـــهِ
يشـابـكُ النــار يُـدمي صبـرَ مَن صبَـروا
قـــاتلتمـــو مثلمـــا قـــاتلتمـــو أبـــداً
كـــأنّ أجـــدادكم في يـــومكم حضـــروا
وكـــــان صـــــدام يسعى بينكم أســــداً
عن عـــارضَيـــهِ مَهبُّ النـــار ينحســـرُ
كِبْـــرُ العـــراقِ جميعـــاً كـــان بينكمـــو
تكـــاد عن بـــرقـــهِ النِّيـــرانُ تنشطـــرُ
كـــأنّ كـــلّ العـــراق اختـــار مـــوضعَـــهُ
حيثُ استقمتُم ، وحيثُ استفحـلَ الخطـرُ
ولـــوَّحَتْ زُمـــرُ بـــالـــوَيـــلِ وانقلبتْ
عقـــاربـــاً ، وانـــزوَتْ مـــذعـــورةً زُمَـرُ
وقيـــلَ ســـوف ، ومن يـــدري ، ورُبَّتَمـــا
وقـــد يكـــون وزاغَ السَّمـــعُ والبَصَـرُ

وأنتمـــو، وَمَهيــلُ النـــارِ حـــولكمـــو
تكـــاد منـــه الجبـــالُ الصُّمُّ تنصهـــرُ
مـــا زُعـــزِعَتْ قـــدمٌ منكم، ولا رجفَتْ
على بنـــــادقهـــــا كفٌّ ولا ظُفُـــــرُ
رَوَّعتم المـــوتَ حتى لم يـــدَعْ دمُكم
منـــافـــذاً يَلِـــجُ الـــدخّـــانُ والشَّـــرَرُ
منهـا، وضـاقتْ رئـاتُ المـوت، واختنقتْ
لفـــرطِ مـا كـــان عُنُقُ المـوت يُعتَصَـرُ
قَلَبتُم الأرض عـــاليهـــا أســـافِلَهـــا
وقلتمـــو لمـــواليـــد الغـــدِ انتظِـــروا
إنّـــا نمهِّـــدُ هـــذي الأرض، رُبَّتَمـــا
يغفـــو هنـــا واحـــدٌ منكم ويَـــدَّثـــرُ!
يـــا رايـــةً في مَهَبِّ المجـــد عـــاليـــةً
قـــولي لهم: هكـــذا الأبطـــال تنتصـــرُ!

وأنت يـــا عنفـــوانَ المجـــد، يـــا رجـــلًا
في كـــلِّ يـــومٍ إلى هَـــولٍ لـــه سَفَـــرُ

لا ضـــاق صدراً ، ولا غضَّتْ عــزائمـهُ
جفنـــاً ، ولا نـال من إقــدامـهِ السَّهَــرُ
يضيفُ صبــراً لصبــر النــاسِ كلِّهمِ
ولستُ أدري بــأيِّ الصَّبــرِ يــأتــزرُ !
يــا واحــداً مــا رأينــا واحــداً أبــداً
همــومُ خمسين جيــلًا فيــه تُختَصَــرُ !
مــا بين رؤيتـــهِ كـــالصَّقــر منتفضــاً
في ســاحـة المــوت والنيــرانُ تستعــرُ
وبين رؤيتـــهِ عينـــاهُ من دَعَـــةٍ
نهــرٌ على أوجـــه الأطفـــال ينتثــرُ
مــا بين رؤيتـــهِ في الحـــالتين معــاً
إلا مســافــةُ مــا يستــوعبُ البصَــرُ !

يــــا أيُّهــا الــلاأسمّي كــلُّ مكــرمــةٍ
بــاسمٍ ، فمــاذا يُسمّى جمعُهـــا الغَضِــرُ ؟
إلّا إذا قلتُ : يـــا صـــدام عنـدئـذٍ
أكـــون سمَّيتُهــا جمعــاً ، وأعتـــذرُ !!

تبقى مــــروءتُنـــا صـــدام راضيــــةً
أنّــــا يُســـاءُ إلينــــا ثمّ نغتفـــرُ
حتى تضيقَ بنـــا الـــدنيـــا فننفجـــاهـــا
أنّــــا على الهـــول لا نُبقي ولا نـــذرُ !
في كــــلّ ألفٍ نُـذِرْنـــا أن نقـــاتـــلَ عن
حضـــارة الأرض لا يغتـــالهـــا التَّتـــرُ
كـــأنّمـــا حمّلتْنـــا الأرضُ ديْتَهـــا
أنّـــا نصـــونُ الـــذي آبـــاؤنـــا ابتكـــروا

يمضي الـــزمـــان ، وتبقى هـــذه العِبَـــرُ
تبقى المعـــالمُ ، والأخبـــار ، والصـــوَرُ
تبقى شـــواهـــدُ مَن خطّتْ دمـــاؤهمـــو
مجـــدَ العـــراق عليهـــا المـــوتُ يعتـــذرُ !
بَينـــا تظـــلُّ وجـــوهُ فـــوق سحنتِهـــا
حتى الـــوقـــاحـــةُ فـــرطَ الـــذلّ تُحتَضَـــرُ !

ونلتقي بعدَ عمرٍ طال أو قَصرَتْ
أيامُهُ، وتساوي بيننا الحُفَرُ
لكنْ تظلُّ على أولادنا أبداً
علامةٌ ابنِ الذي فالصَّمت فالخَبَرُ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٨١

الــى ولــدي ماجــد

وهبْني منعتُكَ
هبْكَ امتثلتَ لأمري
فماذا سأبقي لديكْ ؟
غير أن تنزوي عن رفاقك في المدرسه
مغضياً مقلتيكْ
أنت المكابرُ ،
أنت الذي كلُّ حُبّيكَ
أنَّ المذلَّةَ لم تَعدُ يوماً عليكْ

من ثلاثين عام
كنتُ مثلك ..
يا ما نهتني من الخوف أمّي
يا ما بكتْ

ثمَّ غافلتُها
وانسللتُ من البيت
حيث رفاقي
وحيث الرصاص السعيديّ
لكنني رغم كلِّ مدامعها
رغم ذاك القلقْ
كنتُ أبصر في مقلتيها بريقاً من الزُّهو
وهي تقول لجاراتها
ولدي قال
أفهمُ هذا بُنيَّ
فقد عشتُهُ
ما الذي تتوقع منّيَ أن أنصحَكَ؟
حين تدمع عيناك بين الرفاقْ
حين يملأ أذنيك صوتُ العراقْ

تطوَّعْ
واحدٌ أنت من هؤلاء

كلُ شيءٍ يهون
سوى هذه الكبرياء
هل أخبروكم متى ..؟
ــ لم يقولوا لنا أيَّ شيء
ولكنُّهم سالوا أن نراجع آباءنا
ــ فامتحانٌ إذن ..

أنت تعلم أني أبٌ جاوز الآن خمسين عاماً
أنني عشتُ عمراً كثيراً فواجعُهُ
أنت تعلم ..
ــ أعلــم
ــ تعلمُ أنك من بين إخوتك الآخرين
لصيقٌ بكل الدموع
بكل الشموع
بكل النذور التي نذر الحب والخوف
والقلق المرُّ في بيتنا
أنت تعلم ..

ـ أعلـــم
ـ وأنك أرحمهم
وأبَرُّهمو بأبيك وأمكْ
وأكثرهم نخوةً

ما الذي تتوقّع أن أنصحكْ ؟
أتراني إذا قلتُ : لا ،
ستطاوعني ؟
لست أدري
ومن لي بـ « لا » هذهِ ؟
أيَّ ضلعٍ سأكسره من ضلوعي ؟
أيَّ زهوٍ سأكسره فيك لو قلتُ : لا ؟
أفأُحسِن أن أكتب الشعر
أستنجد الناس طرّاً
أنادي بأسمائهم واحداً واحداً
وأُسقط من بينهم إسم إبني ؟

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٣ / ١ / ١٩٨٢

أناشيد عراقية

كنتَ جرحَيْ طفولتي وشبابي
كنتَ حزني ، وعبرتي ، واكتئابي
كنتَ لي يا عراقُ مُذْ شعشعَ الضوءُ
بعيني ، وفزٌّ في أهدابي
لثغةً ، ثمّ دمعةً ، ثمّ حبّاً
ظالماً في دفاتري وكتابي
كنتُ أتلوكَ كلَّ يومٍ نشيداً
يعتلي بي على متون السحابِ
كلُّ «عش هكذا» ترفرفُ بي طيراً
على النخل ، والذُّرى ، والرّوابي
وكبرنا ، فصار حبُّكَ جرحاً
ودماً ظلَّ عالقاً في ثيابي !

زمنٌ يا عراق، كان لنا منهُ
صغاراً مرارةُ الارتيابِ
ألَنا هذه الذُّرى؟.. هذه الشطآن؟
هذي السماءُ ذاتُ القِبابِ؟
هذه الأرض ملكُنا نحنُ؟.. هذا
النَّخل الله لو سألتُ صِحابي!
غيرَ أنّي غنَّيت كنّا نغنّي
كان زهوُ العراق ملءَ الإهابِ
موطني.. موطني وكان سؤالٌ
في الحنايا يلوبُ دونَه جوابِ
ونغنّي حدَّ الدموع ازدهاءاً
ثمَّ ناوي إلى بيوتٍ خرابِ!

وكبرنا عراق لاحتْ مع الايام
في أفقنا رؤوسُ الحرابِ
وعرفنا بأنَّ كلَّ «بلادي»
ردَّدتها الأفواه محضُ اغترابِ

«لحصـــاهـــا فضـــلٌ» ولكنْ على من
يـــا تـــرابـــاً مـــا كـــان يـــومـــاً تـــرابي!
واستحـــال النشيـــدُ دمعـــاً، فصمتـــاً
ثمَّ كفًـــاً تـــدقُّ في كـــلِّ بـــابِ!

هكـــذا كـــان يـــا عـــراقُ سُـــرانـــا
الـــدَّيـــاجيـــر، والنجـــومُ الكَـــوابي
وعـــويـــلُ الـــريـــاح والضحكـــةُ الـــزُّرقـــاءُ
نصـــلٌ يـــدبُّ في الأعقـــابِ
صِبْيـــةٌ نمـــلأ الـــدروبَ ارتعـــاشـــاً
مثلمـــا هجْتَ طـــائـــراً في ضبـــابِ
وكبـــرنـــا بكـــلِّ جـــرحٍ كبـــرنـــا
بين كـــلِّ الأظفـــار والأنيـــابِ
وأنـــاشيـــدُنـــا، ومـــوجُ دمـــانـــا
رحلتْ بـــالنَّفيـــر مـــلءَ الشِّعـــابِ

أنـــــا علّمتُ صِبيَتي أن يغنّـــــوا
كــلُّ صــوتٍ في الليــل عــودُ ثقــابِ
لن يحسُّـــوا بغُبنهم مثلمـــا أحسستُ
عـــذراً يـــا لـــوعــةَ السَّيّـــابِ
لن أنـــادي من الخليـــج سليبـــاً
يـــا أخي ، يـــا ضحيَّـــةَ الاستـــلابِ
إنَّ « نحن الشبـــاب » في صوتِ أولادي
عـــزاءٌ لمـــا مضى من شبـــابي
هم يغنّـــون والعـــراقُ ائتـــلاقٌ
كــلُّ صــوتٍ عليــهِ مَــرمى شهــابِ
هم يغنّـــون والعـــراقُ من الـــزَّهــوِ
شـــراعٌ يشقُّ صـــدرَ العبـــابِ
هم يغنّـــون والعـــراقُ يعـــاصي الـ
ريـــح يفتَضُّهـــا جنـــاحَيْ عُقـــابِ
فـــإذا طـــاح طـــائـــحٌ فكنجمٍ
ثـــاقبٍ خـــرَّ ، لا ســـراجٍ خـــابي

لا تهـــابي ، فبعـــدَ خمسين عـــامـــاً
يَتُهـــا النفسُ مـــوحشٌ أن تَهـــابي
لا تهـــابي أولادنـــا لم يهـــابـــوا
أســـرَجوا كـلَّ صهـوةٍ في الـرُحـابِ
أفَخـــوفـــاً أن تـــؤسَـــري ؟ .. لن تُنـــالي
أفَحبّـــاً أن تـــؤجَـــري ؟ .. لن تُثـــابي !
أحنينـــاً إلى الـــذي واللـــواتي .. ؟
وَخَطَ الشَّيبُ كـــلَّ تلـــك الـرُغـــابِ
لا تهـــابي ، عمـــراً عطشنـــا وكنّـــا
نتـــأسّى حتى بلمـــعِ السَّـــرابِ
نحن لم نســـأل الحيـــاةَ ، وكنّـــا
مِـــلأهـــا ، أين بَـــذْرُنـــا في التـــرابِ !
لا عتـــابـــاً مضى زمـــانُ العتـــابِ
وســـرى جُـــلُّ عمـــرِنـــا في الـــرِّكـــابِ
لا ، ولا حُبٌّ أن يُشـــارَ إلينـــا
إنَّ أنقى حضـــورِنـــا في الغيـــابِ !

قــد صفرنــا بـأســاً على أن تُحـابي
وكبــرنــا عمــراً على أن نحــابي !
لا تهــابي ، لم تُبقِ شيئــاً سنيُّ الـ
قهــرِ حتى من هــذه الأعصــابِ
لن تُصــابي ، فما الــذي ظـلَّ فينـا
يَتُهــا النفسُ ســالمــاً كي تُصــابي !
لم تعــدْ هــذه الضلــوعُ مجــالاً
لحــريقٍ ، أو ملجــأً لاضطــرابِ
غيــرَ أنّــا نبقى إذا نــالَنــا القهــرُ
نُعــاصي أعمــارَنــا في الــوِثــابِ
غيــرَ أنّــا نبقى وقــوسُ الــرّزايــا
مــا لَهــا غيــرُ سهمِنــا في الجعــابِ !

عــــذرَ بغــــداد أنَّ صــــوتي شجيٌّ
وليــاليــكِ متــرَعــاتُ الخــوابي
عــــذرَ بغــــداد أنني لستُ أنسى
مـــا بهــا من أسى الليــالي ومــا بي

عــــذرَ بغــــداد أنَّنــــا جيــــلُ حبٍّ
كــــلُّ أغصــــانــــهِ نمَتْ في العــــذابِ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٨٢

سلاماً عراق القادسيات

كَبُرنا فصار الموتُ لعبتَنا الكُبرى
فلا تَعذلينا ، إنَّها لغةٌ أُخرى
ولا تعذلينا ، كلُّ حيٍّ له مدىً
وأمّا مدانا فالرصاصُ بهِ أدرى
سَلَكْنا دروبَ الهولِ يلظى جحيمُها
فكنّا بها من كلِّ ضاريةٍ أضرى
وحاقَتْ بنا الجُلّى ، فلا سيفُنا نَبا
ولا خيلُنا زمَّتْ قوائمَها ذعرا
ولم نتخيَّز مركباً ليِّنَ السُّرى
ولكنَّنا نختارُهُ مركباً وعرا
نفاجيء فيه الموت في عنفوانهِ
وفي عُقْرِ دار الموت نزجُرُهُ زجرا

اذا المـــوتُ عن أبصارنـــا غـــاب ليلـــةً
قَلَبْنـــا الـــدُّنـــا حتى نـــلاقيَـــهُ فَجـــرا
ومـــــا حبٌ أن نفنى ، ولكنْ لِخبـــرةٍ
رأينـــا أليفَ الهـــولِ أطـــولَنا عمـــرا

يقـــولـــون هـــل بعـــد المنيَّـــةِ غـــايـــةٌ ؟
أجـــل بعـــدهـــا الّا تجـــوعَ ، ولا تعـــرى
وألا تـــرى للشـــرِّ وجهـــاً ولا يـــداً
وأنّـــكَ تُمسي لا تُـــراعُ ولا تُغـــرى
أجـل بعـدَهـا معيـارُهـــا أن تجيئَهـا
مهيبـــاً ، وأن تختـــارَهـــا مِيتَـــةً بِكـــرا
وأن تتـــركَ الـــدنيـــا وذكـــراك ملـــؤهـــا
تكلثُـك إنَّ المـوتَ مـوتُـكَ في الـذكـرى
ولـــو كـــانَ بعـــدَ المـوتِ مـــوتٌ لعـــوَّضتْ
بـــهِ النفسُ مـــا عـــانتْـــهُ من ميتـــةٍ نَكـــرا
ولكنَّـــــهُ المـــوتُ الـــذي ليسَ غيـــرهُ
وإرثُـــكَ منـــهُ لا يُبـــاع ولا يُشـــرى

فـــلا تَعـذلينـــا أنْ حَسـرْنَـــا صـــدورَنـــا
وأنّـــــا سَـرينـــا للـرَّدى حيثمـــا أسْـــرى
ولا تعــــــذلينــــــا أننــــــا نستقفـــــزُّهُ
فكـــلُّ أخي سيفٍ بمَضـــــربِـــهِ أدرى !
ولا تعـــذلينـــا أنْ غَــدَونـــا وصبــرُنـــا
على الموتِ حتى الموت ضاق بهِ صبرا !

ســـلامـاً عــراقَ القـادسيـات ، لم يــزلْ
نخيلُـــكَ تــذرو الــريــحُ شعفتَــهُ كِبْــرا
ومـــا زال في شطّيـــكَ للمــوج سَــوْرَةٌ
اذا استُنْفِرَتْ ينحاشُ عن غيظِها المجرى
ومـــا بَـــرحتْ أيـــامُنـــا بنتَ أمْسهـــا
فلمّـا يـزلْ سعـــدٌ ، ولمّـا يــزلْ كسـرى
ولم يبـــرح القعقـــاع يطـــوي مُـــزلـزِلًا
جموعَ ابنِ ســاســـانٍ وينشـرُهـــا نشـرا
يسيـــلُ اليهـــا كـــالفـــراتَين مُـــزبـداً
وينقضُّ من عليـــــاء قمَّتِـــــهِ صقـــرا

تَخَطَّفُ من بين الجحـــافـلِ كفُّــهُ
فـــوارسَهم ، والمـــوتُ يخـــزرُهُ خـــزرا
يشقُ اليهم لبَّـــةَ الجيش صـــاعقـــاً
كـــأنْ غيمـــةٌ والبـــرقُ يفـــزرهـــا فًـــزرا
وفي لحظـــةٍ يبـــدو ويُمنـــاهُ بَـــرزةٌ
وفـــارسُهم يختضُّ في يـــدهِ اليســـرى !

ســـلامـاً عـــراقَ القادسيـات ، لم تـزل
كـــواكبُ أهلي فيـــك لامعـــةً زُهـــرا
ولمـــا تـــزلْ للعـــارضَيـــات نكهـــةٌ
تجيشُ بنـا مـا أزبـدَ الـدمُ واستشـــرى
يـــذكُـــرُنـــا زهـــوُ الـــرُّميثـــةِ أننـــا
حَشَـرنـا بشـدقِ المـوتِ قـامتَنـا حَشـرا
فغصَّ بنـــا حتى كتَمْنـــا شهيقَـــهُ
وحتى امتنعْنـــا وهـــو يـــزفـرنـا زَفـرا
الى اليـــوم من ستّين عـامـاً تَصـــرَّمَتْ
تجيش بنـــا تلك الأهـــازيـج والـــذكـرى

وعـــادةٌ أنَّ الأمَّ تلقى شهيـــدَهـــا
هـــلاهلُها تطغى على عينهـا العَبـرى !

سـلامــاً عـــراقَ القـادسيـات ، إنَّنـا
ورثنـــا دم المـاضي وجحفلَـــهُ المجـرا
ولم نــكُ يــومــاً مـا عيـالًا اذِلَّــةً
عليـــه ، وحـاشـا ، إنَّ أنفُسَـنـا أثـرى
لنـــا دمُنـــا نسقي بـــه ، وضلـوعُنـا
نمـــدُّ بهـــا حتى نـــلاقيَــــهُ جســـرا
نشـــدُّ بـــهِ أزراً وَواللّـهِ إنَّنـــا
نَمنُّ عليـــهِ أن يشـــدَّ بنـــا أزرا !
فنحن لـــه ضـــوءٌ ، ونحن لـــه نـدىً
ونحن لـــه سهمٌ على مَهَـــلٍ يُيـسرى
يشـــدُّ بنا قــوسُ الـزمــانِ احتـدامَــهُ
ويطلقنـــا في كـــلِّ مُعســـرةٍ يُســـرا
ألم تـــرَ أنّـــا حيثمـــا أطبقَ الـدُّجى
نَبَثْنـــا على ديجـورهِ شهبـاً غُـــرّا

وأنّـــا اذا مـــا ألجَمَ العيُّ أهلَـــهُ

قـــرأنا على اسم الله خطبتّنـا البَتـرا

ولم ننتظـــرْ حتى يقـــال لنـــا ثِبـــوا

ولكنّنـــا نجتـــاحهـــا عُصَبـــاً تتـــرى

نشقّ الـــوغى شطـرين ، شطـــراً نحيلُـهُ

جحيمـاً ، ونبقي تحت أخمصنا شطـــرا

وليس لنـا منهـا سوى مـوضـع الخُطى

اذا مـــا انتقلنا عنــه نتـركُـهُ جمــرا

ولا نتّقي والنــــاسُ في الحــــرب تتّقي

ولكنّنـــا نـــأبى مـــداخلَهـــا الصُغــرى

طـــوَينـا بهـا عـــامـاً وستـــةَ أشهـــرٍ

نصـولُ بهـا شهـــراً ونـرصـدهـا شهــرا

وكنّـــا أعفّ الطّـــاعنين بهـــا يـــداً

وكنّـــا أشـــدَّ المـــاكـرين بهـــا مكــرا

فـــلا أخِـــذتْ منّـــا حتـــوفٌ بغـــرّةٍ

ولا طَعنتْ فينـــا يـــدٌ طعنـــةً غــدرا

ولكنّنـــا واللّـــهِ نـــأتي الى الـــوغى
مســـالكُهـــا بـــالنـــار مضفـــورةٌ ضفـــرا
فنجتـــاحهـــا والأرضُ تحتَ دروعنـــا
تَشَظّى ، وعينُ المـــوتِ زائغـــةٌ حَيـــرى
ومـــا هـــو إلّا أنْ تَـــذكَّـــرَ نفسَنـــا
بـــأنَّ العـــراقَ الآنَ مقلتُـــهُ سهـــرى
وأنَّ العـــراق الآن يـــرقبنـــا دمـــاً
وانَّ العـــراقَ الآن منتفضٌ كِبـــرا
فنُقـــدمُ لا نلـــوي عن المـــوتِ وجهَنـــا
ونمنعُـــهُ أن ينتحي وجهـــةً أخـــرى
وأكبـــرُ من هـــولِ المنـــايـــا ووقعِهـــا
علينـــا جميعـــاً أن نقـــولَ لـــه : عـــذرا

ألم تـــرَ «البسيتين» كيف عبـــورُنـــا
اليهـــا وغيمُ المـــوت يمطـــرهـــا مطـــرا
وكيف احطنـــاهـــا ســـواراً من اللظى
وكيف جعلنـــاهـــا لأحـــلامِهم قبـــرا

وكيف وفيهـــا حصَّنَ المـــوتُ نفسَـــهُ
ركبنـــا اليهـــا الجـــوَّ والبـــرَّ والنهـــرا
فلم يـــدرِ مَنْ في جـــوفهـــا يكف يتُّقي
ومـــا يتُّقي ، والارض أجمعهـــا تَعـــرى
كـــأنَّ السَّمـــا ألقت جميـــعَ رجـــومهـــا
فخلَّفت الاجبـــال منخـــورةً نخـــرا
كـــأنَّ فجـــاج الارض طـــرّاً تفجَّـــرتْ
فليس بهـــا شبـــرٌ تلـــوذُ بـــهِ ستـــرا
وكـــان عـــراقُ الكِبْـــرِ يُقحمُ غيظَـــهُ
وعينُ الـــرَّدى تـــرنـــو لجـــرأتِـــهِ شَـــزْرا
فما زاغَ عنهـــا لحظةً بـــل سعى لهـــا
وحـــاصرَهـــا كي لا تـــراوغَـــهُ حصـــرا
ثـــلاثـــةَ أيـــامٍ ، ويـــومـــاً ، وخـــامســـاً
وأنشبَ في عين الـــرَّدى دمَـــهُ نصـــرا

ســـلامـــاً عـــراقَ القـــادسيـــات مـــا علَتْ
بـــآفـــاقِنـــا شمسٌ ، ومـــا قمـــرٌ أســـرى

ومـا هبَّ من زهـو الـرجـولـةِ فـاغمٌ
يمـرُّ على الـدنيـا فيملـؤهـا عِطـرا
ويـا رجـلًا لم يعقـد الـدهـرُ رايـةً
على مثلِـهِ مُـذْ أيقظَ القلقُ الـدهـرا !
ولا قيـل للمسـرى : مُلِئْتَ بفـارسٍ ؟
فـأومـأ يـومـاً مـا الى غيـرهِ المسـرى
سـلامٌ على مسرى خطـاك فلم تـزلَ
بخطـوكَ أنّى سـرْتَ تنعقـدُ البُشـرى

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٩٨٢

بطـل مـن بــلادي

ونظرتَ للدِّرعِ المُسَجّى
وتفجَّرَتْ كلُّ المروءةِ فيكَ إيماناً ونَهجا
شمّاءَ ترفضُ أن يكون لها بهذا الدِّرع مَنجى
وهزَزْتَ رأسَكَ
لا
وضجَّتْ كلُّ أوردةِ البطوله
لا
ليس من شيَم الرجال ،
وليس من شيَم الرجوله
أنّي أقاتلُ دارعاً ويلحمهِ جيشى يقاتلْ
العدلُ إن زَخَّ اللظى
صدري ككلِّ صدورهم
يغدو لزَخَّتِهِ مَشاتِلْ

وأدرتَ وجهكَ
لم يكنْ شيءٌ سوى « لا » كي تقولَهْ
وجمعتَ في « لا » هذهِ
كلَّ الذي كنا نُغَنّيهِ ، ونُنشدُهُ ،
ونكتبُه صغاراً في دفاترِ زهوِنا
منذُ الطفوله !

أدري بهذي الكبرياءْ
أدري بهذا الزّهو
هذي النَّخوةِ اللاتنحني
هذا الإبـــاءْ
أدري بـــهِ
يا أيُّها الرَّجلُ المليءُ بزهوه حدَّ الفداءْ

لم يَرْوِ راوٍ عن جدودكَ أنَّهم يتدرَّعونْ
كانوا بهذا الزّهو ، تَشتجرُ الرماحُ ويهرعونْ
لا يسترُ الأجسادَ غيرُ قميصِهم ،

وسوى العَوالي
ويقاتلون عن المعالي
عمرَ الليالي
لم تروِ عن أعدائهم غيرَ التَّباهي بالدّروعْ
والبَيضِ فوقَ الهام ، والأفيالِ تزحفُ ، والجموعْ
بدَبيبها يتستَّرونْ
حتى يجيءَ الحاسرونْ
باللحمِ والدَّمِ والسيوفْ
لا درعَ غير الحقِّ والايمان يلمعُ في العيونْ
حتى إذا انكشفَ الغبارْ
ألفَيْتَ قطبَ الأرضِ أجمعِها بأيديهم يُدارْ !

يا وارثاً عن هؤلاءْ
هذي المروءةَ والرجولةَ والتُّقى والكبرياءْ
لو أنَّ للدِّرعِ الذي رفضَتْهُ نخوتُكَ الكريمه
شفةً لَتَمْتَمَ وهو في صندوقهِ :
لا تُخـــرجوني

هذا الذي في قلبهِ ميراثُ أمَّتهِ العظيمه
لن يرتديني !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٨٢

ويا عــراق التّحــدي

سَكينـــــةَ الــروح .. بــرءٌ أنتِ أمْ سَقَمُ ؟
أواقــــعٌ يـــرتجيـــهِ النــــاسُ أم حلُمُ ؟
هـــــل الـرِّضــا أمـلٌ يحيــا الأنـامُ بــهِ
أم الــرِّضا منتهى مـــا يبلـغ السَّـــأمُ ؟
وهــــل قنـاعــةُ أهـلِ العلمِ معــرفـةٌ ؟
إذن فيــا ليتَ أهــلَ العلم مــا علمــوا !
خمسين عـــــاماً بحثنــا في مَــواجعنـــا
لعــــلَّ جرحَ الــرِّضــا في الــروح يلتئمُ
فـــزادَنـــا كـــلُّ بحثٍ مَــوجعـــاً ودمـــاً
مضـــاعفـــاً ثمَّ يــأتي بعــدهُ النَّـــدمُ
وذاك أنَّـــــا كهـــذي الأرضِ ، محنتُنـــا
أنَّـــــا إلى خفَقَـــــانِ القلبِ نَحتكِمُ
وأننـــــا حين يُستَعـــــدى على دمنـــا
لَسْنـــا بغيـــر حبــالِ المــوتِ نعتصمُ !

سكينـــــةَ الـــروح   طـــوبى للـــذين غَفَتْ
أجفـانُهم ، مـا شَكَـوا شيئـاً ، ولا بَـرِمـوا
إنّـــــا على رَهَق نغفـــــو وأعينُنـــــا
أجفـــانُهنَّ طـــوالَ الليـــل تَختصمُ !
من أربعينَ عـرفنـا الشِّعـر   قيـلَ لنـا
سعــــادةٌ غُـــزمُهـــا الأوراقُ والقلمُ
حتى إذا مـــا غرِقنـا في مَخـاضَتـهِ
وجـــدتنـــا قـــد نَسِينـــا كيف نبتسمُ
يـــا بـــاسطينَ جـــراحَ الشعـــر مُتَّكـأً
لهم من الحـــرفِ ظـلُّ الحـرف والنَّغَمُ
أمّـــا نـــوازفُهـــا   أمّـــا مخـــاوفُهـــا
أمّـــا البطـــولـــةُ إذ تستشهـــدُ الكَلِمُ
وإذ تـــلاقي مهبَّ المـــوت عـــاريـــةً
من الـــزُّخـارفِ   تَستتشـــري ، وتضطـرمُ
فـــذاك مـــا لا يُـــريـــهِ الظـلُّ أعينَهم
وفي المســـامـــعِ عن أصـــواتهـــا صَمَمُ

أيَّ امتحــــانٍ نخــوضُ اليــوم يــالغــةً
عـــوَّدتُهـــا أنَّ تخـــريجـــاتهـــا حـــرمُ
عـــوَّدتُهـــا أن تظـــلَّ العمـــرَ واضحـــةً
فكـــلُّ حـــرفٍ بهـــا من صـــدقِـــهِ قَسَمُ
عـــوَّدتُهـــا جَيَشـــاني كيف تبـــدؤهُ
ولم أعـــوِّدْ نـــداهـــا كيف يختتَمُ
خيـــلٌ زحمتُ بهـــا عمـــري أُكـــابـــرُهُ
ولا ركـــابٌ ، ولا سَـــــرجٌ ، ولا لُجُـــمُ
أطلقْتُهـــا حـــرَّةً بيضـــاً ضمـــائـــرُهـــا
ليسَتْ بغيـــــر قضـــــاء الله تَنشَكمُ
فـــإن نطقتُ بهـــا لم أنطِقَنْ هـــذراً
وإن سَكَتُّ فقـــــد تُستَلْبَـــــدُ الأجَمُ !

إليـــــــــك عنِّي ففي جنبيَّ منتفضٌ
دامي الجنـــاحين حتى نبضُـــــهُ ألمُ

إليـــك عنّي فبي غيظٌ أحسُّ بـــهِ
ممّـــا نَـــزا بجـــدار القلبِ يـــرتطمُ
لا أمّتي هـــالَهـــا مـــا يُستبـــاح بهـــا
ولا بَنـــــــو أمّتي ريعَتْ لهم ذِمَمُ
كـــأنَّ لبنـــان ليسَتْ من مَحـــارمهم
ولا لقتلى بنيهـــــا عنـــــدهم رَحِمُ
ولا فلسطين فيهم غيـــر كبشٍ فِـــدىً
بـــهِ السياســـةُ عند الجـــوع تـــأتـــدمُ
ولا العـــــراقُ قـــريبٌ من أرُومتهم
بلى أرومتهم صهيــــــــون والعجمُ!
إليـــك عنّـا فقـــد أزرى الخـــلافُ بنـــا
حتى غـــدونـــا وجـــوهـــاً كلُّهـــا تُهَمُ
غُـــدنـــا وأكـــرمُنـــا مَن ليس يشتمنـــا
إن كـــان في مثـــلِ هـــذا يَجملُ الكـــرمُ!
واهـــاً لأهليَ كيف استنبَحـــوا دمَهم
يبغي على بعضـــهِ بغيـــاً ويـــأتمّمُ

إنْ سَلَّ قومي على أعناقِ بعضهمو
سيوفَهم فلِمَنْ تُستَصرَخُ الأُممُ ؟

لبنان يا بهجةَ الدُّنيا ورونقَها
ويا صلاةً بوجهِ اللّهِ تلتثمُ
يا مرتقى ملكوتِ الله ، يا قمماً
إلى مدارجِ عرشِ الله تنتظمُ
ويا صفاءَ سلامٍ فوقه انفرطَتْ
زهرُ النجوم ، وتاهتْ حولَهُ السُدُمُ
يا ملجأً كلَّما ضاق الزمانُ بنا
طوى علينا جناحاً وهو يبتسمُ
لبنان .. من قال في لبنان مذبحةٌ
إنَّ الذي فيه عارُ العربِ كلُّهمو !
كلُّ الخياناتِ في لبنان قد ولَغَتْ
وكلُّها من أسى لبنان تنتقمُ
والمدّعون التَصدّي ، فوق محنتها
تعاوَروها ، وجدَّ الجدُّ فانهزموا

واهـــاً للبنان ما أبقى الصّمود وما
أبقى اليهــود ومـــا أبقتْ بهـــا النُّظُمُ
نيفٌ وعشــرون عنـــوانـــاً وليس لهـــا
منهم عـــدا الضُّـــرّ إلّا الأسمُ والــرَّقَمُ
ونحن لبنـــان نستشـــري دمـــاً ولنـــا
حـــربٌ لأمـــرٍ تـــلاقتْ عنـــدَهـــا الأَزَمُ
تشـــاغَـــلُ الـــدولُ الكبـــرى مفلسفـــةً
معنى الســـلام وظهـــرُ السِّلمِ ينقصمُ !
لقطـــرةٍ من دمـــاءٍ بينهم فـــزعـــوا
ولم تـــروِّعْ ضميـــراً هـــذه الـــدِّيَمُ
حتى أُطَيفـــالُنا من هـــول مـــا رُزئـــوا
شابوا وهم بعـــدُ قيدَ الثـــدي ما فُطمـــوا
نـــرى ونسمـــعُ كفـــراً لا خَـــلاقَ لـــهُ
لكنَّـــــهُ بِسِمـــــاتِ العقـــــل يَتَّسمُ
وأفـــدحُ الكَـــربُ أن تـــأتيـــك مـــوعظـــةٌ
من مجـــرمٍ هـــوَ فيـــك الخصمُ والحكمُ !

شَــــرُّ الحيـاةِ وشَــرُّ المــوتِ مــا يَصِمُ
وأفـــدحُ الشَّـــرِّ أن تُستَنـــزَفَ الشيَمُ
وأن يـــــؤولَ الى عطفٍ ومسكنــــــةٍ
كِبْـــرُ النفـــوس ، وأن تستــامَـكَ الحِكَمُ
أنَّ القنـــاعـــةَ كنـــزٌ، والهـــوى سَفَـهٌ
والغيظ جهـــــلٌ ، ولُقيـــاكَ الأذى شَمَمُ
حتى نُثلِّمَ شـــــوكَ العِـــزِّ أجمعَـــــهُ
ونستكين فــــــلا همٌ ، ولا بَـــــرَمُ
ونـــرتضي هَمَـــجَ الـــدُّنيـا تشــاركنـا
بيـــوتَنـــا ونُـــراضيهـــا فنقتسمُ !
فكــــلُّ بيتٍ بــــه لصٌّ نجــاملُـــهُ
وكـــلُّ خـــدٌّ كـــريمٍ فـــوقَـــهُ قَـــدَمُ
كفـــرتُ بـــالحِكمِ التُّـــردي مـــروءتنـــا
وتـــوكـلُ المـــرءَ مظلـــومـــاً لمن ظَلَمـــوا
إنّي لأدعـــو إلى مـــوتٍ ألـــوذُ بـــهِ
من المـــذلَّـــةِ لا ألـــوي ولا أجِمُ

فيـــا عـراقَ التَّحَـدي ، تلـك فـورتُنـا
لا جِـدَّةٌ أبـــرَدَتْ منهـا ولا قِــدَمُ
ويـــا عـراقَ التَّحَـدي ، تلك عـزمتُنـا
شـابَ الـزمـانُ ومـا أزرى بهـا الهَـرَمُ
ويـــا عـــراقَ التحـدّي ، كـلُّ نـازلـةٍ
تهـــونُ إلّا التي تضــوى بهــا القيَمُ
ويــــا عـراقَ التحـدّي ، مـا تـزال لنـا
مجـامـرٌ للتَّحـدّي بَـردُهـا ضَـرَمُ
لقـــد لَــوَينـا على كِبْـرٍ أعنَتُنـا
حتى لكـادتْ رقـابُ الخيـلِ تنفصمُ !
كِبْـراً منَعنـا عن الطـوفـان أنفُسَنـا
لعـلَّ حقـدَ بني ســاســان ينفطمُ
ان كـان عـذرُ بني ســاسـان أرضهمـو
فلتَشهـدِ الناس ليس الـزُّعمُ مـا زعمـوا
ونحن أدرى ، وللتـــاريـــخ اروقـــةٌ
تـــارَتْ الحقـدُ فيهـا فـرطَ مـا كظَمـوا

أدرى بـــأنَّ بني عيـــلام من تِـــرَةٍ
حتى مقـــابـــرُهم تلظى بهـــا الـــرِّمَمُ
هـــا هم كما هم ، ذئـابٌ هـاج هـائجها
يستنكـــر اللّـــهُ مـــا تـــأتيـه والشِّيَمُ
ها هم كما هم وجوهٌ لا حياءَ بهـــا
من لـــؤمهـــا ، ونفـــوسٌ كلُّهـــا ورَمُ
هـــا هم وقد صحَّ فيهم قـولُ قـــائلهم
مـا عنـدَ ساسان لا حِـــلٌّ ولا حـرَمُ !

ويـــا عـراقَ التحـدّي ، لم يـزل دمُنـــا
على منـــافـــذِ خَـــرْقِ النـــار يـــزدحمُ
ولم تـــــزل للعـــــراقيين هيبتُهم
ولم يـــزل في اليـــد العمـــلاقـــةِ العَلَمُ
واللّـــهِ لـو مـــاج فينـــا المـــوتُ أجمعُـهُ
فلن تكـــدّرَ وجـــهَ البصـــرةِ الظُّلَمُ
وأنت يـابنَ العـراقيـــات مـــا هـزجَتْ
أمٌّ عـــــراقيـــــةٌ والمـــــوتُ يلتطمُ

إلّا وفـــاضَ على مجـــرى هـــلاهلهـــا
مجـــرى رصـاصٍ يـلاقي صـــوتَهـــا ودمُ
يـــابنَ الـذي ثـــورةُ العشـــرين أشعلَهـــا
أمجـــادُ أهلـــكَ فيهـــا كيف تنثلمُ ؟
ومـــا تقـــول التي زَفَّتْ عبـــاءتُهـــا
« هـــزَّتْ ولـولَتْ » لمن إن كنتَ تنعجمُ ؟!
ولا ، وحـــاشـاك أنت السجـــدُ أجمعُـهُ
وأنت من قـــولهم « يـــا حيف » تحتشمُ !
من أين يأتيك أنت اللـــوم لا سلمتْ
كفُّ الـــذين أرادوهـــا ، ولا سلمـــوا
لقـــد طغتْ آلُ ســـاســـانٍ بكثـــرتهـــا
كمـــا طغتْ فـــأبـــادت نفسَهـــا إرَمُ !

ويـــا كبيـــرَ التحـــدّي إذ تُعلِّمُـــهُ
أطفـــالَ أرضي ، وإذ أعـــداؤهم علمـــوا
فهـــالَهم أنَّ عَشـــراً يكبـــرون بهـــا
على رضـــاعٍ كهـــذا سَيلُهـــا عَـــرِمُ

إذ ذاك ينشــأ جيــلٌ جــلّ صــانعُــهُ
من العمــــاليق أنــــأى وِزدِهِ أَمَمُ
إذ ذاك نطلقُ يــا صــدام صيحتَنــا
وعنــدهــا كــلُّ همٍّ الشــرق ينحسمُ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ٧ / ١٩٨٢

وما هي إلا وقفة نحن أهلها

ألا كم لنــا من قــولـةٍ لا نقــولُهــا
وكم صــــولـةٍ فــرطَ التُّقى لا نصـولُهــا
وكم فــورةٍ للغيظ جُــزنــا شــواظَهــا
فمنّــا مُهَــدّيهــا ، ومنّــا حَمــولُهــا
وكم عثـــرةٍ لـــلأرذلين تـــرفّعتْ
مكــارمُنــا عنهــا وقــالت نُقيلُهــا
ونــدري بــأنَّ الحقــدَ إرثٌ مــدمِّــرٌ
وأنَّ التــواءَ النفسِ غــولٌ يغــولُهــا
وأنَّ سمـــومَ اللــؤم تــأكــل أهلَهــا
كــذلــك فــرخُ العقــربــاء أكــولُهــا
فكنّــا نجيء الشــرَّ شــوطــاً وننثني
ونتــرك لــلأيّــام حــالاً تحــولُهــا

نقــول عسى حمّــالــةُ الحقــدِ غيمــةٌ
يخفّفُ بعضَ الغِــلِّ عنهــا هطــولُهــا
ولكنّهـــــا أســـرابُ مـــوتٍ وبيلـــةٌ
إذا مــا عــوى ذئبٌ تعــاوثُ فلــولُهــا
يُهيّجُهـــا جـــرحٌ بنــا طـــالَ نــزفُــهُ
وقـــافلـــةٌ فينـــا سفيـــةٌ دليلُهـــا
وأفـــدحُ مـــا يلقى امـــرؤٌ انَّ دارَهُ
تجـــاورهـــا أفعىً وأفعىً نَــزيلُهـــا !

الا كم لنـــا من قـــولـــةٍ لا نقـــولُهـــا
بعيـــدٌ مَـــراميهـــا ، قـــريبٌ سبيلُهـــا
ولـــو شـــاءَ أدنـــانـــا لاورى زنـــادهـــا
ففجَّـــرَ لُغمَ الأرضِ طـــرّاً فتيلُهـــا
ولكنّنـــا قـــومٌ إذا عُـــرّيَتْ لنـــا
مَقـــاتـــلُ قـــومٍ عَـــزَّ فينـــا قَتـــولُهـــا

نحـــاول بـــالأهـــدابِ دفعـــاً وإنَّمـــا
وســـائلُ بعضِ النـــاسِ صعبٌ قبـولُهـــا
وكيف ، وأنّى قبلَهـــا عُـــزّيَتْ بنـــا
مَحـــارمُ يـــدري الله أنّـــا كفيلُهـــا
أعنـــدَ الـــذين استنفـــروا كـــلَّ زهـــوِهم
فضـــاق بهم عـرضُ الفيـــافي وطـــولُهـــا
وخـــاضـوا دمـــاً والخيـلُ يَيـــزُقْنَ تحتهم
إلى أن تَحنَّتْ من دمـــاهم حجـــولُهـــا
تُبـــاحُ بيـــوتٌ ، أهلُهم وبنـــاتُهم
وأطفـــالهم فيهـــا ، ويعلـــو عـــويلُهـــا ؟
إذن فَلْتَقُمْ كـــلُّ القيـــامـــات عنـــدهـــا
فمـــا بعـــدَ هـــذا الهـــول شيءٌ يَهـــولُهـــا !

وإنَّ لنـــا أبنـــاءَ عمٍّ كمـــا الـــورى
إذا ذُكـــرَتْ أعمـــامُهـــا وخـــؤولُهـــا
عَفـــا اللّـــهُ عنهم ، لا غطـــاءُ بقـــارسِ
ولا ظِلـــةٌ يُـــرجى بقيظٍ ظَليلُهـــا

بلى ، بعد أن يمضي الزمانُ بأهلهِ
تَصدَّرُ كي تُفتي الفَتاوى فحولُها !

وإنَّ لنا غِيلانَ عمٍّ تَنزَهَتْ
أرومتُنا عنِ أنَّ هذا سليلُها

إذا ما لَديغٌ صاحَ منّا وثَفَّضَتْ
يدٌ ثوبَهُ نَسَّتْ نَسيساً ذيولُها

عفا اللّهُ عنها عمرَها لا قبيحُها
بخافٍ ، ولا بادٍ لعينٍ جميلُها !

ألا كم لنا من قولةٍ لا نقولُها
وكم صولةٍ فرطَ التُّقى لا نصولُها

ولكنَّنا إمّا تعالى صَريخُها
وهيضَتْ ضواريها ، ورغّى فصيلُها

وفكَّتْ مغاليقُ السماءِ جحيمَها
فشَبَّ بجذعِ الأرضِ طرّاً شَعيلُها

وخـــالطت الأرضُ السَّمـــاء لفــرطِ مـــا
تَشظَّتْ وغطّى كـــلَّ شيءٍ مَهيلُهـــا
وهيـــجَ فلم يـــدرِ امــرؤٌ مَن خصيمُـهُ
ولم تتبيَّنْ طعنـــــةٌ من قتيلُهـــا !
وضـاقت شعـابُ الأرضِ رعبـــاً بـأهلهـا
فلـــو سقطتْ عينُ امريءٍ لا يَشيلُهـا !
وصيـــحَ بلا صــوتٍ ، وفُــرَّ بــلا خطىً
*وجُنَّ إلى كـــلِّ اتّجــاهِ رحيلُهـــا
ركـــزنا ســرايانـا ، وقلنـا لــزهـونـا
إلى حَـــدِّنـــا هـــذا ويعيى مَسيلُهـا !
ولا والـــذي أعطى العـــراقيَّ جَفلـــةً
إذا ضِيمَ لا يعتـــامُ حيّـــاً مثيلُهـــا
لـــو انَّ الرَّدى أضحى قَبيـلًا من الـرّدى
لمـــا عـــدمَتْ أفـــواهُـــهُ مَن يُميلُهـا
وفينـــا دمٌ لا يجهـــلُ الحقُّ لـــونَـــهُ
وأسيـــافُ عـــزٍّ لا يُـــدانى صـــليلُها

ونحن وأيمُ اللهِ وُرّادُ غمـــــــــرةٍ
يطيـــــرُ بلبِّ الأكثـــرين قليلُهـــا
إذا ضـــاقت الأرضُ الفضـــاءُ بـــأهلها
من الهـــول قـال النـــاس: أنتم قبيلُهـا
فنـــأتي يكـاد المـوتُ يطـوي جنـاحَـهُ
على الأرض، والـرايـاتُ يهـوي خَضيلُهـا
وتـــوشـكُ عينٌ لا تـــرى غيـرَ خـــوفِهـا
وأيـــدي أشَـدِّ النـــاس ينبـــو صقيلُهـــا
ومـــا هيَ إلّا وقفـــةٌ نحنُ أهلُهـــا
وســاعـــةُ صبـــرٍ للمنـــايـــا نطيلُهـــا
ونخـــرج منهـــا عـــاليـــاتٍ جبـاهُنـا
وللمـــوتِ فينـــا عينُ خـــوفٍ يُجيلُهـــا!

بلى هكـــذا نـــأتي الـــرّزايـــا ولم نـــزلْ
لنـــا هبـــوةٌ ينحـــاشُ عنهـــا جليلُهـــا!
ونعلم أنَّ الأرض تبقى منيعـــــــــةً
إذا الخيـلُ فـوق الأرض بـاقٍ صهيلُهـا!

وأنَّ بـــلادَ الـــرافـــدين كـــريمـــةٌ
بمقدار ما عـــاصى الليالي نخيلُهـــا !
وأنَّ فـــــراتَ الأكــــرمين مُعَبَّــــــأٌ
لـــه سَيلـــةٌ في كـــلِّ ألفٍ يَسيلُهـــا !
وأنَّ عـــــراقَ الكِبْـــــرِ زاهٍ بـــأهلـــهِ
مهيبُ الخطى ، عـــالي الـرَّواسي ثقيلُهـــا
وأنَّ العــــراقيين مـــا نـــال أُختَهم
دخيـــلٌ ، ولا شُقَّتْ عليهـــا سـدولُهـــا
ونحسِبُ لـــلأيـــام عـــامـــاً تُـــديلنـــا
ويــــومـــاً بعمـــر الـدَّهـــرِ طـرّاً نـديلُهـــا !
فقُــــلْ للّتي عَيَّتْ عيـــاءً بحقـــدهـــا
فجـــاشتْ سرايـــاهـــا ، ودُقَّتْ طبـــولُهـــا
بـــأنّـــا بنـــو أرضٍ إذا عـــزَّ مـــاؤهـــا
سفَحْنـــا دمـــاً حتى يُـــروَّى محيلُهـــا
وأنّـــا بنـــو أرضٍ إذا مـــالَ نخلُهـــا
عَطـــا فـــاظـــلَّ الأرضَ طـــرّاً فسيلُهـــا

وأنّـــا بنـــو تلــك السيــوف التي دَرَوا
يمـــوتُ قُبَيلَ المــوت رعباً جـديلُهـا !
ولا والـــذي اعطى لســاســان فُــزعــةً
إلى الشـــرُّ لا يُشفى بشيءٍ غليلُهـــا
لـــو انَّ بني ســاســان كــانت رؤوسُهم
جبــالًا فمــا حيٌ ســوانــا يــزيلُهــا !
ولم نـــألُ يــا ســاســان نعطفُ خيلنــا
إلى مَيلَـــةٍ للحقّ طـــوعـــاً نَميلُهـــا
نقـــول عسى الأيـــام يطفئنَ جــذوةً
تــأرّثَ في ســاســان دهـــراً وَبيلُهــا
ولكنَّ ســاســانــاً تمــوتُ بــأرضهــا
جميــعُ خَـلاقِ النــاس إلا نحــولُهــا !
ونحن لهـــا ، إن كــان مَغــدى رؤوسِهــا
بــأسيــاف أهلينــا ففينــا مَقيلُهــا !
وهـــا هيَ يــا ســاســان أبيــاتُ أهلِنــا
وهـــا هـــو عـــالي المنكبين وكيلُهـــا

قـــريبٌ إلى راميـــكِ أنـــأى بيـــوتنـــا
بعيـــدٌ كبُعـــدِ النجم عنـــكِ وصـــولُهـــا
ولا والـــذي أعلى بصـــدام صـــرحَهـــا
فـــآخى بـــهِ جيـــلَ النبيّين جيلُهـــا
لَتغـــدو حـــدودُ الـــرافـــدين مقـــابـــراً
لكـــلِّ أخي بغيٍ بشـــرٍّ يطـــولُهـــا

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٧ / ٩ / ١٩٨٢

الزفـــــاف

تمثيلية شعرية للتلفزيون

مثلت لاول مرة في الربع الاخير من عام ١٩٨٠ وفي المساحة الساخنة من قاطع گيلان غرب تحت القصف الحي للغارات الجوية والمدافع

دراما الشعر وشعر الدراما

أثار انتباهي صديق أحبه وأثق بدقة رصده ، بسؤاله بعد أن شاهد هذا العمل في التلفزيون : أكنت تكتب قصيدة ؟ .

لم أجب صديقي لحظتها ..

ربما كان سؤاله صدمة لي . لقد كان نقداً بشكل ما .. وكان عليَّ أن أتأمل ما فعلت .

صحيح انني دفعت بعمل شعري الى التلفزيون .. وان كفاءات عربية وعراقية عالية شاركت في اخراجه الى حيز الوجود ..

ولكن .. الى أي مدى كان ما كتبته تمثيلية شعرية ؟ ..

ما الذي دفع صديقي ـ وهو سياسي مثقف ـ الى الاحساس بأن ما رآه وسمعه كان قصيدة ؟

ربما أتاحت لي هذه المقدمة فرصة للمراجعة .. حين فكرت بالكتابة كانت تملأني حد التفجر صورة بطولة هائلة ضرب الجيش العراقي لها أروع النماذج وهو يخوض معركة قادسية صدام المجيدة .

كنت أواكب المعركة يوماً بيوم . لقد منحتني بطولة الجندي العراقي منابع للشعر تتفجر كلما أمسكت بالقلم : رجزاً في المعركة .. قصائد أقرب الى الملاحم .. أناشيد وطنية .. قصائد وأغاني للأطفال ..

كان الزهو بالنصر يحيل كل شيء في حياتي شعراً .. ولكن الصوت استمر غنائياً منفرداً .

حين بدأت بكتابة « الزفاف » ، أحسست منذ البداية بأكثر من هاجس واحد ينهض عبر الاسطر . ثم ما لبثت الهواجس أن اشتبكت وتداخلت .. ثم تصارعت حد أن امتلك كل منها صوتاً .

صحيح انني بدأت وفي ذهني صورة واحدة ، هي صورة « محمود » .. وصوت واحد هو صوته . ولكن صورة محمود لم تلبث أن استدعت صوراً اخرى عزيزة عليه ، كانت ـ بتداخلها مع صورته ـ تغذي عنصر البطولة فيه ..

صوت محمود .. لم يلبث أن تداعت له ـ عبر منلوجات داخلية في البداية ـ أصوات أولاده ، وأُخته ، وأمه ، وزوجته ، ورفاقه في المعركة .. لتكمل صورة الحضور الكامل للعراق في المعركة .. وما لبثت أخيراً أن تداعت صور التأريخ وأصواته ، لتمنح صورة محمود وصوته عمقهما التأريخي ، وانتماءهما .. وأخيراً لتصعد بالشهادة الى ذروتها القصوى .

وتميزت هذه الاصوات والصور .. وتجسدت أشخاصاً ..
وأعود فاسأل نفسي :
الى أي مدى لم تكن هذه الصور جميعاً تفاصيل لصورة واحدة هي صورة محمود ؟!.
والى أي مدى لم تكن تلك الاصوات جميعاً أصداء صوت واحد هو صوته ؟ .
والآن .. فالى أي مدى لم يكن رصد صديقي السياسي المثقف دقيقاً وعلى حق ؟!

ربما كان ما كتبته قصيدة درامية متعددة الاصوات فعلًا .. منحت كل صوت منها وجهاً ، ولكنني لم استطع أن أمنحه شخصية مستقلة بعيدة عن محور محمود ، أو مختصمة معه .

ربما كنت يا صديقي ، السياسي المثقف الذي أحبه ، دقيقاً كل الدقة في تشخيصك العفوي ذاك .. ولكني أقسم لك ان حبّاً عظيماً لم يتح لي الجرأة على أي تصور لشخصية متعارضة والبطولة بحيث تشكل طرفاً في صراع درامي حقيقي على مستوى الحوار والحدث ..

حتى الزوجة .. حين حملتها بعض التساؤلات السلبية المشروعة .. عز عليَّ أن تستمر في تعميقها لأنني لم أستطع أن أتبنى ـ ولو فنياً ـ موقفاً سلبياً ولو يسيراً من هذه البطولة وهذا الاستشهاد الفذ .. وهبني تبنيته .. فمن لي بتقمصه لحظتها ، ومن لي بالتعبير عنه ؟! .

ريما كنت مقصراً أيها الأخ .. أنا الذي جعل همّه أن ينصرف للمسرح الشعري .. !

أتسمع مني ؟! :

ربما أوفق مسرحياً حين أعالج قضية فلسفية أملك أن أكون فيها محايداً الى حد ما بحيث أستطيع أن أعطي المواقف المختلفة زخماً متقارباً من الانحياز ..

ربما أوفق ـ مسرحياً أيضاً ـ حين يبتعد الحدث زمنياً بعض الشيء بحيث تقل سطوته الآسرة عليَّ ـ ولو نسبياً ـ فأملك أن أناقش وأن أناقش فيه ..

أما الآن .. وفي هذه القضية .. فلا !.

ولأكن أيها الصديق شاعراً درامياً لا شاعراً مسرحياً في هذا العمل .

ولك محبتي واعجابي .

عبدالرزاق عبدالواحد

٢٥ / ١ / ١٩٨١

شخصيات التمثيلية

محمود : جندي في الدروع

كاظم :

وجواد : رفيقاه في الدبابة

الأخت : أخت محمود

الأم : أمه

سليمة : زوجته

اربعة اطفال : أولاده

ضابط

جنود

أطباء

ممرضون

جرحى

(المشهد الاول)

« معركة .. محمود يقاتل جريحاً على دبابته ومعه كاظم وجواد »

محمود :

لبَّيكَ يا عراقْ
لبَّيكَ يا عراقْ
نذرٌ لعينيكَ دمي يُراقْ

كاظم :

محمود
أنت جريحْ
دعني أرى جرحكَ يا محمودْ

محمود :

« مواصلًا »
هذي الدماء .. إنها ملككَ يا عراقْ
دَينُك في الأعناقْ
نردُّهُ إليك

كاظم :

« بشدة وهو يمسك بهِ »

قف لحظةً ،

دعني أرى جرحك يا محمود

محمود :

« بينما كاظم يتناول ضماداً من داخلِ الدبابة »

« محاولًا الامساك بذراع محمود النازفة »

من الذي يملك أيَّ منَّةٍ عليك ؟

أنت الذي أعطيث

أنت الذي أغنيث

كاظم :

محمود

لِنقفْ لحظةً

أنت تسمعني ؟؟

لحظةً واحده

ريثما نتأكد من عمق جرحكْ

محمود :

أنت الذي أعطيت يا عراقْ
أنت الذي أغنيت يا عراقْ

جواد :

كاظم
النّزفُ في ذراعهِ شديدْ
ليس المقرُّ من هنا بعيدْ
راقبْهُ حتى أعود
« يسرع متجهاً الى مقر القيادة »

(المشهد الثاني)

محمود :

« مخاطباً دبابته »
وَيْكِ أيَّتُها المهرةُ الجامحه
أنتِ عمرَكِ لم تجفلي
كنتِ لي
طوعَ كفيَّ
فلماذا غَدَرتِ بيَ البارحه ؟

لولا أنيَ أرخيتُ لجامكِ لاشتعلَ الدرعُ بنا
تدرينَ بأنّ علينا ألّا نغفَلْ
تدرين بأنّ علينا أن نتمهَّلْ
ثمّ نمرُقُ كالطلقةِ الخاطفه
فلماذا وقفتِ أمام المدافعِ كالقطةِ الخائفه ؟

لا بأسْ
تتعلّمينْ !
أنا لا ألومكِ أن تخافي
إنْ لم نَخَفْ يا أختُ نفقدْ كلَّ معنىً للبطوله
لكنْ علينا أن نميِّزَ رعشةَ الجبناء
عن خوف الرجوله !

(المشهد الثالث)

جواد :

« يدخل على الآمر »

سيّدي
دبّابتُنا ،

قائدُها الآنَ جريحْ
ويقاتل كالمجنونْ

الآمر :

لِمَ لم تنقله إلى الوحدات الطبيّه ؟

جواد :

يرفض يا سيدي

الآمر :

يرفضْ ؟؟
أيستطيعُ السَّيز ؟

جواد :

الجرحُ في ذراعهِ
أظنُّهُ يستطيعْ

الآمر :

انهب سريعاً ، ثم عد به اليّ

جواد :

حالًا

« يخرج »

(المشهد الرابع)

« لحظة انتقال الى المعركة وهي تتصاعد بضراوة »

(المشهد الخامس)

« مقر الآمر مرة اخرى . يدخل محمود وكاظم . يؤديان التحية »

الآمر :

مَنْ ؟

محمود ؟؟

محمود :

سيدي

الآمر :

إنسحب الآن إلى خطوطنا الخلفيّه

محمود :

سيدي ؟!

الآمر :

إسمع يا محمود

أنت جريخ

قُدْ دبابتكَ الآنَ إلى الخط الخلفي
أبعدْها عن مُتَناولِ نارِ الأعداءْ
وانتظر الأوامرْ

محمود :

ولكننا سيدي ..

الآمر :

« مقاطعاً »
هذا أمرٌ يا محمودْ
« إلى كاظم »
كاظم

كاظم :

سيدي

الآمر :

أوصِلْهُ إلى وحدتنا الطبيّه
إذا رأى الطبيبُ أن يستريحْ
فاتركْهُ وارجعْ أنت للدبابه

محمود :

واللّهِ سيدي أموتْ

إذا أعدتَني أموتْ

« يكشف عن ذراعه المصابة »

أنظرْ ..

جرحٌ طفيفْ

ضمَّده كاظمُ لي وانقطعَ النزيفْ

أرجوك يا سيدي

الآمر :

محمودْ ..

منذ متى تخالف الأوامر ؟

محمود :

سيدي

أنت أخي من قبلِ أن تكونَ آمري

أخاطبُ الآنَ أخي

تقتلُني الآنَ إذا أعدتَني

أعود ؟؟

كيف .. ؟ .. لماذا ؟ ..

وَخْزَةُ الأبرةِ هذهِ
من أجلها أغادرُ المعركة ؟!
وأتركُ دبابتي ؟؟
هي أيضاً تموتُ !
نموت معاً لو خرجنا من الساحة الآن
أرجوك يا سيدي ..
أتوسّلُ
أنظرْ ذراعي
« يحرك يده المصابة بعنف في جميع الاتجاهات »
أترى أنَّها فقدتْ ذرّةً من لياقتِها ؟
والله لولا هذه البقعةُ في قميصي
لما عرفتَ أنني مصابْ
كاظم :
عفوَكَ سيّدي
أنا أعرفُ محمودْ ..
محمود فعلًا يموت اذا أُخرِجَ الآن
من ساحةِ المعركه
الشظيّةُ في يدهِ غيرُ نافذةٍ

وأنا معَهُ حينَ يحتاج
أرجوكَ يا سيدي

الآمر :

« بعد إطراقة قصيرة »
هكذا ؟!
حسناً
إذهبا للقتالْ
ولكنْ ..
اذا ساء وضعُ رفيقِكَ
حالًا تعودُ بهِ

محمد وكاظم :

« يؤديان التحية بفرح غامر »
سيّدي !

الآمر :

إذهبا ،
« مع نفسه بينما يخرجان »
معكما الله
معكما الله

« يلتفت إلى مساعده »
سَيفهَمُ العالمُ يا علاءْ
بأننا نواجه الكون بأسْرِهِ بهؤلاءْ

(المشهد السادس)

[معارك ضارية متصاعدة ..
إنفجار قرب دبابة محمود]

(المشهد السابع)

[محمود جريح في المستشفى .. غيبوبة وهذيان]
« أخت محمود ممرضة متطوعة .. هي تتعرف »
« عليه ، ولكنه ـ لخطورة اصابته ـ لا يرى »
« بوضوح ، فلا يتعرف عليها . تعامله خلال ،
« المشهد كأي جريح آخر ، مغالبةً عواطفها ، »
« دون أن تترك الآخرين يعرفون بأنها أخته . »

محمود :
لبّيكَ يا عراقْ

لبّيكَ يا عراقْ

لبيكَ يا ..

« يصحو .. ينظر الى الوجوه حوله »

أين أنا ؟

الاخت :

« مع نفسها »

الحمد للّه .. قد استفاقْ

محمود :

من أنتمو ؟

أين أنا ؟

الطبيب :

أنت هنا ..

في أرضك العراق

محمود :

أنا هنا .. ؟

في أرضيَ العراقْ ؟؟

كيف ؟ ..

لماذا .. ؟ .. كيف .. ؟
في العراق ؟
عراقْ ..
عراقْ ..
« يعود الى الغيبوبة »

الطبيب :

هذي هي الاصابة الثانيه

آخر :

وهل أُصيبَ قبلَها ؟

الأول :

أجل
ذراعُهُ كما ترى
لكنه لم يلتجيء للوحدة الطبيّه
ضَمَّدها رفيقُهُ ، وواصل القتالْ

محمود :

« غيبوبة وهذيانْ »

من أجلِ أولاديَ يا عراقْ

من أجلِ أولادي
من أجل أولادي

(المشهد الثامن)

[فلاش باك .. اطفال يلوّحون على الرصيف]

ــ هذا أبي
ــ هذا أبي
ــ ماما انظري .. ذاك أبي
ــ بابا ..

(المشهد التاسع)

[فلاش باك]

[حديث مع رفاقه الجنود في ساحة المعركة]

محمود :

ما برحوا أطفالْ
لكنهم بصبرهم
بكبرهم .. رجالْ

لمّا مررتُ أمام داري
كانت خيوط الضوء توشك أن تُشعشعَ بالنهارِ
قلتُ الصغارُ الآن في نومٍ عميقْ
لا بأسَ يا محمود
دعهمْ نائمينْ

(المشهد العاشر)

[فلاش باك]

« حوار مباشر مع الأطفال النائمين »

محمود :

من أجلكم أنتم ساعبر كلَّ غابات المدافع
من أجلكم أنتم أدافع
عن كلِّ شبرٍ في بلادي
هي مِلكُكم أنتم ،
فكيف يدوسُ تربتَها الاعادي ؟
خسِئوا إذا هم يجرؤونْ
ما دام فيَّ دمٌ وعرقٌ نابضٌ
لا يجرؤونْ

(المشهد الحادي عشر)

[عودة الى المستشفى .. غيبوبة وهذيان]

محمود :

خسئوا إذا هم يجرؤونْ

خسئوا إذا هم

« يحاول النهوض من الفراش »

الأخت :

« تسرع اليه »

هَوناً هَوناً

إهدأ لا تَنكأ جرحَكْ

محمود :

جرحي ؟

الأخت :

أجلْ

أنت هنا جريحْ

ليس خطيراً ،

إنَّما لا بدَّ أن تستريحْ

فقد نزفتَ من دِماك الكثيز

محمود :

نَزَفت .. ؟

الطبيب :

لا بأسَ عليكَ الآن

أعطيناك دمْ

محمود :

أعطيتموني دمْ ؟

الطبيب :

« مشيراً إلى أخت محمود »

الفضلُ للآنسه

هي التي أعطتكَ من دمائها

أختُكَ في الدماء

محمود :

أختيَ في الدماء ..

أختيَ في الدماء ..

[ينظر اليها نظرة غائمة .. يبدو له الوجه

كالحلم   لا يتعرف عليه ، ولكنه يذكّره
بشيء بعيد ..]

(المشهد الثاني عشر)

[فلاش باك]

[في حديث مع رفاقه الجنود في الجبهة]

محمود :

مرّةً ،

قطعتْ يدُ أختي جدائلَها

يومَ ماتَ أبي

كنتُ طفلًا ،

ولم يُبْكِني موتُهُ

غيرَ أنيَ لمّا نظرتُ إلى شَعرِ أختي المكوَّمِ في الأرض

أجهشتُ

كانت جدائلُها تتجاوز ركبتَها

وكانت تُباهي بها بينَ كلِّ بناتِ عشيرتِنا

وفي لحظةٍ

خلَعَتْ تاجَها

ونظرتُ إلى وجهها
قطُّ لم أرَ نفسي فقيراً كما كنت لحظَتَها
فبكيتُ
وها شَعرُ أختي يتوّجُ مدفعَ دبابتي

الاخت :

[يتراءى وجهها في المشهد وهي تهزج]

أختك أبد ما كصّتْ شَعَرها
ولا گالتْ على المايل شعرها
أحّا يحجاية انكصروا شَعَرُها
موش ابن اميّ ان ردّيت وراسك بيه لوله

(المشهد الثالث عشر)

[عودة إلى المستشفى]

« محمود يحدق بشبه غيبوبة في وجه الاخت
بينما يرنُ في أذنه صوتها »

صوت الاخت :

موش ابن امي ان رديت وراسك بيه لوله

موش ابن امي ان رديت وراسك بيه لوله
« يعود الى الغيبوبة »

الطبيب :

دَعوهُ يستريحْ
لكنَّه لا بدَّ أن يُراقَبْ
خشيةَ أن يدفعَ نفسَهُ من السَّريرْ
فجرحُهُ خطيرْ

الاخت :

سأبقى بجانبه قدْرَ ما أستطيعْ

الطبيب :

إفعلي لو سمحتِ
إنه يستحقُّ العنايه

الاخت :

« مع نفسها وهي تخفي دموعها »
يستحقُّ العنايةَ محمود ،
أدري بِهِ

(المشهد الرابع عشر)

[فلاش باك]

« بيت محمود   أمه .. اخته .. زوجته وأولاده »

الاخت :

أخي لن يهابْ
لقد كان منذُ طفولتهِ بطلًا
تذكرين طفولةَ محمود يا أمّ ؟

الام :

أنا ربّيتُهُ يا ابنتي

الاخت :

كان يحمي صغارَ المحَلّةِ أجمعها
كلُّهم ينتخون بمحمود ،
يفتخرون بهِ ، ويهابونَهُ
رجلًا كان وهو ابنُ عشرِ سنينْ

الزوجة :

أولادُهُ ما برحوا أطفالْ
أربعةٌ ..

صغيرُهم في المهدِ ما يزالْ

الاخت :

ولهذا يقاتلْ

مَن إنن غيرهُ يدفعَ الخوفَ عنهم ؟

مَن إنن غيرهُ يدفعُ الموتَ عنهم ؟

من يقول لهذي الوحوشِ الضّواري

هذهِ الدارُ داري

والذين بداخلها هم صغاري

حتى الأرانبُ يا سليمه

لو مدَّ إنسانٌ يداً لصغارها ،

حتى الأرانبْ

تغدو بأجمعها مخالبْ

الزوجة :

[بتردد]

الشرُّ لم يدخل عليه

الشرُّ خارج بيتهِ

وهو الذي يسعى اليه

الاخت :

ويلكِ يا سليمه
واللّهِ أنتِ ابنةُ أمٍّ حرّةٍ أعرفُها ،
ووالدٍ تربتُهُ كريمه
تقولين محمود يسعى إلى الشر .. ؟
لا
بل يلاقيه خارجَ حرمَةِ أولادِهِ
أتريدين محمود يقبع في بيتهِ
ناظراً بين أوجهِ أطفالهِ
وهو يرقبُهُم كيف يقتلُهم قاتلوهم ؟

الزوجة :

[مذعورة]
أموتُ أنا قبلَهم

الاخت :

أرأيتِ ؟

الام :

الشرُّ يا ابنتي وراء البابْ
وسوف لا يدقُّها مستأذناً منّا ،

ولا ينتظرُ الجوابْ

الاخت :

أمس قيل امكثوا خلف أبوابكم

فمكثنا

وفي لحظةٍ دخل الخوف

الام :

والد محمود ماتَ شهيداً

دخلوا بيتَهُ

قتلوه على أرضهِ وهو يدفعُهم عن محارمه

الاخت :

ثمَّ ماذا .. ؟

مضى من مضى ..

سجَّلوهُ شهيدْ

وأما البقايا فصاروا عبيدْ

أمّا اليوم فلا

لن نسمحَ للشرِّ بأن يدخلَ ثانيةً هذا البيتْ

بل نخرجُ نحنُ لهُ

إسمعي يا سليمه

كلُّ حيٍّ له أجلٌ
إن يكنْ بعدَ عامْ
فالشجاع سيركضُ خلفَ منيّتِهِ
والجبان سيركض
تجري منيّتُهُ خلفَهُ
ثم يلتقيانْ
لا تُفرِّقْ بينهما ساعةٌ واحدة

اليوم ما عادَ لنا أنْ نخافْ
على الذين يأكلونَ لحمَنا
أن يمضغوهُ جيّداً
إذا استطاعوا !
لحمُنا ما عادَ يا سليمه
لكلِّ مَن هبَّ ودبَّ في الثرى غنيمه
واللّهِ إنّا أنفسٌ كريمه
واللّه إنّا أمّةٌ عظيمه
وليَفهم الشرُّ إذا همَّ بنا
أنَّ له عاقبةً وخيمه

الام :

هلهلي يا ابنتي
إنَّ زوجكِ منذُ طفولتهِ يستحقُّ الهلاهلْ
هلهلي يا ابنتي
تتلقّاهمو هكذا
ونودّعهم هكذا
هلهلي يا سليمه

(المشهد الخامس عشر)

[المستشفى .. محمود ما زال في غيبوبته]

الطبيب :

[وهو يرنو مستغرباً الى الاخت]
أراك سرحتِ بعيداً

الاخت :

[منتبهة اليه]
لمحاتٌ تذكرتها
[تنظر إلى وجه محمود]
محضُ ذكرى ..

الطبيب :

أتعرفينَهُ ؟

الاخت :

أعرفهُ .. ؟

ربّما .. !

الطبيب :

[الى زميله بعد أن ينظر الى الاخت نظرة طويلة

دعنا نرى رفيقه

الثاني :

رفيقه ؟

الاول :

هذا الذي هناك

الثاني الى اليمين

كانا في نفس الدبابة

الثاني :

عرفتُهُ ،

جراحُهُ بسيطة

الاول :

هيّا بنا إليه

[الأطباء .. كاظم جريح ولكنه في حالة وعي كامل]

الطبيب :

كيف تحسُّ الآن ؟

كاظم :

في أحسن الاحوالْ

لو تسمحون لي لعدتُ اليوم للقتال

الطبيب :

قريباً تعود

كاظم :

قريباً ؟؟

الطبيب :

أجل ..

حالما تستعيد مرونةَ ساقِكْ

كاظم :

ولكنني بيدي لا بساقي !

الثاني :

عراقي !

[يضحكون جميعاً]

كاظم :

عراقي .. أجل !

شرفي أيُّها الاخ هذا

الطبيب :

شرفنا جميعاً

وأنتم الذين جسَّدتموه

بكم نحسُّ الآن أنَّ العراقْ

زهوٌ ،

وأنَّ كلَّ واحدٍ من شعبنا عملاق !

كاظم :

حمداً للّه

كيف تركتم محمود ؟

الطبيب :

نسألُ اللّه أن يتحسَّن

كاظم :

بطلٌ

ما رأيت قتالًا كما كان يفعل

الثاني :

كلُّكم هكذا

[جريح الى حانب كاظم ، قطعت يده اليمنى ، يتحدث إلى زواره]

الجريح :

[بانفعال]

الكلابُ

قطعوا لي يدي

الطبيب :

[وهو يلتفت إليه]

لا بأس أيُّها الصديقْ

تعتادها غداً ،

فلا تحزنْ

الجريح :

أحزنْ ؟؟

من قال إنني حزينٌ ؟
بل غاضبٌ أنا ..
ذراعي اليمينْ
كنت أريدها لكي ألقى بها الصهاينه
لا بأس !
أعلِّمُ اليسرى
ومرّةً أخرى
أريهمو ..
أنا الذي أملك كفّاً واحده
كيف يكون القتال
أذيقهم كلَّ صنوف العذابْ
الكلابْ
يا حَيْف !
لو قطعوا اليسرى ؟
كنتُ أريد اليمينْ
ألقى بها اولئك الأراذل الآخرينْ
يا حيفْ !

الطبيب :

[إلى كاظم]

أرأيتْ ؟
كلُّكم هكذا

كاظم :

كلُّنا ..
غير أنَّ الذي كان يفعل محمود
شيءٌ يفوق التصوّر
يدُهُ ،
عينُهُ
صوتُهُ
كلُّ ما فيه كان يقاتلْ
بكل ما في جسمهِ الثائر من خلايا
كان يُجنُّ غيظاً
حين تمسُّ درعَ دبابته الشظايا
يحادثها وكأنهما يفهمان عواطف بعضهما

(المشهد السادس عشر)

« فلاش باك »

[المعركة .. محمود ودبابته]

محمود :

أنت أيتُها الاخت لا تحسنينَ تفادي المدافع
أنظري
إنَّ نيرانهم تتفجَّر حولكِ ،
ها هي تُنبتُ في الدّرع أسنانَها
أرأيتِ ؟؟
الشجاعةُ لا وحدَها الواجبه
الشجاعةُ والعقلُ أيتُها الاخت
الشجاعةُ والعقل
الآنَ هيّا
من هنا سوف نمرقُ كالسَّهم حتى نمزِّقهم
أنشبي كلَّ سُرفتك الآن في الأرض
واستمطري غضبَ الكونِ أجمعَهُ
إنَّ مدفعكِ الآنَ مَن يحكمُ العاصفه
أرعدي الآن أيتُها الهُولةُ القاصفه !

(المشهد السابع عشر)

[المستشفى .. كاظم   الاطباء]

كاظم :

هذي التي كجبل الحديدْ
هذي التي كأنَّها مئاتُ أطنانٍ من الوعيدْ
كانت لها مرونةُ اللعبةِ في يديه
كنتُ أحسُ كلما حدثها
كأنها جميعها آذانٌ
مصغيةٌ اليه !

الطبيب :

الهُ زوجةٌ

كاظم :

وصغارٌ ـ وأختٌ وأمّ
غالباً ما يحدِّثُ عن بيته
وخلال المعاركِ كان يخاطبُهم
وهو يدفعُ مهرتَهُ في وجوهِ المدافع
هكذا كان يحلو له أن يسمّيها

(المشهد الثامن عشر)

[فلاش باك]

[محمود يتجه إلى دبابته . خلال حركة محمود وحواره تبدأ تداعيات ذكرى زواجه ... هدير المدافع يتداخل معه نقر الدفوف والدرابك .. يمد يده الى غطاء المدفع ليرفعه فتتداعى له صورة زوجته وهو يرفع البرقع عن وجهها .. يمد يده ليلمس دبابته .. صورة زوجته وهو يرفع يده ممسكاً بيدها .

بين الهلاهل ونقر الدفوف وهدير المدافع

تتوحد صورة الزوجة بالدبابة .. إنه في هذا المشهد يُزَفُّ إلى المعركة .

كل ذلك يتم من خلال الانتقال بين وجه محمود المحتضر في المستشفى وتذكراته ، ومعدات المستشفى ، ووجوه من حوله .]

محمود :

[وهو يتجه الى دبابته]

أزفتْ يا دمي الآزفه

لم أجمِّعْكَ إلّا لها

[دقات القلب .. موسيقى هادئة تنذر بالفوران]

أزفتْ يا دمي الآزفه

لن تصادف أمثالها
[الزوجة .. يد محمود تلامس يدها]
فرصةٌ فاغتنمها
مرّةً يا دمي في الحياة نواجهُ ميتتَنا !
[يتصاعد نبض القلب مع الموسيقى]
مرّةً واحده
ويقولون مات عزيزاً
أو ذليلًا
وتخجل من قبرك الشاهده !
لصغاريَ كي يرفعوا في المدارس أرؤسَهم
[مشهد أطفال]
ـ بابا ..
ـ بابا ..
ـ هذا أبي
ـ هذا أبي
ـ ماما أنظري ..
ذاك أبي
ـ با .. با
ونقول لتلك العجوز وفَينا

[صورة الأم وهي تهزج]
أبوك العانبه عگاله ولا مالْ
نحن أولاد مَن دمُهُ ظلَّ دينَا
[صورة الأم]
وابوك الما نخر لا دم ولا مال
قد وفَينا
[صورة الأم]
ردناك الرّجة لهذي والامال
خل اولادك يين الآفة تزامط بيك

لتظلَّ عباءتها رايةً فوق داري
وأهازيجها في شفاه صغاري

أزفت يا دمي الآزفة
[صورة الأم]
خل اولادك يين الآفه تزامط بيك
أزفت يا دمي الآزفة
[صورة الأم]
خل اولادك يين الآفه تزامط بيك

« ضربات القلب تعلو .. تمتزج باطلاقات المدافع
بهدير المعركة »
[محمود وهو يحتضر .. هذيان ..]

محمود :
أيتُها العلامه
يا رايتي في رَهَج القيامه
أيتُها السيوف ..
يا سوفَ اهلي
يا خيل ..
يا رماح ..
يا بيارقْ
أيتها البنادقْ
ياه ..
يا لكَ من ..
من موكبٍ عظيمْ
الشمسُ تستقيمْ
الشمسُ تستقيم
أيتها السماء

أيتها الفيالق البيضاء
اليوم يوم عيدْ
اليوم يوم عيدْ
كلُّ الغيوم أمطرَتْ يا سيدي الرَّشيد !
الشمسُ تستقيم
من أنتَ يا .. ؟
لكنَّها دبابتي
جئتَ تعيدُها إليّ ؟
شكراً جزيلًا أيُها الصديقْ
من أنتْ ؟
خالد ؟
خالدُ بنُ الوليد ؟؟
ياه ..
الشمس تستقيم
الشمس تستقيم
الـ شـ مـ س تـ .. سـ .. تـ .. قـ .. يـ ..

الاخت :

محمود

كلُّ الذي تراه
كلُّ الذي حلمتَ أن تلقاه
لقيتَهُ
كان حقيقةً كهذا الدم يا محمود
صار حقيقةً بهذا الدم يا محمود
ولم يكن أحلام
الضوء
الظلام
المجد .. المواكب الأعلام
أجدادك العظام
رأيتَهم أنت بهذا الدم
ولم تكن أحلام
محمود
خالد لا يموت
طارق لا يموت
وأنت لا تموت يا محمود
لأنكم رموز هذا الوطن العظيم
الشمس تستقيم

الشمس تستقيم

محـ .. مـ .. ـو .. د

(المشهد التاسع عشر)

[بيت محمود أمه أخته زوجته وأطفاله]

« تدخل الكاميرا .. واضح من طريقة دخولها ان السيد الرئيس يدخل البيت ، كل الترتيبات تجري على هذا الأساس . »

الاخت :

بطلًا مات يا سيدي

بطلًا

شامخاً كالنخيل

هادراً كالفرات

مفعماً بالغضب

مفعماً بالحياة

بطلًا كان يا سيدي حين مات

أنا ضَمَّدتُهُ

دمُهُ كان فوق يَديَّ يسيلْ

دمُهُ المستحيل

بين أحضانِ أختهْ
فوق أردانِ أخته
كلُّ وجهي تخضّبَ من دم محمود
كنتُ أشعرُ يا سيدي
أنّهُ دمُ كلِّ العراق
دمُ كلِّ العرَبْ
كلُّهم يعلمونْ
كلُّهم في غدٍ يُسالونْ
نحن ثُرنا لِمَنْ ؟
وانتصرنا لِمَنْ ؟
والذي راح منّا شهيداً
لمن ؟

الأم :

هم جنودُكَ يا ولدي
أنت تعرفهم

تتكسرُ النخلةُ يا صدام
لكنّها لا تنحني

أنت الذي علَّمتهم هذا

الزوجة :

كنتُ خائفةً يوم سافر محمود

وانتهى بعد يومينِ خوفي

أمّا الآنْ

فإنني أُعِدُّ هولاء

كي يقفوا في البقعةِ التي خَلَتْ

من قَدَمَيْ أبيهم

هذا أكبرُهُم

أهديه إليك من الآن

ليل نهار

يهتفُ باسمكَ عالي الصوتْ

ولهذا .. لن يخشى الموت !

الأخت :

ألف معذرةٍ سيدي

أنّ أختاً أمامكَ لم تمتلكْ نفسَها

فَزَهَتْ باخيها

إنْ يكنْ للبطولةِ أن تزدهي

فامامَكْ

إنْ يكن للشهادةِ أن تزدهي

فامامكْ

وليكنْ كلُّ زهوي أمامكْ

أنت يا سيد الزُّهو أجمعِهِ

[يتضح من حركة الكاميرا هنا أن السيد الرئيس تهيأ للمغادرة .]

الاخت :

شرَفٌ قدومُك سيدي

شرفٌ لهذا البيت أنك زرتَهُ

ويه شهيد

لا دموع

لا والله

لا انكسارَ في الضلوع

لا والله

أنتَ تُعطي للجراح كلِّها معنى التَّحدي

أنت تعطي الميْتَ .. حتى الميْت .. قوَّه

للتصدّي
فكيف أمامك ينكسر الزّهو يا سيدي

لا كدّرتْ يوماً محيّاك الكآبه
واللّه يا جمّ المهابه
كلُّ الدماء
تمضي ، وتبقى الارض ..
يبقى الزهو ..
تبقى الكبرياء
يبقى ترابُ الانبياء
حرّاً طَهوراً سيدي ..
كلُّ الدماء
عهدٌ علينا أننا نلدُ الدماء
تلوَ الدماء
ونريقُها يا سيدي
لتظّل هذي الكبرياء



١٩٨٦

تهجـــد

يا إلهي
قادر أنت أن تجعل الماءَ ناراً
وأن تجعلَ النارَ ماءْ
قادرٌ أن تُحيل الهواء
مطراً في الصدورْ
يا إلهي
دَعْ صواريخهم في فراغ تدورْ
إنَّ بغداد غافيةٌ
فلتكن أنت سورْ
إنَّ بغداد غافية
فلتكن أنت سورْ...

تهجد

عفوك يا عراقْ
ها هو ضوءُ الفجر ينسلُّ الى مكتبتي ،
يلّونُ الاوراقْ ..
يوم جديد
والعراقيّون في الهور يقاتلونْ
اللّهُ يدري ما الذي يمكن أن يكونْ ..

وأنتَ طولَ الليلْ
دماك تجري في شرايينك مثل الخيلْ
ترجفُ فرطَ الغيظِ والأرقْ
ولم تضعْ حرفاً على الورقْ

عفوك يا سيّد شعري ..
أيُها الأميرْ
يا أيها العاشقُ والمقاتلُ الكبيرْ

يا الصابرُ الكبير، والمثابرُ الكبيرْ
عفوكَ إني اليوم خاوٍ،
معدم،
فقيرْ
أفقرُ ما أكونْ
أوّل مرّةٍ بعمري أغمضُ العيونْ
من خجلٍ،
أنّيَ لا أملك ما أُعطيك
والناس يقاتلونْ ...

تهَجـــــد

لأنَّك العراقْ
لأنَّك المنشيءُ والمبدعُ والخلّاقْ
لأنَّ دمع الله في الدم الذي يُراقْ
من جرحك الشاخبْ
لأنَّك الواهبْ
لأنَّك الغيورْ
لأنَّ كلَّ نبضةٍ من قلبك الجسورْ
تدقُّ منذ أقدم العصور
معارج السماء كي تفتح باب النّورْ
أكتب لك
حتى يضيء الله في السطورْ
وتُرفع الأوراق
يا عراق ..

لُغتـــان

حينَ أنطقُ بالعربية
يُنصتُ ملتفتاً جهة الصَّوتِ
ثمَّ يصوِّبُ

أدعوك للسلمِ ،
للحلْمِ ،
للـ ...
تستقرُّ رصاصتُهُ في فمي
لُغتي غرقتْ في دمي

حين ينطق بالفارسيَّةِ
يشتمُ ،
يرجمُ ،
يرسمُ ألف طريقٍ الى قتلهِ

تستقرُّ الرُّصاصةُ في موضعِ اللؤمِ منْ قلبهِ
يتساقطُ
أسمعهُ خلفَ ساترهِ وهو يشتمني
مستفزاً مهانْ ..

لبنادقنا لغة واحده
ولنا لغتانْ

أيها الوطنُ المتكبر

بين دفءِ التوحُّد بالموت ،
والأنمُلِ الراجفهْ
بين صوتكَ والعاصفه
طلقة خاطفه
إن تجاوزتُها
إن فتحتُ لها معبراً في دمي
زمني كلُّه ينتمي
وأنا واقف
كلُّ أزمنتي واقفه !

أيُّها الوطن المستبدّ بما يهب الحبُّ حدّ الشَّهاده
ألى الموت أم للولادهْ
هذه اللحظةُ النازفه ؟

لغتي خائفهْ

قلتَ إنَّ زنادكَ قلبك ،
ضع فوقه إصبَعَكْ
ثمَّ أطلقْ وقلبي معك
وأنا واقف
كلُّ أزمنتي واقفهْ

قلتَ إنَّ الذي يمنح الحبَّ قد يمنح الموت
في لحظة النشوة الجارفهْ
والشهادةُ كلُّ الهوى
عندما تأزف الآزفهْ

أيُّها الوطنُ المتكبِّر، يا أيها الوطن المتكبر
إنيَّ عشقتُك درباً الى الحبِّ
درباً إلى الربِّ
درباً إلى لغة القلبِ
في اللحظة الكاشفهْ

غير أنك لم تعطني لحظة من حياتي
لم تكن أنت فيها
بين ذاتي وذاتي
هل رأيتَ عذاباً كهذا ؟

قلت إن التوحُّدَ بالشعر صوتٌ
وبالله موتٌ
وبالحب فَوتٌ
وأنت تجاوزت حدَّ الطفولهْ
ثم شكَّلْتَ لي لغتي مثلما تشتهي
فبلغتُ الرجولهْ
وبلغتُ الكهولهْ
وأنا لم أزل بعدُ
طعمُ المناقير في شفتي
وارتجافُ العصافير في رئتي
صرتُ الثغَّ كهلًا

وأنطقُ مثل النَّبيّين طفلًا
وأقسر نفسي على أن أكون الذَّبيحةَ والسَّيف
في لحظةٍ
هل رأيتَ عذاباً كهذا ؟

كلُّ دربٍ يسيرُ بها عاشقوك
بدايتها مطهرٌ
ونهايتها مطهر
ونجيئكَ
أرواحُنا فوق راحاتنا
نتوسَّلُ ..
هل ..
هل رأيت عذاباً كهذا ؟

بين بحرين مستغلقين نُذرنا
بدايتُنا موجةٌ لا نعيها

ونهايتنا موجة لا نعيها
وكلُّ الفجيعة في برزخ العمر بينهما
أفكان لزاماً على الماء أن يلتقي عبر مأساتنا ؟!

يا ظلال الأسى الوارفة
أي معجزة تمنح القلب أن يتفصَّد نبعاً

ليوصل مجرى ولادتهِ
لمصَبِّ منيَّتِهِ
وهو ينبض حباً
وكل شرايينه راعفة

لغتي خائفة
أنا أعلم اني سرقتُ دقيقة خوفٍ عسيرٌ حسابي عليها
أين لي أن أخبِّئها ؟

وكتبت وثيقة خوفٍ عسير حسابي عليها!
كيف لي أن أُبرِّئها ؟!
إنه زمن كلُّ ثانيةٍ فيه تكشفُ عن صدرها
لتمرَّ به طلقةٌ
من لنفسٍ تدافع عن حزنها ؟!

الزمــن العلقــم

لكَ وحدكَ أملكُ أن أُرخصَ نفسي
لك وحدك أحني رأسي
لجلالك وحدَكْ
أرفعُ مخموراً كاسي
مترعةً بدمي
هذا قلمي
ممتلئٌ بك حدَّ الأرْهاقْ
مختومٌ باسمكَ حتى تُرفعَ هذي الأوراق
يا هذا الساكنَ في أحداقي
يا ذا الملكوتْ
أنت الحيُّ الباقي
باسمك نبدأْ
واسمُكَ آخرُ ما ننطق حين نموتْ

باسم العراق
أكسّرُ الأختام عن صوتي المُدمّىٰ
بي ما أنوءُ به ،
وقد سمّيتُ حتى الغيب
لكنَّ الذي بي لا يُسمّىٰ

غاضبٌ أنت ؟
من أين لي بالغضبْ ؟
خائفٌ ؟
أيٌّ شيء تراني أخافْ ؟
قد وردتُ الأسى من جميع الضِّفافْ
وشربتُ من الموت حتى نضبْ
موجَعٌ ؟؟
من جميع العربْ

لكنني سأظلُّ أزرع كلَّ أسئلتي مرايا
لتري وجوهَكِ يا سبايا

علَّ الجباه تنزُّ من خجلٍ فتغتسل الخطايا
أهلي ضحايا
أولادُ أولادي ضحايا
وجميع من يلدون حتى آخر الدنيا ضحايا
وأنا أهدّدُ قاتليهم أنَّ قومي يسمعونْ
فيسيل طوفانُ المنايا
ثمّ التفتُّ ،
رأيتُ قومي يسمعون ويضحكون ..!

أيُّها الحزنُ
إنَّ المروءةَ تمنعُ أن نتلفَّتَ في ساعةِ
الموتِ
لكنه أسف لا نقاومهُ
عمرَنا لم نمنَّ على أحدٍ
أو نحمِّلْهُ وزر كرامتنا

واللّه لو إحدى يديَّ تعثَّرتْ

بثيابها ، والموتُ يقتحمُ المدى
لقطعتُها بيدي وقلتُ لأختها
الآن وحدَكِ تُقبلين على الردى !

أيها الزمن المرُّ
يا أيها الزمنُ العلقمُ المرُّ
إنّا احتملناك حتى غدا مرتقى الصَّبرِ
منزلَقاً
كل فجرٍ نفتّحُ أعيننا
فنرى كلَّ أنهارك اختلفتْ
كلُّ نهر يُطَمئنُ مجراه طول النهار
فإن خيَّم الليل
تسمعُ دبيب خُطا الماء
وهو يبارح موقَعهُ

يا زمان اللصوصْ
يا زمان الوجوه المريبةِ

والأعيُنِ الزئبقِ اللا تقرُّ محاجرُها
إنَّ أرضَ المريّين تصبح أرض المرابين
والناسْ
تشربُ من حوضٍ مهدومْ
تأكلُ من شجرٍ مسمومْ
وتلابَسَتْ الأصوات فما تعرف صوت الظالم
من صوت المظلومْ

شبهةٌ في الأصابعْ
شبهة في الشفاهْ
شبهة في العيونْ
والذين تحاصرهم نظراتُ الخناجر
تلمع من فرجةِ الفمِ وهو يضاحكهم
يعلمونْ
أنهم أوثِقوا بشرايينهم
أنهم حوصروا بالدماء التي أوهِموا أنها دمُهم
انهم بمقاتلهم موثَقونْ

أين ترحل زنبقةُ الأرض
محمولةً من تراب فلسطين
فوق البواخر؟
كلُّ البلاد الغريبة موحشةٌ حين تدخلُها
لاجئاً
ما الذي سوف تصبح يا وطني؟
ملصَقاً للدعاية فوق زجاج الحوانيت؟
ثرثرةً في المقاهي؟
معرضاً
يقف العابرون بساحته لحظةً
ربّما لاتّقاء المطرْ؟!
أفتَحملُ نفسَك يا وطني كلّما ضاقت الأرض
تبحثُ عن ملجأ؟
من يلملمُ في مهجرٍ وطناً؟!
يا بلادي التي ...

كيف أحملُ شمس شتائكِ بغداد
نحو المهاجرْ
إنَّ طلْع النخيل له موسمٌ للطفولةِ
من أين أبدؤهُ ؟
أيها الحاملون غبار حقائبكم
هل حملتم بها وطناً ؟!
إن كل المحطات حزنٌ تلوِّحُ فيه المناديل
والقاطرات تصفِّرُ راحلةً

وطني ..
أيها الفرح اللا يسافرُ
يا أيها الوجع اللا يسافرُ
قد تكسر الضلع
لكن حبُّكَ يُمسكهُ أن يمزِّق لي رئتي
ولهذا أموتُ لأجلك !

أيها الحاملون بنادقكم في سطوح البواخر

إن المحيطات تخشع أجمعُها إذ يمرُّ خيالٌ
لساقيةٍ في فلسطين
يملؤهُ عبَقُ البرتقال
وترجيع زيتونةٍ تتأرجحُ فيها
العصافير
هل يقتلُ الناسُ أوطانهم ؟؟

من يحاكم هذا الطعينَ الذي دمُه فاض حتى طغى ؟
من يلوم الذي يتلفَّتُ في لحظة الزلزله
فيرى نفسه وحده في دجى الموت لا عونَ لهْ
من يقول له لا تكابرْ
عندما تتجرَّد وحدَك للمستحيلْ
قاتلًا أو قتيلْ
تتحمَّل وزرَ ثباتِكَ وحدَكْ
ليقُم هَولُ كل القياماتِ بعدكْ
فالمراكب تعلم أن حمولتها علقمٌ
أن متَّكأً للجريمة مهَّدَهُ أهلُنا

أن كلَّ المِدى شُحِذَتْ
والأكفُّ التي لوَّحت للمراكب
قد لا تلوّحُ ثانيةً

لكاني أبصرُ تلَّ الزعتر يبكي
ألمح صبرا تقطع كلَّ جدائلها وتصيخ
أسمع صوتَ الريخ
يا أطفال فلسطين
إنَّ سكاكين عمومتكم قادمةٌ
مدُّوا الأعناق بصمتٍ
فقلوبُ الأعمام رقاقٌ
إن يَصرخْ أحدٌ منكم
تبكِ ..!

الويلُ لكم
يا آكلي أثداء أمَّهاتكم

يا والدي بناتكم
لانهنّ لا يعرضن ثديهنّ للدّخيلْ
من بعد ألف جيلْ
تُنشَرُ من قبورها العظامْ
وتُسالُ الرِّمامْ
من بعد ألف جيلْ
يَستنطق الآتون حتى حجرَ المقابرْ
ويومَها تُسالُ حتى الضحكةُ اللئيمهْ
مَنْ فمُها ؟!
سيدفعُ الأولاد عنكم ديّة الجريمهْ
سيدفعُ الأولاد عنكم ديّة الجريمهْ

الاختيـــار

« .. أنا ذاهب لأطهر هذا الراقم من الاعداء ..
وأعلم أني سأموت أوصيكم بأولادي خيراً .. »
في فجر اليوم التالي ، كان للعراق على ذلك الراقم
علمان ، أحدهما يرفرف زاهياً فوق أعلى قمة
في الراقم ..
والثاني يلفّ جثمان الشهيد البطل
العقيد صدام لازم

كيف صافيتَ نفسَك ؟

ما قلتَ يوماً ساكتب إلّا تملّكك الخوفُ

كلُّ البدايات تُفضي لنفس النهاية

لكنك العمرَ

تفزعُ من مُعبر الموت بينهما

كيف صافيتَ نفسك ؟

كنت توقظ أسئلةً يقشعرُ لها القلب

حتى ليصبح جلدكَ غابة شوكٍ

وتبحث عن أيّما مامنٍ في جوابٍ تحاولُهُ

والقصيدة تنمو

تمدُّ أصابعها في جميع الشروخ التي

فتّحتْها الهواجسُ

تورقُ

تلتفُّ أغصانها حول روحكَ

تغدو وبينك والموت نبضةُ قلب

وينبضها !

كيف صافيتَ نفسك ؟

إنَّ الهواجسَ غافيةٌ

والمخاوف أرخيتَ جلدكَ من فوقها

فهي آمنةٌ

وهل ستوقظها ؟

ـ بل سنكتبُ

ـ أدري

وأدري بأني أحاول أن أتجنَّب هذا الأسى

عبثاً

أتكابرُ ؟

جاوزتَ خمسين عاماً

وها أنت ذا

كلَّما قلتَ شعراً

تجبَّرتَ

حتى كأنَّك من حجرٍ

وتكبَّرتَ

حتى كأنَّك تلبسُ جلد أخيلٍ

ودافعت أدنى الوساوس لا ترتقي كبرياءك

رعدتُها

خائفاً كنتَ ؟

أم بطلًا ؟

إنَّ أبطال أهلكَ لا يدَّعون ألوهيَّةً

أرِقوا

قَلقوا

عاشَروا في الخنادق كلَّ تفاصيل أحزانهم

ومسرّاتهم

ثمَّ حين يجيئهم الموت

كانوا يلاقونه بشراً

ـ لا

من يجرؤ أن يزعم هذا ؟

إني أبصرتُ مَصارعَهم
ورأيتُ إليهم
يركض واحدهم
ومنيَّتُهُ تركض هاربةً
حتى يمسكها
فيصيح بأعلى صوتِ :
هذا موتي
ويموت ...
من يجرؤ أن يزعمَ أنَّ بني أميّ ماتوا بشراً ؟
أفأستنطقهم ؟؟
من يرضى الساعةَ منهم
أن يتخلى عن مجد شهادتهِ
فيكلّمني ؟

غير أنّيَ أبصرتُ محمود
وهو يشدُّ على موتهِ بأصابعهِ العشر

كان يحدّثني ويمجُ دماً
وتوسّلتُ أن يستكين
ولو لحظةً ..
كان مجدُ العراق بأجمعه يتدفّقُ من فمِهِ
كيف أملكُ إسكاتَهُ ؟

ـ ها أنت بدأت
في لحظةٍ نسيتَ ما حولكْ
أغلقتَ كلَّ منفذٍ يوصل منك أو إليكْ
في لحظةٍ تصبحُ عملاقاً وأنت الذّبيحْ
تغدو بثقل جبلٍ
وكنت قبل لحظاتٍ ريشةً تعصف فيها الريحْ

شكَّلْتَ اللغةَ الآن فيالقْ
ونشرتَ الكلمات بيارقْ
وتحفّزتَ لتَقتلَ أو تُقتلْ
ـ أوقفْني إن تجرؤ

لم أملكْ أن أوقفَ محمودْ
رغم كلِّ التَّوسُّل
بالموت خطَّ قصيدتهُ .
قُلْ لدفْقِ الشهادة أن يسكت الآن
إن تستطعْ
وهبْكَ استطعتْ .
هبكَ مزَّقتَ هذي السطور ،
وكسَّرتَ هذا القلمْ
هبكَ ألغيتَ هذا الألمْ
إنَّ محمود ما عاد جرحاً ودمْ
إنَّهُ الصوتُ في داخلي ..
كلُّ حشرجةٍ
كلُّ حرفٍ ، وكلُّ اختلاجٍ بأوصالهِ
صار بعضي
يومَ أقضي
بعضُ محمود في داخلي سوف يقضي
ولهذا سأكتبهُ

- وإذنْ أنت منشغلٌ
- سأدوّن كلَّ اختلاجاتهِ
- وإذن فجميع الذي قلتُهُ عبثٌ
- كلُّ مكرمةٍ قالها وهو ينزع
- صافيتَ نفسك !
- من أين آتي بتلك المروءةِ محمود ؟
والوجعُ المتكبِّر حدَّ التألُّق
من أين آتي بهِ ؟
- عَبَثٌ
عبثٌ
- إنني أسمعُ الآن صوتكَ
أبصرُ جَحظةَ عينيك
شكلَ انطباقة فكّيك
والدَّمُ ينبع من مَنبتِ الضِّرس في الشَّفة المستقرَّةِ
بينهما
وأنت تواصلُ تسجيلَ موتِك حرفاً فحرفاً بذاكرتي
أفتذكرُ محمود كيف بدأت حديثك ؟

حدَّقتَ فيَّ
إلى الآن أجهلُ إن كنتَ أبصرتني فتحدثتَ
أم كنتَ تهذي
ولكنّني أتذكّر حرفاً فحرفاً جميعَ الذي قلتَهُ
نظرتَ إليَّ مليّاً
كأنك تذكُرني
أو كأنَّك تُنكرني
ثمَّ قلتَ وعينك شاخصةٌ :
كنتُ أصرخ
لا أتذكر ماذا نطقتُ
ولكنّني كنتُ كالوحش أصرخ
كانوا مئاتٍ ،
وكنّا بشقٍّ ثلاثةَ مستوحَدين
جريح يحاول أن يتخلص من يدِهِ
بعد أن ظل لا شيء يمسكها غير
جلدةِ مرفقها
كان يشتم

لكنّه ظلَّ يطلقُ نيران رشاشهِ
حين حاولتُ تضميدَهُ صاح بي غاضباً
دَعْ يدي
إن خزّان رشاشتي فارغٌ
فاعِنّي على ملئهِ

لم نكن نتبيَّن منهم سوى خَبط أقدامهم في الصخورْ
وصراخهمو بين دفقةِ نارٍ وأخرى
حين ناولتُ جسّام رشاشهُ
لم يمدَّ يداً
لم يجب حين ناديتُهُ
فصرختُ
وأطبقت كفَّيَّ فوق الزنّادين
أصرخ والنار تصرخ
حتى سكتنا معاً
في ضياء الغبشْ

كنت منكفئاً غائم المقلتينْ
أتامّلُ أكوام قتلىٰ أمامي
وفي خندقي جثتينْ

أتراني تجبَّرتُ محمود .. ؟
هل تلتُ عنك ولو خبراً أنت **تجهلهُ** ؟
هل رسمتُ ولو صورة أنت **تنكرها** ؟
أفبالغتُ فيك فحمَّلتُ تلك المروءةَ وزرَ ادّعائي ؟
محنتي هذه الآن أم كبريائي ؟
انّ خمسين عاماً من الهمّ
خمسين عاماً من الدمع والدّم
خمسين عاماً تقاتل عن نفسها
أنها وجدتْ لحظةَ الصدق
فانفجرتْ كلُّ أورامها
أتقبّلُ كلَّ نتائجها الآن
حتى ولو كان موتاً كموتك محمود ـ

ما أسرع ما تركض للموت
تختصرُ الدَّربَ إليه
وتهيم عليه
كأنَّ الموت كذا ..
شربة ماءٍ تشربها
ثم تغفو
وتنهض من بعدها بطلًا ..
هكذا تتجبَّر
تأتي لأقسىٰ التجارب
تمسكها من نهاياتها
أفتعرف أي المسالك يسلك من يقبلون
على الموت ؟
ـ أعرف صدام لازم
لم يأتهِ الموت في غفلةٍ
أو بطرفة عينٍ

ولا اختصرَ الدرب
إلا بمقدار ما خطَّ تلك الرسالهْ

وضع الموت في متناول جرأتهِ
ثمَّ حاصرَهُ
ـ وتوهَّمتَ أنَّ شهادته محضُ موتٍ
كأنَّ المسافة بينهما ليس فيها سوى
وقع أقدامِهِ

ـ الويلُ لكْ
ما قال ما تقول حتى الله
كأنَّما كُلِّفتَ أن تُفرغَ حتى الموت من فحواه
أيُّنا الآن متَّهمٌ بالتساهل ؟
هذي القصيدة وهي تقطّع أوردتي
ثم تمطرها واحداً واحداً ؟
أم وميضُ اتّهامكَ

يبرق لكنه خُلَّبُ ؟

يمكنني أن أتجنَّبْ
يمكنني أن أسكتَ
لا أُغضِب أو أغضَبْ
يمكنني أن أسدل جلدي فوق هواجسيَ الآن
ياما أبصرتُ الشيطانْ
يلعب في الاسواق
بكل ما يُعرَض من أوراق
قد يربح الرهان
لكنه هيهات يستطيع أن يصرخ مفجوعاً من الاعماق
يا عراق !
وصدام لازم شقَّ بصرختهِ رئةَ الأرض
أجمعها
أفَتُوهم نفسَك أنيَ أختصر الدرب ؟
أبحث عن أيِّما جثة لُأرسِّمها بطلًا ؟؟
يا رصاصاً على كلِّ أرضٍ يطيشْ

كم نفذتَ الى قلب مستضعفٍ
كان أقصى أمانيّه أن يعيش

ولكنّه الدّرب
لكنها لحظة المَعبرِ الصّعب
كلُّ ما كان بعد رسالة صدام لازم
كان الصّدى
والرسالةُ كلُّ المدى
ما الذي جال في ذهن صدام لازم لحظتهَا ؟
بعد أيِّ صراعٍ ، وأيِّ معادلةٍ
صار موتُكَ صدام لازم عِدْل حياتك
أجمعِها ؟
عدلَ أهلك بيتك الذكريات ، المحبّين
أدمع زوجتك الأمّ بسمةِ شمسِ الصباح لعينيك
ضحكة أطفالك الآمنين
كلُّها أصبحتْ طرفاً
والعراق تلألأ في طرفِ

وتوسّط موتُكَ بينهما
وتوازنْتَ
لحظة بدءِ الرسالة صدام لازم
كنت تسمّي لكلٍّ المروءات أسماءها
كلُّ شيءٍ غدا حلُماً
غيرَ شيئين .. كانا الحقيقةَ أجمعَها
العراقُ وموتك
ثمّ يسألني هاجسي :
كيف صافيتَ نفسك ؟
هل كنتَ صافيتَ نفسك صدام لازم
حين تخيّرت ؟!
أم كان مجدُك أنّك ألغيتَها
ووضعتَ العراق بديلًا ؟!

سلاماً يا مياه الأرض

في رحاب الشهاده
يخرج الشعرُ من جلدهِ عارياً
مثل يوم الولاده

نحن في حضرة الصدق والموت
في حضرة الزُّلزلهْ
كلُّ حرفٍ هنا آيةٌ مُنزَلهْ
أو سكونٌ
نقول : خشوعاً
ونلتمس العذرَ للدمعة المُسبَلهْ

سأحاول أن أجعل اللغةَ الآن زلفى
إلى الله
الكلماتُ اللّعوب

احتراماً توَجّل لعبتَها
فالصراط الذي ستمرُّ عليه يقطِّع أعناقها
إنّها حرمة الدَّم ألّا نُلفّقَ شيئاً على الشهداء
وألّا تَخفّ موازيننا في مهبِّ القيامه
فليكن كلُّ صوتٍ علامهْ
وليقفْ ربُّهُ خلفَهُ لا أمامهْ

خافقٌ أيها القلب مثل الحمامهْ
أنا أعلم أن مواجهة الميّتين مكابدةٌ
وجعٌ يذبح القلب
لولا المروءه
ما الذي تستطيعُ النبوءه ؟
ما الذي يفعلُ الشعرُ في حضرة الشهداء
سوى أن يقول كلاماً صغيراً
ويجلد من خجلٍ نفسَهُ ؟

سادتي المطمئنّة أرواحهم في سماواتها

إنني أوَّلُ المُتَحفِّية الآن أصواتُهم
رهبةً
كلُّ صوتٍ ،
ولو كان صوتاً نبيّاً
إذا فاض بين مدارجكم
يتهدَّجُ
يخلع سلطانَهُ
ثمَّ يُحرِمُ ملتحفاً عُريَهُ
خاشعاً كخرير السواقي
يقول : سلاماً أحبّاءنا
وتشعشعُ لؤلؤة في المآقي

سأقول لكم إنُكم خيرُنا
وأقول لكم :
نحن نغفو ونعلم
أنَّ ابتسامتنا

وكرامتنا
سَيُجتْ بشهادتكم
أنكم في منازلنا
تملكون مساقطَ زهوٍ
تبرعمُ في كلِّ ليلٍ حديثاً يثيرُ الشَّجى
في البيوت

ثمَّ نرقبُ أطفالنا
ينظرون إلينا موارَبةً
أنَّنا نتحدَّثُ
لكنَّنا لا نموتْ !

هل أضفتُ جديداً لما قال غيري ؟
سأقول بأنَّ العراقَ يردّدُ أسماءكم مع خبز الفطور
كما يقرأ البسملهْ
كلَّ بيتٍ تعافون
لا أهلَ لهْ

كلُّ طفلٍ له نسبٌ بينكم
يتميَّزُ من بين أقرانِهِ
فلَهُ هيبةٌ
وبهِ مرجلهْ

كيف أُطلقُ صوتيَ من حبسهِ ؟
نذرتُ اليوم أن أبكي فهل للدمع من ملجأ ؟
نذرتُ شغافيَ المذبوح
يضربُ في جدار الروح
طول الليل لا يهدأ
نذرتُ لكم دمي المُرجأ
ملأتُ به سراجَ القلب
يتبعكم فلا يُطفأ
صناديقٌ صدورُ الأهل
نُغلقها عليكم
لا يفكُّ ضلوعَها النّسيان

أو أقفالُها تصدأ

ونذكركم ،

تجفُ منابتُ البرديِّ في الاهوار

لكنْ في مآقينا

تظلُّ كدمعةِ الجمّار

تقطرُ من فم النُّبُوت

تقتلُ نخلَها وتموت

أوجاعاً ليالينا

ومثلَ جداول الياقوت

ترشحُ من ثقوب القلب

داميةً أغانينا

ويبقى كِبْرُنا فينا

ويبقى زهونا فينا

وحين يهيج كالطُّوفان

نُطبقُ فوقهُ الأسنان

كبْراً صوتُ ناعينا

فلا يعلو سوى صوت الهلاهل والرصاص الحيّ

ولا يعلو سوى صوتِ المنادي صارخاً : يا حيّ
يَرشحُ في الصدور الدَّمع
ينضج في الوجوه الدمع
وبين الدَّمعِ والطلَقات
لا باكٍ ينوحُ ولا
سوى صوتٍ يصيح : هلا
هلا :
هلا ..

هله بالزّاد بيرغ يمْ خواتهْ
كسرْ عين العِده وعين الشَّماتهْ
هلا بكْ يا گمر بالبيت لا ليثْ
ما يومٍ گلت بلكتْ ، ولا ليت
أنا الهزّيت كاروكك ولا ليت
عرفتك سبع من شدّ الگماط

ونحملكم على الأعناق

نحمل زهونا العالي
نشيداً ،
بيرقاً عالي
يطرّز صدرَهُ الياقوت
يبهرُ فتحةَ التابوت
ثمَّ يلفُّهُ العلمُ
ونرفعكم ،
وعينُ الكبْر
تنهرُ من يواسيها
سلاماً يا مياه الأرض ،
يا أعلى رواسيها
ويا سفُنا مراسيها
شواطىءُ جنَّة الرحمن
يا من تزدهي الأوطان
أنّ نجومكم فيها
وأنّ غيومكم فيها
وأنّ جراحكم ستظلُّ مثل شقائق النعمان

تُزهر في فيافيها
ونَتبعكم ،
ملازمةَ الرَّنينِ معادنَ الأجراس
نتبعُكم لِحزِّ الراس
نحمل ضوءكم ونسير
نحمل زهوكم ونطير
نشتل في مهبِّ الموت أذرعةً وسيقانا
لعلّك يا عراق الكبر
حين تجيش تلقانا
لعلّك يا عراق الكبر
حين تجيش تلقانا

ألـــواح الـدم

حين باع أبي بيتًنا ذات يومٍ
بكينا
ولكنَّ أمّي
أغرقتْ عمرَها في الظلامْ
بعدها بثلاثين عامْ
يومَ ماتَ أبي
كنتُ أسمعُها وهي تبكي
تقول لجثمانِهِ :
أنت تدري بأنّي سأغفرُ
حتى على بيع مسكنِ أولادنا
سأسامحكَ الآن
فاذهبْ قريرَ العيونْ ..
ولكنَّهُ بيتُهم ،
أيبيعُ أبٌ بيتَ أولادِهِ ؟!

باسمِ العراق أقول
إنَّ الأرضَ سوف تدورُ دورتها
وتسجدُ مرَّتينْ
المخوف
حين تكونُ بابلُ تحتَ برج الموت
وهي تشدُّ ألويةَ التحدّي
ثمَّ تسجدُ مرةً أخرى
وبابلُ مسقطٌ للشمس
عندئذٍ تدور الشمس حول الأرض حدَّ الاحتراقْ

باسم العراقْ
سأقول إنَّ الأرضَ ناعورٌ
وإنَّ بهيمةً معصوبة العينين
هائلةً
تدور به على فلَكٍ مشاكسْ
وتجرُّه اخرى الى فلك معاكس
سيميلُ قطبُ الأرض حدَّ الانكسارْ

ولسوف ترتجفُ الدُّنا ممّا تفيضُ دماً وناز
كلُّ البراكين التي انطفأت
ستقذفُ مرّةً اخرى رواجمَها
وتشتعل البحاز
أشجارُ كلِّ الأرض سوف تصيح
كلُّ الريح
تخرج من مكامنها وتجري
يفزع الأمواتُ تحت الأرض من قبرٍ لقبرِ
كلُّ ذي جنحين
سوف يطيرُ مشتعلا
تسيرُ جبالُ كلِّ الأرض
يسحق بعضُها بعضاً
فيغدو الكون كوماً من حجارْ
حتى إذا انكسر المدارْ
ينشقُّ جذعُ الأرض عن صوتٍ مهيبِ الكبرياءْ
سَبَحاتُ إبراهيم فيه
وفيه طُهْرُ الأنبياءْ

فيشدُّ قطبَ الأرض شدّاً وهو يصعد للسَّماءْ
وتكون بابلُ عندها ضوءاً ،
وسنبلةً ،
وماءْ

ومسرى شراعْ
وبيتاً لأولادنا لا يُباعْ

بالتذكُّرِ أبدأُ مجرى دمي
لستُ أدري لماذا يكلّفني الشعرُ أن أنتمي
فأنا أتتبَّعُ جرحي الى مقبض النَّصلِ
مئذنةً يصعدُ الجرحُ حيناً
إلى اللّه
أو يحفرُ الروحَ بئراً
ينزُّ بها صوتُها أدمعاً ومرايا
تتكاثرُ فيها الرؤى

تتوالدُ فيها الخطايا
كلّما جمّعتْ نفسها للأذان
تكسَّرت الصَّرخةُ المستفزّةُ في قاعها
واستحالت شظايا

لحظةً أيُّها الصَّوت
تُفزعني حين تشطرُ نفسكَ شطرَين
شطراً يصير إلٰهاً
وشطراً يلوذُ بهِ خائفاً
أنت صوتي
وأركع من رهبةٍ خاشعاً حين تنْطقُ
كينونتي كلُّها في مهبِّك تصبحُ
كالطيرِ في العاصفه

هذا قدَري
في ذروةِ ليل الهمّ
أملكُ أن أقرأ لوحَ الدَّمْ

يا عبدالرزاقْ
إن كنت تحاولُ أن تصبأْ
أو تتنبّأْ
فاخرجْ من جلدك هذا

فتِّقْ كلَّ جروحكْ
وابحثْ عن روحكْ
ثمّ ازرعْها في عينيكْ

فاذا جاوزتَ حدودَ الموتْ
ولصوتكَ صوتْ
فارفعْ هذي الأوراقْ
ستكونُ رأيتْ
وتكونُ روَيتْ
ويكون لصوتكَ أجنحةٌ

ولكلِّ حروفكَ أحداقْ

يا عبدالرزاقْ
ميلادُكَ في موتكْ
موتُكَ في صوتكْ
فتأمَّلْ ،
فكلُّ الفجيعةِ في الصَّوتِ هذا
بكاءُ وُلدِنا
وبكاءُ نموتُ
فمتى تتعلَّمُ أنَّ السّكوتْ
أبلغُ الآيتينْ ؟

يا حسينْ
والذي أرجعَكْ
حافلًا بالحياةْ
حاضناً كلَّ ماء الفراتْ

لو سكتْنا فأبوابُ كلِّ البيوتْ
سوف يوصدُها الدّودُ والعنكبوتْ
ولهذا نموتْ

يا حسين
إنَّ بعض المنيّاتِ حقٌّ
ولكنَّ بعض المنيّاتِ دينْ

لماذا تمثَّلتُ باسمك يا سيدي ؟
ها هي الرّيحُ تجأرُ حولي مهبّاتُها
إنَّ موجَ القصيدة يصعدُ من ألف متَّجَهٍ
كيف أمسِكُ شعفَتَهُ ؟

أنا أعلمُ أنَّك تنهض في الحرف أكتبهُ
فأخاف لما فيه من هيبةٍ
والقصيدة هبَّتْ

ولي لغةٌ ها أعنّتُها في يدي
غير أنّ رموزكَ تنهضُ مثلَ العماليق
حتى لترتعدَ الريحُ منها

لماذا تمثّلتُ باسمكْ ؟؟
الآنّ البطولةُ معقودةٌ فوق قبتِّك الآن
في كربلاءْ ؟
أم لأنّ الدِّماءْ
أصبحتْ إرثَنا ،
فكأنّا وُشِمنا بوشمك منذُ الولادهْ
فخرجنا وكلٌّ على وجههِ شارةٌ للشهادهْ ؟

يا حسينْ
إنّ للصمتِ في أرضنا آيتينْ
أن يكون كريماً ، عظيماً ، رحيماً
كصمتك
ممتلئاً بالمروءة

ممتلئاً بالنبوءة
ممتلئاً بالنّشورْ

غَبشاً
يتوسَّطُ بين انتهاء الحياة
وبدء القيامهْ
وعليه علامهْ
أنّهُ مفعم بالحضورْ
أو يكون كصمتِ القبورْ
عندها نصبح الميّتَينْ
نحن والصوتُ في أرضنا يا حسين
ولهذا نطقْنا
ولأنَّ العراق أخونا
صدقْنا
ولأنّا وريثوك في الدّم قهراً
أرقْنا

ولكنَّنا لا نموتْ
لأنّا ورثنا حياتك يا سيّدي
فهي ملء البيوتْ

أيُّها الناس
إنَّ الذين لهم وطنٌ
يملكون دماً ليعيشوا به فوقهُ
أو يموتوا به فوقهُ
إنَّما دمكم حين أوطانُكم تُستباحُ
حرامٌ عليكم
أيُّها الناسُ إنَّ الجراحَ غصونٌ تشعَّبُ في الروح
إن يَبستْ أمهَلتْ
وإذا يئِستْ قَتلتْ
فاتُّقوا اللهَ أن تحملوا وطناً حمل جرحٍ باحشائكم
واتُّقوا الله أكثر
أن تجعلوا جرحَكم وطناً

إنّما الوطنُ الزّهو والكبرياءُ !

يا عراقْ
أيُهذا الوطنُ المُشرَعُ حبّاً وبنادقْ
أيُها المزروع في كلِّ الخنادقْ
هل لنا أن ندّعيك الآن والموتُ نطاقْ ؟
عندما نأتيك والأهوالُ طرّاً تعتريكْ
عندما نزرعُ فينا الخنجرَ المزروع فيكْ
هل لنا أن ندّعيك ؟؟

يا عراقْ
يا عراق
يا عراقْ
وأفديكَ ،
باسمكَ مختومةٌ رئتي

وعلى عتَباتك موشومةٌ لغتي
ولأنك تنزل مثل الشهيق
وتصعد مثل الزفير
بأضلاعنا
أصبحَت لشرايِيننا غُنَّةٌ
دمُنا بعضُ أصدائها
فإذا ما تفصَّدَ
تسمع صوت النَّشيش ينادي :
عراق ..
عراق ..
وللنَّبض رجعُ الدَّرابك من قريةٍ في الجنوبْ
ومن بين خُضر السّهوبْ
تُرى مهرةٌ تشطرُ الريح
تخفقُ كوفيَّة فوقها
ثمَّ تمضي
ويتبعها النَّبضُ مثل الدَّرابكِ ،
يصعدُ مثل الرَّصاصْ

ثمَّ يصبحُ مثل هدير المدافع
عندها يترجَّل كالرمح بين الدّروع وبين المواضع
تلمعُ شاراتُهُ في سنا الشمس
ضحكتُهُ
ومهابتُهُ
لكأنّي رأيتُ العمارة تركضُ
عذراء ، حافية القدمين
جدائلُها الريح
أثوابُها الريح
تُلقي على صدره زهوها
وهي محمومة الجسمِ
مبتلّةٌ بالعرقْ
فيمرُّ على شعرها بأصابعهِ
وهي تحلُمُ
تحلمُ
تحلمُ ..

يا أهلَ ميسان
هذا حفيد الحسين
يهدهدُ شعر حبيبتكم
فانظروا
إن يكنْ كفوَها

البنادقُ تعلو زغاريدُها
ثمّ يعلو هديرُ المدافعِ
تلمعُ شاراتُهُ في سنا الشمس
ضحكتُهُ
ومهابتُهُ
وهو في رهَجِ المعركة
أيُها المستقرّ ببيرقِ قامتهِ
بين ألسنةِ النارِ
والدّعوات التي تصعدُ الروحُ فيها الى الله

مخضلَّةً بالدموعْ
أيُّها المتجذِّرُ بين الضلوعْ
نحن لسنا نقاتل عنك ،
ولسنا نقاتل فيك
ولا بكَ
لكنَّنا سنموتُ إذا شمعةٌ من دراريك
لم تتَّقدْ في الشموعْ !
ونقاتلُ صَفّاً وإيّاك
حدٌ يلامسُ أعناقَنا السيف
يَقطعها
يتكسَّرُ بين شرايينها
ثمَّ يهوي حطاماً على قدميك
وأنت ترفرفُ فوق مساقطنا
وتؤشِّرُ للمقبلين الطريقْ
أيُّها الأملُ المرتجىٰ والصَّديقْ
إنَّها أمَّةٌ

يعلمُ اللّه ما بين أرحامِها
ونقاتلُ عنها
نقاتل عن غيرةٍ
نحن أهلٌ لها
شرفٍ نحن أصحابهُ
وترفرف أنت على الهامِ يا بَيرقِ الرافدين
ودعاءَ الملايين يصعدُ من قبرِ جدُّكَ
يرقى منائرهُ الذُّهبيَّةَ منتفضاً
يا حسينُ!
ولكَ المجدُ يا حاملَ المشعلينْ

إنَّه بيتُنا
بعد ذاك العَنا
بعد ذاك الصراعْ
بيتُنا المطمئنُّ الذي لا يُباعْ

زمنٌ يأتي

يُسأل فيه الأمواتُ عن الأحياءْ
زمنٌ آخر
يُسأل فيه الأحياءُ عن الموتى
زمن يأتي لا تسمعُ صوتا
ثم يجيء جوابُ الله
منِ كان له في هذا اليَمّْ
قطرةُ دمْ
فلينظرْ حيثُ انهمرتْ
سيرى الأرضَ انفطرتْ
واشرأبَّ من الفطر عودٌ
على رأسه زهرةٌ
كلُّ أوراقها خُتمتْ باسمِهِ
كلَّما قُطعتْ
نبتتْ من جديدْ
تلك جنَّتُهُ ،
وله بين أولادنا
بين أحفادنا

عُمُرٌ لا يبيدْ

كلُّ ذي دمعةٍ بيننا
فبها سوف يُجزى
كلُّ ذي صرخةٍ بيننا
فبها سوف يُجزى
وسوى هؤلاءْ
بيننا ومروءاتهم
وشَلٌ لا دماءْ
الآن سأحملُ صوتي
وسأرفعُ هذي الأوراقْ
من يُبصرْ أبعدَ من عينيه
من يسمعْ أبعد من أذنيه
يسبقْ هذا الزمن الأعرج
ليرى ما قبل الاشراقْ

فغداً ،

بعد زوال الليلْ

بعد الريح ،

وبعد السَّيلْ

لا عذرَ لعينٍ لم تُبصرْ

قبلَ الويل مهبَّ الويلْ ..

يا سيد المشرقين يا وطني

١٩٨٧

تركت ذرى بغداد
شطبا نخيلها

خُـــذا بيـــدي ، أم أنتمـــا عَجِـلانِ
فـــإنّي أخـــو همٍّ كمـــا تَـــريـــانِ
ولا تعـــذلاني يصفـــحُ اللّـــهُ عنكمـــا
إذا كـــان وجـــدي غيـــرَ مـــا تجـدانِ
بلى عشتمـــا عصراً مهيضـــاً جنـاحُـهُ
ســـرى منكمـــا في ليـلِـــهِ مَلَكـــانِ
وأوقـــدتُمـــا والليـــلُ ليـــلٌ ، أُهَيْلُـــهُ
أفـــاءوا الى نجمينِ يـــأتلقـــانِ
وأحيـــا بعصـــرٍ ليلُـــهُ ونهـــارُهُ
من الشُّـــكِّ قـد صـــارا مزيـجَ دخـانِ

طعينُ شكوكٍ فيه حتى شهيدُهُ
قتيلُ اتهامٍ كلُّ صوتِ أذانِ
فلا تَعتِبا أنّي احتسَبْتُ أكنتُما
على موقفٍ كالآن تحتسبانِ؟

*

خُذا بيدي، إنّي كما تَريانِ
غريبٌ وإن كان المكان مكاني
ولا تُكثِرا سؤلي، ولكنْ تَلطَّفا
وفُكّا ضمادَ الجُرح ثمَّ سَلاني
وإنّي ضمينٌ أنَّ ما تبصرانِهِ
بيانٌ لما أُخفيه أيّ بيانِ
تعثّرتُ في كلِّ الحدود مضيَّعاً
ولَملمتُ من كلِّ الحدود كياني
وسوئلتُ حتى لم أجد ما أقولُهُ
وأُشهدَ حتى أظفري وبناني
بصمتُ على الأوراق كُلَّ أصابعي
وأسلَمتُهم قوسي وسهمَ رهاني

وهــــا ألفُ ختمٍ في جــوازي تــرونَهــا
فهـل مَن يـرى الختمَ الـذي بجنـاني؟

*

ألا مَن يُعين الجــرحَ والجــرحُ نــاغــرٌ
فيمنعُـــــهُ هَـــوْنـــــاً عن الفـــورانِ
ألا مَن يـــرى في مـا يعــانيـه أهلُـهُ
مَهـــاضـــاً ومـــرقى غيـــرةٍ فيعـــاني
ألا من يعي أنّـــا إذا مـــال حملُنـــا
على جـــانبٍ ألـــوى بكـــلِّ جِــرانِ

*

تـــركتُ ذرى بغـــداد شطبـــاً نخيلُهـــا
مهيبـــاً محيّـــاهـــا على الحـــدَثـــانِ
تـــركتُ بهـا نهـراً لــو الشمسُ أطبقتْ
على الأرض لم يجفـــلْ عن الجـريـانِ
تـــركتُ بهـــا أهلي يقيمـــون زهـــوهم
على حـــدِّ سيفٍ مـــا يـــزال يمـــاني

ولــم تــوصِني بغــداد أن أستجيــرَهــا
على ضيق صـــدري واحتبــاسِ لســاني
ولكنَّ بغـــداداً ، وعـــذراً لصـــرفهـــا
بـــرَتْ خـــافقي بـــريـــاً من الخفقـــانِ
فيـــا سيّدَي حـــرفي لـو انَّكمـــا هنـا
تُـــرى كنتمـــا عن قـــولـــةٍ تَجِمـــانِ ؟
ويـــا سيّدَيْ حـــرفي ، لـو انكمـــا هنـا
أكنّـــا نـــرى للشِّعـــر وجـــهَ هِـــدانِ ؟
ويـــا سيّدَيْ حـــرفي ، وحـــرفي مخضَّبٌ
لـــو انَّكمـــا في جـــرحـــهِ تَلجِـــانِ
تُـــرى كنتمـــا والنـــارُ تطـــوي ذويكمـــا
تُلصّـــانِ عينـــاً ثمَّ تنـــزويـــانِ ؟
وهـــل كنتمـــا والـــواثبين تَنَمُّـــراً
وحقـــداً على أهليكمـــا تثبـــانِ ؟
تُـرى كنتما ، يـــا شاعـران ، شمـاتـةً
بـــأهليكمـــا في المـــوت تشتفيـــانِ ؟

تعـــاليتُمـــا عمّـــا نـــرى في وجـــوهنـــا
من الـــوجـــعِ المسمـــوم والشَّنَـــآنِ
وعـــوفيتُما ممّـــا بنـــا من خَصـــاصـــةٍ
لفـــرطِ هـــوىً فينـــا ، وفـــرطِ هـــوانِ
وحـــاشاكمـــا ، واللّـهِ مـــا قـال قـــائـلٌ
تـــزاورَ شـــوقي والخطـــوبُ دَواني
ولا حفظَ التـــاريـــخ عن شعـــر حـــافظٍ
وعن شخصِـــهِ إلّا التمـــاعَ سِنـــانِ
فـــإن تَـــريـــا أنّي تجـــاوزتُ ضفَّتي
فَبي حـــاجـــةُ الأنهـــار للفيضـــانِ !

*

عـــداني بعفـــوٍ منكمـــا عن هـــواجسي
أم انكمـــا في المـــوت لا تَعِـــدانِ ؟
قـــدمتُ الى مصـــرٍ وكنتُ ظننتُني
أمـــوتُ وأحـــداقي لمصـــرَ رَواني
وأنَّ مـــدى مـــا بيننـــا دونَـــهُ مـــدىً
من الـــريْبِ يكبـــو فيـــه كـــلُّ عنـــانِ

ولي إخوةٌ في مصر، عشرين حجَّةً
لويتُ اشتياقي عنهمو فلَواني

فيا خوفَنا من أهلنا، كيف أصبحتْ
عواطفُنا تحتاجُ صكَّ ضمانِ؟

ويا خوفَنا من أهلنا، إنَّ أهلَنا
قلوبٌ وإن شطَّ الزمان حَواني

ويا مقلتَينا، والعدوُّ أمامَنا
وفي الخلفِ أهلٌ، فيمَ تلتفتانِ؟!

أرومُ سوى الروم الذين.. إذن فقد
تأصَّلَ إرثُ الناس من غطَفانِ!

*

عذيريَ من همّي فإنَّ جوانحي
بها من أسىً حربٌ بدونِ طعانِ

ويا سيّدَيَّ حرفي وقد لجَّ بي الأسى
فأصبحتُ أخشى من يدي ولساني

أقيمـــا معـــاييـــري عفـــا الله عنكمـــا
فـــإنَّ معـــاييـــرَ الظنـــون جَـــواني
زمـــانكُمـــا أبقى جـــراحـــاً لاهلِـــهِ
تُـــرى مـــا الـــذي يُبقيـــه بعـــدُ زمـــاني ؟

* * *

ألقيت في مهرجان الذكرى المئوية لشوقي وحافظ في القاهرة ونشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٥ / ١١ / ١٩٨٢

نعاصي بك الدنيا

تعــاليتَ مــوهــوبــاً .. تعــاليتَ واهبــا
ولبَّيــكَ مطلــوبــاً .. ولبَّيــكَ طــالبــا
نُعــاصي بك الـدُّنيا ، فلـو سـال سيلُهـا
ســدَدْنا عليــهِ بـالضلــوع المســاربــا
ونــأتيــك والفُــوضى على صَهَــواتهــا
فنتــرك فيهـا السَّيف للسَّيفِ حــاطبـا
وفينــا دمــاءٌ يشهــدُ اللّـــهُ أنَّهــا
إذا أومــأتْ يُمنــاك جـاشَتْ غَـواربـا
وفينــا نفــوسٌ أنت تـدري جمـوحَهـا
تَخيَّــرُ إن خيَّـرتَهـا المـوتَ صــاحبـا
وزهـــوُ العـراقيين إن قيـلَ : مَن لهـا ؟
ومسَّتْ يَشــاميـغُ الـرِّجـالِ المنــاكبـا

طَوَوها على صوتِ الهلاهلِ جالباً
عليهم قضاء اللّهِ ما كان جالبا!

*

أجِزْ زهونا صدام، عمرَ نخيلنا
يكابرُ عصفَ الريح ما مال جانبا
وعمرَ منايانا تحاذرُ بطشَنا
إذا أقبلتْ لم تأتِ إلا مَواكبا
وتعلمُ إن أبقَتْ لنا فَضْلَ نبضةٍ
أقمْنا بها في الخافقَين الحرائبا
فتَسحقُ فادينا الى جذرِ عظمِهِ
وما يتبقّى منه يبقى مغاضبا
ترصَّدُنا الدُّنيا لأنَّ رؤوسَنا
على قطعِها لا تستحيلُ ذنائبا
وأنَّ خيارَيْنا رَادنا أو انَّنا
نكون لكلِّ الأرض عيناً وحاجبا

*

أجــــزْ زهـوَنــا صـدامٍ إذ أنت زهــوُنــا
وأنت ابنُ هــذا الزُّهـو مُـذ كنتَ طـالبـا
ومُـذْ كـان هـــذا الشعبُ يمضغُ صبــرَهُ
يَـــرُبُّ ثعـــابينــــاً ، ويـــؤوي عقـــاربـــا
ومـــذْ كـان أصحـــابَ البـــلادِ غـــزاتُهـــا
وكنّـــا بهـــا المستضعفينَ الأجـــانبـــا
وأنت ابنُ هــذا الزُّهـو مُذْ كـانَ جرحُهـا
يجـــولُ بعينَيِ مستَفَــــزٌّ معـــاتبـــا
أمـــا بين هــذا الشعبِ أطعمتُـــهُ دمي ؟
بلى ، بيننـــا هــذا ، تعـــاليتَ ســـاكبـــا !
بلى بيننـــا هــذا ، و « هــذا » عــــزيـــزةٌ
يهبُّ لهـــا مجرى الفـــراتَين صـــاخبـــا
إذا قلتُهـــا أبصـــرتُ في الأفقِ فـــالـــةً
ووجـــهَ صبيٍّ بعـــدُ مـــا طـــرَّ شـــاربـــا
وهلهـــولـــةٌ ، ثمَّ العـــــراق بـــأســـرِهِ
يجيش كيـــوم القـــادسيـــةِ غـــاضبـــا !

وأسمعُ مَن « هزّتْ ولولَتْ » تصيحُ بي
ولَدْنا لكم هذا ، وكنّا نجائبا
ولَدْنا لكم هذا ، و « هذا » عزيزةٌ
بها نتحدّى الموت طفلًا وشائبا

*

أجِزْ زهوَنا صدام إذ أنت زهوُنا
وأنتَ ابنُ هذا الزّهوِ مذ كنتَ طالبا
وأنت ابنُ هذا الزّهوِ مُذْ أيقظَ الفِدا
بجنبَيكَ جرحاً للمروءاتِ شاخبا
وعزماً به من كلِّ عصرٍ تجمعَتْ
بُروقُ سيوفِ الله تَهوي قواضبا
وصوتاً كأنّ الله جلّ جلالُهُ
أرادَ له أن يستفزّ العواقبا !

*

نظرتَ الى عشرين قرناً تصرّمَتْ
وظُنّتْ أساطيراً وظُنّتْ خرائبا

وزحــــزحتَ عن عملاقها سقفَ رمسِـهِ
فلمّــا رأى كـــونــاً مليئــاً عجـائبــا
وأجفـلَ ، كنتَ الصُّورَ في جـــوفِ قبـرِهِ
فـــزلـــزلتَّــهُ أكفــانَـــهُ والغيــاهبــا
وأيقظتَــــهُ .. أيقظتَ تـــاريـــخ أمَّــــةٍ
أغَـــــذتَ لها مــا ظنَّـــهُ النــاسُ ذاهبــا
أغـــدتَ خيـــالًا من عليٍّ وبـــأسِـــهِ
ومن عمــرَ الفــاروق أحضـرتَ غــائبــا
وصعَّـذتَ حـدَّ الـزُّهـوِ بـالمـوت كـلَّ مَن
مــرزتَ بـه ، حتى الصَّغيـرَ المشـاغبــا !
وحتى غـــدا أطفـــالُنـــا من حميَّـــةٍ
يظنـــون ســاحــاتِ القتــالِ مـلاعبـا !
ومـــا كـان زهــواً فــارغــاً بـلْ تحمَّلــوا
رصـــاصــاً ، وكـــانــوا كــالطيــورِ أزاغبــا
رأيتُ إليهم يغبطـــــــون جــــــريحهم
فقـــد داعبثَـــهُ كفُّ صـــدام حـــادبـا

رأيتُ إلى ابني ابنِ عشـرٍ ، وعينُـهُ
تكـابـرُ يُقصي الـدَّمع عنهـا مُغـالبـا
لأنَّ لـه صحبـاً أُصيبـوا ولم يُصَبْ
ومـرَّ بهم صـدام يـأسـو مـداعبـا !
أجِـزْ زهـوَنـا يـا زهـوَ كـلِّ بيـوتنـا
فنحنُ بـك المستعظَمـون مـذاهبـا
ونحن بـك المستكثَـرون أيـاديـاً
على قلَّـةٍ ، والمثقَّلـون مـراكبـا !

*

تعـاليتَ موهـوبـاً تعـاليتَ واهبـا
ولبَّيـك مطلـوبـاً ولبيـكَ طـالبـا
ونحن على مجـرى الفـراتَين غـابـةٌ
يعـانقُهـا مجـرى الفـراتَين لاعبـا
ألَمَّتْ بـه حتى تـلاقَتْ جـذورهـا
وهـامتْ بـه حتى تـلاقَتْ ذوائبـا
تحضُنُـهُ حتى تـرى لظـلالهـا
على المـاء روحاً مرهفَ الـوجـدِ ذائبـا

وحتى تــرى نبضــاً لكــلِّ شُعَيْفَــةٍ
كــأنَّ لها قلبــاً على الموجِ واجبــا !
فــواللّــهِ لــو هبَّ النَّسيمُ بغيــرِ مــا
يحبُّ الفــراتــان انتفضْنــا كتــائبــا !
وواللّــهِ لــو مــدَّ الــزَّمــانُ إليهمــا
يَــدَيْ ريبــةٍ لم تلقَ فينــا معــاتبــا
ولكنْ تــرى في كــلِّ عينٍ حــرائقــاً
ومن كــلِّ فــجٍّ تلمــحُ المــوتَ واثبــا !
إذا جــاء هذا المــاءَ مَن جــاء غــازيــاً
فمن دمــهِ لا المــاء يــرتــدُّ شــاربــا !

لــك المجدُ ، مرَّ الدَّهــرُ هــوجــاً ريــاحُــهُ
ونحنُ كمــا نحن المنيعــون جــانبــا
ودقَّتْ طبــولُ المــوتِ في كــلِّ سُــوحِنــا
فمــا وجــدتْ فينــا على المــوتِ نــادبــا

ولا لمحتُ مِ الخوفِ باباً موارَياً
ولا أبصرتُ فينا جباناً مواريا
ولكنْ رأتْنا مُشْرَعات صدورُنا
وأبوابُنا ، نهوي سناماً وغاريا
ندافعُ كلَّ الموت عن كلِّ أهلِنا
ونهوي على سودِ المنايا عَصائبا
بلى أبصرتْ وجْهَ الفراتَين دامياً
وما أبصرتْ وجهَ الفراتَين شاحبا !
بلى شَعَفاتُ النَّخلِ ضجَّ ضجيجُها
وهيهات لا يحدَودِبُ النخلُ هاريا !
ولكنَّ للنَّخلِ العظيمِ إذا انتخى
هلاهلَ تُذكي الرافدين حرائبا !

*

أجِزْ زهوَنا ، ستّون عاماً وزهوُنا
على ثورة العشرين يعتاشُ راهبا
تشبَّثَ بالتاريخ كلُّ سطورِهِ
أقام على أمجادهنَّ النَّوادبا

فـــإنْ رفعَتْ هـــامـــاتِهـــا كبـــريـــاؤنـــا
أنســـألهـــا كيف استطـــالتْ ذوائبـــا ؟!
وأنت الـــذي علّمتنـــا كيف نـــزدهي
وكيف نكـــون الأكـــرمين مشـــاريـــا
وكيف نكـــون الأنبَلين مقـــاتـــلًا
وكيف نكـــون الأطهَـــرين مضـــاريـــا
تُنبِّـــهُ فينـــا كـــلَّ يـــومٍ أرومـــةً
وتـــوقظ فينـــا كـــلَّ يـــومٍ مـــواهبـــا
وتـــزرع فينـــا أن نحب حيـــاتنـــا
بـأنْ نتحدّى المـــوتَ ما كـــان راعبا
أجـــزْ زهوَنـــا نـــزهـــو ونـــزهـــو قليلةً
علينـــا إذا ألمـــوتـــورُ عـــدَّ ألمنـــاقبـــا
صبَـــرْنـــا ونحنُ الأكثـــرون مَصـــارعـــاً
وجُـــدْنـــا ونحن الأكثـــرون مصـــائبـــا
نـــزاحمُ خيلَ المـــوت ، جـازتْ بنـــا الـــدُّنـــا
مفـــازاتِهـــا ســـوداً ، وجُـــزْنـــا كـــواكبـــا

تـدافعُنـا الأهـوالُ عن صَهَـواتِهـا
فيشكمُهـا مستَـوفَـزُ الغَيظِ راكبـا !
نُفَتِّـحُ كـلَّ المـولجـاتِ مهـالكـاً
ونـوصِـدُ كـلَّ المُـولجـاتِ مَهـاربـا
ومـا نفعُ أن تـأتي حسيراً إلى الـوغى
إذا لم تعُـدْ منها خضيباً وخـاضبـا !

*

لـكَ المجـدُ ، مـا شبَّتْ بـأرضٍ حـرائقٌ
ولا مُطِـرَتْ أرضٌ دمـاً ونَـوائبـا
كهـذي الثـرى نيـرانُها كـلَّ حِقْبـةٍ
تُصفِّي بهـا أدغـالَهـا والشَّـوائبـا
طـوى الـدَّهـرُ هـولاكـو ، ولكنْ جـراحُنـا
لكـلِّ ضيـاءِ الأرض ظلَّتْ مَسـاكبـا
ومـرَّتْ بنـا ريـحُ المغـولِ فـأنشبَتْ
بـأضـلاعِنـا أنيـابَهـا والمخـالبـا
ونحنُ كمـا نحنُ المنيعـون أنفُسـاً
على مـا نُـلاقي ، والضِّخـام مَـآربـا

أراقبُ وجـــهَ الأرض كـلَّ غضـونِهـا
وكــلَّ ضحــايــاهــا سليبـاً وسـالبـا

فــأبصــرُنــا أبهى وجــوهــاً لأنَّنــا
نظــلُّ عليهــا الأوفَــرين متـــاعبـا

وأبصـــرُنـــا أزكى نفـــوســـاً لأنَّنــا
نســامــحُ حتى الأكثـــرين مثـــالبـا

ألَمْ تـــرَنـــا صـــدام فَـــرْطَ حميَّـــةٍ
مُلِئْنـــا على مَـــرِّ العصـــورِ مَعـــاطبـا

حَملْنـــا عن الـدُّنيـا جميـعَ ديـاتِهـا
وكنّـا ضحـايـاهـا صَليبـاً وصـالبـا

وكنَّـــا بهـا عِـدْلَ الـذي في نفـوسنـا
فلم نُقْصِ مغلـــوبـاً ، ولم نُـدْنِ غـالبـا

كـذا نحنُ حتى جـذْعُنا وهـو جـذعُنا
نقـــوِّمُـهُ بـالسَّيفِ إن مــالَ جـانبـا !

طلَعْنـــا على الـدُّنيـا فكنّـا مَشـارقــاً
وجـاءوا الى الـدُّنيـــا فكـانـوا مَغـاربـا

إذا سالَ سَيْلٌ بالرجالِ فَحسْبُنا
بأنَّ سجايانا تظلُّ الرَّواسبا !

*

لكَ المجدُ موهوباً لك المجدُ واهبا
ولبَّيكَ مطلوباً ، ولبَّيك طالبا
وأكْرِمْ بما أجريْتَ ، أجريْتَ دافقاً
وأعظِمْ بما أورَيْتَ ، أورَيْتَ لاهبا
إذا كنتَ قد أغنيتَنا ، وفَعلْتَها
فكلُّ الغنى أنّا تَخِذناكَ صاحبا !
وكلُّ الغنى أنّا وجدناكَ نخلةً
إذا جاءها الاعصار يرتدُّ هائبا
وكلُّ الغنى أنْ كنتَ سيفاً مخضَّباً
وسهماً مدى ما تبصرُ العينُ ناشبا
وماءً لكلِّ الظامئين ، وواحةً
رؤوماً ، ونجماً في الدَّياجيرِ ثاقبا
وكانتْ بكَ الأغنى بَهاءً بيوتُنا
فقد كنتَ فيها أهلَها والأقارِبا

لقــد كنتَ فيهــا كــركــراتِ صغــارِهــا
أهـــازيجَهم أقـــلامَهم والمكـــاتبـــا
يَرونَـــك حتى في الــدَّفــاتــرِ بسمــةً
وزهــواً ، فيحني رأسَــهُ الطفـــلُ حــادبــا
وأوّلُ مـــا في أبجـــديَّـــةِ زهـــوِهِ
حــروفُ اسمِــكَ الــزّاهي فيتلُــوهُ كـــاتبــا !

*

تعـــاليتَ مـوهــوبــاً تعــالَيتَ واهبــا
ولبَّيــكَ مطلـــوبــاً ولبَّيــك طــالبــا
ونُمْ للعلى واسلَمْ ففي كـــلٍّ بسمـــةٍ
لطفـــلِ مـــلأتَ الـــرافـــدين مكــاسبــا

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٨٣

يا سيدي العراق

ساشكم خيلَ الـــريح لــو كنتَ تُشكَمْ
وألـــوي عنـــانَ الغيم لـــو كنتَ تُلجَمُ
وأعجمُ مجرى الماء يعنو الفراتُ لي
لـــو انَّـــكَ يـــا غيظَ الفُـــراتَيْن تُعجَمَ
أمـــدُّ لشعفـــاتِ النخيـــلِ أصـــابعي
أهـــزُّ بهـــا مـــا لم تـــؤمِّلْـــهُ مـــريمُ
أهـــزُّ بهـــا الغيظَ الـــذي كـــلُّ رطبـــةٍ
يســـاقطُهـــا هـــولٌ على الارض مُضـــرَمُ
فيـــا سيّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، تُميتني
شمـــوخـــاً ، وتحييني شمـــوخـــاً ، وتُتتِمُ
تـــؤشّـــرُ لي مـــوتي لـــدى كـــلِّ مـــولـــدٍ
وتنشـــرني حيّـــــاً ومـــــوتيَ مُعلَمُ
ويـــا سيّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، يشيلُني
إلى اللّه ، جـــلَّ اللّه ، مِ الـــزَّهـــوِ سلَّمُ

مـــددتَ ٭بـــه أرقـــاهُ إمّـــا مـــؤزّراً
بنصـــرك ، أو تلـــك التي منـــه أكـــرَمُ
شهـــادةُ أنّي أصعد المجـدَ صـــافيـــاً
فـلا الجسمُ يَعيىٰ بي ، ولا الـروحُ يُثلَمُ
ولكنني أستقبـــــلُ الله نـــــاشـــــراً
يميني ، وفيهـــا منـــك شمسٌ وأنجمُ

❁

ويـــا سيّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، أمـــانـــةً
لـــزهـــوٍ بـــه علّمتَنـــا كيفَ نُفـــرَمُ
لتَـــأســـرُنـــا في الحبّ عينٌ ، وننتخي
لعينٍ ، فنـــأتي المـــوت رهـــواً ، ونقحمُ
فقـــلْ لي ، وأنت الحبُّ ، دنيـــاكَ كلُّهـــا
تَهيبُ بنـــا ، من أيِّ نهـــرَيـــكَ نُفطَمُ ؟
وقلْ لي ، وأنت الحب صاحت ، وهلهلَتْ
عـــراقيـــةٌ أعمـــارُنـــا كيف تُعصَمُ ؟
لـــو انَّ الـرَّدى واللّـــهِ كـــانت نيـــويُـــهُ
جـــداراً من الفـــولاذ مـــا فيـــه مَخـــرمُ

لَشَقَّتْ عليه النارَ شَقّاً صدورُنا
وخضناه حتى لم يعد فيه مقحَمُ
ويا سيّدي كبرَ العراق ، وكم لنا
من الزهو في دنياك والزُّهوُ أيهَمُ
يطيرُ بأهليهِ الى حدٍّ أنّهم
يلوحون أيقاظاً وهم بعدُ نوَّمُ
لهم دفقةٌ في القلب حتى مع الكرى
تدقُّ : عراقُ اسلَمْ وتغفو وتحلُمُ
وها أنت ذا يا سيّدي لم يَطْر بنا
جناحٌ ، ولم يلهجْ بآمالِنا فمُ
كما فعلتْ أيامُكَ الغُرُّ كلُّها
فقلْ لي إذن من أيِّ مجدَيْكَ أحرمُ ؟
أَجِمجمةٌ في الموت ؟ .. هل قال قائلٌ
رأيتُ العراقيين في الموت جمجموا ؟
لقد نذرَتْنا الارضُ في كلِّ مَجمرٍ
طيوراً أبابيلًا بها الموتُ يُرجَمُ

أأســـأل تـــاريـــخ العـــراق؟ .. وقـــائـــعٌ
تصبُّ دمـــاءً، أم حـــديثٌ مـــرجَّمُ؟
إلى الآن من سُـــوحِ الكـــرامـــةِ كلُّهـــا
يفـــوحُ لنـــا عطـــرٌ، ويجـــري لنـــا دمٌ
ويبقى العـــراقيـــون، لـــو نـــالَ أختَهم
نسيمٌ بمـــا لا تـــرتضي فَهمُـــو هُمُ
يسدّون مجـرى الـريح من كـلِّ وجهـةٍ
ويَعلُـــونَ ظهـــرَ الهـــولِ والهـــولُ مُـــرزِمُ
بلى نحن يـــا صـــدام أهلُـــكَ كلُّهمُ
بـــأرواحهم لمّـــا دعـــوتَ تحـــزَّمـــوا
بلى نحن يـــا صـــدام أهلُـــكَ كلُّهم
عظـــامٌ، ومـــا يـــأتـــون في الـــرّوعِ أعظمُ
رأيتُ لهم والحـــــربُ يلظى أوارُهـــا
وقـــد أسـرجـوا فيهـا المنـايـا وألجمـــوا
وخـــاضـــوا مَخـــاضـــاً لم يخضْ مثلَـــهُ أبٌ
ولا خـــاضـــه جَـــدٌّ أمـــالـــوا، وقـــوَّمـــوا

ومدُّوا إلى التـاريخ جسراً من السَّنـــا
أضـــاءوا بـه مــا كـلُّ أهليــهِ أظلمـوا
لقـــد علَّمــوا أوطــانَهم كيفَ نصــرُهــا
ومـــا علَّمــوا أوطــانهم كيف تُهــزَمُ

*

ويـــا سيِّــدي كبْــرَ العــراق ، وللهــوى
وللغضبِ المحمـــــــــومِ كفٌّ ومعصمُ
وإلّا فمـــا معنى الهـوى حين تُــزدَرىٰ ؟
وما الغيظُ إمّا كنتَ في الغيظ تُخطَمُ ؟
لاعجبُ من قـــومٍ يثيــرون ضجَّـــة
وأفعــالُهم حتى مـع الــرَّفـع تُجـزَمُ !
فمـــا بهمـــو إلّا حــراكُ وســاوسٍ
إذا أُوقِظــوا نامـوا ، وإن أُبصِـروا عَمـوا
لـــك اللّـــهُ فيهم ، إنَّهم لا أبــاعــدٌ
فتُلغى ، ولا أهـــلٌ كـــرامٌ فتُكـــرَمُ

وأفــــدحُ مــــا يَشجيـــــك أنَّ بُعَيْضَهم
من العقـــربِ الصَّفـــراءِ في الضَّيقِ ألأمُ

*

أقِلْ عثرَتي في الصَّـــدق ، فالصَّـدقُ أحزَمُ
فــــإنّي نــــويَتُ الكيّ ، والكيُّ أرحمُ
ثــلاثـــةَ أعــوامٍ ضَمَــدتُ على الشَّجىٰ
جــراحي ، وتبقى ســـائلي : كيف أورَمُ ؟
لَأعجبُ أنّي مــــا أزالُ مكـــابـــراً
ومـا زال في زعمي لـدى الحقِّ مـــرهمُ
ومـــا زلت أرجـــو من أُهَيْلي وفـــاءهم
وأهلي إذا أنجـــدْتُ في الحقِّ أتهمـــوا

*

أقِلْ عثرتي ، ما كنتُ يومـــاً على الأذى
جـزوعـاً ، ولا واللّه ، قــــالـوا ، وهَمهمــوا
ودبَّتْ مـــع الغـــازي عقـــاربُ شكِّهم
وظـــلَّ لناري الصَّــوتُ ، والجــرحُ أبكَمُ !

وهـــا أنـــذا مجـدُ الفـراتين كلُّـهُ
يُعـاصي، فقـلْ لي أهلُنـا أين أولَمـوا ؟

*

ويـــا سيّد الفـادين، يـا أجـدَلًا لـه
على قمّـــةِ النيـــران وكـــرٌ ومجثمُ
ثـــلاثـــة أعـــوامٍ وأنت على اللظى
تســابقُ سيـــلَ النـــار أيّـــانَ تُضــرمُ
وقفتَ بِشـــنْقِ الموتِ والمـوتُ فـــاغـرٌ
فلم ينطبقْ فكّـــاه، والنـــاسُ حُـــوَّمُ
يَـــرون إلى هـذا الشّجـا غصغصتْ بـهِ
حلـــوقُ المنـايـــا وهـــو كـــالبـدر يبسمُ
ثـــلاثـــة أعـــوامٍ تقـــودُ انـــدلاعَهـــا
وتحسمُ للتـــاريـــخ مـــا ليس يُحسَمُ
إذا لَملَمـــوا أوصـــالَهم فـــرْطَ حيطـــةٍ
تفـــاجئُهم من حيثُ شَـــدُّوا ولَملمـــوا

فتنثـــرهم نثـــرَ المـــذاري حصيـــدَهـــا
وتُبقي لهم خـــوفـــاً إذا غبتَ يَـــدهمُ

*

ويـا سيِّـدَ المســـرى ، وحـولـك عصبـةٌ
إذا الأرضُ مِ القطبين مـــادت تقـدَّمـــوا
فَـــدقُّـــوا بهـــا سيقـــانَهم يـــزجـــرونهـــا
ويُـرسـونهـــا في الهـولِ ، والهـــولُ مبهَمُ
ومـــا هي إلّا جـــولـــةٌ يُحكمـــونَهـــا
على الـــرَّوع حتى ينثني وهـــو مـــرغَمُ
وحتى تقيمَ الأرضُ هـــامَ جبـــالهـــا
لتنظـــر مـــا ضـــاءوا عليهـــا وأعتمـــوا
ومـــا خلَّفـوا فيهـــا ، ومـــا قـــدَّروا لهـــا
ومـا نقضـوا من شـــاخصَيهـا وأبـــرمـوا
يظـــلُّ العـــراقيـــون أسيـــادَ زهـــوِهم
على قـــذرِهم كـــلُّ ازدهـــاءٍ يُصَمَّمُ

وقــامــاتُهم أطــوالُهــا عِــدْلَ كِبْــرِهــا
ومــا زادَ منهــا فهــو للكِبْــرِ منجمُ

*

ويــا سيّدي كِبْــرَ العــراق، وفيــك لي
من الزَّهوِ مــا لم يُعطَ في الأرض ملهَمُ
محبَّــةُ أهلي نشــوةُ النــاس في دمي
مبــاهــاةُ أولادي بــأنّي لهم همــو
وأعينُ أطفــالِ العــراق تحيطُ بي
وأفــواهُهم تستــذكــر اسمي وتبسمُ
وتسـألني: خمسـون عــامـاً ولم تشِبْ؟
ولا من لــه هذا الهـوى كيف يهرمُ؟
يقــولون في الخمسين مـا زلتَ عاشقـاً؟
وأقسمُ في الخمسين أصبحتُ أغــرَمُ!
أجـل يـا عـراق الكِبْـر، عمـري جمعتُـهُ
بــأعمارِ هــذي النـاس، والنــاس أعلَمُ

بـــأني لهم صـــوتٌ ، وأني لهم هـــوىً
وأنّيَ ممَـــــا أوقـــــــدوا فيَّ ألهَمُ
يشيـــغُ الـــذي خـــان العـــراق بـــذلّـــهِ
وأبقى بـــه طفـلًا على الـــزّهـــوِ أفطَمُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٦ / ٩ / ١٩٨٣

والشمس يا صدام سيف

« مهداة الى وقفة السيد الرئيس بين وزراء الخارجية العرب »

ووقفتَ بين القــــوم رمحــــاً مشــــرعَــــا
كنتَ العــــراق تحــــدِّيــــاً ، وتَــــرفُّعــــا
مــــوجُ الفــــراتَين استُفِــــزَّ بــــأسْــــرهِ
في مقلتَيــــك ، فضــــاءَ غيظُهمــــا معــــا !
ووقفتَ رمحــــاً ، لــــو يَــــدٌ همَّتْ بــــهِ
لتصــــدَّعَتْ عنــــه السَّمــــاءُ تَصَــــدُّعــــا
كــــان العــــراقيــــون كــــلُّ عيــــونهم
تــــرنــــو إلى لمعــــانِ عينــــكَ خُشَّعــــا
حتى نطقْتَ كــــأنَّمــــا شهــــداؤنــــا
نطقــــوا بصــــوتــــكَ أجمعين لنسمعــــا

قـــالــواْ لنـــا بمُهيبِ صـــوتـكَ إنَّــهُ
محضُ العـــراق ، وكـــلُّ قـــولٍ مـدَّعى
محضُ العـــراق ، وكفـــؤهـــا شهـــداؤهُ
والمقبلـــون على الشهـــادةِ تُبَّعـــا
يتـــراكضـــون الى مســـاقطِ مـــوتهم
حتى تكـــاد حتـــوفُهم أن تفـــزعـــا
بهمُ ، ومـــا بســـواهمـــو ، يجـــري غـــداً
مـــوجُ الفـــرات مكـــابـــراً متـــدفّعـــا
علَمُ العـــراق أُجـــلُّ زهـــرَ نجـــومِـــهِ
عن أن يـــرفَّ على الـــرؤوس مـــرقَّعـــا
واللّـــهِ يـــا صـــدام شِيبـــاً مثلَمـــا
كـــابـــرتَ نـــأتيهـــا ، ونـــأتي رضَّعـــا
حتى نشيبَ بهـــــا ، وأنت كفيلُنـــــا
سنـــدقُّ بـــابَ المـــوت حتى يجـــزعـــا
وكمـــــا تظنُّ بنـــا ، وظنُّـــكَ منَّـــةٌ
سنحيلُهـــا الـــوِتْـــرَ الـــذي لن يُشفَعـــا

*

يـــا أنت ، يــا عـــزُّ العـــراقِ ومجــدَهُ
يــا خيــرَ من آخى ، وقــاد ، وجمَّعــا
مقبـــولــــةٌ أعـــذارُ قـــومــكَ إنَّهم
بحيـــــادهم يَتلفَّعـــــون تَلفُّعـــــا
فمن الـــوجوه تكــادُ تبصــرُ حــاجبــاً
ومن الأكفَ تكـــاد تلمـــحُ إصبعـــا
وتحمَّلــــوا ، وتـــزمَّلـــوا ، وتــأمَّلــوا
حتى الكـــلام تصنَّعـــوه تصنُّعـــا
فتخيَّــــــروهُ منمَّقـــــا وملمَّعـــــا
وتـــدبَّـــروه مبـــرقشـــاً ومبـــرقَعـــا
وإذا خـــلاصةُ كـــلِّ مَـــا قـــدِمـــوا بـــهِ
« زعمُ الفـــرزدقِ أن سيقتـــل مـــربَعـــا » !
وعـــذُرتَهم ، ووقفتَ رمحـــاً مشـــرعَـــا
متـــرفِّعـــاً ، ضخمَ المـــروءةِ ، أروعـــا
تستقبـــلُ الشَّفَـــراتِ عنهم حـــاســـراً
وتســـامـــحُ العثَـــراتِ فيهم أصمعـــا

ويقـــول قـــائلهم : سننظــــر في غـــدٍ !
وغــــدٌ لــــه شمسٌ أبت أن تطلعـــا
بســــوى يـــديـك وأنت في حلبَـــاتهـــا
والشمسُ يـــا صـــدام سيفٌ لاذعـــا !

*

أكبــرتُ مجــدَكَ مــا أعــزَّ وأمنَعــا
وشكـــرتُ ردَّكَ مـــا أبـــزَّ وأســـرعـــا
لَبقيتُ في قلبي ، وبين جـــــــوانحي
ورمٌ يعــــاصي مقلتي أن تهجعــــــا
أنّي تُحمِّلُني المصــــــائبُ منَّــــــةً
في أنَّ مـــوكبَهـــا عليَّ تجمَّعـــا !
وحَسَمْتَ يـــاللّــهِ ، حسمُــكَ لم يــزل
سيفـــاً على ورَمِ الضميــر ومبضعـــا !

*

صـــــدام حسبُ بمِ العـــراقِ مـــروءةً
أن قـــد أضـــاء بكـــلِّ نفسٍ مـــوضعـــا

أنَّ العـــراق بـــه استفـــزَّ مصـــائـــراً
كـــادتْ تمـــوت غضـــاضـــةً وتَـــوجُعـــا
أنْ أمســـــكَ الآلافُ من شهـــدائِـــهِ
قطبَ النفـــوس قُبيـلَ أن يتـــزعـــزعـــا !
أنْ قـــال لـلأعـــراب : قـل لم تـــومنـــوا
لكنكم تتـــــذرّعـــــون تَـــــذرُّعـــــا
أنْ هتَّـــكَ الأســـرار حتى لم يـــدَعْ
وجهـــاً ، على مـــا أتقنـــوه ، مقنَّعـــا
فـــإذا بهم ، ودمُ العـــراقِ يـــروزُهم
يتلمَّســـون من الحقيقـــةِ مفـــزَعـــا
أنَّ العـــروبـــةَ ، لا الـــذين رأيتَهم
يتنطَّعـــون على الهـــوان تَنطُّعـــا
لكنَّهـــا دمُ إخـــوةٍ لي قـــد جـــرى
ودمي على الأهـــوار ، واتَّحـــدا معـــا
لكنَّهـــا تلـــك المـــلايين التي
لـــو أطلِقَتْ لاتتْـــكَ شُـــوســـاً ، نُـــزَّعـــا

أولاء مَن دمُهم دمي ، ولهم جرى
دمُنا ، وحاشا أن يسيلَ مضيَّعا

*

يا سيّدي ، عذرَ الكريم لأهلِه
إن شامَ فيهم للّجاجةِ مَوقعا
إني ، وأوجاعُ العراقِ تميتُني
لَيطيرُ بي داعي العراق إذا دعا
وأنا أقلُّ بنيهِ صبراً في الأذى
وأشدُّهم في النائبات تَفجُّعا
لكنّني ، وحياةِ مجدِكَ ، في الرّدى
تزهو به عيناي حتى تدمُعا
فإذا زَهوتَ به ، وزهوُكَ سيّدي
زهوٌ لَهُ ، فلقد رعَيْتَ ، وقد رَعى !
هذا العراق ، وأنت من شهَقاتهِ
سعت الدُّنا طرّاً إليه وما سعى
إلا كريماً ، صادقاً ، متكبّراً
لا خائفاً يأتي ، ولا متصنّعا

هــــذا العـــــراق ، وألفُ ألفِ عظيمـــــةٍ
بـــــدمـائــه انطفـــأت ، وظــلَّ مشعشعـــا
واللّـــــهِ يـــــا صـــدام ، مـــا ضجّتْ بنـــا
هـــذي الحـــدود ، ولا بهـــا نـــاعٍ نعى
لـو لم يكنْ شرفُ العـراقِ مـدى المـدى
حَـــرمـــاً من الشُّهُبِ المنيعـــــةِ أمنَعـــا
نحن الـــذين نـــردُّ عن شُـــرُفـــاتنـــا
عينَ النجـــوم إذا نَظَـــرْنَ تَخلُّعـــا !
آبـــاؤنـــا كـــانـــوا ، وصـــرنـــا بعـــدَهم
وسَنـــا الضُّحى أبـداً يفـــوق المطلَعـــا !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٤

يلد الدهر كوكبا
كل ألف

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٨٤

كـــــلُّ ألفٍ   في ذُروَةِ الأهـــــوالِ
بين خـــوفِ البَقـــا ، وخـــوفِ الـــزَّوالِ
واتِّســـاعِ العيـــونِ بين المَجـــاهيـــل
على اليـــأس ، وانتظـــارِ المُحـــالِ
يَضَـــعُ الـدَّهـــرُ حملَـــهُ ، ثم يـرنـــو
كبـــريـــاءً إلى السِّنين الخَـــوالي
أنَّ أرحـــــامَهـــــا ، وظُنَّت عقيمـــــاً
قـــد أضـــاءتْ بكـــلِّ هـــذا الجـلالِ !

*

كـــلُّ ألفٍ .. ومحـــورُ الأرضِ يـــدمى
وهـــو ينـــزو بين الهـــدى والضَّـــلالِ

يُنـــزلُ اللّـــهُ صـــوتَـــهُ المُتَعـــالي
رجـــلًا ليس مثلَـــهُ في الـــرّجـــالِ
يمســـكُ الأرضَ أن تميـــدَ، ويُـــرسي
قُطبَهـــا عنـــد ذروةِ الـــزِّلـــزالِ!
يلـــدُ الـــدَّهـــرُ كـــوكبـــاً كـــلَّ ألفٍ
ثمَّ يُلقيـــهِ في مـــدارِ الليـــالي!

*

أيُّهـــا الفـــارسُ المـــؤجَّـــلُ من خمسينَ
جيـــلًا، بين الـــرَّجـــا والسّـــؤالِ
يـــرسمُ الحبُّ والتَّـــوَقُّـــعُ مَســـراهُ
ويبقى بين الـــرؤى والخيـــالِ
غـــامضاً، غيـــرَ أنَّـــهُ واضـــحُ الصَّـــوتِ
بعيـــداً، لكنْ قـــريبُ الظِّـــلالِ
كـــلُّ جيـــلٍ يقـــولُ: هـــذا ويخبـــو
صـــوتُـــهُ بين زحمـــةِ الأجيـــالِ
والمخـــاضُ العظيمُ يـــأخـــذُ، جيـــلًا
بعـــدَ جيـــلٍ، مســـارَهُ للكمـــالِ

ثمّ ضجّتْ مـآذنُ اللّـهِ طُـرّاً
بـأذانٍ مُستـرجَـعٍ من بـلالِ
كـان صوتَ العـراقِ صـوتُـكَ صـدّام
وكـانت أولى شمـوعِ النُّضـالِ !
كـلُّ نخـلِ العـراقِ أثقلَـهُ الطَّلْـعُ
ومـالتْ بـالكـرْمِ كـلُّ الـدَّوالي
واستطـالَتْ قـامـاتُ كـلِّ العـراقيين
بعـدَ العَنـا ، وبعـدَ الهُـزالِ
أصبـحَ المـاءُ في الفُـراتين أشهى
صـار أنـدى حتى هجيـرُ الـرِّمـالِ
وكبـرْنـا في كـلِّ شيءٍ كبـرْنـا
في هَوانا في صبـرِنا في القتـالِ
وعَظُمنـا حتى على هـاجسِ الغيبِ
عَظُمْنـا حتى على الآجـالِ !
صِـرْتَ صـدامُ في نفـوس العـراقيّين
رَصْـداً لكـلِّ نَبْضِ المعـالي

كلّمـــا مـــالت الجـــذوعُ سَمعْنـــا
هـــاتفـــاً في ضميـــرنـــا لن تُمـــالي
فنُعـــاصي ، حتى إذا مـــا استقمْنـــا
تتـــراءى سيمـــاكَ مثـــلَ الهـــلالِ !

*

أيُّهـــا الفـــارسُ المُعَلَّمُ لا يثني
عنـــانـــاً ، ولا يَفيءُ لحـــالِ
وكـــأنَّ العصـــورَ طُـــرّاً تبـــاريـــه
فسَـــرْجـــاهمـــا رهينـــا صِيـــالِ !
يستفـــزُّ احتـــدامُهـــا في مجـــالِ
والسُّـــرى يستفـــزُّهُ في مجـــالِ
تعبَ الـــدَّهـــرُ سيِّـــدي وتـــراخى
وسَـــرايـــاكَ مُشـــرعَـــات العَـــوالي
تعبَتْ كـــلُّ شهقـــةٍ ، فهي تعلـــو
فتـــرى منـــكَ بـــارقـــاً في الأعـــالي !

كـــان فَـــرْطَ استطـــالـــةٍ كـــلُّ دربٍ

فجعلتَ الـــدّروبَ فَـــرْطَ اختـــزالِ

*

أنتَ علّمتَنـــا بـــأنْ نجعـــلَ الآجـــال

من بعضِ زادِنـــا في الـــرُّحـــالِ

فعَـــرَفنا منـــكَ الـوثـــوبَ على المـــوتِ

لنحيـــا ، في لحظـــةِ الإجفـــالِ !

أنت علّمتنـــا بـــأنَّ امتـــدادَ النّهـــرِ

رهنٌ بسَـــــــــورَةِ الشّـــــــــلّالِ

فجعلْنـــا حيـــاتَنـــا دَفْقَ مـــاءٍ

أو دمـــاءٍ مـــوصـــولـــةِ الأنثيـــالِ

ذاكَ أنّـــا نفيضُ قَـــدْرَ التَّحـــدّي

فمصبّـــاتُنـــا بحجمِ النِّصـــالِ !

أنت علّمتَنـــا بـــأنْ نتنـــاهى

لنـــزالٍ إذ ننتهي من نـــزالِ

أنَّ للخيـــلِ سطـــوةً لا تُجـــارى

هي بعضٌ من سَطْـــوةِ الخيّـــالِ

انَّ قــوسَ الحيــاةِ في كفِّ بــاريهــا
صَــــدوقٌ ، مليئــــةٌ بــــالنُّبـــالِ
أنت علَّمتَنـا الـذي لم يجيءْ في العلمِ
لكنْ أتى بـــــوحي الفعــالِ !

*

أفــأنــدى مــروءةً من نَـدى عينيـك
إذ تحلُمــــانِ بـــــالأطفـــالِ ؟!
أفــأصفى من نبضِ قلبِــكَ إذ تنطقُ
بــاسمِ العــراقِ في كـــلِّ حـــالِ ؟
كصَـــلاةِ المُقـــاتلين انتفـــاضـــاً
تتهجَّـــــاهُ مُستفَـــزُّ الخيــــالِ !
أفـــأوفى تَبـــرُّكـــاً وخشـــوعـــاً
من مـــآقي عينيـــكَ في الإنهمـــالِ
كلَّمـــــا كنتَ في رحــــابِ عليٍّ
هــائـلَ النَّصـرِ ، خــاشـعَ الابتهــالِ !
أفَــأحنى أبــوَّةً لـــذوي الأكـــرمِ
منَّـــا يــا خيـــرَ عمٍّ وخـــالِ

أنت علَّمتَنا الـذي لم يجيءْ في العلمِ
لكنْ أتى بـوحي الفعـالِ !

سيّـدي ، لا أَشينُ سيّـدةَ الشّعـرِ
بحـرفٍ أقـولُـهُ في المَـوالي !
أنـا أصفَيتُها لـوجهـكَ بِكْـراً
لم تُعكَّـز حتى بهَمِّ القتـالِ
فـاغتفِـرْ أنّني أوحِّـدُ فيـك الآن
نفسي ، وصِبْيَتي ، وعيـالي
مشـرئبّـاً لـزهـوِ كـلِّ العـراقيّين
في يـومِ مـولـدِ الآمـالِ
*
يـا حـروفـاً تُلِـحُّ في القلَمِ السّـاعـةَ
مهمـا أرهقْتِني لن تُقـالي !
*

أي الخيارين

الــرّصْــدُ القلقُ المــوتــورُ الأمَــلُ
الكبـريـاءُ عيــونُ النـاس الــوجَـلُ
صــراخُ « لبّيــك » والنيــرانُ تشتعــلُ
ويلمــعُ الهــائــلانِ النّصــرُ والاجَــلُ
أيُّ الخيــارَين : هـذا المعْبَــرُ الجلَــلُ ؟
أم أن يسيلوا على بغداد لا وصلــوا
فكــلُّ بيتٍ بـــه من جيشهم رجــلُ
مـــاذا يقـول العــراقيـون لــو سُئلوا ؟!

*

رأيتُ بـــالامس قـــومـــاً كنت أحسبُهم
من العـــراق ، وضـاقَ العيشُ فــارتحلــوا
رأيتهم في مقـــاهي كــلِّ عـــاصمــةٍ
وهم سُكـارى ، وما هُم خُنّـعٌ هَمَلُ

فقُلتُ أهلي وإخـــواني جلستُ لهم
قلتُ : العراق ولم أكمل ولا حفلوا
ماذا بهِ ؟ قال منهم واحدٌ ضحكوا
نظرتُ خجلان من غيظي وما خجلوا !
أيُّ الخيـــارَين ؟ .. هـذا القيـح ننـزفُـهُ
من الضميـر ، وقـد ضـاقت بنـا السُبُـلُ
مسْكعين على الأبـــواب نُـــركَـــلُ من
بـــابٍ لبـــابٍ ، ونستخـــذي فننتقـــلُ
ونمـــلأ الـــرُّوحَ أورامـــاً نفجّـــرهـــا
على العـــراق بمـــا نُـــؤذى ، ونُبتَـذَلُ ؟
أم أنت يـــا شرفَ التـاريخ ، نَشتـلُ في
تـــرابك الحـــرُ ســاقَينـــا كمـــا شَتلـــوا
وفيـكَ نـــزعـــلُ قـــد يُـــودي بمعظمِنـا
لكنْ يُقصِّـــرُ من إذلالنـــا الـــزَّعَـــلُ !

*

خفَـــاقـةٌ مـــلءَ روحي مـــلءَ أوردَتي
هـــذي النجـوم بـــدأتُ الآن أكتهـلُ !

وللكهولةِ طقسٌ، من يصدِّقُهُ ؟
أنّ الطفولةَ تغزوها فتحتفلُ !
وها أنا غارقٌ في شرفتي ثملُ
بألف ذكرى، وغيمُ الأمس ينهملُ
وأنتِ زاهيةُ الألوان، سابحةٌ
في الروح أنجُمكِ الخضراء تغتسلُ
في بؤبؤ العين والذكرى تلاحقُني
« عش هكذا في علوٍّ » .. تَبهَتُ الجُمَلُ
ويختفي الكون إلّا أنتِ مائلةٌ
مبنى الوزارةِ، ممهوراً بكِ الأزَلُ !
يا رايةَ المجد والزُّهوِ الذي نَبتَتْ
أعمارُنا فيه ماذا يصبحُ البدَلُ ؟
أيُّ الخيارَين ؟ .. هل « بيضاً صنائعُنا »
تبقىٰ ؟ .. و « حمراً مواضِينا » ونحتملُ ؟
نقولُ، نفعلُ ما قالوا، وما فعلوا
ونبذلُ الثمنَ الضخمَ الذي بذلوا

أم تغتدي هذه الغربانُ أنسِرَةً
ونحن نحبو كما يستلبدُ الحَجَلُ؟
ماذا يقول العراقيون لو سُئلوا ؟!

*

كنا ، ونبقى .. وعندي منكَ هاتفةٌ
في الروح يا هائلَ النَّهرَين تنسدلُ
تقول إنَّ الفراتَ الآن ضفَّتُهُ
تكادُ ممّا يجيشُ الماء تشتعلُ !
تقولُ إنّ على العشار ألويةً
من العيون ، وإنَّ الساهرَ الأثَلُ !
وأنَّ ميسان لو كحلاؤها وشلٌ
لظلَّ يدفعُ عنها ذلك الوَشَلُ !
وأنّنا يا مهيبَ النَّخل تَنخلُنا
فلا ترى مقلةٌ بالذلّ تكتحلُ
يا سيّدي ، سيّد النَّهريَنِ يا وطني
يا يُتْمَ مَن خان يا حمّالَ من حمَلوا

أنت العـــراق ، وعنـدي منـك أجـويـةٌ
من ألفِ ألفِ تنــاهى عنـدَهـا الجَــدَلُ
أنّـــا بحثْنـــا لكلكـــاميش عن سببٍ
إلى الخلــود بذَلْنـا فـوقَ مـا بـذلـوا
فلم نجـــد سبباً كــالمـوت في شــرفٍ
ونحن نعقِـــلُ مـــا آبـــاؤنـــا عقَلــوا !
ونحن نـــدفـــع عن أولادنـــا سُحُبـــاً
ســـوداً عليهم غـــداً بـــالسُّمِّ تنهطـــلُ
وأنْ حفظنـــا لهـــذي الأرض رونقَهـــا
وأنْ فعلْنـــا لهـــا مثــلَ الــذي فعلــوا

*

هــل قلتُ علَّمتَنـا يـا سيِّدي ؟ .. أبـــداً
أدري بـــأنَّـــكَ تـــأبى أيُّهـــا الـــرجـــلُ !
أبَيْتَ لي ذات يـــومٍ أنْ أقولَ : « صـدىً
كنّـا » .. وقلتَ العـــراقيّـــون مـــا ضَـــؤُلـوا

كـــانــوا كبــاراً ، وظلُّـــوا يُستَطـــالُ بهم
الصّوتُ هم لا الصّدى ، فاعدِلْ كما عدلوا !
وقلتَ لي ذاتَ يـــــومٍ إنّــــهُ قـــدَرٌ
أنَّ الشّعـــافَ تَـلاقى عنـدهـا المُقَـلُ
وأنَّ مَن شـــاء أنْ يـــرتـــاحَ من عَنَتٍ
يلـــوذ بـــالسَّفـــحِ مجهـــولًا ، ويعتـــزلُ
يـا سيّـدي ، كـلُّ فجـرٍ ، كلَّمـــا انفتحتْ
عيني ، أرى قمّـــةً في الأفق تعتـــدلُ
وأنت تـــرفعهـــا حـــدَّ السّمـــاء ولا
أدري إلى أيِّ نجمٍ فـــرعُهـــا يصـــلُ !
حتى كـــأنّـــكَ لم تتـــركْ ، ومعـــذرةً
لنـــا خيـــاراً ، فكـــلُّ الأرض تنتقـــلُ
أرجـــاؤنـــا قُلَـــلٌ ، أسمـــاؤنـــا قُلَـــلٌ
أنبـــاؤنـــا قُلَـــلٌ ، أبنـــاؤنـــا قُلَـــلُ
فـــأيُّ سفـــحٍ يلـــوذُ المستكينُ بـــهِ ؟
وهـــل بنـــا مستكينٌ أيُّهـــا البطـــلُ ؟!

*

كنـــا ، ونبقى لما يُـرضي العُـلا مثـلًا
ولن يُـــذال بـــذامٍ ذلـــك المثَـــلُ
لا والـــذي صـــاغَ من عينيـكَ زاجـرةً
كـالسَّيفِ يجري عليها منبـعُ خَضِـــلُ !
وشـــالَ منـــك على وديـــاننـــا جبـلًا
ومـــوئـــلُ العـــزِّ فينـــا ذلـك الجبـلُ
لَاربَـــعٌ من بُـــرودِ المجـــد عشتَ لُهـــا
بهنَّ خمســـون جيـلًا ســـوف تشتمـــلُ !
عـــاماً فعـــاماً نسجنـــاهـــا نُطـــرِّزُها
جـرحـاً يسيـل ، وجـرحـاً كـاد ينـــدمـلُ
وصـــرخـــةً ، وشهيـــداً ثمَّ فصَّلَهـــا
نصـــرُ العـــراق فكـــانت هـــذه الحلَـــلُ !
هـــذا الاباءُ ، وهـــذا الـــزُّهـــوُ نحملُـــهُ
وســـامَ عـــزٍّ بـــه للمـــوت نحتفـــلُ !
وكلَّمـــا امتـــدَّ عمـــرُ الحـــرب ، تمنحُنـــا
عمـــراً ، وأعمـــارُهم تـــذوي وتُختـــزَلُ

أجلْ ، لقد أسَروا منّا ، وقد قتلوا
وقد أساءوا ، وقد ساءوا ، وقد خَتَلوا

وظلَّ ميزانُهم يعلو بكفَّتِهِ
في حين كَفَّتُنا يهوي بها الثِّقَلُ

وأنت يا سيّدي تبقى تُعلِّمنا
أنَّ الرجال إذا ما أُرضِعوا جُبِلوا

وقد جعلتَ رضاعَ الأرضِ في وطني
بكلِّ ثدْيٍ كريمِ النَّبعِ يتَّصلُ

فسالمَ اللّهُ مَن سالمتَ مقتدراً
وحارب اللّهُ مَن حاربتَ ، والرُّسُلُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨٤

وللعراق اشتعال الروح

« ألقيت في احتفالات عيد المرأة العراقية »

هـــذا مصيـــرُكَ ، نبضُ القَلبِ والـــورقُ
لكـــلِّ نجمٍ مـــدارٌ فيـــه يحتـــرقُ
نراهُ محضَ سنىً نرضاهُ محضَ سنىً
ولا نجـــادلُ فيـــهِ كيف يـــأتلقُ
كـــأنّمـــا الضـــوء لا خـــوفٌ ، ولا ألمٌ
ولا ارتعـــــــاشٌ ، ولا ضعفٌ ، ولا قلقُ
يـــا حـــاسبي طـــرفةً لا تلمسَنَّ يـــدي
فبي رمـــادٌ كثيـــرٌ ، بعضُـــهُ ألقُ
هـــذي بقـــايـــاي بـــل هـــذي بقيَّتُهم
كـــلُّ الـــذين أحبّـــوا قبلنـــا صـــدقـــوا

لا تتَّهِمْ ذا هــوىً من أين تعــرفُــهُ ؟
اللّــهُ يــدري بجــوف الليــل كم شهقــوا

*

يــا ربَّــةَ الشِّعــر ، أدري أنَّ ربَّتَــهُ
ميعــادُ خــوفٍ إليــه العمــرُ أنــزلقُ
مــا زلتِ وِشــعَ هيــامِ القلب منطلَقــاً
ولم أزل عَــــدَّ نبض القلب أنطلقُ !
لقــد وهبتِ جنــاحي ألفَ عــاصفــةٍ
حتى تشظَّتْ عليَّ السُّــوحُ والطــرقُ
وأنتِ ، والصَّهَــواتُ المجــدُ مــزبــدةٌ
أرســانُهــا الهــوى ، والطِّيبُ ، والعبَقُ
ثمَّ الهــوى ، وتــرابُ الأرض ، والعَــرقُ
ثمَّ الهــوى ، وخطــوطُ النــار ، والعلَقُ
مــا هنتِ يــومــاً ، ولا زلَّتْ قــوائمُهــا
تلــك الجيــاد . ولا مــالت لهــا عنُقُ

وهبتِ للأرضِ زهوَ الأرضِ أجمعَهُ
فأيُّ عذرٍ لعذري فيكِ أختلقُ ؟!

*

يا أمَّ أكرمِنا يا أختَ أكرمنا
يا أختَ مَن بدماهُ الآن ينتطقُ
محزَّماً بكِ وسْعَ الكون نخوتُهُ
وللعراقِ جميعاً حولَهُ حدَقُ
فكيف يكسرُ زهواً أنتِ كوكبُهُ
وبين كفَّيهِ سيفُ اللَّهِ يُمتَشَقُ ؟

*

يا أمَّ أكرمنا يا زوجَ أكرمنا
ما أقربَ العهد لولا أنَّهم سبقَوا
إنّي أحسُّ كأنَّ الأرض حيثُ هَوَوا
لها رفيفٌ ، وفي أحشائها رَمَقُ !
وذاك أنَّ دمَ المستشهدين له
مسرى قشعريرةٍ بالأرضِ يلتصقُ !

أمطـــارُنـــا هـــذه ، نحن الغيـــومُ لهـــا
هم الـــذين بهـــا في الملتقى بَـــرَقـــوا
فكـــلُّ ضـــوءٍ سنى جـــرحٍ يضيءُ لنـــا
وكـــلُّ فيضٍ دمٌ للّـــــهِ ينـــــدلقُ
نعلِّمُ النـــاسَ أنَّ النَّصـــرَ مـــوكبُهم
لـــو كـــان للسَّيفِ من كفٍّ بهـــا يثقُ
هـــا سيفُنـــا بـــاسمِ صـــدّامٍ نجـــرِّدُهُ
وبـــاسمـــهِ لحيـــاضِ المـــوتِ نستبقُ
وهـــا حـــدودُ العـــراقِ الشُّمِّ آمنـــةٌ
كـــأنَّ عليهـــا عيـــونُ اللّـــهِ تنطبقُ !

*

يـــا أختَ كـــلِّ أئتـــلاقٍ في مـــرابعِنـــا
يـــامن بها أبـــدعوا يـــامن بها نطقـــوا
إن لم يكنْ ملهمي في كـــــلِّ منطلَقٍ
هـــذا الجـــلال ، ففيمَ السُّهـــدُ والأرقُ ؟

هـــذا مــداري ، طـــويتُ العمـــرَ أفتحُـــهُ
حينـــــاً ، وحينـــــاً يعـــــاصيني فينغلقُ
للحبِّ منـــــه احتـــراقي ، واتِّقـــادُ دمي
وللعـــــراقِ اشتعـــــالُ الـــــروحِ والألقُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٨٥

يا سيد المشرقين يا وطني

« الشعثاء »

شعثـــــاء ، منثـــورةٌ جــــدائلُهـــا
تمســـكُ جنـــحَ القطـــا حبـــائلُهـــا
شـــوكـــاء مـــا قُلِّمَتْ أظـــافـــرُهـــا
ولا أُزيلَتْ عنهـــــا غـــــلائلُهـــــا
تكـــادُ من عُجْبِهـــا بـــرَونقِهـــا
يـــزهـــو على الـــزاهيـــات مـــائلُهـــا
كـــأنَّهـــا نخلـــةٌ لمنعتِهـــا
حـــروفُهـــا كلُّهـــا فســـائلُهـــا
معقـــودةٌ بـــالـــذُّرى أواخـــرُهـــا
معقـــودةٌ بـــالثـــرى أوائلُهـــا

معصومةٌ حدٌّ أن يُشارَ لها
من دون أن تُرتجى وسائلُها
أقولُها والقلوبُ واجفةٌ
وليس غيري واللّه قائلُها
ويعلم اللّهُ رُبَّ غائلةٍ
أرعبَ صُمَّ الصخور غائلُها
وقفتُ مكشوفةً لأسهُمِها
مقاتلي حاسراً أقاتلُها
إنّي على كلٍّ ما يؤرّقُني
منيّتي هكذا أجادلُها !

*

يا من أتانا هوىً عتابُهمو
أنّا تناءت ، عنّا محافلُها
وأنّنا مثل عاشقٍ بطِرٍ
أشعارُنا عنوةً نماطلُها

نـــريـــدُهـــا عـــذبـــةً منـــاهلُهـــا
ملئيـــةً دهشـــةً مجـــاهلُهـــا
نـــريـــدُهـــا عنـــدَ كـــلِّ قـــافيـــةٍ
جنّـــاتِ عَـــدْنٍ تجـــري جـــداولُهـــا
يـــا صـــاحبي، إنَّ شعـــرَنـــا عَنَتٌ
مفـــازةٌ هُـــولـــةٌ جنـــادلُهـــا
خمســـون عـــامـــاً صحـــراءُ غُـــربتِنـــا
مـــا عـــرَّسَتْ لحظـــةً قـــوافلُهـــا
خمســـون عـــامـــاً دمـــاؤنـــا هَمَـــلٌ
مـــا سُئِلَتْ كيف صـــار هـــاملُهـــا
مُـــذْ كـــان صـــوتي كصـــوتِ قُبَّـــرَةٍ
وكـــان لي لثغـــةٌ أحـــاولُهـــا
عـــراق والـــرّاءُ حين ألفظُهـــا
أسمـــعُ أميّ تعلـــو هـــلاهلُهـــا!
لـــلآن والـــرّاءُ يـــا عـــراقُ هـــوىً
ودوحـــةٌ في دمي بـــلابلُهـــا!

*

يـــامن أتـــانـــا هـــوىً عتـــابُهمـــو
ونخـــــوةٌ تغتلي مـــــــراجلُهـــــا
عهـــداً بـــأنّـــا وللعـــراق يـــدٌ
أطـــولُ مِمّن طـــولِنـــا أنـــاملُهـــا
تـــأتيـــه حَـــدٌّ التقـــاءِ أعيُننـــا
ببعضهـــا ، والثـــرى مَكـــاحلُهـــا !
تـــأتيـــه قمصـــانُنـــا مهـــدَّلَـــةٌ
الغيظُ ، ليس الـــذهـــول ، هـــادلُهـــا !

*

يـــدري العـــراقُ العظيم أنَّ لنـــا
نفســـاً عليـــهِ جَمّـــاً شَـــواغلُهـــا
يـــدري العـــراقُ العظيم أنَّ لنـــا
عبـــادةً هـــــذهِ دلائلُهـــــا
أنّـــا نعـــاني من حبِّـــهِ وجعـــاً
وحـــرقـــةً ليس مـــا يمـــاثلُهـــا !
أنَّ السِّهـــامَ التي تـــراشُ لَـــهُ
صـــدورُنـــا دائمـــاً مشـــاتلُهـــا !

أنــــا إذا أمحلَتْ مـــواسمُـــهُ
أضـــلاعُ أولادِنــــا سنـــابلُهـــا !
وأننـــا ، وهـــو ضـــاحــكٌ جـــذلٌ
عيـــونُنـــا تحتفي هـــواملُهـــا !
أفـــراحُـــهُ هكـــذا نعـــادلُهـــا
أوجـــاعُـــهُ هكـــذا نبـــادلُهـــا
يـــا صـــاحِبَ العتبِ فـــارفقَنَّ بنـــا
فبعضُ لـــوم الـــرجـــال قـــاتلُهـــا !
لئن سكتْنـــا هنيهـــةً فلَنـــا
آثـــارُ صـــدقٍ غـــداً نســـائلُهـــا
أقـــدامُنـــا هـــذه مـــواضعُهـــا
سيـــوفُنـــا هـــذه حمـــائلُهـــا
ونحن أدرى بمـــا بـــأنفُسِنـــا
وأين مِن أهلنـــا مَنـــازلُهـــا
لم أكتب الشِّعـــر متـــرَفـــاً بَطِـــراً
منيَّتي هـــذهِ بـــدائلُهـــا !

قـــد جـــاملْتني قصـــائـــدي زمنـــاً
لكنّني اليــــوم لا أجـــاملُهـــا
لـــو أنّ روحـــاً في كـــلّ قـــافيـــةٍ
فـــإنّني للعـــراق بـــاذلُهـــا !

*

يـــا سيّـــدَ المشـــرقَين يـــا وطني
كفّـــارةُ الأرضِ أنت حـــاملُهـــا !
مُـــذْ أســـرَجَ الكـــونُ بـــدءَ رحلتِـــهِ
والأرضُ مُـــذْ شُـــرِّعتْ مَـــداخلُهـــا
وقيـــلَ يـــا ضـــوء يـــا ريـــاحُ ويـــا
مـــاءُ ادخليهـــا فـــاللّـــهُ داخلُهـــا
حطّتْ مـــــوازينَهـــا عليـــكَ ولم
تخطيءْ ، ولـــلآن أنت كـــافلُهـــا !

*

هـــا أنت ذا ، والـــدُّنـــا بـــأجمعِهـــا
بـــرنـــو خشـــوعـــاً اليـــك ذاهلُهـــا

وأنت مُصـــغٍ ، والهـــور تعبـــرُهُ

إليـــك مثـــل الـــدُّبىٰ جحـــافلُهـــا

صَمْتَ التُّـــــــوابيت ، إذ زوارقُهُم

مثـــل التُّمـــاسيـــح ســال ســائلُهـــا !

والليـــل تـــرنـــو عيـــونُـــهُ قلقـــاً

حتى النجـــومُ استفـــاق آفلُهـــا

وأنت تُحصي الـــدَّبيب ألفُ مَـــدىً

لـــلأرض .. أقـــداسُهـــا مبـــاذلُهـــا

آلامُهـــا .. بـــؤسُهـــا رذائلُهـــا

خـــلاصُهـــا المـــرتجى فضـــائلُهـــا

وهم يـــدبّـــون كـــلَّ آونـــةٍ

بـــرديَّـــةً يستغيث كـــاحلُهـــا !

في نفسِ هـــذي الميـــاه ذاتَ ضُحىً

أولى السُّفين استقـــام حـــابلُهـــا

وســـال للضَّـــوء ذاهـــلًا دَهِشـــاً

من كيف أغنى الحيـــاةَ عـــاملُهـــا !

وهم يـــدبّـــون زحفَ غـــائلـــةٍ
هيجَتْ على غِـــزّةٍ مَنـــاصلُهـــا
حتى استقـــرّتْ عليـــك عقـــربـــةً
يلســـعُ حتى الحجـــار ذاحلُهـــا
صـــرختَ : لا والميـــاهُ راجفـــةٌ
يلتفُّ حـــول البـــرديّ جـــافلُهـــا !
كـــلُّ القيـــامـــات بعـــد ثـــانيـــةٍ
قـــامت عليهم وصـــال صـــائلُهـــا
سجينـــــةً كـــــانت الجحيمُ وإذْ
صـــرختَ : لا : قُطّعَتْ ســـلاسلُهـــا !
فـــانصبَّ مِ النـــار مـــا تظـــلُّ إلى
خمسين جيـــلًا تـــومي مشـــاعلُهـــا !
الأرضُ ، والمـــاءُ ، والسّمـــاءُ غـــدتْ
سبيكـــةً كُـــوِّرَتْ مفـــاصلُهـــا !
فهم شخـــوصٌ ، وحـــولهم كـــرةٌ
مِ النـــار مـــوصـــولـــةٌ هَـــواطلُهـــا !

لم يعلمـــوا ، واللهيبُ يحصـــدُهم
ميـــاهُهـــا المـــوت أم ســـواحلُهـــا !
ولـــلأبـــابيـــل فـــوقهم رجُمٌ
اللّـــهُ يـــدري مـــا كـــان وابلُهـــا !

*

يـــا سيّـــد المشـــرقين يـــا وطني
أفعى الحضـــارات أنت قـــاتلُهـــا !
والله لـــو لم تقفْ لهـــا رصَـــداً
غطّتْ فجـــاجَ الثّـــرى نَـــواسلُهـــا
بيتـــاً فبيتـــاً بيـــوتُنـــا اقتُحمتْ
وذُبِّحَتْ وسْطَهـــا عـــوائلُهـــا
لَقيـــلَ حتّى الطفـــولـــةُ انتحبَتْ
تحتَ سكـــاكينهم جَـــلاجلُهـــا !
نفسُ الكهـــوفِ ، ونفسُ ظُلمتِهـــا
تلـــك الأفـــاعي هـــذي قبـــائلُهـــا
اليـــوم كـــالأمس جـــالَ جـــائلُهـــا
واليـــوم كـــالأمس دال دائلُهـــا

مــــاذا جنى العـار؟ .. هـــا جمـاجُمهـــا
مـــلءُ البـــراري وهـــا هيــاكلُهـــا
ويعلمُ الله كم ثـــــــواكلُهـــــا
أيتـــــامُهـــــا كم ، وكم أراملُهـــــا
إنّـــــا حملنـــــا ، لكنْ على شـــرَفٍ
أقســـاطٌ مـــوتٍ فينـــا نَـــوافلُهـــا
كـــانت منيّـــاتُنـــا منـــاهلُهـــا
بيضٌ ، وســـوداً كـــانت منـــاهلُهـــا
نحن نُراهـــــا ، وهم أســـــافلُهـــــا
نحن غُـــــراهـــــا ، وهم أراذلُهـــــا
ونحن متنـــــا لكنْ لمكـــــرمـــــةٍ
أنَّ بيـــوتَ الـــرجـــال شـــاغلُهـــا
بينـــــا يمـــوتـــون ميتـــةً سَفُلَتْ
يغشى البيـــوتَ الحـــرام ســـافلُهـــا
والحـــرب ، حتى الحـــروب ، إن فُقِـــدَتْ
فيهـــا المعـــاييـــر طـــال طـــائلُهـــا

وهـــذه أمَّـــةٌ مصيبتُهـــا
أنَّ المعـــاييـــرَ لا تُشـــاكلُهـــا
أنَّ الفقيـــهَ الفقيـــه جـــاهلُهـــا
والمستقيم المُجِـــدّ هـــازلُهـــا
يـــأتي بمـــا لا يُطـــاق قـــادمُهـــا
يمضي بمـــا لا يُطـــاق راحلُهـــا
إن كـــان مجنـــونُهـــا بـــه خَـــرَدٌ
فـــانظـــرْ بمـــاذا يـــأتيـــك عـــاقلُهـــا
كـــأنَّمـــا اللَّـــهُ جـــلَّ مقصـــدُهُ
أرادهـــا محنـــةً نُـــزاولُهـــا
فكـــلُّ جهـــلٍ، وكـــلُّ مَـــلأمَـــةٍ
حطَّتْ على بـــابهـــا رَواحلُهـــا
إن قـــاتلَتْنـــا بحقـــدِهـــا فلَنـــا
تـــاريـــخُ حبٍّ بـــه نقـــاتلُهـــا!
بكـــلِّ مـــا في الحيـــاةِ من أمـــلٍ
ومـــا يَفي للحيـــاةِ آملُهـــا

بـــنا هــــريـنـــاهمـــو ، وليس بمن
يـــريـــدُ من بـــؤسِهـــا يـــزايلُهـــا
هـــا نحنُ من ســـومـــرٍ ومن أكـــدٍ
سيـــوفُ أرواحنـــا صَيـــاقِلُهـــا !
تـــاريـــخُ كـــلِّ العـــراق قـــاتلَهم
آشـــورُهـــا قـــاتلتْ وبـــابلُهـــا
قـــاتـــلَ مَن لا نـــراهمـــو أبـــداً
بـــل بكـــرُهـــا قـــاتلتْ ووائلُهـــا
أمجـــائـنـــا كلُّهـــا ، مَـــلاحمُنـــا
من ألفِ عـــامٍ هبّتْ فصـــائلُهـــا
نحن حملْنـــا سيـــوفَهـــا شـــرفـــاً
وقـــاتلَتْ مِـــلائـــا شمـــائلُهـــا !
مـــا كـــان صـــدام غيـــرَ ذي رحمٍ
تجمّعتْ عنـــــدهُ فضـــــائلُهـــــا
هُـــوَ مَن يقـــول الـــذي يُقـــالُ لهـــا
وهـــو الـــذي راهيـــاً يطـــاولُهـــا !

وهو الذي رغمَ كلّ ما فعلَتْ

يحنو عليها ولا يُياهلُها !

فإن قَسا فالضلوعُ قاسيةٌ

لكنَّ قلباً بها يناضلُها !

لو شعرةٌ من ودادٍ ذي رحمٍ

تُقطَعُ جوراً ، صدام واصلُها !

هذا الذي لا تنالُهُ لغةٌ

رغمَ البلاغات ، وهو نائلُها !

من هيبةٍ ، قومُهُ لمقدمِهِ

تلزمُ أغمادَها فياصلُها

وهم همو ، ما يقوم فارسُهم

إلّا وللخيل ما يشاغلُها !

أدرى بخيل العُلا فراستُهُ

أدرى بصولاتِهِ أصائلُها

يأتي بها غُرَّداً صواهلُها

يمضي بها غُيَّباً كواحلُها

كـــأنَّـــهُ فَـــرَطَ مـــا يصـــولُ بهـــا
لـــديـــه مجهـــولـــةٌ يســـاجلُهـــا !

*

يـــا سيِّـــدي كلَّمـــا كتبتُ أجـــدْ
قصيـــــدتي لا يجيء بـــــاسلُهـــــاْ
إلا ختـــامـــاً ، كـــأنَّمـــا حُكِمَتْ
أن تلتقي في الـــذُّرى فـــواصلُهـــا !
وكلَّمـــــــا قلتُ : إنَّهـــــــا ثَقُلَتْ
أبصـــرُهـــا يستقيمُ كـــاهلُهـــا !
كـــأنَّمـــا يشـــرئبُّ من وَلَـــهٍ
إليـــك مجـــزوؤهـــا وكـــاملُهـــا !
إن قلتُ أتعبتَني ، فـــــربَّ هـــــوىً
تَعيىٰ بـــه النَّفسُ وهـــو غـــافلُهـــا
ولا ، وحـــاشـــاك أنت تعـــرفُنـــا
نفســـاً فنفســـاً ، ومـــا يُـــداخلُهـــا

أسلمتَني للتي بـــــــــك ارتفعَتْ
فـــاين يُـــرسي خُطـــاه نـــارُلُهـــا ؟!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٩٨٥

أبابيل العراق

لكم أنتم تجوزُ الكبرياءُ
وتوسعُ من مَدارجِها السَّماءُ
لكم أنتم عراقُ الكِبْرِ يُعلي
لواءً لا يُرى معه لواءُ
يقيمُ الرافدان منارَ ماءٍ
يلوذُ به مدى الزَّمنِ الظِّماءُ
لكم أنتم يسيرُ نخيلُ أرضي
وشَغفَتُهُ يضجُّ بها الهواءُ
مسيرتَهُ التي من ألف عامٍ
لها قدَرٌ يُرى ، ولها قضاءُ !
لكم أنتم ، وأنتم زهوُ أهلي
وأكرمُ مَن يُرَدُّ به البلاءُ

يغنّي كـــلُّ طفــــلٍ في بــــلادي
وتَــرفــعُ من هــلاهِلها النِّساءُ !

*

أبـــابيــلَ العـــراق ، وكــلُّ ليــلٍ
لكم في قلب ظُلمتِـــــهِ انتخـــــاءُ
لكم عنقـــاءُ فـــولاذٍ يـــراهـــا
فيفتـــحُ كـــلَّ قُبَّتِـــهِ الفضـــاءُ
وإذ تســـرون تـــرتجفُ الـــدَّيـــاجي
ويجمـــدُ في كـــواكبهـــا الضيـــاءُ
تشقُّـــــون الظـــــلام ، لكم وميضٌ
ولـــلأجـــرام حـــولكم انطفـــاءُ
ثـــوانيَ ، ثمَّ يلمـــع كـــلُّ شيءٍ
فلـــــلأكـــــوانِ من لهبٍ رداءُ !

*

صقـــورَ الـــرافـــدين ، ولستُ أدعـــو
لمـــذبحـــةٍ يعمُّ بهـــا الفنـــاءُ

ولا واللّـــهِ، عن أطفــال خصمي
ودِدتُ لـــو انَّ أضـــلاعي وقــاءُ
ولكنْ رُبَّ شـــــرٌ مستطيـــــرٍ
يُـلاذُ بــه وتُختصَـــرُ الـــدمــاءُ!

*

صقـــورَ الـــرافــدين، هي المنــايـا
هي الحـــربُ التي فَـــرضـــوا وشــاءوا
ومـــا في الحـــرب من وجـــهٍ جميـلٍ
ولكنَّ الـــوبـــاءَ هـــو الـــوبـــاءُ
لـــو انَّ بقلبِ إيـــرانٍ نقــاءً
لشـــلَّ هجـــومَهم ذاك النَّقـــاءُ
لمـــا خـــاضـــوا لأكـــواخٍ صغـــارٍ
وأهلـــوهـــا ضعـــافُ أبـــريـــاءُ
بكـــلِّ ســـلاحهم، وهمـــو ألـــوفٌ
فصـــدَّهم الضِّعـــافُ الأقـــويـــاءُ!

*

أجـــلْ، في الهـــور من أشـــلاء أهلي
غضـــاريفٌ ويَعـــدُ بـــه بكـــاءُ!
وطفـــــــلٌ أمُّـــــــهُ ذُبحَتْ وظلَّتْ
لهـــا من فـــوق جثَّتـــهِ انحنـــاءُ
أجـــل قصَبٌ، وأمتعـــةٌ خـــواءُ
يـــؤرجحهـــا على المـــاء الخـــواءُ
ولكنْ في ميـــــاه الهـــــور تبقى
بيـــارقُهم يـــرفُّ بهـــا الإبـــاءُ!
ويبقى في ميـــاه الهـــور صـــوتٌ
ل «تســـواهن» يجيء بـــه المســـاءُ!
ويبقى وجـــــهُ إيـــرانِ قميئـــــاً
تشـــوّهـــه الـــوقـــاحـــةُ والـــرّيـــاءُ

*

صقـــورَ الـــرافـــدين، وربَّ زهـــوٍ
لـــه ومشـــارف الغضبِ التقـــاءُ

فتصبـــخُ بعضُ أشـــرعـــةِ التحـــدّي
وليس لهـــا من الـــرّيـــح امتـــلاءُ
كـــأنّ المـــوج إذ يعـــو وتعلـــو
يغـــاضيُهـــا فتصنـــعُ مـــا تشـــاءُ!
كـــــــذا أنتم وللغَلَيـــــــانِ فيكم
دمٌ من محضِ رغـــوتِـــهِ يُســـاءُ!
فكيف إذا تحـــدّثُـــهُ انتهـــاكـــاً
صغـــارٌ كـــلُّ قـــوّتِهـــا ادّعـــاءُ؟!
وأنتم إرثُ من حملـــوا المنـــايـــا
وراحـــوا للجحيم بهـــا وجـــاءوا!
فلم يلحقْ بهم إلّا المعـــــــالي
ولم يعلقْ بهم إلا الثنـــــــــاءُ!
وأنتم بعضُ صـــــــــدام، وفيكم
سمـــاتٌ منـــهُ أوّلُهـــا السّخـــاءُ
وأبهـــاهـــا، وأعظمهـــا التحـــدّي
وأكـــرمُهـــا المـــروءةُ والحيـــاءُ!

وفيكم منـــه أنّ لـــه عيـــونــاً
كعين الصّقـــر يَـــرهبُهـــا الخَفـــاءُ !
فيكشف نفسَـــهُ لم يـــدنُ منـــهُ
ولكنّ السّيــــوفَ لهـــا مضـــاءُ !
وفيكم من ذرى صــــــــدام نفسٌ
شَمـــوسٌ ، بعضُ نخـــوتِهـــا الفـــداءُ
وغيـــــرتُـــهُ ، ورفعـــــةُ منكبَيْـــهِ
وأنّ قليـــــلَ رشفتِـــــهِ ارتـــواءُ !
وأنّ لصبـــــــرِهِ شـــــــأواً ولكنْ
يقصِّـــــرُهُ إذا غبيَ الغبـــــاءُ !
فكـــونـــوا منـــه أشـــرعـــةً كبـــاراً
فبعضُ سمـــاتِـــهِ ريـــحٌ ومـــاءُ !
وبعضُ سمـــاتِـــهِ أنْ ظـــلَّ حبّـــاً
وأنّ عليـــه ينعقـــدُ الـــرجـــاءُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٨٥

يا مهيب الغيظ
يا وطني

لحظةً للخشوعْ
قبلَ أن توقدوا بارقاً للدموعْ

إنَّ هاجسةً هاجسه
أنَّ أرواحهم بيننا جالسه
يا عيوناً ترانا ولسنا نراها
يا أعزَّ الرِّفاقْ
يا قناديلَ ليلِ العراقْ
لكمو أنحني
رافعاً رايتي الخامسه
خاشع القلب كي تقبلوها
ولكم عهدُ كلِّ الدماءْ

أنني الآن أنشر عرضَ الفضاءْ
رايةَ الشَّرفِ السادسه !

*

للعراق الذي لا يميلْ
للفراتَينِ والمستَفَزِّ النَّخيلْ
ولصدامَ جيلًا فجيلْ
ننتخي كلَّما تردس الرّادسه
نزرع الآن ساريةً سادسه
فوق ساترِنا المستحيلْ !

الشـــامخُ البـــاذخُ العـــالي لــــه نثبُ
لــــه بكـــــلِّ دمــــاءِ القلبِ نختضبُ
لــــه تُغطّي فجـــاجَ الأرضِ نخـــوتُنـــا
حتى تكــــادَ فجــــاجُ الأرض تحتجبُ
نصـــدُّ عنـه هبـوبَ الرّيــح ، خـافقـةً
رايــــاتُنــــا ولــــه أكبـــادُنـــا تجبُ
هـو العـراق .. فَمن أبقى ؟ .. وأيُّ يـــدٍ
أشقى من اليـــدِ يـدعـوهـا فتجتنبُ ؟

هــو العــراق وبعضٌ من مــروءتــه
أنـّـا لــه وحــدَةٌ في الضِّيق ننتسبُ !

*

يا سيّدي ، يــا مهيبَ الغيظ ، يا وطنـاً
عليــــهِ فَيضُ جـــلالِ الله ينسكبُ
يــا هــاديَ الأرض ، مـا زالت جـدائلُهـــا
كــــلٌ بلمعـــةِ نجمٍ منـــك تعتصبُ !
يــا فــاتحـاً قلبَـهُ للحبِ يــا فـرَحــاً
دارتْ على كـــلِّ محـــزونٍ بـــه الحِقَبُ
من حُسنِ عشتــار من تمـوز مـؤتلقـاً
من كَرْمِ بابلَ ما قالوا ومــا كتبوا
عن كــلِّ فجــرٍ مُضيءٍ فـزٌّ طــائـرُهُ
من العــــراق ، ولبُّ الكـــون منخلبُ
وأنت تــــزرع ليـــلَ الأرضِ مبتهجـــاً
هنا هلالٌ هنــا شمسٌ هنا شهبُ !
هنــا حـــروفُ غـــريبــاتٌ ، وملحمــةٌ
مسلـــةٌ ههنـــا قيثـــارةٌ أدبُ

وهبْتَ لـلأرضِ كـلَّ الأرض مجـــدَ هـوىً
وحكمـةٍ وهـززتَ النـــاسَ فـاضطــربـوا
كـانـوا نيـامـاً ، وكـانـوا غُيَّبـاً ، فصحَـوا
وإذ رأوا ركبَ زهـــوٍ للعلى ركبـــوا !

*

يا سيدي يا مهيبَ الغيظ يا وطني
يـــا واهباً لم يقـل للناس : مـا وهبـوا ؟
ومـا جـزوا ؟ .. وهـو حتى عنـدَ محنتِـهِ
يجـــري لعطشـــانهم منـــه دمٌ سَـــرِبُ
هـــذا العـــراق ، وبعضٌ من مـــروءتِـــهِ
أن ظـلَّ خمسـاً عن الأخـــلاق يحتـربُ !

*

خمسـاً أدرنـا رحـاهـا طـاقُهـا جبـلٌ
من صبـــرِنـا واسمُ صـدّامٍ لهـا قطُبُ
خمســـاً ، وهم حَمَأٌ فيهـا ونحن بهـا
جصىً تكـــاد بـــه الأطـــواق تنتقبُ !

خمساً طحنّا بها طحناً حشـــودَهمو
إذا تـــــراخت أدارَ المقبضَ الغضبُ
خمســـاً ، وللشــرف المــزروع في دمِــهِ
مـــروءةٌ تعتـــريهـــا صــولـــةٌ عجَبُ
هـــا نحن من بعدِ خمسٍ نبتـدي صُعُداً
يـــا حاطبَ المـوت ماذا جئت تحتطبُ ؟!
من بعـــدِ خمسٍ بـدأنـــا الآن نـدفعُكم
دفعــــاً إلى حيثُ نـــــارُ الله تلتهبُ
أنـــأى قـلاعِكمـو طهـران ، ظـلَّ بهـــا
ليــلًا فليـــلًا جنـــاحُ المــوت ينسـربُ
مـــا أنقـذتْ أهلَهـــا مـــا تـدّعون بهـــا
من الحمـــايـــةِ لكنْ أنقـــذَ الهــرَبُ !
أعــزُّ إسـواركم « خـــرجٌ » ، وهـــا هيَ ذي
مـــلاعبٌ لصقـــور الجـــو ، مـــا رغبـــوا !
لم تستطيعـوا بهـا دفعـاً بلى دفعتْ
عنهـــا الشتـــائمُ والتهـــريـــج والخُطَبُ !

وَهــا حشوتُكمو عند الحـدودِ لنــا
في كــلِّ ليــلٍ عليهــا واثبٌ يثِبُ
يــا بؤسَ أهليكمو يا بـؤسَ شعبكمو
حتى متى يحمــل البلــوى ويحتسبُ ؟!

*

جيشَ العــراق لَخَمسٌ أنت سيّدُهــا
مجــدٌ بــأنَّ اسمَ صــدامٍ لهــا لَقَبُ !
مــاذا يسمّونهــا هم ؟ .. قــادسيَّةَ من ؟؟
ذي قــارَ مَن ؟ .. أم نهاونــدٌ لهم نَسَبُ ؟!
أمّــا خميني ، وخــامنئي ، ولَفُّهُمــا
فهم لــدى السيف لا رأسٌ ، ولا ذنَبُ !
ومــا الـذي حصــدوا فيهــا ؟ .. مصيبتَهم
وعــارَهم ، وجــرابــاً حشــوُهُ كــذِبُ
وهــــــا هم الآن والأورامُ تنهشُهم
أمَــرُّ مــا يكسبُ العــدوان مــا كسَبــوا

*

يا سيّدي ، يــا مهيبَ الغيظ ، يا وطنـاً
لم يــرقَ يــومــاً إلى أسبــابــهِ سبَبُ
يــــا بيتَ صدام ، يــا تــاريــخَ أمَّتِنــا
ويـــا منــائــرُ ، يــا أقــواسُ ، يــا قُبَبُ
يــا ألفَ شمسٍ وشمسٍ يا كــواكبَهــا
ويـــا مــــداراتِهـــا أيّــــان تنجــذبُ
لقـــد زرعنـــا بهـــذي الأرض أنفسَنـــا
جــدٌّ وجَـــدٌّ وجـــدٌّ قبلَـــهُ وأبُ
مُـــذْ كُــوِّرَتْ هــذه الـدنيـا ونحن هنــا
والنخـــلُ ، والطَّلـــعُ ، والأهـــوارُ ، والقصبُ
والــــرافــدان هنــا ، والشمسُ مُــذْ طلَعَتْ
والــــراسيـــاتُ عليهـــا الثلـــجُ والغـــرَبُ
هـــو العـــراق ، فلـــو أنّ السَّمـــا هبطتْ
لـــلأرض ، مــا زلّ عن ميعـــاده الـــرُّطَبُ !
هــو العــراق فلــــو أنّ النجـوم هــوَتْ
وحقِّ صـــــدام مــــا رفَّتْ لنـــــا رُكَبُ !

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٢ / ٩ / ١٩٨٥

دموع الكبرياء

هذهِ حيرتي وهذا اضطرابي
أمهليني، فأنتِ تدرين ما بي
كلُّ زهو العراق بين ضلوعي
ودموعُ العراق في أهدابي!
بصرة الكبرياء، هذا لقاءٌ
فيه كلُّ ارتعاشةِ السَّيَّابِ
ولهذا بكيت زهوٌ دموعي
ربَّما دمعةٌ بها لشبابي!
ربَّما دمعةٌ على عنقِ نخلٍ
قطعتْ حملَهُ أكفُّ الخرابِ
أو لطفلٍ في غفلةٍ كان يلهو
فجأةً صار شعلةً في الترابِ
إنَّما جلُّ أدمعي كبرياءٌ
للمتاريس، والهوى اللا يُحابي

والوجوه البصريّة الحبّ، تزدادُ
عطاءً ما زادَ شَدُّ العذابِ!

*

إيه يا بصرةَ الخليل وأهلي
في غدٍ يسألونني وصحابي
كيف ألفيتَها؟.. وأقسم أنّي
ستكون الدموع بعضَ جوابي!
سأقول العراقُ فيها مقيمٌ
ولصدام هالةٌ في الرّوابي
سأقول الصِّغارُ قد حملوا بغداد
في كلِّ دفترٍ وكتابِ!
حملوا العُزبَ في القلوب عذاباً
لا عتاباً لم يصغروا للعتابِ!
حملوا الشِّعرَ كلَّهُ أنشدوهُ
دون أن يكتبوا الحروفَ الكَوابي
سأقول اخشعوا فإنّا بكَينا
وبكى الشعرُ في بطون الخوابي

أنَّــهُ لــم يكن كهــذا الــذي نبصـرُ
حبّــــاً ، ونخــــوةً في الصَّعـــــابِ
ســـأقـــول ارفعـــوا الجباه شمــوخـــاً
فمتـــــاريسُ بصــــرةِ السيّـــــابِ
تُمســكُ الأرضَ أن تَميد ، ويبقى الشِّعـرُ
مـــلءَ الـــذُّرى ، ومــلءَ الشِّعــابِ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٩٨٥

سيدي يا عراق

لا وعينيـــــــك لم أنَمْ　　شـــــاخصَ العينِ والقلَمْ
لا ذهـــــولًا ، ولا أسىً　　لا ذبـــــولًا ، ولا سقَمْ
إنَّمـــا القلبُ فـــزَّ في　　قفص الصَّـــدرِ فـــارتطَمْ
عـــالقـــاً في شغـــافِـــهِ　　مثلَمـــا الطَّيـــرُ في العتَمْ

*

لا ، وعينـــــك لم أنَمْ　　أيُّهـــا الســـاهـــرُ العَلَمْ
منــــذ يــــومين أضلُعي　　ورَمٌ تحتَـــــــهُ ورَمْ
يـــا عـــراقَ الإبـــاءِ يـــا　　حـــاكمَ الغيب والحكمْ
أتَمـــلَّاك شـــامخـــاً　　ثـــابتَ الجـــذعِ والقـــدَمْ
والمنـــايـــا لَمـــوجِهـــا　　حـــول ســـاقَيْـــكَ ملتطَمْ
أتمـــلَّاكَ مـــارداً　　يفـــرزُ الضَّـــوءَ والظُّلَمْ
وســـرايـــاهُ حـــولَـــهُ　　قممٌ مـــا لهـــا قمَمْ
وأرى جحفـــلَ العجَمْ　　قَـــزَمـــاً إثْـــرَهُ قـــزَمْ

لا حيـــــــاءُ، ولا تُقىً   لا ضميـــــــرَ، ولا ذمَمْ
غـــابـــةٌ من عقـــاربٍ   تلـــدغُ الجنـــدلَ الأصَمْ
وهي تسعى إليـــــكَ من   كـــلِّ ثُقبٍ ومنخَـــرمْ
بينمـــا أنت شـــامـــخٌ   هـــائـلٌ، بـــالـــغُ العِظَمْ
مـــاليءٌ رَحْبـــةَ الفَضـــا   تفـــرز الضَّـــوءَ والظُّلَمْ!

❁

لا وعينيـــــــكَ لم أنَمْ   يـــا عـــراقَ الـــدَّمِ الأشَمْ
أيُّهـــا المـــائـــجُ الـــذي   عُمْـــرَ مجـــراهُ مـــا انشَكَمْ
أيُّهـــا الليثُ حـــولَـــهُ   من مـــروءاتِـــهِ أجَمْ
كلَّمـــا صـــاح صـــائـــحٌ   أسـرجَ الهـــولَ واعتـــزَمْ
أبـــداً تـــرضـــعُ العُلى   والـــدَّمُ الحـــرُ مـــا فطَمْ!

❁

يـــا عـــراقَ الإبـــاءِ يـــا   قبلـــةَ اللّـــهِ والحـــرَمْ
أيُّهـــا الســـافـــرُ الـــذي   وجهُـــهُ قطُّ مـــا التثَمْ
يـــا منيعـــاً على الشَّجـــا   يـــا مهيبـــاً على الألَمْ
يـــا عفيفـــاً على الأذى   لا تَـــــدَنَّى، ولا شتَمْ
يـــا كبيـــراً على القـــذى   كلَّمـــا ســـاءَهُ كظَمْ

سيّــدي يــا عــراقُ يــا وطنَ العـــــزِّ والكـــرَمْ
وطنَ الحقِّ والنُّهى وطنَ الـــزُّهـــوِ والقيَمْ
ألفُ مـــوتٍ هَمَتْ بنـــا ديَمـــاً فـــوقها ديَمْ
شـــرَّقتْ ، ثم غـــرَّبتْ حـــولَنـــا الـــريـــح والأكَمْ
مـــا لَـــوَينـــا عنـــانَنـــا لا ولا حُـــزْنُـــا لَجَمْ !

*

سيّــدي يــا عــراقُ يــا صـــادق العفـــوِ والنِّقَمْ
أنت يــا عــاصمَ الـرَّجـا عنـــدمـــا لاتَ معتصَمْ
أنت يــا حــاسمَ الـدُّجى كلَّمـــا الغيهبُ ادلَهَمْ
أنت يــا سيّــد السَّنـــا أنت يــا بــاذخَ القِـــدَمْ
حـــولَـــكَ الآن جحفـــلُ من ذئـــابٍ ومن بُهَمْ
والفـــاتِ ببعضهـــا لا ذمـــامٌ ، ولا حُـــرَمْ
أنفسٌ كلُّهـــا قـــذى أوجـــهٌ كلُّهـــا تُهَمْ
كلَّمـــا ســـالَ سَيْلُهـــا هـــالَـــهُ الهَـــولُ فـــانهـــزمْ
ومســـوخٌ تحـــوطُهـــا جُبَبٌ فـــوقهـــا عِمَمْ
ليس للَّـــهِ سعيُهـــا إنَّمـــا رَبُّهـــا صَنَمْ
هـــؤلاءِ الأولى لهم حـــولـــكَ الآن محتـــدَمْ

فـانتفضْ أيُّهـا الـرَّدى　واعتـرِضْ أيُّهـا القَـدَمْ
وانهمـزْ أيُّهـا اللظى　رادمـاً كـلَّ مـرتـدَمْ
راميـاً كـلَّ من رمى　راجمـاً كـلَّ من رجَمْ
لا خشـوعٌ، ولا أسىً　لا رجـوعٌ، ولا نـدَمْ
إنَّ مَن رامَ ظُلمَنـا　إنّمـا نفسَـهُ ظلَمْ!

٭

يـا جنـودَ العـراقِ يـا　شـرفَ الأهـلِ والشِّيَمْ
يـا عـزيـزين في الـورى　يـا مَهيبين في الأمَمْ
يـا مُـذِلِّين خصمَهم　كلَّمـا بـالـدَّمِ استَحمْ
لكـم الحـبُّ والهـوى　لكم العـزُّ والشَّمَمْ
بـاسمِكم لا اسمِ غيـرِكم　يُتنـاخى، ويُعتَصَمْ
وطنُ العُـرْبِ كلُّـه　بكم اليـوم يُحتـرَمْ
ولكم فـوقَ زهـوِكم　زهـوُ مَن زهـوُهُ حَـرَمْ
زهـوُ صـدام كلُّـهُ　ولصـدّام يُحتكَمْ
فبِـهِ يبـدأ الهـوى　وبـهِ الكِبْـرُ يُختَتَمْ
هوَ هـذا الـذي بنى　هـوَ هـذا الـذي هـدَمْ
وهـو هـذا عـدوُّهُ　كلَّمـا راءَهُ انهـزَمْ

وبـــــه تـــوثقُ العُـــرى كلُّمـــا عقـــدُهـــا انفصَمْ
واشمـــــاً في جبينِـــــهِ نصـــرَه عـــزٌّ من وَشَمْ !
ثلَمَ الـــرّوع راهيـــاً مـــا تـــراخى ، ولا وَجَمْ
وكـــانْ ، فَـــرطَ كِبْـــرِهِ ليس يـــدري بمـــا ثَلَمْ !
بـــاسمِـــهِ اليـــومَ يُنتَخى وبِـــهِ اليـــومَ يُلتـــأمْ
ولـــه يَصـــدُقُ الـــوَفـــا وبِـــهِ يَصـــدقُ القسَمْ

*

لا وعينيــــــــك، لم أنَمْ إنَّني ألفُ متَّهَمْ
أنَّني قـــابـــعٌ هنـــا أدفـعُ المـوتَ بـــالسَّأَمْ
وعلى النـــار إخـــوتي لهـــم الآنَ مـــزدَحَـــمْ
تكلَتْني قصـــائـــدي كم كتبنـــا وكم وكم
أبحـــرُ الشّعـــر كلّهـــا لا تســـاوي رذاذَ دَمْ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٩٨٦

رجـز في المعـركة

(*)

بـالدَّمِ والأجساد يا شطَّ العرَبْ نَمـلُأ جرفَيْـكَ إذا الوغـدُ اقتـرَبْ
يطفُون في الماء كما يطفو الكرَبْ للمـوتِ أو لـلأسـرِ، ليس للهـرَبْ
لن يجدوا في الأرض طرّاً مضطرَبْ لا نَبْـعَ يخفيهم بهـا ولا غــرَبْ
واحــرَبــا إن لم نُبِــذهم واحــرَبْ !

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ٢ / ١٩٨٦

(**)

يـا جُنْـدَ صـدام بصـدام انتَخوا   أخٌ إذا مـــا أعسَـرَتْ ، نعمَ الأخْ

لا تتركوا في الارض صـلّا ينفخُ   فهم إذا دَبُـــوا بـأرضٍ أفـــرخـوا

سدُّوا فجاجَ الارض قِذراً واطبخوا   حتى يبيـدوا كلُّهم أو يـرضخـــوا

لا يـــــرجعَنْ منهم دعيٌّ يصـــــرخُ

يا حاملين اسمَ الفراتينَ اشمخوا   بـــالـدّمِ أو بنصـــركم تضمَّخـــوا

*

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٩٨٦

من لهيب المعـركة

أقبلـــوا من كـــلِّ صـــوبٍ   أقبلـــوا من كـــلٍّ فَـــجْ
أقبلـــوا فـــالأرضُ تـــدري   أنهـــا تـــرتـــجُّ رَجْ
أقبلـــوا يـــا من جهلتم   أنَّ مـــاءَ الفـــاو مـــجْ
كـــلُّ يـــومٍ نلتقيكم   فيـــه يـــا أيتـــامَ خـــرجْ
هـــو عنـــد الله تقـــوى   ولبيـــت الله حَـــجْ

❋

نشرت في جريدة الثورة في ٢٤ / ٢ / ١٩٨٦

رجز في المعركة

(*)

أيَّ مـــاءٍ قد نــزلُتم يا تتَــرْ ما لَــهُ وِرْدٌ ، ولا منـــــه صَــدَرْ
قطعـــةٌ تُجبَلُ تــوّاً من سَقَــرْ لا يُـرى فيهــا لِمَنجـاةٍ أثَــرْ
ليسَ إلّا مـــوتُكم مَـــدُّ البصَـــرْ

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٨٦

(**)

الله ثمَّ الله يــــا بـــلادي يا شوكةً في أعيُنِ الأعادي
يــا زهــوَ كــلٍّ نــاطقٍ بــالضَّــادِ
الله من بَـذْلِـكِ في الجهـادِ ومن تَعـاليكِ على الأحقـادِ
من العــراقيين في الجــلادِ كـــأنّهم حشـدٌ من الأطــوادِ
يسحق أكـــداســـاً من الجـــرادِ
الله منهم والــرَّدى ينــادي وهم يصـولـون على الأوغـادِ
كـــأنَّهم في مـــوسمِ الحصـــادِ
الله ، ثم الله يـــــا بـــــلادي !

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٦ / ٢ / ١٩٨٦

ويا غضب العراقيين

لـــديـــكَ النـــارُ والحطبُ　　لـــديـــكَ السَّيـــلُ واللهَبُ
لـــديـــكَ لهُـــولـــةٍ سببٌ　　فـــأوقـــدْ أيُّهـــا الغضَبُ !

*

ألا مَن مبلـــغٌ ايـــران　　أنَّ جنـــودَهـــا نضبـــوا
وأنَّ المـــوت بينهمـــو　　على قـــدمين ينتصبُ !
وأنَّ الأرض ، لا مثـــوى　　لهم فيهـــا ولا هـــربُ
ولِصْقَ الطين ، مثـــل الـــدُّود　　نـــامـــوا حيثمـــا ثُقَبـــوا
فـــلا قُبُـــلٌ ، ولا دُبُـــرٌ　　ولا صُعُـــدٌ ، ولا صبَبُ
وأنَّ مطـــارق النيـــران　　فـــوق رؤوسهم عجَبُ !

*

ألا مَن مبلـــغٌ ايـــران　　أنَّ شبـــابَهـــا ذهبـــوا
وأنَّ بيـــوتَهـــا هُجمَتْ　　وأنَّ عشيـــرَهـــا نُكبـــوا

وأنَّ جميـــــعَ من حَطَبتْ		بهم في الفـاو قـد حُطِبـوا
وأنَّ حصـــادهم هيهـــات		مــا البـرديُّ .. ؟ مـا القصَبُ ؟
هنـــاك الأرضُ فـــوقَ الأرض		فـــــــوق الأرض تنقلبُ
كـــأنَّ خبّـــاطـــةً خبطَتْ		وهم في وَسْطِهـا حبَــــبُ !

ألا مَن مبلـــغٌ ايـــران		أنَّ الهــــولَ يقتـــــربُ
وأنَّ أوائـــل الطـــوفـــان		منهـــا الـــرُّعبُ يـــرتعبُ
وأنَّ البــــدءَ من دمهــــا		تغـــوصُ بسَيلــــهِ الـــرُّكَبُ
وأنَّ الليــــلَ في ايـــران		منـــــــــذُ الآن ينتحبُ !
فكيف إذا ادلهمَّ الهـــــول		وانطفـــأتْ بـــه الشُّهُبُ ؟
وأقبـــل من أقـــاصي الأرض		يحمـــلُ جـــذعَـــهُ الكَـــرَبُ !
وحـــاق بهم إلى أن كـــاد		يـــدخـــل عينَـــهُ الهُـــدُبُ !
وأصبحت السَّمـــاءُ بهـــا		فجـــــاجُ الأرض تعتصبُ
وَهِيـــــجَ ولاتَ منفـــرَجٌ		وصيـــــحَ ولاتَ مـــرتقَبُ
هنـــاك تـــرَيْنَ يـــا إيـــران		كيف الهــــول يحتــــربُ
وكيف المـوت ، حتى المـوت		يستخـــــذي ويضطـــــربُ

هنـــاك تـــرين سَـــوْرَتنـــا وكيف رجـــالُنـــا تثبُ
يعلِّمُـــكِ العـــراقيّـــون كيف يقـــاتـــل العـــرَبُ !
ولن ينجـــو من الحَـــدَثـــان لا رأسٌ ولا ذنَبُ !

*

أجـــلْ يـــا سيّدَ النهـــرَين يـــا وهّـــابَ مَن وهَبـــرا
ويـــا قتّـــال من قَتلـــوا ويـــا ثـــلّابَ من ثلبـــوا
ويـــا مَن مِن مهـــابتِـــهِ قلـــوبُ الفـــرسِ تنخلبُ
ويـــا رَهـــواً على الأهـــوال يـــــــدري كيف ينتخبُ
ويـــدري أين يفجـــؤهـــا وكيف وأين يـــــــرتكبُ !
أجـــل يـــا سيّـــد النهـــرين يـــا مَن كلّمـــا ركبـــوا
تَلَقّـــاهم فســـاقطَهم كمـــا يسّـــاقَطُ الـــرُّطَبُ !
وحاشا النَّخـــل، جلُّ النخـــل لا شبـــــــةٌ، ولا نسَبُ
ولكنْ ربَّ قـــافيـــةٍ بمـــا نـــأبـــاهُ تُغتصَبُ !

*

ويـــا متـــواصـــلَ الأمجـــاد يـــــا من تحفظُ الحقَبُ
لـــه من عهـــدِ بـــانيبـــال طيفـــاً منـــه تحتسبُ

نبــــوخـــــذ نصَّـــــرٍ أملى   وكُتَّـــــابُ الـــــدُّنىٰ كتبـــــوا !
وهــــــذا أنت حتى اليــــوم   تُهـــــــــــدي وهي تستلبُ
وتعطي وهي تستعطي   وتسقي وهي تحتلبُ
وهــــــذا أنت ، حتى اليــــوم   مــــــا أبقَـــــوا ، ولا شطبـــــوا
قـــــلامـــــــةَ أظفــــــرٍ إلّا   ومــــــلءَ نفـــــوسهم رهَبُ
لأنَّ معــــــارجَ التـــــاريـــــخ   تعلمُ أنَّهم كــــــــذبـــــوا
وهــــــذا أنت حتى اليــــوم   خـــــافقُهـــــا الـــــذي يجبُ
وهــــــذا أنت حتى اليــــوم   واثبُهــــــا الـــــــذي يثبُ
فيـــــا متجــــرِّداً للنـــــار   لا ستـــــــــرٌ ولا حجُبُ
ويـــــا متـــواتـــرَ الأمطـــار   لا عيٌّ ولا تعبُ
ويـــــا مستنفَـــــراً للمـــــوت   إنَّ مـــــــراحَنـــــــا خصبُ !
وإنَّ تـــــرابَنـــــا ممَّـــــا   تفيضُ مـــــــــــروءةً رَطِبُ !
لئن ضـــــاقت مســــالكهُمُ   فـــــأنت مســـــارنـــــا اللَّحِبُ
وأنت منـــــارُنـــــا العـــــالي   وأنت غـــــرارُنـــــا الـــــذَّرِبُ
ونحن نُقيـــــمُ ميلَتَنـــــا   إذا مـــــا غيـــرُنـــــا لَغِبـــــوا !
وإن شهـــــداؤنـــــا سقطـــــوا   مســـــاجِـــدَ تصبـــح التُّـــرَبُ !
فمنِ دمهم منـــــــائـــــرُهـــــا   ومن دمهم لهـــــــا قُبَبُ !

وهم اسمـــاؤنـــا الحُسنى وهم ميـــراثُنـــا اللُّجبُ !
فقـــل للفـــرس أيُّ غـــدٍ لهم في الفـــاو يُـــرتَقَبُ ؟
وقـــل للفـــرس أيُّ دمٍ لهـــم فيهـــا سينسكبُ ؟!
وأيُّ ردىً سيستشـــري ؟ وأيُّ لظىً سيلتهبُ ؟
يمينـــاً تستغيثَ الأرض والـــدمُ فـــوقها قِـــرَبُ
يمينـــاً تقشعـــرُّ الـــريـــح ممّـــا ينفثُ الـــوصَبُ
يمينـــاً تسكت الغـــربـــان إذ غـــربـــانهم نعبـــوا !
سيغـــدو المـــوت لا نبـــعٌ بـــه ينجـــو ، ولا غـــربُ

*

ويـــا صدام ، يـــا صـــوتَ العـــراقيين مـــا نـــدبـــوا !
ويـــا غضبَ العـــراقيين مـــا صـــالـــوا ، ومـــا غضبـــوا
ويـــا أنـــدى مـــروءتهم وأزكى مـــا لـــه انتسبـــوا
ويـــا صـــدام يـــا صـــدام يـــا ميمـــون ، يـــا حَـــدِبُ
ويـــا أمضى من الصّمصـــام حين تعشعش الـــرِّيَبُ
ويـــا مَن محضُ طَلْعتِـــهِ لكـــلِّ جمـــوعنـــا أُهَبُ
يظـــلُّ النخـــلُ يـــا صـــدام حـــول الفـــاو يحتـــربُ

يظـــلُّ بجــذعِــهِ العمــلاق   عمقَ الجـــــــوُّ ينتصبُ
ولا واللهِ ، لا ايــــــــران   لا العِمّـــــات ، لا الجُبَبُ
ستبقى حيَّـــــــــةٌ منهم   بملــــح الفـــاو تنســـربُ
عقـــــارِبُهُم ولـــــو مُلِئَتْ   بهــــا الــــوديــان والهَضَبُ
سنسحقُهــــــــا الى أنْ لا   يظــــلَّ لنَسلهــــا عَقِبُ
غـــداً ستـــريَن يـــا ايـــران   مَن منّـــــــا سينتحبُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٨٦

وللعراق بني عمي مهابته

بيضٌ وجـــوهُ بني عمّي كمـــا الغُـــرَرُ
فــلا قتـــامَ بني عمّي ، ولا كـــدَرُ
بيضٌ ضمـــائرُهم ، ملســاء ، جــارحـــةٌ
مثـــل المرايــا عليهــا الآه تنكســرُ
تعـــودُ من حيثُ جـــاءتْ وهي داميـــةٌ
أمـــا قلـــوبُ بني عمّي فتعتـــذرُ !

*

بيضٌ وجوهُ بني عمّي كـــأنَّهمـــو
بقاصرٍ من جميـــع الهمِّ قد قُصِــروا !
حيّـــاهم الله ، مُـــرخـــاةً أعنَّتهُمُ
رهـــواً إذا أقبلـوا رهـــواً إذا دبـروا
خـــالٍ وفـــاضهمـــو من كـــلِّ هـــاجسةٍ
حيثُ انتهى بهمـــو تطـــوافُهُم شخـــروا !

حيّاهم الله حيّا كلُّ بارقةٍ
فيهم، وإن تَكُ لا رعدٌ ولا مطرُ!
وما احتياجُ رمالِ العُرْبِ غافيةً
للماء، ما دام لا زرعٌ ولا ثمرُ!

*

بيضٌ وجوهُ بني عمّي ضمائرُهُم
بيضٌ دفاترُهُم بيضٌ بلى سَطَروا
فيها ولكنْ بماءٍ لا دليلَ له
ولا عليهِ، ولا يبقى له أثرُ!
مَن لي بآبائكم؟.. أم أنَّ محنتَنا
آباؤنا، فبنا من ذكرِهم خَفَرُ؟!
لأنَّهم ما رأوا أعراضَهم غُزِيَتْ
وأسبَلوا جفنَهم للنَّوم وادَّثروا!
مَن لي بأقلامِ مَن كانت محابرَهم
جراحُهُم، وبها الإبداعُ يأتزرُ
يَسْتَزِلُ الدَّمَ شعراً، كلُّ قافيةٍ
شُدَّتْ بمنبتِ نارٍ فيه يستعرُ

لا مَن قـوافيـهِ تلـوي من مَـذلَّتِها
أعنـاقَهـا ، ولهـا في ذلِّهـا وطَـرُ
اللّه يـا وطني كم تُستَفَـزُّ ولا
تنشقُّ أرضُـكَ ؟ .. كم تُـؤذى وتغتفِـرُ ؟!
حتى وأنت ذبيـحٌ ، كم بلحمـكَ من
نـابٍ تـربَّصَ من أهلي ، وكم ظُفُـرُ !
أوصـالُ جسمكَ ، لـولا خـوفُ بعضِهمُ
من بعضهم ، أكلـوهـا وهي تُحتَضَرُ !
ويـركضون خفـافاً ، لا لنصـرِكَ بـل
ليخـذلوا بعضَهم مـا قـامَ مـؤتمـرُ !

*

بيضٌ وجـوهُ بني عمّي ، عمـالقـةٌ
أبنـاءُ عمّيَ مـا مـالـوا ، ومـا خطـروا !
تهـابُهم قممُ الـدُّنيـا ، فتقلقُ إن
غـابـوا ، وتخشـع إجـلالًا إذا حضـروا !
لأنَّ أبنـاءَ عمّي كلُّهم زَرَدٌ
محبـوكـةٌ ، ولجسمٍ واحـدٍ ضُفِـروا !

لأنَّهم، وهمو غاباتُ أذرعةٍ
رمحٌ فريدٌ، وسيفٌ واحدٌ ذكَرُ!
أولاءِ أبناءُ عمّي، لا أبا لهمو
لو يستطيعون عَدَّ الأذرُعِ انشطروا!
فأصبحتْ كلُّ كفٍّ في عداوتِها
لأختِها عبرةً في الناس تُعتَبَرُ!

*

أبناءُ أعمامِنا، من أربعين خلَتْ
ونحنُ نُطعِمُ والنيرانُ تشتجرُ
ما نالت النارُ فيكم تاجَ سنبلةٍ
إلّا سعى بيدراً منّا لها البشَرُ
أضلاعُنا كلُّها نبقى نجودُ بها
ضلعاً فضلعاً وهولُ الموتِ يدَّجِرُ
أبهى أويلادِنا حنَّوا دمشقَ دماً
وكادَ، لولا دماهم، يصدقُ الخبَرُ
وها دمشقُ، وأختامُ الدِّماءِ بها
تبكي، وبغداد ينزو حولها التَّترُ

ويخســـــأون ففي بغـــــداد وازرةٌ
بـــالف وزرٍ، ســوى مــا عندهــا، تـــزرُ
لكنّنـــــا يـــــا بني عمّي يُقطِّعُنـــــا
أنَّ الأعـــادي لنـــا من أرضكم عبـــروا
وأنّهم بكمـــو جـــاءوا، فنحن نـــرى
آثـــاركم في خطـــاهم كلّمـــا عثـــروا!
حتى أكـــاد، ومن بـــؤسٍ يُخيّـــلُ لي
بـــأنّ وجهـــاً بـــوجـــهِ راح يستتـــرُ!

*

ويـــا بني عمّنـــا، لسنـــا نُـــذكّـــرهم
لكنْ مكـــابَـــدةٌ تُستَنطَقُ الـــذِّكَـــرُ
إنّـــا لَنســـالُ عن أرضٍ مكـــابَـــرَةً
تقـــولُ: مـــا ضـــاءَ في ليلي بكم قمـــرُ
ليستْ عـــراقيّـــةً هـــذي الصّـــدورُ إذن
لـــو أنّ ضلعـــاً بهـــا لـــلأهـــل يعتـــذرُ
دمـــاً سقينـــا، وقـــد واللّـــهِ أحـــرُقُنـــا
لكم بهـــا كـــانت الأعمـــارُ تُختصَـــرُ

هـــا كـــلُّ شعـــرِ العـــراقيين ملحمـــةٌ
بكـــلِّ تـــاريـــخ هـــذي الأرض تـــزدخـــرُ
فـــــأين أنتم بني عمّي ؟ .. وأضعَفُكُم
لـــه لســـانٌ على أوجـــاعنـــا بَطِـــرُ
لكنّـــهُ ، ونيـــوبُ الفُـــرسِ تنهشُنـــا
كـــأنَّمـــا فيـــه من إغضـــائِـــهِ خَصَـــرُ
الحمـــدُ لله ، أصبحنـــا وأكـــرمُنـــا
من ليس يشتُمنـــا إن أحـــدَقَ الخَطَـــرُ
الحمـــدُ لله ، أصبحنـــا وأرحُمنـــا
من لا يجـــورُ علينـــا حين يقتـــدرُ
الحمـــدُ لله ، أصبحنـــا وأرذلُنـــا
لا غيـــره ، مَن يُعـــادينـــا ويفتخـــرُ !

*

أبنـــاءَ عمّي ، ســـلامُ اللّـــهِ نـــرسلُـــهُ
لكـــلِّ أرضٍ بهـــا أطفـــالُكم نَفـــروا
قـــولـــوا لهم إنَّ بغـــداد التي قـــرأوا
تبقى ومن عمـــرِ أهليهـــا لهم عُمُـــرُ !

قـــولـوا العــراقُ منيــعُ رغمَ صَــدْعَتِــهِ
بــــأهلكم ، وبكم أنتم لــــــه عُــذُرُ
أبنــــاءَ عمّي ، وخـــافــوا من خطيَّتهم
لا تكــذبــوا ، إنَّ قلبَ الطفـــلِ يغتفـرُ
لكنَّــــه حين يـــدري أنَّ والـــدَهُ
يخـــونُـــهُ ، يلتـــوي ليّـــاً وينفطـــرُ !
أمّـــا العــــراق ، وأمّـــا أهلُـــهُ ، فلهم
زهـــوُ الفــراتين والأمـــواجُ تنشطــرُ
شطـرَين عنهم ، فشطـراً يستحيـــلُ دمـاً
لهم ، وشطـــراً سيـــوفـاً حيثُمـــا زأروا !
وللعــــــراقِ بني عمّي مهـــــابتُـــــهُ
هـــو العـــراق ، قضـــاءُ اللّــهِ والقَــدُر !
هـــو العـــراقُ بني عمّي ، ونحن بـــهِ
بمحضِ قـــولِ « عـــراقيّـــون » نفتخــرُ !
عـــذراً بني العمّ لا زهـواً بـــأنفُسنـا
بـــل بالـدِّماء التي في « الفـاو » تنهمـرُ

بمن شـــواهقُ كـردستـــان مـــا سجـــدتْ
إلّا لهم ، وعلى هـــامـــاتهـــا زخَـــروا
فظـــلَّ ممّا جـرى في الصَّخـرِ من لَهَبٍ
ومن دمـــاءٍ يُبـــاهي بعضَـــهُ الحَجَـــرُ !
بهـــؤلاءِ بني عمّي بمن وقفـــوا
سبعين شهـــراً على الفولاذ مـــا زفَروا
إلّا دمـــاً أو لهيبـــاً بـــالـذين لهم
في كـــلِّ قلبٍ عـــراقيٍّ هـــوىً غَضِـــرُ
أبنـــاءَ عمّي ، ومُـــذْ كنّـــا أُصَيْبِيَـــةً
كنّـــا نُغنّي لهـــذا الجيش ننتظـــرُ
يـــومَ الخميس ، عصـــافيـــراً مبلَّلـــةً
نصطفُّ فجـــرَ الشتـــاءِ البـــردُ ، والمطَـــرُ
والبيـرقُ الخـــافقُ المـــزهـــوُّ شـــاخصـةً
عيـــونُنـــا ، ويكـــادُ الـــدَّمـــعُ ينهمـــرُ
ونحن ننشـــدُ ، والأضـــلاعُ راجفـــةً
« الجيشُ سورٌ .. » ويعلو الصوت .. ينتشرُ

حتى نخالَ الدُّنا طُرّاً تشاركُنا
نشيدَنا وضفافُ النهر والشجرُ
وها كبِرْنا بني عمّي، ونحنُ نرى
صدقَ الأناشيدِ فيهم كلّما انتصروا

*

هو العراق، وندري أنّكم معنا
في زهونا في شَجانا بالذي بذروا
بأرضنا نحن ندري، غيرَ ناسلةٍ
من التّوجُّعِ فيها واترُ يتِرُ
ألَم يزلْ اضعفُ الايمان حاديَكم؟!
حتى الحجارُ يكاد الآن ينفجرُ
فأين أنتم بني عمّي؟.. ونخوتُكم
خوفٌ دهاها ـ معاذَ الله ـ أم خدَرُ؟
وللعراق بني عمي مهابتُهُ
هذا هو الآن منه الوِرْدُ والصَّدَرُ
لكنْ يعزُّ، وللتاريخ ذاكرةٌ
جيلًا فجيلًا غداً تروي، وتدّكِرُ

يعـــزُّ أبنـــاءَ عمّي أن يُقـــالَ لكم
كـان العـــراقُ وحيـــداً والعِـــدا كُثُــرُ
بـل كنتمـو بعضَهم هـذي خنـاجـرُكم
على رقـــاب العـــراقيين تـــأتمـــرُ
وللعــــــراق بني عمّي مهـــابتُـــــهُ
هيهـــات سيفُ صـــلاح الـــدين ينكســـرُ!
ولم تـــــزل للعـــــــراقيين هيبتُهم
ولم تـــزل بهم الأهـــوالُ تنـــزجـــرُ
هِيَ دوحـــةٌ مُذْ نبـــوخـــذ نصَّـــرٍ سَمَقَتْ
وهـــا نراهـــا بهـــا صـــدام يعتمـــرُ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٩٨٦

كنا نسميه شوقا

« ألقيت في الاحتفال بعيد المرأة العراقية »

الكبرياءُ الذرى ، والحسنُ ، والتَّرَفُ
والحبُّ ، والمجدُ ، والايثار ، والشَّرفُ
وقفتَ والشِّعر تزهو في مدارجها
فانظْر على أيِّ صرحٍ باذخٍ تقفُ !
والكبرياءُ الذرى ، والحسن أيَّ مدىً
يمضي بنا ، لو نسينا نفسَنا ، الشَّغَفُ !
وكيف ننسى ، وضوءُ اللّهِ أسطعُهُ
هذي الوجوه ، وهذا النّاصعُ الأنِفُ
هذا الجبينُ الذي نفنى بأجمعنا
ولا نرى فيه مجدَ الشمسِ ينكسفُ !

*

يا أختَ نخل العــراق اللاتميـلُ بـهِ
ريـــــحٌ ، ولكنْ دلالًا يلعبُ السَّعَفُ !
حــلاوةَ التَّمـرِ أو أحلى ، وجـوهـرُهـا
مثــلُ النَّــواةِ عليـــه السِّنُّ تنقصفُ !
يــا بنتَ خير أبٍ   يـا أختَ خير أخٍ
يـــا أمَّ أكـرمِ مَن في أرضهم نَـزَفُـوا
وأنتِ عـــدلَهمـــو طــرّاً فقــد وجفتْ
كـــلُّ القلـــوب ، وهـــذا القلبُ لا يجفُ !

*

يــا أختَ صدام   كـلُّ الـزَّهـوِ أنَّ لنـا
من حُــرِّ وجهكِ مــا نهـوى ، ومـا نَصِفُ
لقــد عشقنـــاكِ بـذلًا لا حــدودَ لَــهُ
مـــا شـابَـهُ نـدمٌ يـومـاً ، ولا أسَفُ
بلى ، يـوشِّــحُ بعضُ الحــزنِ هيبتَــهُ
حينـــاً   وبـالبـدرِ حينـاً يعلَقُ الكلَفُ !

*

يا أختَ صدام تـــاريخٌ فـــأنشـرُهُ ؟
أم حـــاضرٌ كـلَّ يومٍ منـــه نـرتشفُ ؟
ألستِ بنتَ التي « لـولَتْ » لـواحـــدهـا ؟
« هزَّتْ ، ولولَتْ » .. بَراها السُّهدُ والشَّظَفُ
حتى اذا جـــاء محمـــولًا يفيضُ دِمـــاً
كـــانَت هـــلاهلُهـــا والنَّـــار تنـــذرفُ !

*

ألستِ من خفقتْ يـــومـــاً عبـــاءتُهـــا
في « وَقعةِ الجسر » تَهدي زحفَ من زحفوا
حتى إذا اختَـــــرَمتْها النـــار ، وانكفـــأت
ظلَّتْ أهـــازيجُهـــا مجـــداً بـــه هتفـــوا !

*

وأنتِ هـــا أنتِ يبقى الفرسُ عمرَهمو
قلـــوبُهم منـــكِ في الأهـــوار تـــرتجفُ !
أيعلمـــون ، وقـــد ذاقـــوا مـــرارتَهـــا
وبعضُ غيظـــكِ هـذا مـــا بـــهِ خُسِفـــوا

مـــاذا تُعــدُ لهم بغــداد من رُجُمٍ
وَمــا تخبّئُــهُ الحــدبــاءُ والنَّجفُ!
تــاللّهِ تصبحُ هـذي الغــارفاتُ هـوىً
كــواســراً من دمــاء الفــرس تغتــرفُ!

يا أختَ عشتـار إنَّ الشِّعـرَ أصعبُـهُ
مـــا ظـلَّ يــوميءُ عن بعـدٍ، ولا يقفُ!
قــد كــان لي ذاتَ يــومٍ أيُّ مــزدَلَفٍ
كــان الصِّبا رغمَ ذاك البــؤس يــزدلفُ
كنّــا نسمّيــه شــوقــاً مــرّةً، وهــوىً
نــأتي ذنــوبــاً صغيــراتٍ ونعتــرفُ!
تُــرى كَبِــرْنــا؟.. أم انَّ الشعـرَ من قلقٍ
أمسى يرى ثم يدنو ثم ينحرفُ؟!

❁

نــذرٌ لمجـدِكِ مــا قــالــوا، ومــا وصفــوا
سيّــان مــا اتّفقــوا فيـهِ، ومــا اختلفــوا

بقيتِ أنتِ، على ما قيل، لؤلؤةً
محارُها هذه الأجفان لا الصَّدَفُ!

*

يا زهوَ كل العراقِ الليسَ يُدركُهُ
ما يُبدعُ الشعر، أو ما تُفرغُ الصُّحُفُ
إلّا القلوب وعندي من خَوافقها
قلبٌ إذا جُزْتِ خطفاً فيه ينخطفُ!
يُقال عنه كثيرٌ وهو في شُغُلٍ
بكلِّ شيء، سوى أوجاعِهِ، كَلِفُ
وما الذي أبقت الدنيا لصاحبها؟
شابت نوائبُنا والناس ما نَصَفوا!
جرى بنا العمرُ طوفاناً، وزورقُنا
في عاصفٍ ثائرِ الأمواج ينجرفُ
لكنّنا، ورَزايانا نكابرُها
ندنو دنوّاً لمرسانا، وننصرفُ!

*

تحيـــةٌ لـــكِ يـــا نبعـــاً بـــأضلعنـــا
عليــــه خيمــــةُ كـــلِّ العمـــر تعتكفُ
يظـــلُّ عيـــدُكِ أبهىٰ مـــا يُـــذكِّـــرُنـــا
بـــأنَّ في الأرض ســـرّاً عنـــده نقفُ !

*

نشرت في جريدة اليرموك بتاريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٨٦

نهز فيهم نخيل الروح

يوماً ستسألُنا الانوارُ والظُلَمُ
ستسألُ الريحُ، والامطارُ، والاكَمُ
هذي أضاءت، وهذي أظلَمَتْ، وَسَرَتْ
هذي لمَنْ؟.. ولماذا هَلَّت الدِّيَمُ
إن كان كلُّ شهابٍ قبل مولدِهِ
مَدارُهُ، وهو في المجهول، ينحطمُ!
إن كانت الارضُ، من هولٍ، أجنَّتُها
سودُ الطَّوالعِ في الارحامِ تنفطمُ!
وقيلَ بل غيمةٌ سوداءُ مقبلةٌ
ملعونةُ الماء، حتى رعدُها وَرَمُ
كأنَّها عقربٌ جَمٌّ ذَنائبُها
كلُّ الذين اقشعَرَّتْ فوقَهم يَتِموا

ما أنزلتْ سُمَّها يوماً بآهلةٍ
إلّا رأيتَ بنيها كلّهم عَقِموا
وقد أناختْ على ايران لستَ ترى
عوداً بايران إلّا وهو ينقصمُ
وها أتتْ فانتفضنا ، كلُّ منجردٍ
للموتِ أحداقُهُ من لَمْعِها سُدُمُ
أمّا العراقُ فَلا إنَّ العراقَ لَهُ
مهابةٌ بحدودِ اللّهِ ترتطمُ !
أما العراقُ فلا سيفُ العراقِ إذا
ما هِيضَ سيفٌ ، ودمُ الواترين ثَمُ !
ها نجمُنا وَسْطَ غيمِ الموت نزرعُهُ
وإنّنا نتحدّى كيف ينثلمُ
تنحاشُ عنه غيومُ الكونِ من هَلَعٍ
أو من هوىً وهو في الحالَينِ يبتسمُ
خمسون جيلًا وهذا الليلُ يرقبُنا
مثلَ الفَراشِ على الأضواءِ نزدحمُ

حتى نمـوتَ احتـراقـاً فَـرْطَ سَـوْرَتِنـا
لكنْ يشعشـــعُ فينـــا الضَّـوءُ والقيَمُ
إنّـــا بنـو العـزِّ، تــأتينـا مقـاتلُنـا
وجهــاً لـــوجـــهٍ، ونـــأتيهـا ، فنلتحمُ
حتى إذا مـــا انجلَتْ تبقى مَسـاقطُنـا
بـــالمجـــدِ والـــدمِ لا بـــالمـوت تلتثمُ
تبقى رؤوسُ العـــراقيين عـــاليـــةً
تعتـــامُهـا النـــار لا يعتـــامُهـا الهَــرَمُ

*

النـــاسُ ما شيَّدوا ، والناسُ مـا هـدَموا
فـــاداهم الخُلْـــدُ ، أو نـــاداهم العـــدَمُ
تبقى قـــوافلُهم ، مـــا بين مـــولـــدِهـا
ومـــوتِهـا ، حـــاديـــاهـا الـــزُّهـوُ والألَمُ
وصهـــوةٌ للتحـــدّي لا يفـــارقُها
صهيلُهـــا ، وهي لا ســـاقٌ ، ولا قَـــدَمُ
ولا جنـــاحُ ، ولكنْ طيفُ مُـــرزِمَـــةٍ
وصـــرخـــةٌ ، وجـــوابٌ كلُّـــهُ شمَمُ

انَّ التي ندبَتْ بالامسِ معتصماً
كانت على الحَدْسِ تدري أين تعتصمُ !
وأعظمُ الناسِ مَن يأتيك منتخياً
وما صرَخْتَ ، ولكنْ صاحَت الشّيَمُ !
بمثْلِ هذا انتخى صدام نخوتَهُ
كالصَّقر أفراخُهُ من حولِهِ دُهِموا
فارفَضَّ عن قَسَمٍ ، سِتُّ مضَيْنَ ولم
يبرحْ مهيباً ، نديّاً ذلك القَسَمُ !

*

يوماً ستسألُنا الأنوارُ والظُّلَمُ
ستسألُ السُّوحُ ، والأنقاضُ ، والرِّمَمُ
أكان فيكم على ساسان موجدةٌ ؟
واللّهُ يعلمُ ، والتاريخ ، والعجَمُ
أنّا دفَعْنا بهُدبِ العين جمرتهم
جيرانُنا ، ومن الاسلام نحتشمُ
حتى رأينا بأنَّ الدّينَ عندهمو
مَواجعٌ قَدْرَ ما هُوْ عندَنا نِعَمُ

القـــــادسيَّـــــةُ من ألفٍ فجيعتُهم
ونحن نــــرفضُ إلّا أنَّهـــــا رَحِمُ !
نهـــزُّ فيهم نخيـــلَ الـــروح عـــلَّ بهم
بقيَّـــةً من تُقى سلمـان لا سَلِمــوا !
ما في الجذوع سوى السِّلّاء إن لُمِسوا
أدمَوا ، وإن تُـرِكـوا فـالـواخـزون همـــو !
هـا هم ، وستٌّ على الطاحـونةِ انصـرمَتْ
وكــــلُّ أعمـــارهم فيهـــا ستنصـــرمُ
وكــــلُّ دعـــوةِ داعٍ عنـــدَهم سلَفـــاً
عنهــــــــا ازورارٌ ، وفي آذانهم صَمَمُ
ويحلمـــون ببغـــدادٍ بـــرامكـــةً
بمجـــد هـــارون في بغـــداد ينهـــدمُ
ويخســـأون ، فبغـــداد التي عـــرفـــوا
تبقى تعلّمُ كســـرى كيف ينهـــزمُ
أمّـــا مقـــامُ أبينـــا ، لا أبـــا لهمـــو
فـــأين هم منـــهُ ذاك الطـــاهـــرُ العلَمُ

دمـــاؤه شـــرفُ الـــدُّنيـــا ، شهـــادتُـــهُ
نبـــراسُنـــا ، وهـــوانـــا ذلـــك الحـــرَمُ
يُـــزايـــدون على أجـــدادِنـــا ولهم
على رقـــــاب بنيهم خنجـــــــرٌ نَهِمُ
ويخســـأون ، فمـــا في كـــربـــلاء لهم
ولا ببغـــداد إلَّا واصـــمٌ يَصِـــمُ

*

ستٌّ مضَيْنَ ، وهـــذا سَيلُنـــا العَـــرِمُ
هـذي السَّرايا ، وهـذي الخيـــلُ واللُّجُمُ
هـــذي الجبـــالُ من الفـــولاذ ، والـــرُّجُمُ
والسُّـــود ، والبيض ، والأدغـــالُ ، والأجَمُ
والـــواقفـــون عمـــاليقـــاً ، حشـــودُهمـــو
مـــدَّ الحـــدودِ كمـــوجِ البحـــرِ تلتطمُ
وخلفَهم ســـاتـــرٌ ثـــانٍ ســـواعـــدُهُ
عظـــامهـــا سَبَطـــانُ البيض والقلَمُ !

أأنت هــــذا أم الحــــوّافـــةُ العجَمُ ؟
الآن نبصـــرُ ما قـــالــوا ومـــا زعمــوا

*

بــــالجاثمـــاتِ على الآكام ، شـــاخصـــةً
أعنـــاقُها ، وبنـــوهـــا قطُّ مـــا جثمــوا
إن أرعـــــدَتْ تُـرعـــد الــوديـــانُ من هَلـعٍ
أو أمسكتْ أمسكتْ أنفـــاسَهـــا القممُ !
بــــالمــــوغَــــراتِ منـــاقيـــراً وأجنحـــةً
إذا أغـــــارتْ شهيقُ الـــريــــحِ ينكتمُ !
وتــــرجفُ الأرضُ في ايـــران راعشـــةً
أوكـــارُهـــا ، أيُّ وكـــرٍ ســـوف يضطـــرمُ ؟
تخيَّلـــــوا أنَّ بُعْـــــدَ الأرض يعصمُهم
منهـــــا ، وأين طـــريـــدُ المـــوت يعتصمُ ؟!
كـــانت « سري » قبــل شهرٍ جـدُّ مـــاثلـــةٍ
ثمَّ اختفى الرَّسمُ ، لا خَطُّوا ، ولا رسموا
وهم سكـــوتٌ ، فما صـــاحوا ، ولا شَتَمـــوا
كـــأنَّهم مـــا رأوا شيئـــاً ، ولا علمـــوا !

وقبلَهـا جعلتْ من «خَـرَجَ» منعطَفـاً
وفـوق طهـران منهـا واسمٌ يسمُ

*

بكبـريـاء العـراقيين إن غضبـوا
وكبـريـاء العـراقيين إن حلمـوا
بهَـولهم في مهَبِّ المـوت إن عـزمـوا
وحَـولِهم ما أبـاحـوا فيـه أو كظمـوا
بكـلِّ هـذا سنـاتيهم، وأعظمُـهُ
هـذا الـذي يتنـاهى عنـدَهُ العِظَمُ
صـدام والمجـد، بـل صـدام والكـرَمُ
صـدام والبيض، والـرايـاتُ، والهممُ
صـدام إن زوجِموا صـدام إن زُحمـوا
صـدام إن يبـدأوا صـدام إن خَتموا
طـوقٌ من الهَـول أرسى حـولهم قَـدراً
كـأنَّما هم بهـذا الاسم قـد وُسِمـوا!
فـإن بـدا منـه طيفٌ في مـواضعهم
قلـوبُهم منـه في أقفـاصِهـا تَجِمُ!

هـــذا الـــذي جـــدُّهُ في كـــربـــلاء لـــهُ
منـــارةٌ حـــولهـــا الأفـــلاكُ تنتظمُ !
هـذا الـذي ، مفضيـاً ، في سرِّ هيبتِـــهِ
تبقى لألفِ عيـــونُ الـــدَّهـــرِ تختصمُ !
بـــه ، وبـــالـــواقفين الآن كـــلُّ فتىً
مـــا بين عينيـــه مجـــدُ الله يـــرتسمُ
بهم جميعـــاً غـــداً تعلـــو بيـــارقُنـــا
ومثلمـــا نحن نهـــوى ســـوف تنحسمُ

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٨٦

رجـز في المعـركة

(*)

تقـــدَّمي يـــا قـــوَّةَ الحسينِ   تقـــدَّمي فـــأنتِ رَدُّ الــدِّينِ
شدِّي على الاعناقِ واليــدَينِ   حتى تَـري شـرائمَ الخميني
كـومَ جـرادٍ جـاحظِ العينينِ   محتــرقٍ فـوق ثـرى النهـرينِ
تقـــدَّمي يـــا قـــوَّةَ الحسينِ

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٨٦

(**)

نحن هنا يا أيُّهــا المُضِلُّونْ   نحن هنـــا منـــازلٌ وأهلــونْ
مُذْ كُوِّرَتْ نحن هنـــا مقيمونْ   واللّهِ يا زمـــرةَ هذا المـأفون
قبـورُكم نحفـرهـــا في « مجنـونْ » !

*

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٨٦

لا والـذي خـلق

لا ، والـــــــذي خلَقْ والليـــــــلِ والفلَقْ
وحقِّ كــلِّ الـــدَّم والاوجـــــاعِ والأرَقْ
وحقِّ عينيـــكَ ومـــا في العيـــن من ألَقْ
لتُغلقَـــنَّ الارضَ عنهم أيَّ مُنغَلَـــــقْ
فــلا يـرى هـاربُهم صـــدعـــاً ولا نفَقْ
واحــدُهم يبصــرُ حتى ظلَّـــه احتـــرقْ !
قبلَ الــرَّدى يمــوتُ من هـــولٍ ومن فَـــرَقْ
وحقِّ عينيــــك ومـــا في العين من ألَقْ
ليُصعَقُنَّ في الخـــدود أيَّ مُنصَـــعَقْ
حتى يَـروا كــأنّمـا الـ سَّمــــاءُ من حنَقْ
جنــاحُهـا بهَــولِــهِ عليهـــم انطبـــقْ !

ولن يُثيـــــروا شعـــــرةً فينــــــــــــا من القلقْ
لا والذي خلقْ !

*

صـــــدام ، كــــلُّ خـافقٍ حيٍّ ومـــــــــــا خفَقْ
وكـــــلُّ غيمٍ بـــــرقُـــــهُ يُعـــــرَفُ إن بــــــرَقْ
ونحن أدرى حــــــولَ مَن قـــــــد ضـــاقت الحلَقْ
إنْ هيَ إلّا صـــــولـــــةٌ للــــــرُّشـــــدِ والنُّـــــزَقْ
لَيُصبحَنَّ بـــــــــاللظى وبـــــالـــدَّمِ الغَـــــرقْ
ومــــــا بنــــــا من رهبـــةٍ ولا بنــــــــــا رهَقْ
واللّـــــهِ ســـــوف تغتـــدي حشــــــــودُهم مِــــــزَقْ
ســــوف يَـــرونَ الفجــرَ من دخــــــانهــــــا غسَقْ
يشتعـــــلُ الصُّلْبُ كمــــا يشتعـــــــلُ الــــــورَقْ !
نسحقُهم سحقـــــاً فـــــلا نُبقـــــي لهم رمَـــــقْ
وأنت في قلــــــوبنـــــا وأنت في الحــــــــــــدَقْ
تــــــرى إلى سيف العـــــراق كيــــف يُمتَشَــــــــــقْ
وكيف بـــــأسُ جنـــــدِهِ صـــــــدام قـــــد صـــــدَقْ

نـــــذرٌ لعينيـك مَسـيــــلُ الـدّم مـــــا دفَـقْ
يبَقى العـــــراقُ الحــــرُ بـــابَ العـــزِّ لا تُــدَقْ
وســـــــــوف لا ينطــقُ إلّا المــوت إنْ نطَـــقْ!
لا والذي خلقْ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٦

سيصير وجه الأرض أندى

أبشِـــز ، فـــانت أعـــزُّ بنـدا وأشـــدُّ في الحـدَثـان زنْـدا
وأحـــزُ في الجُلَّى دمـــاً وأبـــرُ عنـد الـرَّوع جُنـدا
أبشِـــز فمن جَيَشـــانهـــا ·سيصيـــرُ وجهُ الأرضِ أنـدى
يُسقى بهم عَفنـــاً ، ويشـربُ من دمـــائـــكَ أنت رَنْـــدا
ويضـمُّهم جيَفـــاً على أحقـــادهنَّ كُمِـــدْنَ كَمْـــدا
بينـــا يضمُّـــكَ بـــذرةً للخيـــر أعـــراســـاً ومجـدا

*

أبشِـــز فـــإنَّ رؤوسَهم لَحَمَ الخُـــواءَ بهـا وسَـدًى
نضجت رؤوسُ الخـــائبين فـــأمعني يـا نـــارُ حَصْـدا
شـــدّي فـــإنَّ من المـــروءةِ أن نشـــدَّ اليـــوم شـــدّا
ونجـــدَّ في طلب الـــرَّدى إنَّ الـــرَّدى يـا نـــار جَـــدّا
شـــدّي ، فمن ألفٍ عـــرفنـــا أن نمـــوت أبـــاً وجَـــدّا
وتعلَّمتْ منّـــا الأنـــامُ بـــأنَّ للغَلَيـــان حَـــدّا

يـــا نــارُ إنَّ دمَ العــراقيين أكـــــرمُ من تصَــــدّى
وأبـــرُ من أهـدى، وأصـدقُ من أثــــار، ومن تحــدّى
أبشِــــرْ فهـــذا أكثـــرُ الهَيَجـــان مَــلامَـــةً وحقـــدا
هـــذي نفيضـــــةُ سُمِّهِم ألجمتَهـــا بـــرقـــاً ورعـــدا
ونفضتَهم نفضـــاً هَـــرْستَ جمـــوعَهم خَبْطـاً، وعَضْـدا
ونثَــــرتَهم أكـــوام لحمٍ نُضِّـــدتْ في الطين نَضْـــدا
هـــذا هــو الحسمُ الــذي وعــدوا بــه ايــران وَغْــدا
خُتِمَتْ ضغـــائنُهم بـــهِ جثثـــاً على الأوحـال رُبْــدا
خُتمَتْ بهم أســـــــرى، اذلاّءَ، يُـــراح بهم ويُغـــدى
خُتِمَتْ بهم عــــاراً بـــهِ ايرانُ عُمْرَ الـدَّهـرِ تُحـدى

*

هـــذا العـراق هـــو العـراقُ إذا بـــه الغضَبُ استبـــدّا
وإذا طغى طـــوفـــانُـــهُ وسعى بـــه شِيبـــاً ومُـــرْدا
تـــاللّـــهِ لن نُبقي لهم من كـلِّ مـا جمعـــوه وغــدا
إلّا أسيـــراً، أو كسيـــراً أو حسيـــراً فـــرَّ عبـــدا
يـــا بصــرةَ الـدُّنيـا ويـــا «أمّ الـرَّصـاص» عَظُمتِ وَقْـدا

وكـــرُمْتِ في الجُلّى دمـــاً   وسلمتِ يـــوم الـــرَّوعِ رَدّا

أنـا ساهـرٌ، أنـا والعـــراق   ومقلتي للفجـــرِ تنـــدى
أنّي أفـــورُ هنـــا دمـــاً   ويفـــورُ فـــوقَ الحـدُ فـــردا
مستـــوحَـداً هـــو والقيامـــةُ   يطـــردُ الأهـــوالَ طـــردا
يـــا سيّـدي   يـــا سيّـدي   يـــا موطني الحَـدِبَ المفـدّى
نفسي فـــداك، وكلُّنـــا   نفـــديـــكَ   آبـــاءً وولْـــدا
نـأتيك حـــدُّ نـرى الحيـــاة   هبـــاءةً لهـــواك تُفـــدى
نـــأتيـــك حـــدُّ عيـــونُنـــا   لمعـــانُهـــا لسنـــاكَ يُهـــدى
يـــا سيّـــدي أنت العـــراق   فهـل عـراقٌ منـــكَ أجـدى ؟
هـــل غيرَ دجلـــةَ دجلـــةٌ ؟   ويـــلا فراتِـكَ كيف يُغـدى ؟؟
كيف الحيـــاةُ بلاك .. ؟ .. بـل   كيف الممات   وأين يُردى ؟!
ويـــأيِّ أرضٍ غيـــر أرضــك   تـــرتضي الأجســـادُ لحـــدا ؟
يـــا سيّـــدي، يـــاذا النُّعيم   الثّـــرّ، والخيـــرات تُســـدى
يـــا أكـرَمَ الكـرمـــاءِ، يـــا   أبهى بـــلاد الله رِفْـــدا
إن يـــدخلوك   ولا، ولـــو   حصـــدوا العـراقيين حصـــدا
أجســـادُنـــا القتلى ستنهضُ   في وجـــوه الفـــرس سَـدّا

دمُنا الذي يجري يجيشُ   بوجههم غضَباً ألَدّا
وستشهدُ الدُّنيا بأنَّ   دم العراقيين صَدّا !
وستشهد الدُّنيا بأنَّ   دم العراقيين صَدّا !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٦

يا جند صدام

قُــلْ لي ، ويـومُـكَ هـذا أيُّهـا البطَـلُ
أيّ احتفـالٍ بخطِّ النــار تحتفــلُ ؟!
كم ألف رشـاشـةٍ تعلـو هـلاهلُهـا ؟
كم مـدفعاً عِـذلَ شِعرِ الأرض يـرتجلُ ؟!
وكيف تخطــرُ دبّــابـاتكُم أُنُفـاً
تكـادُ شُـرفتُهـا مِ الأرض تنفصـلُ !
زهـواً مـدافعُهـا ممّـا تخـوضُ لظىً
كـأنّهـا بمَسيل النـار تغتسـلُ !
والمـوفيـاتُ أبـابيـلًا مـدوّيـةً
يلـوذ منهـا بـأدنى سفحـه الجبـلُ !
ما غاص في الليـل سربٌ من قيـامتها
إلّا رأيتَ نجـومَ الليـلِ تبتهـلُ !

ولا استحمَّ بضـــوء الشمسِ معـــدنُهـــا
إلّا وكـــادت بـــه الآفـــاقُ تشتعـــلُ
القـــاصماتُ ظهـــورَ الفُـرس مـــا حشـــدوا
والحـــاصداتُ رؤوس الفـــرس مـــا شتلـــوا
أيُّ احتفـالٍ لهـــا في يـــوم نخـوتِهـــا ؟
وأيُّ طـــوفـــانِ نـــارٍ ســـوف ينهطـــلُ ؟!

*

قُـــلْ لي ، ويـومُـــكَ هـــذا أيُّهـــا البطـلُ
أبـــالسِّنين حبـــالُ العمـــرِ تتَّصـــلُ ؟
أم أنَّ يـــوماً كمـــا « اليومُ العظيمُ » بـــهِ
أعمـــارُ نصفِ جيـوشِ الأرض تُختَـــزَلُ ؟!
جيشَ العـــراق ، وكم أرضـــاً تـــدوسُ على
رقـــاب أطفـــالِهـــا الأوغـــادُ والسَّفِـــلُ
وللجيـــوش بهـــا عيـــدٌ وطنطنـــةٌ
ولستُ أدري بمـــاذا عيَّـــدَ الهَبَـــلُ !
بالعار ؟ .. أم باحتلال الأرض ؟ .. أم بدِما
أهليهمـــو وبـــأيـــديهم همـــو قُتِلـــوا

ويَخطـــرون بشـــاراتٍ ، وأوسمـــةٍ
وتلمـــعُ الهـــام ، والأقـــدامُ ، والحُلَـــلُ
ولا تـــرى خجـــلًا يعلـــو وجـــوهَهمـــو
بينـــا بكـــلِّ وســـامٍ يشهقُ الخجـــلُ !

*

جيشَ العـــراق ، ومُـــذْ سُمِّيتَ ليس ينى
بمحض ذكـــركَ مُيـــلُ الارض يعتـــدلُ !
من محضِ طيفِـــكَ إذ تُنخىٰ لـــداجيـــةٍ
يُحَسُّ أن شِبـــاكَ الهَـــولِ تنتقـــلُ !
وأنت تســـألُ يومـــاً عن عـــدالتهـــا
لكي تخوض فقُلْ للفُرس هل سألوا ؟
مـــا قيلَ عن جنـدِكَ الابرار حيث هـوى
تنـــديلُهم بين أنيـــاب الـــرَّدى : قُتِلـــوا
حـــاشـــا .. يُقال العراقيـــون قـد ثبتـــوا
فـــاستُشهـدوا ، ويظـــلُّ المـذنبَ الاجَـــلُ !

يا جُندَ صدام ، يا من فوق أرؤسِهم
تظلُّ تشتبكُ الراياتُ والأسَلُ
المجدُ ، والهيبةُ التُغضي لموكبها
كلُّ العيون وزهوُ الزَّهو والأمَلُ
وهالةٌ جمعت من كلِّ معركةٍ
جلالَ خوفٍ وحبٍّ هكذا البطلُ !
عُفرَ الفضاء إذا ما جاشَ جائشُهم
للطَّيرِ فيه حفيفٌ حيثُما نزلوا
وللتراب ابتهالٌ تحت أرجلهم
كأنْ عليهم سِقاءُ الأرض يتَّكلُ !
مجرى الفُراتين ما تستنزفون بها
من الدماء ، ومجرى غيرِكم وَشَلُ
للَّهِ أنتم ، وأنتم مجدُ أمَّتِنا
لأيِّ إبداعِكم إبداعُنا يصلُ ؟!

*

يا واهبين العِدا في كلِّ ملحمةٍ
إسماً يُسمَّى به طوفانُها الجَلَلُ

خمسون ألفاً لها « اليومُ العظيمُ » غـدا
كنـايـةً ، فهمـو قتـلاهُ مـا سُئِلـوا !

*

يـا جنـدَ صـدام ، والأعمـارُ بـاقيـةٌ
بـالباقيـات ، وإنْ أصحـابُهـا رحلـوا !
لليـوم ذكْـرُ صـلاح الـدين يمـلأنـا
زهـواً ولليـوم غيظُ الغَـرب يعتمـلُ !
حيٌّ لـدَينا صـلاحُ الـدين مـائلـةٌ
ليـلَ العـراق صهيـلاً خيلُـهُ الـذُّبُـلُ
وحيّـةٌ ، حيّـةٌ تبقى جحـافلُـهُ
ها هيَ وصدّام عنـه الساعـةَ البَدَلُ !

أعطِ القصيـدَ قصيداً أيُّهـا الرَّجُـلُ !
وكُنْ بـه يتبـدَّلْ شكلُهـا الجُمَـلُ !
تغـدو الحـروفُ بهـا من محض بهجتِهـا
جِـرْسٌ وكـلُّ جـديبٍ بينهـا خَضِـلُ !

هـا أنت تـدخـــلُ مثـلَ النَّجمِ قـافيتي
فكـــلُّ حـــرفٍ بشيءٍ منـــك منشغـــلُ!
وكـــلُّ معنىً لـــه عينٌ مسهَّـــدةٌ
لعلَّهـــا بشعـــاعٍ منـــك تكتحـــلُ!

*

أعطِ القصيـدَ قصيداً أيُّهـا الـرَّجُـلُ
فـالشِّعـرُ، مـا دمتَ فيـه، فـارسٌ غَـزِلُ!
كـالجيش، مـا دمتَ فيه، من بطـولتِـــهِ
أنَّ انتصـــاراتِـــهِ بـــالحبِّ تكتمـــلُ!
كـــالشعبِ، مبـــا دمتَ فيـــه، كلُّـــه زَرَدٌ
وأنت منـــه بكـــلِّ الحبِّ تشتمـــلُ!

*

يـــا سيِّدي، يـــا عظيمَ المجـد، مفخـرةٌ
أنِّي بـــذكـــركَ مثـــلَ السَّيفِ أنصقـــلُ!
يصيـــرُ شعـــريَ أبهى، كيف أكتبُـــهُ!
تصيـــرُ نفسيَ أبهى، كيف أنفعـــلُ!

لا غِـلٌ يبقى بـروحي ، لا مباهلـةٌ
ولا التفـاتٌ لما قـالوا ، ومـا فعلـوا
لكنْ يضيءُ بقلبي كـوكبٌ عجبٌ
أضـواؤه فـوق كـلِّ الهمّ تنسـدلُ !

*

ألقيت في عيد الجيش العراقي
ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٨ / ١ / ١٩٨٧

إن للحق شهقة

مالَ للّهِ واعتصَمْ … مالَ للحقِّ واحتكَمْ
أشهَدَ الرّملَ والحصى … أشهَدَ الضّوءَ والظُّلَمْ
أنطقَ الجندلَ الأصَمَّ … حَكَمٌ أيُّها الحكَمْ !

*

النّواميسُ كلُّها … والمروءاتُ والذِّمَمْ
والنبوءاتُ ، والنُّهى … والمعاييرُ والقيَمْ
كلُّها يا عراقُ في … صوتكَ الباسلِ الأشَمْ
وهو يدعو دعاءَهُ … أنَّ للجرحِ مُلتَأمْ
أنَّ للحقِّ شهقةً … بعدها يشهق النَّدمْ
أنَّ للّهِ حرمةً … غالَها غائلُ العجَمْ
وغداً حين يبتدي … سيرى كيف تُختَتَمْ !

*

حاسمٌ أنتَ سيّدي … عمرَ ساسان ما حسَمْ

منــذ أن صــال عــاصمٌ والــرَّدي جــولَــهُ أجَمْ
جــالت الخيــلُ يــومَهــا وكبــا الفيــلُ وانهــزمْ
هــــــوَ ذا رستمٌ أتى مثلَمــا جــاءَ في القِــدَمْ
إنّمــا اليــومَ فيلُــهُ غنَمٌ خلفهــــا غنَمْ
وذئــابٌ تســوقُهــا لا ذمــامٌ ، ولا حُــرَمْ
وانتخينــا ، وأهلُنــا علَمٌ نُصْبَــــهُ عَلَمْ
فــإذا أنت سيّــدي وإذا اللُّــــهُ والشِّيَمْ
وإذا بــالعــراق لا « سوس ، لا رُوس »[1]، لا لِمَمْ
بحــرُ مــوتٍ مُعَبّــأٌ كلَّمــا أوغِــزَ التطَمْ
مغــرقــاً كــلَّ مــا رأى جــارفــاً كــلَّ مــا رَدَمْ

*

حــاسمٌ أنت سيّــدي عمــرَ ســاســان مــا حسَمْ
أيُّ حسمٍ بمن لَــــهُ بين مــوتَينْ مــرتطَمْ ؟
إنّمــا الحسمُ فَــزْعــةٌ دونَهــا الكــونُ مقتحَمْ
فــزعــةٌ لا مــدى لهــا لا حســـابٌ ، ولا رقَمْ
فــزعــةٌ في مَخــاضهــا تغــرقُ السّــاقُ والقــدَمْ

(١) مثَل عراقي يضرب للكثرة والجَيشان .

إنَّمـــا الحسمُ صيحـــــةٌ صيحـــــةَ اللّــــهِ في إرَمْ !
والــــذين احتفَــوا بهـــا مـــــا بـــــآذانهم صَمَمْ
مـــا بـــأرواحهم قـــذى مـــا بـــأكبـــادهم ورَمْ
العـــــــــراقُ العظيمُ هم وهـــو صـــدّامُ لا جَـــرمَ
يـــا عـــراقَ الابـــاء يـــا وطنَ العـــزِّ والكـــرَمْ
إنَّ لي فيـــــكَ نخـــوةً أنّني والــــــــــذُ وعَمْ
قيـــلَ تـــرضى بسَـــوقِهم ؟ فتلَفَـــتُّ مـــن ألَـــمْ
أيُّهـــــا السّـــــائلي : نعم ضــــــجَّ حتى دمي : نعمْ
إنَّ هـــذا العـــراق هـــل لهمـــو بَعـــدَه حَـــرَمْ ؟
هـــل لهم بَعـــدَه هـــوىً ؟ مكتبٌ ؟ .. دفتـــــرٌ ؟ .. قلَمْ ؟
أيعيشـــــون يُتَّمـــــاً وينـــامـــون في الخيَمْ ؟
أينـــالـــون عِـــرْضَهم وبهم مـــا يـــزال دَمْ ؟؟
أيُّهــــا السّـــائلي نعم رغم مـــا بي من الضَّـــرَمْ
إنَّ أولادَنـــــــــا لهم شـــــرَفٌ قطُّ مـــا انثلَمْ
ولهم خيـــــرُ أســــوةٍ أنَّ صــــــدام في الأزَمْ
واقفٌ قبـــــلَ جُنـــدِهِ حيثمـــا الجـــاحمُ اضطـــرمْ

❁

من أين أبدأ يا بغداد مسراكِ ؟

من أيِّ باب هوىً ؟ .. من أيِّ شبّـاكِ ؟
من أيِّ رجعِ مقامٍ في حنـــايــاكِ ؟
من أين أبــدأ يــا بغــداد مســراكِ ؟

●

من أيُمــا شهـــرزادٍ جـــدّ آســـرةٍ ؟
من أيُمــا سنــبــادٍ جــدُّ مَــلّاكِ ؟
تظـــلُّ ثـــروتّــه الكبـــرى مغـــامــرةً
مسحـــورةً ، وحكـــايــا من حكـــايــاكِ

●

من أيِّ عينِ مهاً في الجسرِ نــاعسةٍ ؟
من أيِّ ثغــــرٍ على الجـرفَين ضحّــاكِ ؟
من أيِّ مسحبِ زِقٍّ ؟ .. أيِّ قـــافيــــةٍ
تَتَعْتَعَتْ بين مخمـــــــورين نُسّـــــاكِ

يُلملمـــون حكـــايـــاهم ، وينثـــرُهـــا
سمـــعُ الظـــلامِ بـــريـــداً فـــوق أســـلاكِ
وجـــرفُ دجلـــةَ يُيـــدي في تَكَسُّـــرِهِ
أشكـــالَهم مـــرتَبكـــاتٍ أيَّ إربـــاكِ !
من أين أبـــدأ يـــا بغـــداد مســـراكِ ؟

●

من أيِّمـــا قُبَّـــةٍ ؟ .. من أيِّ مئـــذنـــةٍ ؟
من أيِّ تـــرجيـــعِ ذكـــرِ خـــاشـــعٍ بـــاكِ ؟
من أيِّ مـــوكب مجـــدٍ في مجـــرَّتـــهِ
تصـــادمَ الكـــونُ أفـــلاكـــاً بـــأفـــلاكِ ؟
من غيمـــةٍ أمطـــرتْ من غيمـــةٍ عبـــرَتْ
وخلفَهـــا عينُ ذي حَـــدَّين دَرّاكِ
لـــو شـــاء أنـــزلَهـــا ، لكنْ مكـــابَـــرةً
قـــال اذهبي فجميـــعُ الأرضِ أمـــلاكي !
من أين أبـــدأ يـــا بغـــداد مســـراكِ ؟

●

من أيِّ ليلٍ على الدُّنيا أحاطَ بهـا
ولم يكن كـوكبٌ في الأرض إلّاكِ
أضـاتِ وحـدَكِ حتّى نـوديَ احتـرقتْ
فـرطَ الضياء، فقال المجدُ: طـوبـاكِ!
بقيتِ عَبْـرَ قـرونٍ خمسـةٍ قُطُبـاً
لـلأرض، دولابُهـا مـا دار لـولاكِ!

●

أمُّ الـرشيـد، ولـلأيـامِ دورتُهـا
يحزُّ حتى الحصى ناعورُها الشـاكي
هـو الـزمـان تشيخُ الأرض يعبُـرها
سَفحـاً، فكيف بـأنـوالٍ وأشـراكِ؟
هــو الـزمـان، وقـد شَيَّبتِـهِ حَـدَثـاً
لفـرطِ مـا زلَّ عن مَـرقـاةُ مَـرقـاكِ
كـوَّرْتِـهِ وهــو سَبْطٌ، وانطلقتِ بـهِ
مسعـاهُ يـدمى لكي يحظى بمسعـاكِ
جميـعُ أعمـارِهِ في عمـركِ اختُصِـرَتْ
بلى، وفُسِّـرَ معنـاهُ بمعنـاكِ

وأنتِ تستعجلين الأرضَ دورتَها
حتّى كأنْ رَسَنْ الدُّنيا بيُمناكِ
لم تذكري في مَهَبِّ الزَّهوِ سابحةً
أنَّ الزَّمانَ أبيدٌ بين هُلّاكِ
وأنّ فرطَ اختزالِ الوقتِ سيّدتي
قد يُسلِكُ المرءَ درباً دونَ سُلّاكِ !

●

أمَّ الرشيد، وكلُّ الزَّهوِ أنَّ لنا
هذا الهوى حين نستقري محيّاكِ
قطعتِ وحدَكِ شوطاً عَزَّ قاطعُهُ
ما كان في تيهِهِ إلّا سَرَاياكِ
كانت ظُباكِ بُروقَ الأرضِ أجمعِها
وخيرَ أمطارِها كانت سجاياكِ
ألهبتِ خيلَكِ حتى قطَّعتْ غضباً
أرسانَها بين أعجامٍ وأتراكِ
وأسلمتْ نفسَها للرّيحِ مُسبَلَةً
أعرافُها، مُنهكاتٍ أيَّ إنهاكِ

ونالَ منكِ الأذى بغداد، ما عرفتْ
أرضٌ دماً كالذي أجرَتْ ضحاياكِ
ولا خراباً كما أقداسُكِ انتُهكت
ولا عذاباً كما ريعتْ صباياكِ
ولا هواناً كما مدَّتْ منائرُنا
رقابها تحتَ كَفَّيْ كلُّ سَفّاكِ
ونمتِ بغداد ألفاً شمسُكِ انطفأتْ
وأخلدَتْ لمآسيها سباياكِ
ما بين آونةٍ تعلو وآونةٍ
تعبى، تلملمُ بعضَ الضَّوء عيناكِ
فتطرفينَ بجفنٍ جدُّ مستَلَبٍ
ما كان يطرفُ لولا الحيفُ جفناكِ
لكنَّها الرّوح أيُّ الأعصُرِ انتفضَتْ
كِبْراً لهَولِ الرّزايا وهي تغشاكِ؟
وأيُّ فجٍّ سحيقٍ ثار ثائرُهُ؟
وأيُّ صوتِ نبيٍّ منه ناداكِ؟!

وقمتِ بغـداد ما قـامتْ ، ولا شهقَتْ
عَنقـاءُ أرضٍ كمـا دوّىٰ جنـاحاكِ

شهقتِ والأرضُ من حبٍّ ، ومن هلَـعٍ
أنفـاسهـا أمسكتْهـا أيَّ إمسـاكِ !

وأنتِ تقتحمين الجـوَّ شـاطـرةً
غيمَ الضُّحى والدُّجىٰ شطرَين بُشراكِ !

بُشـراكِ إنَّ مخـاض الأرضِ ثـانيـةً
سيـالوةَ تتـلالا فـوقَ سيمـاكِ

أوجـاعُـهُ كلُّهـا هـذي هـواجسُـهُ
هـذي وهذا التَّحدِّي ، والـدَّمُ الـزَّاكي

هـذي عـلامـاتُـكِ العظمىٰ فـلا تَهِني
بغـداد ، إنَّ بشيـرَ الغيبِ وافـاكِ !

أدري بـأنَّ المخاضَ الصَّعبَ صـرختُهُ
بحجمِـهِ ، ولقـد بـالامسِ أبكـاكِ

لقد رعتكِ عيونُ اللّهِ حِقْبَتَها
وما تزالُ عيونُ اللّهِ ترعاكِ !

●

يا أختَ صدّام عذراً قد يُقال لنا
وأنتِ من ألفِ عامٍ أمُّ مولاكِ
أمُّ الرشيد فكيف الآن ، بعد مدىً
حفيدُ أحفادِهِ صدام آخاكِ ؟!
يا أختَ صدّام هارون العظيمُ نَما
وشبَّ حتى مضى ، مجراهُ مجراكِ
ما شالَ دجلةَ يوماً عن شواطئها
ولا رمىٰ سهمَهُ في غيرِ مرماكِ
ولا استجدَّ بهِ شوطٌ فكابَدهُ
ولا تجرَّأَ يوماً ما فأوصاكِ
إبنٌ عظيمٌ ولكنْ لم يُجزْ أبداً
حدّاً تُقصِّرُ عن فتواهُ فتواكِ
لكنْ لصدام ميلادٌ ولِدْتِ بهِ
جديدةٌ ، وله مرأىً كمرآكِ

وجهانِ، واسمانِ نفسُ الجِرْسِ جِرْسُهُما
حتّى كأنَّ الذي سمّاهُ سمّاكِ!
نفسُ الملامحِ حتى كبرياؤك في
أردانِهِ وله فحوَىً كفحواكِ
أنَّ الرِّضا والقضا ضوءٌ بمقلتِهِ
ذا جدُّ سمحٍ، وهذا جدُّ فتّاكِ!
وإنَّهُ لَمهيبٌ دون غطرسةٍ
وإنَّهُ لبشوشٌ دون إضحاكِ!
وإنّهُ مثلُ حَدِّ السيفِ منصلتٌ
ويفتدي نبعَ ماءٍ حين يلقاكِ!
هذا شبيهُك لو ناداكِ ذو نَسَبٍ:
يا أخت صدام، زكّاهُ وزكّاكِ!
فقبّلي حرّةً بغداد جَبهتَهُ
ومَرِّري فوق ذاك المجدِ يُمناكِ
وكفكفي تعَباً اللّهُ يعلمُهُ
لو تعلمين به يوماً لأشجاكِ

شــدَي على يدهِ، فــاللّــهُ شــدَّ بهــا
كـــلَّ العـــراقِ مصيـــراً مُـــذْ تَـــولّاك
قـــولي لـــه هـــا مفـــاتيحي وأوَّلُهـــا
مفتــــاحُ قلب العــــراقيّين، مُـــــلّاكي
إفتـــحْ بــه كــلَّ ضلـــعٍ من أضـــالعِهم
وقـــلْ لهـــا حـــدِّثيني عن خبـــايـــاكِ
تجـــدْ قلـــوبَ العـــراقيّن خُطَّ بهـــا
تهـــوَين صـــدام إذ صـــدام يهـــواكِ!

يا أختَ صدام، حاشا، والعشـول طغَتْ
أن تستكيني إلى الطـوفـان حـاشـاكِ
أنتِ التي كلَّمـــا جـــاشتْ غـــواربُهـــا
مـــا قَـــرَّ إلَّا على الأهـــوال مـــرســـاكِ
من عهد «بابــكَ» شدَّ الفــرسُ صهوتهم
ولم يـــــزلْ يعتَليهـــــا كـــــلُّ أفّـــــاكِ
غـــولٌ من الحقد، لا نيـرانُـــهُ انطفـــأت
ولا رزايـــــــاهُ آدَتْهـــــــا رزايـــــــاكِ

بغداد ، هل من خيارٍ في مروءتنا ؟
وهل لنا أيُّ مأوىً غيرُ مأواكِ ؟
ولا لو انَّ الدِّما صارتْ مساريُها
مثلَ الينابيعِ حتى فاضَ نهراكِ
لما مدَدْنا لهولاكو الجديد سوى
هذا الرصاص مَمرّاً نحو مغناكِ !
قولي لصدام إنا جدُّ غاليةٍ
دماؤنا ، وهو أغلاها وأغلاكِ
لكنَّنا حين يُستَعدى عليكِ فلا
وحقِّهِ هوَ لا نختارُ إلّاكِ !

●

يا بنتَ سيِّدِنا المنصور ، معذرةً
أنّي أطيلُ على الأوجاعِ لُقياكِ
أدري بأنّكِ أجفاناً وأفئدةً
مشغولةٌ بالغوالي من هداياكِ
مشغولةٌ بالذين استنزفوا دمهم
ويسألونَكِ صرعىً : هل وفَيناكِ ؟!

ونحن نندبُهم حزناً وموجدةً
ما كان أفقرَنا فيهم وأثراكِ !

●

بغداد ، يا ملتقى حبّي ، وأشرِعتي
وأنهُري ، وورَيداتي ، وأشواكي
ويا نجيَّة روحي دون مزدَلَفٍ
ويا نبيَّة زهوي دون إشراكِ
ألفٌ ونيفٌ ، وها أولاء نحن هنا
تهيمُ أرواحُنا وجداً بدنياكِ
نقيمُ حتّى أبا المهدي ونسألُهُ
إن كان لمّا بنىً سورَيْكِ أعلاكِ
ونستشيطُ على هارون أنَّ هوىً
أدمى وليدَيْهِ فرْطَ الحَدْبِ أدماكِ
ومثلنا ، بعدَ ألفٍ ، يستقيمُ هنا
أحفادُنا ، في عتيقٍ من زواياكِ
لأنَّهُ إرثُ إهليهم يُسائلُهُ
صغيرُهم : جَدُّنا لِمْ يرتدي الخاكي ؟!

وتشـــــرحين لـــــه بغـــداد زاهيـــةً
مـــاذا ارتـــدى جـــدُّهُ أيّـــامَ فَـــدَّاكَ !

●

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٩٨٧

يا مصـــر ...

نفسي لــــديــــكِ، وأنفـــاسي على بلــــدي
وإن تكـــــوني رفيفَ القلب في جســــــدي
يـــا مصــرُ، يـــا أُمَّنـــا واللّـــهِ لـــو نكـــرَتْ
هـــذا دمـــانـــا ســـألتُ اللّـــهَ لم تلــدي!
فـــأيُّ معنىً لمـــا نحيـــا لـــو اتُّهمَتْ
دنيـــاكِ حتى صـــلاةَ الأمِّ للــــولـــدِ؟!

●

يـــا مصـــرُ، مصـــر التي يـــومـــاً دفعتُ لهـــا
عـــامَين من عُمُـــري أيّـــامَ كـــان نـــدي
أيّـــامَ هـــاجتْ هيـــاجـــاً بـــور سعيـــد، وفي
بغـــدادَ كنّـــا نعـــاني ذروةَ الكمَـــدِ
عـــامين من عُمُـــري في السّجنِ عفتهمـــا
لمحضِ قـــوليَ مصـــرُ هـــذهِ بلـــدَي!

إن يـــذبحـــوهـــا فمـــوســاهم على عُنقِي
مَن ضـــامني أنّني أحيـــا ولـــو لِغَــدِ ؟

●

يـــا مصــرُ إنّـــا جمعنـــا كـــلَّ أعصُـــرِنـــا
من عهـــدِ فـــرعـــون من آشـــور من أكَـــدِ
فلم أجـــدْ مثـــلَ قُطـــرَيْنـــا مكـــابَـــرَةً
بـــادَتْ جميـــعُ العِـــدا فينـــا ولم نَبِـــدِ !
وذاك أنَّ الحضـــــــاراتِ العظيمـــــــةَ لا
تقـــوى عليهـــا ، ولـــو طـــالتْ ، يـــدُ الأبَـــدِ !

●

يـــا مصـــرُ، يـــا مصـــرَ أهلي أهلُنـــا بَـــدَدٌ
حـــاشـــاكِ أن تُحشَـــري في ذلـــكِ البَـــدَدِ !
حيثُ التفتُّ أراني بينهم أحـــــــــــداً
وهم كثيـــــــرٌ، ولكنْ ليس من أحـــدِ !
يـــا مصـــرُ، عُمْـــرَ عـــراقِ الكِبْـــرِ مـــا صـــرخَتْ
في أرضِـــــهِ حـــــرَّةٌ من قلَّـــــةِ الجَلَـــدِ

لا والـــذي جعـــل النّيـــلَ العظيمَ هـــوىً
للـــرافـــدين ضخـــامٌ نحن في الـــزُّرَدِ !
تثلَّمتْ شَفَـــــــراتُ الأرضِ في دمنــــــا
من ألفِ عـــامٍ ولم نضـــربْ يـــداً بيـــدِ !
أهلـــوكِ نحن، ولا واللّـــــهِ لـــــو وردَتْ
زُهْـــرُ النجـــومِ ذليـــلَ المـــاء لم نـــردِ
لكنْ يعـــزُّ علينـــا أن يُقـــالَ لنـــا
أنتم قليـــلٌ، وفينـــا كثـــرةُ العَـــدَدِ !
لا بـــأس ربَّ كثيـــرٍ مـــا لهم مَـــدَدٌ
وقِلّـــةٌ خَصَّهـــا الـــرحمن بـــالمَـــدَدِ !

يـــا مصـــرُ مصـــر التي يـــومـــاً تهيِّمني
منهـــا صفيـــراً خيـــالٌ دار في خَلَـــدي
رأيتُ فيـــه ذرى الأهـــرام ســـابحـــةً
في النَّيـــل، والنيـــلُ طـــوفـــانٌ من الـــزُّبَـــدِ
وملتقى سُفُنٍ تجـــــري، وســـــاريـــــةٍ
تســـري، وأســـرابُ أطفـــالٍ بهـــا جُـــدُدِ

وجـــوهُهم فـــرَحُ الـــدُّنيـــا بـــأجمعهـــا
وَمـــا بهم مثـــلُ مـــا فينـــا من العُقَـــدِ
من نصفِ قـــرنٍ وهـــذا الطَّيفُ يحضـــرني
وكلَّمـــا جئتُ أرسى وجهَـــهُ صَـــدَدي !

⊛

يـــا مصـــرُ أطفـــالُنـــا صـــرنـــا نُعلِّمُهم
أن ينصبـــوا خيمـــةَ الـــدُّنيـــا بـــلا وَتَـــدِ !
أن يقطعـــوا كي يشـــدّوهـــا أصـــابعَهم
ولا يمـــدُّوا بهـــا يـــومـــاً إلى أحـــدِ !
أن ينهضـــوا ، وهمـــو زُغْبٌ ، على رَصَـــدٍ
ويُغمضـــوا الجفنَ ـ أيقـــاظـــاً ـ على رَصَـــدِ !
وأنَّهم لغَـــدٍ مـــوفـــورةٌ سَلَفـــاً
دمـــاؤهم .. وكبـــارٌ هم على المُهُـــدِ
لا يلعبـــون أُطَيفـــالًا كمـــا لعبَتْ
أقـــرانُهُم بـــل رجـــالٌ سَيْـــرَ متَّئِـــدِ
مِ الآن واحـــدُهم إنْ يســـألـــوهُ يُجِبْ
قَـــدْرَ السّـــؤالِ ، ومـــا أصغَيتَ لم يـــزِدِ !

أولاء أولادُنـــا يـــا مصـــر يـــوجعُنـــا

أن يفقـــدوا غِنِيَّهم في زحمـــةِ الرَّشَـــدِ !

لكنْ كـــذلـــكَ ، مـــا دامتْ رؤوسُ بني

عمِّي ، على كـــلِّ ضيمٍ رأسُ مُتَّسِـــدِ !

●

يـــا مصـــرُ عـــذراً إذا مـــا شطَّ بي ألمي

عـــذراً على حَـــرَدي عـــذراً على لَـــدَدي

عـــذراً على أنّني أبقى أنـــزُّ دمـــاً

من الأسى ، ويـــدي دومـــاً على كبـــدي

لقـــد تعـــوَّدتُ مثـــل النـــاسِ في وطني

بـــأنْ أرى وجعي في حـــالـــةٍ سَنَـــدي !

حتى اتَّكـــأتُ على جـــرحي ومن عجبٍ

أنّي حُسِـــدْتُ عليـــهِ غـــايـــةَ الحسَـــدِ !

لا بـــأس نبقى كبيـــراتٌ مصـــائـــرُنـــا

في ذروةِ الهمِّ ، أو في ذروةِ الـــرَّغَـــدِ !

●

كتبت وألقيت في مصر

ونشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٩ / ٥ / ١٩٨٧

فهرست المجلد الأول

فهرست المجلد الثاني

فهرست المجلد الثالث

٩٢ و ٨١١
ع ٤٥٢ عبد الرزاق عبد الواحد
الاعمال الشعرية / تأليف عبد الرزاق عبد الواحد . ــ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١
مع ٣ (ص)، ٢٤ سم.
١ ــ الشعر العربي ــ العراق
أ العنوان
م و
٧٠٠ / ٢٠٠١

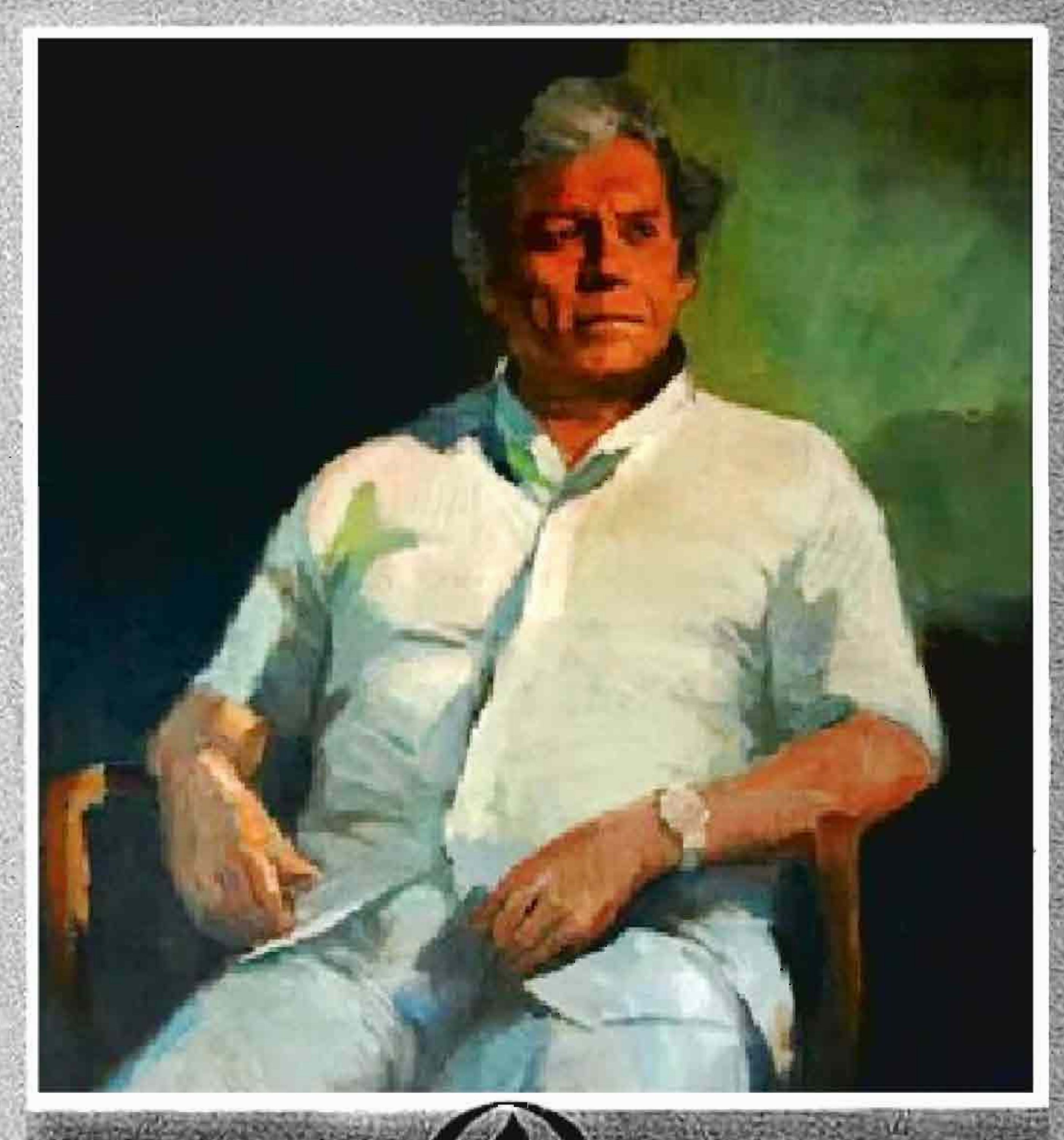
المكتبة الوطنية ((الفهرسة اثناء النشر))
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٠٠) لسنة ٢٠٠١.

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ (شركة عامة)

عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الرابع



دار الشؤون الثقافية العامة

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ٢٠٠٢



دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)

تعنون جميع المراسلات الى

رئيس مجلس الادارة: عادل ابراهيم

العنوان:

العراق – بغداد – اعظمية

ص. ب. ٤٠٣٢ – فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ – هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

البريد الالكتروني dar @uruklink. net

الموقع على شبكة الانترنيت WWW. uruklink. . net/iraqinfo/culture. htm

عبدالرزاق عبدالواحد

الاعمال الشعرية

الناشيء

المجلد الرابع

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ ٢٠٠٢

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٤) لسنة ٢٠٠٢

هو الذي رأى

١٩٨٩

الناشيء

هو الذي رأى

افتتاح المربد ١٩٨٥

قَدَرٌ في الجبينْ
تكونُ النبوءةُ في ارضكم
وتكونون ، عُمرَكمو ،
آخرَ المهتدينْ ..

هو الذي رَأى
هو الذي قال
سيعبُر السَّماءَ طائرٌ في كفنٍ
يترُكُ خلفهُ بعرضِ الجوِّ
غيماً موحِشاً
ودهشةً مذعورةً

ووجَعاً يوغلُ في الأرواحِ والأبدانْ

كلُّ العيونِ العالقاتِ في مَسارِهِ
تبيضُّ
ثمَّ حين يستوي في السَّمت
تسوَدُّ من الأحزانْ
فلا تنظروا صوبَهُ
قال لا تنظروا صوبَهُ
إنَّ خَفْقَ جناحيهِ
يرشقُ أعينَكم بالنُّعاس
ويستَلُّ منها أشعَّتَها
فتُرَوْنَ صُحاةً
وأنتم رقودْ
تُستَباحونَ بين التَّوهُّمِ بالصَّحوِ
ثمَّ التَّوهُّمِ من جزعٍ بالهجودْ

أرأيتم الى شبحٍ
بأصابعَ معروقَةٍ

يفتحُ الصَّدرَ والبطنَ
يُخرجُ أكبادَكم وقلوبَكمو
ثمَّ ياكُلها بين أعيُنِكم
بينما تنظرون
ولا تملكون حراكاً
عيونُكمو وحدَها المبصرات
ولكنَّها جمدتْ
فهي معتمةٌ لا تُضاءُ
بسوى ما ترشُّ عليها أصابعُهُ من دماءٍ

فلا تنظروا صوبَهُ
قال لا تنظروا صوبَهُ
غيرَ أنَّكمو قد صَممتُم عن الصَّوتِ آذانَكم

وتبعتُم وساوسَكم
وتوابيتَ من عهدِ نوحٍ هنا دُفِنَتْ
بالهواجسِ أخرجتموها
ثمَّ فتَّحتموها

وإذ لم تَروا في قرارتها ميّتاً
صاح صائحكم :
إنَّ هذي التوابيت قد سُرِقَتْ
كان فيهنَّ موتى

ولم تسمعوا منه صوتا
ظلَّ يصرخُ :
إنّكمو تظلمون تواريخكم
قلتمو نتبعُ الطّير
قال إذن تظلمون بنيكم وأحفادكم
قلتم الطير
قال وأنفسَكم تظلمون
فاتّقوا ساعةً
تمسحون بأجفانكم كلَّ أتربة الأرض
عن ذرّةٍ من غبار البلاد التي أنجبتكم
فلا تجدونْ

إفتحْ تابوتَكَ يا عازرْ
وادخلْ فيهْ
لا توغلْ في هذا التِّيهْ
حتى لو صلبَ المصلوبُ عليك حشاشَتَهُ ألفاً
لا تنهضْ
أنت دُفِنتَ بهذا التابوتْ
وبهِ ستموتْ
حتى يوم الدِّينْ
آمينْ ..

ودخلتم توابيتَ لم تَكُ قطُّ توابيتَكم
حَسَناً
نرفضُ أن ندفنَكم

ـ سأدفنُ نفسي أنا
إنَّ جرحاً كجرحيَ
لا بدَّ أنّي به ميّتٌ منذ أيام قابيل
من أين أحيا

وكلُّ دمائيَ قد نُزِفَتْ ؟
أَمْ تريدون أن تمنحوني دماً ؟؟
فامنحوني عروقاً لَهُ
فالعروق التي فيَّ قد يَبِسَتْ
غربتي أيبسَتْها
وطولُ انتظاريَ أيبَسها
والشَّكوكْ

ياما رَكضتُ
يطاردني الخوف
كلُّ القطاراتِ تَصفرُ راحلةً
والحقائبُ تمضي لدفءِ منازِلها
وأنا ..
أتعثَّرُ بين المحطات
يركضُ خلفي سؤالُ المَخافرِ :
مَنْ أنت ؟
أرجعُ مرتعشاً
ثمَّ أركبُ من دون وعيٍ قطاراً يُصفِّرُ

أعلم أنَّ القطارَ ينادي مدينَتهُ
وأنا ..
يصفرُ القلبُ في أضلعي
ثمَّ يبكي
والمروءاتُ تبكَي
سَعَفُ النخلِ يبكي
نقاتلُ ملءَ محبَّتنا
ثمَّ نَذكرُكم
ملء زهوِ دفاترِ أطفالنا
وأناشيدهم
ثمَّ نذكركم
وهلاهلِ نسوتِنا
وهواهنَّ
نذكركم ،
والعراقُ ترفرفُ رايتُهُ ،
نتلفَّتُ ..
يومٌ لكم أيُّها الأخوةُ الغائبون

وها هي أعلامُنا
أعيُنُ الأكرمين بها كالدَّراري
ودماؤهمو تتصبَّبُ فوق الصواري
وها صوتُ أطفالنا
لبطولاتِ آبائهم يُنشدونُ
هو يومٌ لكم أيُّها الأخوةُ الغائبونْ
والعراقُ يشدُّ جناحَيه شَدّاً
لينشرَ عرضَ السماواتِ رايتَهُ ..
كلُّ أسمائنا طُرِّزَتْ فوقها

ويميناً
تركنا مواضعَ أسمائكم وَسْطَها
وهي ترنو لكم
أيُّها الأخوةُ الـ ظلَّ يوجعُنا
أن نُبدِّلَ غيبتَهم بالأسى
ونقول لعلَّ ..
نقولُ عسى ..
ثمَّ نسمعُ صوتاً يُشكِّكُ في دمنا

ويجادلُنا في مروءتِهِ
نتساءَلُ ،
والدّمُ يشخبُ من كلِّ أوصالِنا
أبَقيّةُ ذاك العراقيِّ
هذي ؟؟
تُرى ما يقول لأطفالهِ الآن ؟
يشتمُ عُريَ مدينتهِ ؟
أسيشمتُ أنَّ منازلَها هُدمَتْ ؟..
أمْ تراه يُخوِّفهم أنَّها سوف يبتلعُ الحوتُ أطفالَها
ولهذا رحلنا ؟؟
وكيف يواجهُ أعينَهم
واللُّغاتِ التي ينطقون بها
إذ يحاولُ أن يتذكّرَ واحدُهم
إسمَ هذا الذي يتحدّرُ من عينِ والدِهِ الآن
بالعربيّةِ .. ؟
ـــ ألعنُكم ،
ثمَّ أشتمُ نفسي
لأنّيَ أترعتُ بالسُّمِّ كأسي

ولم أنتَظِرْ ..

يتوسَّلُ راسي

بكفِّي ،

ونصلٌ بقبضتها :

أجِّلي قطعيَ الآن

لا تَعجلي

إنَّ لي

شاهداً بين كلِّ صغيرَينِ منهم

فلا تَعجلي

إنَّهم أهلُنا

ربَّما أخطأوا

ربَّما أبطأوا

في الوصولِ إلينا

فلا تَعجلي ..

وانتظرَتْ

نُقسِمُ أنَّ أياديَنا انتظرتْ

كنّا نتلفَّتُ
ونحملقُ في كلِّ الأوجُه
لو شاهدْ
لو وجهُ واحد ..

وانتظرَتْ
كلُّ شفاه الأرض انفطرَتْ
لم يُقبلْ وجهُ منكم
يمنحُ هذا الرأسَ أماناً
يمنحُ أيديَهُ سلطاناً
أن تسمعَهُ
ألّا تقطعَهُ
كلُّ الأعينِ كانت مُتَّهِمه
فقطعنا أروُسَنا
ورحلنا

ما قُلنا
لكنّا عندَ البابِ سألنا :

ماذا لو أنَّ أهالينا
سَتروا غالينا ؟!

ـ مكسملينا
أمليخا
أونوش
حتى لو كنتم أصحابَ الكهفِ
ولستم
لَتَفقَّدتُم
أسماءكم الآنْ
أمْ أنَّ الشيطانْ
لم يترك باباً للكهفِ ،
ولا باباً للقلبِ
ولا باباً للنسيان ؟

ـ نخرج كي نبصرَ النّور
ـ لا ،
إنّ أعيُنَنا أرهف الآن

ـــ نسألُ عن أهلنا ...

ـــ أهلُنا ؟؟ ...

نهبوا

تركونا هنا وحدَنا

نهبوا ..

ـــ إنني أسمع الآن أصواتَهم

ـــ أنت تسمعُ لا شيء

ـــ بل صوتَهم

ـــ كيف تجزمُ ؟

ـــ أنصتْ ..

ـــ لغةٌ لست تفهمُها

نبرةٌ لست تفهمُها

ـــ سأحاولُ

ـــ إيّاك ...

إنّ السنين انطوَتْ

والمسافات شاسعةٌ

وخُطانا هنا ثَقُلَتْ ..

ستعيش لمحض التَّذَكُّرِ

ـ لكنَّهُ وطني

إنَّ أولاءِ أهلي

وَذي لغتي

قبلَ أن أدخلَ الكهفَ أذكرُ أنّيَ ..

ـ تذكرُ ..

ها أنت ذا قد بدأتَ التَّذكُّرْ

وستزرعُ بذراً مرّاً

تحصدُ حَبّاً مرّاً

بأصابع تبكي .

مَنْ يسألُ عنكِ ؟

يا بنتَ حميد .. ؟؟

عمرُكِ أصبح ستة عشر ربيعاً

ونأى الأهلُ جميعاً ..

يا ما أغمضتُ عيوني

ونذرتُ جفوني

وحلمتُ

حلمتُ ..
حتى تكبرَ سُعدىٰ
وتُخلِّفُ لي أحفاداً يلهون ببابي
ويجرّون ثيابي
يا بنت حميدٍ
ها عمرُكِ أمسى ستة عشر ربيعاً
ونأىٰ الأهلُ جميعاً
وعزيزٌ أن يصبحَ مَنْ لا أعرفُ لونُ عيونِ أبيهِ
حفيدي
يا بنتَ حميد ..

نقتلُ أنفسَنا إذ نقتلُ فينا فَيْءِ الأثَلِ وليلَ
العشارِ وطَلْعَ نخيلِ البصرةِ
يا بنتَ حميد ..

وأرصفةُ البصرةِ الآن مبقورةٌ بالخنادق
مضفورةٌ بالبنادق
حتى وجوهُ الصِّغارِ بها

وُشِمَتْ بالمتاريس

أطفالُها

من حفيفِ الصَّفير

يُسمُّون نوعَ القذيفةِ

والجهةَ السُّوف تسقطُ فوقَ

منازِلها

لم يعودوا يخافون

لكنَّهم يُجفلون قليلًا إذا بدأ القصفُ

ثمَّ يواصلُ سائرُهم سيرَهُ

مَنْ يعاتبُ مَنْ؟

بيننا وطنٌ

بعضُنا خائفٌ منه

يلجأُ ما ألجائَهُ بلادٌ

وبعضٌ يخاف عليهِ

مقيمٌ به دون كلِّ البلاد

ومن حولِهِ كلُّ أطفالهِ ينظرون إليه

وفي يدِهِ قَلمٌ
وبزاويةِ البيتِ تَسكنُ رشاشةٌ
أصبحتْ مثلَ أولادِهِ
كلَّ يومٍ يُزَيِّتُها
ومدى ما يمدُّ يَديهِ يُبَيِّتُها

مَنْ يعاتبُ مَنْ ؟؟
كان أولادُنا كرفوفِ العصافير
كلَّ صباحٍ يطيرون نحو مدارسهم
عندما ابتدأتْ غيمةُ الدم تُمطر

ها هم الآن
أكتافُهم أُثقِلَتْ بالسلاح
وأرواحهم بالجراح
ولكنَّ أعينَهم
يلمعُ الغضبُ الحنظلُ المرُّ فيها
ويلمعُ مجدُ العراقِ على سَبَطان بنادقهم

إنَّه وطنٌ

يتقلّدُ كلَّ مساءٍ وسامَ كرامتِهِ
ثمَّ يخرج للموت
ويعودُ مع الفجرِ
مؤتزراً بالجراحِ
وبالكبريـــاءِ
ومؤتزراً بمحبَّتِهِ

سيّدي يا عراقْ
يا هوانا الذي لا يُطاقْ
أنت عمركَ لم يَنْحَنِ النَّخلُ فيكْ
لا تُعاتبْ بنيكْ
آلَمُ العَتْبِ هذا الفراقْ
حين يسمعُ سامعُهم
أنَّ أرضَكَ مسجورةٌ
ودماكَ عليها تُراقْ

قَدَرٌ في الجبينْ

تكونُ النبوءةُ في أرضنا
ونكونُ
على صدقِنا
آخر المهتدين ..

نجيئكم حَدّ جُرفِ الموت

يوم الشهيد ١٩٨٦

بينَ جيلٍ وجيلْ
كلُّ رمزٍ غدا شُبهةً
بين طيّاتِهِ قاتلٌ وَقَتيلْ

بين جيلٍ وجيلْ
زحفَ اللَّوْنُ في اللَّون
والكَوْنُ في الكون
كلُّ المساحاتِ صارتْ رماديَّةً
والنَّقاءُ هو المستحيلْ

الصَّـــهيلْ
النَّخيـــلْ
سدرةُ المنتهى والجليلْ
كلُّ أقداسِ هذا التراب

فُراتاً ونيلْ
رمزُها الآن أصبح متَّهماً
فبِهِ ألفُ لوْمٍ دخيلْ ..

يمكن للأفعى
أن تسعى
في نخلةِ بيتي
فتُسمِّمَ حتى الجمّارْ
وتروِّعَ حتى اعشاش الأطيارْ

يمكنُ أن يصهلَ مُهْرٌ
من عقربةٍ تلسعُهُ
أن يشهقَ ثديٌ من صِلٍّ يرضعُهُ
أنْ يُصبحَ فيضانُ النّيلِ

هزيمةَ ماءٍ من مجراهْ
أو ثورةَ شعبٍ من أجل الله

يمكنْ ..
ما دُمنا سنُفلسِفُ بالرَّمزِ
هزائمَنا
وغنائمَنا
وعمائمَنا
ما دمنا نجعلُ من فوضى الشِّعرِ تمائمَنا
يمكنُ أن نرمزَ للأسودِ بالأبيضِ
والابيضِ بالاسوَدْ

وسوفَ تضيعُ دماءُ الحقيقةِ بين القبائلْ
وسوفَ يطالبُ بالثأر للدَّمِ
سافحُهُ !
ينحني قاتلٌ فوق جثَّةِ مقتولِهِ
ويصافحُهُ !

ستصيحُ فلسطين
يا أيُّها العرَبُ الرَّمزُ
والهَمْزُ
واللَّمْزُ
لا ترمزوا لي
فإنّي أخافُ تآويلَ ما ترموزنَ بهِ
بعد خمسين عامْ
مثلَما خفتُ شرنقَةَ النَّمِ كَفَّنتموني بها
وهي موهومةٌ
منذُ خمسين عامْ

وستصرخُ بيروتْ
بالرَّمزِ ذُبحنا
بالرَّمزِ نموتْ
وبآخرِ رمزٍ سيُسَمَّرُ حولي هذا التابوتْ
ولا ،
لن يصيحَ العراقْ
لأنّا نراقبُ معركةَ الكلماتِ المُريبةِ

يصنعُها الآخرون
ويصنعُها بعضُنا
تَئنّي
تختفي
تلتمعْ
تنطفي

فنصيحُ بأعلامنا
رفرفي
بالجراحِ انزفي
إنَّ أطهرَ شعرٍ على الأرضِ
هذا النَّجيعُ الوَفي

دمُكم حُماةَ الدارْ
دمُكم هو الأغلى
تعلو بنا الأشعارْ
وضفافكم أعلىٰ
ما تفعلُ الأمطارْ
إن كانت الأشجارْ

حتى صلاةُ طيورها
بدمائكم تُتلى ؟
وها أنذا أميلُ على
سواقيكم وأسقيها
أهيم على شواطيكم
ألملمُ أعينَ المحّاز
أسكبُ أدمعي فيها
وأرجعُها الى التيّاز
ينشرُها ويطويها
وها أنذا
أدورُ على سَواترِكم
ألُمُ مُبعثَرَ الآثاز
الضَّحَكات ، والأسماز
الحَسَرات إذ يمتدُ ليلُ الليل
والتَّذكار
أوراقٌ بها أسماءُ
خطابٌ لم يوقَّعْ بَعد
صورةُ طفلةٍ في الماءْ
صورةُ طفلةٍ ودماءْ
قمصانٌ مثقَّبَةٌ

مهدَّلَةٌ بلا أزرارْ
أجمعُ تائِهَ الآثارْ
أحملُها معي في القلب
في العينين
في الرِّئتينْ
أشعاراً بلا أصواتْ
لا شعراؤها أحياء
لا شعراؤها أمواتْ
سماواتٍ بلا مرقى
سَفائنَ كلّها غرقى
ولكنْ صافراتُ الرّيح فوق بحارها تبقى

تـــولـــولُ في تَـــوالي الليـــل
كـــــان بـــــــريقُهم أنقى
وكـــــان خشـــوعُهم في المـــوت
من صَلَـــــــــــواتِكم أتقى
وأسمعُ هاتفاً في الغيب :
يــــا مُتَعثّـــرَ الخُطـــوات
عَـــــــرِّشْ في دواليــــــــــا
وحَــــدِّثنــــا عن الأحيـــاء
مــــا فعلَتْ أهــــاليـــــا

وهل ما زالَ في بغدادْ
عينٌ .. بسمةٌ .. ميعادْ ؟
هل ما زالت الأولاد
تحملُ دفتراً .. قَلَماً ؟
تسير خطاهمو في الفجر زاهية على الطُّرُقات
واثقةً بمسراها ؟
ودجلةُ في توالي الليل ..
هل تجري بمجراها ؟
أمْ اختلفتْ عليكم بَعدَنا الأيام ؟ ..

كيف خوافقُ الأعلام ؟
كيف حبيبُنا صدام ؟
هل ما زال يركبُ صهوةَ النيران في الرَّهَجِ
محاطَ الرَّكبِ بالمُهَجِ
معلَّقةً به الأنفاسُ وهو بلبَّةِ الوَهَجِ

وأسمعهم ..
وأسمعهم ..
وأسمَعُـ ...

سادتي

يا سادتي

يا سادةَ الدُنيا

ويا تيجانَ صوتي

علّموني

كيف لي في مهرجانِ الموت

أن اختارَ موتي

يشربُ الحُرُ كلَّ دموعي

يُكسُرُها في ضلوعي

فابكي

وعيناي خاويتانْ ..

مغـــرورقـــاتٌ بـــلا دمـــعٍ مـــآقينـــا
نسعى إليكم ، ولا تـــرقى مَـــراقينـــا
مَـــلاى أضـــالعُنـــا زهـــواً وإن شَهقَتْ
على ينـــابيعكم تبكي سَـــواقينـــا

مثـل النَّـواعيـر، من سَبْـعٍ قصــــائـدُنـا
تـدور بـالـدمـع تبكي أو تُبـــاكينـا
حتى مــــع الـزَّهــو في أبهى معــاركنـا
تَحـــزُّ ذكـــراكمـــو حَــزَّ المِــدى فينـا

حَزُّ المِدى فينا
حَزُّ المِدى ..
هل بدأتِ البكاءُ؟ ..
يا مرازيبَ عيني
كيف كسَّرتِ كلَّ الحواجزِ بين الدموعِ وبيني؟
إنّي رهنْتُ لكم سيفي وأدْرِعَتي
مزَّقتُ أشرعَتي
ألغَيتُ إلغاءَ رمزي
كلَّ أقنعتي

وقلتُ أبكي عليكم هكـــذا عَلَنــــاً
إنَّـــا نُغنّي إذا هيضَتْ دَوامينـــــا
بين البُكـــا والغِنـــا نَشْـــغُ نَهيمُ بـــهِ
فخيــــرُ شعــــرٍ نُغنّيـــهِ مَـــراثينــــا

يا خَيـرَنـا ، يـا أعـزَّ النـاس ، مَكـرُمـةً
أنّـــا بكم تمـــلأ الـــدُّنيـــا أغـــانينـــا
أنّـــا بكم تمـــلأ الـــدُّنيـــا قصـــائدُنـــا
وتـــرتـــدي كِبْـــرَكم كِبْـــراً قَـــوافينـــا
وحينَ نَـــذكـــركم ننسى مَـــواجعَنـــا
فـــلا يظـــلُّ ســـواكم في مَحـــانينـــا
ولا يظلُّ سواكم آخرَ الابَدِ
وشماً على الكبدِ
سيفاً بكلِّ يدِ
ترنيمةَ النَّومِ للأطفالِ في بلدي
اللّه يا وَلَدي
مَنْ يدفعُ الموتَ عن عينيكَ بعدَ غدٍ
وهم يُعدُّون منذُ الآنَ عُدَّتَهم
ليذبحوكَ إذا أغفَتْ غَوافينا

يـــا خَيْرنـــا ليتَ منكم ســـائـلًا ، فَبِنـا
شـــوقٌ إليـــه نُنـــاجي ، أو يُنـــاجينـــا
تُـــرفـــرِفـــون على عـــالي منـــازِلكم
وتهبطـــون صقـــوراً ، أو حَســـاسينـــا

وتجلسون الى أطفالكم زمناً
وتُنصتون ، ولو سَهواً ، لراوينا
ستسمعون الذي يُرضي مفاخِرَكم
وتُبصرون الذي يُرضي معالينا
تَرَون أنّا بزاهٍ من بَيارِقكم
نشدُّ ، ما نائلي ، أعلى عَوالينا
نجيئكم حَدَّ جُرفِ الموت ، زاخرةً
أمواجُنا ، مستَفَزّاتٍ ضَوارينا
حتى إذا التطمَتْ والموج صخرتُنا
تفتّتَ الصَّخرُ وانسابَتْ هَوادينا
يا خَيْرَنا والى عامٍ وتجمعُنا
بكم قصائدُنا أو صوتُ ناعينا .. !

ستسمّون لي نخلةً
واسمّي العراق

افتتاح المربد ١٩٨٦

سَتُسمُّونَ لي نخلةً
وأُسَمّي العراق
وتُسَمّون لي كوكباً
وأُسَمّي العراقْ
وتقولون عن ثورةٍ
لتكنْ ثورةَ السُّودِ
أو ثورةَ الفقراء
وعن ثائرٍ
مسلمٍ كأبي ذَرّ

يستنفرُ المبدعون مواهبَهم كلَّها
وحوافزَهم كلَّها

ثمَّ نكتبُ
عن أيكةٍ
عصفتْ بين أغصانها الريح
عن كبرياءِ الشَّجَرْ
حين يهتزُّ تحت هبوبِ العواصفِ

عن ورقٍ حملتْهُ الرياحُ بعيداً
وعن ورقٍ يتساقطُ تحت خُطى العابرين ..

نكتبُ
كيف الهواطلُ تترى
وكيف العصافيرُ تعرى
وأعشاشُها تتطايرُ مقرورةً ..

حَسَناً ...

لم أحسِنْ أن أرمزَ للحربِ
ولا للعدوانِ
ولا لخرابِ البصرةِ

ذاك لأنّي
لا أتقنُ أن أجعلَ من ألف شهيدٍ
ألفَ وريقةِ شجرٍ في الريح تطيرْ

ولأنّي لا أُحسِنَ أن أتصوَّرَ
أطفالَ البصرةِ
وبيوت البصرةِ
أعشاشاً وعصافيرْ
ولذا أيضاً
سأسمّي الأشياءَ بأسماءٍ أعرفُها
أسماءٍ آلفُها
وأحسُّ بها
ويحسُّ بها الناس

ربّما وجدَ الآخرون فيتنامَ أكثرَ عمقاً
وأقربَ من دمهم رَحِماً
فهي أصلحُ للشّعر من لفظةِ القادسيةِ
واسم العراقْ

ربّما ..
ربّما وجدوا كلَّ حربٍ
سوى حربِهم
جدَّ عادلةٍ
فهي رمزٌ
لأنَّ من اللاحداثةِ
أن نتحدَّثَ عن نفسنا
ومباشرةً دون رمزْ
وأنا الآن لا أُحسنُ الرّمز
إنَّ الذي بين أحشائِهِ خنجرٌ يتحرّكُ
لا يستطيع الصّياحَ على نغمٍ
بسلالمَ محكمةٍ
دون أيِّ نشازْ

ساصيحُ نشازاً
بأنَّ العراق يقاتلُ في عامهِ السَّابعِ الآن
والارضُ دائرةٌ

والنجومُ على وطني لم تزلْ تطلعُ الليلَ
والشمسُ فجراً

ويغفو الخليّونَ حتى الضُّحى
لا تُكلِّفُ أيديهمو نفسَها
أن تنشَّ الذبابَ الذي فوقَ
أوجُههم
ساصيحُ نشازاً
بأنّا نرى نجمةَ الظُهرِ في كلِّ يومْ
ونُريها لاعدائنا كلَّ يومْ
ولو غَفَلَتْ إصبعٌ من أصابعِنا لحظةً
وهي فوقَ الزِّنادْ
لَنَشَّ الرَّصاصُ الذُّبابَ عن الأوجهِ الغافيه !
نومةَ العافيه !

وسنحرسُ أحلامَكم
وشخيرَكمو
غيرَ أنّا سنأبىٰ لأنفُسِنا
أن يكون الذُّبابُ الذي فوق أوجهكم
بحراستنا
وسنأبىٰ لأنفسِنا أن نقول
سوى للقريبين منكم
« تنبَّهوا واستفيقوا أيها العربُ .. »
ذاكَ أنَّ القصيدةَ هذي عموديَّةٌ
ليس تصلحُ للعصرِ
والنائمون شديدو الحداثةِ
مُستمسكون بكلِّ عُرى وَعْيِهم بحداثتهم
لا يُنَبِّهُ نائمُهم
بِقصائدَ مكتوبةٍ زمنَ الداينصورات
ما زلتُ أصيح نشازاً

أيَّتُها الآذانُ المحشوَّةُ بالفلتر
لا تدخلها إلا الأصواتُ المشبوهه

ساظلُّ أصيحُ نشازاً
ما دام هديرُ مدافعنا سيظلُّ نشازاً
وزئيرُ مواقعنا
قرقعةُ العرباتْ
أصواتُ الجرحى ، وزعيق الرشاشاتْ
ما دامت ستظلُّ نشازاً
ساصيحُ نشازاً
حتى تتمزَّقَ آذانُ العصر
« ولي وطنٌ آليتُ ألّا أبيعَهُ .. »

وكيف نبيعُ العراقْ ؟
وماذا سيبقى لنا
ولأولادنا
بعد شمس العراقْ ؟
وليلِ العراق
بانجمهِ
وأهلَّتِهِ العالياتْ ؟

بعدَ موجكِ دجلةُ
ماذا تكون الحياةْ ؟
يا فراتْ
يا عَوالي النَّخيلْ
ألفُ جيلٍ وجيلْ
تتساقطُ حولَ جذوعِكِ
والطَّلعُ يبقى مهيباً
وأعذاقُهُ لا تميلْ

ألفُ جيلٍ وجيلْ
تتوثَّبُ في الغَيب
تصهلُ كلُّ الدِّماءِ التي في شرايينها
كي تُراقْ
تحت سقفِكَ يا سيِّدي يا عراقْ
لأكنْ سلطويًا
لأنّي مع السلطةِ الآن وهي تقاتلُ
كيلا يضيعَ العراقْ

ولأكنْ سلطوياً

لانّي رأيتُ بعينيَّ صدام
وهو يخوضُ مع الجُنْدِ ألسنةَ النار
منتخياً للعراقْ

فإذا كان ،
يا كبرياءَ العراقِ
ورايتَهُ
شعرُنا فيكَ يجعلُنا سلطويِّيَن
فليشمخ الشّعر
أنَّ الكتابةَ في الحبِّ
والحربِ
والموقف الصّعبِ

والارضِ
والعِرْضِ
والشّرفِ المستَفَزِّ المهدَّدِ
قد أصبحت سلطةً
وإنْ
فأنا شاعرٌ سلطويٌّ

بكلّ الذي أكتب الآن عن وطني !
أيُّها الرجلُ المانحُ الكلماتِ المضيئةَ
أزكى عواطفِهِ
وأعزَّ مواقفِهِ
قَدْرَ ما يجعلُ الشعرُ عن شَرَفِ العُربِ أصحابَهُ
عَرَباً
قَدْرَ ما يمنحُ الشعرُ عن كبرياء العراقِ وعزَّتِهِ
شعراءَ العراقِ انتماءً لهذا الوطنْ
قَدْرَ ما يَضَعُ الشعرُ في القادسيةِ
أوسمةً
وأكاليلَ غارٍ
على هامةِ الشُّعراءْ
ويكونُ لهم شرفاً وانتماءْ
ستكون قصائدنا فيك أوسمةً
للذي تتحمَّلُ قامتُهُ الآن أن تستطيلْ
بهذا الوسام الثقيلْ
إنَّهُ شرَفُ العمر
أن ننتمي لزمان البطوله
أنت تعلمُ
كنّا بانفُسِنا

نتتبَّعُ أولادنا واحداً واحداً
كيف يحملُ رَشّاشَهُ
ويشدُّ النِّطاقْ
عنيفاً على ظهرهِ
كي يكون بحجم العراقْ !
أنت تعلمُ أنّا نراقبُ عينيك
كيف تفيضان حبّاً
وكيف تفيضان عَتْباً
ونحسبُ ألفَ حسابٍ لاعمالِنا
ولاقوالنا
من تَرَقُّبِ عينيك
إنَّ أعاديَنا يعلمون بهذا
ويدرون أنَّ العراقَ باجمعِهِ
عالقٌ بامتدادِ يَديك الى شارِبَيْكْ
وهي واللّهِ مرجلةٌ
ليس بعدَ مروءتها مرجَلَهْ
ولهذا ،
فانت الذي يقصدونْ
لانُهمو يقصدون بكَ الآن
كلَّ العراقْ

فلأكُنْ شاعراً سلطةً

ذاك أنكَ أسّستَ في وطني

سلطةً شاعره

وإذا أخطأ الشِّعرُ فينا

فلن يُخطىء الشعرُ فيكَ

يميناً

لأن السياسةَ عندك

رغم حداثتِها

أحكِمتْ بالمبادىء

والقيم اللا تُخاتلُ تاريخَها

نحن نخدعُ حتى الخليلَ بن احمدَ

حين يضيقُ بنا الوزنُ والقافيه !

غيرَ أنّا وعينيك

يبقى العراقُ بأنفسِنا

ألحبُّ

والشعرَ

والعافيه ..

الذمّة

كتبت في مجزرة مدرسة بلاط الشهداء ١٦ / ١٠ / ١٩٨٧

هكذا ؟! ..
كلُّ هذي المسافات يقطعُها الحقد
مختبئاً في الجريمة ؟
هكذا يتحوّلُ أبناءُ آدم مثلَ الذئابِ الرَّجيمة ؟
أيُّ كفٍّ لئيمة
هيّأت في الصباحِ توابيت مدرسةٍ
وثلاثين طفلًا
دفاترَهم وصداريَهم
وحقائبَ منثورةً
كلُّ أقلامِها خُضِّبَتْ بالدّماء

وكأنَّ مقالعَهم أُمِرَتْ
أن تخطُّ لمدرسةِ الشهداءْ
تواريخَ أطفالِها
فوقَ بُقيا حقائبِهم
فوقَ بُقيا الحجارةِ ، والرَّحَلاتِ المهشَّمةِ
المستباحةِ
أوصالهم وهيَ منثورةٌ مِزَقاً
تحت شمسِ الصباحِ الدفيئهْ
ويدُ الله تمتدّ
عيناه تتَّسعان
كأنَّ جفونَهما بالدموعِ مليئهْ !

أيُّ لونٍ من الحقدِ هذا ؟
أيُّ لونٍ من اللؤمِ هذا ؟
كيف تقوى يدٌ
ولتكنْ يدَ ذئبٍ
بأن تفعلَ الفعل هذا ؟

يا أوَيْلادَنا
يا صغارَ العراق المليئة بالحبِّ والاغنيات
دفاترُهم
ننبئكُم أنّكم لغدٍ نرتجيه شعاعْ
أنَّ أوطانكم لا تُباعْ
أنَّ آباءكم تَوّجتْهم سواترُهم

يا صغارَ العراقِ المليئة بالحبِّ والاغنيات
دفاترُهم
لتكنْ غضبَ اللّهِ هذي الدِّماءْ
لتكنْ غضبَ الارضِ بعد السَّماءْ

كلُّ هذي القلوب التي صُدِعَتْ
كلُّ هذي الاكفُّ التي قُطِعَتْ
وهي لمّا تزلْ تتهجّاً لفظَ الجلالةِ خاشعةً
ثمَّ تكتبُهُ قبل بدء الدروسْ
يا كبارَ النفوسْ
أيُّها الابرياءْ
يا شريكي أبيهم وإخوتِهم في الدِّماءْ
كلُّ قطرةِ دمْ

من دماكم تُراقْ
ذمّةٌ في رقابِ العراقْ

كلُّ قطرةِ دمْ
من دماكم تُراقْ
ذمّةٌ في رقاب العراقْ ..

ثـــلاث دمعـــات

دمعــة

سرقوا منه خوذتَهُ
سرقوا خاتمَ العرس من يدِهِ
سرقوا جرحَهُ والنُّطاقْ
عندما أنشدوا
كان يبكي العراقْ ..

دمعة ثالثة

قطرةٌ من دمٍ
سقطتْ فوقها قطرةٌ من مدادْ
ظلَّ لونُ السَّوادْ
وحدَهُ في الورَقْ ..
صرختْ طفلةٌ
يا أبي ..

أفلَتَتْ قطرةُ الدمِ صافيةً
ركضتْ مصدرَ الصوت
قالتْ
أبي ..
وهي تجهشُ

أنكرتُ وجهَكَ ممَّا أساءَ لَهُ الحبرُ

فانفتحتْ قطرةُ الدَّمِ عن زهرةٍ

نشرتْ عطرَها فوق وجهِ الصَّغيرةْ
حملْتها بحبٍّ
وها هي ذي
كلَّ يومٍ تُعلِّقُها في الضَّفيرةْ ..
●

دمعة اللوبة ..

سنواتٍ ،
وأنا أجتازُ في كلِّ صباحْ
بابَ بيتي ،
فالزّقاق المنتهي
بالشارع المفضي لجسر الجادريّةْ

سنواتٍ
وأنا ، كلَّ صباحْ
ينتهي هذا الزّقاقْ
بي الى الشارع ..
لم ألحَظْ بهِ شيئاً سوى المألوف
الأطفال في كلِّ الحنايا يلعبونْ
ونساءٌ لِصْقَ بعضٍ
يتهامسْنَ بأبواب البيوتْ

طفلةٌ تَفجأني
أحذَرُها مبتعداً ،

أسمعُ صوت الأمِّ من خَلفيَ
أندى ما يكونْ
ووجوهٌ تُغلَقُ الأبوابُ عنها ، وعيونْ ..

فجأةً .. ذات صباحْ
وقعتْ عيني على لافتةٍ سوداء في مدخلِ دارْ
ثم أخرى ..
ثمَّ أخرى في نهايات الجدارْ ..
وتوقَّفتُ ،
ترجَّلْتُ الى اللافتةِ الأولى
قرأتُ الاسم ..
لم أملكْ بأن أمنعَ دمعي أن يسيلْ
الشهيدْ
مصطفى عبدالجليلْ

لم أزل أذكرُهُ ..
السّحنةُ السمراء ، والوجهُ النحيلْ
والعيونُ النرجسيَّهْ

نلتقي ،
يبدأ قبلي بالتحيّه
ويغيبْ
زاهياً بالنَّجمة الاولى ،
وزيِّ العسكريّه ..

وتأمَّلْتُ التواريخَ الثلاثه
يا لها من رحلةٍ مشتركه
كلُّهم غابوا بنفس اليوم ،
نفس المعركه

سادتي ،
يا سادتي
يا تاجَ رأسي الشعراءْ
أنا لا أملكُ حتى الشعر ،
لكنّيَ أعطانيَ في يومِ زفافْ

حزنَ كلِّ الأرض

إذ علَّمني أنَّ العراقْ
كلَّ فجرٍ في فيافيه الفسيحهْ
تنهضُ السّكّين عن ألفِ ذبيحهْ

إنَّهم أولادُنا
من أجلهِ يُستَشهدونْ
فاتَّقوا حرمةَ هذا الدَّمِ في ما تكتبون ..

●

ألـرّسُـــل

كتبت في فجيعة مدرسة بلاط الشهداء
تشرين الاول ١٩٨٧

لا لا تقـــلْ إنَّ أهليهم بهمِ ثُكِلـــوا
بهم مـــدى عمــرهِ التـــاريــخ يحتفـــلُ
وبعـــد خمسين عـــامـــاً نصفُ أهلِهمـــو
سيــرحلــون وهم بـــاقــون مـــا رحلــوا
لا لا تقـــلْ أبـــداً أعمـــارُهم قُطِعَتْ
أعمـــارُهم بـــأريـــج الطّلـــعِ تتّصـــلُ
مـــا نخلةٌ أبلَحَتْ مـــا نسمةٌ سرحَتْ
ومـــا غَفـــا تحت فَيءِ السُّنبـلِ الحَجَـلُ!
مـــا فـزَّ في قصب الأهـوار جِنـحُ قَطـــاً
ومـــا سـرى في شـــواطي دجلـةَ البَلَـــلُ

بمـــا يُـــوَفيّ العـــراقيـــون إن كَفَلـــوا
وما يـــوفي العـــراقيـــون إن كُفِلـــوا
أعمـــارُهم كـــلُّ هـــذا من شـــواخِصها
وكـــلُّ عينٍ بهم للّـــــهِ تكتحـــلُ !
فـلا تقـلْ نهبـــوا كـلُّ العـــراقِ غـداً
تُضيءُ في مقلتَيـــهِ هـــذهِ المُقَـــلُ !
بـاقـون هم بيننـا أصـداءُ ضِحْكِهمـــو
ضجيجُهم لِعْبُهُم درسٌ بـهِ شُغِلـوا
بـــالامس أحـرُفُـهُ لم تَـأْلُ عـالقـةً
بلَـــوحِها جـافـلاتٍ مثلَما جَفَلـــوا
حتى دفـــاتـــرُهم تبقى حقـــائبهُم
تبقى بقـــايا طعـــامٍ بينهـا حَمَلـــوا
تبقى ، فـــذاكـــرةُ الاجيـــالِ تنقلُهـــا
جيـلًا فجيـلًا ، ويبقى صـــوتُها يَصِـــلُ !

لا لا تقـــلْ إنَّ أهليهم بهم ثُكِلـــوا
فكيف يُثكَـــلُ مَن في بيتِـــهِ دَخَلـــوا ؟
مضَـوا مـنَ الـدُّورِ خَفْقَ الطَّيـــرِ أجنحـةً
عـــادوا بصمتٍ ، ولكنْ كلُّهم رُسُـــلُ !

إنّي تعـــوّدْتُ ، والأبطـــالُ في وطني
كُثْــرٌ، بأنَّ الــذي يحظى بهــا رجُــلُ
وهـــا أنـــا الآن مبهـــورٌ بـــلافتـــةٍ
طفلٌ عليهـا الشهيدُ الخـالـــدُ البطـلُ !

ولا تقـــلْ أجَـلٌ وافى فَمُــذْ حـدثَتْ
لـــلآن يجهشُ في ســاحــاتها الأجَــلُ !
مستنكـــراً أن يُقـــالَ المـــوتُ داهَمَهُم
فـــلا تقـولـوا تُـوُفُّــوا إنَّهم قُتِلــوا !
يهني خميني، ويهني كـــلُّ زمـــرتِـــهِ
أنْ ليس يفعـلُ حتى المـوت مـا فعلـوا
قـد يخجـلُ المـــرءُ لـو قلبٌ بـأضلعِهِ
من أين يــأتي عديمَ الـرّحمةِ الخجـلُ ؟!

يـــا أيُّهـا المـانحـونَ الأرضَ تـزكيــةً
أنْ مـــا يــزالُ بهـــا منهم دمٌ خَضِــلُ

وأنّهم وهبـــوهـــا كـــلَّ خُضْــرَتِهـــا
وعلّمـــوا الغيمَ فيهـــا كيف ينهمـــلُ !

وعلّمـــوا كـــلَّ شيطـــانٍ بمسبحـــةٍ
وجُبَّـــةٍ ، كيف نـــورُ اللّـــهِ يعتـــدلُ
وكيف يصبـــحُ أطفـــالٌ ومـــدرســـةٌ
صغيـــرةٌ ، كعبـــةً للّـــهِ تبتهـــلُ !
وأنْ غَـــدَوا لعـــراقِ الضَّخمِ أوسمـــةً
والقـــادسيـــةُ منهم مَهـــرُهـــا الجَلَـــلُ !

هـــذا صَـــداقُ العـــراقيين ، فـــانتفضي
يـــا نخـــوةَ الأرض ، فـــالعمـلاقُ يختـــزلُ
أعطى لسبعـــةِ أعـــوامٍ منعَّمـــةٍ
زهـــواً لسبعين جيـــلًا ليس ينـــدمـــلُ
وســـاقَهـــا مَهْـــرَ مجـــدٍ لا يضـــارعُـــهُ
مجـــدُ الـــرجـــولـــةِ حتى وهي تكتهـــلُ !

هل خاف أولادُنا ؟ .. خافوا .. وهل بَطَـــلٌ
من دونِ خوفٍ ؟ .. وهل بَذْلٌ كما بَذَلُوا ؟
خافُوا بَكـــوا ويكينا من مَصـــارعِهم
ثمَّ انتَفَضْنـــا كبـــاراً بعـــدَمـــا حُمِلـــوا
هـــذا صَـــداقُ العـــراقيين فـــاشتعلي
يـــا نخـــوةَ الأرضِ ، إنَّ الأرض تشتعـــلُ !

يا أقربَ الخلقِ للرحمنِ أجنحةً
ويا ملائكةً في ظلِّهِ رَفَلوا
يا مَن على رغمنا شاءتْ مَصارعُهم
أن يفضحوا شَرَّ خلْقِ اللّهِ، فامتَثَلوا
أرَوا جميعَ الورى إيران كيف غدَتْ
وحوشُها بدمِ الأطفالِ تغتسلُ
أرَوا جميعَ عبادِ اللّهِ أنَّ دماً
قد يُفزعُ الأرض طُرّاً حينَ ينهطلُ !

أما العراق فأنتم يا ودائعَهُ
يا مَن بكم دورةُ الأحزان تكتملُ
مثل الينابيع في حمرين أدمعُهُ
تجري عليكم سلاماً أيُّها الجبَلُ !
يا زارعاً في مَهاوي الموتِ قامَتَهُ
للمنكَبَيْن ولا يشكو ولا يَكِلُ
يا دافعاً عن بني الانسانِ كلِّهمِ
وحاملاً عنهمو ما ليس يُحتمَلُ
للّهِ أنتَ بأيِّ الهمِّ تعتزلُ ؟
وأيُّ وجدِ نبيٍّ فيك يَعتملُ ؟

وأيّمـــا كبـــريــــاءٍ أيُّ صبـــرِ فتىً
صبـــرْتَـــهُ ، بجـــراحٍ كلُّهـــا نُجُـــلُ ؟
مـــالتْ مـوازينُ كـــلِّ الارض مـــن هلـــعٍ
وأنت بـــاقٍ ، بكبْـــرِ الأرض تشتمـــلُ
يا سيدي يا كبيرَ الجرحِ يا وطني
يـــا حـــاسـراً وريـــاحَ المـــوت يقتتـــلُ
مُـــذْ قيلَ لـلأرضِ دوري ، والشموسِ قفي
وصِيـــحُ بـــالأزلِ المختـــومِ : يـــا أزَلُ
ألـــواحُ هـــذا ثمَّ صُنْ كـــلَّ أحـــرفِهـــا
فمنـــهُ من رافـدَيْـــهِ الخيـــرُ ينتقـــلُ
أقـــامَ قُطْبَيْـهِ .. ضـــوءُ اللّـــهِ في قُطُبٍ
وآخـــرَ المـــاءُ طُـــرّاً منـــهُ ينهتـــلُ
مشيئـــةُ اللّـــهِ أن يسقي ومن دمِـــهِ
يخضـرُّ للنّـاسِ مـــا ذرّوا ومـــا شَتَلُـوا
هـــوَ العـــراق عـــروقُ الارضِ أجمعُهـــا
دمـاؤهُ كـــلّ مـــا عَلُّـوا ومـــا نَهَلُـوا
هـــو العـــراق ثَكلْتُ الارض لـــو سقَطَتْ
وريقـــةٌ مـــا بهـــا من مـــائنـــا وَشَـــلُ

فَيــــا أويـــلادَنـــا هـــذي مَـــراضعُكم
بهنَّ من ألفِ جيـــلٍ يُضـــرَبُ المَثَـــلُ
ويَـــا أويـــلادَنـــا هـــذي مَـــرابعُكم
من ألفِ جيـــلٍ عليهـــا يُعقَـــدُ الأمـــلُ
ويـــا أويـــلادَنـــا عُـــذراً إذا دَميَتْ
قلـــوبُنـــا .. إنَّ بعضَ الصَّبـــرِ يُفتَعَـــلُ !
نُـــرى جُفـــاةً ، وكـــلٌّ بين أضلعِـــهِ
مـــزرابُ دمـــعٍ عليـــهِ الصَّـــدرُ ينقفـــلُ !
ونَـــدَّعي أنَّـــا صخـــرٌ منـــاكبُنـــا
لكنَّهـــا تحت ثقْـــلِ الثـــوب تنهـــدلُ !
ومـــا سَلَـــوْنـــا ، ولكنَّ القلـــوبَ غَـــدَتْ
عنكم بـــآثـــاركم في الـــدارِ تنشغـــلُ !
ويـــا أوَيـلادَنـــا لسنـــا نقـــولُ كمـــا
قـــالـوا ، ولا نفعـــلُ الفعـــلَ الـــذي فَعَلـــوا
لكنْ نظـــلُّ ليـــومِ الـــدِّين نســـألهم
عنكم ، فـــأكـرمُ خلْقِ اللّـــهِ مَن قَتَلـــوا ..

المنعطـــف

افتتاح المربد ١٩٨٧

الحمدُ للّـهِ يبقى المجـــد ، والشّـرفُ
أنّ العــــراقَ أمـــامي حيثُمـــا أقفُ !
وأنّ عيني بهـــا من ضـــوئِـــهِ ألَقٌ
هُـــدْبي عليـــهِ طـــوالَ الليـــل يـــأتَلفُ
وأنّ لي أدمعـــاً فيـــهِ ، ومُبتَسَمـــاً
ولي دمٌ مثلمـــا أبنـــاؤهُ نَـــزَفـــوا !

الحمـــــدُ لله أنّي مـــا أزالُ الى
وجـــهِ العـــراق أُصلّي حين أعتكفُ
الحمـــدُ لله أنّي مـــا يـــزالُ على
ميـــاهِـــهِ كـــلُّ غصنٍ فيَّ ينعطفُ

وأنني لـــو عظـــامي كلُّهـــا يَبِسَتْ
يجـــري العـراقُ لهـــا مـــاءً فتـــرتشفُ !
الحمــــــدُ للّه أنّي بـــالعــــراقِ أرى
وأنني بـــــــالعـــــــــراقيين ألتحفُ
فليس لي غيــــــرهُ عينٌ ، ولا رئـــــةٌ
وهم إزاري الـــــذي لـــــولاهُ أنكشف !
ولا وحقِّ عـــــراقِ الكِبْـــر لا وَهَنـــاً
ولا هـــــروبـــــاً إليـــــكَ الآن أزدَلِفُ
لكنّني فيَّ ممّـــــا فيـــــك معجـــزةٌ
أنّي بجـــرحيَ عنــد الـــزّهـــوِ أعتــرفُ !
يا سيّد الأرض ، يا ضَعفي ، ويا هَوَسي
وبعضُ ضعفيَ أنّي مغـــــــــرمٌ دنفُ !
لي فيـكَ ألفُ هـوىً ، حبّيـــك سيّـدُهـا
وحبُّ نفسيَ في طيّـــــاتِهـــــا يَجِفُ
حتى إذا كـان في عينيك بعضُ رضـاً
عنّي ، فعنْ كلِّهم إلّاك أنصـــــــــرفُ !
يـــا سيّـدي ، كـــلُّ حـرفٍ فيـك أكتبُـهُ
أحسُّـــهُ من نيـــاطِ القلبِ يغتـــرفُ !
وقـــــد تعـــاتبني أنّي على شَغَفي
تضيقُ حينـــاً بيَ الــدُّنيـــا ، وتختلفُ

يـــا سيّدي ألفَ أيْـكِ وارفٍ عـرفتْ
روحي ، وظـــلَّ أنيسي الأوحــدَ السَّعَفُ !
عِــزقي بعـرقــكَ مشـدودٌ ، فلــو نَهَضـا
أبقى فَسيـــلًا ، وتعلـــو هـــذهِ الألِفُ
تصيـــرُ صـاريــةً عُمقَ السَّمــا وأنـــا
عـــراقُ عـــرقٌ صغيـــرٌ فيــكَ يــرتجفُ !
يشــــدُّهُ ألفُ نبـــعٍ فيـــكَ راودَهـــا
نبعـــاً فنبعـــاً الى أن مسَّـــهُ التَّلَفُ
وقيـــلَ يكفــرُ وا نفســاً جــريــرتُهـا
بـــأنَّهـــا لضفـــافِ اللّـــهِ تنجــرفُ !
مَن ذا يقـــول لهـــذي الـــدائـــراتِ قِفي ؟
لكـــانَ كلُّ الــذين استعجلــوا وقَفــوا !
يا سيِّد الأرض يا ضَعفي ويا هَوَسي
يـــا كبــريـــائي التي مـا شـــابَهـا صَلَفُ
يـــا ضحكــةً بـــابَ قلبي ، لا تبـارحُــهُ
ودمعـــةً حَـــدُّ هُـــدْبي ، ليس تنــذرفُ !
بيني وبينـــكَ صـــوتُ اللّـــهِ أسمعُـــهُ
يصيـــح بي مــوحشـــاً ، والليـــلُ ينتصفُ
يـــا أيُّهـــا المـــالىءُ الأوراق من دمِــهِ
وَفِّــرْ دمـــاك ، فليس الحبّ مـــا تَصفُ

الحبُّ حبُّ الـــذين استنفـــروا دمَهم
فـابتلَّت الأرض مـا ابتلَّتْ بـه الصُّحُفُ !
حبُّ الـــذين بـــلا صــوتٍ ، ولا عِظَـــةٍ
ألقـــوا ودائعَهم لـــلأرض وانصـــرفـــوا !
الحبُّ حبُّ الـــذين المـــوتُ صــالَ بهم
وعنـدما قيـلَ صُولـوا باسمِـهِ نُكفـوا !
فهم يصـــولون بـاسمِ الحبِّ لا جَزَعـاً
لكنْ يـــدُ الحبِّ أقـــوى حين تنتصفُ !

يا سيِّدي ، هَبْ يدي حَوْلاً ســوى قلمي
وَهَبْ جَنـــاني ثَباتــاً كـالــذي عـرفـوا
لعلَّني والـــرَّدى لا بـــدٌّ مُختَـــرمي
أختـــارُهُ أنـــا لا تختـــارُهُ الصُّـــدَفُ !
هَبْني فـــديتُـكَ مــوتــاً لا أمــوتُ بــهِ
فـــالتَّمرُ إن جَفَّ في أعـــذاقِـهِ حَشَفُ !
ولستُ من شَغَفي بـــالمـــوت أرصـــدُهُ
لكنَّني بكمـــــالِ المـــــوت أنشغفُ
وهــــل أتمُّ كمـــالاً من شهـــادةِ مَن
ظلَّتْ دمـــاهُ على رشـــاشِـــهِ تَكِفُ ؟

وكــان آخــرَ صــوتٍ إخــوَتِــهِ
واسمُ العـراق وأغفى بعـدَما هتَفـوا !

يا سيّدَ الأرض يــا عملاقُ يا وطني
يــا أيُّهــا المــوغَــرُ المستَنفَــرُ الأنِفُ
يــا مستَفَــزّاً وسيفُ اللّــهِ في يــدهِ
ونُصْبَ عينيـــهِ بيتُ اللّـــهِ والنَّجفُ
مــالَتْ مـوازينُ كـلُّ الأرض وهــوَ على
قُطبَيْـهِ ، هــولــةُ صبـرٍ ، ليس ينحــرفُ !
مـا شـابكتْ هُـذبَهـا عينٌ ، ولا انقبضَتْ
كفٌّ ، ولا سقطَتْ عن أختِهـــا كتِفُ !
بـــل واقفـاً جبـلًا سـاقـاهُ تحتهمـا
تكــادُ أقسى جبــالِ الأرضِ تنخسفُ
هـذا هـوَ المـانحي زهـوي وأعظمُـــهُ
هـذا الـذي نبضُ قلبي تحتَـهُ يـَزِفُ !(*)
كــأنَّــهُ واسمُ صـــدام العظيم على
رُكنَيْـــهِ ، نـــافــذةٌ للقلب تنكشفُ
يـرى بهـا ، ويُـرى منهـا ، فَهُـوْ طَـرَفٌ
ووجــهُ صــدام يــرنــو نحـوَهُ طَــرَفُ !

هــذا أنــا بين ميــلادي ومنعَطَفي
سبـــعٌ وخمســون خَطْفَ العين تنخطفُ !
كــأنّمـا حُلُمـاً كـانت وهـا أنـذا
يجـــري بيَ العمـرُ أنهــاراً ، ولا جُــرُفُ
أســرَفْتُ ؟ . أدري !. بأهـوائي . بمَعصيتي
بأمنيـاتي بمــا أوحي بمـا أصِفُ
أدري وأدري بــأنّي لم تَعُـدْ لـدمي
تلـك الجمـوحـات ، فليقفِـزْ لي الشَّـرَفُ !
الحمــدُ للّــهِ أنّي لا يـــراوِدُوني
خــوفٌ ولا عادَ يُـدمي فرحتي أسَفُ !
الحمــدُ للّــهِ نفسي لا أجــادلُهـا
ولستُ أحلفُ غيــر ربّمــا حَلَفــوا !
لقــد حَبــاني عــراقُ الكِبْـرِ تـزكيـةً
أنّي بـــهِ ولَــــهُ مستنفَـــرٌ كَلِفُ
وأنّ لي فيـــه ظــلًّا لــو وقفتُ ولا
شمسٌ ، لابصــرتُ ظلّي فــوقَــهُ يـرِفُ !
وذاك أنّ لَــهُ هُــوَ ضَــوءَ مشمســةٍ
ولي أنـــا تحتَهــا رسمٌ ولي كنَفُ !

(*) وسام صدام حسين للاداب ، وقد منح للشاعر في ذلك العام .

يا أهلَنـــا ..

كُتبت وأُلقيت في الاسبوع الثقافي العراقي
في صنعاء ١٩٨٧

أبشِــرْ فهــا أنتَ ذا في ذروةِ الــزَّمنِ
في ملتقى عــرشِ بلقيسٍ بـذي يَــزنِ !
أبشِــرْ ، فحتى جنــاحُ الطَّيــر تُعجـزُهُ
هذي الذُّرا ، غيــرَ صَوْبِ العــارضِ الهتِنِ
أبشِــرْ ، فــإنَّــكَ في عَليــا ارومَتِهــا
في الجــذر والفرع ، من صَنعــا الى عَدَنِ

أدري .. ! .. كنـوزِيَ هـذي ، كيف أجهلُهـا
هـــذا دمي ، وأعـــزُّ الأرضِ في وطني

أدري .. وكـــلُّ حصـــاةٍ فيـــه أعـــرفُهـــا
وكـــلُّ قطـــرةِ مـــاءٍ فيـــه تعـــرفني
هـوَ انتمـائي، فـإن صـار الـرجـوعُ لَـهُ
بشـــارةً لي فـــوا بـــؤسي، ووا حَـــزَني!
هنـــا بـدأنـــا هنـا كـــانت عـروبتُنـــا
تمتـدُّ شـرقـاً وغـربـاً من ذُرى اليمنِ
فـــإنْ تكنْ خـــانت الأيّـــامُ حـــاضـرَنـا
فـــإنَّ أخـــلاقَ أهلي قطُّ لم تَخُنِ!
يـا أُمَّنـا ذلـك التـاريخ مـا بـرحَتْ
ظـــلالُـــهُ بين هُـــدْبِ العين والـــوَسَنِ!
مُـــذْ كـانَ صـــوتيَ يحكي صـوتَ قُبَّـــرَةٍ
وكـــان زهـــويَ بـــالتـــاريـــخ يملـــؤني
مثـــلَ العصـافيـرِ تحتَ البَـرْدِ راجفـةً
كنّـــا نُغنّيـــك أطفـــالًا على المِحَنِ
حتى كَبِـرْنـا ومـــا زالت تجيشُ بنـا
حَـــدْ البكـــاء أغـــاني ذلـــك الـــزَّمنِ!
الله يـــا وطني يـــا خيـــرَ مـــا نطقتْ
روحي قُبَيـــلَ فمي في الـــسِّـــرِّ والعَلَنِ

يـــــا دوحـةً أنــا فيهــا طــائــرٌ غــرِدٌ
يشـــدو ويقفـــزُ من غُصْنٍ الى غُصُنِ
وبين غصنٍ وغصنٍ يقطعـــونَ لَــــهُ
عِـــزْقــاً ولــلآن لم يكفُــرْ، ولم يَلِنِ!
والبُـــومُ من كـــلِّ أرضٍ لا يُقـــال لَـــهُ
على حـــدود بــلادي: أين؟ أو لِمَنِ؟!

عــذراً بــلادي إذا مـــا طــاشَ بي أَلَمي
عـــذراً إذا شطَّ هـذا العـاشقُ الــوَثني
وَجْـدُ أعــانيــــه مــا أفــرَدْتُ أجنحتي
لكي أطيـــــــــر الى أهلي يُنَغِّصُني
وأمسِ أمسِ رأيتُ الوَيل ما تركــوا
مَســامــةً لم تُفَتِّشْ بَعْــدُ في بَــدَني!
بـــل كادَ يُفحَصُ حتى النَّبضُ في رئتي
وكـــاد يُختَمُ حتى الصَّـــوتُ في أُذُني!
ولستُ أحمــــــــــلُ في قلبي وأوردتي
إلّا هـــواك ففَتِّشْهُنَّ يـــا وطني!
يا دارةَ الشمس يا أهلي، ويا سَكَني
يـــا نــاصـري أهلِكم في فَـــورَةِ الإحَنِ

يــــامَن غـــــرويتُهم مـــرسى سفينتِهم
في حين طَــوَّحت الأمـــواجُ بـــالسُّفُنِ !
إنَّ الـــدِّمـاء التي قــد مــازَجَتْ دمَنــا
منكم ، ستعصمُ أولادي من الـــــــوَهَنِ
وذاك أنَّ لهم أهــــــــــلًا أولي رَحِمِ
مـــا ضيَّعــوا دمَ أهليهم بـــلا ثمنِ
يـــا أهلَنـــا والعــــراقيـونِ إخــوتُكم
بنـــو أبيكم على الأفـــــراحِ والشَّجنِ
واللّـــهِ لا نَصطفي عـــوداً لأنفُسنـــا
من دونكم لا وَرَبِّ الخيـــــرِ والمِنَنِ !
إنّـــا إذا عَــزَّ مـــاءٌ في ديـــاركمـــو
نجري دماً نحوَكم من أبعـدِ المُـــدُنِ !
وعن جميــــــعِ العـــــــراقيين أنبئُكم
أنـــا الـــذي بينهم في آخـــرِ الـرَّسَنِ
أنَّ العـــــراقَ بهم تبقى بَيـــارِقُـــهُ
خفَّـــاقةً رغمَ مـا في الفُـرسِ من حَزَنِ
وأنَّ أبـــوابَنـــا لـــلأهــل مُشْـــرعَـــةٌ
رغمَ الــرَّدى ، وكــأنَّ المـوت لم يكُنِ !

عليك مصرُ سلامُ اللّه

ألقيت في افتتاح المهرجان الشعري لمعرض هيئة الكتاب في القاهرة ١٩٨٨

كم ذا تكـــابِـــرُ أنَّ الشُّعـــرَ والأدبـــا
كـانـا جنـاحَيك ، والشَّـوقَ الـذي غَلَبـا
كم تـــدَّعي لـــرفيفِ القلب من سببٍ
وكـــان حبُّـــكَ مصـــراً وحَـــدَهُ السَّببـــا !
هـا أنتَ ذا مرَّةً أخـرى ولـو ملكتْ
هـــذي الحـروفُ لسـانـاً مثلَهـا ذَرِبـا
لقـــالَ للنـاس : لم يكتبْ هـوى أحـدٍ
منكم ، ولكنْ هـــواهُ وحـــدَهُ كَتَبـــا !
تـــذَكُّـــرَ البلَـــدَ المـــأمـون مُـدخَلُـهُ
المطمئنَّ المهيبَ الصَّـــابـــرَ الحَـــدِبـــا
المُستجيبَ المُجيبَ الملجـــأَ المَـــلاَذْ
دمـــاؤهُ الأرض رَوّاهـــا ومـــا شـــرِبـــا

ولا استغـــاثَ ، ولا استَعفى ، ولا لَغِبــا
وأفعمـــوا جـرحَــهُ ملحـاً ، ومـا عتبـا
قـــال ادخلـــوا بســلامٍ ، إنني وطنٌ
مـــا قيـلَ يـومـاً على أولادهِ غَضِبـا !
تذكُّر الأمس حـزنـاً مـا هُنـا وَجعـاً
هناك ضوءاً هنا أغفى هناك لَخَبا
لكنَّـــهُ ظـــلَّ مشـــدوداً لبـــارقـــةٍ
في القلب ، كـلُّ خيـالٍ نحـوَهـا جـذِبـا
كـــانت نجـــومٌ وأفـــلاكٌ تــدورُ سُـدىً
فـوضى ، فـلا صُعُـــداً تمضي ، ولا صَببا
وفجـــأة ضـــاء نجمٌ دارَ دورتَـــهُ
فَلَمَّهـــا ، واستـــوى في قلبهـــا قُطُبـا
تـأمَّـلَ الكـــون كـان الكـونُ منتظمـاً
ومصـــرُ كـانت لــهُ الأجفـانَ والهُـدُبـا !

وظـــلَّ يــذكــرُ لم تهـدأْ لَــواعجُــهُ
وكـــان آخـرُ شـوطِ الليـلِ قـد شَحُبـا
تـذكَّـرَ النيـل أمـواجـــاً وأشـرعـــةً
وزورقـــاً في ميـــاهِ النيـــلِ مُنســـرِبـا

رؤوسَ أصحــــابِهِ حينــاً تميلُ بهـــا
أرجــوحةُ المــوج أو يَطوونَهـا شَغَبـا !
ورجــعَ كـــركـــرةٍ يـــأتي النَّسيمُ بهـــا
من أوَّلِ اليَخت ، مخمــــوراً بمـا جَلَبـــا !
والـوَشـوشـاتِ رنينَ الكـأس أعينَهم
في الليل والماء والظلماء والشُّهُبا
وأوجهـــاً كلَّمــــا مـــرَّ الهـــواءُ على
أعطـــافها جـاءنا معشـــوشباً رَطِبـــا
يضمُّ خصلــــةَ شعـــرٍ، ثمَّ يُفلتُهـــا
ويعبــــرُ اليَختَ هَيمـانَ الخُطــا ، طَـرِبـا

تــذكَّرَ النـاس كـلُّ النـاس طيبتَهم
وصبــرَهم والعطــاءَ الجَمَّ والأدبـا
وكِبْــرَ مصـــرٍ وليــلًا ظــلَّ يسهــرُهُ
للفجـر، رُوحـاً على الأهـــرامِ مضطـرِبـا
وكـــان ذنبُ وداعِ الأهـــلِ مُــدَّنيـاً
حتى تدلَّى ونادث مصـــر فارتكَبـا !
وهـــا هـو الآن مـأخـوذٌ بـذنبِ هـوىً
الله يعلمُ كم داراهُ محتسِبـــــــــــا !

يـــا أهلَنـــا ، إنَّني آتٍ وفي خَلَــدي
أنّي إذا لم أجِئْكم أُوقِظُ الـــرُّيَبـــا
أولادُ أولاديَ الآتـــــونَ كلُّهمـــــو
سيُســـألون : على مَنْ جَــدُّكم حُسِبا ؟
فلم يجيء مصرَ في حين استُفِزَّ لها
ومصـــرُ تنظـــرُ إنْ كـــانتْ لـــه نَسَبــا
ويعلمُ الله أنتم مـــــــلء أوردَتي
وحبُّكم يملـــكُ الشـــريـــانَ والعَصَبــا
ولا نجـــامـــلُ فيكم ، أو نجـــاملُكم
وهـــل يجامـــلُ مـــرءٌ أهلَـــهُ النُّجُبـــا ؟
إنّي أتيتُ وبي من حبّكم سمـــــــةٌ
انْ لـــو رأتْ مصرُ أنْ آتي دمـاً سَـرِبـا
لمـــا رأى النـــاسُ منّي غيـــرَ أوردةٍ
نجيعُهـــا يطـــرقُ الأبـــوابَ منسكبـــا !
يـــا أهلنـــا ذمَّـــةٌ إنّي حملتُ لكم
مـــا لا نحمِّلُـــهُ الأقـــلامَ والكتُبـــا
حملتُ من كـــلِّ مصـــريٍّ بحـــارتنـــا
تحيـــةً ، وهـــوىً للنيـــل مـــا نضبـــا
وحلَّفـــونيَ أنْ أســـري ببلـــدتِهم
أُقـــري المـــآذنَ ، والأبـــوابَ ، والقُبَبـــا

ســـــلامَهم   وأقــولُ اللّـــهُ يشهــدُ مـــا
كـــانــوا ، ولا لحظـةً ، في أهلهم غُـرَبــــا
أنَّ العـــــراقَ لهم بيتٌ ، ومــــدَّخَـــــرٌ
وأنَّهم أهلُـــــهُ   أمّـــاً غَـــدَوا وأبـــا
إن كـــــان يسمعني منهم أخٌ فلقــــــد
بلَّغتُ أهلي وأهليـــــه الـــــذي طَلَبــــا !
يـــا إخـــوتي ، وتــركتُ الآن في بَلَــدي
هـــــولًا يهيمُ على الآفـــاقِ محتـــرِبــــا
تـــركتُ مجمـــــرةً شعـــــواءَ مقبلـــــةً
اللّـــهُ يعلمُ كم نُـــزجي لهـــا حَطَبـــا
تــــــركتُ أهلي وأولادي أصـــــابعُهُم
على الـزِّنـاد   تـــركتُ المـوتَ منتصبـــا
تـــركتُ كـــلَّ عـــراقيٍّ يَمـــورُ دمـــاً
وعينُـــــهُ مثـــل عين الصَّقـــر مُـــرتقِبـــا
تـــركتُ غيمَينْ   هـــذا متقَـــلٌ صَلَفـــا
الى القـــرار   وهـــذا متقَـــلٌ غَضَبـــا
وعنـــــدمـــا يلتقي الغَيمـــان سـوف نـــرى
مَن يمطـرُ الخير ممَّن يمطـرُ الـوَصَبـا !
لَسَـــوفَ تَهطـــلُ حَـــدُّ الـرُّكبَتينِ دمـــاً
وســـوف تبـرقُ حَـــدُّ المشتـــري لَهبـــا

وســـــوف لا يحتمي إلا بنخـــــوتِـــــهِ
حيٌّ، ولا يلتـــوي إلا بهـــا رُكَبـــا
ستصبـــحُ الأرضُ كـــلُّ الأرض مُشتَجَـراً
وتصبـــحُ الهـــامُ كـــلُّ الهـــام محتَطَبـــا
وســـوف لا يلتقي مَـــوْتٌ بصـــاحبِـــهِ
إلا وتفـــزعُ أيٌّ منهمـــــا وَثَبـــا !
واللّـــهِ لَلبصـــرةُ الشمّـــاءُ نجعلُهـــا
للفُـــرسِ أســـوأ من ذي قـــار مُنقَلَبـــا !
يـــا أخـــوةَ الـــدَّمِ والإيمـــانِ معـــذرةً
أنّي أرى الـــدَّمَ والإيمـــانَ قـــد تَعِبـــا

إنّي أرى النـــاس، إلا بعضهم، وُلِعـــوا
أن يلعقـــوا مـــا رآهُ أهلُهم حَسَبـــا
حتى لقـــد صـــار ممّـــا نستـــريـــحُ لـــهُ
سمـــاعُنا بـــأخٍ يشكـــو، ولـــو كَـــذِبـــا !
نَيْفٌ وتســـعـــون شهـــراً والـــدِّمـــاءُ بنـــا
تجري وللآنَ بعضُ الأهـــل ما شَجَبـــا
بـــل ربّمـــا غـــاظَـــهُ أنَّ الـــدِّمـــاءَ جـــرَتْ
نَيْفـــاً وتسعين شهـــراً وهـــو مـــا شـــرِبـــا !

يــــا إخـــوةَ الـــدَّمِ أدري أنَّـــهُ عَنَتٌ
أنّي أصنِّفُ أهلي في الـــدِّمـــا رُتَبـــا
أقـــولُ هـــذا دمٌ قـــانٍ ، وذاك دمٌ
مخفَّفٌ ودمٌ مـــاءٌ وَوا حَـــرَبـــا
لـو كـان للـــدَّمِ صوتٌ في ضمـــائـرِنـا
لقطَّـــعَ القَلبَ والأنيـــاطَ والعَصَبـــا
لـــو كـان للـدَّمِ هـــذا بعضُ حـــرمتِـــهِ
إذن لمـــاذا دمشقٌ أهلكَتْ حَلَبـــا ؟!
وفيمَ لبنـــانُ أهلـــوهـــا خنـــاجـــرُهُم
بعضٌ بـــأضلاعِ بعضٍ تفعـــلُ العَجَبا ؟
سَـــلْ كلَّ قلبٍ بـــهِ ثُقْبٌ تَجِـدْهُ بهـــا
بطلقـــةٍ جِـــدُّ لبنـــانيـــةٍ ثُقِبـــا !
تجـــدْ فلسطين مـــا هيضَتْ ، ولا نُكِبَتْ
إلّا وأقـــربُ خلقِ اللّـــهِ مَن نَكَبـــا
وذاك أنَّ رصـــاصَ الأبعَـــدين وإنْ
تَفَنَّنـوا ، لا يـرى منـك الـذي احتَجَبـــا
لكنْ يـــراهُ أخـوك المحض يـــرصـدُهُ
ويُنشبُ السَّهمَ قصـــداً فيـه إن ضَـــرَبـا

لـــو مـرَّةً سيفُ أهلي زَلَّ عن جســدي
لصـــاح كــلُّ وريــدٍ فيَّ : كيف نَبـا ؟!
كنّـــا نقـــولُ بــأنّــا أمَّـــةٌ عَـــرَبٌ
الحمــدُ للّه كنّـــا أُمَّـــةً عَـــرَبـــا !

●

يـا رَحْبَـةَ الصَّـدرِ عـذراً أن تضيقَ بنـا
بل بي لوحدي ، فجاجُ الأرضِ مضطـرَبا
أقـــولُ في كـــلِّ يـــومٍ لن أَمُــجَّ دمــاً
ولا رصـــاصـــاً ، ولا همّــاً ، ولا نَصَبـا
حتى إذا مـــاجَ موجُ الشِّعــر وانســرَبَتْ
أوجــاعُــهُ في شعـــابِ القلب فـانشَعَبـا
تصبَّبَ الـــدَّمُ منـــهُ ، كيف أمنعُــهُ ؟
وأيُّ جـــرحٍ عميق الغَـور مـــا سَكَبـا ؟!

عليـــكِ مصـــرُ ســلامُ اللّه مـــا طلعَتْ
شمسٌ ، ومـا هَـزِمـاكِ بـالـدُّجى اعتَصبا
فــــأنتِ ملجـــأُ حُبٍّ ، كلَّمـــا اختنقَتْ
بنـــا الحياةُ وجَــدْنـــا نحــوَهْ سَبَبـــا !

●

عجّلتُما دورانَ الأرض

كتبت في ميلاد الرئيس القائد
نيسان ١٩٨٨

لا فضَّـــةٌ وهبـوا ، لا مــاس ، لا ذَهَبـا
أهـدَوا لك الفـاو إذ أهـديتَهـا العَـربـا !
مَهْـــراً لميـــلادك الميمـــون جمَّعَـــهُ
صِيـدُ العـــراقِ دمـاً مستنفَـراً لَجِبـا
جـــاشوا بـــه جيشـانَ الـرافـدين الى
أن طـــوَّقَ الفـاو يـومـاً واحـداً عَجَبـا
رأى بـهِ الفُـرسُ مـا كسـرى ومَن معـهُ
لم يُبصـروا يـومَ لاقَـــوا أهلَنـا النُّجُبـا
لا القــادسيَّةُ ، لا ذي قـار ما عظُمَتْ
ولا نهـــاونـــد كـــانت مثلَهـــا لَهبـا !

يا نازعَ الفاو نزعاً من محاجرهم
لقد نزعتَ بها أنياطَهم رَهَبا

كانوا يقولون إنَّ الطَّير لو شهقَتْ
لن تستطيعَ لارضِ الفاو مقتَرَبا

فجئتَهم ، لا مجيءَ الطَّير ، بل كِسَرٌ
من السَّماءِ عليهم أطبقَتْ سُحُبا

وامتدَّ طَوفانِ فوق الأرض طوقُ دمٍ
وطوقُ نارٍ أحاطَا الفاو ، والتَهبا

إذا بمن تملأ الدُّنيا صَلافتُهم
في ليلتين ويومٍ أمعنوا هرَبا !

يا كوكبَ السَّعدِ يسري والسَّنا معهُ
والنَّصرُ ظلٌّ له ما جاء أو ذهبا

يا مَن لخطوِكَ منّا سُورُ أفئدةٍ
وتفرشُ المقلُ الأجفانَ والهُدُبا

يا جاعلًا كلَّ يومٍ ليس يُحجَب من
عزيز عمرِكَ بالأمجادِ محتجِبا

حتى لَنُشغَلَ بالانوارِ تسكبُها
وتصطفيها ، عن النَّجم الذي سَكَبا !

تـــؤرِّخُ النـــاسُ بـــالأيّـــامِ مـــولـــدَهـــا
فيحسبـــون لهـــا الأعـــوام والحِقَبـــا
وأنت مـــولـــدُكَ الميمـــون أرَّخَـــهُ
كـــلُّ العـــراق بكم أسطـــورةٍ كُتُبـــا !

حتى لنحسِبَ كم نصـــراً ، وكم كَـــرَمـــاً
وكم إبـــاءً ، وكم فـــوزاً ، وكم تَعَبـــا
وكم منـــاراً لنـــا أعلى ، وكم حَـــدَثـــا
أملى ، وكم شَـــرفـــاً أغلى ، وكم وَهَبـــا
عَـــدُّ المـــلاحمِ والأمجـــادِ تَصنعُهـــا
ميمـــونُ عمـــرِكَ يـــا صـــدام قـــد حُسِبـــا !
كـــلاكمـــا أنت والضَّخمُ العـــراق ، بمـــا
عجّلتُمـــا دورانَ الأرضِ أن يثبـــا !
وأن تُعـــادلَ دهـــراً كـــلُّ ثـــانيـــةٍ
حتى نرى الليل ضوءاً ، والثّرى شُهُبـــا !

يـــا واهبَ الفـــاو مـــا لم يُعطِـــهِ أحـــدٌ
إلا العـــراقيّ ، أُمّـــاً بَـــرَّةً ، وأبـــا
شِبْلَيـــهِ ، قَـــوْدَ العـــراقيين قـــادهمـــا
لـــذروةِ الهول جـــاشا فيـــه ، واحتـــربـــا

حتى إذا انكشفتْ ، جـــاءاهُ كلُّهمـــــا
يلـــوحُ بـــدراً عـــراقيـــاً وقـــد تَـــرِبـــا !
هـــذان صـــدام ، لـــو كـــانـــا لأيِّ أبٍ
لم يقتـــرحْ هـــوَ ، مختـــاراً ، ومحتسبـــا
بـــأن يكـــونـــا بهـــا لكنْ مكـــابـــرةٌ
غيـــرُ العـــراقيِّ لا يـــدري لهـــا سببـــا !

يـــا دورةَ الأرضِ عـــامـــاً لا يضـــارعُـــه
عـــامٌ بمـــا هتـــكَ الأستـــارَ والحُجُبـــا

عـــامٌ أضـــاءَ العـــراقيـــون فيـــه دُجى
كـــلَّ النفـــوس أزالـــوا الشَّـــكَّ والـــرِّيَبـــا
فـــأبصـــرَ النـــاسُ كـــلُّ النـــاسِ أنَّهمـــو
من أعظم الخَلقِ مـــوروثـــاً ، ومكتسَبـــا
سـادوا بـأخـــلاقهم ســـادوا بمعـــدنهم
ســـادوا بـــأن جعلـــوا مِن صبـــرِهم نَسَبـــا
وحين ســـاقُـــوا صـــواريخَ الحسينِ بهـــا
لم يُطلقـــوا الحقـــدَ لكنْ أطلقـــوا الغَضَبـــا
واللّـــهِ ، لـــو كـــان حقـــداً مثلَمـــا فعلـــوا
لكنتُ ألعنُ نفسي الآن منتحبـــــا !

إنّـــــا لنبحثُ عن سيفٍ يقـــــولُ لهم

هـــذا لهيبي فـلا تُلقـــوا بـــهِ حطَبـا !

متى سيفهمُ مَن إيـــــران أرضُهمـــــو

وشعبُهم ، أنَّنـــا لا نـــدَّعي كـــذبـــا

وأنّنـــا ، ولهيبُ الفـــاوِ شـــاهـــدُنـــا

نسطيعُ أن نملأ الـدُّنيا دمـاً سَـرِبـــا

لكنّنـــــا نتمنّى أن نُســـــــالِمَهم

على التُّقى ، ليس محلـــوبـاً ومحتَلِبـا !

يـــا دورةَ الأرضِ عـــامـاً لا يضـارعُـهُ

عـــامٌ بمـا أيقظَ الـدُّنيا ، ومـا قلَبـا

من الموازين ما استوفى وما وَهَبا

ومـــا تـــداركَ من صـدعٍ ، ومـا رأبـا

ومـــــا قضى للعـــــراقيين من غَلَبٍ

في كـلٍّ شـوطٍ لهم حـازُوا بـهِ الغَلَبـــا

وخيــــرُ مـا فيــه ان جـاءت متـوِّجـةً

خمسين عـاماً بـه الشمسُ التي جَلَبـا !

وأنّهـــا ، واسلَمَنْ وارفــلْ بعـــافيـةٍ

يا سيدي فَـرْطُ رَيعَانٍ ، وفـرطُ صِبا !

وشـــارةً لبلـــوغِ المـــرءِ ذروتَـــهُ
وأنَّ أبهى أمـــانيـــهِ قـــد اقتـــربـــا
بـــأن يكـــونَ أبـــاً للنـــاسِ كلُّهم
وأن يـــرى لابنِـــهِ في حجـــرِهِ عَقِبـــا
وأن تـــرى عنفـــوانَ الـــرافـــدين على
يـــديـــكَ يبلـــغُ سَمْتَ القـــوس منتصبـــا
ومن هنـــا تبـــدأ الـــدُّنيـــا نضـــارتَهـــا
وتبـــدأان معـــاً تـــأريخَنـــا الخَصِبـــا !

أنا آخرُ الدنيا أتيت ..

ألقيت في يوم بغداد
نيسان ١٩٨٨

سَبَقـــوا ، وكنتُ أظنُّ أنيَ أسبَقُ
كتبـوا ، وغنّـوا في هـواكِ ، وصَفَّقـوا
وسَقـوا ، وسُقُّوا ثم نـامـوا ، والهـوى
بـاقٍ على شطـآن دجلـةَ يـاأرَقُ !
بُقيـا مـواقـدِهم ، ومَسحَبُ زِقِّهم
من ألفِ عـامٍ وهـو حيٌّ يُـرزَقُ !
والجسـرُ ما بين الـرّصـافـةِ والمَهـا
كِسَـرُ الحجـار لهـا قلـوبٌ تَخفقُ !
وظننتُ أنّي قـد سَبَقتُ ، وأين لي ؟
سَبقـوا إليـك ، وأنشَـدوا ، وتَفـرّقـوا

أنـــا آخـرُ الـدُّنيا أتيت قصـــائـدي
شَهَقــــاتُهــــا بتـــــرابِهم تتعلَّقُ !

بغـــداد أيُّ صَــدىً ، لأيِّ إرادةٍ
أوحى الى التـــاريـــخ أين يُــوَثِّقُ ؟
هـل شـاقَت المنصورَ دجلةُ وحـــدَها ؟
مَـــدُّ البسيطـــةِ أنهـــرٌ تتـــرقـــرقُ
وَسَطٌ ؟ .. وأين ؟ .. وللخـــلافـــةِ رقعـــةٌ
وسَطٌ بهــــا حتى هـــــراةَ وجِلَّقُ
لكنَّـــه التــاريـــخُ أطلــعَ شمسَــهُ
من حيثُ كـــلُّ نجومِـــهِ تتـــألَّقُ
من قلب نُفَّـــرَ من أريـدو من ذُرا
أوروك والحَضَـــرُ الفَنـــارُ المغلَقُ
سقطت خيـــولُ الفُـــرسِ في عَتَبـاتِهـا
وهـــوى بهـا « تـــراجـان » وهـــو ممـزَّقُ
من قلبِ هـــذا الضـوءِ صـوّتَ هـــاتفٌ :
يـــا أيُّهـــا المنصـــور ، أين تُحـــدِّقُ ؟
هيَ ذي أمـــامَـــكَ ثمَّ أومـــأ للـــذُّرا
وإذا بســـــــــورِكِ يستقيمُ ويشهقُ !

هل كان وحياً ؟ . لستُ أدري ، إنَّما
أدري بأنَّ الأرضَ كانت تغرقُ
وتعلَّقَتْ بك كلُّها ، فحملتِها
ونهضتِ كالعنقاءِ حين تُحلِّقُ !
هي حكمةُ التاريخ أنَّكِ من هنا
أمسكتِ جذع الأرض لا يتَشقَّقُ
وجمعتِ أشواطَ الحضارةِ كلُّها
وجرَيتِ شوطاً بعدها لا يُلحَقُ !

سأقولُ بابلُ أنتِ لستِ وريثَها
بل أنتِ من أكدَ العريقةِ أعرَقُ
تلك المجرَّةُ كلُّها من نينوى
من أور ، من آشور حيثُ تَسلَّقوا
عمقَ الزَّمان ، وألفُ وركاءٍ بهِ
هي أنتِ جذعُكِ أنتِ كان يُفتَّقُ !
وبكلِّ ألفٍ يستطيلُ بمجدهِ
فرعٌ أشمُّ ، وبرعمٌ يتفتَّقُ !

سأقول إنَّ الأرض بعدَكِ كُوِّرَتْ
وَرُكِزْتِ قطباً منذُ كانت تُخلَقُ !
سبحانَ من سوّاكِ، كلُّ عظيمةٍ
خُبِئَتْ بأرضِكِ أعصُراً تتصَندَقُ
وبكلُّ عصرٍ كوكبٌ بمشيئةٍ
يأتي فيطلقُ منكِ ما لا يُطلَقُ !

بغداد ما عرف الزَّمانُ مدينةً
خمسون عقداً، وهي نجمٌ أزرقُ !

غطّى بهالتِهِ الخليقَةَ كلَّها
أيّامَ كلُّ الكونِ ليلٌ مطبقُ
الشمسُ تشرقُ في السَّماءِ وتحتَها
شمسٌ من الأرضِ العظيمةِ تشرقُ !
هي أنتِ لَمْلَمَ كلُّ نجمٍ عشقَهُ
ومضى، ونجمُكِ ظلَّ طفلاً يَعشقُ !
بغدادُ يا رئةَ الحياةِ بأسرِها
ضاقتْ منافذُها وصدرُكِ يَشهقُ
مَدَّ العصور، وألفُ لِصٍّ حاولوا
هيهات أرديةُ السَّنا لا تُسرَقُ !

عَـــزَيتِ كلَّ القُبـحِ في الـدُّنيـا ومـا
عـــزّوا عليـــكِ ســوى ضميـــرٍ يقلقُ
وســوى قلــوبٍ عــامـراتٍ بـالهـوى
وبـــريقِ سيفٍ بــاسمِ ربِّـــكِ يُمشَقُ !
بغـــدادُ يـــا دارَ المـــزوءةِ كلِّهـــا
يـــا بــابَ صـــدام التي لا تُطـــرَقُ
إلّا على حبٍّ ، فـــإن طُـــرِقَتْ أذىً
جِنْـــحُ السَّمـــاءِ على البسيطـــةِ يُطبقُ !
يـــا بيتَ مَن قممُ الحضـــارةِ بيتُـــهُ
وبـــروحِـــهِ انهـــارُهـــا تتـــدفَّقُ
وبهـــا ، وعنهـــا مـــا يـــزالُ مقـــاتـلًا
وبكـــلِّ كِبْـــرِ جـــدودهِ يَتنطَّقُ
هـــذا الـــذي يمشي بهيبـــةِ فيلَقٍ
أرأيتَ يـــومـــاً كيف يمشي فيلَقٌ ؟!
شمسٌ بـــدارتِهـــا تسيـــر ، وحـــولَهـــا
شُهُبُ العـــراقِ جميعُهـــا تتحلَّقُ !
هـــذا الـذي عَـــرضـوا أمـــام هـــدوئِـــهِ
جَبَـــروتَهم وتَنَمَّـــروا وتشَـــدَّقـــوا
وإذا بهم في ليلـــةٍ ونهـــارهـــا
لم يُخنَقوا لم يغرقـــوا لم يُحرَقـــوا

لكنْ رحى نـــــــارِ أتتْ وجميعُهم
طُحِنـــــوا وأعينُهم إليـــــه تُحملقُ !
حسبـــوا تـرابَ « الفــاو » ملحـاً بــارداً
وإذا تـــراب الفـــاو بـــرقٌ يَصعَقُ !
بغـــدادُ ، مجـدُ الفـــاو أنَّـكِ أختُهـا
وأبيتِ عيـــدَكِ إذ دِمـــاهـــا تُلعَقُ
نـــدري بـــأنَّهمـــو بليـــلٍ آثمٍ
زلَقـوا إليهـا ما رَوَوا ما لَفَّقـــوا

لا بـاس ها هم سـاكتـون ، وأرضُهـا
صـــدام فيهـــا بـــاسمٌ لا ينطقُ
الـــزَّهـــوُ هـــذا ، والمـــروءةُ كلُّهـــا
انظـــز لـــوجـــهِ الحُـــرِّ إذ يتفـــوَّقُ !
بغـــداد تنطفيء القصـــائـــدُ كلُّهـــا
ويظـــلُّ عطـــرُكِ في القصـــائـــدِ يعبَقُ

تبقى صَبـــاكِ أعـــزَّ مـــا نتنشَّقُ
والمـــاءُ فيـــكِ ألـــذُّ مـــا نتـــذوَّقُ !
حسبُ القَـــوافي أنَّهـــا مـــا أُنْقَتْ
لـــكِ أنتِ لا لـــرواتِهـــا تتـــأنَّقُ

يـــا أمَّ أعلى بَيـــرَقٍ ، وأعـــزَّهُ
أنْ في يَـدَيْ صـدام هـذا البيـرَقُ
ستُفَـــكُ أبـــوابُ السّنين وتُغلَقُ
وتُشَقُّ أخــلاقُ الــرِّجــال وتُــرتَقُ
ويلـــوذُ هـــذا بـــاسمِ ذاك ، وينحني
جبـــلٌ على سفـــحٍ يُـــداسُ ، ويُمحَقُ
ويظـــلُّ رأسُـــكِ في السمـــاء مُصعَّــداً
ويحجمِ مـــا يجـــري دمـــاً يتعملَقُ !
أنتِ العـــراق ، بمـــرتقى أبنـــائِـــهِ
وبكبـــريـــاءِ دمـــائِـــهِ يتخلَّقُ
أمَّـــا زنـــادقـــةُ الـــزَّمـــان ، وراثـــةً
أو مَن غـــدا مِن أهلِنـــا يتـــزنـــدَقُ
ذلّاً ، وغـــلّاً ، وانطفـــاءَ حميَّـــةٍ
ولأنْ عليـــهِ علـــوجُهُم تتصـــدَّقُ
أولاءِ لا الإســـلامُ يعـــرفُهم ولا
أسمـــاؤهم بـــالأبجـــديَّـــةِ تُنطَقُ
أولاءِ يبقى ذكـــرُهم عمـــرَ الـــدُّنـــا
صـــوتـــاً لكـــلِّ غـــراب بَينٍ ينعقُ !

بغدادُ، عفوَكِ إن شَطَطْتُ ولم تكنْ
لغتي الى أمثالها تتطرّقُ
إنّي لَمن قومٍ، لفرطِ مروءةٍ
حتى إذا شُتِموا، حياءً أطرقوا!

لكن سَواعدُهم تجيبُ، وفعلُهم
ودمٌ بساحاتِ الكرامةِ يُهرَقُ
يبقى العراقيون كلُّ عظيمةٍ
صدقتْ لهم فيها مخاضٌ أصدَقُ!

مجداً ليومكِ في الزّمانِ فإنّهُ
يومٌ بهِ عمرُ الزّمانِ مطوّقُ
ولسوف يبقى كلُّ نجمٍ بارقٍ
مهما نأى، لجلالِ وجهكِ يبرقُ!

يا صقرَ تموز

١٧ / ٧ / ١٩٨٨

هذا ضُحانا، وهذي شمسُهُ تَفِدُ
عشرون دورةِ أرضٍ وَهْي تَتَّقِدُ
وهذهِ هذهِ أجيالُنا لُجَجٌ
من الدماء، ولا نَوءٌ، ولا زَبَدُ
أولادُنا، خصبُ كلِّ الأرضِ من دمهم
لسنا نُباهي ولكنْ هكذا نَلِدُ!

يا شُعلةَ الشمس هذي الأرض مُذْ دُحيَتْ
وقيلَ دوري، ودارتْ، وهي ترتعدُ

دُرْنـــا عليهـا حــزامــاً شــدَّ رِعشَتَهــا
حتى اطمـــأنَّتْ ، وكـانت قُطبَهـــا أكَــدُ !
من يـــومها كـان تمـوزُ بهـــا رَصَــداً
أعظمْ بـــه مستَفَــزّاً ذلــك الــرَّصَــدُ
مــا زاغَت الأرضُ يـومــاً عن مَحـاورِهـــــا
إلّا وعـــــادتْ على كَفّيـــــهِ تَتَّسِـــدُ
سبعـــون قـــرنـــاً وتمـــوزٌ لـــه وهــجٌ
حَشْدَ النَّدى في عذوقِ النُّخلِ يَحتشـــدُ !

وقيـــلَ ألـــواحُ غيبٍ بـــاسمـــهِ خُتِمَتْ
أربـــابُ تمـــوز عن تمـــوز تبتعـــدُ
فيفـــرقـــون ســـوى مُستَنفَـــرٍ أحَـــدٍ
يبقى لتمـــوز صنـــواً ذلــك الاحَـــدُ
من يـــومها وعيـــونُ الارضِ شـاخصــةٌ

مَن ذلـــك الـ بلظى تمـــوز يَتَّحَـــدُ ؟
وجـــاء صـــدام أضحى منـــه رايتَــهُ
وسيفَـــــهُ ، وسنـــاهُ حيثمـــا يَقِـــدُ !

يا ضحكة الشمسِ في بيتي وفي وطني
ويـا رضـا اللّـهِ عن أهلي ومـا جَهَـدوا
يـــا كـلّ عشقِ العــراقيين إن عشقـــوا
وكـــلّ عِنْـــدِ العـــراقيين إن عَنِـــدوا
يـا نظـرةً مثـــلَ حـدّ السيفِ قـــدْحَتُها
وخطـــوةً عِـــذْلَ ثقـــلِ الأرضِ تَتَّئِـــدُ !
مـــا دارَ تمـــوزُ فـــوق الأرضِ دورَتَـــهُ
إلّا وكـــان الى مَـــرقـــاكَ يستنـــدُ !
يـا هيبـةَ الحبّ قبـلَ الخـوفِ ، هيبتُـــهُ
في الحـــالتين لهـــا الأعـــراقُ تنجمـدُ
ولا تقـــولُ لنـــا أُفٍّ مـــروءتُـــهُ
بلى لنـــا منـه هـذا الحـذبُ والجلَـدُ
بلى لنـــا منـــه أنّـــا لا نجـادلُـــهُ
ويسمـــعُ النُّقـــدَ منّـــا حين ننتقـدُ
ذيّـــاك صـــدام أدرانـــا بـــأنفُسِنـــا
ومَن بحبّ العـــــــراقيين يَعتَضـــــدُ
ومَن لهم وبهم تـــزهـــو وقـــائعُـــهُ
ويحمـــلُ الحمـــلَ عنهم حين ينفـــردُ !

يـــا سيِّـدَ القــوَّتَينِ الحبّ حين يــرى
للحبِّ أهـــلًا ، وإلّا فـــالــدَّمُ الحَـــرِدُ
يقـــودُ هـــذا وهـــذا في فَيـــالقِـــهِ
كـــلا اللجـــامَين في كفَّيـــهِ ينعقـــدُ !

يـــا كُفءَ تمـــوز أضـــواءً ومجمـــرةً
يـــا وعيَـهُ حين يَطغى الغِيُّ والــرَّشَــدُ
يا خـائضـــاً كلَّ يـومٍ هَـوْلَ معـركـةٍ
لــهُ من اللّـــهِ في أتّـــونِهـــا مَـدَدُ
تـــراهُ والـــراجمـــاتُ الـــوازيـــاتُ لظىً
تحفُّـــهُ ، وهـــو مثـــل السَّيف منجـــردُ
يقـــودُ طـــوفـــانَهـــا الضـــاري فنتبعُـــهُ
وحـــولَـــهُ الـــرّاحُ ، والارواحُ ، والـــوَلَـدُ
قلـــوبُ كـــلِّ العـــراقيين أكبُـــدُهُم
رئـــاتُهم وهي بـــالأنفـــاس تقتصـــدُ
تكـــادُ تشهقُ لكنْ لا تطـــاوعُهـــا
دَقّـــاتُ قلبٍ مـــع التِّلفـــازِ تَطَّـــرِدُ
تخـــاف لا كِلْمـــةٌ ، لا لَفْتَـــةٌ عَـــرَضٌ
تفـــوتُهـــا منـــكَ يـــا مَن كلُّـــه سَـدَدُ

وَعَـــدْتَهم منــذُ سبـــعٍ ، بــل وصفْتَ لهم
هــذا المصيــر وهــا وفَيْتَ مــا تَعِــــدُ !

يـــا صقـرَ تمــوز أعــراسٌ مخضَّبــةٌ
أم مـوكبُ النَّصرِ مـا يزهـو بـه البَلَـدُ ؟
إنّي أرى الشهـــداءَ الأكـــرمين بـــهِ
وكــــلُّ روحٍ لهـا من مجـدِهـا جَسَــدُ !
عـــادوا قيـــامـــاً مهيبـــاتٍ مَنـــاكبُهُم
كـأنَّهم مـا هــــوَوا صـرعى ، ولا لُحِــدوا
يَـــرَون إخـــوانَهم كيف استقـــام بهم
رمحُ العراق وكيف الفُرس قد خُضِــدوا
ومثلمــــا قــالهــا صــدام ، كيف قضَــوا
وكيف من كـــلِّ شبـرٍ طــاهــرٍ طُــرِدوا !
اللّـــهَ يـــا وطنَ الأمجـــادِ يـــا وطني
يـــا مَن سوى سَلسبيـلِ الشمسِ لا يَرِدُ !
يـا هُـولـةَ الصَّبرِ مـا للصَّبـرِ من أمَـدِ
وهُــولـــةَ الغيظِ إن يُسْـــتَنْفَدْ الأمــدُ !
هـــا أنت ذا كـــلَّ يــومٍ ، لا تُصبِّحهم
ولا تُمسِّيهمــــو إلا وقـــــد حُصِــــدوا

حتى تمنَّوا لما يلقَون من هَلَعٍ
لو أنَّهم قبلَ هذا اليوم ما وُلدوا !

ويا عراقَ التَّحدّي ، إنَّها لغةٌ
سوى ترابكَ لم ينطقْ بها بلَدُ !
أنت الذي جمعَ الاوغادُ حقدَهمو
لانَّ أنفكَ لم يسجدْ كما سَجَدوا
إنْ أوهِموا أنَّهم أجرَوا دِماكَ فقد
أرَيْتَهم كيفَ جرحُ الكِبْرِ ينضمدُ
أريتَهم أيَّ أرذالٍ بحقدِهمو
كانوا وأيَّ نبيلٍ كنتَ إذ حَقَدوا
قاتلتَ بالحبِّ بينا قاتلوك بما
يندى الجبينُ له الكُرْهُ والكَمَدُ
حتى تَفجَّر كلُّ الحبِّ في دمنا
بَينا تفجَّرَ فيهم جُهدَهُ النَّكَدُ
فكان هذا الذي كلُّ العيونِ ترى
يا ماجدَ النَّصرِ والنُّبلِ الذي فَقَدوا !
يا صَقْرَ تموز هَبْ تموز أجنحةً
يرقى بها مثلما ترقى ، ويجتهدُ

لكي يحفَّـــكَ جنحـــاهُ وتمنحُـــهُ
فمــاً ، وقَــدْحــةَ عينٍ والأهَمُّ يَــدُ
يـأتي بهـا بعضَ مـا تـأتيـه من جَلَلٍ
إذنْ يُقصِّــرُ عن أيــامِــهِ الأبـــدُ !

مجـــدٌ لتمـــوز أنّـــا مـــا نـــزالُ بـــهِ
نغلي دمـــاً ومـــروءاتٍ ، ونتّقـــدُ
نفيضُ حتى تضــجُّ الأرضُ من دمِنـــا
ولا تـــــروسٌ ، ولا بَيضٌ ، ولا زَرَدُ
حَـــواســراً مثــلَ أهلينـــا مَقــاتلُنـا
حــرّى ، بمـــا سكبَتْ مِ الــدَّمِّ تبتــردُ !
كـــذا نجيء ، وهـــا تحكي وقـــائعُنـــا
وقـــد غَـدَون شمـــوساً مـــا لَهــا عَــدَدُ
بـــأنّنـــا نُطفيءُ البـــارودَ في دمنـــا
عِـــرَقاً فعــرقاً على النيــران ننفصدُ !
لقـــد وَفينـــا فبــاركْ يـــا عـــراقُ دمـــاً
لـــك استجـــاب ، ومن صـــدام يـــرتفـــدُ
بـــارِكْـهُ أنْ قـــد غـــدا في بَـــذْلِـهِ مَثَــلاً
وأنْ لـــهُ كـــلُّ أهـــلِ الارضِ قـــد شهـــدوا

فـــأولاءِ أقصـــرُ مـــا يكـــونُ زمـــانُهم
ولحـــومُهم للضـــاريـــاتِ طعـــامُ
يـــا مصرُ، مـــا ولغَتْ سيـــوفٌ في دمٍ
يـــومـــاً ، ولا اشتبَكتْ عليـــهِ سهـــامُ
إلّا ذكـــرتُـــكِ يـــا وقـــاءَ لحـــومِنـــا
يـــا مَن على مـــا كـــابـــدَتْـــهُ تُـــلامُ
مُـــذْ كنتُ طفـــلًا كـــان صـــوتُـــكِ في دمي
وكبِـــرْتُ ، والشهـــداءُ ، والأيتـــامُ
وحـــرائقُ الثّـــوارِ فيـــكِ لنـــارِهـــا
في كـــلِّ بيتٍ في العـــراقِ ضـــرامُ
وكبـــرتُ كـــان الـــزُّهـــوُ يمـــلأُ أضلعي
أنّ عنـــدَ مصـــرَ الحـــلُّ والإبـــرامُ
أنّ مصـــر ، لا أحـــدٌ ســـواهـــا ، واجهتْ
دولًا ثـــلاثـــاً كلُّهنّ ضخـــامُ
حتى إذا ضـــاقَ الفضـــاءُ بـــأســـرِهِ
وتشـــابـــكَ المظلـــوم والظـــلّامُ
نشـــرَتْ ذوائبَهـــا الكـــرامـــةُ كلُّهـــا
ومشتْ بكـــلِّ جـــلالِهـــا الأهـــرامُ
أنـــذا أتيتُـــكِ والعـــراقُ نفيضتي
ودمُ العـــراقِ على يـــديَّ سجـــامُ

أنــــذا أتيتُــــكِ والعـــراقُ بـــأضلعي
وهـــجٌ ، ومـــلء محـــاجري صـــدامُ
آتٍ وطـــوفـــانُ العـــراقِ يصيـــحُ بي
أدركْ ، فعـــرسُــكَ عنـــدَ مصـــرَ يُقـــامُ

آتٍ وخلفي النَّصـــرُ يُكتَبُ بـــالـــدِّمـــا
والنـــــار لا ورَقٌ ولا أقـــــلامُ !
ولقـــد تـــركتُ على الشهـــادةِ إخـــوتي
فلهم صـــــلاةَ عنـــــدهـــــا وصيـــامُ
آتٍ وفي عينيَّ ألفُ بشـــــــــــارةٍ
« للفـــاو » منهـــا مبـــدأً وختـــامُ
أنـــذا هنـــا ، وهـــلاهـــلُ الخَفِـــراتِ من
« مجنـــون » تنقـــلُ رَجْعَهـــا الآكـــامُ

« مجنـــون » عمَّدَت الـــدمـــاءُ تـــرابَهـــا
يـــا مصـــر ، فليصعـــد بنـــا الالهـــامُ
ليكنْ بحجم دمٍ عـــــزيـــــزٍ واحـــــدٍ
وَفَّى « بمجنـــونٍ » عليـــــه ســـــلامُ
هـــذي البشـــائرُ من تـــرابِ أخي دمٍ
يجـــري ، وأولادٍ عليـــه أقـــامـــوا

لـــــكِ أنتِ أحملهـــــا ، وألفـــاً مثلَهـــا
لبــــلادِ أهلي والأعــــزُّ الشَّـــــامُ
إنّي لســـــوريّـــــا أزفُّ بشـــــارتي
بـــالنَّصـــر، لـــولا يخجـــلُ الحُكـــامُ !

يا مصرُ إنّ المكرمات مَواجعُ

كُتبت هذه القصيدة في مصر وألقيت في الاسبوع
الثقافي البرلماني المصري العراقي في القاهرة
تموز ١٩٨٨

أبــــداً تـــــدورُ مَــــدارَكِ الأيـــــامُ
لِمَ لا ، وأنتِ النّيــــلُ والأهــــرامُ !
أبــــداً نجيئُـــــكِ آمنين ونثني
مـــلءَ القلـــوب محبّـــةٌ وســـلامُ
يـــا مصـــرُ ، يـــا أمّ الحضـــارةِ كلّهـــا
يـــا أختَ بـــابـــلَ والسَّنـــا أرحـــامُ
كـــلُّ المجـــرّاتِ العظيمـــةِ ضـــوؤهـــا
زُلفىٰ ، وآصِـــرَةُ الظـــلامِ ظـــلامُ !
يا مصرُ، يـا مصـر التي مـا أومـأتْ
إلّا وكـــلُّ المكـــرُمـــاتِ قيـــامُ

ضُربَتْ لها في كلِّ مجدٍ قُبَّةٌ
ورسَتْ لكلِّ مروءةٍ أحكامُ
فهي السَّلامُ الخيرُ والزَّهوُ الذي
فرعونُ شادَ ، وقوَّمَ الإسلامُ !

يا مصرُ، يا مصرَ العروبةِ كلِّها
ودمُ العروبةِ نخوةٌ وذمامُ
فإذا انتهتْ هذي ، وهذي أُطفِئَتْ
فلمَنْ ترفرفُ هذه الأعلامُ ؟!
عشرون ساريةً ونيفٌ تدَّعي
والصَّادقان : حجارةٌ وخيامُ !
أندى الاصابعِ علّمتْنا مَن هم الـ
متعملقون ، ومَن هم الأقزامُ
ونظلُّ نملأُ بالصّمودِ بطونَنا
وعلى التَّصدّي نتَّكي وننامُ !
يا مصرُ إنَّ المكرُماتِ مَواجعٌ
والاكرمون بحملهنَّ كرامُ
أمّا الذين يحاذرون خيالَهم
وشعوبُهم سَومَ القطيعِ تُسامُ

وتـــرابُهم ، ومقـــدَّســـاتُ ديـــارِهم
وطئتْ ذُرا حُـــرُمـــاتِهـــا الأقـــدامُ
يـا مصـرُ لم تبـرحْ لـديـكِ قصـائـدي
رَضِعـــاتِ حُبٍّ مـــا لهنَّ فطـــامُ
مـــا أن يحـاصـرني الهـوى حتى أرى
زغَبَ الحـــروف لـــهُ عليَّ هُـــلامُ
ينمـــو ، وينمـــو يستحيـل قـوادمـاً
ويطيـــرُ بي ، والعـــالمـــون نيـــامُ
وأنـــا بمكتبتي يكـــادُ الفجـــرُ أن
وتظـــلُّ تحملُني لـــكِ الأحـــلامُ
حتى إذا اكتمـــلَ الجنـــاح فَـــرَدْتُـــهُ
وأتيت هـــذا الحـــجُّ والإحـــرامُ !

يـــا مصـرُ، قـــالـوا ربَّ زهـــوٍ قـــاتـلُ
لكنَّ زهـــوي بـــالعـــراق غـــرامُ
عمـــري أراقبُـــهُ يلمُّ دمـــاءَهُ
مُتلفِّتـــاً لـــلأرضِ حيثُ تُضـــامُ
فيفيضُ فَيْضَتَـــهُ ويعلمُ أنَّـــهُ
بـــدمـــائِـــهِ سُنَنُ السَّمـــاءِ تُـــدامُ

هَـــو ذا ، ثمـــانٍ قـــد مَضَين ، وكِبْـــرُهُ
ورؤاه لا لَبْسٌ ، ولا إبهـــــــامُ
وكـــأنَّـــه ، ممَّـــا يضـــاعفُ غيظَـــهُ
الآن يبـــدأ عنـــده الإقـــدامُ

يـــا مصـــرُ، زهـــوي أنَّ كـــلَّ حضـــارةٍ
وطني لهـــا النبـــراسُ والإلهـــامُ
ولأنتِ منـــه القلب تَمَّحقُ الـــدُّنـــا
وتظـــلُّ قـــائمـــةً بهـــا الأهـــرامُ
لـــو يستطيـــعُ الغـــلُّ محـــوَ مـــروءةٍ
فليَفْـــخُ حـــامـــورابيَ الأعجـــامُ
أو يمسحـــوا رُقُمَ الكتـــابـــةِ كلَّهـــا
أو يـــذبحـــوا التـــاريـــخَ حيثُ يُشـــامُ
حتى وجـــوهُهمـــو لنـــا بجبـــاههـــا
وشمٌ يُـــرى ، ولنـــا بهـــا أختـــامُ !
حتى اذا أوحى العظيمُ لعبـــــدِهِ
وافـــاهمـــو من بيتنـــا الإســـلامُ
فبمَن يكـــابـــرُ نَســـلُ قـــاتـــلِ حيـــدرٍ؟
وبمن تفـــاخـــرُ دينَنـــا الأصنـــامُ ؟

ولمن أحـــلَّ دمُ العـــروبـــةِ وهـي من
جســـدِ الـــرســـالـــةِ غـــاربٌ وسنـــامُ ؟
ولأجـــلِ مَن سُفِحَتْ دمـــاءُ رُضَّـــعٌ
هي عنــد جـائعـةِ الــذئـــاب حـــرامُ ؟
ألأجـــلِ أن تُثـري الجــريمـةُ نفسَهـــا ؟
أم أنَّ ســـرَّ وجـــودِهـــا الإجـــرامُ ؟
تسعـــون شهـــراً والــدمـــاءُ جـــداولُ
تجــري ، وأجســـادُ الـــرجـــالِ ركـــامُ
تسعــــون شهـــراً والعـــراقُ مـــؤزَّرٌ
بـــاللّـــهِ ، عـــامٌ في القتـــالِ وعـــامُ
ويمـــــدُّ من أعلى رَواقمِ نصـــــرِهِ
يـــدَ مخلصٍ فيـــردُّهـــا شَتَّـــامُ
قَسَمـــاً ستلعنُ كـــلُّ كفٍّ أختَهـــا
ممّـــا ستغـــرقُ في اللظى عيـــلامُ
قَسَمـــاً سيفغَـــرُ كـــلُّ ميتٍ عينَـــهُ
ممّـــا تضــــجُّ بعينـــــهِ الآلامُ
سيـــلاحقـون مـــدى الـــزمـــانِ حتـــوفَهم
وستُنتثَـــرُ الأجــــداثُ وهي رمـــامُ

ستـــــراهم الأيّـــــام يَمســـــخُ بعضُهم
بعضـــاً ، فـــلا صـــورٌ ، ولا أجســـامُ
بـــل أوجُـــهٌ ممّـــا تـــراكمَ حقـدُهـــا
شـــاهت ، وشـــاختْ فـــوقهـــا الأورامُ
عَـــدْلٌ عقـــابُ الله جـــلَّ جـــلالُـــهُ
أنَّ الاثيم تـــــــؤودُهُ الآثـــــــامُ !

يـــا مصـــرُ عـــذراً أن تفيضَ مـــواجعي
فـــأُطيـــلَ ذكـــرَ المـــوتِ وهـــو زؤامُ
وأنـــا بأرضـــكِ كــلُّ مـــا حـــولي هـــوىً
ونـــواظـــرٌ يـــوحى بهـــا ، ويُهـــامُ !
لـــوددْتُ لـــو أنَّ الجـــراحَ جميعَهـــا
مقـــــلٌ تسبّبُهنَّ لا ألغـــــامُ !
وإنن سَعـــدْنـــا لـــو بكـــلِّ خليّـــةٍ
جـــرحٌ ، ومـــلء الجـــانحين سهـــامُ !
يـــا مصـــرُ تلتئمُ الجـــراحُ وإنّمـــا
جـــرحُ الكـــرامـــة قطُّ لا يلتـــامُ !
ولـــذا نقـــاتـــلُ من ثمـــانٍ زاخـــراً
دمُنـــا ، مخضّبـــةٌ بـــه الأعـــلامُ !

الشمس تهبط فوق بابل

ايلول ١٩٨٨

« باسم العراقِ أقول

إنَّ الارضَ سوف تدورُ دورتها

وتسجدُ مَرَّتينْ

للخوف

حين تكون بابلُ تحت برجِ الموت

وهي تشدُّ ألويةَ التَّحدّي

ثمَّ تسجدُ مرَّةً أخرى

وبابلُ مسقطٌ للشمس

عندئذٍ

تدور الشمسُ حول الأرضِ حدَّ الاحتراق »(*)

والآن ،

باسمكَ يا عراقْ

سأقولُ يا أرضُ اسجدي

فالشمسُ تهبطُ فوقَ بابلْ
أنَّ السَّنابلْ
ستقومُ من قلبِ الصخورْ
والشمسُ منذُ اليوم
تبدأ حول كوكبنا تدورْ

يـا مستفَـزُّ السَّنـا   أطلقْ لنـا نـورَكْ
أنت الـذي في العَنـا   أشعلتَ ديجـورَكْ
قـل للعَيـا والـوَنى   لمّـا أتى سـورَكْ
أبـوابُـهُ وهي من   صُلْبٍ ونـارٍ ونَمْ
مـا بينَهـا شعـرةٌ   تنسَـلُّ منهـا قَـدَمْ
منهنَّ مـاذا جنى   غيـر الأسى والنَّـدمْ

وغيـرَ انْ أصبحتْ   أوصـالُـهُ محصَـدْ
أبـوابُنـا كلُّهـا   كـانت لـه مـرصَـدْ
يـا زهـوَ مَن صـانَهـا   يـا زهـوَ مَنْ أوصَـدْ

كانت نفوساً ضخاماً جلَّ باريها
الكِبْرُ بائعُها ، والكبرُ شاريها

يوقاً فبيتاً تناخَتْ من مَرابضِها
ويبيرَقاً بيرقاً جاشتْ صواريها
وكان صدام في أسوارها غَبَشاً
يلوي شعافَ الدَّياجي عن ذَراريها
بين الظلامِ وبين الفجر قامتُهُ
سيفٌ تقوم له الدُّنيا وما فيها
وكلَّما ارتطم الغَيمان كان لَهُ
برقٌ يزيحُ المنايا عن مجاريها
فيتركُ الليلَ مذبوحاً بظُلمَتِهِ
ويجعل الشمسَ شمساً جلَّ واريها
تسعين شهراً نواعيرُ الدِّماء بها
ما أخلدَتْ ليلةً أصواتُ جاريها
تسعين شهراً ونَيْفاً لا الرَّصاصُ غفا
ولا المنايا تخلَّتْ عن مَذاريها
وأنت تسري بلُبِّ الهولِ أجنحةً
الله يعلمُ ما في قلبِ ساريها
حتى ركَزْتَ بعالي الريح بيرقَنا
وقلت للشمس : هاشمسي فجاريها !
والآن ،
باسمكَ يا ذؤابةَ زهوِها

واسمِ العراقْ
باسمِ الكرامةِ في العراقْ
باسمِ الذين بليلها ملأوا الشوارعَ بالهتافِ
وبِالرصاصِ ،
وبالعناقْ

وهم الـــذين دمـــاءُ إخـــوتهم
دِمـــا أولادِهم كـــانت صـــداقْ
لشَذا ترابكْ
الآن باسمِكَ
والمجرَّةُ كلُّها وقفتْ ببابكْ
ساقولُ يا أرضُ اسجدي لبيوتهم داراً فداز
حتى يضجُّ بكِ المداز
هذي البيوت ،
دماءُ فتْيتِها عليكِ الى القَراز
سالَتْ فامسكتْ الجذوز
وتَشبَّثتْ بالنَّخلِ حتى لا يميلَ ولا يدوز
كانت دماؤهم النّذوز
والنَّصرُ نصرهمو ،
وأكرمُ شاهدٍ تلك القبوز

في أرضنا لا تَسَلْ   مَنْ ناح مَنْ غَنَى
إنَّ الظُبا والأَسَلْ   ما حدُثث عنّا
أنّا ندوفُ العَسلْ   بالدمع أو أنّا

نبكي على مَنْ هوى   في ليلنا فرقَدْ
ندري بأنَّ الهوى   يبقى له مرقَدْ
عُمرَ الأسى ما طوى   جرحاً ولا أرقَدْ

لكنَّنا في العَرا   نكسو أساميَنا
وفي جراح الورى   ننسى دَواميَنا
نبقى بهذي الِذُّرا   صيداً مياميَنا

تكسو فجاجَ العراقَ الشُمَّ نخوتُنا
وتَستوي فوقها حمراً مواضينا
انّا إذا ما غضَضْنا الطَّرفَ عن سَفَهٍ
فلا يغرَّنَّ معتوهاً تغاضينا
فنصفُ ما في العراقيين غيرتُهم
وما تَبقَّى بمَ عنها يُقاضينا!

ولا وصــــدام ، لــو لم يَـرمِ حــاضــرُنــا
لَنالَنــا قبــلَ نَيْـلِ الفُــرسِ مــاضينــا
لقيـــلَ اعطى العــــراقيّـــون أختَهمـــو
ولا ، ويـــا ويـــلَ مَنْ يغفـــون راضينــا

فـــــاختُنــا أختُنــــا مِكحـــالُهــــــا ذِمَّـــةْ
يجـــري بنـــا كحلُهـــا للمـــوت والقمَّــــةْ
صـــدام يـــا زهـــوهَـــا يـــا عـــــاليَ الهمَّـــةْ

ألبسَتَ كـــلَّ العـــــراقيـــاتِ مـــاثـــرةً
إن هلهلتْ حــــرّةٌ يـــومـــاً لحـــاميهـــا
أنَّ القَـــوادي إذا مـــرَّتْ مـــوارَبـــةً
عـــرفْنَهـــا مِن سِمـــاتٍ في دَواميهـــا
تقـــولُ أختُ الفـــراتِ الحـــرِّ زاهيـــةً
لأخت دجلـــة : ذي صــــدام راميهـــا !
يا سيّـد النّصـر ، ليس النَّصـر معجـزةً
لكنْ طـــريقتُـــهُ الـــزّاهي تَســـاميهـــا
أنّـــا بـــأزكى الـــدِّما سُقنـــا غمـــامتَـــهُ
ليستقي قـــاتلـــونـــا من هَـــواميهـــا

ليستقي قاتلونا من هَواميها ..

لا باس يا وطني
ما زلت أكرمَ من أعطى مدى الزَّمنِ
طوبى لحسمِكْ
والآن باسمكْ
ساقول إنَّ السِّلمَ لم يوهَبْ
ولكنَّا سَحَبْنا الغيمَ من شَعَفاتِهِ
فجئنا وأمطرْ

وأقولُ إن الشمسَ لم تُشرِقْ الى انْ
جِلدُ كلِّ الغيم من عطشٍ
تَفطَّرْ

أمّا وقد بزغتْ كما شئنا
فانَّ شعاعها هيهات يُسجَنُ
أو يؤطَّرْ ..

(*) قصيدة « ألواح الدم » للشاعر عام ١٩٨٥ ـ المربد .

هي الذمة القصوى

لنا مركبٌ وعزٌ، وللناس مركبُ
معايير.. شرَّقنا عليها، وغرَّبوا
فمنها تَغاضينا، ومنها جموحُنا
ومنها تَنادينا اذا الناسُ نكَّبوا
وتَشميرُنا للهول لا نستشيرُهُ
ولكنْ نجيءُ الهولَ من حيثُ يغضبُ
وإنّا لَقومٌ لا كما شاء موتُنا
نموتُ ولكنْ مثلَما نحن نرغبُ
نرىٰ العمرَ كاساً خَيرُنا مَن يُديرُها
على الناسِ لا يدرون من أين تُجلَبُ

ويستـــرُ كِبْــراً جــرحَــهُ عن عيــونهم

لكيـــلا يَـــروا شــريــانَــهُ كيف يشخبُ

نرى الموتَ كاساً   خيــرُنا مَنْ يَـروزُها

ويمسكُهـــا من عـــروَتَيهـــا ويشـــربُ

وأمّـــا إذا مـــا خَبْطَ عشـــواء جـــاءهُ

فهـــذا مُثـــابٌ   إنّمـــا ذاك أثـــوَبُ

وإنّـــا نـرى في المـــرء بَرقـــاً يميــزُهُ

فهـــذا أخـــو غيثٍ ، وهـــذاك خُلّبُ

ونحن لنـــا بـــرقٌ   يجيء محمّـــلًا

ميـــاهـــاً   والّا فهـــو مـــوتٌ مصـــوَّبُ

ونتبعُـــهُ   ان كـــانَ غيثـــاً وإن ردىً

ونـــرجـــعُ في الحـــالَين والارضُ اخصَبُ

لنـــا مـــركبٌ وعـــزٌ ، وللنـــاس مـــركبُ

معـــاييـــر   شَرُقنـــا عليهـــا ، وغـــرَّبـــوا !

ألا أيُهـــذا البـــاذخُ المجـــدَ ، يـــا هـــوىً

نَـــذَرْنـــا لـــه الاعمـــار   يُعطي وينهبُ

تبعنـــاهُ اطفـــالًا ، ومـــا زلتُ خَلْفَـــهُ

صغيـــراً   وإنْ اولادُنـــا فيـــه شَيَّبـــوا

أغنّيك والخمسون تجتاز شوطَها
كأنّي بخمسٍ لا بخمسين أدأبُ
كأنّي أرى عُمقَ السّماواتِ بيرقاً
اصيحُ به : «عِشْ هكذا» وهو يلعبُ
ترفرفُ روحي موطني موطني ارىٰ
دمي حولَهُ . في الجوِّ يطفو ، ويرسبُ
ويطفو وأصحو والعراقُ مدجَّجٌ
وسبعةَ اعوامٍ سراياهُ تلهَبُ !
ألا ايُّهذا الباذخُ المجد يا هوىً
نذرنا له الاعمار ، والعمرُ غيهبُ
اذا لم نُضِئْهُ الآن إذ انت لاهبُ
فَمَن ومتىٰ تاريخُنا فيك يُكتَبُ ؟
هو العمر ، إما جذوةٌ واشتعالُها
وإلّا فأحطابٌ الى القبر تُحطَبُ

أَجِزْ يا عراقَ الكِبْر قنديلَ شَيْبَتي
فمن جمرِ هذي الروح ياتيك كوكبُ
يضيءُ على سبعٍ وخمسين دارة
وآخرُ سبعٍ فيه منهنَّ أهيَبُ

فهنَّ اشتعالُ الروح ، والشعرِ ، والهوىٰ
وهنَّ جوازُ العمرِ أيّان يذهبُ !

لكَ المجد هل فجرٌ سواكَ فيُرقَبُ ؟
وهل منبعٌ إلّاك في الروح يُسكَبُ ؟
وهل مثلَ هذا الزُّهوِ زهوٌ فيُرتجىٰ ؟
وهل مثلَ هذا الحمدِ حمدٌ فيُكسَبُ ؟

وهل نحنُ إلّا غيمةٌ فيك أمطرتْ ؟
وعذراً إذا كانت دماءً تَصبَّبُ
نَدبتَهمو جاءوا عُجالىٰ ، فلم يرَوا
سوى دمِهم ماءً ففاضوا وأسهَبوا
وراحوا ، وفي العين اعتذارٌ لارضهم
كأنّهمو ، عفواً ، على الموتِ أذنبوا !
وفي الملا الاعلى اضاءت مجرَّةٌ
وهم مثلَ حَبِّ النَّجمِ فيها تكوكبوا !
ألا لا تُناشِدْ غيرَ أهلي على الظَّما
فقد جفَّ ماءُ الناس مُذْ فاضَ ماربُ !

ألا لا تَصِخْ إلّا عراق اذا نَجَتْ
وقُلْ : يا عراقيّون تاتيك تثغبُ

سيوفٌ ولا اغماد خيلٌ مخيفةٌ
ولا سرجَ لكنْ فوقها الموتُ يهذِبُ
يجيء العراقيّون أخوانُ أختهم
وكلٌّ بهِ مِ الغيظ سيفٌ مُشطّبُ
نِعِمّا حميتُم يا بني أمّ عرضَكم
نِعمّا رميتُم والرعاديدُ غُيَّبُ
نِعِمّا شَرعتُم باسَكم يومَ أغمدوا
نَعمّا رفعتُم رأسَكم يومَ حنّبوا
وأنتم وأيمُ الله إخوانُ نخوةٍ
لكم غيرةٌ حتى مع الموتِ تُرهَبُ !

تعاليتَ يا بيتَ المروءاتِ والنّدى
ويا واهباً للهولِ ما ليس يوهَبُ
ويا ضامداً جرحَ الحضاراتِ كلّها
بأولادِهِ والضّوءُ بالضّوءِ يُعصَبُ
لِسَبعٍ شَبَكْتَ الارضَ حتى تقطعَتْ
نياطُ بني ساسان جاشوا وأجلبوا
فلم يستطيعوا أن يفكّوا حصارَها
وهيهاتَ نَيلُ الشمسِ من ذاك أقربُ

وهــــا هم ابابيــلُ العــراقِ انظــروا لهم
وسَبْـــعُ مهـــولاتٌ عليهنَّ أســـرَيـــوا
كـــأنَّهمـــو لم يــركبــوا صَهَـــواتهـــا
ســوى اليوم كـلٌّ منـه نجمٌ مـمـذنَّبُ
يـــدور مـــدارَ الضَّـــوء وإيّـــانَ أظلَمــوا
ويهـــوي عليهم نَيـــزكـــاً حيث عنكَبــوا
يـــريهم بـــأنَّ القـــادمـــات جحيمُهـــا
من المـــاضيـــات السَّبـــعِ أدمىٰ وأرهبُ

وهـــا رُجُمُ الفـــولاذ عـــالٍ هـــديـــرُهـــا
تـــرى تحتـــه ضلـــعَ الثرىٰ وهـــو يَنحبُ
لسبعـــــةِ اعـــوامٍ على سُـــرُفـــاتهـــا
عظـــامُ بني ســـاســـان تُطـــوىٰ وتُسحَبُ
لسبعَـــــة اعـــوامٍ، وهـــذا زئيـــرُهـــا
وهم دمنـــــةٌ تحت المحـــــاريث تُكـــرَبُ
حـــدوثكَ هـــذي يـــا عـــراق وشـــاخصٌ
لسبعـــــةِ اعـــوامٍ عليهـــــا سيُنصَبُ
يقـــول ابنـــةُ النَّهـــرَين واللّه ارضَعتْ
وقـــومُ الفتىٰ صـــدام واللّه أنجبـــوا

سواترهُم هذي، وهذي حدودُهم
لسبعةِ أعوام عليهنَّ أحربوا
فما جازَها وغدٌ بلى، جازَ جثّةً
وجازَ أسيراً أو أتى وهو مُرعَبُ
فما كادَ حتى مادت الارضُ تحتَهُ
وأوصدَ اهلُ الدار باباً وضبّبوا
فلم يدرِ، والطوفانُ يزحفُ نحوَهُ
جدارُ الرّدى هل فيه للحيِّ مهرَبُ ؟!
أقِمْ لغتي يا سيّدي لو رأيتَها
بها للعراقيّين حرفٌ مُعَذَّبُ

وحاشا، وقد كوّنتَ لي أبجديّتي
فصارت بها الأمثالُ في الزُّهر تُضرَبُ
صدوقٌ سِنانٌ حرفُها مستقرّةٌ
مُعبّأةٌ للهولِ تُبنى، وتُعرَبُ
على نظرَتَيْ عينيك عطفاً ورهبةً
وأنتَ لها وحيٌ من الوحي أوهَبُ
ألَسْتَ الذي سبعاً تقودُ انتصارَها
وعزمُك من فولاذها الصلْب أصلبُ ؟

أَلَسْتَ الــذي سبعاً شكَمْت على الــوغىٰ
أعنَّــــة كـــلِّ الخيــــل لا تتشعَّبُ ؟
أَلَسْتَ الذي لم يلتقِ الناسُ في الــرَّدىٰ
على واحـــدِ إلاك ، والـــرَّيـــحُ قُلَّبُ ؟
ولكنَّ ارســــــان المــــروءة كلِّهـــــا
بكفَّيـــكَ زُمَّتْ ، وهي هـــوجــاءُ ، وُثَّبُ
طـــواعيـــةً تـــرخي الشُّمــوسُ قيــادَهــا
لفـــردٍ ، ولا يلـــويـــه جيشٌ مـــدرَّبُ !
طـــواعيـــةً نهـــوىٰ طـــواعيـــةً نفي
طـــواعيـــةً نـــأتيـــكَ والمـــوتُ يصخبُ
طـــواعيـــةً نهـــواكَ صـــدام والـــذي
ارادك نبـــراســـاً لنـــا حيثُ نـــذهبُ
لانَّـــكَ من هـــذي البـــلاد صميمُهـــا
لانَّـــكَ فينـــا الخـــالُ ، والعمُّ ، والابُ
وأنت أخـــو هـــذي السَّـــواتـــرِ كلِّهـــا
وأصحـــابُهـــا من أنجب النـــاسِ أنجبُ !

أقم لغتي يـــا سيِّـــدي لـــو قُـــلامَـــةً
بهـــا لحســـابٍ مـــا تُخَطُّ وتُشطَبُ

ووالله مــــا عــــوَّدتَنــــا أن نجيئهــــا
مــــوارَبَــــةً ، بــــل نُصْبَ عينيــــك تُكتَبُ
فكيفَ وَعَينــــا ضيغمٍ تــــرصــــدانهــــا
يجيءُ بهــــا حــــرفُ هــــدانُ مُضَبَبُ ؟
وعينيــــك إنّي حين بــــاسمــــكَ انتخي
أحسُّ بحــــرفي وهــــو بــــالنَّجمِ يلعبُ !
أحسُّ جنــــاحَ الحــــرف يمســــحُ ريشَــــهُ
على هُــــدُب الجــــوزاء ، والحــــرفُ أزغَبُ !
ولــــو مطــــرٌ مِ النــــار ، والــــوحيُ دونَــــهُ
بلَغْتُ دمي يجــــري ، وصــــدري مثقَّبُ
فــــأمسك جنُّ الــــوحيِ من شعَفَــــاتهــــا
أقــــول اهــــدري شعــــراً فصدام يــــرقب !

* * *

يظــــلُّ العــــراقيــــون طــــوفــــانَ نخــــوةٍ
لهم عَمَــــدٌ عــــالٍ ، وبيتٌ مطنَّبُ
بيــــوتُهم مثــــل الــــدواوين رحبــــةً
وأخــــلاقُهم والله منهنَّ أرحبُ
على الهــــولِ لم ينسَــــوا كــــريمَ نجــــارهم
وفي الهــــولِ يمتــــازُ الحســــامُ المــــذرَّبُ
وتبقى بــــلادُ الــــرافــــدين عــــزيــــزةً
محــــارمُهــــا حتى عن النَّجمِ تُحجَبُ

هي الذمّةُ القصوىٰ هي الزَّهوُ والهَوىٰ
هي التَّعَبُ الحلوُ الذي ليس يتعَبُ !
بلادي بلادي يا هَوايَ الذي لَهُ
لَهُ وحدَهُ في القلبِ أهلٌ ومرحَبُ
نحبُّ كثيراً نشتهي كلَّ فتنةٍ
وحينَ تمسُّ القلبَ عيناكِ يُسلَبُ
أجل، كلُّ ليَلىٰ في العراق قريبةٌ
الى النفس لكنَّ العراقَ المحبَّبُ
فداكِ أوَيلادي، ونفسي، وإخوَتي
وأهلي وما آتي وما أتجنَّبُ
حملتُكِ يوماً حملَ جرحٍ باضلُعي
وأشفقتُ حتىٰ قيل: رزّاقُ أحدَبُ !
وها أنذا عُمقَ السّماواتِ قامتي
ومنكِ على صدري وسامٌ مخضَّبُ !

ياصبر أيوب

«ديوان أم المعارك»

« بلى انها حرب صليبية اخرى »

ألا إنّهـــا حَـــربٌ صَليبيّـــةٌ أخـــرىٰ
فَثِبْ يا صَلاحَ الدّين وَثْبَتَـكَ الكُبـــرىٰ !
وَقُمْ يـــا صَـــلاحَ الـــدّين لِلمُضــرِمِينَهـــا
فأنتَ بِهِم أدرَىٰ ، وَهُمْ هُمْ بِها أدرَىٰ
فَـــلا يَغـــرُبِيّـــاتُ الكـــوَيتِ عَـــزيـــزَةٌ
علىٰ نفسِ أمـــريكا ولا شَـــرَفُ الجُبْرا
ولكنْ لَهُم ثَـــأرٌ بِبَغـــدادَ واتِـــرٌ
وَإِنّ لَنـــا وَاللّه في ثَـــأرِهِم ثَـــأرا !

* * *

ألا إنَّهــا حَــربٌ صَليبيَّــةٌ أخــرىٰ
يَهــوذا يَقُـودُ اليَــومَ عَسْكَرَهــا المُجْـرا
فَقُمْ يــا صَــلاحَ الــدِّين إنَّ ذِمــامَهــا
بِشــارِبِــكَ النَّشْميّ يَخْفُــزهــا خَفْــرا
وَأنتَ لَهـــا وَاللّه واحــدُ أمَّـــةٍ
عَلَيــكَ تَــلاقَتْ كــلُّ أعــلامِهــا كِبْـرا!

❁ ❁ ❁

بَلىٰ، نَفْسُ ذاكَ الحِقْــدِ هَبَّتْ ريــاحُــهُ
وَنَفْسُ عُيــونِ الحِقْــدِ تَخْــزِرُنــا خَــزْرا
وَلَكنْ يَحُـــزُّ القَلبَ أنَّ نِصـــالَهـــا
تَخِـــذْنَ بِبَيْتِ اللّه سُبحــانَــهُ وَكْــرا
فَـــوَا ضَيْعَــةَ الإســلامِ يَطعَنُ أهلَــهُ
يَهُــوذا، وَبَيْتُ اللّــهِ يَمنَحُــهُ سِتْــرا
وَقَبْــرُ رَسُــولِ اللّــهِ حَــوْلَ تُــرابِــهِ
حِــرابُهُمــو يَــزْجُــزْنَ حُــرمَتَــهُ زَجْــرا
وَوَاضَيْعَــةَ الإسـلامِ يــا مِصـرُ أنْ نَــرى
مُعِينَ الصَّليبيّينَ في غَـــزْوِهِم مِصـــرا
وَوَاضَيْعَـــةَ الإســـلامِ كيفَ تَــوَاطَــأَتْ
عَلَيــهِ يَهــودُ الارضِ تَجْــزُرُهُ جَــزْرا

وَيَنْظُــــرُ في كــلِّ الجِهــاتِ فَــلا يَــرَىٰ
مُعِينَ اليَـدِ اليُمْنىٰ سَوَىٰ يَـدِهِ اليُسْرَىٰ!

* * *

بَلَىٰ إنَّهـــا حَــرْبٌ صَليبيَّـــةٌ أُخــرىٰ
بِهـــا هَيْبَـةُ الإســلامِ أَضْلُعُها حَسْــرَىٰ
وَهَيْبَــــةُ كـــلِّ العُــرْبِ، إلَّا خَـــؤُونَهُم
مُهَــدَّلَــةُ الأَزْرارِ في لَبَّـــةِ المَسْــرَىٰ
فَيَـــا رافِـــعَ الــرَّايَــاتِ ثَبِّتْ كُعُــوبَهـــا
فَكـــلُّ ريـــاحِ الأَرضِ مُقبلَـــةٌ تَتْـــرىٰ
وَيـــا رافِـــعَ الــرَّايــاتِ ثَبِّتْ كُعُــوبَهـــا
فَفي هـــذِهِ الــرَّايــاتِ تَنْعَقِــدُ البُشْــرَىٰ
وَيَـــا رافِـعَ الــرَّايَــاتِ يَبْقَىٰ رَفيفُهـــا
وَتُصبِـحُ هٰذي الـرِّيحُ بَعْـدَ غَـدٍ ذِكْـرَىٰ!

* * *

بَلَىٰ إنَّهـــا حَــرْبٌ صَليبيَّـــةٌ أُخــرَىٰ
تَخَـــايَـلُ فيهـــا نَفْسُ أَوجُهِهـــا النَّكْــرا
وَنَفْسُ نَـــوَايَـــاهـــا وَنَفْسُ جُمــوعِهـــا
يَجيءُ بهـــا أَحْفـــادُهُم مَــرَّةً أُخــرَىٰ

ويَقـــــدِمُهم ريشـــــارد ، لَكنْ مُشَـــــوَّهٌ
فَما هوَ في الفُــرسانِ وَجْهاً ولا ظَهْرا !
وَمــا فــارِسٌ مَنْ يَقْطُــرُ السُّمَّ وَجْهُــهُ
وَيَجعَـــلُ مِنهُ الحِقْــدُ عَقْـرَبَــةً صَفْـرا !
وَأَقْـــدَحُ مـــا يَشْجيــك أَنَّ حِــرابَهُم
حِيالَ رَسُولِ اللّـهِ قــد حُشِـرَتْ حَشْـرا
تُحِيطُ بِبَيْتِ اللّــــهِ جَـــلَّ جَـــلالُــهُ
مُـــدَنَّسَـــةً أَخْـــداً مُـــدَنَّسَـــةً بَــذْرا

وَيَعْلَمُ رَبّي الآنَ كيفَ جنــــــــــوُدُهُم
تَمُـــرُّ بـــآثَـــارِ النَّبيِّ وَلا تَجْـــرا !
إذا لم يَــكُ الكُفْــرَ الَّــذي يَفعَلــونَــهُ
فَـــأيُّ مُـــرُوقٍ بَعْـــدُ تَحسَبُــهُ كُفْــرا ؟

* * *

وَوَاضَيْعَـــةَ الإســـلامِ أَبقَىٰ أَقـــولُهـــا
إلىٰ أنْ يَــرَىٰ الإسلامُ في أَمـرِهِم أَمْـرا
إلىٰ أنْ تَـــرَىٰ الـدُّنيـا بِكُلِّ عيُــونِهــا
نُخُـــولَ الصَّليبيِّينَ كَعْبَتَـــهُ جَهْـــرا
وَإِذْ ذاكَ يـــا مصـــرُ العَـــزيـــزةُ تَنثَني
إلىٰ الأزهـــرِ المَيْمـونِ أَعْيُنُنــا العَبْـرَىٰ

وَنَسْألُهُ : هَلْ بَعْدَ هَذا مُؤَذِّنٌ ؟؟
وَهَلْ مِن أذانٍ بَعْدَ هَذا بنا يُغْرَىٰ ؟!
أنَرْفَعُ لِلإسلامِ حَشْدَ مَآذِنٍ
وَنَغْرِزُ في عَيْنَيْهِ أنْمُلَنا العَشْرا !
لِمَنْ ؟ .. وَلِماذا يا كِنانَةَ أهلِنا
تَجُرِّينَ لِلكُفّارِ شَعْفَتَنا جَرًّا ؟
وَأيْنَ هوَ المَجْدُ الَّذي مِصْرُ أهلُهُ
إذا الكُفْرُ سَوَّاها لِكَعْبَتِها جِسْرا ؟!

* * *

بَلَىٰ إنَّها حَرْبٌ صَليبِيَّةٌ أُخْرَىٰ
تَعَدَّدَتْ الأسْبابُ ، واتَّحَدَ المَجرَىٰ
فَما هَمَّ أمريكا عِقالٌ إذا هَوَىٰ
وَلا دَمعُ صهيونٍ لِمِحْنَتِهِ يُذْرَىٰ
وَلا جَمَعَتْ مِن كُلِّ فَجٍّ جيوشَها
أساطيلَها وَالحِقْدُ يَعصُرُها عَصْرا
لأنْ قَلْبُها يَدْمَىٰ عَلَىٰ ما جَرَىٰ لَنا
وَمُنذُ مَتَىٰ كانَتْ لَها كَبِدٌ حَرَّىٰ ؟!

وَمُنْذُ مَتَىٰ صهيون نَاجىٰ ضَميرَهُ؟
وَلكنَّها الغِيلانُ أَجمَعُها تَعْرَىٰ!
وَليسَ على البترول تَجري دُمُوعُها
فآبارُهُ واللّهِ ما نَقَصَتْ بِئْرا!
وَلا حَمَلَتْ بِئْرٌ بَقيَّةَ نَفْطِها
إلىٰ نَجمةٍ في غيرِ عَالَمِنا أُخرىٰ!
وَلَكنَّ أمريكا وَقَبْلَ هِيَاجِها
«عَزيزَةُ أمريكا» قد ارتعَدَتْ ذُعْرا!
لانَّ الَّذي في كفِّهِ النَفطُ كَفُّهُ
بِها رايةُ التَّحريرِ مَضفورَةٌ ضَفْرا!
وأنَّ الَّذي في كَفِّهِ النَّفطُ كَفُّهُ
بها ذو الفقارِ الضَّخْمِ مِن جَدِّهِ ذُخْرا!
وأنَّ الَّذي في كَفِّهِ النَفطُ كَفُّهُ
عَلَيها يَدُ الرَّحمٰنِ تأزُرُها أَزْرا
فَطُوباكَ يا صَدَّامُ ما لاحَ بارِقٌ
وما غَيْمَةٌ هَلَّتْ، وَما كوكبٌ أَسْرَىٰ
وَما هَلْهَلَتْ بَيْنَ الفُراتَيْنِ حُرَّةٌ
وَما ماجَ مَوجٌ في شَواطِئِنا الخَضْرا

وَطـوبَاكَ مـا أَسْـرَتْ إلى القُدْسِ نَسْمَـةٌ
وَعَـادَتْ من الإسْـراءِ مُثْقَلَـةٌ طُهْـرا
وَمَـرَّتْ على حِطِّينَ ، ثمَّ تَمـايَلَتْ
وَرُوحُ صَـلاحِ الـدِّينِ تَمـلأُها عِطْـرا
لأقْسِمُ بـالصَّـادِيْنِ ، لَم يَنْبُتـا سُـدَىً
بِنَفْسِ التُّـرابِ الطَّـاهِـرِ العَطِـرِ الـذُّكْرىٰ
وَلا اتَّفَقَـا إلّا وَلِلّـهِ حِكْمَـةٌ
بـأنْ يَشْمَخـا كـلٌّ كَصَـاحِبِـهِ كِبْـرا
وَأنْ يَكتبـا لِلّـهِ جَـلَّ جَـلالُـهُ
وَلِلحَقِّ وَالإسـلامِ بِـاسْمَيْهِما النَّصـرا !

❋ ❋ ❋

نشرت في جريدة القادسية في آب ١٩٩٠

سيكون للدنيا مسار آخر

دَعْهــــا بكُــــلِّ فُصـــــولِهـــا تَتَلَمْلَمُ
عَظُمَتْ وأَنتَ لَهـــــا المَصَــــدُّ الأعظَمُ
أنتَ المَهـــابَـــةُ ذي الفقـــارِ بـــوجهِـــهِ
وَوَريثُ جَــــدِّكَ عنـــــدمــــا تَتَكلَّمُ
أنتَ السَّـــدادُ لَهـــا فَمـــا خُلِقَتْ يَــدُ
مِن بَعـــدِهِ بحِـــزامِــــهِ تَتَحــــزَّمُ !

* * *

دَعْهــــا بِكُــــلِّ فُصـــــولِهـــا تَتَلَملَمُ
دَعْهـــــا تجيشُ ، وتَستَجيشُ ، وتُــــرزِمُ

فَــلأنتَ أدرى يــا عــزيــزُ بــأنَّنــا
مثــلَ النَّخيــلِ قَنــاتُنــا لا تُعجَمُ
وَلأنتَ أدرى أنَّ شَعبَــكَ حــاشِــدُ
نَخَــواتِــهِ طُــرّاً ، وأوَّلُهــا الــدَّمُ !
وَلأنتَ أدرى يــا منــارَةَ زَهــوِنــا
أنّــا نَمــوتُ وزَهــوُ أرضِــكَ يَسلَمُ !

* * *

دَعْهــا بِكُــلِّ فصــولِهــا تَتَلَملَمُ
دَعْ كُــلَّ أمــريكــا بِغَــزوِكَ تَحلُمُ
دَعْهــا تَــروزُ دُروعَهــا وقلــوعَهــا
تُــرغي ، وتُــزبِــدُ تَــزدَري تَتَهجَّمُ
يــا سَيِّــدي ، مِن بَعضِ مــا علَّمتَنــا
أنَّ القَــــويَّ بِحَقِّــــهِ لا يَشتمُ !
أنَّ القــويَّ قَــويَّــةٌ أخــلاقُــهُ
كــــالسَّيفِ ، لا ينبــــو ، ولا يتَثَلَّمُ
أمّــا الهَــزيــلُ بــروحِــهِ .. مَهما عَتــا
صَلَفــاً ، فــداخِلُــهُ ذَليــلٌ مُجــرِمُ !
أرأيتَــــهُ كيفَ استَشــــاطَ مُهــــدِّداً
مُتَــوعِّــداً ، وكــلامُــهُ لا يُفهَمُ ؟
إلّا البَــذاءَةُ والشَّتــائِمُ وحــدَهــا
وسِــوى الشَتــائمِ كــلُّ شيءٍ مُبهَمُ !

الحَقُّ يُنطِقُ أهلَـــهُ يـــا سَيِّـــدي
والظُّلمُ وَسْطَ دُروعِـــــــــهِ يَتَلعثَمُ !

سَيُهـــددّون ، وتستَقيمُ جـــذوعُنـــا
ويُحشِّـــدون ، ونَخْلُنـــا يتـــأجَّمُ

أهلـــوكَ نحنُ غَـدَاً تَـرىٰ شُهـداءنـا
ودِمـــاءنـــا في طَـــوقِهِم تَتَحكَّمُ

وَحَيـــاةِ مجدِكَ ، مـا تَـراصَفَ حِقـدُهُم
لَن يَستَقيمَ لَـــديـــهِ طـــوقٌ مُحكَمُ

كِبْـــرَ العـــراقييِّن سَـــوفَ يَجيئُهُم
دَمُنـــا ، وَيَسبِقُـــهُ القضـــاءُ المُبـــرَمُ !

* * *

دَعْهـــا بكـــلِّ فصـــولِهـــا تَتَلملَمُ
دَعْهـــا تَجيشُ ، وتَستجيشُ ، وتُـــرزِمُ

دَعْ عِلْـــجَ أمـريكـا يُعـربِـدُ غـاضِبـاً
دَعْ جِلْـــدَهُ بِسمـــومِـــهِ يَتَـــورَّمُ

العَقْـــرَبـــاءَ غَـــداً سَيلـــدَغُ نَفسَـــهُ
نَـــدَمـــاً إذا اشتَبَكَتْ عَليـــهِ الأسْهُمُ !

وَسَتَلتَقي واللّه حَـــولَ جُنـــودِهِ
نـــارٌ بِهـــا سَيَـــرونَ كَيفَ جَهَنَّمُ !

وَلَنحنُ ، لا واللّه ، لَن نَـــرضىٰ بِـــهِ
خَـــدْشـــاً يمـــرُّ بِـــهِ الـــزَّمـــانُ فَيَـــلأمُ

لكنْ سَنجعلهـــا جِــراحـــاً عُمقُهـــا
عُمقَ البِحـــــار، رَضيعُهـــــا لا يُفطمُ!
سَتُشَبُّ كــــلُّ الأَرضِ نـــــاراً تَحتَهُم
حتى الخليــــجُ مِيـــاهُــهُ تَتَضــــرَّمُ
الأرضُ تـــرفَـــعُ للسَّمـــاءِ صَـــواعِقـــاً
فيُعيـــدُهـــا لَهُمُ القَضـــاءُ الأَشـــأَمُ
رُجُمـــاً سَيخشَـــعُ كـــلُّ مُحتَـرقٍ بِهـــا
وكــــأنَّـــــهُ بِلَظىٰ جَهَنَّمَ يُـــــرجَمُ
سَيقـــولُ أثْبَتُهُم جَنـــانـــاً لَيتَنـــا
لَم نـــأتِ أرضَ الأَنبيـــاء فَسَلْهُمـــو
مـــاذا أتىٰ بِهِمـــو..؟.. وأيُّ خَـــديعَـــةٍ
خُــدِعوا بِهـا؟ وبـأيِّ عُـذرٍ أقـدَمـوا؟؟
أأبـــو رغـــالٍ، وَهـــوَ خـــائِنُ بَيتِـــهِ
وَعَـــدوُّ كـــلِّ مَن اهتَـــدَوا، أو أسلَمـــوا
أم أنَّ أبـــرَهَـــةَ الجَـــديـــد مُمَثَّـــلاً
في عِلْـــجِ أمـــريكـــا أشـــارَ فَيَمَّمُـــوا؟
إنّي لَأســـأَلُ خـــادِمَ الحَـــرَمَينِ هَـــل
مـــا زالَ في الحَـرَمَين فِعـــلًا يَخـدِمُ؟!
أم أنَّـــــهُ اختَلَطَتْ عليـــــهِ أُمـــورُهُ
القصــــرُ الابيضُ والحطيمُ وزمــــزَمُ!

وتكـــاثَــــرَ الأسيـــادُ حتى مـــا دَرىٰ
هـــوَ خـــادِمٌ في بيتِ أيٍّ منهمـــو ؟!
عَجَبـــاً لِمَن تغـــدو ميـــاهُ وجـــوهِهِم
مُستَنقَعـــــــــاً ، ووجـــــــوهُهُم تَتَبسَّمُ !

* * *

يـا خـادِمَ الحـرَمَين جـلَّ آسمـــاهُمـا
عمَّنْ أتىٰ بِـــــذُراهُمـــــا يَتَـــردَّمُ
أدخلتَ في الحــــرَمَينِ حَشْـــدَ مـــآثم
أرأيتَ يــــومـــــاً آثِمـــــاً يَتحشَّمُ ؟
أأمِنْتَ أنَّ يهـــودَ لـــو دَخَلَتْ إلىٰ الـ
حَـــــرَمَين ، لا تـــــزري ، ولا تَتَهكَّمُ ؟
أفَبَيْتُ خـــالِقِنـــا ، وقَبـــرُ نَبيِّـــهِ
في سُـــوحِهـــا زُمَـــرُ اليهـــودِ تُهـــوِّمُ ؟
وأمِنْتَ أنتَ ؟ .. لَـــزِمْتَ بيتـــكَ آمِنـــاً ؟؟
وكـــأنَّ أرضَـــكَ ليسَ فيهـــا مُسلِمُ ؟!
وإذنْ أقِفْنـــا يـــا مُحمَّـــدُ شُخَّصـــاً
يـــومَ الحســـابِ أمـــامَ ربِّـــكَ نَـــرشِمُ
سَيقـــــولُ : كُلُّكُمـــــو رأيتُم كُلُّكم
لَم تَفعلـــوا شيئـــاً ، ولَم تَتَكلَّمـــوا
صـــوتٌ وحيـــدٌ بيننـــا سَيقـــولُ : لا
إنِّي فَعَلْتُ ، وإنَّ قَـــوميَ أقـــدَمـــوا !

يـــا سَيّدي صـــدام   وَجهُــكَ وحــدَهُ
يَبقىٰ مَهيبَ الــــــزُّهــــــوِ لا يتلثَّمُ !
في حين يُخفي كـــلُّ نَـــذْلٍ وجهَـــهُ
فـــزعاً ، فـلا سَمعٌ لــديــهِ ، ولا فَمُ !

* * *

صـــدام   يـــا وعــدَ العـــروبَــةِ كلِّهــا
في كـــلِّ مـــا أجيـــالُهـــا تَتَجشَّمُ
يـــا أيُّهـــا المَيمــونُ   يَشهــرُ سَيفَــهُ
وأمـــامَ كـــلِّ جنـــودِهِ يَتَقَـــدَّمُ

وَمَهيبُ رايَتِـــهِ بهـــا مِن جَـدِّهِ
قَمَـــرٌ ، ومِن غُـــرَرِ الصَّحـــابَـــةِ أنجُمُ !
اليـــومَ يـــومُـــكَ يـــا أعـــزَّ رجـــالِهـــا
بِـــكَ يَبـدأُ المَســرىٰ ، وبـاسمِــكَ يُختَمُ
سَتَلُمُّ ألـــويَـــةُ العـــراقِ ضلـــوعَهـــا
حتىٰ يُحيطَ بِـــكَ الشَّغـــافُ العَنْـــدَمُ !
وَتَشـــدُّ قـــامتَـــكَ العـــروبَـــةُ كلُّهـــا
بـــل كـلُّ حيٍّ سَـــوفَ بـــاسمِــكَ يُقسِمُ
سَيكـــونُ للـــدُّنيـــا مَســـارٌ آخَـــرٌ
وَيَكـــونُ لـــلإنســـانِ قَلبٌ أرحَمُ

سَيُعَلِّمُ الـدُنيـا وقـوفُـك بـاهِـراً
أنَّ الكـرامَـةَ جَيشُهـا لا يُهـزَمُ
يَتَهـدَّمُ الجَبَـلُ المَنيـعَ ويَنتهي
لكنْ جِبـالُ الـرُوحِ لا تَتَهـدَّمُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١ / ٩ / ١٩٩٠

بك أنت نبدأ

بكَ أنتَ نَبدأُ
تاريخُ هٰذي الارض مُنْذُ تَنَفَّسَتْ
بكَ قد تَنَبَّأْ
يا سيِّدي
كلُّ العراقِ بما نُذِرْتَ لَهُ تَعَبَّأْ
يا مَنْ تَخِذْتَ من التُّقىٰ والحقِّ والاخلاقِ مَبْدأْ
بكَ أنتَ نَبدأُ ..

يا رايةَ النَّهرَينِ

يا ماءَ الفُراتِ وَماءَ دَجَلهْ
يا نخلةً ما طاوَلَتْها في رحابِ الكونِ نَخْلَهْ
يا فادياً بالرُوحِ أهْلَهْ
عَيناهُ قنديلانِ ..
تَنْطَفىءُ النُجومُ جَميعُها
حتىٰ الكواكبُ والأهِلَّهْ
وَعيونُهُ تَبقىٰ تُضِيءُ ..
تُضِيءُ دَرْبَ اللّيلِ كُلَّهْ
يا سَيِّدي
يا مَنْ تَخِذْتَ منِ التُّقىٰ والحقِّ مَبْدأْ
بكَ أنتَ نَبدأْ

يا واهبَ النَّهرَينِ تَيَّارَيهِما
يا واهبَ الفَلَكيْنِ مِعيارَيهِما
إنَّا نَظَرنا حَيثُ تَنظرُ ...
لم نَخُنْ صَدَّامُ أعيُنَنا
رَأَيْنا ما رَأَيتْ
سأدورُ كلَّ بيوتِ أهلي الآن
بيتاً بعد بَيتْ

وَأَئِقُّ ..

سَوفَ أَئِقُّ في الأبوابِ ..

أوقِظُ كلَّ مَيْتْ

وأقولُ :

يا أهلي ..

ويا جيرانَ أهلي ..

قد أتَيتْ

إنِّي أنا المَحزونُ فيكم

إنِّي المؤَجَّلُ مِن بَنِيكم

سأظلُّ أسألُكُم :

أأُذْبَحُ مِثلَما ذَبَحوا سِوايْ ؟ .

أأموتُ مُسْبَلَةً يَدايْ ؟؟

أمْ أنْتَخي للّه ...

أنسِجُ في خُطىٰ صدّامَ خَطْوي ؟

صَدّامُ يَسْعىٰ الآنَ نَحوي

أأقولُ يا صَدّامُ لا تَقْرَبْ ،

وَدَعْني كَي أموتْ

كَذُبابةٍ في عَنْكَبوتْ ؟

أَمْ أَسْتَضِيءُ بِهِ فَأَرْنَأُ
وَتَضُمُّني سَبَحاتُهُ ،
وَلَدَيْهِ بِٱسْمِ اللّه أَقْرَأُ
فَإذا حَيِيتُ فَشامِخاً ،
وإذا انْتَهَيْتُ فَمِنْهُ أَبْدَأُ
إذْ ذاكَ يَنْطَفيءُ الزَّمانُ
وَضَوءُ روحي ليسَ يُطْفَأُ

بكَ أنتَ نَبْدَأُ
وَاللّه ما جَفَّتْ مَنَابِعُ زَهْوِنا صَدَّام
لا يَنسىٰ العراقيُّون
مَجْدَ الزُّهوِ كيفَ يكون
لا يَنسَوْن
أنَّ بيوتَهُم أعْلىٰ
وأنَّ زروعَهُم أغْلىٰ
وأنَّ الرُّوحَ ..
يَبْلىٰ الكَونُ ،
وهيَ الرُّوحُ لا تَبْلىٰ

وَيَصْدَأُ كلُّ ما في الكونِ
إلّا الرُّوح   ضوءٌ ليس يَصْدَأ

وَأَعَزُّ ما في الرُّوحِ
ضَوْءُ الكِبرياءِ إذا تَلألأ
يا مَنْ لأرواحِ العراقيِّين في عَينَيكَ مَرْفَأُ
إنْ نَحنُ لَم نَلْجَأْ لِهذي الكبرياءِ
فأَيْنَ نَلْجَأْ ؟
يا سَيِّدي إنْ نحنُ لَم نَلْجَأْ لِحُبِّكَ   أيْنَ نَلْجَأْ ؟

بكَ أنتَ نَبْدَأْ
إنّي لأسأَلُ شَمسَكَ الغُفْرانَ لَو صَوتي تَلَكَّأْ
يا أَيُّها الصَّوتُ الَّذي بِسَنا الرُّسالَةِ قَد تَوَضَّأْ
ما خاطَبَ الإنسانَ قَبْلَكْ
وَعْيٌ كهذا الوَعيِ إلّا صَوْتُ جَدِّكَ ..
إنَّ أَهْلَكْ
يا سَيِّدي ، هُم والصَّحابَةُ ،
أَهلُ هذا الإرثِ مِثْلَكْ

يا هائِلَ الأَحداثِ وَالميراثِ ..
يا مَنْ ليسَ يَفْتَأُ
في كلّ ما يَأتيهِ يُشْعِرُنا بأنَّ الخَيرَ مَبْدَأُ
والحبَّ والأخلاقَ مَبْدَأُ
بكَ أنتِ نَبْدَأُ

عُذْراً لِهَيْبَتِكَ الَّتي تَتَلَجْلَجُ الكَلِماتُ فيها
عُذْراً لِطَلْعَتِكَ الَّتي
لَو مَسَّها حَتىٰ النَّسيمُ
لَطارَ في الآفاقِ تِيها
إنِّي أُحاولُ وَصْفَها ، فأرىٰ الحروفَ وَما يَليها
حتىٰ الرُّموزَ أحسُّها تغدو ظِلالًا لا أفيها
مِن حَقِّها شَيْئاً ،
كَأَنْ رَمزٌ علىٰ رَمْزٍ تَوَكَّأُ
يا سَيِّدي مَنْ شاءَ وَصْفَكَ ..
ما استَعَدَّ ..
وَما تَهَيَّأُ
مِنْ أينَ يَبْدَأُ ؟

يا مُلْتَقىٰ بَيْتي إذا اجتَمَعَتْ وُجوهُ بَنِيَّ حَوْلي
وإذا أقولُ وَيَسْمَعون ..
وليسَ غيرَ هَوَاكَ قَولي
يا كلَّ أفراحِ العراقيِّين حين يُعيِّدونْ
يا غَيْظَهم إذ يَغْضَبونْ
يا مَنْ يُسَمَّىٰ كلُّ مَجدٍ في العراقِ الآنَ بِاسمِكْ
وَتَدورُ كلُّ نجومِهِ
صَدَّامُ
وَلْهىٰ حولَ نَجْمِكْ
بكَ أنتَ نَبْدَأُ
وإليكَ نَقْطُرُ مِن شِغافِ قلوبِنا ماءً ،
وَنَظْماً
فَنَقولُ : يا صَدَّامُ أنتَ آشْرَبْ ،
وَنحنُ هُنا سَنَهْنَأُ
فَتَقولُ : لا بَلْ تَشرَبون ..
فبالعراقيِّين أَبْدَأُ
بكَ أنتَ نَبْدَأُ ..

نشرت في جريدة الجمهورية في ١١ ايلول ١٩٩٠

رجز للايام القادمة

مَنْ يُبصِرُ الغَيب ، وَيستَقري الخَفا ؟
إنّا لَراءوهُ ، وحادينا وَفَىٰ
فَلْتَنظُرِ النّاسُ إذا الرَّملُ سَفىٰ
واصّايحَ النَّخلُ بِوادي المُصطَفىٰ
وكلُّ نَجمٍ فوقَ مسراهُ انطَفا
يومَ يُلاقي كلُّ نافٍ ما نَفىٰ
يَراهُ نُصْبَ العَينِ وجهاً وَقَفا
علىٰ جميعِ الأرضِ إذْ ذاكَ العَفا
إنْ نحنُ لَم نوقِظْ بِها صُمَّ الصَّفا
ولَم نَقُلْ لفَيْلَقِ الموتِ : كفىٰ !

١٩٩٠/١١/٥

يا سيد الغضب المقدس

يَوماً فيوماً يَتبَعونَكْ
يوماً فيوماً يَخلعونَ غرورَهم ، ويُصدِّقونَكْ
يوماً فيوماً يؤمنونَ بأنَّ درعَ اللّهِ دونَكْ
وبأنَّ أيديهم تُقَصِّرُ عَن مَداكَ ، فَيَحذَرونَكْ !

يا سَيِّدي ، وَمَعابِرُ التَّاريخ تَسْتَقري عيونَكْ
وَهَواجِسُ الأعداءِ تَلهَثُ وهيَ تَستقصي ظنونَكْ
وتُريدُ منكَ تَكونُها ،
حتَّىٰ إذا عادَتْ لأنفُسِها
تحاولُ أنْ تكونَكْ !

ويُهدّدونَكْ !
يا أكبرَ الدُّنيا ، رأيتُ صِغارَها يَتَهدَّدونَكْ !
أنتَ الَّذي قبلَ العراقيّين حارسُهُ الكبيرْ

اللهُ والبَقِظُ الضميرْ
ثمَّ العراقيُّون أجمَعُهم وها هُم يَسمَعونَكْ
لو قُلتَ يا أهلي ، لَهَبَّ العُرْبُ طُرّاً يَفتدونكْ
يا سَيِّدي أولادُنا أرواحُهم تَتْهَلُّ دونَكْ
وَصِغارُنا .. وَشيوخُنا وَدُعاؤهم إذ يَذكُرونَكْ
واللّهُ جَلَّ الله يَسمَعُهم وهم يَتهجَّدونَكْ
غابٌ مِن الدَّعَواتِ يُورِقُ في رِحابِ الله ..
يُمسِكُ جنحَ طَيرٍ أن يخونَكْ !

وَيُهدِّدونَكْ !

أيُهَدِّدون الشَمسَ وَهيَ الشَّمسُ تَسبَحُ في ضُحاها ؟!
أيَرَونَ أطباقَ السَّماءِ لو انَّها دارَتْ رَحاها
مِن فَوقِهم ؟ .. أفَيُنكِرون علىٰ البَسيطَةِ مَن دَحاها ؟؟
أيُهدِّدونَ إرادةَ الرَّحمٰنِ في أولادِ طهَ ؟
يا سَيِّدي الزَّاهي بشَعْبِهْ
ما خافَ جَدُّكَ غيرَ رَبِّهْ
وَتَجمَّعَ الأحزابُ كُلُّهمو فقاتَلَهم بِرَبِّهْ
وَبِقلَّةٍ وَثِقَتْ بِدَربِهْ

مَن ذا يَرُدُّ مَشيئةَ الرَّحمٰنِ ، أو يوصي بِحَربِهْ ؟!
يَتَبجَّحون بحجمِ قُوَّتِهِم ، وَربُّكَ أنتَ أقوىٰ
لو كانَ صاحِبُهُم تَروَّىٰ
لرأىٰ ، وإنْ نَفَخوه ، ما زالَ ابنَ آدمَ ، وابنَ حَوَّا
وبأنَّ مَن سَوّاه أودَعَهُ المَنيَّةَ يومَ سَوَّىٰ
وبأنَّهُ جِنحُ الذُّبابَةِ لَو نِداءُ اللّه دوّىٰ
أمّا أساطيلُ الرَّذيلَهْ
أمّا قَطيعُ ذِئابِهم ، وكِلابُ أبرَهَةَ العَميلَهْ
فَغَداً لَهم يومٌ معَ الرَّحمٰنِ لَنْ يَلْقَوا مَثيلَهْ !

يَتَبجَّحون بحجمهم ، وَرَوائحُ التِّنيِّن فيهْ
في شَكلِهِ القَذِرِ الكَريهْ
لا روح   لا أخلاق   لا شيءُ بداخِلِهِ نَزيهْ
وَتَظلُّ أمريكا كَتِنِّينٍ بقوَّتِها تَتيهْ
لَو يَعلَمُ التِّنّين ،
مَقْتَلهُ هوَ الطّاغوتُ فيه !
يا أكبرَ الدُّنيا   رأيتُ لِهؤلاءِ الأقوياءْ ؟
هٰذي الوجوهُ المُسْتَحِمَّةُ بالبلاهَةِ والغَباء
هٰذي الأساطيلُ الغَفيرَهْ
وَجَميعُ مَن حَمَلُوا عليها مِن رجالٍ دونَ غيرَهْ

أرأيْتَ إذْ هَجَموا علىٰ الأطفالِ وامتَهَنوا النِّساءْ ؟
الأقوياءْ !
النَّاقِصُونَ بِلا أُرومَهْ
هوَ زَورَقٌ لا شيءَ فيهِ سِوىٰ الطَّفولَةِ والإ...
دارُوا عليهِ بِكُلِّ ما نُفِخُوا بِهِ مِن طائِراتْ
ومدافعٍ وَمُدَمِّراتْ
حتَّىٰ الصَّواريخُ استَعَدَّتْ ..
أينَ أولادُ العُمومَهْ
رامبو يُهاجِمُ زَورقَ الأطفالِ فاتَّبِعوا هجومَهْ !

يا سَيِّدَ الغَضَبِ المُقَدَّسْ
هُم يَغضَبونَ فَيَشهَرونَ بأوْجُهِ النَّاسِ المُسَدَّسْ
وَغَضِبْتَ أنتَ فَكُنْتَ كالصُّبحِ العظيمِ إذا تَنَفَّسْ !
العدلُ أجمعُهُ تَنَفَّسْ
والحَقُّ أجمعُهُ تَنَفَّسْ
وأضاءَ وَجهُكَ حينَ وَجْهُ الظُّلمِ مِن هَلَعٍ تَيبَّسْ !

يا سَيِّدَ الغَضَبِ المُقَدَّسْ
لَن يُرهِبَ الطاغوتُ شَعْبَكَ ما ادلَهَمَّ وما تَكَدَّسْ
الخائِنون ، سَيَخسأون
مِن أينَ يَرقى مَن يخون وكيفَ يَرقى مَن يَخونْ ؟!

عَلَمُ العِراقِ الحُرِّ، كيفَ يَنالُهُ عَلَمٌ مُنَكَّسْ ؟
واللّهِ يا صَدّام   ما ارتابَ العِراقُ، ولا تَوَجَّسْ
ما دامَ بإسمِكَ قَد تَمَتْرَسْ
وَغداً سَيَنبَلِجُ النَهار   وَسَوفَ نُبْصِرُ مَن تَغَطرَسْ
مَن كالذُرا كِبْراً تَهَدْرَسْ

لأكادُ أُبصِرُهُ وقد نَزَلَ الذُهولُ بِه، وأَعْرَسْ
عُريانَ   مُنخَلِعاً   مُضَرَّسْ
لا يَستَطيعُ سِوَىٰ الإِشارَةِ   لا أبانَ، ولا تَفَرَّسْ
الحقُّ يُنطِقُنا، وَيَبقىٰ مَنطِقُ العُدوانِ أخرَسْ
الحقُّ يُنطِقُنا   وَيَبقىٰ مَنطِقُ العُدوانِ أخرَسْ ..

نشرت في جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الاول ١٩٩٠

اليوم يوم يا عرب

اليـــومَ يـــومٌ يـــا عـــرَبْ   يـــومٌ لِميـــرات الغَضَبْ
يـــومٌ لكـــلِّ السِّلمِ أو   يـــومٌ لكـلٍّ لِكُـلِّ المُحتَـرَبْ
اليـــوم يـــومَ لا فتىٰ   إلّا أصِحَـــاءُ النَّسَـــبْ
إلّا الـــذيـــن أنبَتـــوا   سيقـــانَهم إلىٰ الـــرِّكَبْ
وَيَحـــمِلـــونَ غيظَهُـــم   حمـــلَ النُّخيـــلِ لِلكَـــرَبْ !
مُـــدَجَّجـــينَ بـــالظُّـــنىٰ   مُزَجَّجـــينَ بالعطَـــبْ
لا قـــولَ إلّا « اللّه أكبَـــرْ » وَحْـــدَهـــا أُمُّ الخُطَبْ
اليـــوم يـــومٌ يـــا عَـــربْ

* * *

تَبَّتْ يَـــدا أبي لَهَبْ   تَبَّتْ يَـــدا فهـــدٍ وَتَبْ
لا مـــالُـــهُ أغنىٰ ولا   يَـــدفَـــعُ عَنـــهُ مـــا كَسَبْ
غـــداً سَيَصلىٰ هُـــولَـــةً   مشبـــويـــةً ذاتَ لَهَبْ
وَسَـــوفَ يَغـــدو وَحْـــدَهُ الحـــاطِبَ فيهـــا والحَطَبْ !

* * *

تَبَّتْ يَــــدا أبي لَهَبْ

تَبّتْ يَــداهُ مــا نَــوىٰ ومــا غَــوىٰ ، ومـا كَـذَبْ
ومـــا أثـــارَ مِن حَـــريقِ فِتْنَـــةٍ ، ومـــا شَغَبْ
تَبّتْ يَــداهُ إنَّـــهُ لِكُـــلِّ رِيبَـــةٍ سَبَبْ
لَئِنْ يَــكُ اليــومَ لَــهُ حَـــولٌ وَطَــولٌ وَلَقَبْ
فَفي غَـــدٍ ينقَلِبُ الـ ميـــزانُ أيَّ مُنقَلَبْ !

* * *

اليــومَ يــومٌ يـا عَــرَبْ
يــومٌ ولا كـــلُّ الحِقَبْ

تــواجِهـــونَ ظُلمَ كـــلِّ الأرضِ مِن حيـــثُ وَثَبْ
وقـــد أتـــاكُم هـــائِـــجَ الأحقـــادِ مَسعـــورَ الّلهَبْ
يـــا لَفلسطينَ ويـــا لِكُـــلِّ شِبْـــرٍ مُغتَصَبْ
وا هَضْـبَـةَ الجــولان وا غَـــزَّةَ وا أرضَ النَّقَبْ
وا شَـــرَفـــاً خَمسينَ عـــامـــاً ظَـــلَّ مِنّـــا يُستَلَبْ !

* * *

اليــومَ يـومٌ يـا عَــرَبْ
عِـزُّ المُنىٰ عِـزُّ الطَّلَبْ
واللّــهِ لَـو تنتظـــرون العُمْـــرَ تَشْـــكـــونَ الـوَصَـــبْ

وأمـــرُكم كمـــا مضىٰ في يَـــدِ مَن هَبَّ وَدَبْ
لمـــا وَصَلتُم يـــا بَني أمُـــيَ إلّا للهَــــرَبْ !
ولا التَقَيتُـــم أبَـــدا إلّا عـــلىٰ شَـــتْمٍ وَسَـــبْ !
ولا تَناهـــىٰ سَـــعيُكم إلّا إلىٰ شَـــرّ النُّـــوَبْ
واليـــومَ هـــا أنتم علىٰ أبـــواب فَجـــرٍ مُـــرتَقَبْ
كـــلُّ شُمـــوسِ الكـــونِ قـــد يُطلِعُهـــا هٰـــذا الغَضَبْ !
واليـــومَ يـــومٌ للغَضَبْ
اليـــوم يومٌ يـــا عَـــرَبْ !

* * *

صَـــدّامُ إنَّ المَجـــدَ يُـــوحىٰ والمَعـــــــالي تُنتَخَبْ
والحَقُّ عُمْـــرَ الحَقِّ لا يُعطـــىٰ ولٰكـــنْ يُجتَـــلَبْ
يـــأتي بِـــهِ مَن سَيفُـــهُ الطُّـــوفـــانُ ، لا السَّيفُ القَصَبْ
شَتّـــانَ بَينَ الـــرأسِ في سُـــوحِ المَعـــالي والـــذَّنَبْ
بَينَ الَّـــذي يُمسِـــكُ جِـــذْعَ الأرضِ أيّـــانَ اضطَـــرَبْ
وَبَينَ مَن مِن خَـــوفِهِ يَـــرجفُ روحـــاً وَعَصَبْ !
ذا أرعَبَ المَـــوتَ وذا مِن هـــاجِسِ المَـوتِ ارتَعَبْ !
وَأنتَ واللّـــهِ الَّـــذي بِمَفـــرقِ الشَمسِ اعتَصَبْ
ولِلمُـــــروءاتِ انتَخىٰ وبـــالمـــروءاتِ احتَـــرَبْ
وأنتَ واللهِ الأمينُ الصَّـــادِقُ الـــزاكي الحَسَبْ
فَلْيُـــوعِـــدوكَ وَلْيَهُبَّ غَيظُهُم كـــلَّ مَهَبْ

واللّـــــهِ لا يَملـــــكُ إلّا اللَّـــــهُ عِلْمَ مـــــا حَجَبْ
والصَّـــادقُ الـــوعـــدِ وَمَنْ للّـــــهِ عنـــــدَهُ سَبَبْ
وأنتَ مِنهُمْ والَّـــــــذي أعطـــاكَ إيمـــانـــاً عَجَبْ
لَيُهلِكَـــــنَّ جَمْعَهُـــــم حتَّىٰ يَصيحـــوا وا حَـــرَبْ
وَلَيَتْـــرُكَـــــنَّ الأرضَ لا نَبـــعٌ بِهـــا ولا غَـــرَبْ
وِلْتَـــرَ أمـــريـــكـــا إذا مُشـــتَجَرُ المَـــوتِ اقتَـــرَبْ
بـــــأنَّ للبَيتِ الَّـــذي احتَلُّـــــوه رَبّـــــاً أيَّ رَبْ
بـــــأنَّ للبَيتِ الَّـــذي احتَلُّـــــوه رَبّـــــاً أيَّ رَبْ

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٥ كانون الثاني ١٩٩١

أهـلي العراقيين

حجمَ المروءةِ يا عراقْ
حجمَ المروءةِ يَا مُفَدّىٰ
حجمَ الابوّةِ والكرامةِ سَوفَ تَنزِفُ أنتَ فَردا
وَسَتُبصِرُ الدُنيا جِراحَكْ
وَجَميعُها بِكَ تَستَظِلُ مِن الاذىٰ ،
فافرشْ جَناحَكْ !

حجمَ المروءةِ والكرامه
سَيَسيلُ جُرحُكَ يا عِراق كأنَهُ رَهَجُ القِيامه
ويكون عمرَ الارضِ للأطهارِ في الدُنيا علامه !
أهلي العراقيّين   يا خَيرَ البَريَّةِ   يا ذُراها
يا مَن بِكم وُثِقَتْ عُراها
شدُّوا نياطَ الصَّبرِ يا أهلي ، فَمَذخورٌ مَداها

واللّه لَن يَطأ الثَرىٰ أمثالُكم شَرَفاً وَجاها
أنتُم لَها   مَن مِثلَكُم بالمَجدِ يا أهلي تَباهىٰ
أنتُم لَها .. لا تُحزِنوا الرَّحمٰن يا أولادَ طه
هيَ ضَنكَةُ الابطال يا أهلي   ومُعظَمُها تَناهىٰ
هيَ آخرُ الأوجاع   لا جُرحٌ   ولا وَجَعٌ سِواها

أهلي العراقيين   يا أعلىٰ مِن الشُرَفِ العَوالي
يا مَن رِضاهم جدُّ غالي
كلُّ الذئاب عليكُمُ اجتَمَعَتْ وأعيُنُها تُلالي
وَلَسَوفَ تَشتَعِلُ الليالي
وَلَسَوفَ تاتَلِقونَ يا أهلي نجوماً في دُجاها
وَسَتُثْبِتونَ لِكُلِّ عاليةٍ بأنَّكُمو عُلاها !

واللّهِ يا أهلي   وَحينَ أقولُ أهلي أرتَجيكم
أنخاكُمو .. وأكادُ مِن وَجَعِ الرجولَةِ أدْريكُم
وأصُدُّ   ثُمَّ أموتُ فيكُم !

واللّه يا أهلي ، لأنتُم أشرَفُ الاهلينَ صَبرا
وأقَلُّهُم في المَوتِ ذُعرا
وَرَأيتُكُم   وَرَواجِمُ الكُفّارِ فَوقَ الدُورِ تَترىٰ

لَم تَحمِلوا إلّا كرامَتَكُم مَعَ الأطفالِ ذُخرا !
لَم تُشمِتوا الكُفَّارَ فيكُم
لَم تَكشِفوا لَهُمو ظهورَ بَنيكُمو أفدي بَنيكُم !
المائجينَ الآنَ طوفاناً يَروعُ مُرَوِّعيكُم
النَّاصبينَ صُدورَهُم درعاً يَردُّ عَن العِراقْ
يا ألفَ ألفِ هَوىً يُراقْ
يا ألفَ ألفِ مُدَجَّجٍ غَضَباً ، وَنَخوَتُهُ نِطاقْ !

يا أهلَ هٰذي الشَّمس إنَّ اللَّيلَ يُثقِلُ دَفَّتَيها
هيَ هُولَةٌ رَكَضوا إليها
بدأوا بِكُلِّ وَسائِلِ الإجرام أولىٰ حالَتَيها
ناسينَ أنَّ يَدَ الحديدِ الرُّوحُ قادِرَةٌ عَلَيها
وبأنَّ للإنسان أوَّلَها وآخرَ ما لَدَيها
ناسينَ أنَّ يَدَ الحضاره
لَم تَستَقِمْ إلّا لأنَّ الروح صاحِبَةُ البِشاره
الروح لا المُتَفَجِّراتْ
لا حامِلات الطائراتْ
لا وَجهَ بوش المُجرمِ المَعتوه لٰكِنْ وَجهُ بابلْ
وَجهُ المَزارِعِ والسَّنابلْ
وَجهُ الشَّرائعِ والرَّوائعِ ، لا الفَواجعِ والقَنابلْ

وَجهُ الّذينَ بَنَوا حياةَ الناس لا مَن هَدَّموها
مَن بالمروءَةِ قَوَّموها
هُم قوّةُ الإنسان ، لا هٰذي الرّجوم الهاويَهْ
هٰذي الذِئاب العاويه
هٰذي الّتي مِن كُلِّ معنىً للمروءَةِ خاويه ..

هي هَولَةٌ بدأوا ، وغيرُ الله لا يدري مَداها
بدأوا .. فكيف بِمُنتَهاها ؟
ظَنّوكَ يا شرَفَ العِراقيّين تمتَهِنُ الجِباها
فَتَغضُّ طَرْفَكَ ، ثُمَّ تَحنيهِنَّ واهاً ثمَّ واها !
واللّهِ يا شَرَفَ العِراقيّين .. لَو وَقَدوا سِواها
ألفاً وقُطِّعَتْ المَراقي
لَو لَجلَجَ الدَّمُ في المآقي
وَبَدا بَنو أُمّي كأنْ كلُّ مَنيَّتُهُ يراها !
ما نَكَّسوا راياتِهِم لابنِ اليَهود .. ولا طَواها !

بدأوا فكيفَ سَيَختِمونَكْ
يا أيُّها الجُرمُ الّذي ذَبحوا حدودَ الله دونَكْ
نحنُ الّذينَ سَنَرتَقيها

صَهَواتُ هٰذا المَوت ، نَحنُ العارِفون بِما يَليها
الباذِلون العُمرَ فيها
يا آلعالَمُ المَجنون .. قُطرٌ واحدٌ أخزىٰ جبينَكْ !
وأراكَ أنَّ الكُفرَ أصبحَ دونَ دينِ اللّه دينَكْ
مَن ذا يُعزُّكَ لو قضاءُ اللّه أزمَعَ أنْ يُهينَك ؟!

وَبِنا ، وَرَبِّ البَيتِ ، تُخزىٰ
بالصّابرينَ علىٰ جريمَتِكَ اللعينةِ سَوفَ تُخزىٰ
يا للعراقيّين .. يا وَطَنَ الجِهادِ المُستَفَزّا
اللّهُ يَنصُرُكُم ، وَيَملأكم علىٰ الكُفّارِ عِزّا
وَعَلَيكَ يا رَمزَ الجِهاد ..
عَظُمْتَ للإنسانِ رَمزا
كلُّ السّلام ..
فانتَ يا صَدّام بَيْرَقُها المُفَدّىٰ
يا أكرَمَ المَخلوقِ جِدّا
يا خيرَ مَن آخىٰ ، وقادَ ، وَمَن لِمُرزِمَةٍ تَصَدّىٰ
بِكَ يرفعُ الراياتِ جَمعُ المؤمنينَ إذا تحدّىٰ
بِكَ أنت يا صَدّام لا بِسِواكَ ، موكِبُنا سَيُحدىٰ

يا سَيِّدَ النَّهرين ابشِرْ، والتَفِتْ بَشِّرْ جنودَكْ
بَشِّرْ مَن اتَّسَدوا حدودَكْ
أنَّ العَلامةَ : أنَّ وَعدَ الله يستَقصي وعودَكْ
وَكَما أرادَ اللّهُ قلتَ .. وَقَبلُ ألهَمَها جدودَكْ
أنَّ العلامةَ أن تقودَ لَهيبَها ، لا أن يقودَكْ
وَلَقَد فَعَلْتَ كَما أمَرْ
واللّهِ نفسُ الفعلِ يَفعَلُهُ عليٌّ أو عُمَرْ
ويمثلِهِ أبُنا صلاحُ الدين قاتَلَ وانتَصَرْ ..!

يا سَيِّدَ النَّهرين حَظّي
أني مُنِيتُ بشاهدَين : فَنَبضُ قافيتي ، ونَبضي
بعضي يُغالِبُ فيكَ بعضي
وأنا وهذا الشعر سَوفَ نَقولُ قَولَتَنا ونَمضي
وَلَنا غَداً في كُلِّ أرضِ
مَن يَشهَدون بأنَّني في الرَّوعِ ما دَنَّسْتُ عِرضي ..!

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ٢٧ كانون الثاني ١٩٩١

رسالة الى الرئيس بوش(*)

بالطِّينِ والحِجاره
نَحنُ بَدَأنا سُلَّمَ الحَضاره
حتَّى استَقامَ فَوقَهُ الإنسانْ

دَورُكَ جاءَ الآنْ
لكي تُعيدَ صَرحَها
للطِّينِ والحِجاره ..!

* * *

(*) افتُتِحَ بها كونسرت العود الذي قدَّمه الفنان الكبير الاستاذ منير بشير على مسرح الرشيد ليلة العدوان .

رجز في أم المعارك

مَجدٌ لهذي السَّاعِ والدقائقْ
مَجدٌ لِما توقظُ من حَقائِقْ
سَتنقلُ الأخبارُ والوثائقْ
عَن بَلَدٍ كانَ الوحيدَ الصَّابِقْ
دار عليهِ عالمٌ مُنافِقْ
يَقودُهُم كلُّ زنيمٍ فاسِقْ
فضجَّ فيهم كالشُّهابِ البارِقْ
مُشتَجِرَ الهاماتِ والبَيارِقْ
يزخرُ بالدِّماءِ والصَّواعِقْ
حتىٰ تَشَظّىٰ الكَونُ بالحرائِقْ

* * *

جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الثاني ١٩٩١

سَــوفَ تَظلُّــــونَ مُحَلِّقينـــــا
مثــلَ الخفــافيشِ علــى وادينــا
تُلَسِّــعونَ مــن بــعيــدٍ فينــا
يــا جُبَنــاءَ الــعَصــرِ أجمَــعينــا
وَسَــوفَ نَبقــى نَحــنُ صــامــدينــا
نَنتَظِــرُ السَّـــاعــةَ أن تَحينــا

* * *

جريدة الجمهورية في ١ شباط ١٩٩١

الحمــدُ للّــهِ علــى هــذا الشَّــرَفْ
أنَّ الــعــراقَ وحــدَهُ الآنَ طَــرَفْ
وأنَّ كــلَّ الكُفــرِ فــي الارضِ طَــرَفْ
الحمــدُ للّه علــى هــذا الشَّــرَفْ !

* * *

جريدة الجمهورية في ٧ شباط ١٩٩١

هــا أنــتَ ذا يــا شَــرَفَ النَّــهــرَيــنِ
واللّــهُ ، جَــلَّ اللّــهُ ، نُصْــبَ الــعَيــنِ

رايَتُـــهُ   والسَّيــفُ   فــي   اليَــدَيْــنِ
وضــوءُ   مَســراكَ   دمُ   الحُسَيــنِ
مبـــارَكٌ   يــا   شَـــرَفَ   النَّـــهـرَيــنِ

* * *

جريدة الجمهورية في ٨ شباط ١٩٩١

ويـلٌ لكم سُـلالـةَ الـذِئـابِ   من كـلِّ ظفـرٍ قَــذِرٍ ونـابِ
واللّـــهِ ربِّ البيـتِ والكِتـــاب   وربِّ كـلِّ هـاتـف مُجـاب
لتُصبِحُنَّ في نـهـارٍ كـابي   عُمْيَ العيونِ ، فُزَّع الـرِّقـابِ
كمـا يطيـرُ الطَّيـرُ في الضَّبـابِ
وحينَ تأتي ساعـةُ الحِسابِ   تُمـرِّغـونَ الأنفَ في التُّرابِ
يـومَ تخوضـونَ إلىٰ الـرِّكـابِ   في دَمِكُم سُـلالَـةَ الـذِّئـابِ
واللّـــهِ   ربِّ   البيــتِ   والكِتــابِ

* * *

جريدة الجمهورية في ١٠ شباط ١٩٩١

صـــلاة

هٰذي بلادٌ ماؤها يُسفَخ
وزرعُها يُذبَخ
وطفلُها يَصيخ
تَسمعُها يا سَيّدي المَسيخ ؟

* * *

جريدة الجمهورية في ١٣ شباط ١٩٩١

ولأهلي الذين بعمان دمعي

مَن يَرىٰ الآنَ أبعَدَ مِن أنفِهِ ؟
مَن يُدافِعُ عَن كَفِّهِ
فيقولُ تَحسَّستُ حتّىٰ نُخاعِ الأصابعْ
وهوَ مَقطوعَةٌ كَفُّهُ وأصابعُهُ ؟

سوفَ أُعلِنُ أنّي مُصَدِّقُهُ
فإذا كانَ مِن دونِ صوتٍ ،
فإنّيَ سامعُهُ
إنّما يَصرخُ الحُرُّ مِن حَبْلِ صَوتِ الضَّميرْ !

مُنذِراً أو بَشيرْ
سَأقولُ بأنَّ القيامةَ لمّا تَقُمْ ،
رغمَ هٰذا الحريقْ

إنّها في الطّريقِ
فَلْيُهَيِّءْ هُواةُ الحـريقِ أنفُسَهُم ..
جذعَهُم والنّطاقْ
مثلَما هَيَّأوا لاشتعالِ العراقْ !
سَأقولُ بأنّا دَفعنا بأبنائِنا
وَبأحشائِنا
وَبما لا يُرىٰ مِن خرابِ النّفوسْ
وَسَيدفَعُ مَن أوقدوها بضوءِ المحاجرِ
حَدَّ اشتعالِ الرُّؤوسْ
يا لَحربِ البَسوسْ !
سَأقولُ بأنَّ الّذينَ يَجوبون مِلْءَ شوارعِ عَمّان
يَستَنجدونَ بأبوابِ كلِّ السّفارات
لن يَغفِروا
كلّما عَبَرتْ في الشّوارعِ سَيّارةٌ
وَعلَيها أسمُ بَغدادَ
طارَتْ مَحاجِرُهُم خَلْفَها
وهيَ عالقَةٌ بحروفِ العراقْ !
سَأقولُ بأنّهمو إذْ يَطوفون كلَّ الأزِقّةِ بَحثاً

زُقاقاً زُقاقْ
لَن تُفارِقَهُم شُرُفاتُ الرَّشيدِ
ولا شكلُ بابِ المُعَظَّمِ
لَن يَجدوا مثلَ ذاكَ الهواءِ هواءً
ولا مثلَ مائِكِ دَجلةُ ماءً
لَهُ نَفْسُ هذا المَذَاقْ
طائلًا ما يَطولُ الفراقْ ..
وَسَينظُرُ ناظِرُهُم في الوجوهْ
وَسَيَسألُ
هَل كلُّ مَن يَتكلَّمُ بالعربيَّةِ
فِعلًا أخوهْ ؟!
أفَيُبصِرُ مَن يُبصِرَ الآنَ أبْعَدَ مِن أنفِهِ ؟؟
كلُّ كفٍّ عليها عَلامَهْ
كلُّ نَصلٍ تَخَضَّبَ مِن دَمِنا
سَوفَ يَبقىٰ يَنزُّ دماً للقيامَهْ !
والَّذينَ بَكىٰ مِقْبَضُ النَّصلِ بينَ أصابِعِهِم ،
وهيَ تَغرِزُهُ في أضالِعِ أطفالِنا
سَوفَ تَغدو أصابعُهُم مثلَ أختامِ بابِ جَهَنَّمْ

كلَّما أمسَكْتُ وَردَةً

أحرَقَتْها   ليوم القيامَهْ

إنَّ أبوابَنا الآنَ مَهجورَةٌ

والضَّمائرَ مَسجورَةٌ

والسُّؤال الَّذي لا يُفارِقُنا

مَن أفادَ مِن النَّارِ منكُمْ ؟؟

إنَّهُ نَفْسُ ذاكَ الدَّمِ الـ أنفقَ العُمرَ

مُسْتَنفِراً بينَ ساحاتِكم

في فلسطينَ   في مصرَ

في عَتَباتِ دِمَشقَ

وَفي كلِّ أرضٍ صَرَختُم عَلَيها

وَها أنتُمُ الآنَ تُلْغونَهُ

وَتُهينونَهُ

وَتَخوضُونَ فيهْ

دونَ أنْ يَذكُرَ الأخُ مِنكُمْ

وَلَو ذِمَّةً لأخيهْ !

هَلْ لِناظرِكُم أنْ يَرىٰ الآنَ أبْعَدَ مِن أنفِهِ ؟!

أنْ يَرىٰ أنَّ كلَّ بلادِكُم الآنَ
تَنتَظرُ الدَّورَ
كي تَنتَهي لِمصيرِ العِراقْ؟
أنَّ هٰذا الخَناقْ
إذْ يُضَيِّقُ حتَّىٰ علىٰ عُنُقِ الطِّفلِ في أرضِنا
أنَّ هٰذا الدُّوارَ،
وهٰذا الضَّياعْ
أنَّ هٰذي الوُجوهَ الَّتي تَتَساقَطُ بينَ المَرافيء
باحثةً عَن شِراعْ
هيَ أوجُهُكُم كلُّكم في غَدٍ
عندَما يُسْقِطون بَقَايا القِناعْ!

لا تَقُولوا ٱلوَداعْ
كلُّنا في غَدٍ راحِلُونْ
كلُّ هٰذي العيونْ
سَوفَ تَنشَفُ أدمُعُها مِن مَحاجرِها
قَبلَ أنْ يَشْمَتَ الشَّامِتونْ..

وَلاهلي الَّذينَ بِعمَّانَ دَمعي

وَكَسرَةُ ضِلْعي
لأوجاعِ هٰذي القلوبْ
لِحَيرَتِها في الدُّروبْ
لتَوطينِها
أنْ تُقطَّعَ كلُّ شَرايينِها
ثمّ تَمضي إلىٰ أيِّ مَجهولَةٍ
لا تَؤوبْ ..
أيُّها الحائِرونَ بأولادِكُم
أينَ تَمضُونَ عنهم

وأينَ بهم تَذهَبونْ
أيُّها الموجَعونْ
يا شَريدي مَنَازِلكُم
يا مُقَطَّعَةً كلُّ أرسانِهِم
وَمُهَدَّلَةً كلُّ أغصانِهِم
يا غريبونَ حَدَّ الهَوانْ
يا مُقيمونَ في لا مكانْ
لَكُم زاخِراتُ دموعي
وَدَامي ضلوعي

وَأُوقِدُ في كلِّ ليلٍ شموعي
لابكي بلَيلِ العراقْ
علىٰ وطنٍ كلُّ شَملٍ بِهِ
مُوغلٌ في الفراقْ ..

* * *

القيت في افتتاح مهرجان جَرَش بعمّان في تموز ١٩٩١

ياصبر أيوب

«ديوان أم المعارك»

١٩٩٣

يا صبر أيوب

من ماثور حكاياتنا الشعبية أن مخرزاً نُسيَ تحت الحمولة على ظهر الجمل ..

قالوا: وظلَّ ولم تَشعُرْ بهِ الأبِلُ
يَمشي، وَحاديهِ يحدو وهوَ يَحتَمِلُ
ومِخرَزُ الموتِ في جَنْبَيْهِ يَنشتِلُ
حتىٰ أناخَ بِبابِ الدارِ إذ وَصَلوا
وعندما أبصَروا فيضَ الدِّما جَفَلوا
صَبْرَ العراقِ صبورٌ أنتَ يا جمَلُ!

وصبرَ كلُّ العراقيِّين يا جمَلُ
صبرَ العراق، وفي جَنبَيْهِ مِخرَزُهُ
يغوصُ حتىٰ شغافُ القلبِ يَنسمِلُ
ما هدَّموا ما استَفَزُّوا من مَحارِمِهِ
ما أجرَموا ما أبادوا فيه ما قَتَلوا

وطـــوقُهُم حـــولَـــهُ يمشي مكـــابَـــرَةً
وَمِخـــرزُ الطّـــوقِ في أحشـــائـــهِ يَفِـــلُ
وصـــوتُ حـــاديـــهِ يَحـــدوهُ علىٰ مَضَضٍ
وجـــرحُـــهُ هـــوَ أيضـــاً نـــازفٌ خَضِـــلُ
يـــا صبـــرَ أيّـــوب حتىٰ صبـــرُهُ يَصِـــلُ
إلىٰ حـــدودٍ، وهٰـــذا الصّبـــرُ لا يَصِـــلُ

* * *

يـــا صبـــرَ أيّـــوب، لا ثـــوبٌ فنخلَعُـــهُ
إن ضـــاقَ عَنّـــا ولا دارٌ فَننتَقِـــلُ
لكنّـــــهُ وَطَنٌ، أدنىٰ مكـــــارِمِـــــهِ
يـــا صبـــرَ أيّـــوب، أنّـــا فيـــهِ نكتَمِـــلُ
وأنّـــــهُ غُـــرّةُ الأوطـــانِ أجمعِهـــا
فـــأينَ عَن غُـــرّةِ الأوطـــان نَـــرتَحِـــلُ؟!
أم أنّهم أجمعـــــوا ألّا يُظَلِّلَنـــــا
في أرضِنـــا نَحنُ لا سَفـــحٌ، ولا جَبَـــلُ
إلا بيـــارقَ امـــريكـــا وَجَحفَلَهـــا
وَهَـــل لِحُـــرٍّ علىٰ أمثـــالِهـــا قِبَـــلُ؟
واضَيْعَـــةَ الأرضِ، إنْ ظلّتْ شَـــوامِخُهـــا
تَهـــوي، وَيَعلـــو عَلَيهـــا الـــدُّونُ والسَّفِـــلُ

* * *

كـــانـوا ثـلاثينَ جَيشـاً ، حَـولهم مَـدَدُ
مِن مُعظَمِ الأرضِ ، حتى الجـارُ والأهَـلُ
جَميعُهُم حـــولَ أرضٍ حجمَ أصغَـــرِهِم
إلّا مـــروءَتَهـــا تَنـدىٰ لَهـــا المُقَـلُ
وَكــانَ ما كـان يـا أيّـوب مـا فعَلَتْ
مَسعـــورَةٌ في ديـارِ النـاسِ مـا فَعَلُـوا
مـا خـرَّبَتْ يـــدُ أقسىٰ المُجـرمينَ يـداً
مـــا خـــرَّبَتْ واستبـاحَتْ هـذهِ الــدُّوَلُ
هـــذي الّتي المُثُـلُ العُليـا علىٰ فَمِهـا
وعِنْـــدَ كـــلِّ امتِحــانٍ تُبصَقُ المُثُــلُ!

يـــا صبـرَ أيّــوب ، مـاذا أنتَ فـاعِلُـهُ
إن كانَ خَصمُكَ لا خــوفٌ ، ولا خَجَلُ؟!
ولا حَيـــاءٌ ، ولا مـــاءٌ ، ولا سِمَـــةٌ
في وجهِه وَهوَ لا يَقضي ، ولا يَكِلُ؟
أبَعْـــدَ هـذا الَّــذي قَـد خَلَّفـوهُ لَنـا
هـذا الفَنـاء وهـذا الشّـاخِصُ الجَلَـلُ

هـذا الخَرابُ وهـذا الضّيقُ لُقمَتُنـا
صـارَتْ زُعـافـاً ، وحتىٰ مـاؤنـا وَشَـلُ
هَـل بَغـدَهُ غيـرَ أن نَبـري أظـافِـرَنـا
بِزَيّ السّكاكينِ إن ضـاقَتْ بِنا الحِيَلُ ؟!

* * *

يـا صبـرَ أيّـوب إنّـا مَعشَـرٌ صُبُـرٌ
نُغضي إلىٰ حَـدٍّ ثـوبُ الصّبـرِ يَنْبَـزِلُ
لكنّنـا حينَ يُستَعـدىٰ علىٰ دَمِنـا
وَحينَ تُقتَطَـعُ عَن أطفـالِنـا السُبُـلُ
نضـجُّ ، لا حيَّ إلّا اللّه يعلمُ مـا
قَـد يَفعَـلُ الغَيظُ فينـا حينَ يَشتَعِـلُ !

* * *

يا سَيِّدي يا عراقَ الارض يا وَطَناً
تَبقىٰ بِمَـرآهُ عَينُ اللّه تَكتَحِـلُ
لَم تُشـرقِ الشّمسُ ، إلّا مِن مَشـارِقِـهِ
وَلَم تَغِبْ عَنـهُ إلّا وَهيَ تَبتَهِـلُ !
يا أجملَ الارض ، يـا مَن في شَواطِئِـهِ
تَغفـو وتَستَيقِظُ الآبـادُ ، والأزَلُ
يـا حـافِظـاً لِمَسـارِ الأرضِ دورَتَـهُ
وآمـراً كفَّـةَ الميـزانِ تَعتَـدِلُ

مُــذْ كُــوِّرَتْ شَعْشَعَتْ فيهــا مِسَلَّتُــهُ
وداَرَ دولابُــهُ والاحــرُفُ الــرُسُــلُ
حَمَلْنَ للكــونِ مَســرىٰ أبجَــديَّتِــهِ
وَعَنــهُ كــلُّ الّــذينَ استَكبَــروا نَقَلــوا !
يــا سَيِّدي أنتَ مَن يَلــوون شَغفَتَــهُ
وَيَخســأون ، فــلا واللّه ، لَن يَصِلــوا
يُضــاعفونَ أسَــانا قَــدْرَ مــا قَــدِروا
وَصَبْــرُنــا ، والأسىٰ ، كــلٌّ لَــهُ أجَــلُ

والعــالَمُ اليــوم ، هٰــذا فَــوقَ خَيْبَتِــهِ
غــافٍ ، وهٰــذا إلىٰ أطمــاعِــهِ عَجِــلُ
لٰكنَّهُم ، مــا تَمــادَوا في دَنــاءَتِهِم
ومــا لَهُم جَــوْقَــةُ الاقــزامِ تَمْتَثِــلُ
لِن يَجــرحوا مِنــكِ يا بَغــدادُ أنمُلَــةً
مــا دامَ ثَــديُكِ رَضّاعــوهُ مــا نَــذُلُــوا !

* * *

بغــدادُ أهلوكِ رُغْمَ الجُــرحِ ، صَبْرُهُمــو
صَبْــرُ الكَريمِ ، وإن جــاعُــوا ، وإن ثَكِلُــوا
قَــد يــاكُلــونَ لفــرطِ الجــوعِ أنفُسَهُم
لٰكِنَّهُم مِن قُــدورِ الغَيــرِ مــا أكَلــوا !

* * *

شُكـــراً لِكُـلِّ الَّـذينَ استَبـدَلـوا دَمَنـا
بِلُقمَـــةِ الخُبـزِ شُكـراً للَّـذي بَـذَلـوا
شُكـــراً لإحســانهم شُكـراً لنَخْـوتِهِم
شُكـراً لِما تَعِبـوا شُكراً لِمـا انشَغَلوا
شُكـــراً لَهُم أنَّهم بـالـزّادِ مـا بَخِلـوا
لَـــو كـانَ للـزّادِ أكّـالُـونَ يـا جَمَـلُ!
لكنَّ أهلي العـــــراقيِّين مُغلقَــــــةٌ
أفـــواهُمُ بـدِمـاهُم فَـرَطَ مـا خُـذِلـوا
دمـــاً يَمجُـونَ إمّـــا استُنطِقـوا، وَدَمـاً
إذ يَسكُتـــون، بِجَـوفِ الـرُّوحِ يَنهَمِـلُ!

* * *

يا سَيِّدي أينَ أنتَ الآن؟.. خُذْ بيَدي
إنّي إلىٰ صَبـــرِكَ الجَبّـــارِ أبتَهِـــلُ
يـــا أيُهـــذا العـــراقيُّ الخَضيبُ دَمَـــاً
ومـــا يَـــزالُ يُـلالي مِـــلْأهُ الأمَـــلُ
قُــــلْ لي، وَمَعـــذِرَةً، مِن أيِّ مُبهَمَــــةٍ
أعصابُـكَ الصُّمُّ قُـــدَّتْ أيُّها الـرَّجُـلُ!
مـــا زِلتَ تـــؤمِنُ أنَّ الأرضَ دائِـــرَةٌ
وأنَّ فيهـــا كِـرامـــاً بَعـــدُ مـا رَحَلـوا

لَقَد نَظَرتُ إلىٰ الدنياً ، وكانَ دَمي
يَجري .. وبَغدادُ ملءَ العَينِ تَشتَعِلُ
ما كانَ إلّا دَمي يَجري وأكبَرُ ما
سَمِعتُهُ صَيحَةٌ باسمي ، وما وَصَلوا !
وأنتَ يا سَيِّدي ما زلتَ تُوميءُ لي
أنّ الطَّريقَ بهذا الجُبِّ يَتَّصِلُ
إذَنْ فباسمِكَ أنتَ الآنَ أسألُهُم
إلىٰ متىٰ هٰذه الأرحامُ تَقْتَتِلُ ؟!
إلىٰ متىٰ تُنْتَزَعُ الأثداءُ في وطني
قَيحاً ، مِن الأهلِ للأطفالِ يَنْتَقِلُ ؟
إلىٰ متىٰ يا بَني عَمّي ؟ .. وثابِتَةٌ
هٰذي الدِّيارُ ، وما عَن أهلِها بَدَلُ
بَلىٰ لقد وَجَدَ الأعرابُ مُنتَسَباً
ومِلَّةً مِلَّةً في دينِها دَخَلوا !

وقايَضوا أصلَهُم واستَبدَلوا دَمَهُم
وَسُوِّيَ الأمرُ لا عَتْبٌ ، ولا زَعَلُ !
الحَمدُ للّه نَحنُ الآنَ في شُغُلِ
وَعندَهُم وَبَني أعمامِهِم شُغُلُ !

إنّــا لَنَســـألُ هَــل كــانِتْ مُصــادَفَــةٌ
أنْ أُشـرِعَتْ بينَ بَيْتَيْ أهلِنـا الأسَـــلُ ؟
أم أنّ بيتــاً تنــاهىٰ في خيــانَتِــهِ
لِحَــدٍّ أنْ صارَ حتّىٰ الخَــوفُ يُفتَعَـلُ ؟
وهـــا هــوَ الآنَ يَستَعــدي شــريكَتَــهُ
بــألفِ عُــذرٍ بلَمــح العينِ تُــرتَجَـلُ

* * *

أمّـا هُنـا يـا بَني عمّي فَقَـد تَعِبَتْ
مِمّـــا تَحنُّ إلىٰ أعشــاشِهــا الحَجَـلُ !
لَقَـــد غَـدا كـلُّ صــوتٍ في منــازِلنــا
يَبكي إذا لَم يَجِـــدْ أهــلًا لَهُم يَصِـلُ !

* * *

يـــا أيُّهـا العــالَمُ المَسعـور ألفُ نَمٍ
وألفُ طفــلٍ لَنــا في اليـومِ يَنجَـدِلُ
وأنتَ تُحكِمُ طَـــوقَ المــوتِ مُبْتَهِجــاً
مِن حَــولِ أعناقِهِم والمـوتُ مُنـذَهِـلُ !
ألَيسَ فيــكَ أبٌ ؟ .. أمٌ يَصيــحُ بِهـــا
رَضيعُهــا ؟؟ .. طفلةٌ تَبكي ؟ .. أخٌ وَجِـلُ ؟

يَصيحُ رُعباً ، فَيَنزو من تَوَجُّعِهِ
هٰذا الضَّميرُ الَّذي أزرىٰ بِهِ الشَّلَلُ !

* * *

يا أيُّها العالَمُ المَسعورُ نَحنُ هُنا
بِجُرحِنا ، وعلىٰ آسمِ اللهِ نَحتَفِلُ
لكي نُعيدَ لهٰذي الأرضِ بَهجَتَها
وأمْنَها بَعْدَما ألوىٰ بِهِ هُبَلُ !

* * *

وأنتَ يا مَرفأَ الأوجاعِ أجمعِها
وَمَعقِلَ الصَّبرِ حينَ الصَّبرُ يَعتَقِلُ
لأنَّكَ القَلبُ مِمّا نَحنُ ، والمُقَلُ
لأنْ بغَيرِكَ لا زَهوٌ ، ولا أمَلُ
لأنَّهم ما رأوا إلّاكَ مَسْبَعَةً
علىٰ الطَّريقِ إلينا حَيثُما دَخَلوا !
لأنَّكَ الفارِعُ العِملاقُ يا رَجُلُ
لأنَّ أصدَقَ قولٍ فيكَ : يا رَجُلُ !
يَقودُني ألفُ حُبٍّ لا مُناسَبَةٌ
ولا احتِفالٌ فهٰذي كلُّها عِلَلُ

لكي أناجيكَ يا أعلىٰ شوامِخِها
وَلَنْ أُرَدِّدُ ما قالوا ، وما سالوا
لكنْ ساستغفرُ التّاريخ أنْ جَرَحَتْ
أوجاعُنا فيهِ جُرحاً ليسَ يَنْدَمِلُ
وسَوفَ أطوي لِمَنْ يأتونَ صفحَتَهُ
هٰذي ، لِينشُرَها مُستَنْفَرٌ بَطَلُ
إذا تَلاها تَلاها غَيرَ ناقِصَةٍ
حرفاً وإذ ذاكَ يَبدو وَجهُكَ الجَذِلُ !

* * *

يا سَيِّدي يا عِراقَ الأرضِ يا وَطَني
وَكُلَّما قُلتُها تَغرورِقُ المُقَلُ !
حتىٰ أغَصَّ بِصَوتي ، ثمَّ تُطلِقُهُ
هٰذي الأبوَّةُ في عَينَيك ، والنُّبُلُ !
يا مَنْجَمَ العُمر يا بَدئي وخاتِمَتي
وَخَيْرُ ما فيَّ أنّي فيكَ أكتَهِلُ !
أقولُ : ها شَيْبُ رأسي هل تُكَرِّمُني
فأنتَهي وَهوَ في شَطَّيكَ مُنْسَدِلُ ؟!

وَيَغْتَــدي كــلُّ شِعــري فيــكَ أجنِحَــةً
مُــرَفــرِفــاتٍ على الأنهــارِ تَغْتَسِــلُ!
وَتَغْتَــدي أحْــرُفي فَــوقَ النَّخيــلِ لَهــا
صوتُ الحَمائِمِ إنْ دَمــعٌ، وإنْ غَــزَلُ!
وَحينَ أغفــو وهذي الأرضُ تَغمُــرُني
بطينِهــا وعِظــامي كلُّهــا بَلَــلُ
سَتــورِقُ الأرضُ مِن فَــوقي، وأسمَعُهــا
لَهــا غِنــاءٌ على أوراقِهــا ثمِــلُ
يَصيــحُ بي: أيُّهــا الغــافي هُنــا أبَــداً
إنَّ العــراقَ مُعــافىً أيُّهــا الجَمَــلُ..!

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٠ تشرين الاول ١٩٩١

رسل المحبة والسلام

بِكُمـــو ، وبـالأشـرافِ مِن أبنـائِـهِ
يَبقىٰ العـــراقُ بِعِـــزِّهِ ، وإبـائِـهِ
يَبقىٰ يُكـابِـرُ جُـرحُـهُ تـاجٌ لَـهُ
وَذُرىٰ الـزَّمـانِ خضيبـةٌ بـدمـائِـهِ
بِكُمـو يَشُـدُّ جـراحَـهُ بنَـزيفِهـا
وَيَسيـرُ مُتَّكِئـاً علىٰ لالائِـهِ
لا شيءَ إلّا كبـريـاءُ صمـودِهِ
وَلَظىٰ التَّحَـدِّي المُـرِّ في أحشـائـهِ !
هٰـذا العـراقُ عظيمُ كُـلِّ عَظيمـةٍ
هٰـذا الَّـذي ٱلنَّهـرانِ مِن أسمـائِـهِ
مـا غَضَّ جَبْهَتَـهُ لإقـدامِ العِـدا
حـاشـا ، وَلا جَـرُؤوا علىٰ سِيمـائِـهِ

* * *

يـــا نـــاذرينَ نفـــوسَكم لبنـــائِـــهِ
يـــا دِرعَـــهُ يـــا حـــامِلي أعبـــائِـــهِ
يـــا مـــالئينَ بيـــوتَكم مِن مـــائِـــهِ
وَمُعَطِّـــرينَ صِغـــارَكُم بهـــوائِـــهِ
يـــا أهلَـــهُ وَكفىٰ فخـــاراً أنّكُم
أهْـــلُ العـــراقِ ، وَوارِثـــو آلائِـــهِ
واللّـــهِ مـــا نَقِمَتْ علَيكم كلُّهـــا
إلّا لِمـــا تَجْنـــونَ مِن نَعْمـــائِـــهِ
إلّا لأنَّ الـــرّافـــدَينِ كِلَيْهِمـــا
كـــانـــا شُعـــاعَ الكـــونِ في ظَلْمـــائِـــهِ
وَلأنَّ كـــلَّ حِجـــارةٍ مِن أرضِـــهِ
نَبَـــأٌ بِمـــا يَخْشَـــونَ مِن أنبـــائِـــهِ
أنَّ الحضـــاراتِ التي بَـــدأتْ هُنـــا
لا بُـــدَّ يَـــرجِـــعُ طَيـــرُهـــا لفضـــائِـــهِ
كـــلُّ المَعَـــارِفِ صَـــوتُهـــا مِن ســـومَـــرٍ
أمَّـــا هُمُـــو لَيْسُـــوا سِوىٰ أصـــدائِـــهِ
قَـــدْ يَســـرقـــونَ لألفِ جيـــلٍ ضَـــوءَهـــا
لكنَّهم نـــاءُونَ عَن إطفـــائِـــهِ !

قَلِقــونَ مِن يــومٍ سَتُــوقِظُ بــابــلُ
إنســانَهــا البــاقي علىٰ استِغــلائِــهِ
إنَّ الَّــذي عَــرَفَ البــدايــةَ عــارفٌ
مِن أينَ يَبــدأُ بعــدَ دَفْــعِ بَــلائِــهِ

وَلَقــد أهــابَتْ بــابــلٌ بنجــومِهــا
وَبَشيــرُهــا آتٍ ، علىٰ إبطــائِــهِ
وَلِــذا تَحَشَّــدَ جَمْعُهُم لا مثلَمــا
زَعَمــوا وَلكنْ عَجَّلُــوا بِلقــائِــهِ !
وَتَصَــادمَ الغَيْمــانِ هٰــذا مُثْقَــلٌ
مَطَــراً وذاكَ السُّمُّ في أَثْــدائِــهِ
هَطَــلا ، فَسَلْ كُــلَّ العَوَالمِ : مَن هَمىٰ
مــاءً ، وَمَن خَــدَعَ الجميــعَ بِمــائِــهِ ؟
مَن كــانَ مِن وَجَــعِ الحضــارةِ سَيْلُــهُ
يَهمي ، وَمَن يَهمي لِفَــرطِ خُــوائِــهِ ؟
مَن قــادَ بــالشَّيطــانِ كــلَّ جيــوشِــهِ
وَمَن انتَخىٰ الــرَّحمٰنَ في إســرائِــهِ ؟
فَــإذا تَصَــدَّعَ في العــراقِ بِنــاؤهُ
فَيَــدُ العــراقِ كَفيلَــةٌ بِبنــائِــهِ

لكنَّهم ذَبَحـوا السَّـلام جميعَـهُ
وَيُخـادعـونَ النَّـاسَ في إحيـائِـهِ!

* * *

رُسُـلَ المَحَبَّـةِ والسَّـلامِ ، وَأنتُمـو
والله خَيْـرُ الجُنْـدِ عنـدَ نِـدائِـهِ
يـا جـاعلينَ قلوبَكم شُهُبـاً لَـهُ
مَهمـا تَمـادىٰ الظُّلْمُ في ظَلْمـائِـهِ!
يـا مـانحيـهِ حيـاتَـهُ بِـذَكـائِكُم
في حينِ ذاكَ يُميتُـهُ بِـذَكـائِـهِ
سَلِمَتْ أيـاديكُم لِكُـلِّ مُعَـذَّبٍ
سَهِـرَتْ أيـاديكُم بِلَيـلِ عَنَـائِـهِ
وَلِكُـلِّ طفـلٍ فَـزَّ مِن وَجَـعٍ بِـهِ
فَجَهِـدْتُمـو ليَظَـلَّ في إغفـائِـهِ
يـا بـاذلينَ المُستَحيـلَ لِفَـرطِ مـا
شَحَّتْ وَسَـائِلُكُم ، وَضَـجَّ بِـدائِـهِ
طُـوبىٰ لكم مـا جَفَّ بينَ أكُفِّكم
طِفـلٌ ، وأنتُم شُخَّصٌ بِـإزائِـهِ
لا تَملكـونَ لَـهُ العِـلاجَ فَيَنْطَفي
بينَ النُّطـاسِيِّينَ مِن آبـائِـهِ

طُوبىٰ لَكُم في كُلِّ أنَّةِ مُوجَعٍ
لا تَملِكونَ وَسيلَةً لِشِفائِهِ
وَلْيُهْنِ أمريكا بأنَّ حِصارَها الـ
إنسانَ مُقتَدِرٌ علىٰ إفْنائِهِ
لكنَّها تَبقىٰ بِكُلِّ جيوشِها
بَكْماءَ عاجِزَةً أمامَ إبائِهِ!

* * *

يا حاملي شَرَفِ الجهادِ بِعِلْمِكم
وَمُكابِدينَ الهَمَّ مِن جَرّائِهِ
شَرَفٌ لكُلِّ أسىً يُواكِبُ جُهْدَكُم
أنَّ العِراقَ شَريكُكُم بِجَزائِهِ
شَرَفٌ لكم أنَّ العِراقَ بأسْرِهِ
مُتَوَجِّهٌ لأكُفِّكُم بِرَجائِهِ
وَبِأنَّ كُلَّ أُمومَةٍ وَأُبُوَّةٍ
فَمُها يُطَوِّقُكُم بكُلِّ دُعائِهِ

* * *

بِكُمو، وبالأشرافِ مِن أبنائِهِ
يَبقىٰ العِراقُ يَشُدُّ حَبْلَ مَضائِهِ

بِكُمـــو وبـــالأخيـــارِ يَبقىٰ صـــامِــداً
أَنِفـــاً ، وَيَبقىٰ العِـــزُّ مِـــلْءَ لِـــوائِـــهِ
لا بـــالَّـــذينَ يُقَطِّعـــونَ لُحـــومَـــهُ
وَيُجَمِّعـــونَ المـــالَ مِن أَشـــلائِـــهِ !
بِكُمـــو وَكُـــلُّ ذَوي الضَّميـــرِ سَيُبْتَنَىٰ
وَيَعـــودُ كـــلُّ الخَيـــرِ في أرجـــائِـــهِ
لا بـــالمُـــرَابِينَ الَّـــذينَ دمـــوعُهُم
مَعَـــهُ ، وَيَعتـــاشـــونَ مِن أَرْزَائِـــهِ !
السَّـــارقينَ علىٰ الخَـــرابِ جهـــودَهُ
فَهُمـــو أَشَـــدُّ عَلَيـــهِ مِن أعـــدائِـــهِ
إنِّي لَأَعجَبُ كيفَ يَســـــــرِقُ مُتْخَمٌ
مِن مَيِّتٍ جـــوعـــاً فِتـــاتَ غِـــذائِـــهِ ؟!
بَـل كَيفَ تَسرقُ بعدَ مـوتِ صَـــديقِها
كَفُّ الصَّـــديقِ الخُبـــزَ مِن أبنـــائِـــهِ ؟!
لَن أســـألَ الاعـــداءَ مـــا فَعَلـــوا بِنـــا
فِعْـــلُ العَـــدوِّ مُفَسَّـــرٌ بِعَـــدائِـــهِ
لكنَّ أهلي ، والـــرَّضيـــعُ رَضيعُهُم
كَم تَـــاجَـــروا بحليبِـــهِ وَدَوائِـــهِ ؟!

كَم قَطَّعـــوا مِن لَحمِ بَعضِهِمـــو وَكَم
سَلَبـــوا مِن العُـريـانِ فَضْـلَ رِدائِـهِ ؟!
أفَـــإنْ أتَتْنـــا طَعنَـــةٌ مِن مُجـــرمٍ
نَمتَصُّ مِ آلمطعـــونِ فَيضَ دِمـــائِـــهِ ؟!

* * *

يـــا واهِبي وَطَني كـــريمَ جُهـــودِكم
صُـــونـوا عَطــاءَكُمـــو بِحِفْظِ عَطــائِــهِ
لا تَسمَحُـــوا للبـــائعينَ ضَميــــرَهُم
أنْ يَيتَنـــوا أفـــراحَهُم بِشَقـــائِـــهِ
لا يـــأكلـــوا بَعضـــاً فَخَلْفَ حُـــدودِهِم
مُتَـــرَبِّصـــونَ بـــألْفِ ذئبٍ تـــائِـــهِ
اللّـــهَ في وطَنٍ يُكَفْكِفُ جُـــرحَـــهُ
وَيَسيـــرُ مُبتَسِمـــاً بِـــرُغْمِ بَـــلائِـــهِ !
اللّـــهَ في وَطَنٍ يُكـــابِـــرُ واقِفـــاً
وَكُـــوَىٰ الـدِّمـــاءِ تَخُـــرُّ مِن أنحـــائِـــهِ !
اللّـــهَ في وَطَنٍ ألَـــدُّ خصـــومِـــهِ
أهْلُـــوهُ ، والأدنَـــوْنَ مِن خُلصَـــائِـــهِ !

يـــا أهلَـهُ يـا أزأفَ الـدُّنيـا بِـهِ
يـــا حـــادِبينَ عليــهِ في ضَـــرّائِــهِ
سَتَظـــلُّ أبـــوابُ العِـــراقِ مَنيعَـــةً
بِكُمـــو ، وبـــالشُّـــرفـاءِ مِن أبنـائِـهِ ..

* * *

القيت في افتتاح مؤتمر الاطباء العرب
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٢٨ كانون الاول ١٩٩١

يا أشــرف الأرض

هٰذي هيَ الأرضُ ما غالُوا ، وما هَدَموا
هٰـــذي الغضـونُ عليهـا الجُـرمُ والحَكَمُ
هٰذا الخـرابُ ، وهٰـذا المـوتُ مَجْمَـرةٌ
في كُـــلِّ صَمتِ العـــراقيِّينَ تَضطَـــرِمُ !
هٰـذي هيَ الأرض إنْ لَم يَتَّهِمْ أحـدٌ
مَن شَـــوَّهـوهـا ، فهٰـذا الـرَّسمُ يَتَّهِمُ !
أسمـــاؤهم كُلُّهـــا في لَـــوحِـهِ نُسِجَتْ
حـرفـاً فحـرفـاً سَـداهـا أضلـعٌ وَدَمُ !
وَكُـــلُّ سيمـــائِهِمْ في الأرضِ بـــاقيَـــةٌ
كـــأنَّهم كُلُّهم في طينهـــا بَصَمـــوا !
أمّـــا العـــراق فَمِن آشـور نَعـرِفُـهُ
خَنـــاجِـــرُ الغَـــدرِ تُـــدميـــهِ وتَنْثَلِمُ

كـــلُّ السّكـــاكين فيـــه أصبحَتْ حِطَمـــاً
وَجِـــــرحُــــــهُ ظــــلَّ والأيــــام يَلتَئِمُ !

* * *

يــــا سَيِّدَ الأرض يـا باني حضـارَتِهـا
يـا مَن بِـكَ الخــــائِفُ التـاريــخُ يَعتَصِمُ !
قَـــــد أوغَلـوا فيــهِ حتىٰ مــا لَـــهُ ذِمَمُ
وَقَد أهانوهُ لا هابــوا ، ولا احتَشَموا
وَأنتَ وحـــدَكَ أسْـــرَجْتَ الضّميـــرَ لَـــهُ
وَكـــانَ مِن دَمِـــكَ القِـــرطـــاسُ والقَلَمُ
لَقَـــد كَتَبْتَ لَــــهُ أبهىٰ مَفـــاخـــرِهِ
بَيْنـــا أضـافـوا إليـهِ كُـــلَّ مــا يَصِمُ !

* * *

يــا سَيِّدي أيُّهـــا الفـادي مـــروءَتَـهُ
بخيـــرِ أبنـــائِـــهِ يــــا أيُّهـــا العَلَمُ
بِقَـــدْرِ مـــا تَمضَـــغُ الاعـــداءُ أكبُـــدَهـــا
حِقـــــداً أراكَ علىٰ الأوجــــاعِ تَبْتَسِمُ
فَـــأنتَ تَـــدري بِمـــا أوتيتَ مِن وَهَـــجٍ
عَبْـــرَ الحضـاراتِ ، أنَّ القــاتِـلَ الــوَرَمُ
وأنَّ كُـــلَّ بِـــلادٍ ضَـــجَّ بـــاطِلُهـــا
لا بُـــدَّ يَطغىٰ عليهـــا سَيلُهـــا العَـــرِمُ

وَرُبَّ منفـــوخَـــةٍ حتىٰ غَـــلاصِمِهـــا
طـــاحَتْ كَمـا صَـوَّحتْ من قَبْلِهـا إرَمُ !
وهـــا أمـــامَـــكَ جَبّـــارونَ قـــوَّضَهم
تَـــآكـــلٌ مِن حَشَـــاهم ظـــلَّ يَلْتَهِمُ !

* * *

هٰـــذي هيَ الأرض يـــا مَن كـــلُّ أنمُلَـــةٍ
مِن أرضِـــهِ ، رُغْمَ ما هيضَتْ بِـــهِ ، حَـرَمُ
إنْ جُـــرِّحَتْ فـــالعِـــراقيّـــون أجمَعُهُم
ضِمـــادُهـــا كُلُّهُم عينٌ لهـــا وَفَمُ
وَكلُّهُم بِشِغـــافِ القَلبِ يَحضنُهـــا
حتىٰ تَكـــادَ بنبضِ القَلبِ تَـــرتَطِمُ !
يـــا أنبلَ الأرضِ يـــا أبهىٰ مفاخـرِنـا
يـــا خيرَ مـــا زارَ أجدادي ، ومـــا لَثَمـوا !
عهـــداً بـــأنّـــا إذا أرضَعتِنـــا رَضَعَتْ
صِغـــارُنـــا أو فَطَمتِ الآنَ نَنفَطِمُ !
عهـــداً بـــأنّـــا وإنْ ضَـــاقَتْ مَـــذاهِبُنـا
نـــأتيـــكِ حـــدَّ عَمـــودُ الظَّهـــرِ يَنفَصِمُ !
هـــوَ التَّحَـــدِّي فَـــإمّـا أن نَمُـــجَّ دَمـاً
أو نَستَقيمَ وتَحيـــا فَـــوقَـــكِ القِيَمُ !

* * *

ألقيت في افتتاح معرض الدمار الذي اقيم في وزارة الثقافة والاعلام
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الاول ١٩٩١

بل ذرةٌ من سياج الروح ما نسفوا!

للشّاهِدينَ عَليكَ الآنَ أنْ يَقِفوا
وأنْ يَرَوا أيَّ جُرْفٍ نحوَهُ جُرِفوا
ليُبصِروا أيَّ طُوفانٍ، بأيِّ دَمٍ
يَسعى، وأيَّ طَعينٍ بينَهم يَقِفُ!
كأنَّما جُرحُهُ، مِن فَرْطِ هَيبَتِهِ
جُرحُ القيامَةِ عَنهُ الغَيبُ ينكَشِفُ!

* * *

ها أنتَ ذا، مثلَما العَنْقاءُ تَنهَضُ مِن
رَمادِها .. بَينَما أكبادُهُم تَجِفُ
مِن بَعْدِ كلِّ الّذي غالُوا، نَهَضْتَ لَهم
وَلَم تَزَلْ رُكَبُ الأيّامِ تَرتَجِفُ!
هَولَ الجَناحَينِ، مَشدوداً بخَفْقِهِما
مَحاجِرُ الكونِ، خَطْفَ البَرقِ تَنْخَطِفُ!

فَهُم يَلمُّـــونَ مِن أطـــرافِهِم حَـــذرا
وأنتَ تَعلـــو ، وَتَهـــوي دونَـــكَ السُّجُفُ !

للشّـــاهِـــدِينَ عَلَيـــكَ الآنَ أنْ يَقِفـــوا
لِيَعـــرِفُـــوا وَصِغـــارٌ هُم لِيَعْتَـــرِفُـــوا
لٰكنْ لِكَي يُبصِـــروا جـذْعَ النَّخيـــلِ هُنـا
كيفَ استقـامَ وَكيفَ استُنْفِـرَ السَّعَفُ !
وَكيفَ شَـــابَكَتِ الأنهـــارُ أنفُسَهـــا
وَكيفَ ضَـــجَّ عَلَيهـــا أهلُهـــا الأُنُفُ
حَتَّىٰ تَقَـــوَّسَتِ الأضـــلاعُ أجمَعُهـــا
مَعَـــابِـــراً وجُســـوراً فَـــوقَهـــا دَلَفـــوا !

لِيَشْهَـــدُوا أنَّ تَهـــديـــداتِهِم طَـــرَفٌ
وأنَّ روحَ التَّحـــدِّي عِنـــدَنـــا طَـــرَفُ !
وَقَـــد تَشَـــابَكَتـــا ، فَلْيُخْصِ نـــاظِـرُهُم
مـــاذا رَصَفْنـــا ، وَمـــاذا أهلُـــهُ رَصَفـــوا
إنْ يَنْسِفـــوا ما استَطـاعوا مِن مَنـازِلِنـا
فَـــذَرَّةٌ مِن سِيـاجِ الـــرُّوحِ مـا نَسَفـــوا !
لقـــد بَنَينـــا بيـــوتـــاً مِـلْءَ أنفُسِنـــا
وَبينَ أضـــلاعِنـــا السَّـــاحـــاتُ والغُـــرَفُ !

مِن عَهــدِ سومــرَ والبُنيـانُ في دمنـا
وللحضــارات في أرواحِنـا كَنَفُ
وَهُم لَهُم إرثُهم ، مِن قــاتلينَ وَمِن
لصوصِ خيـلِ صَغـارُ تَحتَـهُ رَسَفُوا
وَظَــلَّ إحسـاسُهُم بـالـدُّونِ يُـزمِضُهُم
فَهُم كمـا الذِّيب ، مَسعُورونَ مُذْ عُـرِفُوا
يُقَتِّلُـونَ لِيَمحُـوا كـلَّ ذاكِــرَةٍ
وَيَهــدِمـونَ لَعَــلَّ الأرضَ تَختَلِفُ !
نـاسِينَ أنَّ لَـدىٰ الإنسـانِ ، في دَمِـهِ
ميـراثَ أهليـهِ حتىٰ تُـرفَـعَ الصُحُفُ !

* * *

هـا كلُّ مـا هَـدَّمـوا تَعلُـو مَنـائِـرُهُ
وَتَستَقيمُ بِــهِ الأَســوارُ والشُّــرَفُ
كـأنَّمـا لِنبـوخَـذ نُصَّــرٍ رِئَـةٌ
لليَـومِ فينـا علىٰ البُنيـانِ تَعتَكِفُ !
في حينِ سُمْعَـةُ أمـريكـا مُهَـدَّمَـةٌ
تَـرنـو إليهـا عيـونٌ مِلْـؤهـا قَـرَفُ !

* * *

للشّـاهِـدينَ عَلَيـكَ الآنَ أنْ يَقِفـوا
لِيُنصِفـوا نَفْسَهم يـومـاً ، إذا نَصَفوا

بــأنَّهُم أكَلــوا أطفــالَنــا جُثَثــاً
جَفَّتْ مِنَ الجُــوعِ حتىٰ كُلُّهــا حَشَفُ !
وأنَّهم قَتَلــوا أطفــالَنــا نُطَفَــاً
حتَّىٰ علىٰ المَوتِ ما فــاتَتْهُم النُّطَفُ !
وأنَّهُم مَثَّلــــــوا حتَّىٰ بِمَيِّتِهِم
لِحَــدٍّ أنْ قَطَّعَتْــهُ النَّــارُ والسُّــرَفُ !
والعــالَمُ الحُــرُّ يَــرنُــو نَحــوَ فِعْلَتِهِم
مــا لاحَ يَومــاً علىٰ سِيمــائِــهِ الأَسَفُ
بَــل التَّشَفِّي ، وألــوانُ الشَّمــاتَــةِ في
عيــونِــهِ ثمَّ الاستخفــافُ وَالصَّلَفُ !
حتَّىٰ لَيَســألَ أمَّــاً كَيفَ أفْــرُخُهــا
تَسَــاقَطـوا وَهْــوَ يَـدري أنَّهم قُصِفــوا
❋ ❋ ❋
كَم لاحَ لي ، ورُجــومُ المَــوتِ مُطْبِقَــةٌ
كــأنَّ بَيتي بِلَمْــحِ العَينِ يَنْخَسِفُ
وَكَم تَخَيَّلْتُ أولادي تُمَــــــزِّقُهُم
أنيــابُهُم ، وعلىٰ الأشْــداقِ مــا نَــزَفُــوا
فَــأنتَخي بــالعِــراقيِّين يــا وَطَني
أولادُكُم ، بهم الأَوغــادُ قَــدْ ثَقِفُــوا

فَـــأدْرِكـــوهُم وَتَثنيني مُكــابَــرَتي
واسمُ العِـــراق وَتَبقىٰ أَدْمُعي تَكِفُ !

يــا مَــوتَ أولادِنــا ، واللّه لا جَــزَعـاً
لٰكنْ إبـــاءَ نِيـــاطُ القَلبِ تَنْشَعِفُ
وذاكَ أنَّ ذِئـــابَ الأرضِ أجمعَهـــا
صـــارَتْ بِلَحمِ العِــــراقيِّين تَلْتَحِفُ
صـــارَتْ خَنـــازيـــرُ أمـــريكـــا مُبَـرَّأةً
مِن كلِّ رِجْسٍ وَصِرْنا نَحْنُ مَنْ زَهِقُوا
وأصبَـحَ العَـرَبُ الأعـرابُ أهـلَ تُقَىً
وَمُستَقيمينَ ، بَيْنـــا نَحْنُ نَنْحَـــرِفُ !
وَمـــاتَ أطفــالُنـــا ، والــذَّنْبُ ذَنْبُهمـو
لأنَّهم مِن بِـــلادٍ بـــاسمِهـــا هَتَفُــوا
وأنَّ آبـــاءَهُم قـــالـــوا لِقـــاتِلِهِم :
لا ثمَّ لَم يَرجِعُوا عَنها ، ولا أسِفُوا !
وَهـــا هيَ الأرضُ دارَتْ دَورَةً ، فـــإذا
بِكـــلِّ مـــا خَبَّـــأَ الطَّـــاغـــوتُ يَنكَشِفُ !

* * *

الآنَ يـــا صـــانِـعَ التَّـــاريـخِ ، تُلْهِمُـــهُ
وَتَستَقي مِنـــهُ مِنـــكَ الآنَ أغتَـــرِفُ

يا هائِلَ الماء يا أصفَى مَوارِدِهِ
وَمِنكَ كلُّ عِطاشِ الأرضِ تَرتَشِفُ
الآنَ أستَرجِعُ الأحداثَ .. كُنتَ بِها
مؤشِّراً ، وهيَ تَجري مِثلَما تَصِفُ
الآنَ أستَنطِقُ الليلَ الـ نَطَقْتَ بِهِ
حرفاً فَحَرفاً ، وَأُصغي ، وَهوَ يَنتَصِفُ
وَمَوجُ صَوتِكَ يَأتي مِن مَنَابِعِهِ
مُستوحِشاً وَالدُّنا أكبادُها تَجِفُ
الغَادِرون وَغامَ الصَّوت قد غَدَرُوا
لَقَد أغارُوا لُصوصاً ، مِثْلَما عُرِفُوا
قُطَّاعَ طُرُقٍ لَئيماتٌ سَرائِرُهُم
فَكُلُّ زَرْعٍ لِطيَّاراتِهِم هَدَفُ

* * *

وَقُلْتَ قُلْتَ كَلاماً مُوجَعاً ، أنِفاً
وَلَم يَكُنْ ، رُغْمَ عُمْقِ الجُرحِ ، يَعْتَسِفُ
قُلْتَ الحَضاراتُ تَبني الرُّوح تَجعَلُها
كَقِطعَةِ الماس ، لا يَنْتابُها التَّلَفُ
وَما أصَابَكُمُو ، لَو أنَّهم رُزِئُوا
بِبَعضِهِ ، ما استَقَامَتْ عِندَهُم كَتِفُ
وَقُلْتَ قُلْتَ وَكانَ اللَّيلُ مُشتَعِلًا
كانَتْ صَواريخُهُم مِلْءَ الفَضَا تَزِفُ

وَهُمْ يَحـــومـونَ حَـولَ الـدُّورِ أجمَعِهـا
حتَّىٰ لَقَـد رِيعَت الـدُّنيــا بِمـا نَسَفُــوا

* * *

وَقُلْتَ يــأتي زمــانٌ تُشــرِقُــونَ بِــهِ
وَشَمسُهُم مُنْــذُ هــذا اليَــوم تَنكَسِفُ
فَصَـــابِـروا واصْبِـروا ، فــاللّه نــاصِـرُكُم
لأنَّكُم أُمَّـــــــةٌ للّه تَـــــــزْدَلِفُ ..

* * *

ـــا نَحنُ نَصْبِـرُ، فَلْتَقْبَـلْ مـروءَتَنـا
يـــا سَيِّــدي ، وَلْتُقِفْنــا حينَ نَنْعَطِفُ
إنّــا نُغـــالِبُ طُـــوفــانــاً سَنَعْبــرُهُ
حتَّىٰ وَلَـــو كـانَ لا ضَــوءٌ ، ولا جُــرُفُ
سَنُـوقِـدُ الــرُّوحَ نِبـراســاً ، وَنَـرصفُ مِن
جــذوعِنــا ضِفَّــةً في جُــرفِهــا نَقِفُ !
وَسَــوفَ نَصْـدُقُـكَ القَـولَ الـ نَطَقْتَ بِــهِ :
أدري بــأهلي العِـــراقيِّين مــا ضَعُفُــوا

وَاللَّـــهِ أهلُـكَ يــا صَـدَّام مــا وَهنــوا
ولا أُهِينـــوا ، ولا عَن زَهْـوِهِم صُـرِفـوا

يـا سَيِّـدي ، مِنـكَ أنتَ القَـولُ نَحفَظُـهُ
لا يَسْلَمُ البَيتُ حتّى يَسْلَمَ الشَّــــرَفُ !

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٨ شباط ١٩٩٢

يا أكرم الناس صبرا

فَــــرْطُ السّكوتِ على فَــرْطِ الأذى سَقَمُ
قَـــد يَسكُتُ الجُــرحُ ، لكنْ يَنطِقُ الألَمُ !
وَمَغْقِـــلُ الظُّلمِ ، أيّــاً كــانَ صــاحِبُــهُ
لا بُــدَّ يــومــاً على أهليــهِ يَنهَــدِمُ !
فَقُلْ لِكُلِّ عُتـاةِ الارضِ مَن غَشَمـوا
وَمَن عَتَوا قَبْلَكُم في الارضِ أينَ هُمُ ؟!
ألَمْ تُـــزَلْــزَلْ صــروحُ البَغي أجمَعُهـــا
بِهِم كَمـــا زُلْـــزِلَتْ زلـــزالَهـــا إرَمُ ؟
ومـــا الّذي صـارَ هولاكـو سِوى شَبَحٍ ؟؟
في حينِ بغـــداد مِـــلْءَ العَينِ تبتَسِمُ !

* * *

فَــــرْطُ السّكوتِ على فَــرْطِ الأذى سَقَمُ
قَـــد يَسكتُ العَقـلُ لكنْ تَصــرُخُ الشِّيَمُ !

وَكيفَ يَصمُتُ مَنْ طِفــلٌ يَمـــوتُ علىٰ
راحــــاتِــــهِ ، وَسَنى عَيْنَيـــهِ يَتَّهِمُ
بــــأنَّـــهُ يَنطفي ظُلْمـــاً ، فَلَــو مَلَكـوا
لَـــهُ العِـلاجَ لَمـا أَلْــوَىٰ بِــهِ العَـدَمُ !
وَكيفَ يَصمُتُ مَن يَـــدري بـــأنَّ لَـــهُ
في كـــلِّ مَـــوتٍ يَـــداً للّـــهِ تَحْتَكِمُ
لأنَّــــهُ كُلَّمـــا امتَـــدَّتْ بِــوَصْفَتِهـــا
يَـدٌ إليـــهِ ، بِمَحْضِ الصَّمتِ يَعتَصِمُ !
وَهَـزَّةِ الـرأسِ تُـدمي قَلْبَ صاحبِهـــا
كـــأنَّـــهُ هـــوَ بـــالتَّقصيـــرِ مُتَّهَمُ !
لَقَـــــد رأيتُ بِعَيني في عُيـــونِ أخٍ
مِنكُم ، مــــروءَةَ كـــلِّ الأرضِ تَـــرتَسِمُ
وَفي يَـــدَيـــهِ دَوا طفــلٍ أبــوهُ بَكىٰ
لِظَنِّــــهِ أنَّ إنقـــــاذَ ابنِـــهِ حُلُمُ !

* * *

فَـــرْطُ السَكوتِ علىٰ فَـــرْطِ الأذىٰ سَقَمُ
وَأوجَـــعُ الصَّمتِ مـــا إيغـــالُـــهُ وَرَمُ
وَقَـــد صَبَـرنـــا ، وَلَــزُّ الصَّبــرُ أضلُعَنـا
حتّىٰ تَفَطَّـــرَ فينــــا اللّحْمُ والأدَمُ !
وَظَلَّتِ الـــرُّوحُ مِثـلَ الـرُّمـحِ مُشْـرَعَـةً
وَجَمــرُهــا في مَهَبِّ الـرِّيـحِ يَضْطَـرِمُ

ما نالَ مِنها سِوى إيقاد جَذْوَتِهـا
حِصارُهُم وَبَلىٰ ضاقَتْ بِها اللُّجُمُ
لِحَدٍّ أنْ زُلزِلَتْ فيها شَكائِمُها
وَكيفَ روحُ العِراقيِّين تَنْشَكِمُ ؟!
لٰكِنَّها طامَنَتْ مِن ضيقِها أمَلًا
أنْ يُنجِدَ الصَّبرُ، لا أنْ يُنجِدَ السأمُ !
كُنا نُغالِبُ ما زِلنا نُغالِبُ أنْ
يَطغىٰ عَلَينا نَفادُ الصَّبرِ والبَرَمُ
وَأقرَبُ النَّاسِ مِنا يَنظُرون لَنا
شَماتَةً تَفضَحُ الأبصارُ ما كَتَموا
لكنَّهُم في الخَفايا مِن نفوسِهِمو
يَدرونَ أينَ هبوبُ الرِّيحِ يَنحَطِمُ !
لا بَأسَ يَبقىٰ شِراعُ الخَيرِ مُنفَرِداً
وَحَولَهُ كلُّ مَوجِ الشَّرِّ يَلْتَطِمُ
يبقىٰ صِراعُهُما لِلأرضِ أجْمَعِها
دَرساً، لِتَنْدَمَ إذْ لا يَنفَعُ النَّدَمُ !

* * *

يا أكرَمَ الأرضِ صَبْراً كلُّ غائِلَةٍ
لا بُدَّ يَوماً بِما تَخشاهُ تَرتَطِمُ
وَكلُّ جَورٍ لَهُ حَدٌّ يَجيشُ بِهِ
إذا تَعَدّاهُ لا تَرسو بِهِ قَدَمُ

وَيـــا أعـــزَّ بِـــلادِ اللهِ أقْـــرَبُهــا
يَنمـــونَ فيكِ ، وَلَـــو أنَّ الـرَّضـــاعَ دَمُ !
لأنَّهُم لَنْ يَـــرَوا مـــاءً كَمـــائِـكَ ، لَـــو
مَسَّ الشِّفـــاهَ ، فَلَيسَتْ عَنـــهُ تَنْفَطِمُ !

وأنتُمـو يـا سُعَـــاةَ الخَيرِ في وَطَني
وَحــامِلي جُرحِـــهِ ، مــا اشتَـدَّتْ الأزَمُ
ويـــا مُقِيمينَ في مِحـــرابِ مِحنَتِـــهِ
مـــا ثَلَّموا حُبَّــهُ يَـومــاً ، ولا انثَلَمـوا
ولا تَبَـــرّأَ أهلُـــوهم ، على ضَنَـــكِ
مِن جِلْـدِهِم لا ولا خـانَتهُم القِيَمُ
بِكُم سَيَبْقى غُبـــارُ الطَّلْـعِ يَـدفَــعُ عَن
هـذا التُّراب وَيبقى اللهُ والـــرَّحِمُ
وَتَستَعيـــدُ فجـــاجُ الارضِ زَهـــوَتَهـــا
وَتَستضيءُ كمـــاضي ، عَهـــدِهـــا الأُمَمُ
وَبِـــاسمِكُم يَـدفَــعُ النَّهـرانِ مَـــوجَهُمـــا
زَهـــواً ، وَتَـرفَــعُ مِن هـــامـــاتِهـــا القِمَمُ
وَبِـــــاسمِكُم ، والعِــــراقيِّين أجمَعِهِم
يَبقى يُـــرَفْـــرِفُ كِبْـــزاً ذلِـــكَ العَلَمُ
وَكُلَّمـــا مَـــرَّت الـــذِكـرىٰ غَـــداً ، فَلَكُم
فيهـــا سَنىً ، وَلَكُم في قُدْسِهـــا حَـرَمُ !

وَكُلَّما جاءَ صَيفٌ ، والنَّخيلُ دَنَتْ
أعذاقُهُ ، فَلَكُم في تَمرِها ذِمَمُ !

اللهِ يا وَطَني !.. ما قُلتُ يا وَطَني
إلّا وَأحسَسْتُ أنَّ الكَونَ يَنتَظِمُ !

وَأنَّ كلَّ مَسامِ الكَونِ يُنصِتُ لي
الماءُ ، والنّارُ ، والأنوارُ ، والظُّلَمُ

والرِّيحُ والرَّعْدُ ، ثُمَّ الرِّيحُ والدِّيَمُ
والسَّهلُ ، والرَّملُ ، والوديانُ ، والأكَمُ

أحِسُّها كُلَّما نادَيْتُ : يا وَطَني
تَهمي : عِراقُ إلىٰ أنْ يَتْعَبَ القَلَمُ !

* * *

وأنتُمو يا أعزَّ النّاسِ يا بَشَراً
هَواهُمو بِشِغافِ القَلْبِ يَلْتَحِمُ

يا خَيرَ أولادِ خَيرِ النّاسِ يا شَرَفاً
أسمىٰ المَعايير فيهِ المَجدُ والكَرَمُ

تَبْقىٰ بِكُم كلُّ أرضِ الضّادِ وارِفَةً
ظِلالُها مُشْرَئِبّاً سَيْلُها العَرِمُ

وَيملكُ العُربُ ، كلُّ العُربِ ، قامَتَهم
حتّىٰ الّذينَ امَّحَوا مِن فَرْطِ ما ظُلِمُوا

* * *

يَبقىٰ العِـــراقُ عَظيمَ الـزَّهــوِ، بـــاسِلَـــهُ
كـــلُّ هٰــذي الجِـــراحِ السُّـــودِ تَلْتَئِمُ
وَسَـــــوفَ يَبقىٰ العِـــراقيـــون أجمَعُهُم
شُمَّ الجِبـــاهِ إلىٰ أن تُبعَثَ الـــرِّمَمُ!

* * *

القيت في مؤتمر الصيادلة العرب الذي انعقد ببغداد في ٢٤ / ٢ / ١٩٩٢
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٢٥ شباط ١٩٩٢

مخاض الحضارات

سَبعونَ قرناً ، ثقيلاتٌ رَكائِبُها
كُثْرٌ نتوءاتُها ، كُثْرٌ شَوائِبُها
عميقةٌ عُمْقَ هٰذا الكَون شَعْفَتُها
قديمةٌ قِدَمَ الدُّنيا ذَنائِبُها
بُعْدَ المَجرّاتِ لٰكنْ كُلّما بَرَقَتْ
تَطوي العصورَ مَطيراتٍ سَحائِبُها
حتىٰ لَتَجتازَ بالأيّامِ مُبرِقَةً
لِتَبلغَ الزَّمَنَ الآتي كَتائِبُها
هيَ الحضارَةُ ما امتَدَّ الزَّمانُ بِها
شَبَّتْ ، فأَذهَشَتِ الدُّنيا عَجائِبُها !

* * *

سَبعونَ قرناً وَكانت لَم تَزَلْ كُرَةً
يَطفو وَيرسبُ في الطُّوفانِ ذائِبُها

إذْ حَطَّ أوَّلُ طَيـــرٍ فَـــوقَ يـــابِسَـــةٍ
فـــأصبحتْ أوَّلَ الـــدُّنيـــا رَحـــائِبُهـــا
كـــانَ العراقُ وَكـــانتْ سـومرُ وَعَلَتْ
أولىٰ الشمـوسِ ، ومـا غـابت غـوائِبُهـا !

* * *

سَبعونَ قرنـــاً على آشور في أكـدٍ
وحـــولَ بـــابـــلَ ، أُمِّ الأرضِ ، دائِبُهـــا
مِثْـــلَ النَّـــواعيـــرِ نَوّارٌ يَفيضُ سَنىً
حينـــاً ، وحينـــاً دَمـــاً تَهمي سَـــواكِبُهـــا
ويـــابـــلٌ ، وَنبـــوخَـــذْ نُصَّـــرُ ، قَمَـــراً
مَـــدارِهـــا ، وذُرا أهلي كـــواكِبُهـــا
هي الحضـــارةُ شَمسُ الأرضِ أجمعِهـــا
وهـــوَ الَّـــذي بَـــدَأتْ منـــهُ مَـــواكِبُهـــا
هوَ العراقُ عـــراقُ الأرضِ يا وطنـــاً
سَبعـــونَ قـــرنـــاً بِـــهِ شـــابَتْ نَوائِبُهـــا
بَيْنـــا يَـــزيـــدُ شَبـــابـــاً كُلَّمـــا هَـــرِمَتْ
فيـــهِ العصـــورُ ، وآدَتْهـــا خـــرائِبُهـــا !

* * *

يا أخصَبَ الأرضِ، أرحاماً، وأكرَمَها
أمَّاتِ وِلْدٍ، زكيَّاتٍ نَجائِبُها
ما أعسَرَتْ يَوماً الدُّنيا، وَهِيضَ بها
إلّا وَشَعْشَعَ مِن بغدادَ جانِبُها!
إلّا وكانت عُيونُ الأرضِ شاخِصَةً
لِطَلْقِ بغدادَ في صَمتٍ تُراقِبُها
حتىٰ إذا رَحِمُ السَّبعينَ مُعجِزَةً
أعطىٰ الهديَّةَ، جَلَّ اللهُ واهِبُها
دَرَّتْ جَميعُ ثُديِّ الأرضِ غامرةً
مِن دون أنْ يحلبَ الأثداءَ حالِبُها!
هيَ الحضارةُ أرحامٌ مؤجَّلَةٌ
مؤشَّرٌ في بطونِ الغيبِ صاحِبُها
قد يَعقُمُ الكونُ طُرّاً لا مَخاضَ بِهِ
إلّا الحضارات، لا تَفنىٰ خَواصِبُها!

* * *

كَمْ مَرَّ بغدادُ، مِن هارونَ مُعْتَمِراً
إلىٰ جيادٍ صلاحُ الدينِ راكِبُها؟
ألفٌ؟؟ إذَنْ ألفَ عامٍ شَمسُكِ انطَفأتْ
علىٰ المَدارِ، وَلَم تُوقَظْ لَواهِبُها!
وألفَ عامٍ مياهُ الرافدينِ كَبَتْ
وكلُّ أنهارِها جَفَّتْ مَسارِبُها

وألفَ عـــامٍ بيـــوتُ النـــاسِ مِن وَجَــعٍ
تُبْقي على كــلِّ بـــابٍ مَن يُـــوارِيُهـــا !
مَـــرَّتْ عليــكِ مــآسي الارضِ أجمَعِهــا
وصَـــوَّتَتْ فيــكِ أحقـــابــاً حَـــرائِبُهـا
وأنتِ حُبْلىٰ بكـــلِّ الضـوء صـــامِتَـةٌ
صَمْتَ البـــراكينِ إذْ تَغْلي رَواسِبُهـــا !
مختـــومَـــةٌ بِجَـــلالِ اللّه نـــاطِـــرَةٌ
شَمســـاً يُضيءُ بـــامـــرِ اللهِ غـــارِبُهـا
وكـــانَ يَـــومُـكِ هٰـذا ، إذ جَمَعتِ بــهِ
مخـاضَ سَبعينَ قـرنـــاً عـــادَ غـــائِبُها !

❋ ❋ ❋

أكـــانَ هارون ؟ .. المـــامـون ؟ .. أَمْ جـذَبَتْ
كلكـــامشـــاً وحمـــورابي جَـــوانِبُهـــا ؟
هـــل التَقَتْ بصـــلاح الـــدينِ كـــوكَبَــةٌ
بَلْقـــاءُ ، آشـــوربـــانيبـــال واثِبُهـــا ؟
أَمْ كلُّهم ، ونبـــوخَــذْ نُصَّـــرٍ ، جُمِعـــوا
في صـــورةٍ عَينُهـــا منهم وَحـــاجِبُهـــا !
وَعَقْلُهـــا ، وأمـــانيهـــا ، وحِكمَتُهـــا
وَصَبْـــرُهـــا وارتَـــوَتْ منهم مَنـــاقِبُهـــا
فكـانَ صَدّامُ هٰذا الكونُ في رَجُـــلٍ
والصُـــورُ في أُمَّـــةٍ شـــاخَتْ مَصـــائِبُهـــا

فَصـــاحَ صَيْحَتَـــهُ فيهـــا ، وَقَـــد صُعِقَتْ
وكيفَ تَثْبُتُ من صَـــدّام شـــاعِبُهـــا ؟!
لٰكنْ بعلمِ عَليمٍ أنَّهـــــــــا جَفَلَتْ
لكي تَعـــودَ إلىٰ المَســـرىٰ هَـــوارِبُهـــا !
هٰـــذي حضـــارَةُ واديـــكَ الَّتي وَلَـــدَتْ
مَجـــرَّةً مِن نجـــومٍ أنتَ ثـــاقِبُهـــا

يَكـــادُ مَـــولِـدُكَ الـــزّاهي يَعـــودُ بِهـــا
نَجْمَـــاً فَنَجْمَـــاً تُعَـــرِّيها غَيـــاهِبُها !

* * *

يـا حـامـلًا جَـذْوةَ التّـــاريـخِ في دَمِــهِ
يُضفي عَلَيْهـــا ، ولٰكنْ لا يُطـــالِبُهـــا !
وَمُـــوقِظـــاً صُـــوَرَ الأَجـــدادِ تَحْسَبُـــهُ
يَكـــادُ في الســرِّ أحيـــانـاً يُخـــاطِبُها !
وَمُشْـــرَئِبّـــاً إلىٰ الآتي بـــألفِ يَـــدٍ
وألفِ عَينٍ علىٰ المـــاضي يُغـــالِبُهـــا !
يـــا صَفْوَ تـــاريخِ هٰذي الأرضِ أَجمعِهـا
ويـــا خُـــلاصَـــةَ مـــا أعطَتْ تَجـــارِبُهـــا
إنْ لَم تَكُنْ أنتَ مَن يُحْيي مـــروءَتَهـــا
وَزَهْـــوَهـــا ، فَبِمَنْ تُحيىٰ ذَواهِبُهـــا ؟!

سَبعــونَ قــرنــاً ، ثقيـلاتٌ رَكــائِبُهـا
كُثْــرٌ هَــلاهيلُهـــا كُثْــرٌ حَــرائِبُهــا
مَليئَـــةٌ بــالنَّـدىٰ يَهمي نَســائِمُهـــا
مَليئَـــةٌ بـــالــرَّدىٰ يَـرمي خَـواصِبُهـا
يَقـــولُ لي بَعضُ أهلي ، لا أبـا لَهُمـو
أيقَظتَ سبعـــةَ آلافٍ تُحـــاسِبُهـــا ؟!
كـــأنَّمـــا كـــلُّ هٰـــذا الصَّبْـر نَصبِــرُهُ
والكبــريــاءُ التي مــا مــالَ جــانِبُهــا

وكـــلُّ هٰـــذا التَّحَـــدّي والبِنــاءُ بِــهِ
في قلبِ مَـــذبَحَـــةٍ تَهمي شَـــواخِبُهــا
ليست بَنـــاتِ السِّنين المـــاضيـــاتِ ، ولا
منهـــا سَناهـــا ، ولا هٰـذي عَــواقِبُها
أنَّ الجذوع جذوعَ النَّخلِ قَد صَمَدَتْ
لِهُـــولَـــةٍ هَـــزَّ جِـــذعَ الأرضِ حـــاطِبُهـــا
وأنَّ أهلي العـــــراقيِّين قَـــــد جَمَحَتْ
أعــراضُهُم أنْ يُقــالَ الشِّــرْكُ غـاصِبُهـــا !
وأنَّ أرواحَهم ، ظلَّتْ مُغـــــاضِبَـــــةً
وإنْ يَـكُ الكـونُ طُــرّاً من يُغـاضِبُهـا !

وأنَّ أصــواتَهم عُمْقَ السَّمـــاء لَهـــا
رَجْــعٌ وقـــامــاتِهم شُمٌ مَنـاكِبُهـا !
شَعبٌ لِسَبعينَ قـــرنـــاً روحُـــهُ صُقِلَتْ
حتّىٰ غَـدا مِثْلَ حَـدُ المـاسِ ثـاقِبُهـا !

* * *

يـــا أيُّهـا المُـوقِظُ الاحسـابَ أجمعَهـا
وإنْ تَكُنْ أصبحَتْ شَتّىٰ مَـــذاهِبُهـــا
جَمعتَهـــا فـي مَهَبٍّ لا مَحيـــدَ لَهـــا
عَنـــهُ ، فَمَغلـوبُهـا فيـهِ ، وغـالِبُهـا !
صـوتُ الكَـرامَـةِ أيقَظْتَ الجَميعَ بـــهِ
فَصـارَ يَخشىٰ مِنَ المَسلوبِ ســـالِبُهـا !
وأصبحَتْ كـــلُّ أرضٍ من مَـــواطِنِنـــا
تَنـــوسُ ، حِـذْراً مِن الآتي ، عَقـارِبُهـا !
يـــا نـادبـاً مِئَتَي مليـون صَيْحَتُــهُ
لا بُـدَّ يعلـــو مـع الأيـام نـادِبُهـا
وَسَـــوفَ تُبْصِـــرُ أمـريكـا وجَـوْقَتُهـا
أنَّ الشعـــوبَ لَهـــا أيضـــاً مَخـالِبُهـا !
يـــا واهِبَ الأُمَّـــةِ العَـــزْلاء أسْلِحَـــةً
كـانت لها قبـلَ أن تغفـو مـواهِبُهـا

أصبحتَ أصـــدَقَ مـــرآةٍ لـــواقِعِهـــا
طلـــوبُهـا بـك يَسْتَعصي ، وطـالِبُهـا !
وعَينُهـــا أنتَ لـــلآتي وقـــائِـــدُهـــا
فـاسلَمْ لَهـا ، فَبِـكَ المجهـولُ هـائِبُهـا !

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ٢٨ نيسان ١٩٩٢

أنت شوط الدنيا

كــلُّ قَــولٍ بِــلا رضــاكَ نِفــاقُ
لَيسَ قَــولًا مــا لَم تَقُــلْ يــا عِــراقُ!
لَيسَ قَــولًا مــا لَم يَقِفْ سَعَفُ الـ
ـنَّخــلِ شهــوداً وَتَنهضِ الأَعْــذاقُ
نــاثــراتِ الشُّعــور حتىٰ لِيَغــدو
فَــوقَهــا التَّمرُ حَنْظَــلًا لا يُــذاقُ!
لَيسَ قَــولًا إلّا ومــاءُ الفُــراتَينِ
لَــهُ عِــدْلَ مَــوجِــهِ أحــداقُ
جــاحِظــاتٌ، وللشَّــواطيءِ آذانٌ
وَلِلحَقِّ صَــرخَــةٌ لا تُعــاقُ!
لَيسَ قَــولًا إنْ كــانَ لا قَــولَ إلّا
مــا يقــولُ الأَوغــادُ والفُسّــاقُ!

* * *

كــلُّ قَــولٍ بِــلا رِضــاكَ نِفــاقُ
وحــدَكَ الصَّــوتُ والصَّــدىٰ يــا عِــراقُ
وحــدَكَ الــرَّجْــعُ للمَظــاليمِ طَــرّا
فيــكَ عُـرسُ الــدِّمـا ، ومنــكَ الصَّــداقُ
والشُّعــوبُ الَّتي استُفِــزَّتْ جَميعــاً
أنتَ أزكىٰ دمٍ لَــــديهــــا يُــــراقُ !
إنْ تُقَصِّــــرْ فكــلُّ طفــلٍ علىٰ أرضي
يَتيمٌ وكــــلُّ عُــــرسٍ طَـــــلاقُ !

❁ ❁ ❁

لِتَقِف كــــلُّ نجمــةٍ في مَــــداهــــا
وحــــدَكَ الآنَ كَــــوكَبٌ بَــــرّاقُ !
الجِــــراحــــاتُ ، والنِّصــالُ الَّتي فيهــا
وهٰــــذي الحُتــــوفُ ، والأزمــــاقُ
وصُــراخُ الأطفــالِ والنَّــزفُ حتَّى الـ
مَــوتِ والـرَّفضُ مــا أُطيـلَ الخَنــاقُ
هيَ شمسُ الــدُّنيــا ، وأبهىٰ سَنــاهــا
أنَّـــكَ الآنَ واللَّيـــالي سِبـــاقُ !
أنتَ شــوطُ الــدُّنيــا إلىٰ مــا تَبَقَّىٰ
مِن ضَميــرِ الـدُّنيـا وأنتَ اللَّحــاقُ !

كـــلُّ قَـــولٍ بِـــلا رِضـــاكَ نِفـــاقُ
كـــلُّ بَـــدْرٍ بِـــلا سَنـــاكَ مُحـــاقُ
كـــلُّ عَقْـــدٍ بـــدونِ رأيِـــكَ خُلْفٌ
كـــلُّ سَعيٍ بِـــدونِـــهِ إخفـــاقُ
مُنْـــذُ تمّـــوز ســـومَـــريّـــاً عَـــرَفْنـــا
أيُّ خِصْبٍ دامٍ إليـــــهِ نُســـــاقُ
وَعَـــرفْنـــا أيُّ انْضِفـــارٍ ضُفِـــرْنـــا
بـــالمَنـــايـــا تَلْتَفُّ ســـاقٌ وَسَـــاقُ

العِـــراقيُّ ، والحُتـــوفُ ، وَخِصْبُ الـ
أرضِ ثـــالـــوثُ عُمـــرِنـــا الخَـــلّاقُ !
تـــاكـــلُ الأرضُ لَحمَنـــا إذْ نَفِيهـــا
القَـــرابينُ نَحْنُ ، والعُشّـــــاقُ !
فَنَـــواعيـــــزُنـــا عَلَيهِنَّ يُعْفىٰ
وعلىٰ سَكْبِ جُـــرحِنـــا يُستَفـــاقُ !

وَعلىٰ كـــلِّ مـــا بَـــذَرْنـــا بِهـــذي الـ
أرضِ ، للمَـــوتِ والحيـــاةِ اعتِنـــاقُ
فَلْيُطَـــوِّقْ كـــلُّ الظَّـــلامِ قُـــرانـــا
وَلْيُحيقـــوا بِـــزَرعِنـــا مـــا أحـــاقُـــوا

وَلْيَشُبُّوا النِّيرانَ في ذَهَبِ الـ
سُنبُلِ، تَمتَدُّ حولَهُ الأَعْناقُ
لَنْ يُميتوا تمُّوزُ فينا حنينَ الـ
أرضِ، بَلْ يَستَفِزُّهُ الإحراقُ!
لَنْ يُذِلُّوا، ما طَوَّقوا، رحِمَ الـ
أرضِ فَلِلأرضِ فَزْعَةٌ لا تُطاقُ!
وَلَها نَخوَةٌ، لو المَوتُ عَرّى الـ
عُودَ فيها، ضَجَّتْ بِهِ الأَوراقُ!
لِيُطَوِّقْ حِصارُهُم كُلَّ بيتٍ
وَلْتَقِفْ هذه الوجوهُ الصِّفاقُ
حولَ كلِّ الأبوابِ حتّى الشَّبابيك
لِيُحْزَمْ في كُلِّ جذعٍ نِطاقُ
لِنَرى لِلإرادتَينِ مَن القَزمُ
وَمَن في صُمودِهِ العِملاقُ!

* * *

سَيَظَلُّ العَطاءُ تَمّوزُ فينا
قَدَراً لا تَحُدُّهُ الأَطواقُ
وَيَظَلُّ البِناءُ تَمّوزُ فينا
ثَورَةً لا يَنالُها الإرهاقُ

لا نُديرُ الرُؤوسَ إذْ نَحْنُ نَبني
لِنَرى ما تَقولُهُ الأَبواقُ
عُمْرَ عَشتارَ لَم تُجِبْ شاتِميها
ذُروَةُ الخِصْبِ عندَها الأَخلاقُ !

* * *

وقْفَةً يا عِراقُ كلُّ الغَوالي
يَتَمنَّينَ لَو أشارَ العِراقُ !
لَأتَتْكَ القُلوبُ مِن كلِّ حَدْبٍ
وَلَطارَتْ بأهلِها الأَشواقُ !
قُلْ لِتَمّوزَ إنَّ كلَّ شموسِ الـ
كَونِ مِن شمسِهِ لَهُنَّ ائتِلاقُ
فَإذا ما دَجا بأرضٍ ظَلامٌ
فَلَها مِن صُمودِنا إشراقُ
قُلْ لَهُ إنَّ كلَّ غُصنٍ علىٰ الـ
أرضِ ، لَهُ مِن مياهِنا إيراقُ
قُلْ ، إذا ضَجَّتْ السَماءُ ضَجيجاً
وادلَهَمَّتْ مِن رُعْبِها الآفاقُ
وَبَدَوْنا كأنَّ جِنْحَ السَماواتِ
لَهُ فَوقَ أرضِنا إطباقُ

فَلْيُـــذَكُـــرْ تَمَـــوزُ كـــلَّ البَـــرايـــا
إنْ تَحَـــدّاهمُ الـــرَّدَى ، أنْ يُـــلاقُـــوا !
أســـرَعُ المـــوتِ أن تَفِـــرَّ أمـــامَ الـ
مـــوتِ والأمنَـــعُ الّـــذي لا يُسَـــاقُ !
هٰكـــذا يـــا عِـــراقُ عَلَّمَنـــا صَـــدَّام
والعِلْمُ عِنْـــــدَهُ أخـــــلاقُ
هـــوَ فِعْـــلٌ نَعيشُـــه كـــلَّ يـــومٍ
لا كـــــلامٌ يُحكىٰ ، ولا أوراقُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١٧ تموز ١٩٩٢

حد الفراتين غير الله ما دخله

أمّــــا الْعــــراقُ فَــلا ، يا أيُّهــا السَّفِلَــةْ
دونَ العـــــراقِ دمــــاءُ اللّـــــهِ مُحتَملَــــةْ
حتّىٰ الحيــــاةُ لَهــــا إرْثٌ يُعَـــوِّضُهــــا
قُلْ لي عِراقُكَ هٰذا ، مَن تَرىٰ بَدَلَهْ ؟
لا ، ليسَ قَــولًا دمائي كلُّها صَـرَخَتْ
لا وهيَ تــركضُ في الْأعراقِ مُشتَعِلَـةْ
لا ، وَليَكُنْ مَعَكم نجمُ السَّمــــا رُجُمــــاً
حَـدُّ الفُـراتَينِ غيــــرُ اللّـهِ مــا دَخَلَـهْ !
واللّـــــهِ ، حتّىٰ رمـــوشُ العَينِ مِن غَضَبٍ
تغـدو سيـوفــــاً علىٰ الأجفـانِ مُقتَتِلَــةْ !

يا أيُّهــا القَتَلَــهْ

إنَّ العــراقَ عِــراقُ اللّــه حُــرمَتُــهُ
في ذِمَّــة اللــهِ تَبقىٰ ، أيُّهــا القَتَلَــهْ
وَنَحْنُ أهــلٌ لَــهُ أهــلٌ لِحُــرمَتِــهِ
ذَلَّ العــراقيُّ لَــو نُقصــانُكُم وَصَلَــهْ !
أعــراضُنــا ، وبيــوتٌ لا نُحــوِّلُ عَن
أبــوابِهــا العَينَ ، حتَّىٰ وهيَ مُنْقَفِلَــهْ
كيفَ الــدّخــولُ عليهــا وهيَ مُغْلَقَــةٌ
وكــلُّ بيتٍ بِهــا مُستَنفِــرٌ رَجُلَــهْ
عُمْــرَ العــراقيِّ لا يُــدنىٰ لِغَيــرَتِــهِ
حَمَّالُ كلِّ الأذىٰ ، والعــارَ مــا احتَمَلَــهْ
فَلْتَخسَــأ الأرضُ ، كلُّ الأرضِ ، إنْ بَــذَلَتْ
لِطَغنِــهِ مــا لإشــراقــاتِهــا بَــذَلَــهْ
أعطىٰ لِسَبعينَ قَــرنــاً لا نَخــاهُ بِهــا
نــاخٍ ولا سائِــلٌ عَن فَضْلِــهِ سَــأَلَــهْ
حتَّىٰ إذا الحيَّــةُ اشتَــدَّتْ نَــواجِــذُهــا
سالَتْ إليــهِ من الــزَّرعِ الَّــذي شَتَلَــهْ !

* * *

لا بـــأسَ ، كلٌّ لَــهُ أخـلاقُــهُ وَلَنـا
أنَّـــا غيـــومٌ بِخَيــرِ المـــاءِ مُنهَمِلَــهْ
فَـــإنْ تَجـــرَحَ فينــا نَبْــعُ عِـــزَّتَنــا
فــالوَيْــلُ لــلأرضِ مِن أوجـاعِنـا الهَطِلَـهْ !

* * *

لَنْ نَســـألَ العـالَمَ الـدَّجّـالَ مَكـرُمَـةً
لَقَــد رأيْنـــا مَـــدىٰ أعمـــارِنـا دَجَلَـــهْ
لكنَّنـــا نســـألُ الاهْلينَ أرضُهُمـــو
هٰـذي كَـرامَتُهُم هٰـــذي أمُفتَعَلَـهُ ؟؟
أَمْ أنَّـــهُ شَـــرَفٌ تَـــدري دِمَشقُ بِـــهِ
يَـــومَ العـــراقُ علىٰ فـــولاذِهـــا حَمَلَـــهْ !
وجاءَ يَركضُ لَمْ يَســـألْ ولا عَثَرَتْ
دروعُـــهُ بِسِـوىٰ الجَفْـلِ الَّـذي جَفَلَـــهْ !

* * *

بَلىٰ لكـــلِّ العِـــراقيِّينَ غَيْـــرَتُهُم
وَكلُّهُم بَطَـــلٌ « لَـــولَتْ » لَـــهُ بَطَلَـــهْ !
يـا مـاءَ عَيني العـراقيِّين يـا شُهُبـاً
حتّىٰ إلىٰ المـوتِ تَمضي وهيَ مُحتَفِلَهْ !

يُمَسُّ نَجمُ السَّمـــــــا ، لٰكنْ عَقيلَتُهُم
لَـــو طائِــرٌ مَسَّها يَلقىٰ بِهــا أجَلَـهْ !
وَهـــــا عَقيلَتُهُم طُـــــرّاً تُهيبُ بِهِم
أرضُ العِراقِ ألا لا عاشَ مَن خَــذَلَهْ
واللّـــهِ نـــاتيــكَ والابصـــارُ جــاحِظَــةٌ
والهـــامُ شَعْثـاءُ ، والقُمصـــانُ مُنْهَــدِلَــهْ !

نَصيـــحُ صَيْحَـــةَ مَطعــونٍ مُـــدَوِّيَـــةً
أصـــداؤها بِعَــويــلِ النَّخْــلِ مُتَّصِلَــهْ !
يـــا مَن نَـدَبْتَ لهـــا نــاتيـكَ أعيُنُنا
بِكبـــريـــــاءِ تُـــرابِ الأرضِ مُكتَحِلَـــهْ
لَقَـــد كَفَلنــاكَ يـــا أعلىٰ شَــواهِقِهـا
وكــلُّ كَفّـــالِ أمـــرٍ والَّـــذي كَفَلَـــهْ
فَسَــــلْ جَميـــعَ العِـــراقيِّين عَن دَمِهِم
فَـــرُبَّمـــا سَمِعَتْ أعـــداؤكَ الجَهَلَـــهْ
لأيِّ مَـــــذْبَحَـــةٍ تَسعىٰ وأيِّ دَمٍ
في أيِّ أرضِ العِـــراقيِّينَ تَحفُـــرُ لَــهْ ؟!
لَتُصبِحَنَّ بـــآبـــارِ الـــدِّمـــاءِ غَــداً
آبـــارُ نفطِ العِـــراقيِّين مُغتَسِلَــــهْ !

وَلْيَسْطَعَنَّ شَعَيــــلُ النَّـــارِ مِن نَمِنــــا
حتَّىٰ يدورَ علىٰ النَّـذلِ الَّـــذي شَعَلَـهْ !

* * *

أمَّـــا الشَّمـالُ، فَـأهلي الكُـرْدُ مَسْبَعَـــةٌ
وكُـــلُّ ذي جَبَـــلٍ يَحمي بِهـــا جَبَلَـــهْ
واللَّـــهِ، عِشْتُ سِنينـــاً فِي مَـــرابِعِهِم
لَم ألْقَ إلَّا نُفـــوســـاً بـــالهَـوىٰ ثَمِلَـــهْ
مَفتـــونَـــةٌ بصخـــورِ الأرضِ مُخلِصَـــةٌ
حَمَّـــالَـــةٌ للعَطـــاءِ الصَّعبِ مُحتَمِلَـــهْ
أولاءِ تَبقىٰ بـــــلادي في شَـــــوارِبِهِم
عَهداً، جَميعُ دِمـــاهُمْ عَنْـهُ مُنْسَئِلَـــهْ !

* * *

وللجنـــوبِ هَـــلاهيـــلٌ وَمـــأسَـــدَةٌ
علىٰ أعَـــزِّ أســـودِ الأرضِ مُشْتَمِلَـــهْ
أولاءِ مِن ثَـــورَةِ العشـــرين يَسْبِقُهُم
صَغيـــرُهُم للـــرَّدىٰ، والأُمُ تَهـزجُ لَـــهْ !
يـــا فـالَـــةٌ لَم تَـزَلْ تُـوري ضَغَـائِنَهُم
كـــأنَّهـــا فيهمـــو لـــلآنَ مُنْشَتِلَـــهْ !

* * *

وَللفُراتِ ، وَزَهوي مِن غَوارِبِهِ
مَلاحِمٌ قَطُّ لَم يُغمِضْ بِها مُقَلَهْ
لليَومِ وَالماءُ في شَطَّيهِ مُعتَذِرٌ
إلىٰ الحُسَينِ عَن الوَعْدِ الَّذي قَتَلَهْ !

* * *

وَصَقْرُ حِطِّين تَدري كلُّ ثاكِلَةٍ
في الغَربِ عَن مَنزِلِ الموتِ الَّذي نَزَلَهْ
لَقَد أراكُم صَلاحُ الدِّين أيُّ دَمٍ
في هٰذِهِ الارضِ يَجري أيُّها الثَّكَلَهْ
يا أيُّها السَّفِلَهْ

أمَّا العِراقُ فَلا ، يا أيُّها السَّفِلَهْ
فَلْيَقطَعَنْ مِنهُ أَعْتَىٰ بَطشِكُم أَمَلَهْ
لَن تَدخُلوهُ ، وَلَنْ تُرخي مَآذِنُهُ
لَكُم بَلاعيمَها في الأرضِ مُنجَدِلَهْ !
لَن تَلمَسوا لِعَليٍّ طُهرَ مَرقَدِهِ
أو ذَرَّةً بِدِما أولادِهِ خَضِلَهْ
هُنا الحُسَين هُنا أولادُ والِدِهِ
هُنا جَميعُ سُتورِ اللّهِ مُنْسَدِلَهْ

فَكَيفَ تُغشىٰ ؟ .. وَمَن يَغشىٰ مَحـــارِمَهـا
وَحَـــولَهـــا اللّـــهُ ، والأرواحُ مُبتَهِلَـــهْ ؟
لا لَن يَكـــونَ عِـراقَ الـلّائـذينَ بِكُم
وَلَن يكـــونَ عِـــراقَ الأنفُسِ الـــوَجِلَـــهْ
لٰكِنْ عِـــراقُ الّـــذينَ استَنْفَـــروا دَمَهُم
في القـــادسيَّةِ حتّىٰ قـــاتَلـوا الفِيَلَـــهْ !
عِـــراقُ مَن ثـــورَةُ العِشـــرين تَـــذْكُـــرُهُم
في العـــارضيّاتِ ، يـومَ الأرضُ مُنْـذَهِلَـــهْ
تـــرنـــو إليهم ، ولِلفـــالاتِ في يَـــدِهِم
هَـــلاهِلٌ وعيـونُ « الطّـوب » مُنسَمِلَـهْ !
هـــوَ العِـــراقُ ، فَـــلا قَـــرَّتْ مَحَـــاجِـــرُكُم
عِـــراقُ صَـــدّام ، واللّـــهِ الّـــذي جَبَلَـــهْ
لكي يكـــونَ سَنىً للكَـــونِ أجمَعِـــهِ
يَبقىٰ العِـــراقُ مَهيبـاً ، مُشـــرِعـاً أَسَلَـــهْ
وَسَـــوفَ يَبقىٰ طَهـوراً ، شـــامِخـاً ، أَنِفـاً
جَنـويُـهُ غيـرَ ضَـوءِ اللّـهِ ، مـا نَـزَلَـهْ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٢٩ آب ١٩٩٢

لا نــوم يا عــراق

(١)

للتَّعبِئة
سأظلُّ أكتبُ كالصُّراخ
قصائداً للتَّعبِئه
أنا ليس لي وقتٌ أُفَلسِفُ ما أقول ،
وأنتَ قيدَ التَّجزِئهْ ..

(٢)

لَستُ أُصَدِّقُ نَفسي
أنا مِن ميسانْ

أَفَأَحتاجُ جوازَ سَفَرْ
لأراجِعَ مَسْقَط رأسي ؟!

(٣)

سأوَسِّعُ أشداقَ الكَلِماتْ
سأقولُ بأنَّ الكُرَةَ الأرضيةَ دارَتْ
وانكسرَ القوسُ
ففاصتْ في الظُلُماتْ
سأقولُ بأنَّ معادلَةَ الأسوَدِ والأبيضِ
تُلغىٰ
فالأسوَدُ صارَ رماديَّ القَسَماتْ
لكنِّي أوثرُ أن أصرخَ :
يا وَطَني
أنتَ تُقاتِلُ مُنفَرِداً
فالعالَمُ ماتْ
أنتَ تُقاتِلُ مُنفَرِداً
فالعالَمُ ماتْ ...

(٤)

انا محمود العماري
هٰكذا سُمِّيتُ ،
حتّىٰ عندما آلَت إلىٰ بغداد داري
علّموني ،
هَل سَيَغدو أجنَبيّاً لَقَبي
أجنَبيّاً نَسَبي
عندما تَصبَحُ ميسانُ بلاداً بِقرارِ؟!

(٥)

لجميع الشُعراء
للشباب الغَضّ منهم ،
فَلَهُم هٰذا النِداء :
لا تَخافوا الإحتراقْ
لا تَناموا ..
لا ينامُ الآنَ عُشّاقُ العِراقْ
أنتمو أصواتُهُ المُنتَظَرة

لا يَضِعْ منكم فيغدو صمتُكُم
مثلَ صَمتِ المَقْبَرَةْ ..!

(٦)

لا .. لَن نَخونَكْ
وحياةِ حُبِّكَ
تدخلُ الاضلاعُ في الاضلاعِ دونَكْ !
وَنَسدُّ دَربَ المَوت ،
بالآلافِ نَهوي يا عِراقْ
وأنتَ غافٍ ..
يحرسُ المَولىٰ جفونَكْ !

(٧)

للبَرديِّ ،
وللقَصَبِ الغافي فَوقَ الأهواز
لنشيجِ الأمطاز
في باحَةِ بَيتي

ولمزرابٍ أذكُرُهُ ..
مَجروحِ الصَّوتِ
يَهمي طولَ اللَّيلِ بأسفَلِ شُبّاكي
مُنفَرِداً ، باكي
لِشُجَيرَةِ سِدرٍ لا أنساها
لِمَحَلَّةِ أهلي
لبيوتٍ سُكِنَتْ قَبلي
سُكِنَتْ بَعدي
لَم تَتَغيَّرْ في قَلبي ذِكراها
أكتبُ مَذبوحَ الوجدانْ
أفيمكنُ أن يصبحَ بَيتي فيك
بِلاداً أُخرىٰ يا ميسانْ ؟!

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٦ ايلول ١٩٩٢

في رحاب النجف الأشرف

شَرَفٌ لَيسَ بَعدَهُ شَرَفُ
أنَّكَ الآنَ عَرشُكَ النَّجَفُ
أيُّها المُستَفَزُّ أجنِحَةً
في رِحابِ الكرّار تَرتَجِفُ
شَرَفٌ أنَّ كلَّ بارِقَةٍ
أو رَفيفٍ مَن رَهبَةٍ يَجِفُ
بجناحَيْكَ أنَّ خَفْقَهُما
لِعَليٍّ بالحبُّ يَعتَرِفُ

* * *

شَرَفٌ لَيسَ بَعدَهُ شَرَفُ
أنَّكَ الآنَ بَيتُكَ النَّجَفُ

إنْ تكُنْ قَـد وُقفتَ مُضطَـرِبـاً
فـالنَبيُّـونَ هٰهُنـا وَقَفـوا
أو تكُنْ جئتَ نـازِفـاً فـاقِـلْ
فـالنَّبيُّـون هٰهُنـا نَـزَفـوا
وتَـواضَـعْ ، فكـلُّ أنمُلَـةٍ
هٰهنـا فَـوقَهـا دَمٌ يَكِفُ !
مِن عَليٍّ لليـوم هـاطِلَـةٌ
تَحتَهـا الـرّاسِيـاتُ تَنخَسِفُ
فـاختَصِـرْ إنْ تكنْ أتَيتَ لكي
تُعلِنَ الحُـزنَ أيُّهـا الكَلِفُ !

* * *

عَجَبي يـا حُسَينُ كيفَ هُنـا
ليسَ يَحمَـرُّ لَـونُـهُ السَّقفُ !
كيفَ تَبقىٰ السَّماءُ صـاحِيـةً
هٰكـذا ، وَالغُصـونُ تَنعَطِفُ
وَكـانْ لَم يَكنْ هُنـا مطـرٌ
دَمُـهُ عِـدْلَ نـارِهِ يَـزِفُ !

* * *

تُـــــــربـــــةُ الأنبيـــــاء يَعصِمُهـــــا
أنَّهـــــا الآنَ فَـــــوقَ مـــــا أصفُ
كُلَّمـــــا أُمطِـــــرَتْ زَهَتْ رُطَبـــــاً
بينَمـــــا حمـــــلُ غيـــرِهـــا حَشَفُ !

* * *

سَيِّـــــدي يـــــا عَليُّ ، مَعـــــذِرَةً
أنـــــا مِن راحَتَيـــــكَ أغتَـــــرِفُ
أبلَـــــغُ القَـــــولِ أنتَ سَيِّـــــدُهُ
والـــــورىٰ مِن نـــــداكَ تَـــــرتَشِفُ
فـــــإذا مـــــا وَقَفتُ مُـــــرتَبِكـــــاً
فـــــاعـــــذُرَنَ وَقفَتي الَّتي أقِفُ !
أنـــــا قَـــــد جِئتُ إذْ حَفيـــــدُكَ لي
هـــــاجِسٌ ، والحُسَينُ لي كَنَفُ
إنَّ صَـــــدَّام فَـــــرْعُ نَبْعَتِكم
الأبيُّ المُجـــــاهِـــــدُ الأَنِفُ
فـــــانتمـــــائي لَـــــهُ هُنـــــا مِقَـــــةٌ
وَوقـــــوفي لَـــــهُ هُنـــــا شَـــــرَفُ
لَستُ عُمـــــري عَليـــــهِ أختَلِفُ
لا ، ولا عَن مَـــــداهُ أنحَـــــرِفُ

وَلِعَينَيــــهِ ، وَهــــوَ سِبْطُــــكَ ، بي
فــــرحَــــةٌ لا يَشــــوبُهــــا أسَفُ
إنّمــــا جِئتُ حــــامِــــلًا وَجَعي
إنْ تَــــذُدْني فــــأينَ أنصَــــرِفُ ؟

* * *

يــــا بنَ عَمِّ النَّبيِّ لُطفَــــكَ بي
وأجِــــزْني ، فــــالليــــلُ يَنْتَصِفُ
وأنــــا لَم أَزَلْ أرىٰ قَلَمي
وَيَــــدي والسّطــــور تَــــرتَجِفُ
أنــــا في حَضــــرَتَيــــكَ شــــاخِصَــــةٌ
مِــــلءَ عَينيَ هٰــــذي وذي تَــــرِفُ
في ضلــــوعي مُــــذْ قُــــوِّسَتْ قَفَصــــاً
وَضلــــوعي عَلَيــــكَ تعتَكِفُ !
فــــاقبَلْني إذا كَبَــــوتُ هُنــــا
مِنْ خُشــــوعي وَتَعْــــذُرُ النَّجَفُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٢

هكذا أنت يا عراق التحدي

هَــــدَأَ الآنَ حَــــرُّ ذاكَ الفِــــراقِ
وَغَــدا الــدَّمــعُ أنجُمــاً في المَــآقي
وَسَــــرَتْ كــلُّ نَسمَــةٍ في مَــداهــا
وَجَــرىٰ المــاءُ هــادِئــاً في السَّــواقي
وَجَمَعنــــا أشــلاءَنــا مــا تَشَظّىٰ
مــا تَهــاوىٰ .. مــا جَفَّ مِن أرمــاقِ
والتَفَتْنــــا لِكُــلِّ مــا ضــاعَ مِنّــا
فَبَــدا هَيِّنــاً أمــامَ العِــراقِ !

* * *

أنــا أدري أنَّ الأمــومَــة يَنــدىٰ
ألفُ جُــرحٍ فيهــا مِنَ الإشفــاقِ

أنا أدري أنَّ الأبوّةَ قاسٍ
صَدْعُها، ما إليهِ مِن رِتاقِ
أنا أدري باليُتْمِ، لكنَّ أقسىَ الـ
يُتْمِ ألّا يَقيكَ في الأرضِ واقي!
حينَ تُمسي بِلا شَهادَةِ ميلادٍ،
لَقيطاً تُباعُ في الأسواقِ!
وَلِهذا تأصَّلَ الكِبْرُ فينا
حَدَّ أنْ صارَ ذروَةَ الأخلاقِ!
فَإذا ما رأيْتَ قَوماً تَهاوىٰ
قَدْرُهُم، والرِّقابُ فيهم بَواقي
فَتَذَكَّرْ، أنّا سُلالَةُ قَومٍ
حَمَلوا تِبْرَهُم على الأعناقِ!
وَلِهذا نَموتُ لكِنْ صُقوراً
في الذُّرىٰ، لا نَموتُ في الأنفاقِ!

* * *

أيُّها الأكرَمونَ يا مَن شَهَرتُم
إذْ تَناهىٰ الظَّلامُ في الإطباقِ
فَنَشِبْتُم فيهِ خَناجِرَ ضَوءٍ
خَرَقَتْهُ خَرقاً إلى الأعماقِ

فتَهادى السَّنا إلى الأرضِ مِنكَم
وَبِكُم يا أوائِلَ العُشّاقِ !

يا بَعيدونَ رُغمَ كلِّ التَّداني
وَقريبونَ رُغمَ طولِ الفراقِ
إنْ تكونوا غِبتُم فَهذا سَناكُم
يَحضنُ الرّافِدَينِ حَدَّ العِناقِ
كلُّ فَجْرٍ وَضوؤكُم يأسرُ الشَّمسَ
وَيأتي بِها إلى الإشراقِ !
أيُّها الأكرَمونَ كلُّ اخضِرارٍ
بَينَنا، نَفحَةٌ مِن الإيراقِ
أنتمو أهلُها، وَيَبقى نديّ الـ
عُودِ مِن ذلِكَ النَّجيعِ المُراقِ
كلُّ غَيمٍ أنتُم شَآبيبُهُ الـ
تَنبُضُ بينَ الإرعادِ والإبراقِ
موصِلاتٍ بِلا ضَجيجٍ نَداها
لِيُرَوِّي يَوابِسَ الأرياقِ !
وَيَظلُّ النَّخيلُ يَرنو إليكُم
دامِيَ السَّعفِ، موحَشَ الأعذاقِ

وَتَظَلُّ القلوبُ تَخفُقُ شَوقاً
للتَّلاقي ، وأينَ مِنها التَّلاقي !
لا ادِّعاءٌ ، لٰكنْ بِصَمتِ الفَيَارىٰ
لا غرورٌ ، لٰكنْ بِزَهوِ الرِّفاقِ
المُحبِّينَ ، والمَهيضينَ جُرحاً
نَشرَبُ الصَّبرَ وَهوَ مُرُّ المَذاقِ

❁ ❁ ❁

أيُّها الأكرَمونَ ذل التَّحدي
إنْ يَكُنْ مَحْضَ خَزْرَةِ الأحداقِ !
رُبَّما حَملَقَتْ عُيونٌ بِوَجْهٍ
وأرقُّ الوُعودِ في الحِملاقِ !
كُلُّهُم هٰكذا ، وإلّا فَماذا
نُبصِرُ الآن غَيرَ ذُلِّ النِّفاقِ ؟
كُلُّ هٰذي الوجوهِ ، باسمِ التَّصَدِّي
للتَّرَدِّي تَلْتَفُّ ساقاً بِساقِ
وَيَبيعونَ يَشتَرون وَتَبقىٰ
أنتَ غَضبانَ ، مُستَفَزُّ النِّطاقِ
هائِلَ الكِبرياءِ . تَنزفُ لٰكنْ
حامِلًا ألفَ بَيْرَقٍ خَفّاقِ !

هكــذا أنتَ يــا عِــراقَ التَّحَدّي
يــا مَنيعــاً في قِمَّــةِ الإرهــاقِ
الثَّــلاثــونَ دَولَــةً .. والجيــوشُ الــ
هُــوجُ ، مِنْ كـــلِّ مجــرمٍ أفَّــاقِ
جَــرَّحَتْــهُ .. أجَــلْ .. ولكنّهــا ذَلَّتْ
أمــــامَ اصطِبــــارِهِ الــمِــطلاقِ !
وَتَمَلْمَلْتَ يـــا نَبيـــلَ الخَـــلاقِ
يــا عَصيًّــاً على اشتِــدادِ الخِنــاقِ
رُحْتَ بـــالكبـــريـــاءِ ولجُـــرحِ تَبْنِي
كـــلَّ مـــا هَـــدَّمَتْ يَــدُ الفُسَّــاقِ
فَـــرأَيْتَ الـــدُّنيـــا ، وأولادَ عَمٍّ
لَـــكَ كـــانـــوا في جَـــوقَـــةِ الإرتِـــزاقِ
أنَّنـــا عِـنــدَمــا نُـــريــدُ التَّحَـــدّي
فَـــبِمــاءِ الـــرِّجــالِ بَعضُ الصَّـــداقِ !

* * *

أيُّهـــا الأكـــرمـــونَ مِنّـــا جَميعـــاً
ألفُ نجـــوىً لَكُم مِنَ الأعمـــاقِ
ثمَّ عَهـــداً مِنّـــا لِـــزاكي دِمـــاكُم
أنَّنـــا وانتقـــامَهُم في سِبـــاقِ

مــــا تَضِقْ قَبضَـــةُ الحِصــــارِ عَلَينـــا
إصبعـــاً ، إصبعـــاً ، بِحَــولِ العـــراقِ
سَـــوفَ نَلْــوي بِهـــا ، وَتَبقىٰ ذُرانـــا
هُـــولَـــةَ الكِبْــرِ ، عـــالِيــاتِ المَــراقي !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١ كانون الاول ١٩٩٢

مياه الصبر

نهـــرٌ مِنَ المـاءِ، أم نهـرٌ مِنَ الــدَّمِ
أَجـــرَيْتَ أمـــواجَـــهُ في ذروَةِ الألَمِ!
كـــأنَّمـــا قُلتَ للــدُّنيـــا بـــأجمعِهـــا
هُــذا تَحَــدِّي العِــراقيِّين فـــاستَلِمي!
يا غـــامـــرَ الأرضِ مـــاءً كُلَّمـــا عَطِشَتْ
وغـــامـــرَ الأرضِ إنْ ذَلَّتْ مَسيـــلَ دَمِ
واللهِ مـــا نـــاوَأَتْـــكَ الـــرُّومُ أجمَعُهـــا
لَوْلا رأتْ مِنكَ فيها فيها طيفَ مُعْتَصِمِ!
لَـــولا رأتْ مِن صَـــلاحِ الـــدِّينِ رايَتَـــهُ
وَسيفَ هـــــارونَ بينَ الـــرُّومِ والعَجَمِ
أُولاءِ أجـــدادُكَ المَيمـــونُ طـــالِعُهُم
الـــزَّاحِمـــونَ العَـــوادي أيَّ مُـــزْدَحَمِ

كانوا شموساً على الأيامِ مُشرِقَةً
وأنجُماً في غَيْهبِ الظُّلَمِ
إنْ قاتَلَتْهم على أوطانِهم أُمَمٌ
فأنتَ خصمُكَ مِنها هَيأةُ الأُمَمِ!

* * *

نهرٌ مِنَ الماءِ، أَم نهرٌ مِنَ الشِّيَمِ
أَمْ نهرُ صَبرٍ بِكُلِّ الكِبْرِ مُحتَزِمِ!
بكلِّ ما في العِراقيِّينَ مِن وَجَعٍ
وَكلِّ ما في العِراقيِّينَ مِن هِمَمِ
شَقَّتْ سَواعِدُهُم مَجراهُ مُثْبِتَةً
ضَآلَةَ الظُّلمِ إذْ تَعلو يَدُ القِيَمِ
وَعَجزَهُ، وَهوَ غُولٌ، أنْ يَمُدَّ يَداً
لِقَطرَةِ الماءِ في تيّارِكَ العَرِمِ!

* * *

يا نَهرَ صَدّام .. لَم يُطلَقْ على نَهَرٍ
إلّاكَ، إسمٌ لِبحرٍ بالِغِ العِظَمِ!
وَلَم يُقَلْ لمياهٍ حَيثُما نَفَقَتْ
أنتِ المَعابِرُ بينَ البُرْءِ والسَّقَمِ

إلّاكَ أنتَ ، فهــذا المــوجُ مُعْجِــزَةٌ
قَصيـــدَةٌ دونَ قِـــرطـــاسٍ ، ولا قَلَمِ !
فَلَيْتَ مـــاءَكَ مِن صَـــدَّام شِيمَتُـــهُ
لِكي يَفـــوقَ علىٰ الأنهـــارِ في النِّعَمِ !
وَلَيْتَ جُـــزْفَـــكَ مِن شُطـــآنِ هَنِيَتِـــهِ
يَدنو ، لِيَغْــرِفَ مِنها مَــوضِعَ الشَّمَمِ !
فَـــلا يَشيـــخُ ، ولا تَبكي نَـــوارِسُـــهُ
ولا تَنـــامُ بِـــهِ عَينٌ علىٰ وَرَمِ !
ويـــا أخا الـــرّافِـدَينِ الخـالِـدَينِ بِمـا
تَـــأبَّدا فَـــوقَ هٰـذي الأرضِ مِن قِـدَمِ
لَئِنْ تَـــأَخَّـــرْتَ عَنْ مَجـــراهُمـــا زَمَنـــاً
فَسَوفَ تَبلغُ نَفْسَ الشَّـــأوِ في الكَـرَمِ !

* * *

مِن أيِّ شَهقَـــةِ وَجْـــدٍ أيُّمـــا رَحِمٍ
وُلِـدْتَ يـا مُنْتَهىٰ الإيغـــالِ في الحُلُمِ ؟
حتَّىٰ تَجسَّـــدْتَ نِهـــراً هـــائِـلًا قَطَعَتْ
نِصْفَ العِـــراقِ بِـــهِ خَيْـــلٌ بِـلا لُجُمِ !
تَسيـــلُ أعـرافُهـــا في الـــرَّمـــلِ دامِغَـــةً
خَتْمَ الحيـــاةِ علىٰ بَـــوَّابَـــةِ العَـــدَمِ !

للهِ جُهْـــدُ الّــــذينَ استَنْفَــرُوا نَمَهُم
وَعَقلَهُم فيكَ .. ما نـامـوا .. وَلَم تَنَمِ
تُهيبُ أنتَ بِهِم حينـــاً ، وَتُــوغِــزُهُم
تَحَـدِّيـاً ، وَهُمـو سـاقٌ على قَــدَمِ
لا يَستَــريحـونَ لا قُمصـانُهُم فَتَحَتْ
زِرّاً ، ولا يَــدُهُم أَرْخَتْ مِنَ الحُــزُمِ
حتى سَــرَوا بِكَ في الصَّحراءِ اجمَعِهـا
وَأسلَمــوكَ ، بِهــذا الهَيكَــلِ الضَّخِمِ
إلى اليَــدِ الرَّسَمَتْ مَسراكَ مُبـدِعَـةً
قـالُوا : فَعَلْنـا كَمـا أوصَيْتَ ، فـاحتَكِمِ !

❁ ❁ ❁

يـا أسْدَ مَلحَمَـةِ التَّصنيعِ يـا شُهُبـاً
مَـدارُهـا فـاقَ حتى ذِروَةَ النُّجُــمِ
يـا مَن أعَـدْتُم لِهـذي الأرضِ رَونَقَهـا
وكُــلَّ إيمـانِهـا بـالخَيـرِ والقِيَمِ
مِن بَعْــدِ ما انطَفَـاتْ كلُّ الحياةِ بِهـا
وَكـادَ يَقتُلُهـا الإحســاسُ بـالنَّــدَمِ !
يـا أَنتُمو يـا رِجالَ المُعجِـزاتِ وَيـا
جَيشَ التَّحَــدِّي لِكُــلِّ الظُّلْمِ والظُّلَمِ

تَبــــارَكَتْ كـــلُّ أرضٍ تَعمَلُــونَ بِهـــا
ولا تَعِبْتُم ، وَلا نـــالَتُ يَـــدُ السَّـــأَمِ
مِنْكُم ، فكـــلُّ العِـــراقِ الآنَ يَـــرصــدُكُم
حُبّـــاً ، فَـــإِنْ تَستَقيمــوا فيـــهِ يَسْتَقِمِ !

❁ ❁ ❁

نشرت في جريدة القادسية في ٨ كانون الاول ١٩٩٢

جيش العراق

لَكَ أنْ تُصانَ، وأنْ تُفَدّىٰ
وَلِسَرْجِ مَجْدِكَ أنْ يُشَدّا
لَكَ أنْ يُراحَ لِكبريائِهْ
كُلَّ يومٍ، ثُمَّ يُغْدَىٰ
يا أيُّها الفَرْدُ الّذي
رغمَ الحشودِ وَقَفْتَ فَردا
وَبَقيتَ جُرْحاً صامداً
وَتَساقَطوا حَشْداً فَحَشْدا
لَكَ أنْ تُجَلَّ، وأنْ تُفَدّىٰ
يا خيرَ جُنْدِ الله جُنْدا

يا خيرَ مِن لاقى، وخيرَ
مَن استُفِزَّ، ومَن تحدّى
المكرُماتُ جَميعُها
بِكَ أنتَ تُختَمُ، ثُمَّ تُبْدا
يا مَن وَأدْتَ، بما نَزَفْتَ
طَلائِعَ الطُّوفانِ وَأْدا
وَجَعلتَ مِن دَمِكَ الزَّكيِّ
لِمَوجِها العَالي مَصَدّا
حتّى إذا انحَسَرَتْ أَقَمْتَ
لَها مِنَ الشُّهداءِ سَدّا!
فَأَرَيْتَها كَمْ كُنتَ مُرتَفِعاً
وَكَمْ كانَتْ تَرَدّى!

* * *

لَكَ أنْ تُصانَ، وأنْ تُفَدّى
يا أصدَقَ الشُّرَفاءِ رَدّا
يا زهوَ مَن عاصَى، ومَن
شَدَّ النِّطاقَ، وَمَن تَصَدّى
جيشَ العراقِ، وَأيُّ جيشٍ
منكَ للحُرُماتِ أهدى؟

مَن مِثلَ جُنْدِكَ كُلَّما
نُدِبوا أماتوا الخَيْلَ لَكْدا ؟
حتّىٰ لَتَشْتَعِلَ الحَوافِرُ
تَحتَها بَرْقاً وَرَعْدا !
مِن يومِ كُنْتَ ، نُذِرْتَ لل
وَطَنِ الكبيرِ أباً وَجَدّا
واليومَ تَحمِلُ وِزْرَهُ
وَلَداً ، وَعَينُ الأرضِ تَنْدىٰ !
لِلّهِ أنتَ ، لِكُلِّ أسيافِ
العُروبَةِ صِرْتَ زَنْدا
قاتَلْتَ ظُلْمَ الأرضِ قاطِبَةً
وما طَأطَأتَ بَنْدا
وَحَمَلْتَ مِ الأوْزارِ ما
لو مَسَّ أكبَرَهم لأرْدىٰ
لكنْ وَقَفْتَ كما أرادَ

لكَ الحِفاظُ المُرُّ ، جَلْدا
أعطَيْتَ أعظمَ بالذي
أعطَيْتَ آباءً ، وَوُلْدا

وَسَقَيتَ لَم يَسبِقْ لِغيرِ

دِمـاكَ أنْ أصبَحْنَ وِرْدا

حتّىٰ عُمومَتُكَ استَحمَّتْ

فـي دِمـائِكَ يـا مُفَدّىٰ

لا بـأسَ تَبقىٰ أنتَ زَهْـوَ

الأرضِ إذْ يَمضُونَ جُرْدا

وَتَظـلُّ تَكمِدُهُم بِمـاؤكَ

حيثُما يَمضونَ ، كَمْـدا

سَيُقالُ هٰذا كانَ قِدِّيساً

وهٰـذا كـانَ وَغْـدا !

وَيُقالُ هٰذا ماتَ مَعبوداً

وهٰـذا عـاشَ عَبْـدا !

* * *

يـا أكرَمَ الدُّنيا دَمـاً

وأعَـزَّ أهلِ الأرضِ مَجْـدا

يـا خيرَ مَن أعطىٰ ، وأشرَفَ

مَـن تَجاسَرَ واستَرَدَّا !

يـا جيشَ مَن حَشَدُوا عليهِ

البحرَ والأرَضينَ حَشْـدا

وتَلَبَّدَتْ بِهم السَّما

سُمّاً ، وَمَوجِدَةً ، وَحِقْدا

وَتخيَّلُوهُ حَمامةً

وإذا بِهِ صَقْراً عَلَنْدىٰ !

جَسْراً يَصُدُّ الرِّيحَ أنْ

تَرقىٰ إلىٰ مَتْنَيْهِ صَدّا !

يا أيُّها الفَضَبُ الّذي

لَحَمَ السَّماءَ نَماً وَسَدّىٰ

حتّىٰ زَرازيرُ الخليجِ

أَتَوْكَ . مُنْتَفِخينَ لُغْدا !

حتّىٰ غُرابُ البَيْنِ شَدَّ

جَناحَهُ لَكَ واستَقَدّا !

وَنَظَرْتَ لِلجَبَروُتِ كيفَ

بِكُلِّ خِسَّتِهِ تَبَدّىٰ

وَنَظَرْتَ كيفَ يَلُمُّ

غَيْضَتَهُ ، وَيَدفَعُها رُوَيْدا

فَنَشَرْتَ أنتَ جَناحَكَ الـ

عِملاقَ دونَ الارضِ سَدّا

وَوَقَفْتَ تَنْتَظِرُ الجَحِيمَ
وَقَدْ وَعَدْتَ اللهَ وَعْدا
ألّا يُنالَ مِنَ العِراقِ
سِوى أقَلِّ العُمْرِ فَقْدا
المالُ، والشُّهَداءُ .. تِلْكَ
ضَرِيبَةٌ أبَداً تُؤَدّى
أمّا الكَرامَةُ والتُّرابُ
فَلا .. وَقَدْ وَفَّيْتَ عَهْدا!
هذا العِراقُ .. على الأذى
حتّى وَلَوْ حَصَدُوهُ حَصْدا
ظَلَّ العِراقُ أبا الشُّمُوخِ
وإنْ يَمُتْ حُرّاً وَفَرْدا
آباؤنا أجسادُهُم
كانَتْ على الصَّهَواتِ تُرْدى
وَيَظَلُّ أعظَمُ زَهْوِهِنَّ
قُتِلْنَ، لَمْ يُصْفَقْنَ خَدّا!
* * *
جيشُ العِراقِ .. وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ
لَهُ، بِكَ أنتَ تُحْدى

سَـــيَظَـــلُّ سِـــفْــرُكَ خَيْــرَ مــا

لِصَـــحــائِفِ التّـــاريـــخِ يُهْـــدَىٰ

وَيَظــلُّ سَـــيْفُـــكَ مُصْـــلَتــاً

لِلحَـــقِّ لا تُـــوْويـــهِ غِمْـــدا

وَيَظـــلُّ مِــــن صَـــدّام فيــكَ

سَـــفَىً يَـــزيـــدُ الخُلْـــدَ خُلْـــدا !

وَقَصــيـــدَةٌ عَصـــمـــاءُ مــلءَ

مَحـــافِـــلِ التّـــاريـــخِ تُشْـــدَىٰ

❁ ❁ ❁

نشرت في جريدة القادسية في ٦ كانون الثاني ١٩٩٣

يا عراق الكبار

كلَّ عامٍ في مثلِ هذي اللّيالي
يُمسِكُ اللّهُ جُرحَهُ في الأعالي
وَهوَ يرنو إلى العراقِ خَضيباً
تَعتَريهِ خَناجِرُ الأرذالِ!

* * *

كلَّ عامٍ، في مثلِ هذي اللّيالي
تَقْشَعِرُ الأوراقُ فوقَ الدّوالي
يُبْطِيءُ الماءُ في الفُراتَينِ يُصْغي
النَّخْلُ تَنْدىٰ وَسائدُ الأطفالِ!
وَيَجيءُ الأزيزُ يَعلو رُوَيداً
يَحبِسُ الضّوءُ نَفْسَهُ في الذُّبالِ
وَيَعمُّ السُّكونُ ثُمَّ يُدَوّي
غَضَبُ اللّهِ في قلوبِ الرِّجالِ

تُشعِلُ الأرضُ نَفْسَها كبرياءً
وَهيَ تَسعىٰ لهم وَهُم كالضّلالِ
يُرسِلونَ الرّدىٰ، وَهُم آمِنُوهُ
فَسِباقٌ في القَتلِ لا في القِتالِ!
وَيُسَمُّونَ جُرمَهُم كَرنَفالاً
أيُّ جُبْنٍ في ذٰلكَ الكَرنَفالِ!

* * *

كلُّ عامٍ في مثلِ هذي اللّيالي
تَسألُ الذّكرياتُ نَفْسَ السُّؤالِ
أَفَما كانَ مُمكِناً..؟.. مُمكِناً ماذا؟..
وَيَبقىٰ السُّؤالُ دونَ اكتِمالِ
غَيرَ أنَّ العيونَ تَبدو مَرايا
لِلّذي في القلوبِ مِن أوْشالِ
وَأَجَلْ يا عراقُ يا زَهْوَ أهلي
مُمكِناً كانَ كلُّ ما في الخَيالِ
مُمكِناً كانَ أنْ نَبيعَ وَنَشري
أنْ نُداري، وَنَنحني، وَنُمالي
مُمكِناً كانَ أنْ نكونَ ملوكاً
وَشيوخاً، لكنْ بِحَجمِ المَوالي!

نَهَبـــاً مُثقَلينَ .. نَمضي وَنَـــأتي
نـــاطحينَ الـــرُّؤوسَ مِثْـــلَ النِّمـــالِ
مُمكِنـــاً كانَ أنْ يُرىٰ مَطَـرُ الـدُّنيـا
لَـــدَيْنـــا .. وَنَحنُ مِثْـــلَ الجِمـــالِ
تَحمِـــلُ المـــاءَ وَهيَ عَطشىٰ .. وَتُغْني
وَغِـــذاهـــا مُخَلَّفـــاتُ الـــرِّمـــالِ
مُمكِنـــاً كـــانَ يـــا عِـــراقَ التَّحَـــدِّي
أنْ نُسَمِّي جَحـــافِـــلَ الإحتِـــلالِ
أصـــدقـــاءً تَلَطَّفـــوا ، واستَضـــافـــوا
فَـــاضَفْنـــا ، على انكِفـــاءِ الـــدَّلالِ !
مُمكِنـــاً كـــانَ أنْ نَلـــوحَ عِقـــالَ الـ
أرضِ طُـــرّاً ، وَنحْنُ دونَ عِقـــالِ !
مُمكِنـــاً كـــانَ كـــلُّ شيءٍ ، وَلٰكِنْ
أيَّ شيءٍ نَقـــولُ لـــلأجيـــالِ ؟!

* * *

هٰكَـــذا كـــادَ أنْ يكـــونَ سُـــؤالُ الـ
نـــاسِ .. حتَّىٰ الأعمـــامِ والأخْـــوالِ
ســـامـحَ اللّـــهُ أهْلَنـــا .. وَهُمـــو أدرىٰ
بِمـــا في العـــراقِ مِن أَمْثـــالِ

نَحْنُ قــــومٌ يَقــــولُ قــــائِلُنــــا للـ
نَّفسِ : مُــــوتي ، بِشَــــرطِ أَلّا تُــــذَالي !
أَشجَــعُ النَّــاسِ نَحْنُ في المَــوتِ لكنْ
أجبَنُ النَّــــاسِ نَحْنُ في الإحتيــــالِ !
في فَمِ « الطّــوب » وَهــوَ يَهتِفُ عِنــــدي
أنــــا وَحــدي لَم يَمتَــذِرْ أو يُــوَالي
نَحْنُ أولادُ تِلــــكَ « هَــزَّتْ » وَ « لَــولَتْ »
وَلكــــلُّ العــــراقِ كــــانَتْ تُــــلالي
كــــانَ ذاكَ الصَّبيّ في ثــورةِ العِشــرين
واليَــــومَ صــــارَ زَهــــوَ الــــرُّجــــالِ !

* * *

يــــا عِــــراقَ الكِبــــار مِن أينَ يُبْــدا
حينَ نَــــأتي لــــذكــــريــــاتِ الأَوَالي !
يَمــــلأ الأرضَ زَهــــوُنــــا وَنَــــرانــــا
مــــا وَفَينــــا ، والنَّــــاسُ قــــالُــوا نُغــالِي
أيُغــــالي مَنِ ابتَــــدا بِنَبُــــوخَــــذْ
نُصَّــــرٍ ، وانتَهىٰ بِسَيف المَعــــالي ؟!
بــــالَّــذي لَــــو سَــــأَلْتَ مَن والِــداهُ ؟
لَتَــــلاقَتْ والهــــور شُمُّ الجِبــــالِ !

وَتَهادىٰ عَلىٰ الفُراتَينِ طَيفٌ
مِن عَليٍّ، وَهاتِفٌ مِن بِلالِ
قارِبًا بَينَ نَجْمَتَيْ عَلَمِ الأُمَّةِ
بَدْءَ المَسرىٰ، وَرَمزَ النِّضالِ!

* * *

يا عِراقَ الكِبار كانَ كَبيراً
حمورابي، وَكانَ أعلىٰ العَوالي
مَجْدُ كلكامشٍ، وآشور، والهائلِ
سَرجون ثُمَّ تأتي اللَّيالي
نَيِّراتٍ بِضَوءِ هارونَ سَيفاً
في مجالٍ، وَشَمعةً في مجالِ!
فَصلاحُ الدينِ الَّذي قالَ للأفلاكِ
دُوري، لَكِنْ أَقيمي حِيالي!
فَتَسَمَّرْنَ كُلُّهُنَّ وأَبقىٰ
سَيْفَهُ فَوقَهُنَّ مِثلَ الهِلالِ!

* * *

وأتىٰ بَعدَهُم مَن السَّيفُ يَنْدىٰ
خَجَلاً مِنهُ في احتِدامِ النِّزالِ

أَنَّـــهُ يَنحَنِي، وَيثْلِمُـــهُ الضَّــرْبُ
وَيَنْبُــو حينــاً كَكُــلِّ النِّصــالِ
غيــرَ صَــدَّام، فَهــو يَبقىٰ عظيمــاً
مُستقيمــاً فـي لَبَّــةِ الأَهــوالِ
ذاكَ مَنْ يُمسِــكُ الحيــاةَ، وَيُـرسِي
قُطْبَهــا عنــدَ ذُروَةِ الــزِّلْــزالِ !

* * *

يــا عِــراقَ الكِبــارِ .. كــلُّ كبيــرٍ
وَمَــراقيــهِ عِــذْلَــهُ فـي الجَــلالِ
هــائِــلاتٌ أعــراسُــهُ .. هــائِــلاتٌ
طُــرُقٌ مَسْــراهُ وارِفــاتُ الظِّــلالِ
ليسَ تَــرقىٰ إليــهِ أجنِحَــةُ الطَّيــرِ
وَلٰكِنْ بــالحُبِّ، أو بــالسُّــؤالِ !
مِثْــلُ هٰذا لا يَجْرُؤُ الشَّرُّ وِحْــدانــاً
علىٰ الإقتــرابِ مِنْــهُ بِحــالِ
وَلِهٰــذا أتــاهُ مِنْ كــلِّ فَــجٍّ
دارِعــاً بــالــوحــوشِ والأَغــوالِ
جــامعــاً حَشْــدَهُ، وَرغمَ التَّبــاهي
كــانَ يَــدنــو بِمُنْتَهىٰ الإجفــالِ !

هـــا هُم الآنَ أقبَلــوا مــرَّةً أخــرىٰ

يَجــرُّونَ أقْـــــذَرَ الأذيـــالِ

جُنَّ هـــذا المَخلــوعُ .. لا بُـدَّ يُــؤذي

قبـــــلَ أنْ يَنْتَهي إلىٰ الأوحــــــالِ !

صَحـــوَةُ المَـوتِ هــذهِ سَــوفَ يَمضي

بَعــدَهــا وَهــوَ مُــذلَهمُ الطِّحــالِ

وارِمٌ أنَّـــــهُ مضىٰ بينَمــا صَـــدَّامُ

بــــاقٍ ، وَنَجْمُـــهُ جِــدُّ عـــالِ !

وَلَـــكَ العَهْــدُ أنَّنــا سَــوفَ نَلقــاهُ

كِــرامــاً ، كَيــومِ بَــدْءِ القِتــالِ !

* * *

يــا عِــراقَ الكِبــارِ يــومٌ عَلَينــا

ثمَّ عُمــرٌ لَنــا كــريمُ المــآلِ

إنْ هيَ الآنَ يـــا بِــلاديَ إلّا

وَقْفَــةُ الصَّبــرِ بَعــدَ حــربِ سِجــالِ

وَقْفَــةُ الجــرحِ نــازِفــاً يَتَحــدّىٰ

وَيُعـــاصي في قِمَّـــةِ الإحتِمــالِ

رُبَّ جُــرحٍ بِكِبْــرِهِ يَكسِــرُ النَّبْــلَ

وَيُلقي بِهـــا إلىٰ النَّبّــــالِ !

جَولَةَ الصَّبرِ، ألفُ نَذرٍ عَلَينا

وَعلىٰ كلِّ أهلِنا أنْ تُجالي!

جَولَةَ الصَّبرِ والبِناءِ .. مَخاضٌ

نَحنُ خُضناهُ، مُوغِلٌ في الخَيالِ

أنّ يَسيرَ العِراقُ خَمسينَ عاماً

كلُّ عامٍ .. علىٰ أنوفِ المُحالِ!

إنْ تَكُنْ أعسَرُوكَ يا وَطَنَ اليَسْرَةِ

فالجوعُ أضعَفُ الآجالِ!

ما تَضِقْ فُجّةُ الحياةِ عَلَينا

تَتَّسِعْ هٰذهِ النُّفوسُ الغَوالي!

نَحنُ مُتْنا علىٰ البَنادِقِ لَم نُذعِنْ

فَكَيفَ الإذعانُ بَعدَ الصِّيالِ؟!

* * *

وَطَني، أيُّها المَليءُ بِحُبِّ اللّهِ

.. يا غابَةً مِنَ الآمالِ

يا صَديقاً لِكُلِّ شَيءٍ جَميلٍ

وَعَريقاً في سَعيِهِ للجَمالِ

يا نَبيلاً ما أنصَفوهُ، ولٰكنْ

مَلأَ الحِقدُ جِلدَهُ بالنِّبالِ

إنْ يكـــونـــوا نـــالـــوكَ لَحمـــاً وَعَظمـــاً

فَسَنـــا الـــرُّوحِ فيـــكَ فَـــوقَ المَنـــالِ !

أو تكنْ جَـــــرَّحـــــوكَ أوَّلَ شَـــــوطٍ

فـــالأوالي مَـــرهـــونَـــةٌ بـــالتَّـــوالي

وَغَـــــداً ، حينَ يَطلـــعُ الفَجـــرُ فينـــا

وَتَـــؤولُ الجِـــراحُ لـــلإنـــدِمـــالِ

سَنَـــــرىٰ أيُّنـــا سَيَعلـــــو ، وأيٌّ

سَـــــوفَ يَمضي بعـــــارِهِ لِلـــزَّوالِ ..

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١٧ كانون الثاني ١٩٩٣

الدينونة

لَحظَةٌ لِلأَلَمْ
ثمَّ مِن بَعْدِها
عُمُرٌ لِلقَلَمْ
ربَّما سالَ دَمعاً
ربَّما سالَ دَمْ
كلُّ ما شاءَ
إلّا النَّدَمْ!

مَن لَهُ الآنَ دَيْنٌ عَلَينا
يَضَعْ دَيْنَهُ نُصْبَ عَينِ المَلا
سَوفَ لا

نسألُ النَّاسَ عن شاهدٍ ، أو نَصيرْ
يَشهَدُ اللّهُ سُبحانَهُ ..
والضَّميرْ
وَسَندفَعُ ..
نَدري بأنَّ شَهادةَ رَبِّ السَّماواتِ صامتةٌ
والضَّمائرَ صامتةٌ
غيرَ أنَّا سَنَدفعُ
ما دامَ شاهِدُهُم يملِكُ الآنَ صَوْتا
وَظَنُّوا شهودَكَ مَوتىٰ
وأنتَ مُقيمٌ علىٰ صَمْتِكَ المُتَكَبِّرِ يا وَطَني
وعلىٰ صَبْرِكَ المستحيلْ
عاقِداً للفُراتَينِ ظَهْرَيْهِما بجذوعِ النَّخيلْ !

مَن لَهُ الآنَ دَيْنْ
فَلْيَضَعْ دَيْنَهُ فَوقَ هٰذا التُّراب
فهٰذا تُرابُ الحُسَينْ
وَلْيَقُلْ ما يَشَاءْ
وَلْيَكُنْ واثِقاً أنَّ أوَّلَ رَجْعٍ سَيَسمَعُهُ
سَوفَ يأتيهِ مِن كربلاءْ !

يا مَهيبَ الدِّماءْ
يا جَلالَ الشَّهادةِ في أَوْجِ مِعْراجِها للسَّماءْ

أنتَ عَلَّمْتَ هٰذا البَلَدْ
والِداً وَوَلَدْ
أنْ تكونَ دِماؤكَ نِبْراسَهُم
كلَّما زاغَ فيهِم كَبَدْ !

فَأَقِمْ سَيِّدي مُطمَئِنّاً
فَبَيتُكَ لَو لَمَسَ الكُفرُ أركانَهُ
ينهضُ الرّافدانِ وقوفاً
وَيَمشي النَّخيلُ صُفوفاً
وَتأتي التَّواريخُ شَعْثاءَ
مِن سومَرٍ وَأكَدْ !

يا عُراةَ الجَبينْ
كانَ دَيْنٌ عَلَينا لَكم في جِنينْ
هل وَفَيْنا .. ؟
سَأسألُ كلَّ القبورِ الَّتي

لَم تَزَلْ بِدَمي سابِحَهْ
وَمَلامِحُها الجارِحَهْ
تَتَحدَّىٰ مَلامِحَكُمْ
كلَّما كَذِباً وَنِفاقاً
وَقَفتُم لاصحابِها
تَقرأونَ لَهُم سُورَةَ الفاتحهْ !

كانَ دَيْنٌ عَلَينا لَكُم عِندَ أبوابِ جِلَّقْ
يومَ عِرْضُ المروءَةِ أجمَعِها ،
والعروبةِ أجمَعِها
كانَ يَبكي وَيَشْهَقْ
واليَهودُ تكاد
وكانَتْ دِمَشقُ تَكاد
وَأقبَلْتَ يا ذُرْوَةَ الشَّرَفِ العَرَبيّ
وَيا صَوتَ طَهَ النَّبيّ
تَكادُ دُروعُكَ تَمضَغُ صُلْبَ مَدافِعِها
واستَقَرَّتْ علىٰ مَدخَلِ الشَّام
يا جُنْدَ صَدَّام
هَل أسألُ الأَهْلَ عَن شاهِدٍ؟؟

أم سَيَشهَدُ عَمِّي ، وَجاري القَريبْ
قبلَ أنْ يَشْهَدَ النَّاسُ في تَلْ أبيب ؟!

وَأراجعُ نَفسي
أقولُ تكاثَرَ دَيْنُكَ يا سيِّدي يا عِراقْ ..
وَوَحَقِّكَ ،
ما زالَ فِيكَ الصَّدَاقْ
كلَّما مُهْرَةٌ صَهَلَتْ
كلَّما حُرَّةٌ هَلْهَلَتْ
وَرَمَتْ سِتْرَها بَيْنَ كَفَّيْكَ
تَنهَضُ غوْلَ دَم
ليسَ يَهْدأُ حتَّى يُرَاقْ !

يا عِراقْ
يا عِراقْ
يا راهِيَ الرَّسَنِ
يا عاليَ السُّور
يا بَوّابةَ الزَّمَنِ
يا نُبْلُ يا وَطَني !

دَيْنَ الحُسَينِ مَدينٌ أنتَ لِلفِتَنِ
تَمضي بِلا أَذرُعٍ ،
تهوي بِلا كَفَنِ
لٰكنْ تَظَلُّ لَكَ الأَصواتُ أَجْمَعُها
ما نَزَّ ثَديٌ بهٰذي الارضِ باللَّبَنِ !

وَما صَغيرٌ حَبَا
والماءُ حيثُ ربا
وكلُّ نَجْمٍ خَبا
تُوريهِ يا وَطَني !

وَيَخْـــرَسُون فـــأنتَ الارضَ مـــاليهـــا
أنتَ الـــرَّجا ، والمُـــرَجّىٰ في لَيـــاليهـــا
كـــلُّ الَّـذي لَم تَــزَلْ عَنهم تجـودُ بِــهِ
حتَّىٰ بَلَغْتَ إلىٰ أعْلىٰ غَـــــواليهـــــا
دَيْنــاً تُسمِّيــهِ ، يا مَهيــوبُ ، يـــا وَطَني
وَهُمْ يَغُطُّــونَ نَـــومــاً عَن صَـــوَاليهـــا !
أَلَمْ يُجَيِّشْ صَـــلاحُ الــدِّينِ نَخْـــوَتَــهُ
حتّىٰ أفـــاءتْ علىٰ الــدُّنيــا عَــواليهــا ؟

وأنتَ، بــالأمسِ في لُبنانَ، في حَلَبٍ
في مِصــرَ ألهَبْتَ وَاطيها وَعَــاليهــا
وَعَنهمـو كُلُّهمْ في القــادسيَّةِ ما
جَــاءُوا بِجُـرحٍ .. وَجُنُّــوا في تَـوَاليهــا
وأنتَ تَنْــزِفُ طُــوبىٰ للمَبــادِىءِ كَمْ
تَــلألأتْ بــالضَّحــايــا مِن أهــاليهــا!

وَنُعاهِدُ أنَّا سَنَدْفَعُ
ما دامَ جُرْحُ الكَرامَةِ دَيْناً عَلَينا
وَجُرْحُ المروبةِ دَيْناً عَلَينا
وَكُلُّ الخَنا طَرَفاً،
وَتُقَانا طَرَفْ
وَما دامَ بعضُ بَني عَمِّنا
يَشعُرونَ بِنَقْصِ البُطونِ
وَلا يَشعُرونَ بِنَقْصِ الشَّرَفْ

فَسَنَدْفَعُ
مِن جوعِ أطْفالِنا سَوْفَ نَدْفَعُ
مِن دَمِنا سَوْفَ نَدْفَعُ

لٰكِنَّنا سَيَظَلُّ لَنا الدِّينُ حتّىٰ يَضُجَّ النَّفيرْ
عِنْدَها ،
سَوفَ يُرْعِدُ صَوتُ الضَّميرْ
وَتكونُ شَهادَةُ رَبِّ السَّماواتِ مَسموعَةً
وَهيَ بَدْءُ السُّرىٰ ،
وَخِتامُ المَصِيرْ ...

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١١ شباط ٩٩٣

فروسية في زمن التردي

«مهداة الى الاستاذ لطيف نصيف جاسم»

مَنْ سَيَسألُ مَن عَن مروءَتِهِ ..؟
كانَ بيتُكَ يَرنو موارَبَةً
وهوَ يَجمَعُ أطفالَهُ ..
كلُّ نافذةٍ
كانَ يُحْكِمُ إغلاقَها
كلُّ بابْ
كانَ يَحسِبُ حتى لفُرجَةِ مفتاحِها
وهو يرنو إلى الرّيحِ
ألفَ حِسابْ ..

مَن سَيَسألُ مَن عن مروءَتِهِ ؟؟ ..
لم تَكُنْ خائِفاً

فَرْقٌ ما بينَ أنْ يَرجِفَ المرءُ خوفاً
وأنْ يَرجِفَ المرءُ فَرْطَ حَميَّتِهِ
ما نطقْتَ بِهِ أنتَ لَيلَتَها
شاخِصاً كانَ كلُّ العِراقِ
كلُّ أسماعِهِ
كلُّ أبصارِهِ
كلُّ أيدي بَنيهُ
كلُّ كِبْرِ الابوّةِ فيه ..
كلُّ معنى الرّجولَةِ وهيَ تشدُّ النِّطاقْ
لتموتَ أمامَ أَسِرّةِ أولادِها
لا يَفِزُّوا مَروعينَ مِن نومِهِم
كانَ ينبضُ لَيلَتَها في العراقْ !
كانَ ذلك لَيلَةَ قُلتَ سَنأكُلُهم ..
أنا أعرِفُ كَم كُنتَ ليلَتَها مُستَفَزّاً
وكَم كُنتَ منتخياً للعراقْ !
وأعرفُ أسنانَ أهلي
وتَعرِفُها
نحنُ لا نأكُلُ الكَلبَ

حتى ولو أكَلَ الكَلبُ أطفالَنا ..
بَل ونأنَفُ مِن جِيَفٍ
أكَلَ القَيحُ أرواحَها وضمائِرَها
لا ...
ويَمنعُنا الله والكبرياءُ
وتمنعُنا عِفَّةُ الأتقياءُ
وبنا طيبةٌ
أطلقَت لَهمو كلَّ أسراهُمو
وبِهِمْ خِسَّةُ الأدنياءُ
وقُلتَ سَنأكُلُهُم ..
كان حتى هواءُ العراق
وحتى نُجومُ العراقْ
موثَقاتٍ بأقمارِهِم ، وأساطيلِهم ..
كلُّ ذرَّةِ رملٍ عليها نِطاقْ .
وَصَرَخْتَ
وأنتَ المُحاصَرُ بَيتُكَ ..
حُرمَتُهُ ،
ومَصائِرُ أطفالِهِ

سَوفَ نأكُلُهُم ..
كانَ بَعضَ دِفاعِكَ
أن تَدفَعَ الموتَ مُستَنْجِداً بالتَّحدِّي
وقد كانَ قَولًا
مروءَتُهُ عِذلَ كلِّ صَواريخِهِم
غيرَ أنَّ الزَّمانَ صغيرْ
ومَن للمروءَةِ يا سَيِّدي
في زمان التَّرَدِّي !

كانَ قَولًا ،
وما بَرِحوا يَذكُرونَهْ
هؤلاءِ الّذينَ تَنادَوا مِنَ الأرضِ أجمعِها
وَتَلاقَوا علىٰ بَلَدٍ يَذبَحونَهْ !

كانَ قَولًا دَفَعْتَ بِهِ قَلَقَ العُمرِ
لكِنَّهُم فَعَلوا ..

قَتَلوا ،
أَكَلوا لَحمَ أطفالِنا رُضَّعاً ..

مَلجأُ العامريَةِ ما زالَ يَصرُخُ
والنَّاصريّة تَصرُخُ
والهَورُ يَصرُخُ
تَصرُخُ كلُّ جِبالِ العراقِ ووديانِهِ ..

قُلتَ قولًا
دَفَعْتَ بِهِ قَلَقَ القمر
لكنَّهم فَعَلوا
لَم يقولوا ،
ولكنهم فَعَلوا ..

ها هُم أنظُرُ إليهم
ما يزالونَ لليومِ
تَنشَبُ أنيابُهُم وأظافِرُهُم في دِماءِ العراقْ
ويوماً فَيوماً
يَلفّونَ أحقادَهُم حَولَ أعناقِ أطفالِنا
فَيَضيقُ الخِناقْ

وَيَقولونَ

قُلْتَ سَنَأكُلُهُم ..!

يا بِلادي الحَبيبَهْ
إنَّهُم يأكُلونَ قُلوبَ الصِّغارِ وأكبادَهُم ..
كلُّ مُرضِعَةٍ
يَقطَعونَ لَها ثَديَها
ثُمَّ يَشرَبُ شارِبُهُم
دَمَهُ وَحَليبَهْ !

يا بِلادي الغَريبَهْ
يا بِلادي الّتي كلُّ أنيابِهِم بِدِماها خَضيبَهْ
أينَ تَسعىٰ بِنا
هٰذهِ السَّنَواتُ الرَّهيبَهْ ؟!

❁ ❁ ❁

نشرت في جريدة الثورة في ٢٠ / ٣ / ١٩٩٣

لأي نبض العراقيين أحتكم ؟

شهـــرٌ وَمَـــرآهُ في عَينَيــكَ يَـــرتَسِمُ ..
شَهـــرٌ ، وأنتَ تُعـــاصي أيُّهـــا القَلَمُ
مـــاذا تقـــولُ لَـــهُ في يـــومِ مَـــولِـدِهِ
وكنتَ قُلْتَ بِـــهِ مـــا لَم يَقُلْـــهُ فَمُ !

* * *

شَهـــرٌ ، وَعَينـــاهُ أحـــلامٌ ، وأَشـــرِعَـــةٌ
وَمَـــوجُ بحـــرٍ بِجَـــوفِ الـــرُّوحِ يَلتَطِمُ
وخـــافِقي سنـــدبـــادٌ تـــاهَ قـــارِبُـــهُ
في لُجَّـــةِ المَـــوجِ لا سَفـــحٌ ، ولا قِمَمُ
ولا قَـــرارٌ ، ولا جُـــرُفٌ ، ولا رَصَـــدٌ
إلّا الكـــواكِبُ في عَينيـــهِ والسُّـــدُمُ !

* * *

شَهرٌ، وَتَستعرضُ الأَحداث تَرصُفُها
هُنا التَّحَدِّي هُنا الذِّكرىٰ هُنا الأَلَمُ
هُنا العراقُ الَّذي تَنسابُ قانيةً
جِراحُهُ وَهُنا طُوفانُهُ العَرِمُ
هُنا وجوهُ العراقيِّينَ ضاحِكَةً
هُنا قلوبُ العراقيِّين تَضطَرِمُ
وَهٰهُنا مُقْلَتا صَدَّام ضَوؤهُما
جَزْيَ النَّدىٰ وهوَ بالأَضواءِ يَرتَطِمُ!
لكنْ، لِطَرْفَةِ عينٍ ثمَّ تُبصِرُهُ
عَيناهُ غابَةُ خَيلٍ ما لَها لُجُمُ!
سَيْفَانِ كالبَرقِ، حتىٰ الضَّوءُ لَو عَرَضاً
يَدنو إلىٰ شَفْرَتَيْ عَينَيهِ يَنثَلِمُ!

* * *

مِن أينَ أَبدأُ شِعري أيُّها القَلَمُ؟
مِن أيِّ نَهرَيْكَ ..؟.. لا عِيٌّ، ولا صَمَمُ
لكنْ مَهابَةَ يومٍ صَوتُ صاحِبِهِ
يَصيحُ بي: لا تَقُلْ ما لَستَ تَلْتَزِمُ!
لأيِّ نَبْضِ العراقيِّينَ أحتَكِمُ؟!

أَلِلجِراحاتِ والأوجاعِ أنبُشُها ؟
أأستَفِزُّ العراقيِّينَ ما كَظَموا
وما أديلُوا ، وما غِيلُوا ، ومَا أُزِمُوا
وَما أباحُوا مِنَ الشَّكوىٰ ، وَما كَتَموا ؟ ..
أدري وَيَدري العراقيُّون ، أنَّ بِنا
غَيظاً بِهِ شُرُفاتُ الرُّوحِ تَزدَحِمُ !
أدري ، وَيَدرونَ ، أنَّا ما يَزالُ لَنا
في كُلِّ شِبْرٍ بِدامي أرضِنا وَرَمُ !
وأنَّ جُرحَ العَراقيِّينَ تَلْتَئِمُ الـ
دُنيا ، وَيَبقىٰ عَصِيّاً ليسَ يَلْتَئِمُ !
أدري وَيَدرونَ أنَّا نافِرٌ دَمُنا
حتَّىٰ تكادَ عُروقُ العَينِ تَنْفَصِمُ
فَفيمَ أنكأُ هٰذا الجُرحَ يا وَطَني
واليومَ يومٌ بِهِ الأيّامُ تَقتَصِمُ !
وأعظَمُ الجُرحِ يا أهلي مُكابَدَةٌ
صَدَّامُ يَطويهِ في صَمتٍ وَيَبتَسِمُ !

* * *

يا سَيِّدَ اليَومِ ، والأيّامُ أجمَعُها
مَدينَةٌ لَكَ حتىٰ وَهيَ تَنْصَرِمُ !

مَـــدِيـنَــةٌ لَــكَ أنْ سَمَّيتَ كـــلَّ يَــدٍ
بِفِعلِهَـــا ، فَــالبَــرايــا كُلُّهم وُشِمُــوا
مـــا كـانَ قَبلَــكَ مَنْ يَسْطيــعُ مُقتَــدِراً
أنْ تُستَفَـــزَّ بِـــهِ الأنـــوارُ وَالظُّلَمُ
بِحيثُ يُـدخِــلُ كُــلّاً في مَفــازَتِــهِ
فَـــلا يُبَـــرَّأُ وَجْـــهٌ وَهـــوَ مُتَّهَمُ
أنت استطعْتَ ، وعُمْـرَ النَّاسِ مـا جَـرُؤوا
أنْ يَفـرِزُوا مثـلَ هـذا الفَـرزِ يـــا عَلَمُ !
عَلَّمْتَ أنتَ تُخـــومَ الأرضِ أجمَعِهـــا
فَكـــلُّ قَـــومٍ بِمـــا سَمَّيتَهُمْ وُسِمُـــوا !

* * *

يـــا سَيِّدَ اليَـوم .. أيَّامٌ نَعيشُ بِهـــا
وأنتَ فينـــا ، إذَنْ سَـاعَــاتُهــا حُـرَمُ !
والله قـــد لا يَـرىٰ التَّـاريخَ صَـانِعُـهُ
وَليسَ يَعلَمُ مـــا قُـــرّاؤهُ عَلِمـــوُا
وأنتَ وَحــدَكَ بَيْنَـــا أنتَ تَصنَعُـــهُ
تَـــرىٰ وَتَعلَمُ مـــا لا يَعلَمـــونَ هُمُ !
خمساً وَعشرينَ مَرْقاةً صَعَــدْتَ ، وَفي
كُـــلٍّ رأيْتَ وَفي كُـلٍّ عِـداكَ عَمُـوا !

حتَّىٰ استَـــوَيْتَ علىٰ أعلىٰ مَـــدَارِجِهـا
كـــانُوا صِفـاراً ، بِخَتْمٍ واحـدٍ خُتِمـوُا
نَفْسُ الـــوجــوهِ خَنَــازيــرُ يُفَــرِّقُهُم
عَن بَعضِهِم : ذاكَ عِفْـــلاقٌ ، وَذَا قَـــزَمُ
وَكنتَ شَمســـاً عَلَيهِم ، كـاشِفـاً غَـدَهم
وَأمْسَهُمْ فَـــــإذا هُمْ كُلُّهم تُهَمُ !

* * *

يـــا أيُّها الـرَّجُلُ المَيمـونُ طـالِعُـهُ
يـــا مَن لَـــهُ ، وَبِـــهِ تُستَنْفَـرُ القِيَمُ
يا إرْثَ بيتِ رسولِ اللّه يـــا رَجُلاً
مـــا قـــالَ لا ، وَتَخَطَّتْ لاءَهُ نَعَمُ !
وَقـــالَها حجمَ كـلِّ الارض صَيْحَتُهُ
دَوَّتْ ، فكـــادَ عَمـودُ الارضِ يَنْهَـــدِمُ !
واهتَـــزَّتْ الطَّبَقـاتُ السَّبْـعُ ، وَانتَشَـرتْ
أصـــــداؤهـــــا ، وَتَشَظَّتْ وَهيَ تَقتَحِمُ
معـــابـرَ الجبـروت الـلاَّيُقـالُ لهـا
لا ثمَّ قيلَتْ فمـادَ الـرُّومُ والعَجَمُ !
الآن نفهمُ يـــا نبـراسَ أُمَّتِنـــا
مِن أجْـلِ مَنْ ، ولمـــاذا زُلْـزِلَتْ إرَمُ !
وحقِّ عينيـــكَ بـــالـلاَّءِ النُّطقْتَ بِهـا
صَــدَعتَ صَدْعـاً لـو الفُجَّـارُ كلُّهمُـو

شَـــدُّوا عليــهِ ضلــوعَ الكُفــرِ أجْمَعَهــا
لمــا استَطاعـوا لَـهُ رَأْبـاً ، ولا لَحَمـوا !
أسْقَطْتَ هَيْبَتَهم في الأرضِ قــاطِبَـــةً
وَكُشِّفُــــوا ، فَـــإذا هُم كُلُّهم رِمَمُ
هَيَــاكـــلٌ مِن رَمــادٍ لا حيــاةَ بهــا
ولا حَيَـــاءٌ ، ولا عُـــرفٌ ، ولا ذِمَمٌ
لِـــذا أتَـــوكَ وحـــوشــاً ليسَ يَـردَعُهُم
عَنِ الـــرَّذيلَـــةِ لا حِـــلٌّ ولا حَـــرَمُ
وَقَـــد وَقَفتَ لَهُم الآنَ يا رَجُـلَ الـ
تّاريخِ ، لَن أستَعيــدَ الآنَ ما زَعَمـوا
ولا الجـــرائِمَ أُحصيهنَّ مـــا رَجَمـوا
ومــا أدالُوا ، ومـا اغتالُـوا ، وما هـدَمـوا
لكنَّني ، وَسَنــا عَينَيــكَ ، أصــرخُ في
وجـــوهِهم : هكـــذا شِئْنــا ، ولا نَــدَمُ !
وأنتَ تَعْلَمُ مـــا تَعنيـــهِ قَـــولَتُنـــا
هٰـــذا الّذي نحنُ شِئنـــا أيُّهــا الحَكَمُ !
هـــوَ العـــراقُ وأنتَ الآنَ ذائِـــدُهُم
عَنـهُ لِذا حينَ بــاغَتْنـاهُمـــو وَجَمـوا
هُم يَقصدونَكَ فينـــا فـالعـــراقُ إذَنْ
طَـــريقُهُ أنتَ ، فــاسْلَمْ أنتَ لا سَلِمـوا

واللّـــهِ نَفديـكَ بـالأنفـاسِ نَحفَظُها

لـــو حـاصَـروهـا وبـالأنفاسِ نَقتَسِمُ

نُعطيـــكَ نِصْفـاً ، وَنِصْفٌ بينَ أفْـرُخِنـا

وبينَنَـا وَبِمَحْضِ المـاءِ نَـأتَـدِمُ !

لِـذا نَجـوعُ ، وَيُستَعـدىٰ على دَمِنـا

لأنَّنـا بـالعــراقِ الآنَ نَعتَصِمُ

وأنتَ مِفْتـاحُهُ فـانظُرْ مُعـادَلَـةَ الـ

أعـداءِ أنتَ ، وهٰـذي الأرضُ ، والقِيَمُ

في كَفَّـةٍ والعــراقيُّـونَ مَعْبَـرُهُم

إليكما فَلْتَصِحْ بـالنَّـاسِ يـا عَـدَمُ !

ويـا قيـامـاتُ قـومي إنْ يَكُنْ دَمُنـا

مِن أجـلِ هٰـذينِ لا تَهمي بِـهِ الـدِّيَمُ !

❁ ❁ ❁

يـا سَيِّـدي لِيَقُلْ مـا شـاءَ قـائِلُهُم

وَلْيَنتَقِمْ حِقـدُهُم أضعـافَ مـا نَقَمـوا

فَلِلعـــراقِ ، وأنتَ المُسْتَفَـــزُّ لَـهُ

نَصـونُ أرواحَنـا عن كُـلِّ مـا يَصِمُ

فـلا نُـدَنِّسُهـا بـالمُغـريـاتِ ، وَلا

بـالمُـزرِيـاتِ وَيـأبىٰ اللهُ والكَـرَمُ

فَــــإنْ تَسَـــــابَقَ بعضُ الارذَلينَ إلىٰ
خُبــزِ الحَــرامِ ، فَــإنّــا عَنــهُ نَنفَطِمُ !
واللّـــهِ صَـــدَّام ، لَـــو لَفَّتْ مَنـــازِلُنــا
بُطـــونَهـــا حَــدٌّ أنَّ الظَّهـــرَ يَنقَصِمُ
لَمـــا رَفَعْنـــا لِغَيـــرِ اللّـــهِ أعيُنَنــا
وَلا مَـــدَدْنـــا يَـــداً لِلـــدُّونِ تَلْتَقِمُ !
لَسْنـــا الّـــذينَ إذا جـــاعُـــوا ، بِلُقْمَتِهِم
يُقَـــايِضُ العِـــرضُ والأخـــلاقُ والشِّيَمُ
فَنَحْنُ أهلُـــكَ ، مـــا ذَلَّتْ شَمـــائِلُنـــا
وَلَم نَـــزَلْ مِن أقَـــلِّ العَيْبِ نَحتَشِمُ !

* * *

يـــا سَيِّـــدَ اليـــومِ والأيَّـــامِ أجمَعِهـــا
بمثـــلِ يـــومِـــكَ هٰـذا تَصْـدُقُ الحِكَمُ
حَقٌّ علىٰ الارضِ جَـــلَّ اللّـــهُ واضِعُــهُ
وبـــاطِـــلٌ بِـــكَ عَنهـــا سَـــوفَ يَنْهَـــزِمُ
وأنتَ تَـــرسمُ لِلـــدُّنيـــا هُـــوِيَّتَهـــا
وَضَـــوءُ جَـــدِّكَ في عَينَيـــكَ يَـــرتَسِمُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٢٨ / ٤ / ١٩٩٣

ادرك حـدود الصـبر ..

أفَلَتْ كـــواكِبُهـــا ، وَشَمسُـــكَ تسطـــعُ
هـــا أنتَ ذا ، وَغيـــومُهـــا تَتَقَشَّـــعُ
يَقظـان ، وَجهُـــكَ والـــزَّمـــانُ كِلاهُمـــا
فَـــرَســـا رِهـــانٍ تَستَفِـــزُّ وَيَتبَـــعُ !
يـــا مـــاليءَ الـــدُّنيـــا تُقَىً وَشَكيمَـــةً
لَـــكَ أنتَ وَحـــدَكَ زَهـــوُهـــا يَتَطلَّـــعُ
فَيُضيءُ في صَفَحـــاتِ وَجهِـــكَ كـــوكبـــاً
شُهُبُ المَجـــرَّةِ حَـــولَـــهُ تَتَجمَّـــعُ !
يـــا كبـــريـــاءَ دَمِ العـــراقِ بـــأسْـــرِهِ
وأعَـــزَّ مـــا كـــأسُ الـــرّجـــولَـــةِ تُتْـــرَعُ
ـــرَمـــاً ، وَنُبـــلًا ، واتّقـــادَ حَميَّـــةٍ
وَأجَلُّهُنَّ بـــأنَّ صبـــرَكَ أوسَـــعُ

وَيــــانَّـــكَ الحــــاني علىٰ أوجـــاعِنـــا
وُمشــــارِكُ المَهمــــومِ مــــا يَتَجــــرَّعُ !

* * *

يــــا حـــامِـــلَ الميـــزانِ ، يَعْلَمُ أنَّــهُ
هِبَـــــةٌ مِنَ الـــرَّحمٰنِ لا تُستَـــرجَـــعُ
لكن يُقـــــالُ لِمَنْ أقِيمَ لِحَملِهـــــا
يـــا رافِـــعَ الميـــزانِ مـــاذا تَـــرفَـــعُ ؟!
وَلَأنتَ أزكىٰ مَن يَقـــولُ لِــــرَبِّــــهِ
هٰـــذي يَـدي وَشِغـــافُ قَلبيَ أنصَـعُ !
يـــا سَيِّـدي فـي يـــومِ عيـدِكَ أنتَخي
بِـــكَ ، والعـــراقُ بـــأسْـرِهِ يَتَضَـــرَّعُ
أدرِكْ حـــدودَ الصَّبـــرِ لا تَتَـــزعـــزَعُ
وَأَقِمْ ظهـــورَ النَّـــاسِ لا تَتَقَطَّـــعُ
فـالسَّيـلُ قَـد بَلَـغَ الـــزُّبىٰ يـا سَيِّـدي
وَبيـــوتُ أهلِـــكَ بـــالتُّقىٰ تَتَـــدرَّعُ
أدرِكْ حـــدودَ الصَّبـــر كـــلُّ مَهـولَـةٍ
بِشِفـــارِ سَيفِـــكَ وَحـــدَهُ تَتَصَـــدَّعْ
وَلَقـــد تَحـــامَيْنـــا بِحَيْثُ فَطيمُنـــا
لا يَغْتَـــذِي ، وَرَضيعُنـــا لا يَـــرضَـــعُ

شمقا نشدّ جذوعَنا بجذوعِنا
لِنُريكَ أنَّ الرُّوحَ لا تتضعضعُ
يا أيُّها الرَّجلُ الَّذي من وَحيِهِ
صَنَعَ العراقيُّون ما لا يُصنَعُ
شَدُّوا بأطرافِ الأسِنَّةِ صَبْرَهُم
فَبِكُلِّ خاصِرَةٍ سِنانٌ يَلمَعُ!
وَيُقاتِلونَ الدَّهرَ، واسمُكَ آيَةٌ
يَتَجمَّلونَ بِها إذا ما أُدْقِعُوا
شَرَفُ العراقيِّينَ إنْ يَتَوجَّعوا
نَزَفوا دَماً، وعيونُهُم لا تَدمَعُ!

* * *

يا سَيِّدي. هَبْني كما عَوَّدتَني
لُغَةً على أوجاعِها تَترفَّعُ!
وَحَياةِ مَجْدِكَ أنتَ إنَّ قَصائِدي
بِهواكَ كُلُّ غصونِها تتفرَّعُ
وَلِذا أُحَمِّلُها شِفافِيَ قانياً
عُريانَ لا أُخفي، ولا أتصَنَّعُ
أَبِيَومِ عيدِكَ؛ وَهوَ عيدُ قلوبِنا
تُقْصيكَ عَن خَفَقانِهِنَّ الأضلُعُ

ثَكِلَتْنيَ الـدُّنيـا إذَنْ ، وَثَكِلْتُهـا
إنْ لَم تَكُنْ في خـافقي تَتَـربَّـعُ
ولِـذا أقـولُ لـكَ العـراقُ مُخَضَّبٌ
وَبِشـارِيَيْـكَ بيـوتُـهُ تَتَشَفَّـعُ
هـوَ يستَطيـلُ إلىٰ السَّمـاءِ تَحَـدِّيـاً
لكنَّـهُ بـدمـائِـهِ يَتَلَفَّـعُ
يـا قـائِـداً دَمَـهُ ، وَمَـوكبَ زَهـوِهِ
أنتَ الأمينُ عليـهِ حينَ يُجَـوَّعُ
واللّه ، حتّىٰ في ظـلامِ بيـوتِنـا
بِـكَ نَنْتَخي ، وبكبـريـائِكَ نَـدْفَـعُ
وَلأنتَ أدرىٰ بَعـدَ رَبِّـكَ بـالَّـذي
جَـرَعَ العـراقُ ، ومـا - أبِيّـاً - يَجْـرَعُ
يـا سَيِّدي ، مِن أجـلِ عِـزَّةِ نفسِـهِ
أبهىٰ بَنيـهِ إلىٰ المَنـايـا أسـرَعـوا
فـاحفَظْ ، لهٰذي الكبـريـاءِ شمـوخَهـا
في أنْ تَظَـلَّ بكبـريـائِـكَ تُشْفَـعُ
وَلَقَـد حَمَيتَ الـدّارَ ، فـاحرُسْ بـابَهـا
مِن بعضِ أيـدي أهلِنـا لا تُقْـرَعُ !

❁ ❁ ❁

يــــا سَيِّــدي ، عُــذْرَ الكـــريمِ نَجِيَّـهُ
في يــومِ عيــدِكَ لا يُقــالُ الأوجَــعُ
إلّا لأنَّــكَ أصــدَقُ الــدُّنيــا فَمــاً
في كُـــلِّ وقتٍ ، والفَتىٰ إذْ تَسمَــعُ
يــا سَيِّــدي مِن بعضِ مــا عَلَّمتَنــا
أنَّ المُحِبَّ الصِّـــدْقَ لا يَتَتَعْتَـــعُ
كــلّا ، ولا يُخفي هَــوَاجِسَ حُبِّــهِ
لِــزمــانٍ يُصبِــحُ قَــولُهــا لا يَنفَــعُ
وَلِــذا أتَيْتُــكَ يــومَ عيـدِكَ حــامِـلًا
قَلَقي ومــا لي غيــرَ حُبِّــكَ مَفْـزَعُ

* * *

صَــدّامُ ، يــا رِئَــةَ الحياةِ بــأسْـرِهــا
وَبِــدونِ خِصْبِــكَ كــلُّ أرضٍ بَلْقَــعُ
يَــومــا نُبــوخَــذْ نصَّــرٍ ، بَعــدَ الــوَغىٰ
يــومٌ بِــهِ يَبني ، وَيَــــومٌ يَــــزرَعُ
شُــرُفــاتُ بــابــلَ أُعلِيَتْ بِــأكُفِّــهِ
وَحقــولُهــا بِــأكُفِّــهِ تَتَــرعــرَعُ
وَرَفَعْتَ أنتَ لِــــواءَهُ فَبَلَغتَهـــا
عَــدَداً ، ولكنَّ المَســاحــةَ أوسَــعُ !

قاتَلْتَ أنتَ الارضَ .. كلُّ فَسادِها
وذِئابُها طُرّاً عليكَ تَجَمَّعوا
فَخَرَجْتَ مَزْهوَّ الجِراحِ، عَزيزَها
وَصِلالُهُم بَعضٌ بِبَعضٍ تَلْسَعُ
وَبَنَيْتَ ثُمَّ زَرَعتَ عُمْرَ الارضِ ما
عَدَدَ السَّنابلِ طَوَّقَتْها الأذْرُعُ
إلّا لأنَّكَ كنتَ صاحبَ زَهْوِها
وَشَذاكَ مِن جَنَباتِها يَتَضَوَّعُ!
وَلِذا وَلِلأملِ المُلوِّحِ سَيِّدي
في مُقلَتَيكَ وَلِلَّذي يَتَوقَّعُ
كلُّ العراقيِّينَ مِن يُسْرٍ غَداً
صُنْهُمْ مِنَ العُسْرِ الَّذي لا يَشبَعُ!
يا سَيِّدي بَعضُ الحِصارِ حِصارُهُم
وَحِصارُنا بِحِصارِهم يَتَقَنَّعُ!
بعضُ الخَرابِ خَرابُهُم وَخَرابُنا
عن ضِعْفِ ما فَعَلوهُ لا يَتَوَرَّعُ
وَلَأنتَ أدرىٰ يا عَزيزُ بأنَّنا
أهْلوكَ لا نَبكي، ولا نَتَخَضَّعُ

لكنْ يَحُـــزُّ، وَلحمُنــــا أنيــــابُهُم
لــلآنَ فيــهِ يُحــاولــونَ وَنَــدفَــعُ
أنّــا نَــرىٰ شَفَــراتِ مَن هُم أهْلُنــا
مِن لَحمِنــا، وَضَــحَ النَّهــارِ، تُقَطِّــعُ!

* * *

صَــدّام حَسْبُ نــدائيَ اَسمَــكَ أنَّــهُ
لَــو شــاءَني لِمَنيَّتي أتَطَـــوَّعُ!
والنّــادِبــوكَ جَميعُهم يــا سَيِّــدي
نَــدَبــوكَ إذ أنتَ الأَعَــزُّ الاسـرَعُ
وَبــأنَّ مَن يَنخــاكَ حينَ يَصيــحُ يــا
صَــدّام يَــدري أيَّ صَــدْعٍ يَصــدَعُ!
يَــدري بــأنَّ الارضَ تحمــلُ نَفْسَهــا
وَتَسيــرُ، واسمُــكَ قَبلَهــا يَتَــدفَّــعُ!
يــا سَيِّــدي المَلَكــوتُ مِن أركــانِــهِ
يَهتَــزُّ حينَ الصَّــوتُ بــاسمِكَ يُــرفَــعُ!
فَــإلَيْكَ بــاَسمِكَ أرفَــعُ الصَّوتَ الّــذي
يــأتيكَ: يــا صَدّام أهلُــكَ أجمَعُــوا
أنْ يَتبَعــوكَ .. وأنْ تكــونَ ضلــوعُهُم
سُــوراً علىٰ مَسْــراكَ لا يَتَــزَعــزَعُ

هُم يَفتَقــدونَــكَ يـا عَــزيــزُ، فَكُنْ لَهُم
نَفَســـــاً لأنَّ شَهيقَهُم لا يُسعَـــــــعُ !

❁ ❁ ❁

يــــا خـالــدَ الميـلادِ، تَمتَلِيءُ الـدُّنـا
بــــالــرّائِعــاتِ، ويـــومُ عيــدِكَ أَروَعُ
فَبِــهِ مَعــاييــرُ الــرُّجــولَــةِ تَلْتَقي
وإليـــهِ آمـــالُ الــرُّجــولَــةِ تُهــرَعُ
وَلَــهُ العــراقُ بــأسْـرِهِ يَنْــدىٰ هَــوىً
ولِفَــرطِ هَيْبَتِــهِ الضَّمــائِــرُ تَخشَــعُ
فـــاسْلَمْ سَلِمتَ، وكـــلُّ عـــامٍ نَلتَقي
وَشُعـــاعُ وَجهِكَ مِثــلُ سَيفِكَ مُشْــرَعُ !

❁ ❁ ❁

صَــدّام عيـدُكَ رغمَ كُـلِّ هُمـومِنـا
قَبَسٌ بكُـــلِّ حَيـــاتِنـــا يَتَشَعشَـــعُ
فَيُضيءُ صَبْــرَ الــرّافِــدَينِ بــأسْــرِهِ
وَقلـــوبُنـــا لِمَســـارِهِ تَتَطَلَّـــعُ ..!

❁ ❁ ❁

نشرت في جريدة القادسية في ٣ / ٥ / ١٩٩٣

اهداء

الى اخوتي

شعراء العراق

الذين وقفوا في القادسية

وقفتهم المشهورة

واضعين دمهم على راحاتهم

وهم يذودون عن شرف العراق

لغة الكبرياء

آخر حواوين القادسية

١٩٩٥

الشمس تهبط فوق بابل

« باسم العراقِ أقول

إنّ الأرضَ سوف تدورُ دورتَها

وتسجدُ مرّتينْ

للخوف ،

حين تكونُ بابلُ تحت بُرج الموت

وهي تشدُّ ألويةَ التَّحَدّي

ثمّ تسجدُ مرّةً أخرى

وبابلُ مسقطٌ للشمس

عندئذٍ

تدورُ الشمسُ حول الأرضِ حدَّ الإحتراقْ »(*)

والآن باسمك يا عراقْ

ساقولُ يا أرضُ اسجدي

فالشمسُ تهبطُ فوقَ بابلْ

إنَّ السَّنابلْ
ستقومُ من قلب الصخورْ
والشمسُ منذُ اليوم تبدأ حول كوكبنا تدورْ !

يـــا مســـتَفَـــزُّ السَّـــنـــا أطلقْ لنـــــا نـــــورَكْ
أنتَ الــــــذي في العَنـــا أشـــــعَلْتَ ديجـــورَكْ
قُـــلْ للعَيـــا والــوَنـــى لمَّـــا أتـــى ســـورَكْ

أبـــوابُـــهُ وهـــيَ مِـــنْ صُـــلبٍ ونـــارٍ ونَمْ
مـــا بينَهـــا شـــعـــرةٌ تنسَـــلُّ منها قَـــدَمْ
منهـــنَّ مـــاذا جنـــى غيـــرَ الاسى والنَّـــدمْ

وغَيـــرَ أن أصـــبحتْ أوصـــالُـــــهُ مَحصَـــدْ
أبـــــوابُنـــا كلُّهـــا كـــانت لـــهُ مَـــرصَـــدْ
يـــا زهـــوَ مَـــن صـــانَهـــا يـــا زهـــوَ مَن أوصَـــدْ

كـانت نفـوسـاً ضخامـــاً جلَّ بـــاريهـا
الكبْـــرُ بـــائعُهـــا ، والكبـــرُ شـــاريهـا

بيتاً فبيتاً تناخَتْ من مَرابضها
وبَيرَقاً بيرَقاً جاشَتْ صَواريها

وكان صدامُ في أسوارها غَبَشاً
يَلوي شِعافَ الدَّياجي عن ذَراريها

بين الظلام وبين الفجرِ قامتُهُ
سيفٌ تقومُ له الدُّنيا وما فيها

وكلُّما ارتطمَ الغَيمان كان لهُ
برقٌ يُزيحُ المنايا عن مجاريها!

فيترك الليلَ مذبوحاً بظلمتِهِ
ويجعلُ الشمسَ شمساً جَلَّ واريها

تسعين شهراً نواعيرُ الدماء بها
ما أخلدَتْ ليلةً أصواتُ جاريها

تسعين شهراً ونَيْفاً لا الرَّصاصُ غَفا
ولا المنايا تَخلَّتْ عن مَذاريها!

وأنت تسري بلُبِّ الهَولِ أجنحةً
اللّهُ يعلمُ ماذا قلبُ ساريها

حتى ركزْتَ بعالي الريح بيرَقَنا
وقلتَ للشمس: ها شمسي فَجاريها!

والآن ،

بأسمِكَ يا نؤابةَ زهوِها ،

واسمِ العراق

بأسم الكرامةِ في العراقْ

بأسم الذين بلَيلها

ملأوا الشوارعَ بالهتافِ وبالرصاصِ وبالعناقْ

وهم الذين دماءُ إخوتِهم ..

بِما أولادِهم كانت صَداقْ

لِشَذا تُرابِكْ

الآن بأسمِكَ والمجَرَّةُ كلُّها وَقَفتْ ببابِكْ

ساقولُ يا أرضُ اسجدي لبيوتِهم داراً فدارْ

حتى يضجَّ بكِ المدارْ

هذي البيوتُ ،

دماءُ فِتْيتِها عليكِ إلى القرَارْ

سالَتْ فأمسَكت الجذورْ

وتَشبَثَتْ بالنَّخل حتى لا يميدَ ، ولا يدورْ

كانت دماؤهم النَّذورْ

والنصرُ نصرهمو ،

وأكرمُ شاهدٍ تلك القبورْ

في أرضِنـــــا لا تَسَـــلْ   مَن نـــــاح .. مَنْ غنَّى
إنَّ الظُّبــــا والاسَـــلْ   مــــــا حدَّثتْ عنَّـــا
أنّـــــا نَـدوفُ العسَــلْ   بـــالـــدَّمـعِ .. أو أنّـــا

نبكي على مَن هـــــوى   فـــي ليلنــا فَـــرقَــدْ
نـــــدري بـانَّ الهـوى   يبقـى لـه مَـــــــرقَـدْ
عُمْـرَ الاسـى مـا طـوى   جُــــــرحـاً ولا أرقَــدْ

لكنَّنــــا فــــي القِـرا   نكســو أســـاميـنــــا !
وفــي جـــراحِ الــورى   ننســـــى نَواميـنــــا
نبقى بهـــذي الــذُّرا   صِـيــداً مَيــاميـنـــا

نكســو فجاجَ العــراقِ الشُّمَّ نَخـوَتُنـا
وتستــوي فـوقهـا حُمـراً مَـواضينـا
إنّـا إذا ما غضَضْنـا الطَّرفَ عن سَفَـهٍ
فـلا يَغُــرَّنْ معتـوهـاً تَغـاضينـا
فَنِصفُ مــا في العــراقيّين غيـرَتُهم
ومــا تبقّى بمُ عنهـا يُقـاضينـا !

ولا وصـــدّام، لـو لم يَـزِمِ حـاضـرُنـا
لَنـــالَنا قبـلَ نَيْلِ الفُـرسِ مـاضينـا
لَقيـــلَ أعطى العـــراقيّـــون أُختَهمـــو
ولا، ويـــا ويـــلَ مَنْ يَغفـون راضينـا

فـــأُختُنـــا أُختُنـــا مِكحـــالُهـــا نِمَّـــه
يجـري بنـــا كحلُهـــا للمـــوتِ والقمَّـــه!
صـدامُ يـــا زهـــوَهـــا يـــا عـــاليَ الهِمَّـــه

ألبَسْتَ كـــلَّ العــراقيـاتِ مـــأثـــرةً
إنْ هَلهلَتْ حُـــرَّةٌ يـــومـــاً لحـــاميهـــا
أنَّ العـــوادي إذا مـــرَّتْ مـــوارَبـــةً
عـــرَفْنَهـــا من سمـــاتٍ في نَواميهـــا
تقـــولُ أختُ الفـــراتِ الحـــرُّ زاهيـــةً
لأختِ دجلـــةَ: ذي صـــدام راميهـــا!
يـا سيّدَ النَّصـر، ليس النَّصر معجـزةً
لكنْ طـــريقتُـــهُ الـــزَّاهي تَســـاميهـــا
أنَّـــا بـأزكى الـــدِّمـا سُقنـا غمـامتَـهُ
ليَستَقي قـــاتِلـــونا من هَـــواميهـــا!

ليستقي قـــاتلـــونا من هــــواميهـــا
لا باس يا وطني
ما زلتَ أكرمَ مَن أعطى مدى الزّمنِ
طوبى لحَسمِكْ
والآن باسمِكْ
ســـــأقـــولُ إنَّ السّلمَ لم يـــــوهَبْ
ولكنّـــا سَحَبنـــا الغيمَ من شَعَفـــاتِـــهِ
فَجَثـــا وأمطَـــرْ
وأقـــول إنَّ الشمسَ لم تُشـــرقْ إلى أن
جِلـــدُ كـــلِّ الغيم من عطشٍ تفطَّـــرْ!
أمّـــا وقـــد بـــزغتْ كمـــا شئنـــا
فـــإنَّ شُعـــاعَهـــا هيهـــات يُحبَسُ
أو يؤطَّـــرْ

نشرت في جريدة القادسية في ٥ / ٩ / ١٩٨٨
(*) افتتاحية لقصيدة « أمواج الدم » ـ المربد ١٩٨٥ .

اعط السلام سلاما أيها الرجل

نَيْفاً وتسعينَ شهراً أنت تشتعلُ
أطفىءْ ، فقد أيبَستْك النارُ يا رجلُ !
سَكْبَ المَزاريب أضلاعاً وأوردةً
تسعون شهراً تَوالَتْ وهي تنهملُ
حتى غدا كلُّ حرفٍ حين تكتبُهُ
يكادُ حتى مع الاوراقَ يقتتلُ !
أطفيءْ ، فانَّ جراحِ الكونِ أجمعَها
تغفو إذا جرحُ هذي الأرض يندملُ
أطفيءْ ، فكلُّ نَواةٍ وَسْطَ تَمْرَتِها
تكادُ للمطرِ الموعودِ تبتهلُ
أطفيءْ ، فكلُّ لظىً مهما سَجَرْتَ لهُ
يَؤولُ يوماً رماداً ، ثمَّ يرتحلُ

يبقى شروقُ السَّنا تبقى غَضارتُهُ
يبقى الهوى والفِوى والزُّهو والأملُ
يبقى الأطيافُ ما رَنَّتْ جَلاجِلُهم
والليلُ والمَيلُ والأشواقُ والغَزلُ
أطفيءْ، فللموتِ أجراسٌ مؤقَّتةٌ
أمّا الحياةُ فإيقاعاتُها أزَلُ!

* * *

يا ليلَ بغداد هل نجمٌ فنسألُهُ؟
وهل يَردُّ على السَّارين لو سألوا؟
هذي مِياهُ بني عمّي، جداولُها
من كل جَذبٍ إلى أنهارنا تَصِلُ
مسائلاتٍ، وقد حَلَّتْ ضفائرَها
بغداد، من رَهَجِ النيرانِ تَغتسلُ
يقُلْنَ: هل أيقظَتْ بغدادُ غافيَها
ولِلكَرى بَعْدُ في أجفانِهِ وَشَلُ؟
هل ليلةٌ أرِقَتْ..؟.. هل ليلةٌ قَلِقَتْ..؟
هل رابَها أنَّهم عن هَمِّها شُغِلوا؟
وقيلَ: هل غامَ دمعٌ في محاجِرِها؟
وكيف تُمطرُ دمعاً هذهِ المُقَلُ؟!

وشـاطئـا دجلـةَ الهَيْمـان .. هـل رَجَفـا
ليــلًا ، وقـد مَسَّ مصبـــاحَيْهمـا البَلــلُ ؟
أم أنّهـــا ، قَلقـــاً من خـــوفِ رِقْبَتِهـا
تـــأتي المـويجـاتُ أزواجـاً ، وتنفصـــلُ !
مُخلِّفـــاتٍ على الجـــرفَينْ أســـوِرَةً
كُحــلًا مرايـا تشَظّى بينها الخجَـلُ ؟!

* * *

أبنـاءَ عمّي سَلـوا بغـدادَ عن دمِهـا
وكـــان مثـــلَ اتِّصـــالِ المـاءِ يَتُّصـــلُ
هل رِيعَ دجلةُ ..؟ .. هل فزَّتْ شواطئهُ ..؟
هل فزَّ في الليلِ تحتَ السُنْبلِ الحَجَلُ ؟
هل طأطأت نخلةٌ للأرض ..؟ .. هل جَفلَتْ ؟
إن كان هذا ، فأهلُ النَّخــلِ قد جَفَلـوا !
الحمـــدُ لله ، لم تَبـــرخ مَنـــائـرُنـــا
مَهيبـــــةً بجـــلالِ الله تُشتمـــــلُ
لم تبرح الشمسُ في بغداد ، مـا طلَعَتْ
ضيــاؤهـــا بِـــدِمـــا أولادِنـــا خَضِـــلُ
مهـــابـــةً وجمـــالًا ، لا مُكـــابَـــدَةً
أولادُنـــا استُشهِـدوا في اللّـهِ مـا قُتِلـوا

ها زَهوُهم ها شَذاهم ها بَيارِقُهم
وها سَناهم يُلالي بعدَما رحلوا
وها مَدارجُنا من كِبْرِهم مُلِئَتْ
كِبْراً، وتحت سَناهم نحن نحتفلُ!

* * *

آمنتُ بالله إنَّ الشرَّ ما شُحِذَتْ
أنيابُهُ، فإلى أصحابِهِ يَئِلُ
وإنَّهم، ما أطالوا عُمرَ جَذوَتِهِ
بحقدِهم فَلَها من سُمِّها أَجَلُ
ويشهدُ الله أنّا معشرٌ أنُفٌ
لكنَّنا بعقالِ الصَّبرِ نعتَقِلُ
حتى إذا مالَ غُولُ الشَّرِّ علَّمَهُ
أهلُ العراق النَّشامى كيف يَعتدِلُ!
ها نحن بعد ثمانٍ لا شروقَ بها
ولا غروبٌ، ولا فَجرٌ، ولا طَفَلُ
طوفانَ نوحٍ ولكنْ، كلُّ ماطرةٍ
بالنارِ والدَّمِ لا بالماءِ تنهطلُ
قُمنا لها، وركَزْنا في مَخاضَتِها
قاماتِنا حَدَّ أنْ ضاقَتْ بنا السُّبُلُ

حتى دَفعنا جدارَ الموتِ عن دمِنا
أمّا بماذا دفعناهُ، فلا تَسَلوا !
قُبَيْلَ شهرٍ على جدرانِ حارتِنا
لوحدِها، ألفُ «باسم الله» تَنسَدلُ
وتحتهنَّ أسامي خيرِ إخوَتِنا
وخيرِ أولادِنا بالموتِ تكتحلُ !

* * *

أبناءَ عمّي وما زلنا مُكابَرَةً
عن جُرحنا بجراحِ الناسِ نَنشغلُ !
فَجيعةُ الصّبرِ فينا أنّنا أبَداً
نبقى نُحمّلُهُ ما ليس يَحتملُ
ولم تكنْ ليلةً أو ليلتيْ قلقٍ
لكنْ ثلاثةَ آلافٍ بها نَزلوا !
وكلُّ ليلةِ هَولٍ بعدَها غَبَشٌ
ممّا يُخَبّيءُ في أضوائِهِ خَجِلُ !
ونحن نسألُ: هل غامَتْ محاجرُها ؟
يا دمعَ بغداد أهلُ المجدِ كم بذَلوا ؟!
الحمدُ لله أنّا، ما نَجَتْ مِحَنٌ
لسنا على غيرِ هذا البيتِ نتّكلُ !
وأنّنا، عُمرَنا، لم نَلتفتْ جَزَعاً
والموتُ يدنو ولم نُذهَلْ كما ذُهِلوا

لكنْ توسّدَ كلُّ بندقيّتَهُ
فليس إلّا إلى ناظورها يَكِلُ !
كنّا كباراً وَرَبُّ البيت ميزَتُنا
أنّا فعَلنا كما آباؤنا فَعلوا
ومثلما نشر الإسلام رايتَهُ
بالسَّيفِ فانصَدعوا بالسَّيف وامتَثَلوا
ها نحن ننشرُ للإسلام آصِرَةً
عَدا عليها بَنو ساسان فانخَذَلوا
معنى السَّلام لألفِ سوف تشكرُنا
ايرانُ حين يَزولُ الكُفرُ والدَّجَلُ
أنّا دَفَعنا عن الإسلام عندَهمو
أنْ لا إلى رِدَّةٍ يسعى به هُبَلُ !

* * *

مُستَفعلُن فاعلُن مستفعلُنْ فَعِلنْ
مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُ !
هل دارت الارضُ فاختلَّتْ مَعالُمها ؟
أم المَوازينُ في شِعري بها خَلَلُ ؟
إني سمعت نداءً لا أصدّقُهُ
ومن يُصدِّقُ أنْ يَستَنجدَ الجَبلُ ؟!

يـا سائـلًا : هل بكتْ بغدادُ من وَجَعٍ ؟
الآن بغــداد تبكي وهي تحتفــلُ !
الآن ، إذْ صَهَــواتُ النَّصـرِ عــاليــةٌ
وبــزَّةُ الحــربِ عن صــدام تَنْهَــدلُ
الآن يُصــدَعُ بيتُ الكِبرْ .. ؟؟ .. لا سمَحتْ
يَــدُ العــراق ، ولا مِعيــارَةُ الجَلَــلُ
يــامَن نفــوسُ العــراقيين أجمعُهــا
وِقــاؤهُ كيف يَــرضى اللّــهُ والمُثُــلُ
أنّــا نعيشُ ســلامــاً أنت صــانعُــهُ
في حين بيتُــكَ بَزْلَ الثّــوبِ يَنبــزلُ ؟!
وكيف يــا واهبَ النَّصــرِ العظيمِ لنــا
تــرضى بِذروةِ هــذا النَّصــرِ ننخَــذلُ ؟
أكــانَ هــذا امتحــانَ الله .. ؟ .. نَقبَلُــهُ
لكنْ معــاً كلُّنــا للّــهِ نمتَثِــلُ

يــا سيِّدي كــلُّ نفسٍ قبلَــكَ امتُحِنَتْ
حتى الأئمَّــةُ ، والأسبــاطُ ، والــرُّسُــلُ
ولم يقُــلْ ربُّ إسمــاعيل خُــذْ دَمَــهُ
لكن فَــداهُ ألا تَفديــهِ يــا رجُــلُ ؟

مــــاذا يقـول العـراقيّـون لـــو سُئِلـوا ؟

مــــاذا يُقـــال لصـــدام الـــذي حَمَلـــوا

بين الضّلـــوع ؟ .. وَمَن أضفاهُمـو دَمَــهُ

وحُبَّـــــهُ ، وإلى أحــــلامِـــــهِ دخلـــــوا

هــــذا الـــذي مَـــلأتْ فَـــلّاحـةٌ فَمَــهُ

خبـــزاً ، ومَن كلُّهم من كفِّـــــهِ أكلـــوا

مـاذا يقـال ؟ .. أجَــلْ ، جـاءتْ مُسَــدَّدَةً

وهكـــذا أبـــداً تـــأتي لنـــا الفِيَـــلُ

لكنّنـــــا يـــــا كبيــرَ القلبِ نَفــزعُ أنْ

تقـولَ أهلي العـراقيّـون مـا فَعلـوا ؟!

هــــو امتحـانٌ لنـــا أيضـاً يـ مروءتنـا

وحبُّنـا في امتحـانٍ لا تَقُـلْ فَشِلـوا

بنـــــو أبيك العــراقيّون ، مـــا خفَضــوا

هـــامـاً ، ولا نُكِسَتْ يـومــاً لهم عُقُـلُ

هِيَ محنَـــةٌ كلُّنــا صــدام عــابـرُهــا

فَهَبْ أخـانا لنا ، وافصِلْ كما فَصَلوا

لقــــد صنعْتَ ســـلامــاً ، فــارفِقَنَّ بــهِ

أعطِ السَّـــلامَ سلامـاً أيُّهـا الـرّجـلُ !

* * *

عُـــذراً بني عمِّنـــا أنّي بمَحضَـــرِكم

فَجَّـــرتُ مـا في ضميـرِ النـاسِ يَعتَمـــلُ

أجـــل تَجَـــرّأتُ ، لكنْ جـــرأةٌ دمُهـــا

يجـــري ، وتَسبيحُهـــا لله يَبتَهـــلُ !

❁ ❁ ❁

شكـــراً لأبنـــاء عمّي ، أنَّهم وَصَلـــوا

شُكـــراً لهم أنَّهم في بيتهم نـــزَلوا

شُكـراً على كلِّ ما قـالـوا ومـا فعلـوا

ومـا تنـادَوا ، ومـــا نـادَوا ، ومـا كفَلـوا

أبنـــاءَ عمّي ، وَمِن أنـــدى جوانحِنـــا

يهفـــو إليكم ســـلامٌ عـــاطِـــرٌ ثَمِـــلُ

يَجيئكم ليقـــولَ الآن يـــا رُسُلي

للنـــاسِ أيّامَ عـــزَّتْ عنـديَ الـــرُّسُـــلُ

الآن لن تَحملـــوا عبءَ الـدِّمـاء لنـــا

مِ الآن حِمـــلُ العـــراقِ الحُبُّ والأمَـــلُ

والسّلمُ ، والعلمُ ، والأفـــراح ، والغـــزلُ

ورايـــةٌ حـــرّةٌ حَمّـــالُهـــا بطـــلُ

ونحن ، أبنـــاءَ عمّي ، لا نقـــول لكم

إلا الـــذي قـــالت الأخـــلاقُ والمُثُـــلُ

هـــذي بـلادُكُـمو، مـا تَحملـون لهـا
فمثلَـــهُ قبلَكم أجدادُكُم حمَلـــوا !

* * *

أُلقيت في افتتاح مهرجان المربد عام ١٩٨٨

لغـة الكبريـاء

بـــاسمِـــكَ الآنَ يـــا سيّـــدَ الشُّعـــرِ
أبـــدأ مُنعَطَفَ الابجـــديـــةِ في لُغَتي

إنَّ قافيَتي
بعـدَ تسعينَ شهـراً من الحنظَـــلِ المُـرِّ
لن تتبَـــدَّلَ في ليلـــةٍ عسَـــلَا
إنَّ بي جبَلًا من دمٍ لا يُناخ
وبي غابةٌ للصُّراخ
فإنْ أدَّعِ الآن أنّي ساجعلُ من كلِّ جرحٍ نزَفْ
جَرَساً ،
وأعلِّقهُ في أعالي السَّعَفْ
فانا ما رأيتُ إذن ولدَيَّ يَشبّان مِن عُمر عَشرِ سنينْ
إلى أن تلألأت الشمسُ فوق سلاحَيهما

فرأيتُ دمي يملأ الأرضَ
بَيْنا هما يُنشدانِ معَ المُنشدينْ ..

هل تَجرّأتُ يا سيّدي ؟
إنَّ نَهرَيْ حياةٍ وموتٍ
تَجمَّدَ بينَهما الدّمُ
هل أجعل الشِّعرَ بينهما بَرزَخاً ؟؟

يا عراقْ
يا أميراً على النَّفْسِ والنَّفَسِ المُتَردِّدِ بين الحَنايا
يا مَهيبَ المَنايا
أنتَ يا من هَزِزْتَ إليكَ جميعَ النَّخيلْ
وساقَطْتَ عَدَّ الحصى شهداءً
وأجبرتَ بالدَّمِ كلَّ الخطايا
أن تلتقي أوجُهاً ومَرايا !
يا عظيمَ الضَّحايا
باسمِكَ الآنَ أبدأُ مُنعَطفَ الابجديّةِ في لُغتي
سَأميلُ على رئتي
كلُّ أوردتي

سوف أربطُ أعناقَها
قاتلًا وقتيلْ
وسأمنَعُها أن تسيلْ
ولتكُنْ مُفرداتي بك الآن
أشرِعةً للرَّحيلْ

هل رأى أحَدٌ عرَباتٍ وأغطيةً وَدروعاً
تَراكَضُ مِن بينِ أوراقِهِ ؟
كلَّما خَطَّ حرفاً
رآهُ يُكوّرُ هَيئتَهُ
يتحوّلُ سُرفَةَ دبّابةٍ
مِدفعاً ، ثم يركضُ
الكلماتُ تصيرُ جنوداً وتركضُ
يَسمعُ صوتَ الرَّصاصِ
هديرَ المَدافعِ
يَسمعُ حتى صراخَ الجنودِ
يَهبّونَ أو يَسقطونْ
غيظَهم ..
وأنينَ جراحاتِهم

يُبصُر الدَّمَ بين السطوزْ
ويَرى وَلَديهِ
عتادُهما فوقَ ظَهْرَيهما
وهما يركضانْ
ويرى النارَ حولَهما والدُّخان ..
هل رأى أحدٌ مثلَ هذي الرؤى
وهو يكتبُ ؟؟
نحنُ رأينا
ويا ما صَرخنا
ويا ما بَكينا
ولكنْ أصابعُنا بقيَتْ
ولتِسعينَ شهراً
بأقلامِها مُمسِكه
إنّها مَعرَكه
والعراقُ الرّهانْ
ما الذي يتَبقّى ليُبصَرَ مِن رجلٍ
زوجُهُ بين عينَيهِ تُغصَبُ
أو تُزدَرى .. أو تُهانْ .. ؟

ونحاولُ أن نتَجاوزَ هذي المرارةَ في شعرِنا
في العراقْ

ما نرى ،
ما نفكّرُ ،
ما نتحدَّثُ
هذي الأكُفُّ التي ضُفِرَتْ
لثماني سنينٍ
أصابعُها بالبنادقْ
والجذوعُ التي اخضَوضَرتْ في الخَنادقْ
فصارَ لها ورَقٌ وجذوزْ
ستحاولُ أن تتجاوزَ مِحنَتَها
بعدَ تسعين شهراً قضَتْها بتلك القبوزْ

ربَّنا اغفِرْ لنا زَهوَنا
وامتحِنْ رَهوَنا
بعد أن نصرَ الحقُّ صاحبَهُ

نحن لا ندَّعي الجَبَروتْ
ولا ندّعي الملَكوتْ

قابلٌ كلُّ ضلعٍ بنا أن يموتْ
ولكنَّهُ لا يُسلِّمُ أنفاسَهُ للمنيَّةِ
إلّا وآخرُ رفّاتِهِ سَتَرتْ مَوضعَ القلبِ
مِن تحتِها
قبلَ أن تَنتهي للسكوتْ ..!

وبهذا حفرنا خَنادقَنا
وبهذا حمَلنا بنادقَنا
وركَزنا على جَبهةِ الشمسِ تسعين شهراً بَيارِقَنا
وبهذا انتصَرنا

فإذا ما الحروفُ بأقلامِنا أصبحَتْ رُجُما
والرُّؤى سُدُما
وإذا أيُّنا
ضرَبتْ فأسُهُ الأرضَ عن كأسِ ماءْ
فتفجَّرَ مِن تحتِها مَنبَعٌ للدِّماءْ
فذاكَ لأنّا
ثلاثةَ آلافِ فجرِ
نَظرنا الى الشمس

ما أشرَقَتْ مرَّةً دون أن نُبصرَ الدَّمَ فيها
ولا غَرُبتْ مرةً دونَ أن نُبصرَ الدمَ فيها
وثلاثةَ آلاف ليلٍ
نظَرنا ،
ونحنُ ننامُ على أسطُحِ الدّورِ
نحوَ الظلامْ
نُراقبُ فيهِ وَميضَ القذائفِ تَسقطُ في الطُّرقُاتِ
وفوقَ البيوتْ
فنحسِبُ كم بيتاً انهَدَّ
كم غافياً ماتَ
لم يَدْرِ حتى لماذا يموتْ ..

في الطريق إلى عملي كلَّ يوم
كان همّيَ أن أتأمّلَ جُدرانِ كلِّ البيوتِ القريبةِ
من بيتِنا
كلَّ فجرٍ أمرُّ بلافتةٍ ونعيٌّ جديدْ
وأغالبُ نفسي ،
ولكنْ برُغميَ أنظرُ لاسمِ الشهيدْ

ثمَّ تَهمي دموعي
ذلك الدَّربُ من حيِّنا
لن يُلاقيَني بعدَ هذا الصباح بهِ أحَدٌ
لن يُسلِّمَ مِن أحَدٍ ،
أو يَردَّ عليَّ السلامْ ..
وأحاولُ عن بيتهِ الإبتعاد
فأسمعُ صوتاً يُصبِّحُني
ثمَّ أُبصرُ أولادَهُ يخرجون الى المدرسة
وهمو يَرتَدون السَّوادْ ..

قبلَ شهرَينِ ..
جاريَ بيتاً لبَيتْ
نُقِلَتْ للمَصَحِّ بقيَّتُهُ
وهو يَهرفُ
يُقسمُ أنَّ الشياطينَ تحملُ مسبحةً
أنَّهُ ،
وهو شيخٌ عجوزْ
حين صلَّى قُبيلَ شهورٍ بقبر الرسولْ

جاءه هاتفٌ ،

ظلَّ وجهاً لوجهٍ يقولْ :

يا أمينْ

قُلْ لأهلِكْ

قُلْ لجيرانِكم أجمعينْ

مَن لَهُ ولَدٌ ،

فَليُعَلِّمْ يَدَيهْ

وليُعَلِّمْ لهُ قدَمَيهْ

وَلْيُخبِّىءْ علامَتَهُ في مكانٍ أمينْ

فسيأخُذُها مَعهُ

حين يذهبُ في الذاهبينْ ..

قبلَ يومينِ جاءوا لبيتِ أمينٍ بجثمانِ

أوسَطِ أولادِهِ

وهو مُتَّشِحٌ بالعَلَمْ

قالت الجُندُ

يا حاج

كان يُقاتلُ قُدّامَنا أسَداً

غير أنَّ أمين
حين كشَّفَ تابوتَهُ
ضجَّ بالصَّوت :
هذي العظامُ القليلةُ ليسَتْ هيَ ابني
جَمَلًا كان
أطولَ منِ نخلةٍ
ثمَّ ..
في ساق سَعدون كَسْرٌ
وليسَت هنا ساقُهُ
انَّهُ دونَ ساقٍ !

يا عراقْ
لم تكنْ بَطَلًا بالتَّباهي
ولا بطلًا في المقاهي

منزلًا منزلًا
قد رأينا ليالي مُريعَهْ
وخُتِمنا لأعماقِنا بالفجيعَهْ

ولكنّنا ما انحنَينا
وحين جرى كلُّ عِرْقٍ بنا
ما ذَوَينا
بل رأينا أصابعَنا
كلَّما النَّزْفُ زادْ
تتَخشّبُ فوقَ الزِّنادْ .. !

نملكُ الآنَ زهوَ الفراتَينِ أجمعَهُ
أنَّ ماءهما ظلَّ ماءْ
فلم يصطَبغْ بالدِّماءْ
ولا الحبرِ ثانيةً ..
وبَلى ،
قد خضَبنْا الضِّفافا
إنَّما ماؤنا
ظلَّ ماءً مُعافى
وبهذا سنبدأُ منعطَفَ الأبجديَّةِ في شِعرنا
في العراقْ

إنّها لغةٌ ليس فيها مِراءْ
كيف يملكُ أن يكتبَ الشُّعرَ
مَن يفقدُ الكبرياءْ ؟!

ألقيت في يوم الشهيد في ختام المربد عام ١٩٨٨

كوني حكيمي
وكوني بَعدَها حَكَمي !

في مصـــرَ، لاتمـــلأنّ الشِّعــرَ بـــالحِكَمِ
خَفِّفْ قليـــلًا عنِ القـــرطـــاسِ والقلمِ
فمصـــرُ دَهشَتُـــكَ الكبـــرى ، وأعظَمُهـــا
أنْ في ضميـــرِكَ منهـــا هَيبـــةُ الحَـــرَمِ
إنْ انتَ لم تَـــرتجِفْ حتى الشّغافِ لهـــا
فمـــا وقـــوفُـــكَ بينَ النِّيـــلِ والهَـــرَمِ ؟!
ومـــا ادّعـــاؤكَ أنّ الشِّعـــرَ مُعجـــزةٌ
إنْ انتَ عَقلَنْتَ فيــــــه ذُروةَ الحُلُمِ ؟!
لا تُلبِس القلبَ عقـــلًا كي تُبـــرِّئَـــهُ
قـــد يُصبحُ العقـــلُ حيناً أكبـــرَ التُّهمِ !

* * *

يا مصرُ، يا سطوةَ المجهــولِ في قلَقي
ويَعضُ مجهـــولِ خـوفي مُــوحِشُ القِـدَمِ
أزورُ مـــا جئتُـكِ الاهــرامَ أقبَـعُ من
عَينَيْ ابي الهـولِ في مَـرمـاهُمـا الهَـرِمِ
مُحَملقـــاً فيـه .. لا صــوتٌ، ولا نفَسٌ
حتى لَاحْصي دبيبَ الـــدَّهـرِ في الاكَمِ!
وتُسـرعُ الأرضُ، تطـوي كـــلَّ أعصُـرِهـا
فتُـــوقظُ المـــوتَ والمـــوتى من العَــدَمِ

كمْ مـــرَّ في هـذه الـدُّنيـا من الامـمِ؟
كم دارتِ الارضُ ..؟ كم ريعَتْ فلم تَنَمِ؟
كمْ أطلعَتْ سُنبُـــلًا مُــرّاً من الألمِ؟
كم مـرّةً صـاحَ صـــوتُ اللّــهِ في إرَمِ؟!
والأرضُ تَطـوي أمـامي عُمـــرَهـا فـأرى
عينَيْ ابي الهـولِ مصبـاحَينِ من ضَـرَمِ
وأبصـــرُ الشمسَ تهـــوي خلف قُبَّتهـــا
وحـــولَهـا مِن جـراحِ الأرضِ بَحــرُ دَمِ

هـــذا وأوصِيتُ أن أنـــأى عن الحِكَمِ
وانْ أفيءَ لِبُــــــرئي لا إلى سَقَمي
وأدَّعي انَّ لي في مصــرَ صَــومعَــةً
أقسَمتُ فيهـــا ، ومـــا حُلَّلتُ منْ قَسَمي
انَّ « الشَـرابيّـة » السّهـــرى سأجعلُهـــا
وَجهي ، ومـــا أنـــا من عَبّـــادةِ الصَّنَمِ
لكنْ أسبِّـــحُ وَجــهَ اللّـــهِ في بَشـــرٍ
فيهم مِن اللّــهِ مـا في مصـرَ من كَـرَمِ !

فهَـــلْ تـرانيَ قــدْ أسرَفتُ في حُلُمي ؟
هل بالغَثّ مصرُ أم بالَغثُّ في عَشَمي ؟
إني تَخِـــذْتُــكِ مثــلَ الضّلـع مِن رئتي
قــوساً على الـروح ، لا خوفـاً من الألَمِ
لكنْ لأبقى مُعــــــافى في ذُرىً وَجَعي
بمـــا تَــرشّين من ضَـــوءٍ على ظُلَمي
وبعضُ عـــافيَتي أنْ كـــلُّ مـــائلـــةٍ
في داخلي ، إنْ تُمَـــرَّرْ فيـــك تَستَقِمِ !

اني ارتضَيتُكِ ميزاني وبوصَلَتي
كوني حَكيمي، وكوني بعدَها حَكَمي!
وبي من الكِبْرِ ما لو كان بي عطشُ الـ
دنيا وقيل انفطِمْ رزّاقُ أنفَطِمِ!
يا مصرُ لا يَقتلُ الانسانَ أجمعَهُ
فرطُ الهُزالِ، ولكنْ شدَّةُ الوَرَمِ
ونَحنُ في زمنٍ آذَتْ مروءتَهُ
لا قِلَّةُ الناسِ، لكنْ قِلَّةُ القِيَمِ!

* * *

يا مصرُ، يا مصرَ أهلي، عُمرَ قافيتي
لم تَنتسِبْ لِفمٍ في الأرضِ غيرِ فَمي
اذا قَرأتُ فصوتي وحدَه قَدَري
وانْ سَكتُّ فصَمتي وحدَه أجَمِي
ولا ألوذُ بهِ خوفاً، ولا تَرَفاً
لكنّني أُشهِدُ الدنيا عَلى سأمي
هذا زمانٌ يصيرُ المرءُ محضَ دمٍ
أوْ لا فيصبحُ مأخوذاً بألفِ دَمِ!

* * *

يا مصرُ، ياما رَكّبنا صَهوةً شطَطاً

ياما سَرَينا بلا سَرجٍ، ولا لُجُمَ

وكانَ أجملَ ما فينا براءتُنا

فلمْ نُخطِّط، ولم نَعتِبْ، ولم نَلُمِ

كُنّا نُصانِفُ حتى موتَنا عجلًا

فلم يَقمْ ليلاقينا، ولم نَقُمِ!

أغلى مَواعيدِنا كانَت موُجَّلةً

ما دامَ حالمُنَا في نَشوةِ الحُلُمِ

ثمَّ استفَقنا على ماذا؟.. مُكابرةً

نقولُ أنّا بلَغنا مَبلغَ النَّدَمِ

ماذا أخَذنا منَ الدنيا، وثَروتُنا

وهمٌ على القاعِ بين البانِ والعَلَمِ(*)

وباسمِهِ، وهو وهمٌ، قد يُحلُّ دمُ

رأيٍ بِمانا ولو في الأشهُرِ الحُرُمِ!

يا مصرُ صحراءُ هذا العمرِ أجمعُها

آثارُنا فوقَها مخضُوبَةُ القَدَمِ

تَجري الحياةُ بنا عَجلىٰ مُبعثرةً

جريَ الغمامةِ في مُستَنفرِ النَّسَمِ

وَلا نقـــولُ لــدامي جُـــرحِنـــا التَئِمَنْ
مَـــا دامَ في النـــاسِ جُــرحٌ غَيــرُ مُلتئمِ
وذاكَ انّـــا شَـــدَدْنـــا كـــلّ آصِـــرةٍ
فينـــا بِهم شَـــدّةَ الاوتـــادِ بـــالخيَمِ!
يَـــا امَّ شـــوقي، وشـــوقي حينَ أذكُـرُهُ
يكـــادُ يَخشـعُ حتى الحِبــرُ في قلَمي!
مَـــا زلتِ في كـــلِّ يـــومٍ تَحملينَ لنـــا
بشـــارةً قِمّـــةً تعلـــو عَلى القممِ
وتَمـــلأينَ الـــدّجىٰ والـــرّمـلَ هـــاطلـــةً
تَهمي، وفيصَـــلَ بَـــرقٍ غيـــرَ مُنثَلمِ
حتّى تُضِيئي وتَسقي كـــلَّ مُـــوحَشَـــةٍ
وتُـــوقظي النّســـغَ في بـــوّابـــةِ العَـــدَمِ

* * *

يـــا أُمَّ محفـوظ، كمْ من كـــوكبٍ عجَبٍ
أطلعتِـــهِ من ظـــلامٍ مُـــوحِشِ العَتَمِ
فضـــاءَ حتى كـــأنّ الليـــلَ قبّتُـــهُ
لِمـــا أحـــاطَ بمســـراهُ من السُّـــدُمِ
مشعْشِعـــاً، كـــلُّ قلبٍ منـــه في وهَـــجٍ
وكـــلُّ غفـــوةِ عينٍ منـــه في حُلُمِ

إنْ كـــان مَجـدَ عظيمٍ نبـلُ جـوهَــرِهِ
فمجـدُ محفـــوظَ فينَــا بـــالِــغُ العِظَمِ

وذاك انَّ العِظـــامَ استنبَطــوا مُثُــلًا
منَ الحيــاةِ، وأحيــاهَــا مِن الـرِّمَمِ!

هـــذا الـذي مَـا رأىَ نفساً مُعــذَّبــةً
إلَّا وكـــانتْ لَـــهُ أدنى من الـــرَّحِمِ

كَـــأنَّمـــا روحُــــهُ التَّعبىَ مــــوكَّلَــةٌ
بكــلِّ مــا فـوقَ سطـحِ الارضِ مِن ألمِ!

* * *

يَـــا أيُّهـــا العَلَمُ العمـــلاق مَعــذرةً
أنّـــا نَرَجْنـــا على التَّشبيـــهِ بـــالعَلَمِ

لكنَّني لـــــو سُئِلتُ الآنَ عن صِفــــةٍ
أقــولُ للنَّجم: يـــا محفـــوظ.. لا تَنَمِ!

أكـــرِمْ بمصــــرَ، ومصـــرُ ذروةُ الكَـــرَمِ
بيتُ الامـــــانِ، وبيت الخيـــــرِ والنِّعمِ

هيَ التي علَّمتني أنْ أرى فـــــــرَحي
في مـــا أرى في وجـوهِ النـاسِ من قيَمِ

انَّ ألمسَ الحبَّ في كــلّ الـوجـوهِ بهـا

حتى لاوقظَــهُ في الأشهُــرِ الحُــرُم !

بَيْنَــا أرى مجدَ كــلّ الأرضِ مجتمعاً

علىَ رقيمِ هنــا من هــذه الــرُّقُمِ !

ألقيت في مهرجان الكتاب في القاهرة ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٨٩

(*) اشارة للقصيدة شوقي المشهورة « ريمٌ على القاع » .

يا أنتمو .. يا عراقيون

غابَ من النَّخلِ لا هامٌ ولا كَرَبُ
مثلَ المسامير مَدُّ العينِ تَنتصبُ
عجفاءَ محروقَةٌ لكنْ مكابَرَةً
ظَلَّتْ حضوراً وإنْ أصحابُها ذَهَبوا !
وهُهنا وهنا في كلِّ مُتَّجَهٍ
أكوامُ صَخرٍ تلاقَتْ فوقَها التُّرَبُ
كانتْ هنالك دارٌ ثمَّ مدرسةٌ
جوارَها كان يوماً ما هنا كُتُبُ
دفاترٌ، وأناشيدُ، ووالدةٌ
تجيءُ ظُهراً وتُقعي هُهنا وأبُ
كانت حياةٌ هنا، هذي شَواخصُها
هذي الفَسائلُ، والأحجارُ، والحَطَبُ ..

هــل تَعلمُ الأرضُ إذْ تُــرخي أعنُتَهــا

لــلأرنلينَ ، بــأنَّ الــدُّبْش إنْ رَكبــوا

داشــوا على حُـرُمــاتِ الكـونِ أجمعِهــا

وغــادروا كــلَّ غُصنٍ وهــوَ يَنتحبُ !

وهــل تَعلَّمتِ الــدُّنيــا ، وكــانَ لهــا

مُــذْ كُــوِّرتْ حَــدَثــانٌ منــهُ تَــرتِعبُ

طُــوفانُهــا ثمَّ هــا صــارَتْ تُصنِّفُــهُ

مَـزهـوَّةً ليس مــاءً ، بَـلْ دمٌ سَــربُ !

وهـل دَرىٰ أهـلُ هــذي الأرضِ أنَّ لهــا

مِن نفسهــا عنـدَمــا يَستفحـلُ العَطَبُ

إسِنَّــةً نَحن منهــا كلَّمــا انفَلَقتْ

سمــاؤهــا بــالدُّجى ، وانحــاشَت الشُّهُبُ

رُعْبــاً نَبَثْنــا بهــا حتى نَـرى ألَقــاً

من كــلِّ ثُقبٍ نَبَثْنــا فيــهِ يَنسكبُ !

* * *

سبعين قَــرنــاً عــراقيّين ، بَـلْ عَــرَبــاً

كُنّــا وأكبــرُ زهــوٍ أنّنــا عــرَبُ

نُســاهِرُ الليــلَ ، نحنُ الموغَــرين دمــاً

نُضيءُ حينــاً ، وحينــاً فيــهِ نَحتــربُ

مــا قالَ قــائلُنا يــوماً لــذي وَجَــعٍ
أســاكَ هــذا لمــاذا أنتَ لا تَثِبُ
بــل نَسبقُ الموتَ خَــوَّاضين في دَمنا
حتى لَتَبحثَ عن سيقــانِهــا الــرُّكَبُ!
ولا نقــول أغثْنــاكمْ مــروءتُنـا
تــأبى، ويــأبى لنــا آبــاؤنا النُّجُبُ

❁ ❁ ❁

يا أنتمو يا عراقيّون يا تَعَبــاً
للقلبِ أحلى، وأبهى مــا يُرى تَعَبُ!
للّــهِ أنتم!.. تضــجُّ الــروحُ غــاضبــةً
حينــاً، وعــاتبــةً حينــاً وتَحتسبُ
لأنكم أنبَــلُ الــدّنيــا، وأنبَلُكُم
انَّ المــروءةَ فيكم مَشهَــدٌ عَجَبُ
يمــوتُ واحــدُكم من أجــلِ أنمُلَــةٍ
وربّمــا يَخْضبُ الــدُّنيــا ويَخْتَضبُ
لأنّــهُ لا يَــرىٰ للمــوتِ من سَبَبٍ
لكنْ يمــوتُ إذا أمسى لَــهُ سَبَبُ!
وهكــذا جئْتمــو للفــاو جــائحِــةً
من الحــديــد، وعينُ الفــاو تَــرتقِبُ

وأنتمـو جـامـداتُ الضَّـوءِ أعيُنُكم
فمـا يَـرِفُ بكم عِـرْقٌ ولا عَصَبُ
غُـولٌ مِن الـدَّمِ والنِّيـران أضلعُكم
كـأنَّمـا ليسَ فيهـا خـافقٌ يَجِبُ
حتى تَـداخَـلَ فَكّـا الموتِ، وانحَشَـرتْ
أسْنانُهُ بعضُها في البعضِ، واضطربوا
دارَتْ عليهم رَحـاكُم، فـاستـوى فزَعـاً
الموتُ والأسـرُ والإقـدامُ والهَـربُ
كـانتْ جحيماً كما لَوْ غـابةٌ لهبَتْ
فليسَ تَـدري دَبـاهـا أينَ تَحتجبُ!
وكنتمـو سـادةَ الـدُّنيـا، فقـد شَحَبَتْ
حتى الصُّـوى، والعراقيُّون ما شَحَبوا!

* * *

يـا آيةَ الفـاو والآيـاتُ مُنـذُ مضى
محمَّـدُ أُسْـدِلَتْ مِن دونِهـا الحُجُبُ
لكنْ مَجـازاً نَـرى أمجـادَ أُمَّتِـهِ
آيـاً، وآيتُنـا هـذي لَهـا قُطُبُ
الفـاو لـو قُلتُ بَـدْرٌ، مـا كفَـرْتُ ولا
تجـاسَـرَ الشِّـرْكُ والاحقـادُ والـرِّيَبُ

انْ يَلمُسـوهـا بسـوءٍ ، فهيَ مُعجـزةٌ
في حِقبـةٍ ليس فيهـا مَنفَـذٌ رَحِبُ
بـل مثلمـا حَسَمَ الاسـلامُ ردَّتَـهُ
يـوماً ، وكـانتْ غيـومُ الكُفـرِ تَصطخِبُ
حَسَمْتَهُم يـومَ نصـرِ الفـاو إذْ رُوِيَت
بـهِ المعـاييـرُ طُـرّاً وهي تَنقلبُ !

* * *

يـا سيفَ صدام ، لـو لم تَنشطرْ فـزعـاً
بكَ الـدّياجي التي أغفى بهـا العَرَبُ
لـو لم يُضيءْ بَـرقُـكَ اللّمّـاعُ سُجْفَتهـا
وكـانتْ الفـاو قَيْـدَ النَّصـلِ تَلتهبُ
لاخلَـدَتْ ألفَ عـامٍ كـلُّ غـائلـةٍ
بـأرضِنـا ، ولَجَفَّ النَّبـعُ والغَـرَبُ
وبعـدَ ألفٍ يَشقُّ الليـلَ مُنتفضـاً
سيفٌ يقـالُ لـهُ صـدام إذ يَثِبُ !

* * *

المجـدُ مجـدُكَ ، يـزهـو الشّعـرُ والادبُ
بـأنّـهُ بـاسمِـكَ الميمـون يَنتَقِبُ

وأنـــهُ ، لِــزمـــانٍ أنتَ صـــانعُـــهُ

وأنتَ مـــالئُـــهُ بـــالمجـــدِ ، ينتَسِبُ

بـــالامسِ قلتُ وللتـــاريـــخِ ذاكـــرةٌ

وكـــانَ ميـــلادُكَ الميمـــون يَقتـــرِبُ

وكـــانت الفـــاو مِن يـــومينِ خـــافقـــةٌ

أعـــلامُها ، والصّدى في الأرض يضطـربُ

غَـــدٌ المَـــلاحِمِ والأمجـــادِ تَصنَعُهـــا

ميمـــونُ عمـــرِكَ يـــا صـــدام يُحتَسَبُ

واليـــوم هـــا سَنَـــةٌ أخـــرى مبـــارَكَـــةٌ

أنـــوارُهـــا لِسَنـــا عينيـــكَ تَنْجَـــذِبُ

تُبنى بهـــا البصـــرةُ الشّمّـــاء بـــانخـــةٌ

والفـــاو تُبنى ، ويُبنى المجـــدُ والحَسَبُ

وأنتَ في البصـــرةِ الفيحـــاء آونـــةً

والفـــاو حينـــاً مُقيمٌ ، ســـاهـرٌ ، حَـــدِبُ

تعيشُ أمجـادَ هـذي الأرض تَصنَعُهـا

تَبني ، وتَـــزرعُ تستَسقي ، وتَحْتَطِبُ

للّـــهِ أنت ! .. قـــرأنـــا سيـــرةً عظُمتْ

لإهلنـــا هكـــذا آبـــاؤكَ انتَصَبـــوا

فكيف أحسبُهـــا يــا سيّــدي سَنَــةً
وكـــلُّ أيــامِهــا من زهــوهــا حِقَبُ؟!

* * *

ابـــا عَـــديٍّ ولـــلأيــام أسهُمُهــا
وكـــلُّ حيٍّ لَـــهُ من قـــوسِـــهِ سَبَبُ
وسيّـــدُ النـــاسِ من تَـــدري فَـــراسَتُـــهُ
بمَـــوضـــعِ السَّهمِ منهـــا حين يَنتخِبُ!
وقـــد رأيتُـــكَ أدرانـــا بـــأنفُسِنـــا
أدرىٰ بِمـــا نَـــدَّري أدرىٰ بمـــا نَهَبُ
أدرىٰ بنـــا عنـــدَمـــا نُكـــدي ونَجتنبُ
وحين نُعـــدي ، ونستَعـــدي ، ونَـــرتكبُ
كـــأنمـــا أنتَ في أنفـــاسِنـــا نَفَسٌ
وهـــاجسٌ وانســـرابِ الـــرّوحِ يَنســـربُ
بِذا تخيّـرتَ يـومَ الفـاو جئتَ لهـــا
بكـــــلِّ حبٍّ العــــــراقيّين تَغْتَصِبُ
فقـــاتلـــوا بـــكَ حَـــدٌّ استنفَـــروا دَمَهم
قبـــل الـــدّروع ، وقبـــل النـــارِ يَحتـــربُ
ولمْ تكنْ أُهبـــةَ النيــــران ليلتَهـــا
لكن بمَغْنــــاك فيهم كـــــانت الأُهَبُ

واللّهُ يَدري ، وتَدري ، والعراقُ ، وَمَن
والى ، وعادى ، ومَن ثابوا ، ومَن تَلَبوا
بأنَّهُ كانَ يومَ الحقِّ أجمعِهِ
وكنتَ فيهِ انسكابَ الوحيِ تَنسكبُ !

يا جاعلَ الفاو بعدَ الموتِ مُنطلقاً
الى الحياةِ وهذا الهيكلُ الخَرِبُ
آليتَ أن تَتَحدىٰ الكونَ أجمعَهُ
به ليُصبحَ نبراساً لِمَنْ وَهَبوا
يا نادبَ الأهلِ أبشِرْ حين تندُبُهم
لأنَّ كلَّ العراقيّين قد نُدِبوا !

نأتيكَ واللّهِ طُوفاناً كعادتِنا
إنا لحالَيكَ فينا جحفلٌ لَجِبُ
إنْ كنتَ في الحربِ قد جرّبْتَ غَضْبَتَنا
فانظُرْ على السِّلم ماذا يَصنعُ الغَضَبُ !
تاللّهِ لو شِئتَ في قاع الخليج لها
أقواسَ نصرٍ تَلاقى فوقَها النُّصُبُ

إذن رَفَعنـــا لهـــا قـــاعَ الخليـــج الى
أن تـــدفع الماءَ عن هـامـاتِها القُبَبُ !
فيـــا سليـــلَ نبـــوخَـــذْ نُصَّـــرٍ، وعلى
أكتـــافِـــه كـــانت الأحجـــارُ والخَشَبُ
تعلـــو ببـــابلَ أبـــراجـــاً تُســـوِّرُهـــا
ومَـــرصَـــداً تَنحني من تحتِـــهِ السُحُبُ
لقـــد تشـــابهتُمـــا في الحـــالتَين معـــاً
وكـــلُّ فـــرعٍ الى أهليـــهِ ينتسِبُ !

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٨٩

يا حكمة اللّـه..

« في رثاء الشهيد عدنان خيرالله »

بعضٌ من العيدِ هذا أنتَ صانعُهُ
فأينَ تمضي وقد لاحتْ طلائعُهُ
قاتلتَ تسعين شهراً عن كواكبهِ
نجماً فنَجماً الى أن ضاءَ ساطعُهُ
فكيف تمضي وفي عينيكَ فرحتُهُ
وفوق مَفرِقِكَ الوَضّاء لامعُهُ
وأين تمضي، وما زال الزمانُ فتىً
ونهرُ عمرِكَ ما جفَّتْ منابعُهُ!
لولا تمهَّلتَ فالدَّربُ الذَّهَبْتَ بهِ
أبا عليٍّ كثيراتٌ مواجعُهُ!
دافعتَ تسعين شهراً ألفَ غائلةٍ
وجاء فرداً لماذا لا تدافعُهُ؟

يا أيُّها السَّيفُ لم يُغمَدْ، ولا انثلمَتْ
شِفــارُهُ لا، ولا زَلَّتْ طَبـائعُـهُ
رأيتُـهُ كيف يُبكي من مـروءتِـهِ
ويمـلأ القلبَ إجـلالًا تَـواضعُـهُ
وكيف طيبتُـهُ تُـوحي لنَخـوتِـهِ
حتى تُـزلـزِل زلـزالًا وقـائعُـهُ
رأيتُـهُ كم يُضيءُ الحبُّ جبهتَـهُ
وكم تضيءُ من التُّقـوى أضـالعُـهُ
وكم يـواجـهُ حتى المـوت مبتسمـاً
ولا تُمَـدُّ إلى الصُّغـرى أصـابعُـهُ!
بـل يُفسِـحُ الـدَّرب إفساحَ الكـريمِ لَـهُ
وكيف لا وهـو شـاريـهِ وبـائعُـهُ!

أبـا عليّ، لنـا عَتْبٌ عليـك فقـد
وافـاكَ إذ أنت رائيـهِ وسـامعُـهُ
لـو كنتَ .. غفرانَـكَ اللَّهم عن شَطَطي
هـذا قضـاؤك، مَن منّـا يـراجعُـهُ؟
أنت الـذي اختَـرْتَـهُ في زهـوِ بَهجتِـهِ
وطفلُـهُ لم تـزلْ تَنـدىٰ مَـراضعُـهُ!

ولم يــــزلْ أوّلُ الأعيـــاد مُلتفتـــاً
للسّلم نصفَ التفـــاتٍ لـو يطـاوعُـهُ
ومــا تــزال على عــدنـــان بـدلتُـهُ
خُطَّتْ عليهـــا مَهيبـــاتٍ روائعُـــهُ !
هـــو امتحـــانٌ لنـــا ثـــانٍ ، وأعسَـرُهُ
أنّ المُسَجّى كثيـــراتٌ ودائعُـــهُ !
لـــه على كـلِّ شبـرٍ في العــراق يَـدٌ
ويَبــرَقٌ يَنتخي بـــاللّــهِ رافعُـــهُ
ووقفـــةٌ والعـــراقُ الضّخمُ يـــرمقُـــهُ
طَلْقـــاً ، مُـــريعـاتِ أصـواتٍ مَـدافعُـهُ
يـــواجهُ الهَـولَ كـلَّ الهـولِ مبتسمـاً
وللعـــراق سنـــا نجمٍ يطـــالعُـــهُ !

* * *

أبـــا عليٍّ ، لئن فـــارقتَ مـــوقعَنـــا
فكم فتىً أخليَتْ منـــهُ مَـــواقعُـــهُ
نقـــول تبقى لـه الـذكرى ، فيخـدعُنا
نفسُ الشعــورِ الـذي كنّـا نُخـادعُـهُ
هـا مَـوضعٌ سَعَـةَ النَّهـــريَنِ شاخصـةٌ
أبصـــارُهُ لــكَ ، لا تُلـوى مَـدامعُـهُ

وفيــهِ خيــرُ رفــاقِ الــدَّرب ، فــارغــةٌ
يُمنـاهُ منـك ، غـريقُ الطَّـرفِ ، خـاشعُـهُ
بـــالامس كنتَ لَـــهُ سيفــاً ومُتَّكـــأً
وخـــالَ وِلْـــدِ حميمـــاتٍ شَـــوافعُـــهُ
تضيءُ في أوجُــــهِ الأولادِ ضحكتُـــــهُ
ويُسعِـــدُ البيتَ كــلُّ البيتِ طـــالعُـــهُ
واليـــومَ يـــرنـــو فـــلا يُلفي ســوىٰ ألَقٍ
ومحضِ صـــوتٍ بعيـــداتٍ رواجعُـــهُ
بلىٰ مقيمٌ كـــريمٌ خـــالـــدٌ أبـــداً
لكنْ بعيـــدةٌ أفيـــاءٍ مـــزارعُـــهُ !

* * *

أبـــا عَـــديٍّ وعُـــذراً أن يقـــاطعَني
حـــزني ، وأُحجمُ عنـــهُ لا أقـــاطعُـــهُ
كـــان التَّصبُّـــرُ في البلـــوىٰ ذريعتَنـــا
فكيف بـــالصَّبـــرِ إنْ قلَّتْ ذرائعُـــهُ
السَّيفُ سيفُـــكَ هـــذا ، أنت صَيْقَلُـــهُ
أنت المُعَـــزَّى بـــهِ إن مـــالَ قـــاطعُـــهُ
وأنت قبـــلَ دمـــوع النـــاس كلِّهمُ
مفجـــوعُ بيتكَ قـــد ســـالتْ هَـــوامعُـــهُ

يــا حكمــةَ اللّــهِ في نجمٍ تَحفُّ بــهِ
تسمين شهــراً ولا يهــوي مَصــارعُــهُ
لكنْ هـوىٰ بعـدَمـــا المَسجـورةُ انطفــأتْ
لأنَّـــهُ لم يجــد هـــولًا يقـــارعُـــهُ !

* * *

أبـــا عليٍّ ســلامُ اللّـــهِ مـــا طلعَتْ
شمسٌ ، ومـــا جَلَّلَتْ ليـــلًا بَـــراقعُــهُ
ومـــا أضـــاء لنـــا نجمٌ ، ومـــا قمـرٌ
لا لا ، ومـا نـاح فـوق الأيـكِ ســـاجعُـهُ
عليـك من كـلِّ هـذي الأرضِ يـا رجـلًا
قلـــوبنـــا كلُّهـــا تبقىٰ تـــراجعُـــهُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٩ / ٥ / ١٩٨٩

يا مطلعَ الفجرِ العظيم

بَل وَعدُ رَبِّكَ أسرَحوا ، وأساموا
وَتَنمَّروا ، وتجبَّروا ، وأغاموا
وَبَنوا كما شاء الخيالُ ، وَوَسَّعوا
وَتَوَسَّعوا واستروَحوا ، وأقاموا
وأتيتَهم بَرْقاً اذا بغيومِهم
بَددٌ ، وكلّ بنائِهم أحلامُ !

❁ ❁ ❁

بَل وَعدُ رَبِّك أنَّ كلَّ أثيمةٍ
تمتَدُّ أجنحةٌ لها الآثامُ
فتَشيلُها مفتونةٌ لِهلاكها
ويمثلِهنَّ تطايَرَ الأعجامُ
وأتيتَهم برقاً ، فظلَّ فَحيحهُم
للآن تنقلُ رَجفَهُ الآكامُ

❁ ❁ ❁

يـــا زارِعـاً فـي الفـــاو كـــلَّ شمـــوخِـــهِ
أبشِـــرْ، فـــأخــــلاقُ الـــرجـــال ذمـــامُ
أعنــــاقُ أهلِـــكَ كلُّهـــا طـــوقٌ بهـــا
هــــذا التُّــــرابُ، وهـــذِهِ الأنســــامُ
الفــــاو قُطبُ الأرضِ يـــا صَـــدّام بَـــلْ
لـــــو شِئتَ شَكمَ الأرضِ فهي زِمــــامُ
فـــــرساً جمـــوحاً كـــانت الـدُّنيـــا هُنـا
حَتَّى أتَــــاهـــــا سَيلُــــكَ الخطّــــامُ
نَـــــزَفَ العـــــراقيُّـــون خَيــــرَ دِمـــائهم
فيهــــا، فقـــامَتْ صَهـــوةٌ ولِجـــامُ
وَشَكمتَهـــــا لِلّـــــهِ دَرُّك فـــارســــاً
ألقَت إليـــهِ عِنـــانَهـــا الأيَّـــامُ

* * *

بـــوابـــةَ النَّصـــرِ العَظيم تحيــــةٌ
لـــدِمـــاءِ إخـــوَتنـــا هُنـــا وســـلامُ
نَحنِي الــــرُّؤوسَ الى تُـــرابِـــكِ خُشَّعـــاً
فَيُعيـــــدُهُـــن الـــــزَّهـــوُ والإعظـــامُ
هـــذا النَخيـــلُ ومـــا هَـــوَت شَعَـــافتُــهُ
والـــــدُّورُ وَهي خَـــــرائبٌ وحِطـــــامُ

هي رمـــزُ معـركـةِ الفِـداء بـأسـرِهـا
وَلَهـــا على صَـــدرِ العِـــراقِ وِســـامُ
والغـــائبـــونَ وَهم حضـــورٌ بَيننـــا
ألقَـــوا ودائعَهم إليـــكِ ونـــامـــوا
المُطمئنَّـــةُ في الســـمـــاءِ نُفُـــوسُـهُم
ذَهبـــوا ولا مَنٌّ، ولا اســـتفهـــامُ
كـــانت لهم حَيَـــواتُهم جَـــادوا بهـــا
وَمَضـــــــــــوا وظَلت هـــذِهِ الآجـــامُ
الارضُ طِـــرْسُ النَّصرِ يُكتَبُ بـــالـــدِّمـا
والنـــارِ، لا ورَقٌ، ولا أقـــلامُ!
تَـــاللّـــه تُصبـحُ كـــلُّ مـــورِقـــةٍ هُنـــا
غـــابـــاً يفـــيءُ لِظِـــلِّـــهِ الاســـلامُ!

* * *

بَـــوّابَـــةَ النَّصـــرِ العَظيمِ وَمِن هُنـــا
بـــدأت تُضـــاعفُ نفسَهـــا الأرقـــامُ
تَتَســـابَـــارعُ السَّـــاعـــاتُ والأعـــوامُ
تتضَـــخَّم الأبعـــادُ والأحجـــامُ
مـــا عَـــادَت الايـــامُ محضَ بـــديهـــةٍ
« الضـــوء ضَـــوءٌ وَالظـــلام ظـــلامُ »

لكنَّهــــا مِ الآن ، عُمقَ وجـــودِهــــا
تَتَفَتَّـــــحُ الألفـــــامُ والأكمـــامُ !
وَغَـــداً يُحـــرِّكُ عَصـــرُهَـــا دُولابَـــهُ
وَيُـــدِيـــرُهُ مُســـــتنفَـــزُون ضِــخَـــامُ
سَــــيَكُـــون للفـــاو العظيمـــةِ في غـــدٍ
زَمَـــنٌ تحـــارُ بِكُنهِــــــــهِ الأفهـــامُ !

* * *

بَـــــل وَغَـــدُ ربِّـــكَ أيُّهـــا المقـــدامُ
أن يُبتَـــدَا مِن حَيثُ قِيـــلَ ختـــامُ
وَتَكـــونُ أنتَ المُبتَـــدا يـــا سَيِّـــدي
وَقفٌ عَلَيـــــكَ العَقـــــدُ والإبـــــرامُ
الفـــاوُ هـــذي أنتَ صُنْتَ ذمـــارَهـــا
بَيْنَـــا بُعَيْضُ بَني أبيـــــك نِيَـــامُ !
لا بَـأسَ كـلُّ يَـــدٍ وَمـا عُـــرِفَتْ بِـــهِ
الصَّيـــدُ صِيْـــدٌ واللئـــامُ لِئـــامُ !

* * *

صَـــدَّامُ يـــا مَـــاءَ الفُـــراتَينِ الـــذي
مـــا للعِـــراقيِّين مِنْـــهُ فِطـــامُ !

زَفُّوا إليهِ شموعَهم وَدموعَهم
مِن ألفِ ألفٍ والزَّمانُ غُلامُ
يا طَلْعَ كُلِّ النَّخلِ يا أعذاقَهُ
يا ذُرْوَتَيْ جِمرين حينَ يُرامُ !
بكَ أنتَ وَحدكَ تكبرُ الأرقامُ
وتُكاثرُ الأخوالُ والأعمامُ
ويقالُ لِلجُلَّى عَلى جَبَروتِها
أرْخِي الزِّمامَ فَههُنا صَدَّامُ !
بكَ أنتَ لا بِسواكَ كلُّ مُرَوَّعٍ
يَغفو، وكلُّ مُصَدَّعٍ يَلتَامُ
بكَ يا عزيزَ النفسِ كلُّ بَعيدَةٍ
تَدنو، وَتذْكرُ بَعضَها الأرحامُ !
يا ماليءَ الدّنيا تُقىً وَمروءَةً
ومعلّمَ الميزانِ كيفَ يُقامُ
أيقِظ مُضلَّلَها وقد أيقظْتَهُ
وأرَيْتَهُ أنَّ الحَرامَ حَرامُ
وَأرَيتَهُ أنَّ العراقَ مياهُهُ
لُجَجٌ، وأنَّ عبُورَها أوْهَامُ !

* * *

يَــا مُطلِــعَ الفَجْــرِ العَظيم لقــومِــهِ
إنَّ العَظَـــــائِمَ أَهْلُهُنَّ عِظـــــامُ

وَحَيــاةِ هَيبتِــك التي لِجــلالِهــا
وَهَـــجٌ بِـــهِ تَتَعثَّـــرُ الأقـــدامُ

وَتكــادَ تَمْتَنــعُ الخُطــا لِخُشُــوعِهــا
أنْ تَــدّنى ، فَتَجــرُّهــا الأجســامُ !

وَحَيــاةِ طَلْعَتِــكَ التي لِحضــورِهــا
وَحيٌ ، كــأنَّ حضُــورَهــا إلهَــامُ

وَأجــلْ وَهــا أنَــذا أمــامَــكَ أنْتضي
هــذا الحُسَام ، وَهَــلْ سِواك حُسَــامُ ؟!

لَتَظَــلُّ بــاسِمِــكَ فَــوقَ كــلِّ رُبُــوعِنــا
عُمْقَ السَّمــاءِ تُــرَفــرِفُ الاعــلامُ

وَيَظَــلُّ منــكَ على جميــعِ حَــدودِنــا
بَــرقٌ بِــهِ تتَسمَّـــرُ الاكـــامُ

يُــوفي على عِيــلامَ قصفُ رُعــودِهِ
حتى تَفِيءَ لِـــرُشْـــدِهــا عيــلامُ

اللهُ يــا سَيفَ العــراق وَشمسَــهُ
مِنــكَ السَّنـــا ، وبِحَــدِّكَ الإقــدامُ

إنِّي لأعجَبُ، والقَصـــائـــدُ تَغْتَـــدي
نـــاراً إذا نَـــدَبتْـــكَ، وهيَ كَـــلامُ
مـــا كـــانَ فِعـــلُ الـــرَّاجمـــاتِ وأهلِهـــا
يَـــومَ انتَخَتْ بِـــكَ أيُّهـــا الضِّـرغَـــامُ؟!
صَـــدَّامُ يـــا زَهـــوَ العِـــراقِ بِـــأسرِهِ
تَصحُـــو عَلَيـــكَ بيـــوتُـــهُ وَتَنَـــامُ
وَيَكـــادُ يُطْـــربُ كـــلَّ نَفسٍ قـــوْلُهـــا
صَـــدَّام، يـــا صَـــدَّامُ، يـــا صَـــدَّام!
الأنَـــكَ المَيمـــوُنُ مِنْ أبْنـــائِـــهِ؟
أسمـــاؤهُمْ بِـــكَ كلُّهُنَّ ضخـــامُ
وَجَميعُهـــا مَيمُـــونَـــةٌ، وَجَميعُهـــا
مَسكـــونَـــةٌ بـــالكِبْـــرِ لا تُسْتَـــامُ
لكنَّ أهْلَـــكَ، عُمْـــرَهُمْ، إنْ يَعشقَـــوا
ذَابـــوا على مَن يَعشقـــونَ وهَـــامُـــوا
فَتَـــرَاهُمـــو حَتَّى مَـــدَاخِـــلُ سِـــرِّهِم
لِحَبيبِهِـــمِ بشِـــفِـــافِهـــا أخْتَـــامُ!
فَـــإليـــكَ يـــا رَمـــزَ العِـــراقِ قلـــوبَنـــا
وَعَلى العـــــراقِ تَحيَّـــــةٌ وسَـــلامُ..

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٨٩

يا أيها الرجل الانسان ..

« في رثاء المرحوم ميشيل عفلق »

سَاءَلْتُ نهرَكَ، لا جَفَّتْ جَداوِلُهُ
وكلُّ نَبْعٍ لَهُ نَزْعٌ يُسائِلُهُ
هل المَصَبَّاتُ للانهارِ خاتِمةٌ؟
والماءُ هل تَنتهي فيها شَواغِلُهُ؟
أمِ البِدى والنُّهى لُغْزٌ، وَبَينهما
ماءٌ على قَدْرِ أهليهِ مَناهِلُهُ!
مذْ دارَت الارضُ والنَّهرانِ سَيْلُهُما
يَجري، وفي الفاوِ تَسْتَرخي جَدائِلُهُ
ولم يَزَلْ دَجلةُ الزَّاهي تَحُفُّ بِهِ
بَغدادُهُ مِثلَما بالأمسِ بابِلُهُ!
وَيافِلُ النّجمُ آلافٌ مؤَلَّفَةٌ
تَمضي، وَيَلمعُ في الظَّلماءِ آفِلُهُ

ونحنُ نَسـألُ: هـل للنَّهـرِ خـاتِمـةً
أمْ كـلُّ نَهـرٍ تَـواليـهِ أوائِلُـهُ؟!

* * *

يـا أيُّها الـرَّجُلُ القـدّيسُ أفْضَلُـهُ
بـأنَّـهُ لَيسَ يَـدرِي مـا فَضـائِلُـهُ!
لأنَّـهُ لم يَكُنْ -مَهمـا أرادَ- سِـوى
قِنْـديـلِ ضَـوْءٍ طَهُـوراتٍ نَـوَاسِلُـهُ
مُبـارَكٍ مثـلَ خَيْطِ النُّـورِ، مُكْتَنِـزٍ
بـالحُبِّ، لم تَنْطَفِىء يـومـاً دَواخِلُـهُ
ولا ادَّعى لَحظـةً إلّا لأمَّتِـهِ
زَهْواً، ولا قالَ: زَرْعي وهـو شاتِلُهُ!
مـا رَاءَهُ الطَّـرفُ إلّا وهـو مُعْتَكِفٌ
لِـزُهـدِهِ، مُستَقيمُ العُـودِ، نـاحِلُـهُ
مُلَـوَّحٌ طَلْعُهـا حَتَّى فَسـائِلُـهُ
ثَقيلـةٌ، مُسْـتَقَـرّاتٌ سَـنـابِلُـهُ
مـا ذادَ عنهـا سِـوى أعـداءِ طِينَتِهـا
بِفِكـرِهِ، وَحسيـراتٌ مَقَـاتِلُـه
يـا صَـافي الأكـرَمينَ: القَلبِ مُمتَلئـاً
بـالتَّضحيـاتِ وَعَقـلٍ لا يُجـادِلُـهُ

مِمَّا أطمأنّا معاً كلٌ لِصَاحِبِهِ
فَبَاتَ يُشْغَلُ عَنْهُ لا يُشَاغِلُهُ
كَأنَّما جُبِلا مِنْ مَعْدِنٍ أَحَدِ
لِيُوضَعا في إهابٍ جَلَّ جَابِلُهُ

❁ ❁ ❁

يا مُبْدِعَ الحَرْفِ أدري أنَّها عظَةٌ
لِكُلِّ كاتِبِ حَرْفٍ صَالَ صائِلُهُ
أَنْ ليسَ يَدري سِوى الادنَينَ كم نَزَلَتْ
رَواحِلُ الشِّعرِ كمْ جَازَتْ قَوافلُهُ
واحاتِ عُمْرِكَ فاخْضَرَّتْ مَعَابِرُها
شِعراً، ولم يَدْرِ حَيٌّ أينَ قائِلُهُ!
وَكَمْ تَحَشَّدَ مِنْ وَعْيٍ وَعاطِفَةٍ
في كُلِّ حَرْفٍ إلى أنْ ضَاءَ داخِلُهُ
وَمَا دَرى أحَدٌ مِن أيِّ مُنبَجَسٍ
أضَاءَ، لكنَّما هذي مَنَازِلُهُ!
وأعظَمُ الشِّعرِ ما أَحسَسْتَ أَنَّ بِهِ
شَيئاً يُضيءُ وَلكنْ أنتَ جَاهِلُهُ!

❁ ❁ ❁

وَيـــا مُعَلِّمَ هــذا الجيــلِ ، إنَّ لَــهُ
مِنْ صَمْتِــكَ الآنَ طَيفــاً لا يُجــامِلُــهُ
لكنْ يَقــولُ لَــهُ : يــا مَنْ أَضَــاْتَ لَنــا
بـدايــةَ الــدَّربِ ، بــاركْ مــا نُحــاولُــهُ !
إن كُنْتَ أخْلَيْتَ بَيْتــاً كُنْتَ تَسكنُــهُ
فَبَيتُ وَعْيِــكَ خَيْــرُ النَّــاسِ آهِلُــهُ
لَقَــد تَــرَكْتَ لهــذا الجيــلِ تَــذكِــرَةً
أَنَّ الــذي يَفْتَني بــالشَّيءِ بــاذِلُــهُ !
وَأنَّ للــوَعْيِ سَيفــاً ، حَــدُّ صــاحِبــهِ
أخْــلاقُــهُ ، والــذي يَبقى حَمــائلُــهُ !
وأنَّ أنبَــلَ مــا في المَــرْءِ طِيبَتُــهُ
وأنَّ أكــرَمَ مــا فيهــا نَــوَازِلُــهُ
لأنَّهُنَّ امتحــانُ العُمْــرِ مــا وَلَــدَتْ
أنثى غُــلامــاً ، ومــا رَفَّتْ أنــامِلُــهُ !

* * *

يــا أيُّهــا الــرَّجُلُ الانســانُ هَبْ قَلَمي
قُطَيْــرَةً مِن سَحــابٍ أنتَ وابِلُــهُ
لَعَلَّني أنْتَقي حَــرْفــاً رَهَــافَتُــهُ
تَحُفني بِــكَ حَفَّ البَحْــرِ ســاحِلُــهُ !

وَلَنْ أقـــولَ كــلامـــاً أنتَ تَـــرفُضُـــهُ
عهْـــداً لتـأريــخِ حُـزْنٍ فيــكَ حــافِلُــهُ
فَلَنْ تَجيئَـــكَ مِن دَمعي هَـــوامِلُـــهُ
وَلَنْ تَسيئَـــكَ مِن رَجعي ثَـــوَاكِلُـــه
وَلَنْ أجَـــرِّحَ بـــالاوجــاعِ ، مــا عَظُمَتْ ،
هـــذا الجَـلالَ بَلَى للمَـوْتِ فـاصِلُـهُ
وَسَـــوفَ أعبُـــرُهُ مُسْتَغفِـــراً لِفَمي
ببَيتِ شِعـــرٍ كثيـــراتٍ هَـــلاهِلُـــهُ !
إنِّي رَأيتُ كبيـــــرَ النَّفْسِ في وَطَني
يَهْـــوِي ، وَتَـــرفُضُ أَنْ يُبْكى مَـــراجلُـــهُ !
لانَّـــــهُ لم يَمُتْ إلَّا وَفي فَمِـــــهِ
هتـــافُ لَبَّيْـــكَ ، واستَعصَتْ وَسَـــائِلُـــهُ !
وأنتَ عُمْـــرَكَ مـــا مَـــرَّتْ ثُـــوَيْنيَـــةٌ
مـا قُلْتَ لبَّيـكَ حتى جـاء عـاجِلُـــهُ
فَلَيْتَ كـــلَّ شِفـــاهِ العُـــرْبِ سَـــاعَتَهـــا
قَـــدْ هَلْهَلَتْ لِـــرَحيـــلٍ أنتَ راحلُـــهُ !

* * *

يـــا مُلْهِمَ القَـاطِعينَ الـدَّرْبَ تَـزكيَـةٌ
لِكــلِّ جيـلٍ مَضَتْ تَسعَى جَحَـافِلُـهُ
وَرَاءَ خَطْـوِكَ، أَنَّ الـدَّرْبَ سـارَ بـهِ
هــذا الَّـذي كـلُّ آتي العُـزبِ آمِلُـهُ!

إنّي رَأيتُ خُطـا صَـدَّام تَعْبُـرُهُ
فَنَمْ قَـريـراً فَلِلنِّبْـراسِ حـامِلُـهُ!
أكـادُ أقسِمُ أنْ عَيْنـاك مـا غَفَتـا
إلّا وَهـذا الجَنـاح امتَـدَّ هـائِلُـهُ!
سُبحـانَ رَبِّـكَ أعطىٰ جَـدَّهُ سِمَـةً
عَليـهِ منهـا شُعـاعٌ جَـلَّ وَاصِلُـهُ
النُّـورُ وَالسَّيف قُطْبَـا كـلِّ مُنعَطَفٍ
للكَـوْنِ حتّى يَهـابَ الحَقَّ بـاطِلُـهُ
فَنَمْ مُعَلِّمَ هــذا نَـوْمَ مُـؤتَمَنٍ
أدّى الـرِّسَـالَـةَ وانبَتَّتْ سَـلاسِلُـهُ
فَعَـادَ للمَـلأ الاعلى تَحُفُّ بِـهِ
مَـلائِـكُ اللّـهِ، والـرَّحمنُ قـابِلُـهُ..

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٣١ / ٧ / ١٩٨٩

يا أم بلقيس

الحمدُ للّهِ أن نَلقاكَ يا وطني
ولم يَضِعْ منكَ فينا طاهرُ اللَّبَنِ
جئناكَ رَاياتُنا عالٍ مُخَضَّبُها
ممتدَّةُ الزَّهوِ بين النَّجمِ والكَفَنِ
جئناك نحنُ العراقيّين كلُّ يدٍ
لها بأرضكَ - ندري - كَفٌّ مُحتضِنِ
لأنَّنا يا ثرى الأجدادِ ما تركَتْ
دماؤنا شبرَ أرضٍ فيك لم يُصَنِ
ظلَّ العراقُ كبيراً في عروبتِهِ
وظَلَّ عِرْضُ العراقيّين لم يُشَنِ
الحمدُ لله أنَّ الأرض عامرةٌ
والروح تنبضُ من بغداد لليمنِ

الحمـــدُ للهِ   أجـــزَيْنـــا معـــاً دَمَنـــا
هـــانَ الـرَّدى وثـــرى الأجـداد لم يَهُنِ !

* * *

صنعـاء   هل قلتُ يـا صَنعا مجـرَّدَةً ؟
ولـــو فعلتُ فمـــا عـــذري إلى عـــدَنِ ؟!
عَـــذَّبتمـــونـــا بني أجـدادِنـــا ، فـــإذا
نـــاديتُ أهلي ، نـــدائي بينكم لِمَنِ ؟!
وكنتُ طفـــلًا صغيـــراً حين علَّمَني
أهلي بـــأني إلى صنعـــاءَ مُـــرتَكَني
لكنَّهم كلَّمـــا ضـــاقـــوا أسىً ذكـــروا
جنَّـاتِ عَـدْنٍ ، فسـالَ الـزَّهـوُ بـالشَّجنِ !

* * *

يـــا أهلَنـــا إنَّـــهُ هَمٌّ نكـــابـــدُهُ
أنَّـــا انشَعَبْنَـــا من الأقطـــارِ للمُـــدُنِ !
اللَّـــهَ يـــا وطني   بي تَـــوْقُ ألفِ دمٍ
لصـرخـةٍ في بـــلادِ الغُـرْب : يـــا وَطَني
لعـلَّ رَجْـعَ الصَّـــدى يـرتـــدُّ : يـا وطني
لا يا غِلالي ، ويـــا مالي ، ويـا سَكَني !

* * *

يا أمَّ بلقيس بل يا أمَّ ذي يَزن
عن أيِّ مَجْدَيْك ينأى موكبُ الزَّمَنِ
أَلَسْتِ بذْرَتَهُ الأولى ، فكلُّ غدٍ
لولا وجودُكِ في التاريخ لم يَكُنِ ؟!
أَلَسْتِ نخلةَ كلِّ العُرْبِ مُذْ خُلِقُوا ؟
هذي فَسائلُهُم فاتَّبِعي وَزِني
تَرَيْ عروقَ أُحَيْلاها مُعلَّقةً
بجذعك الصُّلْبِ يا قدّيسَةَ الدِّمَنِ !
تاللهِ لليومِ لو سوئِلْتُ عن سَبَبي
لمالَ نحوَكِ حتى ينحني غُصُني !
وأنتِ اسطورةُ التاريخ مُذْ سَبَأٍ
ومنذُ مأربَ والتاريخ عَلَّمَني
بأنَّ حميَرَ ما كانت مَضارِبُها
إلّا معاقلَ للأخلاقِ والسُّنَنِ
فكلُّ سيفٍ بها في مقبضٍ حَرِدٍ
وكلُّ رأيٍ بها في مِقْوَلٍ لَسِنِ
قالوا ، وكانت تُجيبُ الصَّوتَ مُعْلِمَةً
ناديتَ في السِّرِّ أو ناديتَ في العَلَنِ !

يا أمّ بلقيس هذا الزهوُ أعرفُهُ
وأدّعي أنّهُ يا أمُّ يعرفني
أصْلي وأهلي وأوجاعي هنا نَبَضَتْ
وأنحني فوقَها كالضِّلْعِ في المِحَنِ
فإن نَوَتْ عُشْبَةٌ فيها وَجَدْت يدي
تَمْتَدُّ من دونما قَصْدٍ الى بَدَني!

يا أمّنا وَاَعَزِّي انَّ لي كَتَفاً
هنا ، إذا ما عَتَبْتُ الآن أَعْتَبني
إني أسائِلُ إخواني ، وآصرَتي
وكنتُ راهَنْتُ فيهم أيَّ مُزْتَهَنِ
كيف استطاعوا ، على ما سال من دمنا
ألّا يقولوا ولو : عوفيْتَ يا وطني ..؟!
حتى إذا ضَجَّت الآفاقُ أجمعُها
نصراً مُدَمًى وسالَ الطُّهْرُ بالعَفَنِ
ما قال منكم أخو حرفٍ ، ولو عَنَتاً
حَرْفاً يُجَنِّبُنا الإحساسَ بالغَبَنِ!
يا أهلَنا ، بعضُ مَن غَطّى العراقَ دماً
والناسُ مُنطحِنٌ في جوفِ مُنطحِنِ

أولادُكُم كان صوتُ اللهِ في دَمِهم
يصيح في لبَّة الهيجاء : يا يَمَني !
فأين إخْوَتُهم في الحرف ؟ .. هل سكتوا
مِن رَهْبَةِ الموت ، أم من رهبةِ الفتَنِ ؟!
إنّي لأخشى أخي ، عيني بمُقلَتِه
تبدو كأنْ لَمْ أُشاهِدْهُ ، ولم يَرَني !

* * *

ويا أعَزَّ الورى ، واللّهِ لا وَهَناً
وَلا بنا حاجةُ المَهزولِ للسِّمَنِ
لكنَّني كلَّما نُودِيتُ من يَمَنِ
كانت رياحي على ما تشتهي سفني !
أجيءُ أبْري نياطَ القلب أجعلُها
رغمَ العَيا ، مَوضعَ الأشطانِ والرَّسَنِ
أقولُ : لو بئرهُمُ أنأى المياهُ بها
من مركزِ الأرض ، يكفيني لهم شَطَني !
لأنَّنا يا أعزَّ الناسِ نَحْمِلُكُم
حَمْلَ المحاجرِ والأجفانِ للوَسَنِ ..!
إنّي أُجِلُّ بني عمّي مكابَرَةً
أقول حتى على مَن خانَ : لم يَخُنِ !

فكيفَ من كـــان درعي ، وانطـلاقَ يـــدي
وظَـــلَّ يـــدفـــعُ عَنّي غـــاليَ الثَّمنِ ؟!
هيَ شَهقـــةٌ بَيْنَكُم يـــا أهـــلُ أشهَقُهـــا
من بـــالَـغِ الحُبِّ لا مِن بـــالـغِ الحَـزَنِ !
وبي لكم مِ الهـــوى مـــا لـــو عَقـــدْتُ بـــــه
جِنْـحَ العصافيـر مـــا طـــارتْ إلى فَنَنِ .. !

كتبت في صنعاء بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٩
وألقيت ونشرت فيها بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٨٩

واذ أسمّيك يزهو باسمك البلد!

وَدارت الشّمسُ عــــامٌ وهيَ تَتَّقِـــدُ
والارضُ في كــلِّ يــومٍ تحتَهـــا تَلِـدُ
والكِبْـــرُ، والـزّهــوُ، والأمجــادُ أجمَعُهــا
رغْمَ التَّـــوَجُّـــع في ذِكـــراكِ تَحتَشِـــدُ!
عـــامٌ، لكـــلِّ جـــديـــدٍ مِن مَطـــالِعِـــهِ
شمسٌ تُضيءُ، وشمسٌ بَعْـــدهـــا تَعِـــدُ
لكنَّ كـــلَّ السَّنـــا تَبقى مَجَـــرَّتَـــهُ
تلـــكَ الـدّمـــاءُ، وذاكَ الصَّبْـرُ والجَلَـــدُ!
أولادُنــــا زَهْــوُ كـــلِّ الأرضِ مـــا وَقَفـــوا
والـــرّاقـــدونَ علَيهـــا حَيثُمـــا رَقَـــدُوا!

* * *

عـــامٌ وبغـــداد تَعلـــو كـــلَّ ثـــانيـــةٍ
بهـــا يَـــدٌ بَيْـــرَقٌ فيهـــا وَثَمَّ يَـــدُ

تَسعَى على إثْــرِهــا ، والأرضُ دائــرةٌ
وَحــولَ بغدادَ مِن كــلِّ الــدُّنــا رَصَــدُ
اللّه يــا وَطنَ التــاريــخِ يــا وَطني
يــا بابلَ المَجدِ يــا آشورُ يــا أكدُ
يــا قــادسيَّةُ ، يــا يَــرمُوكُ أَهْلُكُمــا
ويــا نَهاوَنْــدُ لا غــابُــوا ، ولا آبتَعــدوا
آثــارُهُم مِـلْءَ هــذي الأرضِ شــاخِصــةٌ
وَكُــلُّ رُوحٍ لَهــا مِن لَحْمِنــا جَسَــدُ !

* * *

يــا دارَةَ الشَّمسِ يا مَرسى أَشِعَّتِهــا
يا هــالــةً ليسَ يَرْقى نَحــوهَا أَحَــدُ
إلّاكَ يــا سَيْفَهــا الــزَّاهي وكــوكَبَهــا
وَإذْ أَسَمِّيــكَ يَزهــو بــاسمِــكَ البلَــدُ !
صَــدامُ يــا بَهجَــةَ الــدُّنيــا وَرَونَقَهــا
يــامَنْ بِــهِ وَعَليــهِ النّــاسُ تَتَّحِــدُ
يا نَجْلَ مَن جاهَدُوا في اللّه واجتَهَـدُوا
يا نجلَ مَن كَبَّروا يا نجلَ مَن سَجَدُوا
جِبــاهُهُم لامَسَتْ في اللّه كــلَّ ثَــرَىً
وفي سِــوىٰ اللّــهِ بــالأفــلاكِ تَتَّسِــدُ !

* * *

أبـــا عَـــدِيٍّ وَأبهى ما نَتيِـهُ بِـهِ
هــذا النِّـداءُ لهــذا لَسْتُ أَقْتَصِـدُ !

لِتَعْلَمَ الارضُ طُــرّاً أنَّنـــا بَشَــرٌ
مِن مَــورِدٍ واحِــدٍ في زَهْـوِنـا نَـرِدُ !

وَفي الخُطــوبِ لَنـــا سَيفٌ نُجـرِّدُهُ
وَنفتَــدي الكُــلَّ كَفَّـــاً حينَ يَنْجَـرِدُ !

بِــذا وَقَفْنــا بِـوَجْـهِ الفُـرْسِ وَقْفَتَنـا
تسعينَ شهــراً ولم نَعْقَمْ ، ولم يَلِــدُوا !

حتَّى خَبَتْ نـــارُهُم ذُلّا وَمَهْلَكَـــةً
كمـــا خَبَا أَمْسِ مـا أجـدادُهُم وَقَـدُوا

أجَـلْ بهـذا وَقَفْنـــا أَنَّنـا اجتَمَعَتْ
عَليــكَ أنفَــاسُنـــا إذْ شَمْلُهُم بَـدَدُ

وكنتَ فينـــا كَنَبْضِ القَلْبِ تَــرْفِـدُنـــا
دَمـاً وَحُبّــاً إلى أنْ أوشَــكَ الأمَــدُ

فَقُمْتَ في الفـــاوِ قَلبـــاً فَـكَّ أضْلُعَـهُ
وانْقَضَّ عُـــــزيـــــانَ لا بِزِعٌ ، وَلا زَرَدُ !

قـــاتَلْتَهم ، وَبِـــكَ الـــرَّحمنُ قـــاتَلَهُم
حتَّى تَطَـــايَرَ حَـدُّ البَصْـرَةِ الـزَّبَـدُ !

فَســـالَ سَيْـلُ النَّشـــامى يـا عظيمُ بهم
وراحَ يَنـــدُبُ فيهِم حَظُّـــــهُ أَسَـــدُ !
لِكـــلِّ عَصْـــرٍ مَعَـــاييـــرٌ يُقَـــاسُ بهـــا
واليـــومَ مِعْيَارُ كـلِّ النَّـاسِ مـا صمَدوا !

❀ ❀ ❀

عـــامٌ وَأولادُنـــا لا يَـــذْكـــرُون سِـــوى
أَمجـــادِ إبـائِهِم مـــا فـــاخَـــرَ الـــوَلَـــدُ !
عــامٌ ، وَنحنُ نُعيدُ الارضَ سِيـرَتَهـا الـ
أُولى ، وَنَهـــدي وَنستَهـــدي ، وَنَعتَضِـــدُ
نُقيمُ أَزوِقَــــةً للشَّمس نَـــــزْرَعُهـــــا
حُبّـــاً عَلَيـــهِ قلـــوبُ النَّـــاسِ تَنْعَقِـــدُ
وَيَحفـــرُونَ جَحيمـــاً لا قـــرارَ لَهـــا
لَهيُبهـــا البُغْضُ والأحْقـــادُ والكَمَـــدُ !
هـــا نحنُ نَمْلا بَحْـرَ الفاوِ أَشْـرِعَـةً
وكـــانَ بـــالامسِ مِن كـــابـــوسِهِمْ يَقِـــدُ
صـــارَتْ مَمَـالِحُـهُ الـدُّنيـا بِمـا رَحُبَتْ
زُهْـــرُ الحَجيـــج إلى شُطْـآنِهـا تَفِـدُ !
لِأَنَّ أُسطـــورَةَ التَّـــاريـــخ تَسْكُنُهـــا
فَفَـــوقَهـا كـــانَ حتَّى الموتُ يَـرتَعِـدُ !

وفَــــوقَها الغِيُّ كـلُّ الغِيِّ قــدْ دُحِـرَتْ
أمْـــواجُـــهُ ، واستَقـــامَ الحَقُّ والـــرَّشَـــدُ
الفـــاوُ بَـــوَّابَـــةُ التَّـــاريـــخِ أَجْمَعِـــهِ
لأنَّ أعـــداءَهُ في رَمْلِهـــا وُئِـــدُوا !
وهـــا هي البَصَـــرةُ الفَيْحـــاءُ زاهيَـــةٌ
أقـــامُ فيهـــا أَعَـــزُّ النَّـــاسِ يفتَقِـــدُ !
كـــانَتْ نَهـــاراتُهـــا فَـــرْطَ الغُبـــارِ دُجىً
وكـــانَ كـــالكـــوكَبِ الـــدُّرِّيِّ يَتَّقِـــدُ !
حتى أمـــاطَ الـــدُّجى عنهـــا بهَيْبَتِـــهِ
وأُتْــرِعَتْ بـــالسَّنـــا آفـــاقُهـــا الجُـــدُدُ
وَضَـــاءَ فيهـــا عَمـــودُ الشَّمسِ مُشْتَعِـــلًا
وَشَبَّ مِن كـــلِّ بيتٍ نَخْـــوَهُ وَتَـــدُ !
هـــذي هيَ اليـــوم مُـــرْخـــاةٌ أَعِنَّتُهـــا
وَسَلْسَـــلُ المَـــوْجِ في العَشَّـــار يَتَّئِـــدُ ..
اللّه يـــا وَطَنَ الأحـــرارِ ، يـــا وَطَني
يـــامَن بـــأبْهى سِمـــاتِ المجـــدِ يَنْفَـــرِدُ
أنتَ العَـــزيـــزُ يَميـــلُ الكَـــوْنُ أَجْمَعُـــهُ
وأنتَ بـــاقٍ إليـــكَ الأرضُ تَسْتَنِـــدُ !

أنتَ العــــراقُ .. فَلَـو نــادَيْتُ : يـا وَطني
أحْسَسْتُ حَـولي نجـومـاً مـا لَهـا عَـدَدُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٤ / ٩ / ١٩٨٩

يا تاج كل تراب الأرض

هــذي هيَ الفاو   مَن يَجـرا فَيُنْطِقُها
وَفي ثَـــراهـــا مِن الأخبـــارِ أَصْـــدَقُهـــا
مَن يَنْكأُ الزَّهْـــوَ؟ .. هذي الأرضُ هَيْبَتُها
بـــأنَّها جُـــرحُهـــا المكتُـــومُ بَيْـــرَقُهـــا !
مَن يَســألِ الفــاو؟.. ذَرّاتُ التُّـــرابِ هُنـا
مـــا زالَ ذاكَ الــدَّمُ القِـــدِّيسُ يُغْـــرِقُهـــا
وَكـــلُّ حَبَّـــةِ رَمْـــلٍ في شَـــوَاطِئِهـــا
قلبٌ لَـــهُ خَفْقَـةٌ في المـــاءِ يَخفُقُهـــا !
مَن يَسألُ الفاو؟ .. هذي الأرضُ لَو نَطَقَتْ
يُخـــالِفُ المَنطقَ المَـــألـــوفَ مَنْطقُهـــا
حَتَّى النَّخيـــل التَـــدَلَّتْ مِنـــهُ شَعْفَتُـــهُ
وَقَـــد تَشَظَّى مِن النِّيـــرانِ مَفْـــرِقُهـــا

إذا نَظَــرْتَ إليــهِ خِلْتَ قــامَتَــهُ
خَجْلى لأنْ سَعْفُهــا أودى وأغــذُقُها !

* * *

يــا تــاجَ كـلِّ تُـرابِ الأرضِ مَعـذِرَةً
أنّي أكــادُ خُطــايَ الآنَ أُوْثِقُهــا
أخـافُ لا شَهْقَةٌ لا ضِحكَــةٌ تُـرِكَتْ
هُنـــا وَأغْفَتْ ، إذا ما سِـرْتُ أسْحَقُهـا
لَسْتُ المَعــرّي عظيمٌ قـالَ فلسفَــةً
أنـــا مَقَــاتِــلُ أهلي الآنَ أَرْمُقُهــا !

* * *

يا تـاجَ كـلِّ تُـرابِ الأرضِ مـا عُـرِفَتْ
أرضٌ بَنُــوهــا كهــذا العِشْقِ تَعْشَقُهــا
يَلــوحُ لي أنّني لَـو قِيـلَ عَنْـكِ كَـذا
مِن الأســاطيــر ، مَبْهــوراً أُصَـدِّقُهــا
وَأيُّ أسْطـــورةٍ يـــا فـــاو أعظَمُ مِن
هــذي الّتي بَيْنَ عَيْنَيْنــا تَــألُّقُهــا
بــأنّ تلــكَ التي سَقْفُ الجَحيم هَــوَى
على ثَــراهــا إلى أنْ كــادَ يَمْحَقُهــا

هي التي نحنُ فيهـــا الآنَ ، وَادِعَـــةٌ
شُطـــآنُهـــا مُطَمئِنَّـــاتٌ حَـــدَائِقُهـــا
مَليئَـــــةٌ بِظِـــــلالِ الحُبِّ ، مُفعَمَـــــةٌ
بـــالكِبْرِ لا شيءَ غيرَ المجدِ يُقْلِقُهـا
مَفْهُـــورَةٌ بِسَنـــا صـــدَّام تُـــربَتُهـــا
فَمنْـــذُ صلَّى عليهـــا لاحَ مَشـــرِقُهـــا !

❁ ❁ ❁

هذي هي الفاو جَـلَّ اللّهُ شـاءَ لها
أنْ تَمَّحي ، وَمِنَ الانقـــاضِ يَخلُقُهـــا !
لِكي تكـــونَ دَليـــلًا شـــاخصـــاً أبَـــداً
أنَّ الحيـــاةَ الحيـــاةَ المـــوتُ يسبِقُهـــا !
وَمِثلَمـــا طـــائـــرُ الفِينيقِ يَنهَضُ مِن
رَمـــادِهِ شَهقَـــــةً للنَّجمِ يَشْهَقُهـــــا
كـــذلـــكَ الفـــاو إذْ صَـــدَّام أنهَضَهـــا
كـــأنَّـــهُ كـــانَ مِ الاكفـــانِ يُعْتِقُهـــا !
مَيمُـــونَـــةٌ أنتِ لم تَطـــرُقْ يَـــدَا قَـــدَرٍ
بـــابـــاً كَبـــابِـــكِ وَالأقـــدارُ تَطْـــرُقُهـــا
فَتُبصِـــرُ المـــاجِـــدَ الصَّـــدَّام مُنْجَـــرِداً
كـــالسَّيفِ ، يَفْتَحُهـــا رَهْـــواً وَيُغْلِقُهـــا

فَلِلنَّــــدى وَضيـــاءِ الشَّمس أَرْحَبُهـــا
وَلِلسَّـــوافي وَلِلظَّلْمـــاءِ أَضْيَقُهـــــا

وَذاك أَنَّـــكِ مُـــذْ لامَسْتِ جَبْهَتَـــهُ
أَيقَظْتِ في نَفسِـــهِ وَجْـــداً يُـــؤَرِّقُهـــا

بـــأنْ تكـــونِي سيـــاجَ الأرضِ أجمَعِهـــا
فَمِنْـــكِ سَـاتِـرُهـــا العَـــالي وَخَنْـــدَقُهـــا

وَأنتِ عُنـــوانُ كـــلِّ المكـــرُمـــاتِ بهـــا
فَفيـــكِ أعلى مَعَـــانيهـــا وَأعمقُهـــا

وَإنَّ صَـــدَّام يَـــدري أنَّ فيـــكِ أَسىً
بِقَـــدْرِ أَفْـــراحِـــكِ الـــلَّائي نُـــوَثِّقُهـــا

يَدري بِما تحتَ هـــذي التُّربِ مِن وَجَـعٍ
بُـــذورُهُ حَنْظَـــلٌ مُـــرٌّ تَـــذَوَّقُهـــا

فَكُـــلُّ حَبَّـــةِ رَمـــلٍ بينَ أَضْلُعِهـــا
شَظيَّـــةٌ لم تَـــزَلْ لِليـــوم تُحـــرِقُهـــا !

وَكُـــلُّ حَبَّـــةِ رَمْـــلٍ مـــا تـــزالُ بهـــا
رَصَـــاصَـــةٌ لَـــو تُثـــارُ الآن تُطْلِقُهـــا !

وَكُـــلُّ حَبَّـــةِ رَمـــلٍ طَـــوَّقَتْ بَطَـــلًا
وَعنـــدَهـــا الآنَ قِـــدِّيسٌ يُطَـــوِّقُهـــا !

* * *

هذي هيَ الفاو مَن يَجـرا فيُنْطِقُها ؟
أوراقُهـــا ذِي وَلكنْ ، مَنْ يُـــوَرِّقُهـــا ؟
حتّى العيـــونُ بهـــا مِنْ فـــرطِ هيبَتِهـــا
يكـــادُ يَجْمُـــدُ في الأجفـــانِ زِئْبَقُهـــا
فـــلا تُنَقِّـــلُ عَينٌ فَضْـــلَ نَظْـــرَتِهـــا
لكنْ خُشـــوعـــاً وَإطـــراقـــاً تُحَـــدِّقُهـــا !

* * *

يـــا تـــاجَ كـــلِّ تُـــرابِ الأرضِ ، مَعـــذِرَةً
لِـــوَمْضَـــةٍ مِن سَنـــا عَيْنَيـــكِ أسـرُقُهـــا
لَعَـــلَّ إشـــراقـــةً مِمـــا امتَـــلأتِ بِـــهِ
قَصيـــدَتي هـــذِهِ تَسمُـــو فَتُشْـــرِقُهـــا
وَلا ، وَلَـــو صـــارَ كـــلُّ الشُّعـــرِ أَجْنحَـــةً
وَصَـــارَ للـــوَحيِ أمـــواجٌ يُـــزَرْقِـــرِقُهـــا
وَلي سَفِينٌ ، وَحَـــرفي كـــوكبٌ ، وَأنـــا
طُـــوفانُ شِعْـــرٍ وَلي رُؤيـــا أُصَـــدِّقُهـــا
لَمـــا تَجَـــرَّأَ شِعـــري مِن تَهَيُّبِـــهِ
أنْ يَـــدَّعِي بَـــرْقَـــةً في الفـــاو يُبْـــرِقُهـــا !

* * *

يـا دُرَّةَ الشِّعـر   هـذي مَخضُ لُـؤلـؤةٍ
أتَيْتُ في صَـــرحِــكِ العَــالي أُعَلِّقُهـــا
مُلَمْلِمـــاً أحْـــرُفي الخَجلى على عَجَــلٍ
فَـــلا تَـرُدِّي يَــدي فــالحبُّ يُــزهِقُهـــا !

كتبت وألقيت في الفاو في مهرجان المربد العاشر
ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢٥ / ١١ / / ١٩٨٩

عـــام الفيـــل

(مهداة الى معسكر اليرموك لتدريب الاطفال الفلسطينيين في اليمن)

جاء في اللوح
تنطفيءُ الشمسُ سَبعاً
وتشتعلُ الارضُ سَبعاً
وتَختلطانْ
ثم تشتعلانِ معاً
ثم تنطفئانْ
ويعمُ الدُخانْ ..

وبين ليلةٍ قتيلٍ وضُحىً قتيلْ
يبدأ عامُ الفيلْ

هَمهموا

سوفَ تَنشرُ كلُّ السماواتِ أجنحةً لا تُضيءُ
واللّيالي ستدعو سكينتَها
غيرَ أنَّ سكينتَها لا تجيءُ ..

مَن رأى أبرَههْ ؟
أنا رأيتُهُ
رأيتُ الدَّمَ من شدقَيهِ حتى نحرِهِ يُراقْ
وهو يلوبُ كاللديغْ
يخبطُ رأسَهُ
يدقُّ بالأيدي وبالأنيابِ فوقَ ساتِرِ العراقْ

ليلةً قلتُ لَهْ
أنتَ تُخطىءُ ،
جَدُّكَ ما جاء من صَوبِ بغداد
قالَ النهاياتُ واحدةٌ
كان يقصدُ بيتَ الرجاءْ
والطريقُ إليهْ
تبدأُ الآنَ من كربلاء ..

مَن رأى أبرهة ؟ ..
لم يكنْ محضَ جيشٍ وفيلْ
كان ظاهرةً لزمانٍ وبيلْ
وعلامتهُ
أن يكونَ أخوكَ عليكَ الدّليلْ

حَجَرٌ من سِجّيلْ
حجرٌ كالمَطَرْ
مطَرٌ للأراضي اليَبابْ
مطرٌ للرؤوس اليَبابْ
مطَرٌ للضمير اليبابْ
مطرٌ مِن حجَرُ

أيَتُها العصافيرْ
أيتُها الأيدي التي لم يَنْبت الرّيشُ عليها بَعدُ
كي تطيرْ
الى متى تَستعجلين شوطَكِ الأخيرْ؟

ذاتَ ليلٍ رأيتُ لهُ
كانت الأمّهاتُ يجئنَ بأطفالهنَّ إليهِ
يُقبّلهم واحداً واحداً
قلت يا سيّدي
أوَلستَ تُحمّلُ مِ الآن كلَّ صغيرٍ
وسامَ شهادتِهِ ؟
فاستمرَّ يُقبّلهُم وهو يبكي
وكانت أصابعُهم تحتوي وجهَهُ مثلَ أجنحةِ
الطّير
مسَّ رفيقٌ له كتفِي هامساً
أيُّها الأخُ
أحصَيتَ ما وَشَموا هم على وجنتيهِ
من الاوسِمَه ؟
غَدًّها سوفَ يحيا
غَدًّها سيموتْ
الى أن يكون لهم وطنٌ
ولهم فيه أضرِحةٌ وبيوتْ ..

يا نهارَ النّبوءات

إنّي نَذرتُ دمي لسماءٍ مجنَّحةٍ بالعَصافير
أنفقتُ عمري أغنّي لها
قلتُ تكبرُ
لا بدّ يوماً ستكبرُ
تَحملُ بين مَناقيرِها الحَبَّ والطُّلعَ
تجعلُ أعشاشَها وطناً
لا تهاجرُ إلا إليه
ولا تَتكاثرُ إلا عليه

أأخطأتُ يا وطني؟؟

يُصبحُ الجروُ ذئباً
وتَغدو الصِّلالُ أفاعي
ولكنْ صغارُ العصافيرِ تَبقى عصافيرَ
يا وطني
والذي سوف يَقتلني
أنها لم تعد تحملُ الطُّلْعَ
بل تحملُ الدَّمَ بين مناقيرها

أصبحَ الدَّمُ طلعاً

وصار الحجازْ

حليةً في أكُفِّ الصَّبايا
يا زمانَ الخطايا
يا زمان الخطايا ..

حجرٌ من سجّيلْ
حجرٌ في جبهة هذا الجيلْ
بَعدَهُ حجرٌ للأعادي . !

لُعبةٌ بدأتْ
كنتَ تنظرُ يا وطني باسماً
لصغاركَ في كلِّ حاره
عندما بدأوا يحملون الحجاره

أقدارَ بخلدكَ يا وطني
أنّ هذا الزّمانَ الوباءْ
أنّ هذا الزمانَ الذي يأكلُ الأنبياءْ

وهو يبحثُ في يأسهِ عن بشاره
سوف يأتيهِ صوتٌ من اللّهِ
متّشحاً بالحجاره ؟!

تَنتهي الآنَ أزمنةُ الكاذبين
يَنتهي زمنُ الغاشيهْ
يَنتهي زمنُ المتَواطئةِ الـ حينَ تنظرُ بين محاجرِها
تَتشاغل أعينُها بأظافرِها
أو تُتمتمُ شيئاً مع الحاشيه !

أيُّها الخادعونَ ضمائَركم انَّ أيدي الصغارْ
طيورُ أبابيلْ
انَّ حجارتَهم نارُ سجّيلْ
ثم تركتمْ مناقيُرَها وحدَها تَدرأُ الفيل
بَينا أبو رغالْ
يَدُلُّ قومَ أبرههْ
على بيوتِهم ..
وكالعصافيرِ من الأعشاشِ
واحداً فواحداً

تُنتَزَعُ الأطفال

وبأيديهم حَجَرْ
وبعينَي كلِّ أُمٍّ صرخةٌ تُبكي الحجر
ورياحُ القبائلِ ما عصَفَتْ
ورمالُ الجزيرة ما برحتْ فوق كُثبانها غافيهْ
نومةَ العافيهْ !

ما الذي تستطيع طيورُ أبابيل أنفسُها الآن ؟
وحِجارتُها غيرُ تلك الحجاره
وزمانُ القبائلِ غيرُ الزّمان ..

مَن رأى أبرَههْ ؟
مَن الذي يُخبرُهُ الساعةَ قبلَ أن يموت
أنّ أبا رغالْ
قد وجدَ الآن طريقاً نحو بيت الله
يبدأُ من بيروتْ !

وقُرانا مُطفاه

وعيونُ الماء في كلّ قرانا مُرجَاه
غيرَ آبارِ الغضَبْ
غيرَ هذي النُّطَفِ السّوداءِ في أرضِ العرَبْ
كلُها مشتعله
وعليها ، وإليها
كلُّ بابٍ مقفلَهْ

إرجمي إرجمي
يا أكفَّ الصغارْ
ارجموا يا صغارْ
كلُّ تاريخ أرضِ النّبوّاتِ صارْ
بأصابعِكم يَحتمي
إرجمي
إرجمي

حَجرٌ من سجيلْ
حجرٌ في جبهة هذا الجيل
بعدَهُ للأعادي

يا بلادي
كلٌّ يبحثُ عن جَمَل في تِيهْ
أمّا البيتُ
فلَهُ أطفالٌ تَحميه !

ألقيت في افتتاح المربد عام ١٩٨٩
ونشرت في مجلة الاقلام في حزيران ١٩٩٠

نحن الذين هنا رأينا

بيديكَ
أم بشغافِ قلبكَ
كنتَ تلمسُهم ؟
وكانوا يلمسونَكْ
بقلوبهم ..
أرواحُهم كانتْ تَسيلُ عليكَ حينَ يُقبّلونَكْ !
أتعلَّقَتْ بيدَيكَ أيديهم ..
أم القَدَرُ العراقْ
غَدُهُ ، وعزَّتُهُ ، وهيبَةُ أهلِهِ كانتْ نطاقْ
يلتفُّ حولَكَ
حين كانوا بالقلوبِ يُطوّقونَكْ !
أفكنتَ محضَ أبٍ ؟؟
أبوَّتُنا جميعاً منكَ خَجلى

من أينَ نبدأ
والطريقُ الى الابوّةِ فيكَ أعلى
يا منَ تُعلّمُنا
ونحن الاهلُ
كيف نَصيرُ أهلا !

وتعلّقَتْ عيني بوجهكَ
كنتُ ارقبُ مقلتَيكْ
قَسَماتِ وجهِكَ عندما يتسابقونَ الى يَديكْ

أسمعتَ عن شيءٍ مزيجٍ مِن ملايينِ الشموعْ
ومن جداولَ مِن دموعْ
ومِن حنانٍ يستحيلُ الوجهُ فيهِ الى ضلوعْ
تنصَبُ فوق وحيدها .. ؟
كانت كذلك مقلتاكْ

بهما حنينْ
بهما دموعٌ جلَّ خالقُها ، ولكنْ لا تَبينْ !
أرأيتَ كم طفلًا بكىٰ ؟
نحنُ الذين هنا رأينا

كان اشتياقٌ ليسَ يوصَفُ
يستحيلُ فماً ، وعَينا

تتوهّجان
وأنتَ تدنو
ثم حين لمستَ أرؤسَهم
بكَوا ..
مِن أينَ أينا
من أين ياتي شاعرٌ بالشعر .. ؟
من أيِّ البحار ؟

الشعرُ قالَتْهُ الصِّغار
قالوه بينا يُنشدونَكْ
أوزانُهم أشواقُهم ..
وبحورُهم كانَت عيونَكْ !
يا أيُها الأبُ
كلُّ اباء البريَّة يغبطونَكْ !

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٩٠

عَلّمتَ خمسين جيلاً كيف تَحتَفِلْ

هـا نَورةُ الأرضِ حـولَ الشّمسِ تَكتَمِـــلُ
أم حـولَـكَ الأرضُ دارَتْ أيُّهـا الـرَّجـلُ ؟
عـــامٌ وَضَـــوؤكَ كـــلُّ الأرضِ مَسْقَطُـــهُ
وَزَهـــوُ صَـــوتِـــكَ حتى قُطبِهـــا يَصِـــلُ !
عـــامٌ وكـــلُّ ذُراهـــا فيـــكَ شـــاخصـــةٌ
عَيْنـــاً وكـلُّ مَـــداهـا فيـــكَ مُنشَغِـــلُ
هـلْ دارَت الأرضُ فِعـلًا في مَجـــرَّتِهـا ؟
أمْ وَعْيُهـا كـانَ في مَسـراكَ يَـرتحـلُ ؟!

* * *

عـــامٌ وأنتَ تُـــديـــرُ السِّلمَ نَورَتَـــهُ
حتى لَكـــادَ بعـــامِ النَّصـــرِ يَتَّصـــلُ

وجاءَ عامُ التَّحدّي ما رأى بَشَرٌ
عاماً كهذا تَلاقَتْ حولَهُ المُقَلُ
وأرهَفَتْ سمعَها تُحْصِي وَقائعَهُ
مِن مَشْرِقِ الأرضِ حتى المَغربِ الدُّوَلُ
بِكلْمَتَينِ شَكَمْتَ الموتَ أجمعَهُ
وكانَ نُصْبَ رَفيفِ العَينِ يَمْتَثِلُ
أَلْجَمْتَ وَحدَكَ طوفاناً بِرُمَّتِهِ
فَلَمَ يَلُحْ منهُ إلّا ذلكَ الوَشَلُ
وكانَ صوتَ العراقِ الحرِّ صوتُكَ إذْ
أنذَرْتَهمُ كانَ جُرحُ الشَّمسِ يَنْدَمِلُ
وَتستَقيمُ الثُّريَّا في مَواقِعِها
وكلُّ جِذعٍ على ساقَيْهِ يَعتَدِلُ
كانَتْ تُسائِلُ حتى الرِّيحُ عاصِفَها
أيُّ المَهَبّاتِ مِنهُ الموتُ يُحتَمَلُ ؟!
فَما أجابُوا ، ولكنْ أجفَلوا زَمَناً
ثمَّ استَشاطوا جميعاً بعدَما جَفَلوا !
لا باسَ .. فينا لهذا الغَيْظِ مُتَّسَعٌ
مِن حِلْمِنا وَلَهُ مِن صَبرِنا أَجَلُ

لكنْ وَلَسْنــــا نخـــافُ الآنَ صَيْحَتَهُم
لا يَجْهَلُنَّ عَلَينـــا فـــوقَ مـــا جَهلُـــوا
شَتَّـــــانَ أنْ تَتَّقي لا تُتَّقَى أبَـــداً
وبينَ أَنْ يُتَّقَى إذْ يَتَّقِي الـــرَّجُـــلُ!

❁ ❁ ❁

يـا سَيِّـدي .. أيُّهـــا المَيْمـونُ طـالِعُـهُ
يـــا مَن بِـــهِ وعَلَيـــهِ تَلتقي السُّبُـــلُ
يـا جـاعلًا عُمرَهُ الـنَفْــديـهِ مُنعَطَفـاً
عليــهِ تـــاريـــخُ كـــلُّ العُـــرْبِ يَنتَقِـلُ
فكـــلُّ فجـــرٍ بِـــهِ نصـــرٌ يُطـــالِعُنـا
وكــــلُّ ليـــلٍ على شُطـــآنِـــهِ أَمَـــلُ
أضَــــاتَنــــا فتَنـــادَى في دَواخِلِنـــا
خمســـونَ جيلًا .. شَتَـاتٌ، خُنَّـعٌ، هَمَـلُ
كـــانَتْ بـــاضْلُعِهِم أشبـــاحُ مقبـــرةٍ
أضَـــاتَهم فـــإذا كـــلٌّ بِـــهِ جَبَـــلُ
الكبـــريـــاءُ التَّحـــدِّي الصَّبـــرُ ذُروَتُـــهُ
والعِلمُ والـــوَعيُ والإيمـــانُ والعَمَـــلُ

كـــلٌّ لَــهُ مُنــذُ بَــدْءِ الأرضِ مِشعَلُــهُ
مِنَ الحَضـــارةِ لكنْ   كُلُّهم خُــذِلـــوا
وإذْ أَعَـدْتَ سِـراجَ الـــرُّوحِ سيـرَتَــهُ الـ
أولى ، تَـــأَمَّلْـــهُ كيفَ الآنَ يَشتَعِـــلُ
وَحَقٌّ عَينَيـــكَ مِن عَينَيـــكَ جَــذْوَتُـــهُ
فَـــأيُّ ضَـــوءٍ كهـــذا أَيُّهـــا البَطَـــلُ

* * *

عـــامٌ تَعَــدَّى   وَعــامٌ نَلْتَقيــهِ غَــداً
وأنتَ فيـــهِ اكتمـــالَ البَـــذْرِ تَكتَمـــلُ
يــــا جـامعــاً مَـوكبَ الافــراحِ أجمَعِهـــا
فيَـــومُ عيـــدِكَ بـــالاعيـــادِ يَكتَحِـــلُ
يــــا سَيِّدي ، يــا فتى خمسينَ مَلْحَمـــةً
عَلَّمتَ خمسينَ جيـــلًا كيفَ تَحتَفِـــلُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٩٠

يَبقى المُحيطُ مَهيباً

كتبت في الذكرى الأولى لاستشهاد الفريق الأول الركن عدنان خيرالله

عــــامٌ تَعَــــدّى ، ثَقِيــــلاتٌ رَكــــائبُــــه
كُثْــــرٌ هَــــلاهيلُــــهُ كُثْــــرٌ نــــوادِبُــــهُ
مَليئــــةٌ بــــالسّنــــا العَــــالي مَنَــــابعُــــهُ
مَليئــــةٌ بــــالــــدَّمِ الغــــالي مَسَــــاكبُــــهُ
عــــامٌ ، وَبغــــدادُ تَستَعــــدي مروءَتَهــــا
عَلى زمــــانٍ كثيــــراتٍ شَــــوائِبُــــهُ
وأنتَ يــا خيــرَ مَنْ فيهــا سـوى رَجُــــلِ
أبقَيْتَــــه وَحــــدهُ شُمّــــاً مَنــــاكِبُــــهُ
مُستَنْفَــــراً ، كلّمــــا ضــــاقَ الفَضــــاءُ بِــــهِ
أو شَــــدَّ ، أو لألأتْ زَهــــواً كــــواكبُــــهُ

نقــولُ في ســرِّنــا : صَــدَّامُ فَــرْحَتُــهُ
عَبْــرى ، فعدنــانُ فيهــا لا يُصــاحبُــهُ
عَـدنـان يــا أخَ صَدَّامَ الــرَّفيقَ بِـهِ
يــا خــالَ أولادِهِ يــا مَنْ كَتــائِبُــهُ
في القــادسيَّــةِ مــا أرْخَتْ أعِنَّتَهــا
إلّا وَبُــرْجُ الاعــادِي مَــالَ جــانِبُــهُ

* * *

عــامٌ تَقَــدّى وَفي بَغــدادَ مُنْتَحِبٌ
في الكَــرخِ تُسْمَــعُ لَيْلِيّــاً حَــرَائِبُــهُ
في الثّــانَـويَّــةِ تَنْثالُ الصُّفـوفُ بِـهِ
رَطْبــاً شَجِيّاً مَـرْوعـاتٍ مَســارِبُـهُ
تَلْتَفُّ حَــــوْلَ دروبٍ كُنتَ تَقْطَعُهــــا
أيّــامَ عُمْــرِكَ أبْكــارٌ مَــلاعِبُــهُ
وَتَلْتَقي حَــوْلَ تِمثــالٍ أقَمْتَ بِــهِ
رَمْــزاً ، وَروحُــكَ في حُــزنٍ تُجـاذِبُـهُ
لَــو أنَّ قــاعِــدَةَ التِّمثــالِ تَهبِطُ مِنْ
عَليائِهــا تَلْمُسُ المَمْشى تُقــارِبُــهُ
تُعْطِي لِخَطْــوِكَ دَرْبــاً نحــوَ مَلعَبِــهِ
في الكَــرخِ ، والليــلُ مُــرخــاةٌ ذَوائبُــهُ

لَسِـــرْتَ فـي طُـــرُقَـــاتٍ أنتَ تَعْـــرِفُهـــا
وَنَحـــوَ رُكْنٍ عَـــزيـــزٍ أنتَ صَـــاحِبُـــهُ
وَفي انتظـــارِكَ وَجْـــهُ تَسْتَضيءُ بِـــهِ
لِـــلآن يَسْـــألُ عَن عَـــدنـــانَ عَـــاتِبُـــهُ

* * *

عَـامٌ تَعَـدّى كَـــأَنْ بَغـدادُ مـــا زُرِئَتْ
وَلا الجعَيفِـــرُ قَـــدْ شَـــاخَتْ خَـــرائِبُـــهُ
وَلا أَزِقَّـــةُ خِضْـــرِ اليـــاس أَثْكَلَهـــا
أبـــو عَليٍّ ، وَفيهـــا طَـــرٌّ شَـــارِبُـــهُ
كـــأنَّـــه لم يَجُسْ في لَيْلِهـــا حَـــدَثـــاً
وَلا صَبيّـــاً غَـــريـــراتٍ مَتَـــاعِبُـــهُ
يَخُطُّ لَيْـــــلَا شِعَـــاراتٍ وَيَحْفَظُهـــــا
عَنْ ظَهْـــرِ قَلْبٍ وَتَكسوُهـــا مَـــواهِبُـــهُ
دَمـاً وَلحْمـاً وَيَبقى قَيْـــدَ مَـوضِعِهـــا
كَـــأَنَّ مِنْـــهُ عَلَيـــهِ مَنْ يُـــرَاقِبُـــهُ

* * *

عَـــامٌ ، كَـأَنَّ صَـــلاحَ الـدّينِ مـــا دَرَجَتْ
فيهـــا خُطـــاهُ وَلا كـــانَتْ تُـــدَاعِبُـــهُ

طِفلًا وَلا احتَضَنَتْ شُطآنُ أنْهُرِها
أقدامَهُ وَبِهِ شَوْقٌ يُغالِبُهُ
إلى بَعيدٍ بَعيدٍ ثَمَّةَ انفرَطتْ
سِنيُّهُ وَمَضت فيها مَراكِبُهُ
وَبَيْنَ أنْ كانَ طِفلًا، ثُمَّ غابَ فَتىً
عُمْرٌ يَكادُ ابنُهُ فيهِ يعاتِبُهُ!

❁ ❁ ❁

أبا عَليٍّ أتاريخٌ أُوَثِّقُهُ؟
وَما الذي يَرتَجيهِ الآنَ كاتِبُهُ؟
يُضيفُ شَيئاً إلى عَدنان..؟.. ايُّ يَدٍ
لها مِدادٌ بَمِ عَدنانُ ساكِبُهُ؟
مَن الموَثِّقُ مَنْ؟.. تَاريخُ أُمَّتِنا
مَدى ثَماني سِنينٍ أنتَ راهِبُهُ
الصَّابِقُ المؤمِنُ المَيمونُ بَيرقُهُ
وَكيفَ لا والمُفَدَّى أنتَ نائِبُهُ
القَادسيَّةُ يا ثاني بَيارِقِها
مَنْ قادَها والرَّدى حُمرٌ مَخالِبُهُ؟
وَحَولَهُ المَوتُ كلُّ الموتِ ما جَنَحَتْ
إلى ظِلالٍ أميناتٍ جَوانبُهُ

أَلَم تكُنْ نُصْبَ عَيْنَيْ كـــلُّ أَذرُعِهـــا ؟
أكـــانَ صَبْـــرُكَ مَحســـوبـــاً عَـــوَاقِبُـــهُ ؟
أَمْ كنتَ مُنصَلِتـــاً للمـــوتِ تُـــوغِـــرُهُ
وَيَسْتَفِـــزُّكَ مَطلـــوبٌ وَطـــالِبُـــهُ
وَعنـــدَمـــا سَيْفُهـــا قُلِّـــدْتَـــهُ بَطَـــلًا
للقـــادسيَّـــةِ هـــل كـــانَتْ مَضَـــارِبُـــهُ
إلَّا بِكَفَّيْ فَتىً صَـــدَّامُ يَعـــرفُـــهُ
لِأَنَّـــهُ الآنَ ، حتى الآن ، نـــادِبُـــهُ
بَلَى وَعَيْنَيـــك يـــا أَزكى أُرومَتِـــهِ
يـــا خالَ شِبْلَيْـــهِ يا مَنْ لا يُخـــاطِبُـــهُ
أولادُ صَـــدَّام إلَّا أَنَّـــهُ أبُهُم
وَخَـــالُهُم ، وَأَخـــوهُمُ جَـــلَّ وَاهِبُـــهُ
وَجَـــلَّ مَن صَـــانَـــهُ وَالمـــوتُ في فَمِـــهِ
تِسْعينَ شَهراً وَمَن في السِّلمِ سَالِبُـــهُ

* * *

أَبَـــا عَلِيٍّ ، وَإِنَّـــا كلَّمـــا آرتَفَعَتْ
هَـــامَـــاتُنـــا ، أو هَـــوانـــا شَبَّ لاهِبُـــهُ

أو ضَاقَ ذَرْعاً تَمَنَّيناكَ لَو مَعَنا
وَانظُرْ عِراقَكَ إذْ تَعلُو مَراجِبُهُ
لَكانَ ضَمَّكَ في عَيْنَيهِ، واشْتَبَكَتْ
عَلَيكَ أَهدابُهُ، وَٱنحَطَّ حاجِبُهُ
فَيْئاً، وَسُوراً إلى أَنْ أنتَ تَسألُهُ
أَنْ يَستَريحَ، فَيَستَعْفيكَ حايِبُهُ
وَٱمْسِ أَمْسِ تَمَنَّيناكَ حينَ نَبا
أهلوكَ عَن زَمَنٍ صارَتْ ثَعالِبُهُ
أسْداً وَلكنْ على مَن لا يُخَوِّفُهُم
جُرْمُ ابنِ آوى وإنْ طالَتْ ذَنائِبُهُ
دَسُّوا وَقُلْنا، فَصَاحوا لم نَصِحْ أَبَداً
وَيَخساون لَنا كِبْرُ نُحاسِبُهُ
لَنا ٱقتدارٌ بِعَوْنِ اللّهِ نَعرِفُهُ
وَبَيْنَنا مَن مُخيفاتٌ نَواشِبُهُ
وَبَيْنَنا مَن عَلى كَفَّيْهِ مِنيَتُهُ
بِشَرْطِ أَلّا يَرى جُرْذاً يُغاضِبُهُ
أَبا عَليٍّ تَمَنَّيناك ساعَتَها
لِيَسْمَعَ الصَّوتَ مِنْ صَدّامَ طالِبُهُ

وَمَن تَعلَّمَ طِفلًا في مَدَارِسِهِ
أنَّ التَّحَدِّي لهُ كِبْرٌ يُناسِبُهُ
وَمَنْطِقٌ مِثْلما صَدَّامُ خاطَبَهمُ
يَكادُ يَختَرقُ العَيْنَين ثاقِبُهُ
واللّهِ صَدَّام وَلْيَغفِز مُكابَرَتي
أَبو عَليٍّ، فَجُرحي لا أُوَارِبُهُ
لكنَّني عندَما أدعوكَ أحسَبُني
أدعو العراقَ الذي آشورُ وَاثِبُهُ
واللّهِ لَو أنْ نبوخَذْ نُصَّرٍ عَصَفَتْ
هذي الرِّياحُ بِهِ ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ
لكنْ وَحَسْبُكَ «لكنْ» يُستَفَزُّ بها
هذا العظيمُ، وَتُستَثنى مَناقِبُهُ
لكنَّ صَدَّام تَدعو الرِّيحُ عاليَها
فَما تُشابكُها إلَّا غَوارِبُهُ

يَبقى المُحيطُ مَهيباً لا تَجيشُ بِهِ
إلَّا ذُراهُ، وَتَستَعصِي غَياهِبُهُ

* * *

أَبــــا عَليٍّ جَــــزاني الله مَغْفِــــرَةً
أَنِّي زَهَــوْتُ وَبِيْ دَمْــعُ أُغــالِبُــهُ
أَدْرِيــكَ تَصْفَحُ عَنْ زَهــوِي ، وَتَعــرِفُــهُ
إِذْ أَنتَ مِنْــهُ ، وَلَــو صَــدَّامُ صــاحِبُــهُ
إني زَهَــوْتُ بــإِيقــافِ العــراقِ لَهُمْ
وَكُلُّهُم مُسْتَفَــزُّ الــوَجْــه ، شــاحِبُــهُ
هـذا التَّحـدِّي الــذي قاتَلْتَ أنتَ بِــهِ
والكبــريــاءُ التي تَبْقى تُــوَاكِبُــهُ
هُمــا عَــزاءُ العِــراقيِّينَ أَجمعِهم
في كــلِّ مَحْفَــلٍ أَهْــلٍ أنتَ غــائِبُــهُ
فــاسلَمْ سَلِمْتَ بَلى وَالله أسلَمُنــا
أَبــا عليٍّ مَن آبيَضَّتْ عَــوَاقِبُــهُ ..

* * *

نشرت في القادسية بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٩٠

يا عيون الصغار

كلُّ مذعورةٍ عَلَيها سَلامُ
كلُّ قُربَى لَها عَلَينا ذِمَامُ
كلُّ أرضي كالقُدسِ أرضٌ حَرامُ
كلُّ قَومي عَزيزُهم لا يُضَامُ
فلْتَقِفْ كلُّ جَمرَةٍ في مَداها
إنَّ بغدادَ عَيْنُها لا تَنَامُ !
هكذا كانَ كلُّ تاريخ أَهلي
يَتَمَنَّى وَقالَها صَدَّامُ !

* * *

يا خَطايا صهيون يا ليلَ حُزْنٍ
يَتَمَطَّى وَنُصْبَ حُزْنٍ يُقَامُ
أيُّها الزَّاحفونَ مِن ألفِ كَهفٍ
مثلَما يَتْبَعُ الجُذَامَ الجُذَامُ

زُهَــــراً لا يَلُمُّهُـــنَّ خَـــلاَقٌ
لا بُيـــــــوتٌ زُلْفَى، ولا أرحَـامُ
وُلِـــدُوا يَكْـــرَهُـوْنَ كــلَّ البَـــرايَـا
فـــالمَشِـيمَـــاتُ كلُّهـا أوْرَامُ
وَنَفَتْهمْ حتَّى دِيَـــــــارُ أَبِيهِمْ
فَهُمُــــــو بَيْنَ أَهْلِهم أيْتَــــــامُ
آكِلي ظَهْـــرِ أُمِّكُمْ إنَّ هـــذي آلـ
أرضَ لا يَستَـــوي بِهــا الإجـــرامُ
ليسَ مَهْـدُ المَسِيــح مَفْـرَشَ صُهيـون
وَلا بـــاعَ بَيْتَـــهُ الإسْـــلامُ
قُـــلْ لِمَنْ شَـدَّ أَزْرَ هـذي النُّفـايـاتِ
بَلَى يُنْجِــدُ الظَّـــلامَ الظُّـــلاَمُ
غَيْــــرَ أَنَّ الفَجْـــرَ العَظيمَ سَيَبْقى
مُسْتَفِـــزّاً وَفي يَـــدَيْـــهِ الـــزِّمَـامُ
لا تَقُـــولـوا آلسَّمـا تَـأَبَّـدَ فيهـا آلـ
لَيْـلُ وَالأرضُ عَــزَّ فيهـا الـوِئَـامُ
عِنْـــدَ كُـــلِّ آرتِطـــامِ غَيْمٍ بِغَيْمٍ
يُـــولَـــدُ آلبَـــرْقُ، ثُمَّ يَهمِي آلغَمَـامُ

وَتَفيضُ الدُّنيا دَماً أو مِياهاً
في المياهَيْنِ تُزهِرُ الأكمامُ !

* * *

أيُّها المُبصِرُ آشتِعالَ دِمَانا
لا تَلُمْنا ، فَمِثْلُنا لا يُلَامُ
نحنُ لَسْنا المستَضْعَفينَ لِيَرعى
آلُ صُهيونَ زَرْعَنا ما أساموا
لا وَلا هامَةُ العراقِ تُلَيْلُ
تَستَطيعُ ارتقاءَهُ الأقزامُ
دَنَّسُوا مَرَّةً سَماوَاتِ بَغداد
وَلَمَّا تَزَلْ تَصِلُّ العِظامُ
وَيَنِزُّ الضَّميرُ سُمَّاً وَقَيحاً
كيفَ زَمَّتْ أقواسَهُنَّ السِّهامُ ؟!
كيفَ عَادُوا كما أَتَوا لم يَنَلْهُمْ
أيُّ جُرْحٍ ..؟.. وَلْيَهنَا الأغْجَامُ
أَلِكَي يَطْعَنُوا مَقامَ عَليٍّ
والحُسَينِ الشَّهيدِ ، صَلُّوا وَصَامُوا ؟!
وَإِنَنْ بُورِكَ اليهودُ ، وَبُورِكْتُم
بَني مَزْدَكٍ وَصَحَّ الخِتَامُ

أنتمو فزعُهم وَجَلُّ رَسُولُ الله
جَلُّ الأخْوالُ والأعْمامُ
إنَّها عُنْصُرِيَّةٌ يَشهَدُ الله
صُراحٌ وما عَداها آتِّهامُ !

* * *

أيُّها النَّاسُ نحنُ لا نَشحَذُ القُرْبى
وَلكنْ جَميعكُمْ أرْحامُ
نحنُ أهلوُكُمْ ، وأنتُمْ لَنا أهْلُ
وَمَا بينَ عُزوتَيْنا آنْفِصامُ
أفإنْ صَاحَ صَائحٌ مِن بنِينا :
يا هَلِي .. تطْرقُ الرُؤوسُ الضِّخامُ ؟!
يا هَلِي ، إنكُمْ أُولُو ذلكَ الصَّرحِ
فَلا يُفْزِعَنْكُمْ مَا أقامُوا
يا هَلِي .. إنكُمْ بَنُو ذلكَ الجَدِّ
فَلا يَثْلِمِ الحُسَامَ الحُسَامُ
إنَّ بغدادَ وهيَ تَنْضَحُ دَمعاً
وَدِماءً ، لَتَشتَبِيها الشَّآمُ
كُلُّ جُرْحٍ هَلِي بِدَجْلَةَ يَدْمَى
يَدفَعُ النِّيلُ عَنْهُ والأهرامُ

كــــلُّ مَـــوْتٍ نَمــوتُـــهُ يَشهَـــدُ اللّه
لَكمْ فيـــهِ مَشْهَــــدٌ وَمَقَـــامُ
كــــلُّ نَصــرٍ لكمْ عَلَيـــهِ شَهيـــدٌ
وَعَلى صَـــدْرِهِ الكـــريمِ وِسَـــامُ
فَـــإذا لم نَكُنْ كـــذا ، فَلِمـــاذا
تَمـــلأُ الجَـــوَّ هـــذِهِ الاعـــلامُ ؟!

وَلِمَنْ نَـــدَّعي انتِمـــاءً إذا لم
يَنْتَمِ الآنَ كـــلُّ هـــذا الهُـــلاَمُ ؟
هـــذِهِ التَّائِهـــاتُ إنْ هيَ حَتَّى الآنَ
غَـــرْقَى .. إذَنْ عَلَيها السَّـــلاَمُ !

* * *

يـــا هَلِي لَنْ أقـــولَ مـــا سَـــوفَ يَبْقى
نـــاقِصـــاً ، ثُمَّ يَصْعُبُ الإتْمـــامُ
أنـــا لا أدَّعِي البطـــولـــة لكنْ
رُبَّ صَـــرْحٍ تَهُـــزُّهُ الاقـــلامُ
نحنُ نَـــدعـــوكمـــو إلَيْنـــا وَلَسْنـــا
نَتَبَـــاهى بـــأنَّنـــا لا نُسَـــامُ

غَيْـــرَ أنَّـــا والله نَـــزْعُمُ أنَّـــا
مـــا عَلى وَجْـــهِ خَيِّـــرِينـــا لِثَـــامُ !
وَنُبـــاهِي بـــأنَّنـــا نَعـــرفُ الـــدَّربَ
وأنَّـــا دَلِيلُنـــا لا يُـــذَامُ
أثَـــلاثـــونَ رايـــةً وَعَلَيهـــا
كلُّهـــا رايـــةُ اليَهـــودِ تَنَـــامُ ؟!
بَـــلْ ثَـــلاثُـــونَ رايـــةً ، ولهـــذا
فـــوقَهـــا غـــاربٌ لَهم وَسَنـــامُ !
نحنُ سِيقـــانُهُم ، وَلَـــولا خُطَـــانـــا
مـــا سَـــرَتْ لابنِ خيبـــرٍ أجســـامُ
وَبِنـــا أدرَكـــوا فلسطينَ ، سَعْيـــاً
بِخُطـــانـــا وَنحنُ قـــومٌ كِـــرامُ !
وإذا مـــا سَـــألْتُ أهلي أجـــابُـــوا
للضَّـــروراتِ كلُّهـــا أحْكـــامُ !

يـــا هَلِي .. لَـــو وَضَعْتُ أعـــلامَ أهلِي
فـــوقَ بَعْضٍ لانحـــاشَ عَنهـــا الغَمـــامُ !
لَـــو سُـــوَيْعَـــاتُهُم تَجَمَّـــعُ يَـــومـــاً
لَتَنـــادَتْ لِـــوَقْعِـــهِ الأيَّـــامُ !

لَــــــــــو وَلكنْ لِمَ التَّمَنيِّ وأنتم

حـــولَ جِـــذعِي كمـــا يَـــدورُ الحِـــزَامُ !

حَسْبُنـــــا الآنَ أهْلَنـــــا أنَكُم جئتُم

وَنِعمَ الحضـــــــورُ والإشهـــــــامُ

إنَّ هـــذي الأنهـارَ تُصبـحُ كـالطُّـوفـانِ

لَـــو شَـــدَّ أَزْرَهـــا الحُكّـــامُ !

حَسْبُنـــا أنكُم هُنـــا والعِـــراقُ الحُـــرُّ

يَـــزْهـــو، وَإنْ تَمـــادَى اللّئـــامُ

إنكم هُهُنـــــا رُمـــــوزٌ لِمَغْنَىً

تَتَـــــلاشَـــى أَمـــامَـــهُ الأرْقَـــامُ

هـــوَ أنَّـــا، إنْ أَطْبَقَ اللَّيْـــلُ، فَجْـــرٌ

عَـــــــرَبِـــيٌّ، وأُمَّـــةٌ أرحـــامُ

وَهـــو أنَّـــا، إنْ أَحْـدَقَ الـوَيْـلُ، نَبْـعٌ

لِلحَضَـــاراتِ عَـــلَّ مِنْـــهُ الأنَـــامُ

فَـــإذا دافَعُـــوا عَنِ الشَّمسِ يَـــومـــاً

فَسَنـــاهـــا فِينـــا، وَفِينـــا الضِّـــرَامُ

والَّـــذي لا يَـــرى بِعَيْنَيْـــه هـــذا

سَتُـــرِيـــهِ الصُّـــروفُ وَالأعْـــوامُ

* * *

يــا عيــونَ الصِّغــارِ في كــلِّ بيتٍ
في فلسطين، كيفَ أَغْفَــوا وَنــامــوا؟
أَتُــرى تَلعَبُ الطُّفــولــةُ في
تِلــكَ النَّــواحي، وَتَنهضُ الأحْــلامُ؟
أَتُــراهُم يُــرَفْــرِفــونَ بِحُضْنِ الأهــلِ
زُغْبــاً، كمــا يَــرِفُّ الحَمــامُ؟
أَمْ لَهمُ مَخْضُ كِبْــرِهِم أَنَّهم شَبُّــوا
وَشَــاخَتْ عَليهــم الآلامُ!
فَهمــو يَــرجمــونَ كــلَّ نُكــوصٍ
وَبِهم يُفتَــحُ الطَّــريقُ الأمــامُ!

* * *

يــا شِفــاهَ الصِّغــارِ في كــلِّ بَيْتٍ
في فلسطين هــلْ أتــاكِ الفطــامُ؟
عَجِّلي، عَجِّلي، فَفي كـــلِّ دَرْبٍ
حَجَــرٌ شــاخصٌ، وَوَجْــهٌ جَهــامُ!
الفِطــامَ الفِطــامَ وَلْيُــولَــدِ الطِّفــلُ
فلسطينُ فيــكِ وهــوَ غُــلامُ!
ليسَ في الــوَقتِ فُسحَــةٌ فَــدرُوبُ الـ
عِــزِّ تَدعــو والصَّارخــاتُ الخيــامُ!

ليسَ في الـوَقتِ فُسحـةٌ يا بـلادي
فـالـرَّزايـا على الـرَّزايـا زِحـامُ !
يـا عَمـاليقَ أُمَّتي أيُّهـا الأطفـالُ
يــا مَن قِــلاعُهُــم لا تُــرامُ
مَحْضُ نـارٍ في سَعْفَـةٍ مَحضُ غُصْنٍ
وَحِجـارٌ مِـلءَ الـدُّروبِ رُكـامُ
عَلِمَ النَّــاسُ كلُّهُم أنَّ ضَــوءَ اللهِ
في الأرضِ هــذه الأكمــامُ !
أنَّهم هُم فَيَــالِقُ القُــدْسِ حَتَّى
يَــأذَنَ اللهُ أنْ تَقــومَ الــزِّمـامُ !
يَــومَهـا نَلتقي فلسطينُ وَغْــداً
فَسَــلامٌ مِنّــا عليــكِ سَــلامُ ..

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٩٩٠

يا قادة الوطن الكبير

جَمَحَتْ ، وَوَحْدَكَ في يَدَيْكَ لِجامُها
وَبِدارَتَيْكَ قُعودُها وَقيامُها
وَإليكَ وَحْدَكَ تَنتهي وَثَباتُها
وَعَلَيْكَ وَحْدَكَ تَلْتَقي أعلامُها
بكَ أنْتَ لا أحَدٍ سِواكَ سَيُبْتَدا
كلُّ المَسار وَفي يَدَيْكَ خِتامُها
سَيَجِيءُ وَعْدُ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ
إذْ لا يُشامُ حَلالُها وَحَرامُها
أنَّ البَيارِقَ في العراقِ سَتَلْتَقي
هذي عروبَتُها ، وَذا إسْلامُها
سَتَجيءُ مِصرُ وَقَد تهَلَّلَ نِيلُها
وَمَشَتْ بكلِّ جَلالِها أهْرامُها

وَسَيَأْذَنُ الحَرَمُ الشَّرِيفُ لِشَمسِهِ
أَنْ في العراقِ سَيَبْتَدي إحرامُها
سَيَضجُّ مَوجُ الأطْلَسيِّ مَهَابَةً
وَذَوائِبُ الأوراسِ تَلْمَعُ هَامُها
وَكأَنَّ شُطآنَ الخَليجِ تَصيحُ بِي
بَغدادُ مِنّا في الخُطوبِ حِزامُها
وأَمرُّ مِن صَنْعا إلى عَدَنٍ إلى
عَمَّان تَلْمعُ في يَدَيَّ سِهَامُها
فَأقولُ أهلي لو رَمَيْتُ بأيِّهِمْ
ما زَلَّ حَتَّى طِفلُها وَغُلامُها
إنِّي لأقسمُ عَنْ دِمَشقَ بأنَّها
تَلْتَفُّ ضِلْعاً لِلعراقِ شَآمُها
وَلَنَحنُ في يَومٍ يَهيبُ بأهلِهِ
أَنْ لا تَقَرَّ على الوِسادِ نِيامُها
رَضَعَتْ أُلوفُ المُزْرِياتِ دِماءَنا
والآنَ في بغدادَ حانَ فِطامُها
يَا رَافِعَ العَلَمِ المَهيبِ لِوَاؤهُ
يَا مَنْ بِهِ وَلَهُ آسْتُفِزَّ كِرَامُها

مِنْ أَلْفِ عَـــامٍ وَهيَ وَاهِيَـــةُ الخُطـــا
قَـــدْ مَالَ غـــارِبُها ، وَطـــاحَ سَنَامُهـــا
وَتَلَبَّـــدَتْ حَـــدَّ القَتَـــامِ دُرُوبُهـــا
وَتَـــابَّـــدَتْ حَـــدَّ الشَّجَـــا أَوْرَامُهـــا
وَتَفَـــرَّقَتْ عُصَبـــاً شَتَـــاتـــاً ثُمَّ هـــا
هِيَ ذِي عَلَيْـــكِ تَجَمَّعَتْ أَرْحَـــامُهـــا

يَـــا مُلْهِبَ الغَمَـــراتِ كُـــلُّ عَظيمَـــةٍ
وَلَهـــا عَظيمٌ في يَـــدَيْـــهِ زِمَـــامُهـــا
وَلَأَنْتَ مِنْهـــــا في صَميمِ لَهيبِهـــــا
وَوُفُـــودُ أَهْلِـــكَ هـــذِهِ أَعْـــلامُهـــا
وَمَن الَّـــذي يُعْطِي الرُّجـولَـةَ زَهْـوَهـــا
في الـــرَّوْعِ إِنْ لَم تُعْطِـهِ أَغْمـامُهـا ؟!
يَـــا وَاعِـــدَ الاحـــرارِ أَنَّ صُـــرُوحَهُمْ
أَبْقى ، وَأَنَّ دَمَ العـــراقِ دِعَـــامُهـــا
وَمُهَـــدِّدَ الإِشْـــرارِ لَـــو إِبْهـــامُهـــا
مَسَّ العِـــراقَ لَقُطِّعَتْ إِبْهَـــامُهـــا
يَـــا رَافِعـــاً هَـــامَ العُـــروبَـةِ بَعْـدَمـــا
كـــادَتْ تَمسُّ خُطـــا الأَرَاذِلِ هَـــامُهـــا

وَمـــــؤمِّنَ الأهْلِينَ أنَّ لَـــــدَيْهِمـــــو
في الـــرّافــدَيْنِ يَــداً تَعِــزُّ ذِمَــامُهــا

أبْشِـــرْ فَــأنْتَ الــوَاعِـدُ المَــوعُــودُ يــا
صَــدَّام أنَّـــكَ حَـــرْبُهـــا وَسَــلامُهـــا

أبْشِـــرْ فَــأنْتَ يَــدُ العَــدَالَــةِ شَــاءَهــا
آلــرَّحمنُ في أُمَمٍ طَغَتْ أصْنـــامُهـــا

لِتُحَطِّمَ النُّصُبَ التي وَعَــــدُوا بِــــأن
يَجْتـــاحَ أرْضَ الأنبِيَـــاءِ ظَــلاَمُهـــا

* * *

يَـــا قَـــادَةَ الـــوَطَنِ الكبيـــرِ تَحيَّـــةً
مِـــلْءَ العِـــراقَ تَفَتَّحَتْ أكْمـــامُهـــا

جَـــرَيانَ مَـــاءِ الـــرّافــدينِ ، وَفي سَنَـــا
شَمْسِ العِـــراقَ تَطَهَّـــرَتْ أنْسَـــامُهـــا

إنَّـــا لَنَـــزْهُـــو أنَّ بَيْنَ بُيُـــوتِنـــا
أهْـــلًا أدَامُ الـــرّافــدينِ أدَامُهـــا !

وَهمـــوُمُ أهْــلِ الـــرّافــدَيْنِ هُمـــومُهـــا
وَكَــلامُ أهْــلَ الـــرّافــدَينِ كَــلاَمُهـــا

زَهْـــوٌ لِكُـــلِّ غَـــدٍ سَيَـــأتي أنَّنـــا
هـــذي وَقـــائِعُنـــا ، وَذِي أيَّـــامُهـــا !

يَــا قَــادَةَ الــوَطَنِ الكبيــر، وَنَحنُ مِنْ
قَــومٍ مَقَــامُ الأنبيــاءِ مَقَــامُهــا
فَــإذا تَجَــرَّأَتِ الكِــلابُ، فَعِنْــدَنــا
حُــرَمُ العُــرويَــةِ لا يُمَــاطُ لِثَــامُهــا!
تَــاللَّــهِ لَــلأمطَــارُ تُصْبــحُ مِن دمٍ
والــرَّاجِمــاتُ ضِيَــاؤُهــا وَظَــلامُهــا!
وَبِنــا وَأيْمُ اللهِ صَــرْخَــةُ مُــوْغَــرٍ
كُظِمَتْ إلى أَنْ خَــافَهــا كَظَّــامُهــا!

فَلْتَلْجِمَنَّ بَنــو يَهــوذا نَفْسَهــا
أوْ لا فَيَــذْري اللَّــهُ مَنْ لَجَّــامُهــا!
وَاللّه مــا سَمَّتْــكَ صَــدَّامَ الَّتي
وَلَــدَتْــكَ إلَّا صَــادِقــاً إلهَــامُهــا
أنْ أنتَ لا أَحَــدٌ سِــواكَ لِعَثْــرَةِ الـ
دُّنيَــا وَأنتَ إذا أَبَتْ صَــدَّامُهــا!

* * *

يَــا قَــادَةَ الــوَطَنِ الكَبيــرِ، وَأَهْلُنــا
مَــلأتْ دُرُوبَ الشَّــامِتينَ خِيَــامُهــا!

وَاللّــــهِ لَــــوْلَا أَنَّ تَحتَ سُقُـــوفِهـــا
نَمَ ثَـــائِـــرِينَ لَضُيِّعَتْ أَيتَـــامُهـــا !
أَرَأَيتُمـــو وَطنـــاً تُقَـــاتِـــلُ تُـــرْبُـــهُ
عَنْ نَفْسِهـــا آكـــامُهـــا وَرِجَـــامُهـــا ؟!
أَرَأَيتُمـــو وَطَنـــاً حِجَـــارَةُ أَرْضِـــهِ
خُلِقَتْ وَكُـــلُّ خَلْفَهـــا رَجَّـــامُهـــا ؟!
هـــا هُم صِغَـــارُ الأكـــرَمينَ ، وَلِلْعُلَى
أَفعَـــالُ هـذي النَّـــاسِ لا أَجسَـــامُهـــا !
اللّـــهَ في هـــذي الحَضَـــارةِ كُلِّهـــا
تَعِبَ الـــرّصَـــاصُ وَمـــا يَـــزالُ زِحَـــامُهـــا !
اللّـــــهَ في مُسْتَبْسِلينَ سِـــــلَاحُهُم
دَمُهُم وَأَغْصَـــــانٌ يُشَبُّ حِطَـــامُهـــا !
وَحجَـــارَةٌ لَـــوْ مَسَّ لَاهِبُ غيظِهـــا
مَجْـــرى المِيـــاهِ لَشَبُّ فيـــه ضِـــرامُهـــا !
لَهُمـــو ، وَلِـــلأرْضِ السَّليبَـــةِ أَنَّهـــا
سَتُفَضُّ عَنْهـــا عُنْـــوَةً أَخْتَـــامُهـــا
نَـــذْرٌ وَلِـــلإِيَّـــامِ مَنْ سَيَـــرُوزُهـــا
أَنَّ الـــوَقَـــاحَ بِـــأرْضِنَـــا شَكَّـــامُهـــا

صَـــدّامُ إمّـــا أنتَ تَخْطِمُ أنْفَهـــا
وَسُيـــوفُ أهلِكَ ذِي ، فَمَنْ خَطّـــامُها ؟!

* * *

يـــا قـــادَةَ الـــوَطَنِ الكَبيـــر تَحيَّـــةً
مِن كـــلِّ شَمْسٍ في العـــراقِ وخَـــامُها
إنَّ الـــدَّقـــائِقَ لا السِّنين بِفَجْـــرِهـــا
حُبْلى ، وَقَـــد مُلِئَتْ سَنَيَّ أرْحَـــامُهـــا !
انَّ الغَـــدَ التَّـــاريـــخَ يَكتُبُ نَفْسَـــهُ
وَلِكـــلِّ نـــاصِـــعِ صَفْحَـــةٍ أقْـــلامُهـــا
وَاللّـــهِ لَنْ يَبْقى مِنَ الـــدُّنيـــا لَنـــا
إلّا الّـــذي نَطَقَتْ بِـــهِ أحْكـــامُهـــا !
سَنَـــرى عَلى أحْفَـــادِنـــا قَسَمَـــاتِنـــا
فَتَكـــادُ تَشْهَقُ في القُبـــور رمـــامُهـــا !
هيَ أمَّـــةٌ أنتمُ وُلاةُ أمُـــورِهـــا
آبـــاؤهـــا في اللّه لا حُكّـــامُهـــا !

* * *

نشرت في القادسية بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٩٠

فهرست المجلد الاول

فهرست المجلد الثاني

فهرست المجلد الثالث

فهرست المجلد الرابع

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ (شركة عامة)